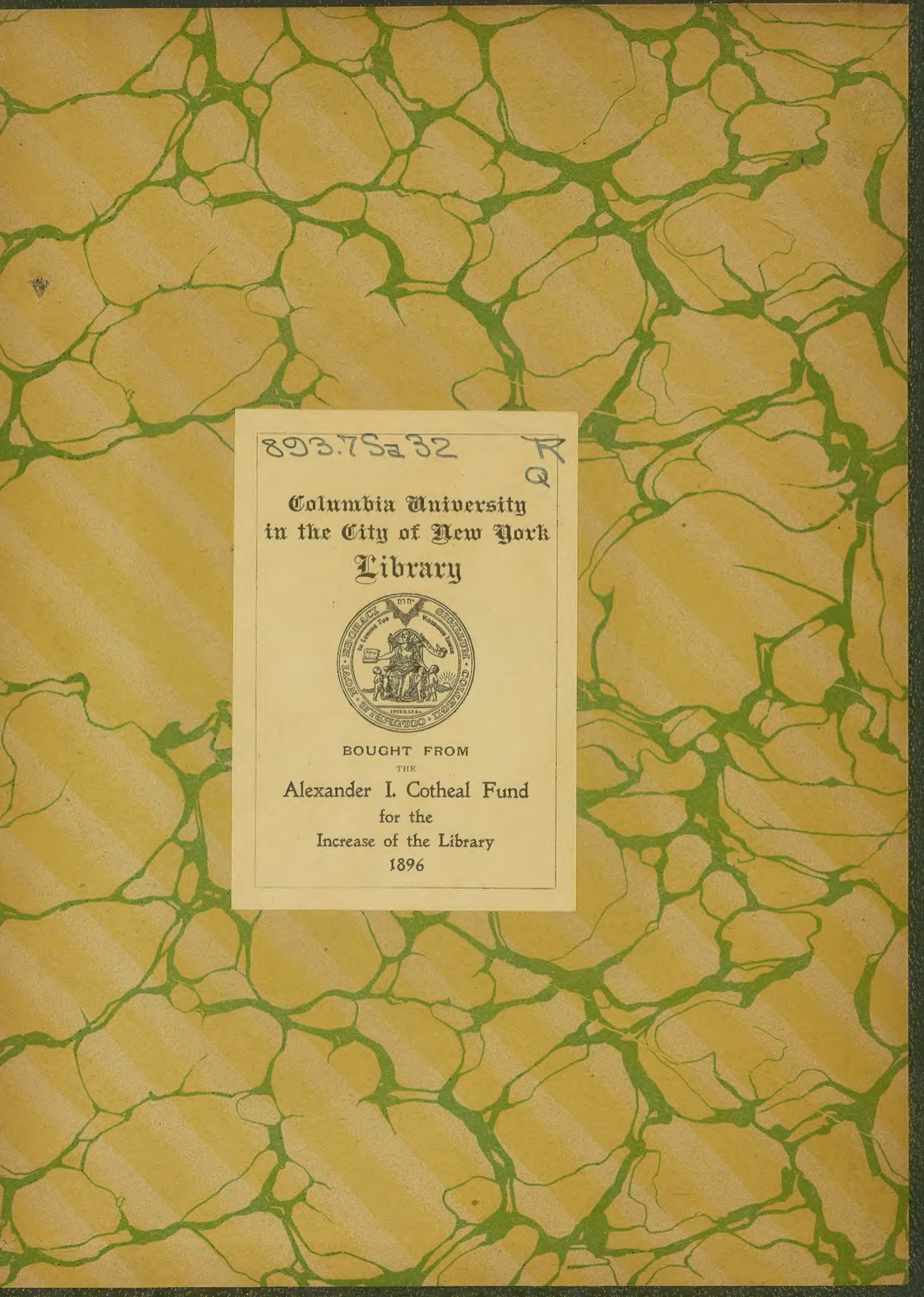

893.7 Sa32
R
Q
Columbia University
in the City of New York
Library
BOUGHT FROM
THE
Alexander I. Cotheal Fund
for the
Increase of the Library
1896



المجلد الاول من كتاب غاية الاماني

في الرد على النبهاني للامام العلامه محيي السنه تذكرة

السلف الشيخ أبي المعالي الشافعي السلامى

أحسن الله اليه ووالى نعمه عليه



الحمد لله على ماعرفنا من نفسه * والهمنا من شكره * وفتح لنا من أبواب العلم بربوبيته ودلنا عليه من الاخلاص فى توحيده * وجنبنا من الالحاد والشك فى أمره * وهو رب العالمين وقيّوم السموات والارضين * ﴿ نحمده ﴾ حمدا يضيء لنا به ظلمات البرزخ * ويسهل علينا به سبيل المبعث * ويشرف به منازلنا عند مواقف الاشهاد * يوم تجزى كل نفس بما كسبت وهم لايظلمون * يوم لايغني مولى عن مولى شيئا ولاهم ينصرون *

﴿ ونشهد ﴾ ان لا اله الا الله العظيم السلطان * والملك الديان * الذي لاشريك له ولا ندّ ولا وزير ولا معين وهو الرّب المستعان * فسبحانه من اله وقفت سيارات العقول حيارى فى مواقف عظمته * وتاهت ثوابت ابكار الافكار سكاري فى فيافى قدرته * واقام أدلة وحدانيته على رؤس عرائس الكائنات * ونظم براهين تفرده بربوبيته فى سلك امتناع تسلسل سلسلة الموجودات *

﴿ ونرفع ﴾ اليه جل شأنه أكف التضرع والابتهال * ونبسط له تعالى سلطانه أيدى التذلل والسؤال * ان يديم ديم صلاته وسلامه هاطلة على أجل من نشر رايات التوحيد * وعقد خنصر قلبه على تقديس ربه المجيد * وتمسك بكتاب لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد * سيدنا ومولانا محمد أمينك على وحيك * ونجيبك من خلقك * وصفيك من عبادك * امام الرحمة * وقائد الخير ومفتاح البركة * الذى نصب لامرك نفسه * وعرض فيك للبلاء بدنه * وكاشف اليك فى الدعاء خاصته * وحارب فى رضاك أسرته * وقطع في احياء دينك رحمه * وأدأب نفسه فى تبليغ رسالتك * وأتعبها بالدعاء الى ملتك * وشغلها بالنصح لاهل دعوتك

ارادة منه لاعزاز دينك * واستنصارا على أهل الكفر بك * حتى استتب له ماحاول فى أعدائك واستتم له مادبر فى أوليائك . فنهد اليهم مستفتحا بعونك . ومتقويا على ضعفه بنصرك *

﴿صلى الله عليه﴾ وعلى آله وأصحابه الذين أخلصوا فى أعمالهم فخلصوا عن كل نقص حتى لم يبق فيهم كلام * ولخصوا زبدة أعمارهم بالتجرد عن شوائب الغفله * فلم يشبهم شئ من دواعى الملام * شنوا غارات عزائمهم حتى بددوا كتائب الزيغ والضلاله * ودمغوا باسنة حججهم رؤس أهل الشرك والجهاله * الذين أسرعوا الى وفادته * وسابقوا الى دعوته واستجابوا له حيث أسمعهم حجة رسالته * وعلى من تبعهم باحسان * ولم يكن لهم غير الله ملجأ ولا مستعان *

﴿أما بعد﴾ فقد وصل الىّ فى أواخر رجب الفرد سنة خمس وعشرين وثلثمائة وألف * من هجرة من تقصر دون كعب علاه بردة المدح والوصف * كتاب قد اشتمل على بهتان عظيم * وعدول عن الصراط المستقيم *

* الفه بعض الجهلة لمصادمة الحق * ومعارضة الصواب بالخطأ المطلق * ومناقضة ماجاءت به رسل الله * وصدحت به الكتب المنزلة * ودلت عليه الدلائل القطعية * وهو توحيد الله وافراده بخصائص الربوبية * وتخصيصه بالالتجاء اليه * والتوكل عليه * والاستعانة به فى كل كلية وجزئية * فجاء هذا الغبي الجاهل المكابر * وأعرض عن الحق الصريح الظاهر * وجمع كتابا سماه شواهد الحق * فى الاستغاثة بسيد الخلق * وحشاه من الكذب والافتراء * والظلم والعدوان * وشتم أهل الحق ونصرة التوحيد والحكايات الكاذبة * وكان الحري به ان يسمى كتابه هذا شبه الباطل والضلال ولما تصفحته وجدته كتابا لا يروج مافيه حتى على ضعفاء العقول * فضلا عمن تضلع من فنون المنقول والمعقول * لما اشتمل عليه من واهى الاسانيد وأكاذيب النقول * مباحثه متناقضه * ومطالبه متعارضه * جهل بها مؤلفه * وغفل عنها مصنفه * وبقيت اقدم رجلا وأؤخر أخرى فى الاقدام على ابطاله * وتزييف أقواله * حيث تكلم بالجزاف * وابان عن قلة معرفة وعدم انصاف * وكان الرأى عندى ان يعرض عن جهله المستأصل لشافته * ولا يتعرض لغثاثته وسخافته * ولا يلتفت الى تخليطه وخرافته * غير ان بعض الاخوان لما علم مقصدى ووقف على ما تقرر عندى التمس منى ذلك * وطلب ابطال ماهنالك * وذكرلى ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لما قال أبو سفيان يوم أحد أفيكم محمد أفيكم أبو بكر أفيكم ابن الخطاب

قال لاصحابه لا تجيبوه تهاونا به وتحقيرا لشأنه * فلما قال أعل هبل * قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قولوا الله اعلى واجل * ولما قال لنا العزى ولا عزي لكم * قال لهم قولوا الله مولانا ولا مولى لكم * فحينئذ جردت اسنة العزائم والرد * واستغنت على رد اباطيله بالواحد الفرد *

﴿ وليت ﴾ مصنف ذلك الهذيان . تنكب عن ميدان الفرسان . ليسلم من أسنة السنتهم عرضه . وينطوي من بساط المشاجرة طوله وعرضه . ولم يسمع مايضيق به صدره ولم ينهتك بين أفاضل الامة ستره . واذ ابى الا المهارشة والمناقشة . والمواحشة والمفاحشة . فليصبر على حر الحلاقم . ونكز الاراقم . ونهش الضراغم . والبلاء المتراكم المتلاطم . ومتون الصوارم . فوالذى نفسي بيده ما بارز أهل الحق قط قرن الا كسروا قرنه . فقرع من ندم سنه . ولا ناحرهم خصم الا بشروه بسوء منقلبه . وسدوا عليه طريق مذهبه لمهربه . ولا فاصحهم أحد ولو كان مثل خطباء أياد الافصحوه وفضحوه . ولا كافحهم مقاتل ولو كان من بقية قوم عاد الا كبوه على وجهه وبطحوه . هذا فعلهم مع الكماة الذين وردوا المنايا تبرعاً . وشربوا كؤسها تطوعا وسعوا الى الموت الزوام سعيا . وحسبوا طعم الحمام أريا . والكفاة الذين استحقروا الاقران فلم يهلهم امر مخوف . وجالوا في ميادين المناضلة واخترقوا الصفوف . وتجالدوا لدى المجادلة بقواطع السيوف *

﴿ وقد ﴾ حان ان نشرع بالمقصود . والذب عن شريعة صاحب المقام المحمود . والحوض المورود اللهم اجعلنى اصول بك عند الضرورة وأسألك عند الحاجة . وأتضرع اليك عند المسكنة . ولا تفتنى بالاستعانة بغيرك اذا اضطررت . ولا بالخضوع لسؤال غيرك اذا افتقرت . ولا بالتضرع الى من هو دونك اذا رهبت . فاستحق بذلك خذلانك ومنعك واعراضك يا أرحم الراحمين .

اللهم اجعل مايلقي الشيطان فى روعي من التمني والتظني والحسد ذكرا لعظمتك . وتفكرا فى قدرتك وتدبيرا على عدوك . وما أجري على لسانى من لفظة فحش أو انتهاك عرض أو شهادة باطل أو اغتياب مؤمن غائب أو سب حاضر وما أشبه ذلك نطقا بالحمد لك واعترافا فى الثناء عليك . وذهابا فى تمجيدك . وشكرا لنعمتك واعترافا باحسانك . واحصاء لمننك . انك مجيب الدعاء *

ولا بد قبل الخوض في ابطال الباطل . ورد الكلام العاطل . من معرفة أمور تزيد من علمها بصيرة في التمييز بين الخطأ والصواب . وتعين على الوقوف على الحق من طرق هذا الباب . ومن الله نستمد التوفيق * وبيده أزمة التدقيق والتحقيق *

﴿ الامور التي يجب التنبيه عليها * والاشارة بيسير العبارة اليها ﴾

﴿ الامر الاول ﴾ ان الكتب المصنفة في حقائق الدين وما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم لا تحصى كثرة في كل عصر من الاعصار . ولا سيما في هذه الازمان الاخيرة فقد انتشرت الكتب الاسلامية . بواسطة صناعة الطبع انتشارا لم يعهد مثله في الاعصر الخالية . ومع ذلك لم تؤثر في القلوب القاسية شيئا . فان أمثال النبهاني المعرضين عن الحق المتبعين لاهوآئهم كثيرون في الاقطار والبلاد . ودلائل الحق واضحة جلية . ولم يلتفتوا اليها . ولا عرجوا عليها وهذا وان اغتر به العوام . والجهلة الطغام . فهو لا يضر الحق ولا يمس شرف أهله . فان الاسباب المانعة من قبول الحق كثيرة جدا كما ذكر ذلك الحافظ ابن القيم في الهداية *

﴿ فمنها الجهل به ﴾ وهذا السبب هو الغالب على أكثر النفوس فان من جهل شيئا عاداه وعادى أهله . فان انضاف الى هذا السبب بغض من أمره بالحق ومعاداته له وحسده كان المانع من قبول الحق أقوى . فان انضاف الى ذلك الفه وعادته ومرباه على ما كان عليه آباؤه ومن يحبه ويعظمه قوى المانع . فان انضاف الى ذلك توهمه ان الحق الذي دعي اليه يحول بينه وبين جاهه وعن شهواته واغراضه قوى المانع من القبول جدا فان انضاف الى ذلك خوفه من أصحابه وعشيرته وقومه على نفسه وماله وجاهه كما وقع لهرقل ملك النصارى بالشام على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكما نرى كثيرا ممن ينتسب الى العلم من أهل المناصب والجرايات ينتسبون الى الطرائق المبتدعة ويظهرون مايروج من العقائد لدى حكومتهم ودولتهم ويتجنبون من العقائد السلفيه . وأظهار السنن النبويه مع علمهم بحقية حقائقها . ووقوفهم على دقائقها محافظة على الزخارف الدنيويه . والسفاسف الدنيه . وأعرف من هؤلاء عددا كثيرا .

أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين . (فاذا) كان الامر على ماذكر ازداد المانع من قبول الحق قوة . فان هرقل عرف الحق وهمّ بالدخول في الاسلام فلم يطاوعه قومه وخافهم على نفسه واختار الكفر على الاسلام بعدماتبين

له الهدى . وقصته مشهورة *

﴿ ومن أعظم هذه الاسباب ﴾ الحسد فانه داء كامن فى النفس ويرى الحاسد المحسود قد فضل عليه وأوتى ما لم يؤت نظيره فلا يدعه الحسد ان ينقاد له ويكون من اتباعه وهل منع ابليس من السجود لآدم الا الحسد فانه لما رآه قدفضل عليه . ورفع فوقه غص بريقه واختار الكفر على الايمان بعد ان كان بين الملائكة . وهذا الداء هو الذى منع اليهود من الايمان بعيسى ابن مريم . وقد علموا علما لا شك فيه انه رسول الله جاء بالبينات والهدى فحملهم الحسد على ان اختاروا الكفر على الايمان واطبقوا عليه وهم أمة فيهم الاحبار والعلماء والزهاد والقضاة والملوك والامراء . هذا وقد جاء المسيح بحكم التوراة ولم يات بشريعة تخالفها ولم يقاتلهم وانما اتى بتحليل بعض ما حرم عليهم تخفيفا ورحمة واحسانا . وجاء مكملا لشريعة التوراة . ومع هذا فاختاروا كلهم الكفر على الايمان *

فكيف يكون حالهم مع نبي جاء بشريعة مستقلة ناسخة لجميع الشرائع مبكتا لهم بقبائحهم ومناديا على فضائحهم . ومخرجا لهم من ديارهم . وقد قاتلوه وحاربوه . وهو فى ذلك كله ينصر عليهم ويظفر بهم . ويعلو هو وأصحابه . وهم معه دائما فى سفال فكيف لا يملك الحسد والبغى قلوبهم . واين تقع حالهم معه من حالهم مع المسيح . وقداطبقوا على الكفر به من بعد ماتبين لهم الهدى . وهذا السبب وحده كاف فى رد الحق . فكيف اذا انضاف اليه زوال الرياسات والمآكل كما تقدم . وقد اطنب ابن القيم الكلام . واتى بما تعشقه الاسماع والافهام . وله كلام مفصل يتعلق بهذا الباب ذكره في كتاب مفتاح دار السعاده . ولعلنا نذكر منه شيأ فيما سيأتى ان شاء الله *

والمقصودان لعدم قبول الحق والاذعان له اسباب كثيرة كلها موجودة فى الغلات والغالب منها قسوة قلوبهم كما أخبر الله تعالى عن اليهود . بقوله (ثم قست قلوبهم من بعد ذلك فهى كالحجارة أو أشد قسوة وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار . وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء . وان منها لما يهبط من خشية الله . وماالله بغافل عما تعملون)

﴿ وفى باب فضل من علِم وعلّم ﴾ من كتاب صحيح الامام البخاري حدثنا محمد بن العلاء . قال حدثنا حماد ابن اسامة عن بريد بن عبد الله عن ابى بردة عن ابى موسى عن النبى صلى

الله عليه وسلم قال مَثَلُ مابعثنى الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير . ﴿أصاب﴾ أرضا فكان منها نقية قبلت الماء فانبتت الكلأ والعشب الكثير . ﴿وكانت﴾ منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا . ﴿وأصاب﴾ منها طائفة أخرى انما هى قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ . فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه مابعثنى الله به فعلِم وعلّم . ومَثَلُ من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله الذى ارسلت به *

﴿قال شارحه الامام الحافظ ابن حجر العسقلانى﴾ بعد كلام له ناقلا عن الامام القرطبي وغيره ضرب النبي صلى الله عليه وسلم ما جاء به من الدين مثلا بالغيث العام الذى يأتى الناس فى حال حاجتهم اليه . وكذا كان حال الناس قبل مبعثه . فكما ان الغيث يحيي البلد الميت فكذا علوم الدين تحيي القلب الميت ثم شبه السامعين له بالارض المختلفه التي ينزل بها الغيث ﴿فمنهم﴾ العالم العامل المعلم فهو بمنزلة الارض الطيبة شربت فانتفعت في نفسها وانبتت فنفعت غيرها ﴿ومنهم﴾ الجامع للعلم المستغرق لزمانه فيه غير أنه لم يعمل بنوافله ولم يتفقه فيما جمع لكنه اداه لغيره فهو بمنزلة الارض التى يستقر فيها الماء فينتفع الناس به وهو المشار اليه بقوله نضر الله امرأ سمع مقالتى فاداها كما سمعها . ﴿ومنهم﴾ من يسمع العلم فلا يحفظه ولا يعمل به ولا ينقله لغيره فهو بمنزلة الارض السبخة أو الملساء التى لاتقبل الماء او تفسده على غيرها . وانما جمع فى المثل بين الطائفتين الاولتين المحمودتين لاشتراكهما فى الانتفاع بهما . وافرد الطائفة الثالثة المذمومة لعدم النفع بها والله أعلم *

قال ثم ظهر لى ان فى كل مثل طائفتين فالاول قد اوضحناه . والثانى الاولى منه من دخل فى الدين ولم يسمع العلم او سمعه فلم يعمل به ولم يعلمه . ومثالها من الارض السباخ واشير اليها بقوله صلى الله عليه وسلم من لم يرفع بذلك رأساً اى أعرض عنه فلم ينتفع به ولا نفع . والثانية منه من لم يدخل في الدين أصلا بل بلغه فكفر به . ومثالها من الارض الصماء الملساء المستوية التى يمر عليها الماء فلا تنتفع به . وأشير اليها بقوله صلى الله عليه وسلم ولم يقبل هدى الله الذى جئت به

* وقال الطيبي بقى من أقسام الناس قسمان (أحدهما) الذى انتفع بالعلم ولم يعلمه غيره (والثانى) من لم ينتفع به فى نفسه وعلمه غيره . ﴿قلت﴾ والاول داخل فى الاول لان النفع حصل فى الجملة . وان تفاوتت مراتبه . وكذلك ماتنبت الارض فمنه ما ينتفع الناس به ومنه مايصير

هشيا . ﴿واما الثاني﴾ فان كان عمل الفرائض واهمل النوافل فقد دخل في الثانى كما قررناه وان ترك الفرائض أيضا فهو فاسق لا يجوز الأخذ عنه ولعله يدخل فى عموم من لم يرفع بذلك رأسا والله أعلم . انتهى كلام الامام العسقلانى

﴿والمقصود﴾ ان الحديث قد دل على ان بعض القلوب كالارض النقيّة التى قبلت الماء فانبتت الكلأ والعشب الكثير كقلوب الصحابة رضى الله تعالى عنهم ومن تبعهم باحسان .

﴿وبعضها﴾ كالاجادب التى أمسكت الماء فشربوا منها وسقوا وزرعوا ويؤيده قوله صلى الله عليه وسلم رب مبلّغ أوعى من سامع . (وبعضها) كالقيعان التى لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ كقلوب كثير من الغلاة وأهل البدع والضلالات فانها لا يؤثر فيها الهدى والعلم كما ان الارض السبخة لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ *

﴿الامر الثانى﴾ انه ورد في الحديث المتفق على صحته انكم لتتبعون سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه * أخبر صلى الله عليه وسلم انه سيكون فى أمته من يحذو حذو الامم السابقة وهم جاهلية الكتابيين وغيرهم كما فسر في الحديث ولا شك ان ما أخبر به صلى الله عليه وسلم كائن لا محالة فانه الصادق المصدوق وما ينطق عن الهوى * ومن اليقين ان من استمسك بهديه واتبع ماثبت من سنته غير مقصودين بالحديث لما ثبت فى حديث الفرق انهم الفرقة الناجية وهم من كان على ماعليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه كما هو الوارد فلابد ان يكون الذين يحذون حذوهم هم من بدل وغير وابتدع وحرف وحاكى الذاهبين الاولين فى أفعالهم وأعمالهم من بناء المشاهد والمساجد على قبور صالحيهم وندائهم فى المهمات والملمات وغير ذلك مما كان يفعله اليهود والنصارى والمشركون مما دلت عليه الاحاديث الصحيحة * وفى الغلاة ومبتدعة أهل القبور من خصال الجاهلين من الكتابيين والمشركين مايصدق به عليهم اتباع سننهم حذو القذة بالقذة ونحن نذكر بعض ذلك ليكون كالمثال الموضح لما نحن بصدده .

﴿فمن خصالهم﴾ انهم كانوا يتعبدون باشراك الصالحين في عبادة الله تعالى ويرون ذلك من تعظيمهم الذي يحبه الله ويقصدون به أيضا التقرب والزلفى والفوز بشفاعتهم لظنهم ان الصالحين يحبون ذلك منهم * وقد أخبر القران عن هذه الخصلة قال تعالى (انا أرسلنا اليك

الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصاً له الدين ألا لله الدين الخالص والذين اتخذوا من دونه أولياء مانعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ان الله يحكم بينهم فيما كانوا فيه يختلفون) وعبادة المشركين لهم كانت بدعائهم لهم وطلب حاجاتهم منهم والذبح والنذر لهم والحلف بهم . وقال تعالى (ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله) * وهذه أعظم مسألة خالفهم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتى بالاخلاص وأخبرهم انه دين الله . الذى لايقبل من أحد سواه . وان من فعل ما استحسنه حرم الله عليه الجنة ومأواه النار . وهذه المسألة هى الدين كله ولاجلها تفرق الناس بين مسلم وكافر وعندها وقعت العداوة ولاجلها شرع الجهاد قال تعالى (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله) . ومن المعلوم ان للغلاة الحظ الوافر من خصلة اسلافهم هذه كما هو المشاهد * .

﴿ ومن خصالهم ﴾ ان دينهم كان مبنيا على أصول أعظمها التقليد فهو القاعدة الكبرى لجميع من كان قبل ظهور الاسلام من الامم الاولى قال تعالى (وكذلك ما أرسلنا من قبلك فى قرية من نذير الا قال مترفوها انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون قال أولو جئتكم باهدى مما وجدتم عليه آباءكم قالوا انا بما أرسلتم به كافرون) . فامرهم الله تعالى ان يتبعوا الحق فقال (اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلا ماتذكرون) وقال تعالى (واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما الفينا عليه آباءنا قال أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولايهتدون) الى غير ذلك مما يدل على ان أهل الجاهلية كانوا مقيدين بربقة التقليد لا يحكمون لهم رأيا ولا يستعملون نظرا ولا يشغلون فكرا . فلذلك تاهوا في أودية الجهالة . وقضوا أعمارهم فى الضلالة وهكذا الغلاة وعبدة الاموات قلدوا أباءهم فى تلك العادات . فلا يمكن نقلهم عنها ولو ظهرت الآيات البينات ولكم بحثتُ مع عقلائهم فما زادهم ذلك الا نفورا . وعتوا على الحق وغرورا . فطابق بين الفريقين . تجد الموافقة ظاهرة لكل ذى عينين .

﴿ ومن خصالهم ﴾ الاقتداء بفسقة أهل العلم وجهالهم وعبادهم قال تعالى محذر المؤمنين ان يحذوا حذوهم (يا أيها الذين آمنوا ان كثيرا من الاحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله) . وقال (يا أهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل) الى آيات أخر تنادى ببطلان

الاقتداء بالفسقة والغواة الضالين المضلين (ومن نظر) الى حال النبهاني وأضرابه الصادين عن سبيل الله تجده على ما كان عليه القرون الاولى الجاهلين *

﴿ ومن خصالهم ﴾ الاحتجاج بما كان عليه القرون السالفة من غير تحكيم للعقل والاخذ بالدليل الصحيح كما دل على ذلك قوله تعالى (قال فمن ربكما يا موسى قال ربنا الذى أعطى كل شيء خلقه ثم هدى قال فما بال القرون الاولى قال علمها عند ربي فى كتاب لا يضل ربى ولا ينسى الذى جعل لكم الارض مهدا وسلك لكم فيها سبلا وأنزل من السماء ماء فاخرجنا به أزواجا من نبات شتى كلوا وارعوا انعامكم) وقال تعالى (فلما جاءهم موسى بآياتنا بينات قالوا ماهذا الا سحر مفترى وما سمعنا بهذا فى آبائنا الاولين)

(وقال موسى ربي أعلم بمن جاء بالهدى من عنده ومن تكون له عاقبة الدار انه لا يفلح الظالمون) وقال تعالى (ولقد أرسلنا نوحا الى قومه فقال ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره أفلا تتقون فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما هذا الا بشر مثلكم يريد ان يتفضل عليكم ولو شاء الله لأنزل ملائكة ما سمعنا بهذا فى آبائنا الاولين ان هو الا رجل به جنة فتربصوا به حتى حين) وقال تعالى (وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم ان هذا لشيء يراد ما سمعنا بهذا في الملة الاخرة ان هذا الا اختلاق) .

فهؤلاء الامم كلهم جعلوا مدار احتجاجهم على عدم قبول ما جاءت به الرسل انه لم يكن عليه اسلافهم ولا عرفوه منهم فانظر الى سوء مداركهم وجمود قرائحهم ولو كانت لهم قلوب يفقهون بها وآذان يسمعون بها واعين يبصرون بها لعرفوا الحق بدليله وانقادوا لليقين من غير تزييفه ولا تعليله وهكذا اخلافهم وورائهم . هذا النبهانى لم يفد فيه ما ألف من الكتب المفصلة لاثبات الحق وابطال الباطل ولم يلتفت اليها بسبب مخالفتها لما كان عليه السبكي . وابن حجر المكى .

﴿ ومن خصائصهم ﴾ الاعتماد على الكثرة والاحتجاج بالسواد الاعظم وابطال الشيء بسبب قلة أهله فابطل الله تعالى ذلك بقوله (وان تطع أكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله ان يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون ان ربك هو أعلم من يضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين) فالكثرة على خلاف الحق لا تستوجب العدول عن اتباعه لمن كان له بصيرة وقلب فالحق أحق بالاتباع وان قل انصاره كما قال تعالى قال (لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه

وان كثيرا من الخلطاء ليبغى بعضهم على بعض الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ماهم) فأخبر الله سبحانه عن اهل الحق انهم قليلون غير ان القلة لاتضرهم وما احسن قول القائل *

﴿ تعيرنا انا قليل عديدنا * فقلت لها ان الكرام قليل ﴾

﴿ والمقصود ﴾ ان من له بصيرة ينظر الى الدليل ويأخذ بما يستنتجه البرهان وان قل العارفون به والمنقادون له ومن اخذ ماعليه الاكثر وما الفته العامة كما هو ديدن الغلاة وعادتهم من غير نظر لدليل فهو مخطئ سالك غير سبيل المؤمنين متبع سنن الجاهلية مقدوح عند اهل البصائر . وهذه مكيدة عظيمة للغلاة ولذلك ترى النبهاني لم يزل يردد في كتابه هذا القول فى تصحيح عقائده ويقول مانحن عليه مذهب الجمهور ومقصوده جمهور العوام الذين هم كالانعام *

﴿ ومن خصائصهم ﴾ الاستدلال على بطلان الشيء بكونه غريبا فرد الله تعالى ذلك بقوله (فلولا كان من القرون من قبلكم اولو بقية ينهون عن الفساد فى الارض الا قليلا ممن انجينا منهم واتبع الذين ظلموا ماأترفوا فيه وكانوا مجرمين)

ومعنى الآية فلولا كان تحضيض فيه معنى التفجع اى فهلا كان من القرون اى الاقوام المقترنة فى زمان واحد من قبلكم الو بقية اى ذوو خصلة باقية من الرأى والعقل اوذوو فضل على ان يكون البقية اسما للفضل والهاء للنقل *

ومن هنا يقال فلان من بقية القوم اى من خيارهم ومنه قولهم فى الزوايا خبايا وفي الرجال بقايا ينهون عن الفساد فى الارض الواقع فيما بينهم حسبما ذكر فى قصصهم وفسر الفساد بالكفر وما اقترن به من المعاصى الا قليلا ممن انجينا منهم استثناء منقطع اى ولكن قليلا منهم انجيناهم لكونهم كانوا ينهون . والغلاة يقولون ان كثيرا من الصلحاء واهل الطرائق يستغيثون بغير الله ويندبون الصالحين وارواحهم تتصرف فى هذا العالم والقول بعدم جواز ذلك غريب جدا لانلتفت اليه وارواح الصالحين تتصرف وتدبر . والقول المخالف له ايضا نادر شاذ لايلتفت اليه وهذا كثيرا مايكرره النبهاني ويقول ان اقوال ابن تيمية شاذة ونحو ذلك فانظر الى تشابه قلوبهم . واحمد الله تعالى على السلامة في الدنيا والدين .

﴿ ومن خصالهم ﴾ الغلو فى الصالحين من العلماء والاولياء قال تعالى (وقالت اليهود عزير ابن

الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بافواههم يضاهؤن قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله انى يؤفكون اتخذوا أحبارهم ورهبانهم من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا الا ليعبدوا الها واحدا لا اله الا هو سبحانه عما يشركون) يريدون ليطفؤا نور الله بافواههم ويأبى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون فاتخاذ أحبار الناس أربابا يحللون ويحرمون ويتصرفون فى الكون وينادون في رفع ضر أو جلب نفع من جاهلية الكتابيين ثم سرت الى غيرهم من جاهلية العرب ولهم اليوم بقايا في مشارق الارض ومغاربها وهم الغلاة فى أهل القبور . فانك ترى غالب الناس اليوم معرضين عن الله . وعن دينه الذي ارتضاه . متوغلين فى البدع . تائهين فى أودية الضلال الاشنع . معادين لكتاب الله والسنة ومن قام بهما فاصبح الدين منهم في أنين . والاسلام في بلاء مبين . والنبهاني له من ذلك الحظ الوافر كما أخبر عنه بذلك من يعرفه وأيدته كتبه . والله المستعان *

﴿ ومن خصالهم ﴾ الاعتياض عن شرع الله ووحيه بالخوارق الكاذبة وكتب السحر قال تعالى ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين اوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم واتبعوا ماتتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا الآية . والكلام عليها فى كتب التفسير مشهور *

وعلى هذه الخصلة اليوم كثير من الناس لاسيما بعض الغلاة المنتسبين الى بعض المشايخ والصالحين وهم بريئون منهم فانهم قد تعاطوا بعض الاعمال السحرية من امساك الحيات وضرب السلاح والدخول فى النيران وغير ذلك مما وردت الشريعة بابطاله ولم يلتفتوا اليه ونبذوا كتاب الله وراء ظهورهم واتبعوا ماالقته اليهم شياطينهم وادعوا ان ذلك من الكرامات وخوارق العادات ومن المعلوم ان الكرامة لاتصدر عن فاسق ومخالف للشريعة ومن يتعاطي تلك الاعمال فسقه ظاهر للعيان وقد اتخذوا دينهم لعبا ولهوا * وليت شعري لم اختصت الكرامة بمسك بعض الحياة والعقارب والضرب بسلاح مخصوص والضرب بايديهم فهلا وقفوا امام مدفع من المدافع فدلع لسانه عليهم وقرأ سورة الدخان وأطلق كراته على وجوههم لنرى كراماتهم حينئذ أين تبقى . ومن مشائخ النبهاني على ماسمعت من هو أبو هذه الخبائث وأمها وسنلم ان شاء الله تعالى على هؤلاء الزائغين مرة بعد أخرى *

﴿ ومن خصالهم ﴾ التحريف لكتب الدين قال تعالى (ومنهم اميون لا يعلمون الكتاب الا أماني وان هم الا يظنون فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم ثم يقولون هذا من عند الله فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون *

ومن نظر الى متصوفة زماننا وغلاته وماصرفوه من النصوص الى ماتقتضيه شهواتهم وبدعهم لرأى أمراً منكراً . وهكذا كثير من القضاة والحكام . وما تلاعبوا به من الاحكام *

﴿ ومن خصالهم ﴾ معادات الدين الذى دانوا به وموالاتهم للزائغين كما فعل اليهود مع النبي صلى الله عليه وسلم لما أتاهم بما أتى به موسى أعرضوا عنه واتبعوا كتب السحر وهو من دين آل فرعون * والغلاة هجروا السنة وعادوها ونصروا أقوال شيوخ القرامطة والباطنية وأمثالهم *

﴿ ومن خصالهم ﴾ التعصب لباطلهم فانهم لما افترقوا خطأ كل فريق منهم الآخرين قال تعالى (وقالت اليهود ليست النصارى على شئ وقالت النصارى ليست اليهود على شئ وهم يتلون الكتاب كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم فالله يحكم بينهم فيما كانوا فيه يختلفون) . وهكذا تجد الغلاة من أهل الطرائق المبتدعة فالرفاعى يقول ليس القادري على شئ . والقادري يقول ليس الرفاعي على شئ . وهذا يقول شيخى أخذ زنبيل الارواح من عزرائيل وأعاد كل روح الى جسدها . وهذا يقول مر شيخى على جهنم فاراد أن يطفيها ببزاقه فحالت الملائكة بينها وبينه ومن اتبع العبد روسى

﴿ يقول العبدروسى كان يحيي * من الاموات من قد مات دهرا ﴾

وهكذا تجدهم يتضاربون بالاقوال ولم يزالوا قائمين على ساق المخاصمة والجدال والحازم ينظر الى الدليل فما أداه اليه نظره من الحق أخذ به وترك ماسواه *

﴿ ومن خصالهم ﴾ التعبد بما لم يأذن به الله * قال تعالى (واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها قل ان الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله مالا تعلمون قل أمر ربى بالقسط وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين كما بدأكم تعودون) *

المراد بالفاحشة فى الاية عبادة الاصنام وكشف العورة في الطواف ونحو ذلك مما كان عليه مشركوا العرب في الجاهلية وفى الآية حذف أي واذا فعلوا فاحشة فنهوا عنها قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها محتجين بامرين تقليد الاباء والافتراء على الله *

وكان من سنة الحمس أنهم لا يخرجون أيام الموسم الى عرفات انما يقفون بالمزدلفة وكانوا لا يسلؤن ولا يأتقطون ولا يرتبطون عنزا ولا بقرة ولا يغزلون صوفا ولا وبرا ولا يدخلون بيتا من الشعر والمدر وانما يكتنون فى القباب الحمر فى الاشهر الحرم ثم فرضوا على العرب قاطبة ان يطرحوا أزواد الحل اذا دخلوا الحرم وان يتركوا ثياب الحل ويستبدلونها بثياب الحرم اما شراء واما عارية . واما هبة فان وجدوا ذلك فبها والا طافوا بالبيت عرايا * وفرضوا على نساء العرب مثل ذلك غير ان المرأة كانت تطوف فى درج مفرج القوائم والمآخير قالت امرأة وهي تطوف بالبيت *

* اليوم يبدو بعضه أو كله * وما بدا منه فلا أحله *
* اخثم مثل القعب باد ظله * كأن حمى خيبر لا تمله *

وكلفوا العرب ان يفيضوا من مزدلفة وقد كانوا يفيضون من عرفة الى غير ذلك من الامور التى ابتدعوها وشرعوها مما لم يأذن به الله وقد فصلت فى كتب أحوالهم . ومع ذلك انهم كانوا يدعون انهم على شريعة أبيهم ابراهيم عليه السلام *

وقد حذا حذوهم حذو القذة بالقذة غلاة هذه الامة ومتصوفتها . ترى طائفة منهم قد اتخذوا ضرب المعازف وآلات اللهو عبادة يتعبدون بها فى بيوت الله ومساجده . وطائفة اتخذوا الطواف على قبور الصالحين اعظم طاعة وعبادة وقصدوها فى طلب الحاجات ونذروا لها * ومنهم * من ابتدع الرهبانية والحيل الشيطانيه . والمكائد التى لم يهتد اليها النفوس الانسانية . وزعم انه سلك سبيل الزهاد . وطريق العباد . ومقصده الاعلى نيل شهواته الحيوانيه . والفوز بزخارف هذه الدنيا الدنيه . الى غير ذلك مما يطول . ولا يعلم الموحد ماذا يقول .

* الى ديان يوم الدين نمضى * وعند الله تجتمع الخصوم *

ولبعض اكابر اهل العلم رسالة جمع فيها المسائل التى خالف فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل الجاهلية . وهى مايزيد على مائة مسألة ولنا عليها شرح مفصل . وخصالهم كلها صادقة على الغلاة ولا سيما (النبهانى منهم) . وما ذكرناه كاف فى التمثيل ويتبين منه انه حذا حذو اسلافه الجاهليين . نسأله تعالى العافية فى الدنيا والدين .

* الامر الثالث * من الامور التى يجب التنبيه عليها والاشارة بصريح العبارة اليها ان من

مكايد الغلاة التشنيع على اهل الحق ودعاة التوحيد من المؤمنين انهم يكفرون المسلمين ومقصودهم من ذلك تنفير القلوب عنهم ولذلك يلقبونهم بالقاب مشعرة بالذم كالمجسمة والحشوية وفى هذه الازمنة يلقبونهم بالوهابية وبالمنكرين ونحو ذلك. وقد برأهم الله تعالى من كل مالا يرضيه سبحانه. ومعلوم ان المسلمين من يعتقد عقيدة الاسلام وقد فسرت في حديث جبريل المشهور فمن كان معتقدا تلك العقيدة كان مسلما ولا يخرج عن الاسلام الا اذا اخل بتلك العقيدة كأن يعتقد ان مع الله الها آخر يعبده بأى عبادة كانت. فانها انواع مختلفة. فحينئذ يخرج عن الاسلام ولا يقال لمن عبد غيره تعالى مسلما ولا لمن كفره انه كفر مسلما. ومنه يعلم امر الغلاة. واما اهل البدع فلم يكفرهم اهل الحق *

وقد سئل شيخ الاسلام عن المسائل التى وقع فيها خلاف ونزاع بين اهل السنة والخوارج والروافض فهل يستوجب ذلك التكفير فانهم كفروا المسلمين واهل السنة بمخالفتهم فيما ابتدعوه. واصلوه. ووضعوه. وذهبوا اليه وانتحلوه. فاجاب الشيخ بقوله اصل التكفير للمسلمين من الخوارج والروافض الذين يكفرون أئمة المسلمين بما يعتقدون انهم أخطؤا فيه من الدين وقد اتفق اهل السنة والجماعة على ان علماء المسلمين لايجوز تكفيرهم بمجرد الخطأ المحض بل كل أحد يؤخذ من قوله ويترك الا رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس كل من يترك قوله لخطأ اخطأه يكفر ولا يفسق ولا يأثم. فان الله قال فى دعاء المؤمنين (ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطأنا) وفي الصحيح عن النبيء صلى الله عليه وسلم ان الله قال قد فعلت الخ *

وقال رحمه الله فى اثناء كلام له في النهي عن التفرق والاختلاف وترك التعصب لمذهب او قبيلة او طريقة *

قال فليس كل من اخطأ يكون كافرا ولا فاسقا ولا عاصيا بل قد عفا الله لهذه الامة عن الخطأ والنسيان. وقد قال تعالى في كتابه فى دعاء المؤمنين (ربنا لاتؤاخذنا ان نسينا او أخطأنا) وثبت فى الصحيح ان الله قال قد فعلت لاسيما وقد يكون من يوافقكم فى اخص من الاسلام مثل ان يكون مثلكم على مذهب الشافعي او منتسبا الى الشيخ عدى. ثم بعد هذا قد يخالف فى شيء وربما كان الصواب معه فكيف يستحل عرضه او دمه او ماله مع ماقد ذكر الله من حقوق المسلم والمؤمن وكيف يجوز التفريق بين الامة باسماء مبتدعة لا اصل لها فى كتاب الله

ولا سنة رسوله . وهذا التفرق الذى حصل بين الامة (علمائها ومشائخها وامرائها وكبرائها) هو الذى اوجب تسلط الاعداء عليهم وذلك بتركهم العمل بطاعة الله ورسوله كما قال تعالى (ومن الذين قالوا انا نصارى اخذنا ميثاقهم فنسوا حظا مما ذكروا به فاغرينا بينهم العداوة والبغضاء) واذا تفرق القوم فسدوا وهلكوا . واذا اجتمعوا صلحوا وملكوا فان الجماعة رحمة وان الفرقة عذاب . وجماع ذلك الامر بالمعروف والنهى عن المنكر كما قال تعالى (يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته) الى قوله (ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر) فمن الامر بالمعروف الامر بالائتلاف والاجتماع والنهى عن الاختلاف والفرقة . ومن النهى عن المنكر اقامة الحدود على من خرج عن شريعة الله تعالى فمن اعتقد فى بشر انه اله او دعا ميتا او طلب منه الرزق والنصر والهداية وتوكل عليه وسجد له فانه يستتاب فان تاب والا ضربت عنقه انتهى . فعلم منه حكم من ابتدع وحكم الغلاة فان من اعتقد فى بشر انه اله اودعا ميتا او طلب منه الرزق وغير ذلك ليس حكمه حكم المبتدع كما قال ولا يشترط فى الخروج عن الدين والعياذ بالله ان يكفر المكلف بجميع ماجاء به الرسول بل يكفي في الكفر والردة ان يأتى بما يوجب ذلك ولو فى بعض الاصول وهذا ذكره الفقهاء من اهل كل مذهب . ومن اراد الوقوف على جزئيات وفروع فى الكفر والردة فعليه بما صنف فى ذلك (كالاعلام بقواطع الاسلام) وما عقده الفقهاء من اهل كل مذهب في باب حكم المرتد فمن نطق بالشهادتين ثم اتى بما يعارضهما فلا تنجيانه *

قال شيخ الاسلام تقي الدين ابن تيمية فى الرسالة السنية لما ذكر حديث الخوارج ومروقهم من الدين وامره صلى الله عليه وسلم بقتالهم قال فاذا كان على عهد النبي صلى الله عليه وسلم وخلفائه ممن انتسب الى الاسلام من مرق منه مع عبادته العظيمة حتى امر صلى الله عليه وسلم بقتالهم فليعلم ان المنتسب الى الاسلام والسنة فى هذه الازمان قد يمرق ايضا من الاسلام وذلك باسباب منها الغلو الذى ذمّه الله فى كتابه حيث قال يا اهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق . وعلى بن ابي طالب حرق الغالية من الرافضة فأمر باخاديد خدت لهم عند باب كندة فقذفوا فيها . واتفق الصحابة على قتلهم لكن ابن عباس كان مذهبه ان يقتلوا بالسيف بلا تحريق وهو قول اكثر الصحابة وقصتهم معروفة عند العلماء . وكذلك الغلو فى

بعض المشائخ بل الغلو في على بن ابى طالب بل الغلو في المسيح ونحوه فكل من غلا فى نبي او رجل صالح وجعل فيه نوعا من الالهية مثل ان يقول ياسيدى فلان انصرني او اغثنى او ارزقنى او اجبرنى أوانا فى حسبك ونحو هذه الاقوال فكل هذا شرك وضلال يستتاب صاحبه فان تاب والا قتل . فان الله انما ارسل الرسل وانزل الكتب ليعبد وحده لا يجعل معه اله آخر والذين يدعون مع الله آلهة اخرى مثل المسيح والملائكة والاصنام لم يكونوا يعتقدون انها تخلق الخلائق وتنزل المطر وتنبت النبات انما كانوا يعبدونهم او يعبدون قبورهم او صورهم . ويقولون ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى . ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله فبعث الله رسوله ينهى ان يدعي أحد من دونه لا دعاء عبادة ولا دعاء استغاثة . وقال تعالى (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة ايهم أقرب) قال طائفة من السلف كان أقوام يدعون المسيح وعزيرا والملائكة فانزل الله هذه الآية ثم ذكر آيات فى المغنى انتهى *

والمقصود منه انه جعل عباد القبور من شر الخوارج المارقين فهم شر أصناف الخوارج . وقد توقف بعض السلف فى تكفير الخوارج قيل لعلى أكفار هم قال من الكفر فروا وعباد القبور لم يتوقف أحد من أهل العلم الذين يرجع اليهم فى كفرهم غاية ما قالوا لا يقتل حتى يستتاب أولا يكفر حتى تقوم عليه الحجة أو نحو هذا الكلام . والمسلمون لم يكفرهم أحد من أهل العلم ولشيخ الاسلام نصوص أخر فى هذا المعنى ننقلها تتميما للفائدة *

قال رحمه الله فى كتاب الاستغاثة الذي رد به على ابن البكرى ان أهل العلم والسنة لا يكفرون من خالفهم وان كان ذلك المخالف يكفرهم لان الكفر حكم شرعي فليس للانسان ان يعاقب بمثله كمن كذب عليك وزنى باهلك ليس لك ان تكذب عليه وتزنى باهله لان الكذب والزنا حرام لحق الله تعالى . وكذلك التكفير حق الله تعالى فلا يكفر الا من كفره الله ورسوله . وأيضا فان تكفير الشخص المعين وجواز قتله موقوف على ان تبلغه الحجة النبوية التى يكفر من خالفها . والا فليس كل من جهل شيئا من الدين يكفر *

ولنا لما استحل طائفة من الصحابة والتابعين كقدامة بن مظعون وأصحابه شرب الخمر وظنوا انها تباح لمن عمل صالحا على ما فهموه من آية المائدة اتفق علماء الصحابة كعمر وعلى وغيرهما على

انهم يستتابون فان اصروا على الاستحلال كفروا وان أقروا به جلدوا فلم يكفروهم بالاستحلال ابتداء لاجل الشبهة التي عرضت لهم حتى يتبين لهم الحق فاذا اصروا على الجحود كفروا . وقد ثبت فى الصحيحين حديث الذى قال لاهله اذا أنا مت فاسحقونى ثم ذرونى فى اليم فوالله لان قدر الله علىّ ليعذبنى عذابا ما عذبه أحدا من العالمين فامر الله سبحانه البر فرد ما أخذ منه وأمر البحر فرد ما أخذ منه . وقال ما حملك على ما فعلت قال خشيتك يا رب فغفر له . فهذا اعتقد انه اذا فعل ذلك لا يقدر الله على اعادته وانه لايعيده أو جوز ذلك وكلاهما كفر لكن كان جاهلا لم يتبين له الحق بيانا يكفر بمخالفته فغفر الله له . ولهذا كنت اقول للجهمية من الحلولية والنفاة الذين نفوا ان الله تعالى فوق العرش لما وقعت محنتهم انا لو وافقتكم كنت كافرا لانى أعلم ان قولكم كفر وانتم عندى لا تكفرون لانكم جهال . وكان هذا خطابا لعلمائهم وفضلائهم وشيوخهم وأمرائهم . وأصل جهلهم شبهات عقلية حصلت لرؤسهم من قصور من معرفة المنقول الصحيح والمعقول الصريح الموافق له . وكان هذا خطابنا فلذا لم نقابل جهله وافتراءه بالتكفير بمثله . كما لو شهد شخص بالزور على شخص أوقذفه بالفاحشة كذبا عليه لم يكن له ان يشهد عليه بالزور ولا ان يقذفه بالفاحشة انتهى المقصود منه *

وقال في موضع آخر من هذا الكتاب اذا خاض هذا يعنى ابن البكرى فى مسألة لم يسبقه اليها عالم ولا معه فيها نقل عن أحد ولا هى من مسائل النزاع بين العلماء فيختار أحد القولين بل هجم فيها على ما يخالف دين الاسلام المعلوم بالضرورة عن الرسول فانا بعد معرفة ما جاء به الرسول نعلم بالضرورة انه لم يشرع لامته ان يدعو أحدا من الاموات لا الانبياء ولا الصالحين ولا غيرهم لا بلفظ الاستغاثة ولا بغيرها ولا بلفظ الاستعاذة ولا بغيرها كما انه لم يشرع لامته السجود لاحد لا لحى ولا الى ميت ونحو ذلك بل نعلم انه نهى عن كل هذه الامور وان ذلك من الشرك الذى حرمه الله ورسوله *

لكن لغلبة الجهل وقلة العلم بآثار الرسالة فى كثير من المتأخرين لم يمكن تكفيرهم بذلك حتى يتبين لهم ماجاء به الرسول مما يخالفه . ولهذا مابينت هذه المسألة قط لمن يعرف أصل الاسلام الا تفطن وقال هذا أصل دين الاسلام *

وكان بعض الاكابر من الشيوخ العارفين من أصحابنا يقول هذا أعظم ما بينته لنا لعلمه بان هذا

أصل الدين وكان هذا وأمثاله في ناحية أخرى يدعون الاموات ويسألونهم ويستجيرون بهم ويتضرعون اليهم وربما كان ما يفعلونه بالاموات أعظم لانهم انما يقصدون الميت فى ضرورة نزلت بهم فيدعونه دعاء المضطر راجين قضاء حاجتهم بدعائه أو الدعاء به أو الدعاء عند قبره بخلاف عبادتهم لله ودعائهم اياه فانهم يفعلونه فى كثير من الاوقات على وجه العادة والتكلف انتهى *

﴿ماذكره شيخ الاسلام فى الرسالة المرادنية مما يتعلق بالمقصود﴾

قد ذكر رحمه الله فى فصل حكم الصلوة خلف أهل الاهواء كلاما مفصلا يوضح هذه المسألة ويكشف حجاب تلك المعضلة فاحببت نقله حرصا على اقتناء فوائده وان طال الكلام *

﴿قال رحمه الله﴾ واما الصلاة خلف اهل الاهواء والبدع وخلف اهل الفجور ففيه نزاع مشهور وتفصيل ليس هذا موضع بسطه لكن اوسط الاقوال فى هؤلاء ان تقديم الواحد من هؤلاء فى الامامة لايجوز مع القدرة على ذلك فان كان مظهرا للفجور او البدع وجب الانكار عليه ونهيه عن ذلك وأقل مراتب الانكار هجره لينتهي عن فجوره وبدعته

ولهذا فرق جمهور الأئمة بين الداعية وغير الداعية فان الداعية أظهر المنكر فاستحق الانكار عليه بخلاف الساكت فانه بمنزلة من أسر الذنب فهذا لاينكر عليه في الظاهر فان الخطيئة اذا خفيت لم تضر الا صاحبها ولكن اذا اعلنت فلم تنكر ضرت العامة . ولهذا كان المنافقون يقبل منهم علانيتهم وتوكل سرائرهم الى الله بخلاف من أظهر الكفر فاذا كان داعية منع من ولايته وامامته وشهادته وروايته لما فى ذلك من النهى عن المنكر لا لاجل فساد الصلوة أواتهامه فى شهادته وروايته فاذا أمكن الانسان ان لايقدم مظهرا المنكر في الامامة وجب ذلك لكن اذا ولاه غيره ولم يمكنه صرفه أو كان هو لا يتمكن من صرفه الا بشر اعظم ضررا من ضرر ما أظهره من المنكر فلا يجوز دفع الفساد القليل بالفساد الكثير ولا دفع أخف الضررين بحصول أعظم الضررين فان الشرائع جاءت بتحصيل المصالح وتكميلها وتعطيل المفاسد وتقليلها بحسب الامكان ومطلوبها بترجيح خير الخيرين اذا لم يجتمعا جميعا ودفع الشرين اذا لم يندفعا جميعا . فاذا لم يمكن منع المظهر للبدعة والفجور الا بضرر زائد على ضرر امامته لم يجز ذلك بل يصلى خلفه مالا يمكن فعله الا خلفه كالجمع والاعياد والجماعة اذا لم يكن هناك امام غيره . ولهذا كان الصحابة

رضى الله عنهم يصلون خلف الحجاج والمختار ابن ابي عبيد وغيرهما الجمعة والجماعة كذلك فان تفويت الجمعة والجماعة اعظم فسادا من الاقتداء بامام فاجر لاسيما اذا كان التخلف عنها لا يرفع فجوره فيبقى ترك المصلحة الشرعية بدون دفع تلك المفسدة ولهذا كان التاركون للجماعات والجمعات خلف أئمة الجور مطلقا معدودين عند السلف والائمة من اهل البدع . واما اذا امكن فعل الجمعة والجماعات خلف البر فهو اولى من فعلها خلف الفاجر . وحينئذ فاذا صلى خلف الفاجر من غير عذر فهو موضع اجتهاد للعلماء * منهم من قال يعيد لانه فعل مالا يشرع له بحيث ترك مايجب عليه من الانكار بصلاته خلف هذا فكانت صلاته منهيا عنها فيعيدها ومنهم من قال لا يعيد قال لان الصلاة فى نفسها صحيحة وما ذكر من ترك الانكار هو امر منفصل عن الصلاة وهو يشبه البيع بعد نداء الجمعة . واما اذا لم يمكنه الصلاة الا خلفه كالجمعة فهنا لا تعاد الصلاة واعادتها من فعل اهل البدع . وقد ظن طائفة من الفقهاء انه اذا قيل ان الصلاة خلف الفاسق لا تصح اعيدت الجمعة خلفه والا لم يعد وليس كذلك بل النزاع فى الاعادة حيث نهى الرجل عن الصلاة فاما اذا امر بالصلاة خلفه فالصحيح هنا انه لا اعادة عليه لما تقدم من ان العبد لم يؤمر بالصلاة مرتين . واما الصلاة خلف من يكفر من اهل الاهواء فهناك قد تنازعوا فى نفس صلاة الجمعة خلفه ومن قال انه يكفر امر بالاعادة لانها صلاة خلف كافر لكن هذه المسألة متعلقة بتكفير اهل الاهواء والناس مضطربون فى هذه المسألة . وقد حكى عن مالك فيها روايتان . وعن الشافعي فيها قولان . وعن الامام احمد ايضا فيها روايتان وكذلك اهل الكلام فذكروا للأشعرى فيها قولان . وغالب مذاهب الأئمة فيها تفصيل وحقيقة الامر فى ذلك ان القول قد يكون كفرا فيطلق القول بتكفير صاحبه ويقال من قال كذا فهو كافر لكن الشخص المعين الذى قال لا يحكم بكفره حتى تقوم عليه الحجة التى يكفر تاركها وهذا كما في نصوص الوعيد فان الله تعالى يقول (ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما انما يأكلون فى بطونهم نارا وسيصلون سعيرا) . فهذا ونحوه من نصوص الوعيد حق لكن الشخص المعين لا يشهد عليه بالوعيد فلا يشهد على معين من اهل القبلة بالنار لجواز ان لا يلحقه الوعيد لفوات شرط او ثبوت مانع فقد لا يكون التحريم بلغه . وقد يتوب من فعل المحرم . وقد تكون له حسنات عظيمة تمحوا عقوبة ذلك المحرم . وقد يبتلى بمصائب تكفر عنه . وقد يشفع فيه شفيع مطاع . وهكذا الاقوال التى

يكفر قائلها قد يكون الرجل لم تبلغه النصوص الموجبة لمعرفة الحق . وقد يكون بلغه ولم يثبت عنده او لم يتمكن من فهمها . وقد يكون قد عرضت له شبهات يعذره الله بها فمن كان من المؤمنين مجتهدا فى طلب الحق واخطأ فان الله يغفر له خطأه كائنا ما كان سواء كان فى المسائل النظرية والعلمية . او المسائل الفروعية العملية . هذا الذى عليه اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وجماهير أئمة الاسلام . واما التفريق بين نوع وتسميته مسائل الاصول ونوع آخر وتسميته مسائل الفروع فهذا الفرق ليس له اصل لا عن الصحابة ولا عن التابعين لهم باحسان ولا أئمة الاسلام وانما هو ماخوذ من المعتزلة وامثالهم من اهل البدع وعنهم تلقاه من ذكره من الفقهاء في كتبهم وهو تفريق متناقض * فانه يقال لمن فرق بين النوعين ماحد مسائل الاصول التى يكفر المخطئ فيها * وما الفاصل بينها وبين مسائل الفروع . فان قال مسائل الاصول هى مسائل الاعتقاد والفروع مسائل العمل . قيل له فتنازع الناس فى محمد صلى الله عليه وسلم هل رأى ربه ام لا وفى ان عثمان افضل من على ام على افضل وفى كثير من معانى القرآن وتصحيح بعض الاحاديث هى من المسائل الاعتقادية لا العملية ولا كفر فيها بالاتفاق ووجوب الصلاة والزكاة والصيام والحج وتحريم الفواحش والخمر هي مسائل علمية والمنكر لها يكفر بالاتفاق وان قال الاصول هي الاصول القطعية قيل له كثير من مسائل العمل قطعية وكثير من مسائل النظر ليست قطعية . وكون المسألة قطعية او ظنية هو من الامور الاضافية وقد تكون المسالة عند رجل قطعية لظهور الدليل القاطع له كمن يسمع النص من رسول الله صلى الله عليه وسلم وتيقن مراده منه وعند غيره لا تكون ظنية فضلا عن ان تكون قطعية لعدم بلوغ النص اياه اولعدم ثبوته عنده اولعدم تمكنه من العلم بدلالته[1] ثم ذكر حديث الذى قال لاهله اذا انا مت فاحرقوني الخ . الى ان قال وهذه المسائل مبسوطة فى غير هذا الموضع لكن المقصود هنا ان مذاهب الأئمة مبنية على هذا التفصيل بين النوع والعين ولهذا حكى طائفة عنهم الخلاف فى ذلك ولم يفهموا غور قولهم . فطائفة تحكى عن

---

(١) نص ماقاله وقد ثبت فى الصحاح عن النبي صلى الله عليه وسلم حديث الذى قال لاهله اذا انا مت فاحرقونى ثم أسحقوني ثم اذروني فى اليم فو الله لئن قدر الله على ليعذبنى عذابا ما عذبه احدا من العالمين فأمر الله البر برد ماأخذ منه والبحر برد ما اخذ منه وقال ما حملك علىّ ماصنعت قال خشيتك يارب فغفر الله له فهذا شك فى قدرة الله فى المعاد بل ظن ان لايعود وانه لايعذبه الله عليه اذافعل ذلك وغفر الله له وهذه المسائل الخ

احمد فى تكفير اهل البدع روايتان مطلقا حتى يجعل الخلاف فى تكفير المرجئة والشيعة المفضلة لعلى وربما رجحت التكفير والتخليد * وليس هذا مذهب احمد ولا غيره من أئمة الاسلام بل لا يختلف قوله انه لا يكفر المرجئة الذين يقولون الايمان قول بلا عمل ولا يكفر من يفضل عليا على عثمان بل ونصوصه صريحة بالامتناع من تكفير الخوارج والقدرية وغيرهم وانما كان يكفر الجهمية المنكرين لاسماء الله وصفاته لان مناقضة اقوالهم لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ظاهرة بينة ولان حقيقة قولهم تعطيل الخالق وقد ابتلى بهم حتى عرف حقيقة امرهم وانه يدور على التعطيل وتكفير الجهمية مشهور عن السلف والأئمة لكن ما كان يكفر اعيانهم فان الذى يدعو الى القول اعظم من الذي يقوله والذى يعاقب مخالفه اعظم من الذي يعاقبه . ومع هذا فالذين كانوا من ولاة الامور يقولون بقول الجهمية ان القرآن مخلوق وان الله لا يرى فى الآخرة وغير ذلك ويدعون الناس الى ذلك ويمتحنونهم ويعاقبونهم اذا لم يجيبوهم ويكفرون من لم يجبهم حتى انهم كانوا اذا افتكوا الاسير لا يطلقونه حتى يقر بقول الجهمية ان القرآن مخلوق وغير ذلك ولا يولون متوليا ولا يعطون رزقا من بيت المال الا لمن يقول ذلك . ومع هذا فالامام احمد رضى الله عنه ترحم عليهم واستغفر لهم لعلمه بانه لم يتبين لهم انهم مكذبون للرسول صلى الله عليه وسلم ولا جاحدون لما جاء به لكن تأولوا فاخطأوا وقلدوا من قال لهم ذلك . وكذلك الشافعى لما قال لحفص الفرد حين قال القرآن مخلوق كفرت بالله العظيم بين ان هذا القول كفر ولم يحكم بردة حفص بمجرد ذلك لانه لم يتبين له بعد الحجة التى يكفر بها ولو اعتقدانه مرتد لسعى في قتله وقد صرح فى كتبه بقبول شهادة أهل الاهواء والصلاة خلفهم . وكذلك قال مالك والشافعي واحمد في القدري ان جحد علم الله كفر . ولفظ بعضهم ناظروا القدرية بالعلم فان أقروا به خصموا وان جحدوا كفروا .

وسئل أحمد رحمه الله عن القدرى هل يكفر قال ان جحد العلم كفر وحينئذ فجاحد العلم هو من جنس الجهمية . وأما قتل الداعية الى البدع فقد يقتل لكف ضرره عن الناس كما يقتل المحارب وان لم يكن فى نفس الامر كافرا فليس كل أمر بقتله يكون قتله لردته .

وعلى هذا قتل غيلان القدرى وغيره قد يكون على هذا الوجه . وهذه المسائل مبسوطة فى غير هذا الموضع وانما نبهنا عليها تنبيها . انتهى كلام شيخ الاسلام رحمه الله

والذى تحصل مما سقناه من النصوص ان الغلاة ودعاة غير الله وعبدة القبور اذا كانوا جهلة

بحكم ماهم عليه ولم يكن أحد من أهل العلم من ينبههم على خطئهم فليس لاحد ان يكفرهم

وأما من قامت عليه الحجة وأصر على ما عنده واستكبر استكبارا او تمكن من العلم فلم يعلم فسنذكر حكمه فى الآتي *

(والمقصود) ان من تمسك من المسلمين بما كان عليه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من المعتقد والدين الذى خالفوا به أهل البدع وباينوهم فلم يذهبوا الى ماذهبت اليه الجهمية المعطلة ولا الى ماذهبت اليه القدرية النفاة والقدرية المجبرة ولا الى ماذهبت اليه الخوارج والمعتزلة ولا الى ماذهبت اليه الرافضة والمرجئة ولم يذهبوا الى ما افتراه الغلاة فى الاولياء والصالحين من عباد القبور ونحوهم فان هؤلاء يسمون عند أهل السنة والجماعة غالية كما سموا به من غلا فى علىّ وزعم انه الاله الحق فاستتابهم على فأبوا فخدلهم الاخاديد وأوقد فيها النيران وقذفهم فيها . وقال

انى اذا رأيت أمراً منكرا * أججت ناري ودعوت قنبراً

وفى رواية لما رأيت الامر أمراً منكراً الخ فهؤلاء هم المسلمون الذين لايكفرون . وتسمية من عبد غير الله مسلما فهو الى ان يعالج عقله أحوج منه الى ان يقام عليه الدليل .

﴿ الامر الرابع ﴾ من الامور التى يجب التنبيه عليها ان من مكايد الغلاة التي كادوا بها العوام انهم يقولون ان الاستغاثة بالاموات ونداءهم في المهمات وشد الرحال لزيارة قبورهم وتقديم قرابينهم اليها ونذورهم هو من علامات محبتهم والتقرب بقربتهم ومن أنكر على ذلك وأبى ماهنالك ونهى عن زخرفتها وايقاد السرج عليها وبناء المساجد عليها وقصد أهلها فى طلب الحاجات والتجاء اليها فى المهمات فهو من المبغضين للصالحين والمنكرين لكرامات الاولياء والصديقين الى غير ذلك من أقوالهم المناسبة لضلالهم كبرت كلمة تخرج من أفواههم فان من أنكر مثل تلك البدع والضلالات هم المحبون لهم والمحافظون على هديهم وطريقتهم وأما هؤلاء الغلاة وأعداء الهداة فقد أفسدوا الدين وسدوا طريق الموحدين يعرف ذلك من وقف على أحوالهم وما قالوه فى الاسلام وما بدلوه من الدين وما عليه أهل البوادى اليوم والاعراب من الكفر بآيات الله ورد أحكام القرآن والاستهزاء بذلك والرجوع الى سوالف البادية وما كانت عليه من العادات والاحكام الجاهليه* وأمثلهم حالا من عرف ان كتاب الله وأحاديث رسوله عند أهل البلاد فلم يرفع بذلك رأساً ولم يبال بشئ مما هنالك أو هو جاهل بما جاءت به

الرسل ونزلت به الكتب لاشعور له بشيء من ذلك ولا يدرى ما الناس من أمر دينهم وغالب أهل المدن منهمكون فى اللذائذ والشهوات قد أعرضوا عن الشريعة وما ورد فيها من الاوامر والنواهي ولم يلتفتوا الى مافي كتب الفقه من الاحكام وظنوا ان سيئاتهم تغفر بنذورهم الى القبور ونداء أهلها والاستغاثة بهم وإن من منعهم من دعاء الانبياء والصالحين والاستعانة بهم والاستغاثة فى الشدائد والمهمات وانهم لايدعون مع الله فى الحاجات والملمات ولا يذبح لهم تقربا ولا يطاف بقبورهم ولا يتوكل عليهم فقد استخف بهم وتنقصهم وهضمهم حقهم * وأصل هذا انهم لايفرقون بين حق الله وحق عباده ولا تميز عندهم فى ذلك بل يرون استحقاقهم كثيراً من العبادات المختصة بالله وهـذا يشبه غلو النصارى فى المسيح وغيره * وقد قالوا لمن أنكر عليهم عبادة المسيح قد تنقصت المسيح وقلت فيه قولا عظيما كما قال عمرو ابن العاص وأصحابه للنجاشى لما قدموا عليه بعد الهجرة الاولى الى الحبشه وسألوه ان يخلى بينهم وبين المهاجرين عنده جعفر بن أبي طالب وأصحابه وأبى ذلك النجاشى فقال عمرو انهم يقولون فى المسيح قولا عظيما يعنى يقولون هو عبد ليس بآله فارسل النجاشى لجعفر وأصحابه وسألهم عن ذلك فقالوا نقول فيه ما قال الله تعالى وتلا جعفر صدر سورة مريم حتى أتى على ذكر المسيح وشأنه فقال النجاشى والله ما زاد المسيح على هـذا * وبالجملة فمن عرف ما جاءت به الرسل من وجوب توحيد الله وأفراده بالعبادة عرف وتبين له ان المنع من دعائهم وقصدهم من دون الله فى الحاجات والملمات هو عين تعظيمهم وتوقيرهم وتعزيزهم والايمان بهم وتصديقهم وقبول ما جاؤا به ومنابذة اعدائهم واضدادهم من المشركين على اختلاف أجناسهم وتباين مللهم * فان أصل النزاع بينهم وبين أعدائهم في عبادة الله وحده والبراءة من عبادة ماسواه ولا يحصل ولا يتصور الايمان بهم الا باعتقاد هذا وموافقتهم عليه وأما مخالفتهم فيه ومعصيتهم فهى عين التنقص والاستخفاف بهم ومن عرف هذا عرف ان أهل الحق والايمان من عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى قيام الساعة هم المعظمون للرسل الموقرون لهم العارفون بحقوقهم القائمون بما يجب لله وما يجب لعباده من الحقوق لا أهل الشرك بهم والمعصية لهم ونبذ أوامرهم وترك ماجاءوا به وهجره وعزله عن الحكم به وتقديم منطق اليونان فى باب معرفة الله وصفاته وتقديم آراء الرجال وحدثهم على النصوص والاحاديث الصريحة وتقديم غلو

النصارى ورأيهم فى عبادة الاحبار والرهبان على ماجاء به من تجريد التوحيد واخلاص الدين لله * هذا هو حقيقة الاستخفاف عند كافة العقلاء . وأما طاعة الرسول فى اخلاص الدين لله وترك دعاء الانبياء والصالحين فهو عين التعظيم والتوقير ولذلك قال عز من قائل (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم) فظهر ان كيدهم جعله الله فى نحرهم وتبين انهم قوم لايعقلون *

فنسألك اللهم ان تخلع من اعداء الحق وثائق قلوبهم وأفئدتهم وان تباعد بينهم وبين ازودتهم وان تحيرهم فى سبلهم وان تضلهم عن وجههم وان تقطع عنهم المدد وان تنقص منهم العدد وان تملأ أفئدتهم الرعب . وتقبض أيديهم عن البسط . وتحرم السنتهم عن النطق . وتشرد بهم من خلفهم . وتنكل بهم من وراءهم . وتقطع بخبرهم اطماع من بعدهم . اللهم عقّم ارحام نساءهم . وييس اصلاب رجالهم . واقطع نسل دوابهم وانعامهم * اللهم لاتأذن لسمائهم فى قطر ولا لارضهم في نبات *

﴿ الامر الخامس ﴾ ان كثيرا ممن يظهر عقيدة الغلاة وينتصر لهم ويصوب رأيهم فى جواز نداء الصالحين ودعائهم والالتجاء اليهم والاستغاثة بهم وقصدهم بالنذور وبكل زور مما استباحوه من الاعمال والاقوال المناقضة لما جاءت به الاديان التي شرعها ذو الجلال والملك المتعال . هم زنادقة لا يعترفون بان للعالم الها خالقا مدبرا للكائنات علويها وسفليها منكرين للكتب الالهية وما اشتملت عليه من الاحكام نافين للمعاد وليوم التناد ويقولون لا حساب ولا كتاب ولا جنة ولا نار ولا آخرة ولا دار قرار ومقصودهم من الانتصار للغلاة وأهل الطرائق المبتدعة وما اشتملت عليه من المنكرات ومالم يأذن به الله من العبادات ستر عوارهم بباطل انتصارهم والتوصل الى شتم اهل الحق وحماة الدين واغاضة من خاصمهم على باطلهم من الموحدين . وقد سمعت ان بعض الاوغاد من زنادقة بغداد الفوا كتابا سموه الفجر الصادق وكان الحري ان يسموه باقوال المارق . قد اشتمل على تصحيح أقوال المبتدعة وضلالات الغلاة ومخازي آراء الغواة معاداة للرادين على أقوالهم والمظهرين لاحوالهم والكاشفين حجب جهلهم وضلالهم وتوصلا الى شتم من عاداهم من أهل الحق لزيغهم ومراغمة لمن جرد عليهم صوارم براهين رد باطلهم وهم من مشاهير زنادقة بغداد مربع الزور والفساد قد أنكروا المعبود

واليوم الموعود . وجحدوا ارسال الرسل والانبياء وما اشتملت عليه الكتب الالهية من الاحكام والانباء فليس لهم من الاسلام الا اسمه ولا من الدين الاذي منتحله ورسمه وكيدهم لايفيدهم وحالهم معلوم لدى العموم *

﴿ ومهما تكن عند امرئ من خليقة * وان خالها تخفى على الناس تعلم ﴾

وقد ذكر المفسرون عند الكلام على قوله تعالى (اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون) ان المنافق اسم اسلامي لم تعرفه العرب بالمعنى المخصوص به وهو الذى يستر كفره ويظهر ايمانه وان كان أصله فى اللغة معروفا . يقال نافق ينافق منافقة ونفاقا وهو مأخوذ من النافقاء وهى احدى حجر اليربوع وهى التى يدخل منها وليس مأخوذا من النفق وهو السرب الذى يستتر فيه لستره كفره وكان المنافقون يأتون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويشهدون شهادة مؤكدة انه رسول الله فشهد الله عليهم انهم كاذبون . ومن اصدق من الله قيلا . فلا ينبغى ان يصدق باقوالهم وقد عدد الله تعالى قبائحهم وهى موجودة في منافقى بغداد وزنادقة العراق فمنها ان من عادتهم الاستجنان بالايمان الكاذبة كما استجنوا بالشهادة الكاذبة اى اتخذوا حلفهم بالله انهم لمنكم جنة عن القتل او السبي أو نحوهما مما يعامل به الكفار ومن هنا اخذ الشاعر قوله

﴿ وما انتسبوا الى الاسلام الا * لصون دمائهم ان لا تسالا ﴾

وقد اخبر سبحانه عن صفتهم وشأنهم فقال (واذا رأيتهم تعجبك اجسامهم) لصباحتها وتناسب اعضائها وان يقولوا تسمع لقولهم لفصاحتهم وذلاقة السنتهم . وهكذا أولئك المنافقون يعجب الناس من هيا كلهم ويسمعون لكلامهم اى ماهم الا اجرام خالية من الايمان والخير كالخشب منصوبة مسندة الى الحائط فى كونها اشباحا خالية عن الفائدة . أوكانهم أصنام منحوتة من خشب مسندة الى الحيطان شبهوا بها فى حسن صورهم وقلة جدواهم وفى مثلهم قال الشاعر

﴿ لايخدعنك اللحى ولا الصور * تسعة أعشار من ترى بقر ﴾

﴿ تراهم كالسحاب منتشرا * وليس فيها لطالب مطر ﴾

﴿ فى شجر السرو منهم شبه * له رواء وما له ثمر ﴾

ثم ان الله تعالى زادهم ايضاحا فقال (يحسبون كل صيحة عليهم) أى متى سمعوا صياحا

باي وجه كان طارت عقولهم وظنوا ذلك ايقاعا بهم كما قال جرير يخاطب الاخطل

﴿ ما زلت تحسب كل شيء بعدهم * خيلا تكر عليهم ورجالا ﴾

﴿ وقال المتنبي ﴾

﴿ وضاقت الارض حتى ظن هاربهم * اذا رأى غير شيء ظنه رجلا ﴾

ثم استأنف سبحانه الكلام عنهم لبيان ما يجب من معاملتهم فقال هم العدو أى هم الكاملون فى العداوة والراسخون فيها فان أعدى الاعادي العدو المداجي الذي يكاشرك وتحت ضلوعه الداء الدوي ككثير من ابناء الزمان فاحذرهم لكونهم أعدى الاعادى ولا تغترن بظاهرهم *

﴿ فلا تقنع باول ما تراه * فاول طالع فجر كذوب ﴾

قاتلهم الله أى لعنهم وطردهم فان القتل قصارى شدائد الدنيا وفظائعها وكذلك الطرد عن رحمة الله تعالى والبعد عن جنابه الاقدس منتهى عذابه عز وجل وغاية نكاله جل وعلا والسورة من أولها الى آخرها فى بيان أحوال المنافقين وذكر أحكامهم . والمقصود ان كثيرا من الزنادقة والمنافقين . ومنهم من سبق ذكرهم يظهرون مايظهره الغلاة وأولئك الزائغون الغواة لمزيد حبهم للدنيا وخوفهم على مناصبهم ومراتبهم وهم لا دين لهم ولا ايمان ولا صلوة ولا زكاة ولا حج ولا صيام وهم كل وقت على وجل يحسبون كل صيحة عليهم . فلا يلتفت الى هذيانهم . وضلالهم وبطلانهم . فما اشبه كلامهم بطنين ذباب . أو صرير باب . أو نبح كلاب . (قل الله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون) .

﴿ وقد تسلب الايام حالات أهلها * وتعدو على أسد الرجال الثعالب ﴾

﴿ الامر السادس من تلك الامور ﴾ ان الغلاة وعبدة القبور وسالكى الطرق المبتدعة يكيدون الجهلة والعوام بمكائد كثيرة . منها ما سبق ومنها انهم يقولون لهم ان المخالفين لنا لم تزل تصيبهم نكبات الدنيا ومصائبها بخلاف من سالك مسلكنا فانا ممتعون متنعمون بنعم الدنيا ومناصبها الرفيعه . ومراتبها العالية . والتقرب من أولياء الامور . انظروا الى فلان وفلان وفلان ويعددون لهم كثيرا من كلاب الدنيا الدنية . ويقولون لهم ثم انظروا الى مخالفينا كابن تيميه واضرابه ويذكرون لهم ما حل بهم من المخالفين ومثل هذا الكيد كثيرا ما يكرره النبهانى في

كتابه شواهد الحق الذى تصدينا لرده ويقول مرة بعد أخرى ان ابن تيمية شق العصا وشوش عقائد المسلمين بسبب ما اختاره من عدم جواز دعاء غير الله والالتجاء الى ما سواه ونحو ذلك وان الله لم يبارك فى كتبه فلم ينتفع بها أحد من المسلمين لقوله بذلك وان العلماء اتفقوا على حبسه الحبس الطويل فحبسه حاكم مصر يومئذ ومنعه من الكتابة فى الحبس وان لا يدخل عليه بدوات ومات في الحبس ونحو من ذلك الهذيان وهكذا قال ابن حجر فى الجوهر المنظم وفى فتاواه وهكذا السبكى فى بعض كتبه *

واعلم ان من له نظر وبصيرة لا يلتفت الى مثل هذا الهذيان هذا الكلام الذى يشبه كلام الصبيان. بل ينظر الى الدليل والبرهان. وما اصاب ابن تيمية واضرابه من أهل الحق فله اسوة بسادات أهل الدين والانبياء والمرسلين. صلوات الله عليهم أجمعين. ولو بسطنا الكلام على ما جري عليهم وما جرى على اكابر المجتهدين وأهل العلم لما وسعه سفر كبير ولم يختص بذلك عصر بل هكذا جميع الاعصار *

﴿ ان الرياح اذا اشتدت عواصفها * فليس ترمى سوى العالى من الشجر ﴾

(قال العلامة) الشيخ شهاب الدين احمد بن على الدلجى وكان من اكابر حفاظ عصره ومحدثيهم وأعلمهم بعقائد السلف وعلومهم فى كتاب الفلاكة والمفلوكين قلما خلا عالم او نبيل من نكبة وانا اذكر هنا طرفا لائقا بمقصودي من ذوى النكبات من الاعيان الذين عرضت لهم *

(مالك بن أنس) ابن أبي عامر بن الحرث ابن غيمان (بالغين المعجمة) ابو عبد الله الامام المدني أحد أئمة الاسلام سعى به الى جعفر بن سليمان بن على ابن عم أبي جعفر المنصور فدعا به وجرده وضربه سبعين سوطا ومدت يداه حتى انخلع كتفاه. وسبب ضربه انهم سألوه عن مبايعة محمد ابن عبد الله بن حسن وقالوا له ان فى أعناقنا مبايعة ابي جعفر. فقال انما بايعتم مكرهين وليس على مكره يمين فاسرع الناس الى محمد فسعى به فضرب لذالك. ثم لم يزل بعده فى علو ورفعة كأنما كانت تلك السياط حليا تحلى بها توفى سنة اربع وسبعين ومائة *

(ابو حنيفة النعمان بن ثابت) الفقيه الكوفى أحد الأئمة المتبوعين كان يزيد بن عمر بن هبيرة الفزارى أمير العراقين فاراده لقضاء الكوفة ايام مروان بن محمد آخر ملوك بنى أمية فابى فضربه مائة سوط وعشرة اسواط كل يوم عشرة اسواط وبقي على الامتناع وسجنه فتوفى

بالسجن في أحد القولين سنة خمسين ومائة ببغداد *

(الامام أحمد بن محمد بن حنبل) بن هلال الشيباني المروزى ثم البغدادى استحوذ على المأمون جماعة من المعتزلة وقوّلوه بخلق القرآن فعن له بطرسوس ان يكتب الى نائب بغداد اسحق بن ابراهيم بن مصعب يأمره ان يدعو الناس الى القول بخلق القرآن فكان ذلك اول الفتنة وكان ذلك آخر عمر المأمون قبل موته بشهور سنة ثمانية عشر ومئتين فلما وصل الكتاب استدعى جماعة من العلماء فامتنعو فهددهم بالضرب وقطع الارزاق فاجاب اكثرهم مكرهين واستمر على الامتناع احمد بن حنبل ومحمد بن نوح الجند سابوري فحملا على بعير متعادلين مقيدين الى الخليفة عن أمره بذلك ثم جاء الصريخ بموت المأمون فى الثلث الاخير. ثم جاء الخبر بان المعتصم قد ولى الخلافة وان الامر شديد فردا الى بغداد فى سفينة مع بعض الاسارى ومات محمد بن نوح فى الطريق واودع الامام احمد السجن ببغداد نحوا من ثمانية وعشرين شهرا ثم احضره المعتصم في قيوده واجلسه فجلس ودعاه الى القول بخلق القرآن فامتنع وقال فما قال ذلك ابن عمك رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا الى شهادة ان لا اله الا الله وانا اشهد ان لا اله الا الله وان القرآن علم الله ومن علم ان علم الله مخلوق فقد كفر اعطونى شيئا من كتاب الله او سنة رسوله حتى اقول به وناظره احمد ابن ابى دواد وغيره وانكروا الآثار التي اوردها وقالوا للمعتصم هذا اكفرك واكفرنا وقال له اسحاق ابن ابراهيم نائب بغدادا يا أمير المؤمنين ليس من تدبير الخلافة ان تخلي سبيله ويغلب خليفتين فعند ذلك حمى واشتد غضبه فاخذ وجيء بالعقابيين والسياط وضربه ضربا مبرحا شديدا حتى اغمى عليه وغاب عقله وأمر باطلاقه الى اهله فنقل وهو لا يشعر ولما شفي من الضرب بقي مدة وابهاماه يؤذيهما البرد وكان الضرب فى الخامس والعشرين من رمضان سنة احدى وعشرين ومائتين. وتوفى سنة احدى واربعين ومائتين*

﴿ يوسف بن يحيي البويطى ﴾ صاحب الامام الشافعى كان الشافعي يسأل عن الشيء فيحيل عليه فاذا أجاب قال هو كما اجاب . وقال عنه الشافعى هو لسانى . حمل الى بغداد فى ايام الواثق بالله من مصر وفى عنقه غل وفى رجليه قيد وبين الغل والقيد سلسلة حديد فيها طوق وزنتها أربعون رطلا وارادوه على القول بخلق القرآن فامتنع ومات بالسجن في قيوده سنة احدى وثلاثين ومائتين .

﴿ الامام ابو عبد الله محمد بن اسماعيل البخارى ﴾ اراد منه خالد بن احمد الذهلي ان يأتيه في بيته ليسمع اولاده فابى وقال فى بيته يؤتى الحكم فاتفق ان جاءه كتاب من محمد بن يحيي الذهلى من نيسابور بان البخارى يقول بان لفظه بالقرآن مخلوق وكان قد وقع بين محمد بن يحيي الذهلى وبين البخاري فى ذلك كلام وصنف البخارى فى ذلك كتابه خلق افعال العباد فاراد الامير ان يصرف الناس عن السماع من البخارى فلم يقبلوا فامر عند ذلك بنفيه من البلاد فخرج منها ودعا على خالد بن احمد فلم يمض شهر حتى امر ابن طاهر بان ينادى على خالد بن احمد على اتان وزال ملكه وسجن ببغداد حتى مات فبرح البخارى الى بلد يقال لها (خرتنك) فمات سنة ستين وثلاثمائة نقلته بلفظه من تاريخ ابن كثير *

﴿ احمد بن علي بن شعيب النسائي ﴾ صاحب السنن امام عصره والمقدم على اضرابه رحل الآفاق واخذ عن الحذاق . وكان ينسب الى شيء من التشيع قالوا دخل دمشق فسأله أهلها ان يحدثهم بشيء من فضائل معاوية فقال مايكفى معاوية ان يذهب رأسا برأس حتى يروى له فضائل فجعلوا يطعنون فيه حتى اخرج من الجامع فسار الى مكة فمر بالرملة فسئل عن فضائل معاوية فامسك عنه فضربوه فى الجامع . فقال اخرجونى الى مكة فاخرجوه وهو عليل . فتوفي بمكة مقتولا شهيدا سنة ثلاث وثلاثمائة *

﴿ ابو عمرو عيسى الثقفي النحوي ﴾ شيخ سيبويه صاحب كتاب الجامع الذى قيل ان سيبويه اخذه وزاد عليه ما استفاده من الخليل ونسبه اليه اودعه شخص وديعة فنمى الخبر الى يوسف بن عمر امير العراقين فكتب الى نائبه بالبصرة يأمره ان يحمل اليه عيسي بن عمرو مقيدا فدعا به ودعا حدادا وامره بتقييده فلما قيده قال له لا بأس عليك انما ارادك لتعليم ولده قال فما بال القيد اذا . فلما وصل اليه سأله فانكر فامر بضربه فضرب بالسياط توفى سنة تسع واربعين ومائة * كان كثير الاستعمال للغريب والتقعر فى كلامه وهو القائل افرنقعوا عني . قال يوما لابي عمرو بن العلاء انا افصح من معد بن عدنان فاستنشده ابو عمرو بيتا فيه بدا بمعنى ظهر . وقال له كيف تسنده الى جماعة الاناث اتقول بدين او بدان فقال بدين فقال اخطأت ولو قال بدان لاخطأ أيضا وانما اراد ابو عمرو تغليطه وانما الصواب بدون من بدا يبدوا اذا ظهر وبدأ يبدأ اذا شرع في الشيء معنى آخر ذكرت هذا استطرادا لاشتماله على فائدة *

﴿ ابو جعفر محمد بن الزيات بن عبد الملك ﴾ وزير المعتصم ثم ابنه هارون الواثق ثم لما مات الواثق اشار هو بتولية ولده واشار القاضي احمد بتولية اخيه المتوكل وتم امر المتوكل فحقد ذلك عليه مضموما الى حقده عليه القديم لانه كان يغلظ عليه فى حياة الواثق تقربا اليه وكان ابن الزيات قد صنع تنورا من حديد في ايام وزارته وله مسامير محدودة الى داخله يعذب فيه الناس وكان يقول اذا استرحم . الرحمة خور فى الطبيعة فلما اعتقله المتوكل ادخله التنور وقيده بخمسة عشر رطلا من الحديد ومات في التنور فوجد قد كتب في التنور بفحمة

من له عهد بنو * ر يرشد الصب اليه
سهرت عيني ونامت * عين من هنت عليه
رحم الله رحيما * دلت عيني عليه

توفى سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة *

﴿ ناصح الدين ابو محمد سعيد المعروف بابن الدهان ﴾ النحوي البغدادي شارح كتاب الايضاح والتكملة وكتاب اللمع لابن جني . وكان يفضل على ابن ابى محمد الجواليقى وابن الخشاب وابن الشجري المعاصرين له . انتقل الى الموصل قاصدا جناب الوزير جمال الدين الاصفهانى المعروف بالجواد . وكانت كتبه ببغداد . واستولى الغرق فى تلك السنة على البلد . فغرقت كتبه وكان خلف داره مدبغة فغاضت بالغرق الى بيته فتلفت كتبه بهذا السبب زيادة على تلف الغرق فارسل من احضرها له وكان قد افنى عمره فيها فاشاروا عليه ان يطيبها بالبخور ويصلح ما امكنه فيها فبخرها باللاذن ولازمها بالبخور الى ان بخرها باكثر من ثلاثين رطلا لاذنا فطلع ذلك الى رأسه وعينيه فاحدث له العمى توفى سنة تسع وستين وخمسمائة *

﴿ ابو العباس احمد بن محمد بن عطاء ﴾ احد أئمة الصوفية حدث عن يوسف بن موسى القطان والمفضل وغيرهما كانت له ختمة يتلوها سبع عشرة سنة يتدبرها مات ولم يكملها احضر في امر الحلاج وقد كتب الحلاج اعتقاده فسأله الوزير حامد بن العباس عما قاله الحلاج فقال من لايقول بهذا فهو بلا اعتقاد . فقال له الوزير ويحك تصوب مثل هذا الاعتقاد فقال مالك ولهذا عليك بما نصبت له من اخذ اموال الناس وظلمهم . مالك والكلام مع هؤلاء السادة فامر الوزير بضرب شدقيه ونزع خفيه وان يضرب بهما رأسه فما زال يفعل به كذلك حتى زال الدم

من منخريه وامر بسجنه فقيل له ايها الوزير ان العامة تتشوش بهذا فحمل الى منزله قال ابن عطاء اللهم اقتله اخبث قتلة واقطع يديه ورجليه فمات ابن عطاء بعد سبعة ايام سنة تسع وثلاثمائة ثم مات الوزير مثل ما دعا عليه ابن عطاء مقطوع اليدين والرجلين مقتولا *

﴿المقرى محمد بن احمد بن ايوب بن الصلت﴾ أبو الحسين المقري المعروف بابن شنبود روى عن ابى مسلم وبشر بن موسى وخلف وكان يختار حروفا انكرها أهل زمانه عليه وصنف ابو بكر بن الانبارى محمد بن القاسم الحافظ الذى كان يحفظ في كل جمعة عشرة آلاف ورقة كتابا فى الرد عليه . كان ابو بكر المذكور من اعلم الناس بالنحو والادب وكان لايأكل الا البقالى ولا يشرب ماء الا قريب العصر مراعاة لحفظه . عقد لابن شنبود مجلس فى دار الوزير ابى على محمد بن مقلة وادعى عليه بالحروف التى كان يقرؤها فاقر بالبعض * فضربه الوزير ابو على بالدرة على رأسه واستتيب فدعا على ابن مقلة فلم يفلح بعد ذلك . توفي سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة *

﴿الوزير ابن مقلة﴾ احد المشاهير الكتاب محمد بن على بن الحسين بن عبد الله بن على المعروف بابن مقلة الوزير كان له بستان كبير جدا وعليه (جميعه) شبكة من ابريسم وفيه من الطيور والقمارى والهزار والطواويس شيء كثير وفيه من الغزلان وبقر الوحش وحميره والنعام والايل شيء كثير ايضا وولى الوزارة لثلاثة من الخلفاء المقتدر والقاهر والراضى وبنى له دارا فجمع عند بنائها خلق كثير من المنجمين فاتفقوا على ان تبنى فى الوقت الفلانى فاسس جدرانها بين العشاءين كما اشاروا فما لبث بعد استتمامها الا يسيرا وقد انشد فيه بعض الشعراء

﴿قل لابن مقلة لا تكن عجلا * واصبر فانك في أضغاث احلام﴾
﴿تبنى بانقاض دور الناس مجتهدا * دارا ستنقض ايضا بعد ايام﴾
﴿مازلت تختار سعدا تطابن لها * فلم يوف بها من نحس بهرام﴾
﴿ان القران وبطليموس ما اجتمعا * في حال نقض ولا فى حال ابرام﴾

ثم عزل عن وزارته واحرقت داره وانقلعت اشجاره وقطعت يده ثم قطع لسانه واغرم الف الف دينار . ثم سجن وحده مع الكبر والضعف والضرورة وكان يستقي الماء بنفسه من بئر عميق يدلى الحبل بيده اليسرى ويمسكه بفيه وقاسى جهدا جهيدا حتى مات فى الحبس سنة ثمان

وعشرين وثلاثمائة ومن نظمه وهو يبكى على يده *

﴿ اذا ماماتت بعضك فابك بعضا * فان البعض من بعض قريب ﴾

قال والنكبات كثيرة لاتحصى وفيما ذكرناه مقنع فان الكتاب كله انموذج ومودة في بابه والله تعالى اعلم انتهى ما قصدنا نقله من كتاب الفلاكة للامام الحافظ الشيخ شهاب الدين . وقد ذكر عددا كثيرا من الأئمة المفلوكين الذين أصيبوا بانواع المصائب والبلايا وهذا الكتاب فريد فى بابه *

* ولصاحب الاغانى ابي الفرج الاصفهانى كتاب سماه مقاتل الطالبيين ذكر فيه مالاقاه اهل البيت النبوى من المصائب والنوائب من القتل والحبس وغير ذلك من الخطوب التى جرت عليهم ويكفيك منها الطامة الكبرى والمصيبة التي لم تزل عين الدين المحمدي منها عبرى وهى ما فعلوه بريحانة الرسول وقرة عين فاطمة البتول وهو من اكبر سادات الامه * واعز ابناء بني الرحمه * فبأى وجه يلاقى من تجرأ على هذه الجريمة جد أولئك الأئمة *

﴿ ويل لمن شفعاؤه خصماؤه * والصور فى نشر الخلائق ينفخ ﴾

﴿ لابد ان ترد القيامة فاطم * وقميصها بدم الحسين ملطخ ﴾

فيقال للنبهانى هل كان ماأصاب أولئك الاكابر الاماجد لفساد فى الدين ام لخلل فى العقائد كلا بل ذلك فضل من الله تعالى عليهم واعلاء لشأنهم ابتلوا فصبروا * والدرجات الرفيعة لاتنال الا بالثبات على الاهواء . وهيهات ان تحصل راحة بلا تعب وهيهات * وفى الخبر حفت الجنة بالمكاره والنار بالشهوات . والعيش الرغد والاتكاء على الارائك واقبال الدنيا انما يكون لمثل النبهاني واضرابه لا لمثل شيخ الاسلام واحزابه *

﴿ فى النفس اشياء لااستطيع اذكرها * لو قلتها قامت لدنيا على ساق ﴾

﴿ والمقصود ﴾ ان ماأصاب الشيخ ابن تيمية واصحابه هو مما يزيد ذوي الالباب بصيرة على علو قدره . ورفعة ذكره . ولكن الجهول الحسود لما نظر بعين السخط رأى الحسنات سيئات والمدائح قبائح .

﴿ بليت به جهولا جاهليا * ثقيل الروح مذموما بغيضا ﴾

﴿ ولم يك اكثر الطلاب علما * ولكن كان اسرعهم نهوضا ﴾

وستقف ان شاء الله تعالى على حاله . ومبلغ علمه وسيكون لنا المام على هذه المسألة مرة أخرى كلما عاد اليها الخصم . فهناك ترى ماينشرح له الصدور .

﴿ الامر السابع ﴾ من تلك الامور ان من علم حال النبهانى وما هو عليه من المعرفة وما يعتقده من العقائد ويراه من الآراء لم يلتفت الى ما ذكره فى كتابه الذى سماه شواهد الحق ولا غيره من هذيانه الصريح فان الرجل جاهل كما ستعلمه من رد كتابه هـذا سقيم الفهم باخبار العدول الثقاة ورواية الصادقين من الرواة وما نشره من هذيانه اعدل شاهد على ذلك واصح دليل على ماهنالك فضلا عما ذكره فيه جهابذة العصر الذين رأوه وخالطوه وعرفوا حاله وشاهدوا اعماله ومع ذلك نذكر كلام بعضهم فيه ليحمد الله من عوفى من شقائه وعضال دائه *

(قال الفاضل العلامه) السيد بدر الدين الحلبي متع الله المسلمين بحياته فى كتابه الارشاد والتعليم عند ذكره مقالات الامم ما نصه .

(ومن شنيع) مقالاتهم فى الاسلام قولهم ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لا يخلو منه زمان ولا مكان يريدون بذلك انه ما من زمان الا وهو فيه موجود ولا من مكان الا وهو فيه موجود قال حفظه الله وهذه المقالة الشنيعة لم نرها لاحد من المتكلمين المتقدمين منهم والمتأخرين ولا رأيناها فى كتب العقائد ولا كنا نظن أحدا يقول هذه المقالة الشنيعة وانما ذكرها الشيخ يوسف بن اسماعيل النبهانى البيروتي صاحب الكتب الكثيرة فى الادعية والصلوات في منظومة له سماها طيبة الغراء ناقلا لها عن البرهان الحلبي . قال ذكر يوسف النبهانى انه اطلع على رسالة الفها البرهان الحلبي فى هذا الموضوع فطالعها وانتفع بها .

قال وهذه مقالة شنيعة فى الغلو فى النبي صلى الله عليه وسلم وانزال له فوق منزلته التى انزله الله بها فان هذا اشراك للنبي صلى الله عليه وسلم فى أخص أوصاف البارى جل شأنه ومهما يأوي الناس لاصلاح هذه المقالة الشنيعة فلن يجدوا الى الخروج عن قبيحها سبيلا والامر لله . ولا حول ولا قوه الا بالله .

(وياليت شعرى) اى دليل قام عندهذا الذى قال هذه المقالة حتى قال بها هل تلا فى ذلك آية منزلة او حديثا صحيحا ان قال ذلك فقد كذب وشهد على نفسه بالكذب او ساق الدليل الذي اورده المتكلمون على أن البارى جل شأنه لا يحويه زمان ولا مكان فى النبي صلى الله عليه وسلم

فحكم له بما حكم به للبارى جل وعلا فهو عين الشرك الصريح ومثل هذه العقائد الفاسدة الباطلة الكاذبة يلقيها أهل الغفلة من المنتمين للعلم فى آذان العامة فتصادف منهم قبولا وتجتمع عليها قلوبهم حتى يصير من المتعذر نزعها من أذهانهم وربما كفروا من انكرها عليهم ورأوا ان انكار ذلك نوع من الالحاد في الدين واستخفاف بصاحب الشريعة المطهرة صلى الله عليه وسلم (وقال أيده الله تعالى) ومثل هذه العقيدة فى الشر او اقل منها فساد دعوى بعض المغفلين ممن ينتمون الى العلم ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يعلم جميع ما كان وما يكون *

ولاهل هذه العقيدة دلائل على هذه المقالة الشنيعة كلها مبنية على مقدمات فاسدة اوقعها فى قلوبهم المبالغة فى اطراء النبي صلى الله عليه وسلم المنهى عنه بقوله لا تطروني كما اطرت النصارى عيسى . وأحاديث موضوعة كاذبة وقعت اليهم فاعتقدوا صحتها وهي مفتراة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويكفى لمن ينكر هذه العقيدة انه لم يقم دليل من كتاب او سنة صحيحة عليها مع الجزم باتفاق الكل على ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يعرض له الامر فيتوقف فيه الى أن يأتيه الوحى من الله به وحديث الافك على الصديقة الطاهرة شاهد . ومن ادعى انه افيضت عليه بعد ذلك العيون فليأت بآية او حديث ولا طريق لاثبات مثل هذا الا الخبر الصادق وهذه العقيدة هي الفرقان بين أهل السنة وبين المبتدعة عند اكثري مسلمى الهند. فمن كان يعتقد ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يعلم جميع ما كان وما يكون فهو من أهل السنة والخير وان لم يكن يعتقد ذلك فهو من أهل البدعة والفساد* ولعلمائهم في ذلك رسائل لا تكاد تحصي شحنوها بالدلائل الفاسدة على هذه المقالة الشنيعة والرد على مخالفيهم فيها *

(قال) وقد سئلت عن هذه المسئلة وانا بالهند سنة تسع عشر وثلثمائة بعد الالف وكان قصد السائل تعرف عقيدتى بما اعرف من الحق الذى لا مرية فيه وهو ان النبي صلى الله عليه وسلم أطلعه الله تعالى على كثير من المغيبات لمصالح يقتضيها التشريع ولم يطلعه على كل ما كان ويكون وبينت له أن هذا لا يحط من علىّ مرتبته عليه السلام بل من الادب مع الله ومعه ان لا نصفه بما لم يصف نفسه به ولا ان نثبت له مالم يخبر هو بثبوته لنفسه *

فانكر علينا ذلك وتحركت نفسه للمحاجة فقلنا له أترى ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يعلم عدد الشعرات التى فى لحيتك فقال لا فقلنا افترى ان لحيتك ليست من المكونات فانقطع

في ميدان المناظرة قبل ان ينقل فيه قدما *

الا ان هذا الشيخ الهندي ما زال بعد ان فارقني يذكر من فساد عقيدتي بين العامة وتطاول على الدين واحتقاري للشرع ما وسوس له به شيطانه وسولته له نفسه الخبيثة حتى ألهب قلوبهم حقدا عليّ وغيظا مني وتحركت نفوسهم الشريرة لا يذائي على حق اذعته فيهم ونشرته بينهم وبدعة انكرتها عليهم وبينت لهم فسادها وانها ليست من الدين *

وذكر قصة جرت له بسبب ذلك في أحد مساجد الجامعة في الهند ثم قال هكذا بذر علماء السوء بذور الخرافات والبدع والعقائد الفاسدة في قلوب العامة فتمكنت في قلوبهم حتى تعذر على احذق الناس بامراض القلوب علاجها واختيار دواء نافع لها * وليس هذا محل بسط الكلام على هذا الموضوع وموعدنا ان شاء الله القسم الثاني من هذا الكتاب وهو قسم الارشاد فانه به امس واشد ارتباطا انتهى كلامه . وقد شفى بهصدور المؤمنين جزاه الله خير الجزاء ومقصودنا منه ما يتعلق بمقالة النبهاني وخرافته وسقنا الكلام كله حرصا على ما فيه من الفوائد *

ثم ان النبهاني هذا أخذ مقالته هذه من أهل الاتحاد والحلول . قال عبد الكريم الجيلي إنَّ هو من قوله قل هو الله أحد راجع الى ضمير الخطاب المستتر في قل المقدر بانت مرادا به الانسان الكامل وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا ضرب من الهذيان تفرع على قول محيي الدين سبحان من أظهر الاشياء وهي عينها وقال الجيلي أيضا ان النصارى لم يكفروا باصل الحلول وانما كفروا بالحصر الذي تضمنه كلامهم ان الله هو المسيح لا غيره من الاشياء ولو عمموا لم يكفروا * وهذا الكلام مما تقشعر منه جلود المؤمنين فقول النبهاني ان النبي صلى الله عليه وسلم لا يخلو منه زمان ولا مكان ناقلا عن البرهان الحلبي هو من شعب ذلك الوادي وللقوم غلو في هذا المقام يأباه المتشرعون * ومنه قولهم ان الشرائع المتقدمة على ظهوره صلى الله عليه وسلم شريعته والانبياء من قبله نوابه في التبليغ ووقوع النسخ في هاتيك الشرائع كوقوعه في شريعته التي ظهر بها وعلى هذا قول قائلهم *

﴿ كل النبيين والرسل الكرام أتوا * نيابة عنه في تبليغ دعواه ﴾
﴿ فهو الرسول الى كل الخلائق في * كل الدهور ونابت عنه أفواه ﴾

وقال ابن الفارض على لسان الحقيقة المحمدية *

﴿ واني وان كنت ابن آدم صورة * فلى فيـه معنى شاهد بابوتى ﴾

﴿ ومن ذلك ﴾ دعواهم لرؤياه صلى الله عليه وسلم بعد وفاته فقد ادعاها غير واحد منهم وادعوا أيضا الاخذ منه يقظة قال الشيخ سراج الدين بن الملقن فى طبقات الاولياء فى ترجمـة الشيخ خليفة بن موسى النهرملكى كان كثير الرؤية لرسول الله صلى الله عليه وسلم يقظـة ومناما فكان يقال ان اكثر أفعاله يتلقاه منه صلى الله عليه وسلم يقظة ومناما وراه فى ليلة واحدة سبع عشرة مرة قال له فى احداهن يا خليفة لا تضجر منى فكثير من الاولياء مات بحسرة رؤيتى وقال الشيخ تاج الدين بن عطاء الله فى لطائف المـنن قال رجل للشيخ ابى العباس المرسى ياسيدى صافحنى بكفك هذه فانك لقيت رجالا وبلادا فقال والله ما صافحت بكفى هـذه الا رسول الله صلى الله عليه وسلم * قال وقال الشيخ لو حجب عنى رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفة عين ما عددت نفسى من المسلمين ومثل هذه النقول كثير فى كتب القوم جدا وفى تنوير الحلك لجلال الدين السيوطى الذى رد به على منكري رؤيته صلى الله عليه وسلم بعـد وفاته فى اليقظه طرف من ذلك وكل ماأتى به لا دليل فيه واطال الـكلام فى ذلك ثم قال وقد ذكر عن السلف والخلف وهلم جرا ممن كانوا رأوه فى النوم فرأوه بعد ذلك فى اليقظة وسألوه عن اشياء كانوا منها متشوشين فاخبرهم بتفريجها ونص لهم على الوجوه التى منها فرجها فجاء الامر كذلك بلا زيادة ولا نقص انتهى المراد منه * وليت شعرى لم كان عثمان يطلب شاهـدين من كل من اتاه بآية يشهدان على أنها من القرآن وهلا رأى النبي صلى الله عليه وسـلم يقظة وساله عن تلك الآية وهو وسائر الصحابة أحق ممن ذكر بهذه الفضيلة * وقد وقع بينهم ماوقع من الاختلاف فلم يره أحد منهم ويدفع اشكاله والسيوطي رحمـه الله كان فيما ألفه من الـكتب حاطب ليل في كل كتاب له مذهب ومشرب . وما أتى به فى كتابه هـذا لا يعول عليه كما سيرُدعليك مردودا *

ثم ان رؤيته صلى الله عليه وسلم عند القائلين بها يقظة اكثر ماتقع بالقلب ثم يترقى الحال الى ان يرى بالبصر على مازعموا * واختلفوا في حقيقة المرئى . فقال بعضهم المرئى ذات المصطفى بجسمه وروحه واكثر ارباب الاحوال على انه مثاله . وبه صرح الغزالى فقال ليس المراد انه يرى جسمه وبدنه بل مثالا له صار ذلك المثال آلة يتأدى بها المعنى الذى فى نفسه قال والآلة تارة تكون

حقيقة وتارة تكون خيالية . والنفس غير المثال المتخيل فما رآه من الشكل ليس هو روح المصطفى صلى الله عليه وسلم ولا شخصه بل هو مثال له على التحقيق * وفصل القاضي أبو بكر بن العربي فقال رؤية النبي صلى الله عليه وسلم بصفته المعلومة ادراك على الحقيقة ورؤيته على غير صفته ادراك للمثال واستحسنه السيوطي . وقال بعد نقل أحاديث وآثار ما نصه فحصل من مجموع هذا الكلام النقول والاحاديث ان النبي صلى الله عليه وسلم حيّ بجسده وروحه وانه يتصرف ويسير حيث شاء في أقطار الارض وفي الملكوت وهو بهيئته التي كان عليها قبل وفاته لم يتبدل منه شيء وانه مغيب عن الابصار كما غيبت الملائكة مع كونهم أحياء باجسادهم فاذا أراد الله تعالى رفع الحجاب عمن أراد إكرامه برؤيته رآه على هيئته التي هو عليها لا مانع من ذلك ولا داعي الى التخصيص برؤية المثال انتهى *وذهب الى نحو هذا في سائر الانبياء عليهم السلام فقال انهم أحياء ردت اليهم أرواحهم بعد ما قبضوا وأذن لهم في الخروج من قبورهم والتصرف في الملكوت العلوى والسفلي واتى باخبار كثيرة تشهد له وكلها لا أصل لها ولا متصرف في الكون الا الله تعالي كما سنبرهن على ذلك ان شاء الله *ويكفي في ابطال هذا القول قوله تعالى (الله يتوفي الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قض عليها ويرسل الاخرى الى أجل مسمى) فاذا أمسك التي قضى عليها فمن أين لها التمكن من التصرف ومن أين لاحد ان يراها . وأعجب من ذلك كله ما نقله الشيخ صفي الدين ابن أبي المنصور والشيخ عبد الغفار عن الشيخ ابي العباس الطنجي من انه رأى السماء والارض والعرش والكرسي مملوءة من رسول الله صلى الله عليه وسلم وزعم من زعم ان السؤال عن كيفية رؤية المتعددين له عليه الصلوة والسلام في زمان واحد في أقطار متباعدة ينحل به ولا يحتاج معه الى ما اشار اليه بعضهم وقد سئل عن ذلك فانشد *

﴿كالشمس في كبد السماء وضوءها * يغشى البلاد مشارقا ومغاربا﴾

﴿اللهم انا نعوذ بك من أن نقول ما لا ترضاه * وان تعصمنا من الزيغ والزلل والاشتباه﴾

﴿ والمقصود ﴾ ان قول النبهاني الذى سبق بيانه في كلام العلامة السيد بدر الدين الحلبي وما وافقه من اقوال الذين ذكرناهم كلها من واد واحد وانها متفرعة على القول بالحلول والاتحاد غير ان كلامهم ليس صريحا في ذلك ولكن الامر كما قيل رب كناية ابلغ من تصريح . فعلى

المسلم التجنب عن مثل هذه الاقاويل والاخذ بالكتاب والسنة وبما كان عليه سلف الامة .

﴿ فخير امور الدين ما كان سنة * وشر الامور المحدثات البدائع ﴾

هذا حال النبهانى فى عقائده . وجهله فى العلوم النقلية والعقلية اشهر من ان ينبه عليه كما ستعلمه ان شاء الله تعالى .

لكن بقى علينا بيان حاله وما هو عليه الى اليوم من افعاله واعماله وحيث انى لم اقف على حقيقة امره وان كان ما نشره من الكتب تطلعنا على حلوه ومره سألت عنه بعض الافاضل من الاصحاب ممن رآه واجتمع به وعرف ماعنده من الفصول والابواب فكتب كلاما طويلا فيه وعرفنى بظاهره وخافيه . فمن ذلك قوله ان النبهانى قد قضى شطرا من عمره فى المحاكم النظاميه وتسمى ايضا بالمحاكم القانونيه ثم ذكر كلاما طويلا في بيان حال تلك القوانين وما فيها من المخالفة لقواعد الدين ثم قال ان النبهانى تولى رياسة الجزاء فى بيت الله المقدس عددا كثيرا من الاعوام وبين حقيقة هذا المنصب وما يتعاطاه الرئيس من الاحكام قال ثم تحول الى رياسة محكمة البداية فى بيروت وبين مايرى في هذا المحل من الوظائف والمواد . ثم قال وان اوهن البيوت لبيت العنكبوت قلت ان كان صادقا عليه ذلك المقال يكون تائها فى اودية الجهل والضلال فكيف يدعى الايمان فضلا عن دعواه المحبة لسيد ولد عدنان وهو معرض عن هديه وسنته ناء عن العمل بشريعته فهلا قرأ قوله تعالى ومن لم يحكم بما انزل الله فأولئك هم الكافرون ومن لم يحكم بما انزل الله فأولئك هم الظالمون ومن لم يحكم بما انزل الله فأولئك هم الفاسقون وسنذكر ان شاء الله تعالى فيما سيأتى تفصيل هذه المسألة وبيان حكمها بما ينشرح لها الخاطر ثم ذكر شيئا كثيرا من بيان أحواله مما يطول ذكره *

وظن يوسف النبهانى المسكين انه قد خلا له الجو فصفر وطاول العلماء الاعلام بما ذكر فى كتابه الذى وسمه بدلائل الحق ماذكر وصال وجال وقال ماقال *

﴿ واذا ماخلا الجبان بارض * طلب الطعن وحده والنزالا ﴾

وتصدى مثله لما تصدى له دليل على جهله . ومزيد غباوته وخفة عقله بل هو كما قيل

﴿ لو ان خفة عقله فى رجله * سبق الغزال ولم يفته الارنب ﴾

ولولا الترفع عن مكافأة امثاله . والانفة من مخاطبة اشكاله . لعرفناه قدره . واوضحنا له شأنه

وامره . ولكن مثله لايخاطب ولا يعاتب . ولا يؤاخذبالهذيان ولا يعاقب . وان الظفر بمثله شر من الهزيمة والتلطخ بذكره قريب من محاورة بهيمة .

﴿ اذا ماأتيت الامر من غير بابه * ضللت وان تقصد الى الباب تهتد ﴾

﴿ والمقصود ﴾ من ذكر هذه النبذة من احوال النبهانى ان الذي خاصم اهل الحق كلهم على هذا المنوال . وقد تشابهوا كاسنان الحمار فى الاتفاق على الضلال . وباطل الاقوال . فلا يغتر بما زخرفوه وزوروه فانهم ليسوا من رجال العلم والكمال . والله اعلم بحقيقة الحال *

﴿ الامر الثامن من تلك الامور ﴾ لابد للمتناظرين من مرجع يكون مهيمنا على الحق الذى يدعيه كل منهما والا فالمناظرة لاتتم قال الامام العلامة الشيخ عبد العزيز كل متناظرين على غير اصل يكون بينهما يرجعان اليه اذا اختلفا فى شيء من الفروع فهما كالسائر على غير طريق وهو لايعرف المحجة فيتبعها ولا يعرف الموضع الذى يريده فيقصده وهو لا يدرى من اين جاء فيرجع فيطلب الطريق وهو على ضلال قال ولكنا نؤصل بيننا اصلا فاذا اختلفنا فى شيء من الفروع رددناه الى الاصل فان وجدناه فيه و لا رمينا به ولم نلتفت اليه ثم قال الاصل بينى وبين خصمى ماأمرنا الله عز وجل واختاره لنا وعلمناه وأدبنا به فى التنازع والاختلاف ولم يكلنا الى غيره ولا الى انفسنا واختيارنا فنعجز ثم بينه بقوله قال الله عز وجل (يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامر منكم فان تنازعتم فى شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير واحسن تأويلا) . فهذا تعليم من الله وتأديبه واختياره لعباده المؤمنين ماأصله المتنازعون بينهم . قال وقد تنازعت انا وبشر وبيننا كتاب الله وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم كما امر الله عز وجل فاذا اختلفنا فى شيء من الفروع رددناه الى كتاب الله عز وجل فان وجدناه فيه والا فالى سنة نبيه صلى الله عليه وسلم فان وجدناه فيها والا ضربناه فى الحائط ولم نلتفت اليه الى آخر ماقاله فى حضرة الخليفة العباسى عند مناظرته مع بشر .

وقال الامام العلامة الشيخ عبد اللطيف فى موضع من كتبه . اعلم ان مستند المسلمين في العقائد ومرجعهم في اصول الدين وفروعه الى كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم واجماع من سلف من علماء الامة والتقليد فى باب اصول الدين ومعنى شهادة ان لااله الا

الله وشهادة ان محمد رسول الله لا يفيد ولا يجدى عندهم وان كان المقلد بفتح اللام مع التشديد فاضلا عالما فى نفسه الى آخر ماقال

﴿ وقال في موضع آخر ﴾ ان الاصل المعتمد فى هـذا الباب وغيره من اصول الدين وفروعه هو مادل عليه الكتاب والسنة واجماع علماء الامة هذه هي الادلة الشرعية بالاجماع . والقياس مختلف فيه والجمهور على قبوله بشروط . وليس المعوّل على كلام الاحاد من اهل العلم والدين وان علت درجتهم وارتفعت رتبتهم ولا تصلح المعارضة بقول فلان وفلان من اهل العلم والدين ولا ينتقض الدليل بمخالفة احد كائنا من كان . انتهى .

﴿ وقال في موضع آخر ﴾ ان العمدة عند المسلمين في مسائل أصول الدين وفروعه على كتاب الله وسنة رسوله واجماع اهل العلم ولاتذكر اقوال اهل العلم الا تبعا وبيانا لانها المقصودة بالذات والاصالة ثم المسائل التى لايلزم بها المجتهد غيره هي ما كان للاجتهاد فيه مساغ ولم تخالف كتابا ولا سنة صريحة ولا اجماعا وماخالف ذلك فهو مردود على قائله ويلزمه اهل العلم بصريح الكتاب والسنة واجماع الامة قال امام دار الهجرة مالك بن انس رحمه الله تعالى مامنا الا راد ومردود عليه الا صاحب هذا القبر يعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم . ﴿ واحسن منه ﴾ قول الله تعالى فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول الآية وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لا الفين احدكم متكئا على اريكته يأتيه الامر من امرى فيقول بيننا وبينكم كتاب الله الا واني اوتيت الكتاب ومثله معه فاذا كان رد السنة محرما لايجوز ولو ردها ظانا ان القرآن لايدل عليها . فكيف رد الكتاب والسنة وعدم الالزام بهما لخلاف احد من الناس كائنا من كان . ومسائل معرفة الله ووجوب توحيده واسلام الوجه له وحده لاشريك له ومسائل ربوبيته واختصاصه بالخلق والايجاد والتدبير ونحو ذلك مما يعلم بالضرورة من دين الاسلام كصمديته تعالى ونفي الكفو والصاحبة والولد . وغناه بذاته ومباينته لمخلوقاته وعموم قدرته واحاطة سمعه وبصره وعلمه بجميع المعلومات والمبصرات والمسموعات ونحو ذلك من اصول الدين . فكل الرسل متفقة عليه . وجميع الكتب داعية اليه . والعقول الصحيحة حاكمة به فكل اجتهاد خالفه فباطل مردود لا يسوغ العمل به فى شريعة من الشرائع ولا عند عالم من العلماء ولا فقيه من الفقهاء . ﴿ ثم قال قال شمس الدين ﴾ فى هدايته بل جميع

النبوات من اولها الى آخرها متفقة على اصول

(احدها) ان الله تعالى قديم واحد لا شريك له في ملكه ولا ند ولا ضد . ولا وزير ولا مشير ولا ظهير . ولا شافع الا من بعد اذنه *

﴿ الثاني ﴾ انه لا والد له ولا ولد ولا كفو ولا نسب بوجه من الوجوه ولا زوجة .

﴿ الثالث ﴾ انه غنى بذاته فلا يأكل ولا يشرب ولا يحتاج الى شيء مما يحتاج اليه خلقه بوجه من الوجوه .

﴿ الرابع ﴾ انه لا يتغير ولا تعرض له الآفات من الهرم والمرض والسنة والنوم والنسيان والندم والخوف والهم والحزن ونحو ذلك .

﴿ الخامس ﴾ انه لا يماثله شيء من مخلوقاته بل ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في افعاله

﴿ السادس ﴾ انه لا يحل بشيء من مخلوقاته ولا يحل في ذاته شيء منها بل هو بائن عن خلقه بذاته والخلق بائنون عنه .

﴿ السابع ﴾ انه اعظم من كل شيء واكبر من كل شيء وفوق كل شيء وعال على كل شيء وليس فوقه شيء البتة *

﴿ الثامن ﴾ انه قادر على كل شيء ولا يعجزه شيء يريده بل هو فعال لما يريد .

﴿ التاسع ﴾ انه عالم بكل شيء يعلم السر واخفى ويعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف كان يكون وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس ولا متحرك ولا ساكن الا وهو يعلمه على حقيقته .

﴿ العاشر ﴾ انه سميع بصير يسمع ضجيج الاصوات . باختلاف اللغات على تفنن الحاجات . ويرى دبيب النملة السوداء . على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء . قد احاط سمعه بجميع المسموعات . وبصره بجميع المبصرات . وعلمه بجميع المعلومات . وقدرته بجميع المقدورات . ونفذت مشيئته في جميع البريات . وعمت رحمته جميع المخلوقات . وسع كرسيه الارض والسموات .

﴿ الحادى عشر ﴾ انه الشاهد الذى لا يغيب ولا يستخلف احدا على ملكه ولا يحتاج الى من يرفع اليه حوائج عباده او يعاونه او يستعطفه عليهم ويسترحمه لهم .

﴿ الثانى عشر ﴾ انه الابدى الباقى الذي لا يضمحل ولا يتلاشى ولا يعدم ولا يموت

﴿ الثالث عشر ﴾ انه المتكلم المكلم الآمر الناهي قائل الحق وهادى السبيل مرسل الرسل ومنزل الكتب قائم على كل نفس بما كسبت من الخير والشر ومجازي المحسن باحسانه والمسيء باساءته .

﴿ الرابع عشر ﴾ انه الصادق فى وعده وخبره فلا اصدق منه قيلا ولا اصدق منه حديثا وهو لايخلف الميعاد .

﴿ الخامس عشر ﴾ انه تعالى صمد بجميع معاني الصمديه يستحيل عليه ماينافض صمديته .

﴿ السادس عشر ﴾ انه قدوس سلام فهو المبرأ من كل عيب وآفة ونقص .

﴿ السابع عشر ﴾ انه الكامل الذي له الكمال المطلق من جميع الوجوه .

﴿ الثامن عشر ﴾ انه العدل الذى لايجور ولا يظلم ولا يخاف عباده منه ظلما وهذا مما اتفقت عليه جميع الكتب والرسل وهو من المحكم الذى لايجوز ان تأتى شريعة بخلافه ولا يخبر شيء بخلافه فترك المثلثة عباد الصليب هذا كله وتمسكوا بالمتشابه من المعانى والمجمل من الالفاظ واقوال من قد ضلوا من قبل واضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل واصول المثلثة ومقالاتهم فى رب العالمين تخالف هذا كله وتباينه اشد المخالفة والمباينة انتهى .

﴿ قال ﴾ فقف وتأمل هذه الاصول وأولها وهو انه تعالى لاشريك له ولا ند ولا شافع الا من بعد اذنه ووازن بينه وبين قول الغلاة الى آخر ما قال .

فعلم من جميع ما نقلناه ان الدلائل انما تكون من الكتاب والسنة والاجماع وعليه كتب الاصول . وأما القياس فقد اختلف فيه الاصوليون ومن أراد تفصيل الكلام فى هذا المقام فعليه بتلك الكتب . وقد جمع العلامة الفاضل الفهامة الشيخ جمال الدين القاسمى الدمشقى حفظه الله تعالى ومتع المسلمين بحياته عدة رسائل فى اصول الفقه ترشد الناظر اليها الى الحق وتغنيه عن كثير من المطولات فهذه هى الدلائل لا ماذكره النبهانى من استدلاله على مطالبه بكلام السبكي أو ولده او ابن حجر المكى واضرابهم وكما استدل على مشروعية الاستغاثة بغير الله فى الصحيفة الخامسة والستين وم‍ئة بما نقل عن أحمد الرفاعي انه قال من كانت له حاجة فليستقبل عبَّادان نحو قبرى ويمشى سبع خطوات ويستغيث بى فان حاجته تقضى الخ . فمثل هؤلاء اذا قالوا أقوالا تخالف الكتاب والسنة يضرب بها على وجوه قائليها كل من كان . ومن

ابن حجر والسبكى والرفاعي ونحوهم حتى نعارض بكلامهم وحى الرسول صلى الله عليه وسلم ولا سيما فى مثل هذه المطالب العالية فكلام النبهانى من أوله الى آخره على هذا المنهج لا يستدل على مطلوبه الا بحديث موضوع أو قول أحد الغلاة أو قول من لا يؤخذ بقوله على انه مع بطلانه مقلد فيه تقليد الخوارج أبا امامة وهكذا شأن اسلافه فلا ينبغى ان يلتفت الى أقواله. ولولا خوف التطويل . لأتينا فى هذا المقام بما يشفى العليل . ويروي الغليل . وحسبنا الله ونعم الوكيل ٠

(وقد آن للقلم) ان يجرى فى ميدان المناظرة ٠ ويثير غبار البحث على وجه الخصم الالد الذي ركب متن المكابرة ٠ واسأل الله تعالى ان لا يذيق فم قلمى صاب الافتراء . وان يعصمنى من الخطأ والزلل فى الاقوال والافعال فهو الملاذ والملجأ من كل بلاء . وما توفيقي الا بالله ٠ عليه توكلت واليه أنيب ٭

﴿ قال النبهانى ﴾ القسم الاول من المقدمة فى الكلام على انقطاع الاجتهاد المطلق الذي تدعيه بالباطل فرقة الوهابية ومن أعجبه شأنهم من جهلة المبتدعين شذاء المذاهب الاسلامية وجعلت ذلك رسالة سميتها السهام الصائبه ٠ لاصحاب الدعاوي الكاذبه . ثم ذكر خطبة هذه الرسالة الى ان قال فاقول ان دعوى الاجتهاد فى هذا الزمان منهم ومن غيرهم مطلقا مهما كان عالما هى دعوى كاذبة لا يلتفت اليها ولا يعول عليها قال وقد ذكرت في كتابى حجة الله على العالمين الرد على من يدعي الاجتهاد فى هذا الزمان ونقلت عبارات العلماء فى ذلك كالامام الشعراني والامام بن حجر الهيتمى والامام المناوى وغيرهم بما يقنع كل ذى طبع سليم . وفهم مستقيم . الى ان قال أما الاجتهاد فلا يدعيه اليوم الا مختل العقل والدين الا من طريق الولاية كما قاله الشيخ الاكبر محي الدين بن العربى ثم نقل مانقله المناوي فى أول شرحه الكبير على الجامع الصغير عن ابن حجر المكى انه قال لما ادعى الجلال السيوطى الاجتهاد قام عليه معاصروه ورموه عن قوس واحدة وكتبوا له سؤالا فيه مسائل أطلق الاصحاب فيها وجهين وطلبوا منه ان كان عنده أدنى مراتب الاجتهاد وهو اجتهاد الفتوى فليتكلم على الراجح من تلك الاوجه وعلى الدليل على قواعد المجتهدين فرد السؤال من غير كتابة واعتذر بان له اشغالا تمنعه من النظر فى ذلك . قال الشهاب فتأمل صعوبة هذه المرتبة اعنى اجتهاد الفتوى الذي هو

أدنى مراتب الاجتهاد ويظهر لك ان مدعيها فضلا عن مدعى الاجتهاد المطلق فى حيرة من أمره وفساد في فكره وانه ممن ركب متن عمياء وخبط خبط عشواء . قال ومن تصور مرتبة الاجتهاد المطلق استحى من الله ان ينسبها لاحد من أهل هذه الازمنة بل قال ابن الصلاح ومن تبعه انها انقطعت من نحو ثلاثمائة سنة ولابن الصلاح نحو الثلاثمائة سنة أى لانه من أهل القرن السادس فتكون اليوم قد انقطعت من ستمائة سنة أى بالنظر الى عصر ابن حجر وهو من أهل القرن العاشر فيكون لها الآن منقطعة نحو الف سنة اذ نحن فى العام السابع عشر من القرن الرابع عشر وهو عام تأليفي لكتاب حجة الله على العالمين قال بل نقل ابن الصلاح عن بعض الاصوليين انه لم يوجد بعد عصر الشافعي مجتهد مستقل * قال ثم قال الشهاب ابن حجر واذا كان بين الأئمة نزاع طويل في ان امام الحرمين وحجة الاسلام الغزالى وناهيك بهما هل هما من أصحاب الوجوه أولا فما ظنك بغيرهما بل قال الأئمة في الرويانى صاحب البحر انه لم يكن من أصحاب الوجوه هذا مع قوله لو ضاعت نصوص الشافعي لامليتها من صدرى فاذا لم يتأهل هؤلاء الاكابر لمرتبة الاجتهاد المذهبي فكيف يسوغ لمن لم يفهم اكثر عباراتهم على وجهها ان يدعى ماهو أعلى من ذلك وهو الاجتهاد المطلق * سبحانك هذا بهتان عظيم . ثم نقل جملة من أقول العلماء تشهد له بان الاجتهاد قد انقطع الى آخر ما هذا به في هذا الباب مما يدل على جهله وافلاسه من كل علم وعلى دعواه الكاذبة . والكلام على ماشتمل عليه كلامه من الباطل يطول غير أنا نتكلم على مقاصده على سبيل الاجمال دون التفصيل

﴿ فاقول الكلام ﴾ على مقالته هذه من وجوه *

﴿ الوجه الاول ﴾ ان نسبة دعوى الاجتهاد الى الوهابية وهم على زعمه من كان موافقا للشيخ محمد بن عبد الوهاب فى الاعتقاد افتراء وكذب وبهتان عليهم فان أهل نجد كلهم على مذهب الامام أحمد بن حنبل رضي الله تعالى عنه مقلدون له فى فروع الاحكام وموافقون له فى أصول الدين وعقائده . وقد صرح الشيخ محمد بذلك فى كثير من رسائله وهو لم يدع الاجتهاد . ولا دعا أحداً من الناس الى تقليده بل أمر بالمعروف ونهى عن المنكر فنسبة أهل نجد ومن يتبع السنن النبوية الى الشيخ وعدهم فرقة من فرق المسلمين غير فرقة أهل السنة ظلم وعدوان . وزور وبهتان . وأعجب من ذلك ان النسبة الى الشيخ ينبغى ان تكون المحمدية

وأما عبد الوهاب فهو أبوا الشيخ محمد والموافقة فى العقائد والامر بالمعروف والنهى عن المنكر انما كان للشيخ نفسه لا لابيه . فاطلاق الوهابية على تلامذة الشيخ وموافقيه أما جهل ظاهر وأما تنابز بالالقاب . وكلا الوجهين لا يخفى حاله *

﴿ الوجه الثاني ﴾ الكلام على باب الاجتهاد مفروغ عنه فقد أطنب الكلام عليه الاصوليون لاسيما فى كتاب الموافقات . ومع ذلك فلا بد من ذكر شئ مما يتعلق به على سبيل الاختصار قالوا الاجتهاد استفراغ الوسع لتحصيل ظن الحكم من فقيه وهو المجتهد المطلق . وشرطه تكليف لاعدالة الا لقبول قوله وملكة وهى العقل يدرك بها المطلوب مطلقا أو فى تلك الواقعة لتجزي الاجتهاد وفقه النفس أى شدة الفهم بالطبع لمقاصد الكلام حتى يكون له قدرة على استخراج أحكام الفقه من أدلتها وقوة يقتدر بها على التصرف بالجمع والتفريق والترتيب والتصحيح والافساد فان ذلك ملاك صنعة الفقه ومن اتصف بالبلادة والعجز عن التصرف لم يكن من أهل الاجتهاد . ويشترط أيضا توسط درجته عربية وأصولا وعلمه بآيات الاحكام وأحاديثها وخبرته بمواقع الاجماع والناسخ والمنسوخ والمتواتر والآحاد وأسباب النزول وحال الرواة والمتون ويكفيه تقليد الحفاظ وأئمة علم الكلام وندب له البحث عن المعارض ودون المجتهد المطلق مجتهد المذهب بان يخرج مابيديه على نصوص أيامه ودونه مجتهد الفتيا بان يتبحر ويتمكن من الترجيح ثم ذكروا مسائل كثيرة فى هذا الباب لاغرض لنا بنقلها . ثم اختلف الاصوليون هل يجوز خلو الزمان عن مجتهد أم لا . منهم من قال يجوز بل يقع ومنهم من قال لايجوز استدلالا بقوله صلى الله عليه وسلم لاتزال طائفة من امتى ظاهرين على الحق حتى يأتي أمر الله أى الساعة . وسيأتى الكلام على هذه المسألة ان شاء الله *

هذا خلاصة ماذكره الاصوليون فى هذا الباب وقد علمت منه ان شروط الاجتهاد التي اشترطوها ليس وجودها من المحال بل هى ممكنة الوجود فى كل عصر وعلمت ايضا مماذكرناه من كلامهم انهم لم يقولوا بسد باب الاجتهاد . ولا اقتضاه كلامهم ولا دل عليه كتاب ولا سنة وهما المرجع في التنازع قال الله تعالى (واذا تنازعتم فى شئ فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا) فقول من قال بانقطاع الاجتهاد قول بلا دليل . فلا يلتفت اليه بل يرمى به على وجه قائله . ويرد على صاحبه

﴿ الوجه الثالث ﴾ قال الحافظ ابن القيم في رد هذا القول ان المقلدين حكموا على الله قدراً وشرعاً بالحكم الباطل جهاراً المخالف لما أخبر به رسوله صلى الله عليه وسلم فأخلوا الارض من القائمين لله بحججه وقالوا لم يبق فى الارض عالم منذ الاعصار المتقدمة . (فقالت طائفة) ليس لاحد ان يختار بعد أبي حنيفة وأبي يوسف وزفر بن الهذيل ومحمد بن الحسن والحسن ابن زياد اللؤلؤى وهذا قول كثير من الحنفية . وقال بكر بن العلاء القشيرى المالكى ليس لاحد ان يختار بعد المائتين من الهجرة .

وقال آخرون ليس لاحد ان يختار بعد الاوزاعي وسفيان الثورى ووكيع بن الجراح وعبد الله بن المبارك . (وقالت طائفة) ليس لاحد ان يختار بعد الشافعي . واختلف المقلدون من اتباعه فيمن يؤخذ بقوله من المنتسبين اليه ويكون له وجه يفتى ويحكم به من ليس كذلك وجعلوهم ثلاث مراتب طائفة أصحاب وجوه كابن شريح والقفال وأبي حامد . وطائفة أصحاب احتمالات لا أصحاب وجوه كابى المعالى وطائفة ليسوا أصحاب وجوه ولا احتمالات كابن حامد وغيره . واختلفوا متى انسد باب الاجتهاد على أقوال كثيرة ماأنزل الله بها من سلطان وعند هؤلاء ان الارض قد خلت من قائم لله بحججه ولم يبق فيها من يتكلم بالعلم ولم يحل لاحد بعد ان ينظر فى كتاب الله تعالى ولا سنة رسوله صلى الله عليه وسلم لاخذ الاحكام منها ولا يقضى ولا يفتى بما فيها حتى يعرضه على قول مقلده ومتبوعه فان وافقه حكم به وأفتى به والا رده ولم يقبله * وهذه أقوال كما ترى قد بلغت من الفساد والبطلان والتناقض والقول على الله بلا علم وابطال حججه والزهد فى كتابه وسنة رسوله وتلقى الاحكام منهما مبلغها . ويابى الله الا ان يتم نوره ويصدق قول رسوله انه لا تخلو الارض من قائم لله بحجته ولن تزال طائفة من أمته على محض الحق الذى بعثه به وانه لا يزال يبعث على رأس كل مائة سنة لهذه الامة من يجدد لها دينها ﴿ ويكفي ﴾ فى فساد هذه الاقوال ان يقال لاربابها فاذا لم يكن لاحد ان يختار بعدمن ذكرتم فمن أين وقع لكم اختيار تقليدهم دون غيرهم وكيف حرمتم على الرجل ان يختار مايؤديه اليه اجتهاده من القول الموافق لكتاب الله وسنة رسوله وابحتم لانفسكم اختيار قول من قلدتموه وأوجبتم على الامة تقليده وحرمتم تقليد من سواه ورجحتموه على تقليد من سواه فما الذي سوغ لكم هذا الاختيار الذى لادليل عليه من كتاب ولا سنة ولا اجماع ولا قياس ولا قول

صاحب . وحرمتم اختيار ماعليه الدليل من الكتاب والسنة وأقوال الصحابة *
﴿ ويقال لكم ﴾ فاذا كان لايجوز الاختيار بعد المائتين عندك ولا عند غيرك فمن أين ساغ لك وأنت لم تولد الا بعد المائتين بنحو ستين سنة ان تختار قول مالك دون من هو أفضل منه من الصحابة والتابعين أومن هو مثله من فقهاء الامصار أوممن جاء بعده . وموجب هذا القول ان اشهب وابن الماجشون ومطرف ابن عبد الله واصبغ بن الفرج وسحنون بن سعيد وأحمد ابن المعدل ومن فى طبقتهم من الفقهاء كان لهم ان يختاروا الى انسلاخ ذى الحجة من سنة مائتين . فلما استهل هلال المحرم من سنة احدى ومائتين وغابت الشمس من تلك الليلة حرم عليهم فى الوقت بلا مهلة ماكان مطلقا لهم من الاختيار *
(ويقال للآخرين) أليس من المصائب وعجائب الدنيا تجويزكم الاختيار والاجتهاد والقول فى دين الله بالرأى والقياس لمن ذكرتم من أئمتكم ثم لاتجيزون الاختيار والاجتهاد لحفاظ الاسلام واعلم الامة بكتاب الله وسنة رسوله وأقوال الصحابة وفتاواهم كأحمد بن حنبل والشافعى واسحق بن راهويه ومحمد بن اسمعيل البخارى وداود بن على ونظرآئهم على سعة علمهم بالسنن ووقوفهم على الصحيح منها والسقيم وتحرسهم في معرفة أقوال الصحابة والتابعين ورقة نظرهم ولطف استخراجهم للدلائل ومن قال منهم بالقياس فقياسه من أقرب القياس الى الصواب وأبعده عن الفساد وأقربه الى النصوص مع شدة ورعهم وما منحهم الله من محبة المؤمنين لهم وتعظيم المسلمين علماءهم وعامتهم لهم *
(فان احتج كل فريق) منهم بترجيح متبوعه بوجه من وجوه التراجيح فى تقدم زمان أو زهد أو ورع أولقاء شيوخ وأئمة لم يلقهم من بعده أوكثرة اتباع لم يكونوا لغيره امكن الفريق الآخر ان يبدوا لمتبوعهم من الترجيح بذلك أو غيره ماهو مثل هذا أوفوقه . وأمكن غير هؤلاء كلهم ان يقولوا لهم جميعا نفوذ قولكم هذا ان لم يأنفوا من التناقض يوجب عليكم ان تتركوا قول متبوعكم لقول من هو أقدم منه من الصحابة والتابعين واعلم وأورع وأزهد وأكثر اتباعاً وأجل . فاين اتباع ابن عباس وابن مسعود وزيد بن ثابت ومعاذ بن جبل . بل اتباع عمر وعلى من اتباع الائمة المتأخرين في الكثرة والجلالة . وهذا أبو هريرة قال البخاري حمل العلم عنه ثمانمائة رجل ما بين صاحب وتابع . وهذا زيد بن ثابت من جملة

أصحاب عبد الله ابن عباس * وأين فى اتباع الائمة مثل عطاء وطاوس ومجاهد وعكرمة وعبيد الله ابن عبد الله بن عتبة وجابر بن زيد . وأين فى اتباعهم مثل السعيدين والشعبي ومسروق وعلقمة والاسود وشريح . وأين فى اتباعهم مثل نافع وسالم والقاسم وعروة وخارجة بن زيد وسليمان ابن يسار وأبى بكر ابن عبد الرحمن . فما الذى جعل الائمة باتباعهم اسعد من هؤلاء باتباعهم ولكن أولئك واتباعهم على قدر عصرهم . فعظمهم وجلالتهم وكبرهم منع المتأخرين من الاقتداء بهم . وقالوا بلسان قالهم وحالهم هؤلاء كبار علينا لسنا من زبونهم كما صرحوا وشهدوا على أنفسهم . فان اقدارهم تتقاصر عن تلقى العلم من القرآن والسنة . وقالوا لسنا أهلا لذلك لا لقصور الكتاب والسنة ولكن لعجزنا نحن وقصورنا فاكتفينا بمن هو أعلم بهما منا .

﴿ فيقال ﴾ لهم فلم تنكرون على من اقتدى بهما وحكمهما وتحاكم اليهما وعرض أقوال العلماء عليهما فما وافقهما قبله وما خالفهما رده فهب انكم لم تصلوا الى هذا العنقود فلم تنكرون على من وصل اليه وزاق حلاوته وكيف تحجرتم الواسع من فضل الله الذى ليس على قياس عقول العالمين ولا اقتراحاتهم وهم وان كانوا فى عصركم ونشاؤا امعكم وبينكم وبينهم نسب قريب فالله يمن على من يشاء من عباده . وقد أنكر الله سبحانه على من رد النبوة بان الله صرفها عن عظماء القرى ومن رؤسائها واعطاها لمن ليس كذلك بقوله أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ورحمة ربك خير مما يجمعون *

وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم مثل امتى كالمطر لايدرى أوله خير أم آخره . وقد اخبر الله سبحانه عن السابقين بانهم ثلة من الاولين وقليل من الآخرين . وأخبر سبحانه انه بعث فى الاميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين *

قال وآخرين منهم كما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم ثم أخبر ان ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم . انتهى ما ذكره الحافظ بن القيم فى كتابه أعلام الموقعين وقد تبين منه ان ماذكره النبهانى تبعا لاسلافه الزائغين دليل على جهله وافلاسه من فنون العلم فروعها وأصولها اذ لايقول بمقالته الا من هو أجهل من ابن بوم ممن هو على شاكلته *

﴿ الوجه الرابع من الوجوه الدالة على فساد قول الغبي النبهاني ﴾ ان كل ماليس عليه اثارة من علم ليس بمقبول وان الاجتهاد هو ليس بنبوة حتى يقال انه ختم بفلان وفلان أما النبوة فقد دل نص الكتاب والسنة على ختمها قال تعالى (ماكان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين) وفى صحيح البخارى عن أبى هريرة مرفوعا الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال مثلى ومثل الانبياء من قبلى كمثل رجل بنى بناء فاحسنه وأجمله الا موضع لبنة من زاوية من زواياها فجعل الناس يطوفون به ويتعجبون به ويقولون هلا وضعت هذه اللبنة فانا اللبنة وأنا خاتم النبيين بل ان الدليل العقلى قام على ذلك أيضاً وهو كمال الشريعة وشمولها للاحكام على اختلاف الاعصر والازمان وصيانتها من تطرق التغيير والتبديل بسبب اعجازها مع كونها أوسط الشرائع اذ لا غلو فيها ولا تقصير *

وهذا كله قد دل على ان النبوة ختمت بالخاتم صلى الله عليه وسلم أما الاجتهاد فلم نر على ختامه دليلا لا من كتاب الله ولا من سنة رسوله صلى الله عليه وسلم بل ولا من أقوال الصحابة بل رأينا مايدل على ان علم الشريعة وعلماءها باقون الى قيام الساعة * روى كميل بن زياد النخعي قال أخذ على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه بيدى فاخرجنى ناحية الجبانة فلما أصحر جعل يتنفس ثم قال يا كميل بن زياد القلوب أوعية فخيرها أوعاها احفظ عنى ما أقول لك * الناس ثلاثة فعالم ربانى ومتعلم على سبيل نجاة وهمج رعاع اتباع كل ناعق يميلون مع كل ريح ولم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجؤا الى ركن وثيق * العلم خير من المال. العلم يحرسك وأنت تحرس المال. العلم يزكوا على الانفاق وفى رواية على العمل والمال تنقصه النفقة. العلم حاكم والمال محكوم عليه ومحبة العلم دين يدان بها. العلم يكسب العالم الطاعة فى حياته وجميل الاحدوثة بعد وفاته * وصنيعة المال تزول بزواله * مات خزان الاموال وهم احياء ان ههنا علما والعلماء باقون مابقي الدهر أعيانهم مفقودة وأمثالهم فى القلوب موجودة . هاه هاه ان ههنا علما وأشار بيده الى صدره لو أصبت له حملة بلى أصبته لقنا غير مأمون عليه يستعمل آلة الدين للدنيا يستظهر بحجج الله على كتابه وبنعمه على عباده أو منقادا لاهل الحق لا بصيرة له فى احيائه ينقدح الشك فى قلبه باول عارض من شبهة لاذا ولا ذاك أو منهوما للذات سلس القياد للشهوات أو مغرى بجمع الاموال والادخار ليسا من دعاة الدين أقرب شبها بهم الانعام السائمة لذلك يموت العلم بموت حامليه

اللهم بلى لن تخلو الارض من قائم لله بحجته كيلا تبطل حجج الله وبيناته اولئك الاقلون عددا الاعظمون عند الله قيلا بهم يدفع الله عن حججه حتى يؤدوها الى نظرائهم ويزرعوها فى قلوب أشباههم هجم بهم العلم على حقيقة الامر فاستلانوا ما استوعر منه المترفون وانسوا بما استوحش منه الجاهلون صحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلقة بالملا الاعلى اولئك خلفاء الله فى أرضه ودعاته الى دينه هاه هاه شوقا الى رؤيتهم واستغفر الله لى ولك اذا شئت فقم *

ذكره أبو نعيم في الحلية وغيره قال أبو بكر الخطيب هذا حديث حسن من أحسن الاحاديث معنى وأشرفها لفظا *

وقد شرح هذا الحديث شرحا مفصلا الامام بن قيم الجوزيه في كتابه مفتاح دار السعاده ومما قال في شرحه عند الكلام على قوله اللهم بلى لن تخلو الارض من قائم لله بحجج الله ويدل عليه الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم لا تزال طائفة من امتى على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتى أمر الله وهم على ذلك ويدل عليه أيضا ما رواه الترمذى عن قتيبة حدثنا حماد بن يحيي الابح عن ثابت عن أنس قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مثل أمتى مثل المطر لا يدرى أوله خير أم آخره قال هذا حديث حسن غريب ويروى عن عبد الرحمن بن مهدى انه كان يثبت حماد بن يحيي الابح وكان يقول هو من شيوخنا. وفى الباب عن عمار وعبد الله بن عمرو. فلو لم يكن في أواخر الامة قائم بحجج الله مجتهد لم يكونوا موصوفين بهذه الخيرية .

وأيضاً فان هذه الامة أكمل الامم وخير أمة أخرجت للناس ونبيها خاتم النبيين لا نبي بعده فجعل الله العلماء فيها كلما هلك عالم خلفه عالم لئلا تطمس معالم الدين وتخفى أعلامه . وكان بنو اسرائيل كلما هلك نبي خلفه نبي فكانت تسوسهم الانبياء والعلماء لهذه الامة كالانبياء فى بنى اسرائيل. وأيضاً فى الحديث الآخر يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين. وانتحال المبطلين. وتأويل الجاهلين . وهذا يدل على انه لا يزال محمولا فى القرون قرنا بعد قرن . وفى صحيح أبي حاتم من حديث الخولاني قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يزال الله يغرس فى هذا الدين غرسا يستعملهم فى طاعته. وغرس الله هم أهل العلم والعمل فلو خلت الارض من عالم خلت من غرس الله انتهى المقصود من نقله *

فعلم من هـذا الوجه بطلان ما ذكره الغبي النبهاني في مقدمة كتابه من الهذيان وانه بعيد عن العلم والمعرفة لافكر له ولا ذوق والامر لله *

﴿ الوجه الخامس ﴾ قوله أما الاجتهاد فلا يدعيـه اليوم الا مختل العقل والدين الامن طريق الولاية كما قاله الشيخ الاكبر الخ لامعنى له ولامحصل . وقد أسلفنا لك انه لايمكن ان يخلو الزمان من مجتهد كما ذكره الاصوليون من مذهب الحنابلة وأهل الحديث . ولم كان الجامع لشروط الاجتهاد المتأهل لاخذ دينه من الكتاب والسنة مختل العقل والدين . فهل هذا الا كلام جاهل قد تخبطه الشيطان من المس . ثم ما معنى قوله الا من طريق الولاية الخ . فهل رأى أحد من علماء الفروع والاصول هـذه العبارة في باب الاجتهاد . ولـكن لا بدع ان يصدر مثل هـذا الهذيان عن مثل هذا المبتدع الجاهل . والجاهل يعمل بنفسه مالا يعمل العدو بعدوه . والشيخ محيي الدين ممن كان يدعي الاجتهاد المطلق كما دلت عليه نصوص كتبه وقال في شعر له *

﴿ نسبوني الى ابن حزم واني * لست ممن يقول قال ابن حزم ﴾

﴿ بل ولا غيره فان كلامي * قال نص الكتاب ذلك حكمي ﴾

﴿ أو يقول الرسول أو أجمع الـ * ـخلق على ما أقول ذلك علمي ﴾

أشار رحمه الله في هـذه الابيات الى انه يأخذ الاحكام الدينية من الكتاب والسنة والاجماع . وهذه عنده هي الدلائل دون القياس والكلام مستوفي في محله *

﴿ الوجه السادس ﴾ قال نقل عن ابن حجر المكي انه قال لما ادعى الجلال السيوطي الاجتهاد قام عليه معاصروه ورموه عن قوس واحده وكتبوا له سؤالا فيه مسائل أطلق الاصحاب فيها وجهين وطلبوا منـه ان كان عنـده أدنى مراتب الاجتهاد وهو اجتهاد الفتوى فليتكلم على الراجح من تلك الاوجه وعلى الدليل على قواعد المجتهدين فرد السؤال من غير كتابة واعتذر ان له أشغالا تمنعه من النظر في ذلك الخ *

﴿ أقول ﴾ ان صدق ابن حجر في نقله فانه لايوثق به فقد افترى على شيخ الاسلام أعظم من ذلك وتبين كذبه عليه كما سيجيء . كان الجواب عن الامام السيوطي عليه الرحمة انه لايلزم المجتهد ان يكون عالما بما حواه اللوح المحفوظ من العلوم *

وقد نقل ان الامام مالك سئل عن أربعين مسألة فقال في جواب ست وثلاثين مسألة منها لا أدري .

وهكذا نقل عن الامام أبي حنيفة وغيره ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء *

﴿ الوجه السابع ﴾ قول ابن حجر بل قال ابن الصلاح ومن تبعه انها انقطعت من نحو ثلاثمائة سنة ولابن الصلاح نحو ثلاثمائة سنة أي لانه من أهل القرن السادس فتكون اليوم قد انقطعت من ستمائة سنة أي بالنظر الى عصر ابن حجر الخ *

أقول هذا كلام ساقط عن درجة الاعتبار لما قدمناه في الوجه الثالث من كلام الحافظ ابن القيم ولما أوردناه من النصوص والدلائل على بطلان هذا القول وابن حجر مضطرب الكلام لا يثبت على قول فانه ذكر هنا ان الاجتهاد قد انقطع من ستمائة سنة بالنظر الى عصره . مع انه ذكر في كتابه الجوهر المنظم عند شتمه لشيخ الاسلام ابن تيمية ما نصه *

(ولقد تصدى) شيخ الاسلام وعالم الانام المجمع على جلالته واجتهاده وصلاحه وأمامته التقي السبكي قدس الله روحه ونور ضريحه للرد في تصنيف مستقل أفاد فيه وأجاد وأصاب وأوضح بباهر حججه طريق الصواب فشكر الله مسعاه وأدام عليه شآبيب رحمته ورضاه اه فانظر الى ابن حجر كيف ادعى الاجماع على اجتهاد السبكي لكونه على منهجه ومسلكه في الابتداع واتباع الهوى * ثم انه لم تسمح نفسه في الاقرار باجتهاد من لم يبلغ هو ولا أشياخه الى كعب علاه أعني أبا العباس تقي الدين ابن تيمية رحمه الله تعالى فقد قال في الجوهر المنظم بعد عبارته السابقة هذا ما وقع من ابن تيمية مما ذكر وان كان عثرة لاتقال أبداً . ومصيبة يستمر عليه شومها دواما وسرمدا . ليس بعجب فانه سولت له نفسه وهواه وشيطانه ان ضرب مع المجتهدين بسهم صائب وما درى المحروم انه أتى باقبح المعائب الى آخر ما قال مما يتبين منه لدى كل منصف اتباع ابن حجر لهواه واختياره سبيل الضلال عامله الله بعدله (والمقصود) ان كلام مثل هؤلاء الغلاة لايجوز ان يحتج به فهم يتكلمون على حسب اهوائهم لا انهم يتبعون الدليل . ويسلكون سواء السبيل . فسقط كلام الغافل النبهاني ولا يجوز الالتفات اليه بوجه من الوجوه *

﴿ الوجه الثامن ﴾ من الوجوه الدالة على سقوط مقالة الغبي النبهاني ان كل واحد من الائمة صرح بانه اذا صح الحديث يجب اتباعه والاخذ به ولذلك صرح كثير من الائمة بوجوب الاخذ بالحديث والاضراب عن كل مايخالفه من أقوال المجتهدين وفي كتاب اعلام الموقعين

وقد نهى الائمة الاربعة عن تقليدهم وزموا من أخذ أقوالهم بغير حجة فقال الشافعي مثل الذى يطلب العلم بلا حجة كمثل حاطب ليل يحمل حزمة حطب وفيه افعى تلدغه وهو لا يدرى ذكره البيهقى • وقال اسمعيل بن يحيي المزني فى أول مختصره • اختصرت هذا من علم الشافعي ومن معنى قوله لاقربه على من أراده مع اعلاميه نهيه عن تقليده وتقليد غيره لينظر فيه لدينه ويحتاط لنفسه *وقال أبو داود قلت لاحمد الاوزاعى هو اتبع من مالك قال لا تقلد دينك أحدا من هؤلاء ماجاء عن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه فخذ به ثم التابعين بعد الرجل فيه مخير وقد فرق أحمد بين التقليد والاتباع فقال أبو داود سمعته يقول الاتباع ان يتبع الرجل ماجاء عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وعن أصحابه ثم هو من بعد في التابعين مخير • وقال أيضا لا تقلدني ولا تقلد مالكا ولا الثورى ولا الاوزاعى وخذ من حيث أخذوا • وقال من قلة فقه الرجل ان يقلد دينه الرجل • وقال بشر بن الوليد قال أبو يوسف لا يحل لاحد ان يقول مقالتنا حتى يعلم من أين قلنا • وقد صرح مالك بان من ترك قول عمر ابن الخطاب لقول ابراهيم النخعي انه يستتاب فكيف بمن ترك قول الله ورسوله لقول من هو دون ابراهيم أو مثله * وقال جعفر العرماني حدثني أحمد بن ابراهيم الدورقى حدثني الهيثم بن جميل قال قلت لمالك ابن أنس يا أبا عبد الله ان عندنا قوما وضعوا كتبا يقول أحدهم حدثنا فلان عن فلان عن عمر بن الخطاب بكذا وكذا وفلان عن ابراهيم بكذا ويأخذ بقول ابراهيم • قال مالك وصح عندهم قول عمر قلت انما هي رواية كما صح عندهم قول ابراهيم فقال مالك هؤلاء يستتابون انتهى *

﴿ الوجه التاسع ﴾ ان قول النبهانى البليد يقتضي ان يقدم كلام من يقلد اليوم على ما صح من الاحاديث النبوية المخالفة لقول المجتهد وذلك هو عين الخطأ * وقد سمعت من بعض قضاة الاتراك انه قال اذا رأيت نصا فى منية المصلي ورأيت حديثا فى صحيح الامام البخارى يخالف ذلك النص آخذ بما في المنية واترك الحديث الصحيح ولا أعمل به فانظر الى هذه الغباوة والجهل العظيم *

﴿ وقد سئل ﴾ أبو العباس تقى الدين شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه الزكيه عن رجل تفقه على مذهب من المذاهب وتبصر فيه واشتغل بعده بالحديث فوجد أحاديث صحيحة

لا يعلم لها ناسخا ولا مخصصا ولا معارضا وذلك المذهب فيه ما يخالف تلك الاحاديث فهل له العمل بالمذهب او يجب عليه الرجوع الى العمل بالحديث ومخالفة مذهبه . *

فأجاب الحمدلله رب العالمين . قد ثبت في الكتاب والسنة والاجماع ان الله تعالى افترض على العباد طاعته وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم ولم يوجب على هذه الامة طاعة أحد بعينه فى كل ماأمر به ونهى عنه الا رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى كان صديق الامة وأفضلها بعد نبيها عليه الصلوة والسلام ورضى الله عنه يقول اطيعونى ماأطعت الله تعالى فاذا عصيت الله عز وجل فلا طاعة لى عليكم واتفق كلهم على أنه ليس أحد معصوما في كل ما امر الله تعالى به ونهى عنه الا رسول الله صلى الله عليه وسلم. ولهذا قال غير واحد من الائمة كل أحد يؤخذ من كلامه ويترك الا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهؤلاء الأئمة الاربعة رحمهم الله تعالى أجمعين قد نهوا الناس عن تقليدهم في كل ما يقولونه وذلك هو الواجب . قال الامام ابو حنيفة هـذا رأيي وهذا أحسن ما رأيت فمن جاء برأى خير منه قبلناه . ولهذا لما اجتمع أفضل اصحابه ابو يوسف بامام دارالهجرة مالك بن أنس وسأله عن مسئلة الصاع وصدقة الخضراوات ومسئلة الاجناس فاخبر مالك رحمه الله تعالى بما دلت عليه السنة في ذلك فقال رجعت لقولك يا أبا عبدالله ولو رأى صاحبي ما رأيت لرجع كما رجعت . (ومالك) رحمه الله تعالى كان يقول انما أنا بشر أصيب وأخطئ فاعرضوا قولى على الكتاب والسنة او كلام هذا معناه . والشافعي رحمه الله تعالى كان يقول من ضيق علم الرجل ان يقلد دينه الرجال . وقد قال لا تقلد دينك الرجال فانهم لم يسلموا من أن يغلطوا . وقد ثبت فى الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من يرد به الله خيرا يفقهه فى الدين ولازم ذلك ان من لم يفقهه الله عز وجل فى الدين لم يرد به خيرا فيكون التفقه فى الدين فرضا . والتفقه فى الدين معرفة الاحكام الشرعية بادلتها السمعية . فمن لم يعرف ذلك لم يكن متفقها في الدين لكن من الناس من قد يعجز عنها فيلزمه ما يقدر عليه . ومن كان قادرا على الاستدلال. فقيل يحرم عليه التقليد مطلقا. وقيل يجوز مطلقا . وقيل يجوز عند الحاجة كما اذا ضاق الوقت عن الاستدلال . وهذا القول أعدل الاقوال ان شاء الله تعالى والاجتهاد ليس هو أمر لا يقبل التجزى والانقسام بل يكون الرجل مجتهدا فى فن اوباب او مسئلة دون فن وباب ومسئلة وكل فاجتهاده بحسب وسعه فمن نظر فى مسئلة قد تنازع العلماء فيها

فرأى مع أحد القولين نصوصا لم يعلم لها معارضا بعد نظر مثله فهو بين الامرين اما ان يتبع قول القائل الاخير لمجرد كونه الامام الذي اشتغل على مذهبه . ومثل هذا ليس بحجة شرعية بل مجرد عادة تعارضها عادة غيره واشتغاله بمذهب امام آخر . واما ان يتبع القول الذي ترجح فى نظره بالنصوص الدالة عليه فحينئذ موافقتـه لامام يقاوم به ذلك الامام وتبقى النصوص النبوية سالمة فى حقه عن المعارض بالعمل . فهذا هو الذى يصلح . وانما تنزلنا هذ التنزل لانه قد يقال ان نظر هـذا قاصر وليس اجتهاده تاما فى هذه المسئلة لضعف آلة الاجتهاد فى حقه . اما اذا قدر على الاجتهاد التام الذى يعتقد معه ان القول الآخر ليس معه ما يدفع النص فهـذا يجب عليه اتباع النصوص وان لم يفعـل كان متبعا للظن وما تهوى الانفس وكان من اكبر العصاة لله تعالى ورسوله بخلاف من يقول للقول الآخر حجة راجحة على هذا النص ويقول انا لا أعلمها . فهذا يقال له قد قال الله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم والذى تستطيعه من العلم والفقه فى هذه المسئلة قد دل علي ان هذا القول هو الراجح فعليك ان تتبع ذلك . ثم ان تبين لك فيما بعد ان للنص معارضا راجحا كان حكمك فى ذلك المجتهد المستقل اذا تغير اجتهاده وانتقال الانسان من قول الى قول لاجل ما تبين من الحق فهو محمود عليه بخلاف اقراره بقول لا حجة معه عليه وترك قول الذى وضحت حجته او الانتقال من قول الى قول بمجرد عادة واتباع هوى فهذا مذموم . واذا كان المقلد قد سمع حديثا وتركه لا سيما اذا كان قد رواه أيضا عدل فمثـل هذا اذا وجد لا يكون عذرا في ترك النص . وقد بينا فيما كتبناه فى الدفع عن الائمة الاعلام نحو عشرين عذراً فى ترك العمل ببعض الاحاديث وبينا أنهم معذورون في الترك لتلك الاعذار وانما نحن معذورون فى تركها لهذا الترك . فمن ترك الحديث لاعتقاده أنه لم يصح اورواية مجهول او نحو ذلك ويكون غيره قد علم صحته وثقة روايته فقد زال عذر ذلك فى حق هذا ومن ترك الحديث لاعتقاده ان ظاهر القرآن يخالفه او القياس او عمل لبعض الانصار . وقد تبين لآخر ان ظاهر القرآن لا يخالفه وان نص الحديث الصحيح مقدم على الظواهر ومقدم على القياس والعمل لم يكن عذر ذلك الرجل عذرا بحقه فان ظهور المدارك الشرعية للاذهان وحقها منها امر لا يضبط طرفاه لا سيما اذا كان التارك للحديث معتقدا أنه قد ترك العمل به المهاجرون والانصار أهل المدينة النبوية وغيرها الذين يقال لهم لا يتركون الحديث الا لاعتقادهم انه منسوخ

او معارض براجح . وقد بلغ من بعدهم ان المهاجرين والانصار لم يتركوه بل قد عمل به بعضهم او من سمعه منهم او نحو ذلك مما يقدح في هذا المعارض لا للنص . واذا قيل لهذا المستفتى المسترشد انت أعلم ام الامام الفلانى كانت هذه معارضة فاسدة لان الامام الفلانى قد خالف فى هذه المسئلة من هو نظيره من الائمة وليست من هذا اولى . ولكن نسبة هؤلاء الائمة الى هؤلاء نسبة ابى بكر وعمر وعثمان وعلى وابن مسعود وابي ومعاذ ونحوهم من الائمة وغيرهم . (فكما) ان هؤلاء الصحابة بعضهم لبعض اكفاء فى موارد النزاع فاذا تنازعوا فى شئ ردوه الى الله ورسوله وان كان بعضهم قد يكون أعلم في مواضع أخر . وكذلك موارد النزاع بين الائمة . وقد ترك الناس قول عمر وابن مسعود رضى الله عنهما فى مسأله تيمم الجنب وأخذوا بقول ابى موسى الاشعرى وغيره لما احتج بالكتاب والسنة وتركوا قول عمر رضي الله تعالى عنه في دية الاصابع وأخذوا بقول معاوية ابن أبى سفيان لما كان روي من لسان النبي صلى الله عليه وسلم قال هذه وهذه سوآء . وقد كان بعض الناس يناظر ابن عباس فى المتعة فقال له قال ابو بكر قال عمر فقال ابن عباس يوشك ان تنزل عليكم حجارة من السماء . أقول قال رسول الله صلي الله عليه وسلم وتقولون قال أبو بكر قال عمر لما سئل عنها فأمر بها فعارضوه بقول عمر . (فبين) ان عمر لم يرد ما يقولونه فالحوا عليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أحق ان يتبع ام عمر مع علم الناس ان أبا بكر وعمر أعلم من ابن عمر وابن عباس رضى الله تعالى عنهما . ولو فتح هذا الباب لوجب ان يعرض عن أمر الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم ويبقى كل امام من اتباعه بمنزلة النبي فى أمته . وهذا تبديل للدين وشبيه بما عاب الله تعالى به النصارى فى قوله (اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا الا ليعبدوا الها واحدا لا اله الا هو سبحانه وتعالى عما يشركون) والله سبحانه اعلم انتهى *

﴿ الوجه العاشر ﴾ انه يفهم من كلام النبهانى البليد انه يجب على المسلمين منذ نحو الف سنة فى مشارق الارض ومغاربها ان يقلد أحد المجتهدين الاربعة ومن أخذ دينه من الكتاب والسنة أو قلد غير هؤلاء من صحابى أو غيره خرج عن جادة الصواب وسلك غير سبيل المؤمنين هذا لازم من لوازم كلامه الباطل وقوله العاطل وهو مردود لم يقل به عالم يعتد بعلمه وفى كتاب اعلام الموقعين للحافظ بن القيم عليه الرحمه *

هل يلزم المستفتى ان يجتهد فى أعيان المفتين و يسأل الاعلم والا دين ام لا يلزمه ذلك فيه مذهبان كما سبق وبينا مأخذهما والصحيح انه يلزمه لانه المستطاع من تقوى الله تعالى المأمور بها كل أحد قال وتقدم انه اذا اختلف عليه مفتيان أحدهما أورع والآخر أعلم فايهما يجب تقليده فيه ثلاثة مذاهب سبق توجيهها وهل يلزم العامى ان يتمذهب ببعض المذاهب المعروفة ام لا *

فيه مذهبان احدهما لا يلزمه وهو الصواب المقطوع به اذ لا واجب الا ما أوجبه الله ورسوله ولم يوجب الله ورسوله على احد من الناس أن يتمذهب بمذهب رجل من الامة فيقلده دينه دون غيره * وقد انطوت القرون الفاضلة مبرأة اهلها من هذه النسبة بل لا يصح للعامى مذهب ولو تمذهب به فالعامى لا مذهب له لان المذهب انما يكون لمن له نوع نظر واستدلال ويكون بصيرا بالمذاهب على حسبه او لمن قرأ كتابا فى فروع ذلك المذهب وعرف فتاوى امامه واقواله . واما من يتأهل لذلك البتة بل قال انا شافعى او حنبلى او غير ذلك لم يصر كذلك بمجرد القول كما لو قال انا فقيه او نحوى او كاتب لم يصر كذلك بمجرد قوله * يوضحه ان القائل انه شافعى او مالكى او حنفى يزعم انه متبع لذلك الامام سالك طريقه وهذا انما يصح اذا سلك سبيله فى العلم والمعرفة والاستدلال . فاما مع جهله وبعده جدا عن سيرة الامام وعلمه وطريقه فكيف يصح له الانتساب اليه الا بالدعوى المجردة والقول الفارغ من كل معنى والعامى لا يتصور ان يصح له مذهب ولو تصور له ذلك لم يلزمه ولا لغيره ولا يلزم احدا قط ان يتمذهب بمذهب رجل من الامة بحيث يأخذ اقواله كلها ويدع اقوال غيره وهذه بدعة قبيحة حدثت فى الامة لم يقل بها احد من أئمة الاسلام وهم من اعلى رتبة واجل قدرا واعلم بالله ورسوله من ان يلزموا الناس بذلك * وابعد منه قول من قال يلزمه ان يتمذهب بمذهب عالم من العلماء وابعد منه قول من قال يلزمه ان يتمذهب باحد المذاهب الاربعة *

فيالله العجب ماتت مذاهب اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومذاهب التابعين وتابعيهم وسائر ائمة الاسلام وبطلت جملة الا مذاهب اربعة انفس فقط من بين سائر الائمة والفقهاء وهل قال ذلك احد من الائمة اودعا اليه او دلت عليه لفظة واحدة من كلامه *

والذى اوجبه الله تعالى ورسوله على الصحابة والتابعين وتابعيهم هو الذى اوجبه على من بعدهم

الى يوم القيامة لا يختلف الواجب ولا يتبدل وان اختلفت كيفيته او قدره باختلاف القدرة والعجز والزمان والمكان والحال . فذلك ايضا تابع لما اوجبه الله تعالى ورسوله . ومن صحح للعامى مذهبا قال هو قد اعتقد ان هذا المذهب الذى انتسب اليه هو الحق فعليه الوفاء بموجب اعتقاده وهذا الذى قاله هؤلاء لوصح للزم منه تحريم استفتاء اهل غير المذهب الذى انتسب اليه وتحريم تمذهبه بمذهب نظير امامه او ارجح منه او غير ذلك من اللوازم التى يدل فسادها على فساد ملزوماتها بل يلزم منه انه اذا رأى نص رسول الله صلى الله عليه وسلم او قول خلفائه الاربعة مع غير امامه ان يترك النص واقوال الصحابة ويقدم عليها قول من انتسب اليه وعلى هذا فله ان يستفتى من شاء من اتباع الائمة وغيرهم ولا يجب عليه ولا على المفتى ان يتقيد باحد من الائمة الاربعة باجماع الامة كما لم يجب على العالم ان يتقيد بحديث اهل بلده او غيره من البلاد . فاذا صح الحديث وجب عليه العمل به حجازيا كان او عراقيا او شاميا او مصريا او يمنيا . وكذلك لا يجب على الانسان التقيد بقراءة السبعة المشهورين باتفاق المسلمين . بل اذا وفقت القراءة رسم المصحف الامام وصحت في العربية وصح سندها جازت القراءة بها وصحت الصلاة بها اتفاقا بل لو قرأ بقراءة تخرج عن مصحف عثمان وقد قرأ بها رسول الله صلى الله عليه وسلم أو الصحابة بعده جازت القراءة بها ولم تبطل الصلاة بها على اقوال . ﴿ والثانى ﴾ تبطل الصلاة بها وهاتان الروايتان منصوصتان عن الامام احمد . ﴿ والثالث ﴾ ان قرأ بها فى الركن لم يكن مؤديا الفرضه وان قرأ بها فى غيره لم يكن مبطله وهذا اختيار ابي البركات ابن تيمية لانه لم يتحقق الاتيان بالركن في الاول ولا الاتيان بالمبطل فى الثانى ولكن ليس له ان يتبع رخص المذاهب واخذ غرضه من أيّ مذهب وجده فيه بل عليه اتباع الحق بحسب الامكان انتهى *

﴿ فظهر لك ﴾ مما قررناه في الوجوه العشرة ان ما ذكره النبهانى المسكين من القول بانسداد باب الاجتهاد قول باطل مبتدع فانا نعلم بالضرورة انه لم يكن في عصر الصحابة رجل واحد اتخذ رجلا منهم يقلده فى جميع اقواله فلم يسقط منها شيئا واسقط اقوال غيره فلم يأخذ منها شيئا . ونعلم بالضرورة ان هذا لم يكن فى التابعين ولا تابعي التابعين فليكذبنا المقلدون برجل واحد سلك سبيلهم الوخيمة فى القرون الفضيلة على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم *

وانما حدثت هذه البدعة فى القرن الرابع المذموم على لسانه صلى الله عليه وسلم فالمقلدون

لمتبوعهم في جميع ما قالوه يبيحون به الفروج والدماء والاموال ويحرمونها ولا يدرون أذلك صواب ام خطأ على خطر عظيم ولهم بين يدى الله موقف شديد يعلم فيه من قال على الله مالا يعلم انه لم يكن على شيء *

وقد اطنب الحافظ ابن القيم عليه الرحمة في كتابه اعلام الموقعين الكلام في ذم المقلدين وابطل فيه قول الجهلة بانقطاع الاجتهاد والف جمع من الافاضل في ذلك كتبا مفيدة ولولا تعرض هذا الجاهل لهذه المسألة وان لم يكن لها مناسبة لموضع كتابه مافتحنا فيها فما. ولا حركنا قلما. ولكن ابى الله تعالى الا ان يفضح من تنقص العلماء الاخيار وسادات هذه الامة وان يرى الناس عورته ويغريه بكشفها ونعوذ بالله من الخذلان وقد اصابته سهامه الصائبة. وتبين انه من اصحاب الدعاوي الكاذبه. وكان هو الحرى بما انشده *

ومن جهلت نفسه قدره * رأى غيره منه مالا يرى

﴿ثم ان النبهانى الغبي﴾ عقب مسألة الاجتهاد بمسألة أخرى لا مناسبة لها ايضا بموضوع كتابه لكنه اراد ان يظهر عجبه ودعاويه الكاذبة في العلم فقال بعد ان هذى وتكلم بكلمات ساقطة تناسب جهله انى سمعت مرارا من بعضهم لزوم تأليف تفسير للقرآن على مقتضى الاذواق العصريه وسمعت من رجل منهم انه سيفعل ذلك ويؤلف تفسيرا بهذه الصفة التي توافق هذا العصر وهو في نفسه لايقدر على فهم متن الاجروميه وقال لى بعض من يجتمع عليهم ويسمع كلامهم . وقد ثبت في ذهنه بعض نزغاتهم هذه وظنها حقا قد نفعت بتأليفك المسلمين نفعا عظيما ولكن بقي عليك شيء واحد فقلت له ماهو قال ان تؤلف تفسيرا للقرآن على مقتضى الاذواق االمصرية فان هذه التفاسير الموجودة قد الفوها على مقتضى اذواق اهل العصور السالفة. وقد تغير الحال الآن واختلفت اذواق الناس ومشاربهم فيلزم تأليف تفسير يوافقهم

(قال فاجبت انى لست اهلا لذلك) وبيني وبين مرتبة التفسير درجات كثيرة لايمكنني الوصول اليها وتآليفي كلها جمع فوائد واكثرها في شؤون النبي صلى الله عليه وسلم من فضائله ومعجزاته ومدائحه ونحو ذلك مما لارأي لى فيه وانما هو نقل صرف وتفسير القرآن قد فرغ منه العلماء ونقلوه عن النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه ومن بعدهم من أئمة الدين ودونوه في تفاسيرهم هذه الموجودة وهي كافية وافية وهي كما وافقت اهل العصور السابقة توافق اهل

هذا العصر فان الاحكام الشرعية التى اشتمل عليها القرآن هى صالحة لكل انسان * وقد استوت فيها العصور والازمان وليس للقرآن معان خاصة باهل العصور السابقة ومعان أخرى خاصة باهل العصور اللاحقة . واما لاذواق والمشارب فهى ان كانت موافقة للشرع فطلوبها يوجد في هذه التفاسير وان كانت مخالفة للشرع فكيف يمكن ان يفسر القرآن بمعان توافق هذه الاذواق الفاسدة والمشارب الكاسدة ونحن لا يجوز لنا ان نفسر القرآن بعقولنا ونطبقه على الاذواق العصرية كما يقوله السفهاء المخذولون ويتجاسرون على دعوى اقتدارهم على تفسير كلام الله تعالى بافهامهم السقيمة وعقولهم الناقصة فان تفسير القرآن بالرأي ممنوع شرعا ثم انه نقل بعض ماقالوه فى الفرق بين التفسير والتأويل وتكلم بهذيان يوافق فهم امثاله ثم ذكر قصيدة له مدح بها النبي صلى الله عليه وسلم * ثم قال والحاصل ان هذه الفرقة المجدوعة المخذولة من طلبة زماننا فى غاية الغباوة ونقص العقل والدين . وقد عظم ضررهما على انفسهم وعلى من يخالطهم ويصغى الى كلامهم من المسلمين فانهم مع جمعهم لعقائد شتى من عقائد اهل الزيغ والبدع والوهابية وغيرهم واستحسانهم ضلالاتهم هم اضر منهم بكثير وذلك ان الوهابية قوم اهل بدعة ظهروا بها فى بلاد نجد وانتشر مذهبهم الى ماحواليهم من البلاد . ثم تقلص ظلهم وقلوا وذلوا وانحصروا في ارضهم وهم مع كونهم حنابلة انكر عليهم علماء مذهب الامام احمد ماهم عليه من الغلو فى الدين وتضليل المسلمين اما هذه الفرقة الجديدة فهى مؤلفة من سائر المذاهب بدون علم ولاتقوى ولا قواعد يستندون اليها كسائر الفرق وانما الجامع بينهم فساد الافكار والاعتراض على الأئمة الاخيار وهم يختلطون بالناس ويكتبون آراءهم الفاسده . ثم اخذ يبدى ويعيد ويكرر الشتم على اخيار اهل عصره المعرضين عن بدعه . ثم تعرض بالذم لما طبع من كتب الشيخين وسائر الكتب السلفية ككتاب الصارم المنكي . ثم ختم رسالته بقصيدة من شعره الركيك يغال برسول الله صلى الله عليه وسلم ويشرك به هذا ماذكره فى هذا الباب وهو يشتمل على مفاسد كثيرة لايمكن ضبط اقلها بل ان كل كلمة من كلماته دلت على باطل فكلامه ظلمات بعضها فوق بعض وكله ينادى على جهله وغلوه ويدل على انه ممن انزل الله تعالى فيه . (وقالوا لو كنا نسمع او نعقل ما كنا فى اصحاب السعير فاعترفوا بذنبهم فسحقا لاصحاب السعير) ولو اخذنا نتكلم على جميع ماحواه كلامه من المفاسد لطال الكلام جدا ولكنا نتكلم

على مقاصده على سبيل الاجمال *

﴿ فاقول ﴾ حاصل مادل عليه كلامه من المقاصد امور ﴿ الاول ﴾ ان تفسير القرآن قد اخذ حده وعلم قد نضج واحترق ولا يمكن ان يستنبط من التنزيل مالم يستنبط ﴿ الثانى ﴾ من الامور التى دل عليها كلامه ان الذي يتصدى لطاب تفسير مشتمل على الاذواق العصرية وعلومه هو ملحد مبتدع زائغ الى آخر ماذكره فيه من الذم ﴿ الثالث ﴾ ان الوهابية مبتدعة غير ان ضررهم دون من قبلهم. ﴿ الرابع ﴾ القدح فى ابن يتمية وجرح كتبه وكتب ابن القيم وابن قدامة . هذا ما دل عليه كلامه . ونحن نتكلم على مطاب مطلب على سبيل الايجاز والاختصار . وبالله التوفيق وهو المستعان *

﴿ الكلام على كتب التفسير والاحتياج الى تفسير موافق لافكار اهل العصر ﴾

ان من طالع كتب التفسير المتداولة بين الايدى اليوم وجدها اعظم مانع من الوقوف على مراد الله تعالى بكتابه الكريم فان منها ما هو مشحون بقواعد النحو ووجوهه فتراه يذكر فى كل آية من الوجوه مايفوت الحصر *

ومنها ما هو مشحون بالمسائل الكلامية . والقواعد الحكمية . حتى يصرف الآيات الى ما اصله من الاصول ويؤل النصوص القطعية الى ما يوافق معتقده * اذا نظرت تفسير الرازي والبيضاوى وابى السعود تعلم حقيقة هذا الكلام * ومنها ما اشتمل على قصص بنى اسرائيل واكاذيبهم واقوالهم التى تحيلها العقول وتنفر عنها الطباع * ومنها تفاسير لايدل عليها نقل ولا عقل ولا لغة من اللغات كالتفسير الشهير بأنه من باب الاشارة * ومنها ومنها مما لايحيط به العد والاحصاء *

وقد تكلم على التفسير كلام منصف واقف على الحقيقة العلامة السيد محمد بدر الدين الحلبي فسح الله تعالى في مدته وبارك في حياته فى كتاب التعليم والارشاد فقال سلمه الله تعالى بعد ان تكلم على علم التفسير وان اهل العلم لم يعطوه حقه والذي ينظر فيما طبع من نحو قرن في مصر وهى محط رحال العلوم الدينية وكعبة العلوم التى يفد اليها الحجاج من جميع الآفاق والقدوة لكافة اهل الامصار يرى العجب العجاب *

يرى ان الذى طبع منها الى الآن تفسير الخاذن تفسير الجلالين بحاشية الصاوي وبحاشية

الجمل * البيضاوى بحاشية الشهاب * الكشاف بقطعة من حاشية السيد * تفسير فخر الدين الرازى تفسير ابى السعود * تفسير النسفى * تاج التفاسير * ابن جرير الطبرى * الدر المنثور للسيوطى * تفسير ابن عباس . وبعض تفاسير ضئيله هذه هي كتب التفاسير التى تتداولها ايدى الناس اليوم وهى التى يعتمد عليها طلاب العلوم الشرعية فى تفسير كتاب الله جل شأنه والوقوف على مراده منه *

فاما تفسير الخازن وهو اكثر كتب التفاسير تداولا وأعظمها انتشارا بين عامة المسلمين وطلبة العلوم الشرعية فهو الكتاب الذى يقف القلم حائرا عند وصفه لا يدري ما يقول فيه وما الذي يحذر به المسلمين منه وخير مايقال فيه انه مجموعة الاكاذيب ولا أرى الا ان الانسان لو جرد مافيه من الاكاذيب الموضوعة على لسان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والاقاصيص الكاذبة التى وضعها اليهود كقصة بابل والغرانيق وارم ذات العماد وغيرها لكانت فوق نصف الكتاب وبعد ذلك فاشياء ان لم تضر لم تنفع *

وهو على اشتماله على هذين الوصفين اللذين هما من اقبح أوصاف المؤلفات فهو العمدة لعامة المسلمين وأكثر طلبة العلوم الشرعية وأكثر انتشارا بينهم ولقد أرى ان نسخه التى نشرت فى مصر لا تقل عن مائة الف نسخة فسد بواسطتها عشرة اضعاف هذا العدد من المسلمين ودخل عليهم فى دينهم ما ليس منه من حديث موضوع وتفسير مفترى *

ومن العجيب ان لا يوجد فى علماء الاسلام من ينهى الناس عن نشر مثل هذه الكتب المفسدة للعلوم والشرائع المضرة بالاخلاق والعقائد وقد لا يخلو بلد من بلاد الاسلام عن قوم من أهل العلم ولو قليلين يعرفون ما فى هذه الكتب من المفاسد ولا يحظرون على الناس استعمال هذه الكتب لاتقاء شرها بل ربما سئلوا عنها فاثنوا عليها خيرا مسايرة لاميال العامة ومصانعة لهم فيما هو من أهم مهمات الدين قال وهذا البحث موعدنا به ان شاء الله القسم الثاني من هذا الكتاب وهو قسم الارشاد وانما غرضنا فى هذا القسم النظر فى طرق التعليم وكتب العلم المستعملة وبيان جيدها من رديئها *

واما تفسير الجلالين بحاشيتيه الجمل والصاوى فهما يساويان تفسير الخازن انتشارا وكثرة تداول الا ان انتشار الخازن بيد العوام اكثر وانتشار هذين بيد الخاصة نعنى طلاب العلوم الشرعية

اكثر فاما الشرح فهو غاية فى الاختصار لايمكن الاستقلال به فى فهم كتاب الله تعالى مع علل فيه اخر يعلمها من جمع بينه وبين بعض تفاسير المتقدمين الموثوق بها وبمؤلفيها واما حاشيتاه الضخمتان فهما من مؤلفات متاخرى اهل العلم بمصر وحسبك هذا فى معرفة منزلتيهما بين المؤلفات *

ثم انه سلمه الله عقد فصلا في انحطاط العلم ثم قال واما الكشاف ومختصره للقاضى البيضاوى فهما المشكلة التى لاتحل اجمالا واغلاقا وغموضا ولشدة عرافتهما في ذلك اكثر المتأخرون من تعليق الحواشى والشروح عليهما لبيان عبارتهما وتوضيح مقاصدهما حتى لو جمعت الحواشي والشروح التي عليهما لاربت على الف مجلدة وما ذكره صاحب كشف الظنون مما كتب عليهما قليل من كثير ولولا انهما بحيث يخفيان الا على من ألف حل لرموز والطلاسم واستخراج المخبآت لم يعتن من جاء بعدهما بالتوسع في الكتابة عليهما والمبالغة فى توضيح غوامضهما وفوق هذا كله اشتمالهما على مسائل كثيرة خارجة عن التفسير بالمرة لا ترتبط فيه بوجه من الوجوه كالمسائل الكلامية التى حشيا بهما كتابيهما وهى ليست من فن التفسير ولا من متعلقاته وانما كان الغرض من ذكرها بيان معتقديهما والاستشهاد له بكتاب الله *

ويلحق تفسير أبى السعود بهذين التفسيرين فانه صورة أخرى لهما مع بعض تغييرات قليلة جدا ويلحق تاج التفاسير بتفسير الجلالين ونسبته اليه كنسبة تفسير أبي السعود الى تفسيرى الكشاف والبيضاوي وان اختلف عنه فيسيرا

واما تفسير فخر الدين الرازى وهو كتاب العامة والخاصة وعمدة الناس فى هذا الموضوع فابو حيان المفسر يقول فى تفسيره تفسير الامام فخر الدين فيه كل شيء الى التفسير وما أحسن ماترجم به أبوحيان هذا التفسير الكبير بل البحر العميق ولقد يفتح الانسان جزءمن أجزاء هذا التفسير للمراجعة والكشف فيه عن تفسير آية من آى كتاب الله فلا يشعر الا وقد توسط بحرا لجيا لا يخلص الانسان منه الى ساحل ويظهر مما كتبه الامام فخر الدين فى مقدمة كتابه انه قدأودع كتابه كثيرامما لا تعلق له بعلم تفسير كتاب الله ولا ارتباط له فيه بوجه من الوجوه وانما كان غرضه مما جمعه فى تفسيره من هذه المسائل الغريبة مع ان

الـكتاب فى تفسير كتاب الله خاصة على ما يظهر من كلامه فى اول كتابه ان يبرهن على حقية ما قاله لبعض مناظر به من ان كتاب الله جل ثناؤه وعلا سلطانه لا يمكن استقصاء ما فيه من الاسرار ولا الاحاطة بما فيه من المعانى والحكم ولو كتب فى ذلك مآت من المجلدات وان فاتحة الكتاب يمكن ان يكتب فيها مجلد ضخم فى أحكامها واسرارها ومعانيها ولذلك وضع فى تفسير الفاتحة مجلدا لرد ما أنكره المنكرون عليه وان كان لم يصنع شيئاً بالرد عليهم بحشو كتابه بهذه المسائل التى ذكرها ولا ارتباط لها بتفسير كتاب الله بوجه من الوجوه وكل كلام موالف كلام الله أو غيره يمكن للعالم ان يتوسع في الـكتابة عليه الى مثل ما توسع به الامام فخر الدين فى تفسير كتاب الله *

والمؤلف اذا أغمض عينه وتسامح فى تأليفه وراعى المناسب والمجاور ومجاوره استطال فى يده حبل الـكلام فلم يقف به عند حد *

ولقد رأينا لمتأخر من متأخري المصريين يدعى السحيمى حاشية على شرح عبد السلام على جوهرة التوحيد تقع فى أربع مجلدات ضخام على ان الامير وهو أطول باعا منه فى علم الكلام وادق نظرا استوعب الـكلام على شرح عبد السلام فى مجلد صغير وكان فى قدرة السحيمي ان يضيف الى مجلداته الاربع أربعة أخر ولـكن رأى ان الاقتصار على هذا المقدار كاف فى البلاغ الى ما قصده من البرهان على بسعة اطلاعه *

ثم تكلم على تفسير روح المعاني وان مصنفه أخذه من تفسير الامام فخر الدين الا انه حذف منه كثيرا من الزوائد وأضاف اليه وأحسن غاية الاحسان وضم شيئاً من أقوال سلف المفسرين ومتقدميهم وان لم يميز بين ما قوى سنده من هـذه الاقاويل وما وهي فيبقى فى الامر بعض لبس واشكال واضاف اليـه ايضا جملة كبيرة من تفاسير المتصوفة فلم يكتف رحمـه الله بجمع تأويلات المتكلمين التى تأولوا بها القرآن للاستدلال على عقائدهم وتطبيقها على ما أدتهم اليـه عقولهم منها عملا بقاعدتهم المشهورة عندهم من وجوب تأويل النقل اذا عارض العقل حتى يرجع الى العقل . فاضاف الى ذلك تأويلات المتصوفة التى صرفوا بها القرآن عن ظاهره الى معان لا تدل الالفاظ العربية عليها بوجه من وجوه الدلالات المعروفة عنـد الناس فجاء كتابه جامعا للطرق الثلاثة . طريقة السلف . وطريقة المتكلمين . وطريقة المتصوفة . الا ان

طريقة السلف لم يتعرض فيها لبيان طرق نقلها وتمييز صحيحها من سقيمها. ولذلك كان ككتب الحديث التي لا يبين فيها سند الحديث وحال رجاله لاتقع الثقة به سيما اذا تعارض مع غيره ولم يقع الترجيح بينهما بوجه من وجوه الترجيح *

﴿ واما تفسير ﴾ الدر المنثور للجلال السيوطي فقد زعم انه اختصر به على حسب عادته تفسير ابن جرير الذى جمع فيه صحاح الاحاديث المتعلقة بتفسير كتاب الله تعالى وبيان اسباب النزول واضاف السيوطى في مختصره احاديث واهية الاسناد فى هـذا الموضوع نفسه ومزجها بتلك الاحاديث احاديث الاصل فاختلطت بها حتى لايمكن التمييز بينها وقلت الثقة فى الجميع *

وربما استبعد احد ان يضع السيوطي فى تفسيره الدر المنثور احاديث واهية الاسناد اوموضوعة مع ماله من المؤلفات فى موضوعات الاحاديث فنقول ان من علم طريقة السيوطى في التأليف لم يستنكر هذا الذى قلناه. وطريقته رحمه الله على ما علمنا من استقراء كتبه انه كلما وقع اليه كتاب من الكتب فى اى فن من الفنون واستحسنه اختصره ونسبه الى نفسه بدون تمييز بين غث وثمين ولا وقوف على حقائق العلوم ولذلك تراه مضطربا فى كتبه لانه لايحكم فكر نفسه وانما يحكم فى كل كتاب فكر مؤلفه هو فيضيفه الى نفسه ببعض تصرف يحدثه فى الكتاب

* وان كنت قد قرأت فى كتابه الذى سماه الجامع الصغير فى احاديث البشير النذير وكتابه الذى سماه اللئالي المصنوعه. فى الاحاديث الموضوعه. ورأيت فى الجامع الصغير كثيرا من الاحاديث التى نص فى كتابه اللئالى على انها موضوعة على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تصح عنه بطريق من الطرق جزمت بصحة هذا الذى قلنا وعلمت انه لايؤلف وانما يلخص كتب الناس وينسبها لنفسه *

ثم اطال الكلام فى السيوطى وابن كمال باشا وانهما على منهج واحد فى انتحال الكتب بعد الاختصار الى ان قال سلمه الله *

واما تفسير محيي الدين فهو مسخ للقرآن ونقض للدين من اساسه ويرى بعض الباحثين انه ليس من مؤلفات محيي الدين وانما هو من مؤلفات القاشانى احد الملاحدة الباطنية نسبه لمحيي الدين ليروجه بين عوام المسلمين ومن يستميتون الى مايقول محيي الدين مهما كان حاله والظن بمحيي الدين انه لايضع مثل هذا الكتاب ولا يذهب هذه المذاهب الفاسدة في تفسير كتاب الله تعالى *

وسواء كان من مؤلفات محيي الدين او غيره فان انتشاره بين المسلمين بحت ضرر سيما ولا موقف يوقف الناس على الصحيح والفاسد من هذه الكتب *

﴿ واما تفسير ﴾ ابن عباس فهو من مؤلفات مجد الدين الفيروز آبادى صاحب القاموس جمع فيه رواية محمد بن السائب الكلبي عن ابن عباس قال وقد علمت مما ذكرناه فى المقدمة حال ابن السائب الكلبي وضعفه وقلة ثقة العلماء بمروياته *

﴿ قال هذه ﴾ كتب التفسير التى نقرأها اليوم وان كان قد فاتنا ذكر شيء منها فانه لايخرج عن مضارعة واحد من هذه الكتب التى ذكرناها فلم يبق بيدنا مايصح الاعتماد عليه والثقة به غير تفسير ابن جرير . وهو الحسنة الوحيدة للمطابع الاسلامية بعد قرن واكثر من ظهور المطابع فى الممالك الاسلامية ولولا ان بعض امراء العرب من سكان الجزيرة العربية راسل بعض تجار الكتب بمصر فى شأنه واعانه على ذلك بمساعدات جليلة لم يظهر له ظل فى عالم المطبوعات اكتفاء منه بالخازن والجمل *

وان أردت معرفة تفاسير الصحابة والتابعين وتابعى التابعين وعلماء القرن الثالث فارجع الى ما كتبناه في المقدمة على هذا العلم فقد بسطنا هناك مؤلفات القرون الثلاثة . والباحث عليها ان لم يجدها كلها وجد منها ما يكفى لحاجة الناس *

ثم انه اعتذر عما كتبه بانه لم يرد انتقاص احد بذلك بل ان غرضه بيان ان هذه التفاسير المتداولة قاطعة عن العلوم الاسلامية وان ضرورة المحافظة على الدين تقضى باختيار الكتب النافعة قال فكل مانذكره فانما الغرض منه تمحيص الحقيقة والالتماس الانفع لنا فى علوم ديننا وهذا عذرنا في كل ما نسطره عن هذه المؤلفات التى ابتلينا بها اليوم وابتليت بنا الخ *

انتهى المقصود مما ذكره هذا الفاضل المنصف وبه يعلم حال المتداول من التفاسير على الاجمال فكيف يقال ان تفسير القرآن قد فرغ منه العلماء مع انهم هم الذين قالوا فى شأن علم التفسير علم لانضج ولا احترق وقالوا المراد بنضج العلم تقرير قواعده وتفريع فروعها وتوضيح مسائله والمراد باحتراقه بلوغه النهاية فى ذلك ﴿ وقد ﴾ ذكر الامام السيوطى فى الاتقان ان القرآن فى اللوح المحفوظ كل حرف منه بمنزلة جبل قاف وكل آية تحتها من التفاسير مالا يعلمه الا الله تعالى انتهى . فمتى اعطى العلماء حقه حتى يقال انهم قد فرغوا منه . فهل هذا الا قول من قد بلغ

من الجهل بدينه الى الغاية . واى ذنب لمن طلب فى هذا العصر او تمنى ان يفسر القرآن تفسيرا نافعا للعامة والخاصة بعبارة سلسه يفهمها كل احد كعبارات بلغاء هذا العصر وكتابه النابغين فيه لا كعبارات الكتاب الماضين من الاعاجم وغيرهم فانهم كانوا يتفاخرون بدقة العبارات وصعوبتها وعدم فهمها ويعيبون الواضح منها . مع ان البلغاء المتقدمين والكتبة السابقين على العكس من ذلك .فقد رأيت في بعض كتب اصول الحديث مانصه ويكره كراهة تنزيه الخط الدقيق لفوات الانتفاع او كماله به لمن ضعف نظره وربما ضعف نظر كاتبه بعد ذلك فلا ينتفع به كما قال الامام احمد بن محمد بن حنبل لابن عمه حنبل بن اسحاق بن حنبل ورآه يكتب خطا رقيقا فانه يخونك احوج ماتكون اليه انتهى *

* فكتب عليه الوالد * رحمه الله فى هامش الكتاب انظر اذا كانت الدقة في الخط هكذا فكيف بها فى عبارات العلوم الشرعية وقد عدوا ذلك وجعلوه من الفضائل العلية . وجعلوا فهمها من اقصى مراتب العلم حتى اهملوا حفظ العلوم والمسائل بل لايعدون ذلك شيئا . وليت شعرى هل كان علم المتقدمين فى الصدور ام فى السطور . وكيف كان علماء الصحابة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين *

قال وقد رأيت بعض المؤلفين وانا اقابل معه تأليفه وقد دقق فيه يتوقف فى فهم بعض العبارات ولا يهتدى لها الا بتأمل طويل فهل ينبغى لمسلم ذلك . وليت شعرى اذا اشتغل المتعلم فى فهم العبارة فمتى يشتغل بحفظ المعنى فانصف . ثم قال وما احوجهم الى ذلك الا عبارات الاعاجم الركيكة القاصرة عن مقاصدهم وكم رأينا ممن رسخ في فهم ذلك ولا يستطيع اعراب بيت من الشعر العربى فهل يليق ذلك بالعلماء امناء الدين انتهى *

وشكوى الناس فى كل عصر من الكتب المتداولة بين الايدى قد عرفها كل احد فاى ذنب لمن تمنى ان يؤلف فى هذا العصر عصر ظهور كنوز العلم وانتشار الكتب العجيبة تفسير يفصل فيه محاسن الشريعة الغراء ويطبق فيه احوال العصر ويوافق فيه بين القواعد التى ثبتت بالبرهان وبين الايات الكريمة مما يستوجب ميل العامة لمطالعته ومراجعته فانه الكتاب الذى قال الله تعالى فى شأنه مافرطنا فى الكتاب من شىء وقال عز اسمه (سبح اسم ربك الاعلى الذى خلق فسوى والذى قدر فهدى) فهذه الآية شملت جميع ما خلق الله تعالى من العرش الى

الفرش ولمن تكلم على هذه الآية له مجال واسع فى البحث عن سائر الفنون ولهذا كانت هذه الصورة من احب الصور الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقال سبحانه لما قالت الملائكة (أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال اني أعلم مالا تعلمون) وهنا ذكر المفسرون ان من جملة حكم خلق الانسان وتخليفه فى الارض ابراز ما أودع الله فى الارض من خواص النبات والحيوان والمعدن على يدي هذا الخليفة لما أودع فيه من الشهوات وحوائج المأكل والملبس وغير ذلك مما استنتجه بافكاره ووصل اليه ببصيرته فدخل في هذا الباب من العلوم مالا يحيط به دوائر الامكان ولايقوم به قلم ولالسان *

* فلاشتغال بمثل هذا التفسير أليس أولى من صرف العمر بذكر القبور وأهلها وتشويق الجهلة وحثهم على عبادتها والالتجاء اليها مع انهم لم يقصروا فى ذلك وهى لديهم من أعظم الواجبات بل ليس لهم سوى هذا الكمال من أمور الدنيا والآخرة فتراهم مفلسين من كل فضيلة *

* ويقال للنبهانى الجاهل القبوري هلا رأيت كتاب الفاضل الشيخ حسين الجسر الطرابلسي وقد كتب فيه ما نصه وقد خطر لى حيث وجدت مجالا للكلام وسيما للنداء ان أحرر رسالة يستبان منها حقيقة الدين الاسلامى وكيفية تحققه لمتبعيه على اسلوب جديد سهل الفهم لا تملـه الانفس ولا تستوعره الافكار يروق العقول الحره . ويعجب الاذهان المطلقه عن قيود التعصب ان شاء الله . انتهى المقصود من نقله *

افيقال ان الكتاب الذي الفه فيه مغمز لثالب كلا بل هو كتاب من أجل الكتب المصنفة فى هذا الفن ان لم نقل أحسنها فاى فائدة فى الكلام مع الفلاسفة الاولين . واى نفع يترتب على الكلام فى عقائد المعتزلة وابطال دلائلهم مع تقلص ظل وجودهم من هذا العالم . وفلاسفة العصر لهم فنون أخرى غير فنون اسلافهم وسلاحهم الذى يحملونه على أهل الدين غير سلاح أوائلهم . فينبغى للحازم ان يعد لهم ما ينخذلون له وينقادون اليه . فاي ذنب لمن تمنى تفسيرا على هذا المنهج والمسلك الذى سلكه الفاضل الطرابلسى وهلا شد النبهانى رواحله الى هذا الفاضل وتعرف منه دينه وداوى ادواء جهله بعقاقير معارفه . أو سافر الى الفاضل السيد بدر الدين الحلبي فتعلم منه مايخرجه من ظلمات جهالته وينور قلبه بانوار علومه فان الرجل ممن ابتلى بداء (النوك) والجهل فلا بد له من طبيب حاذق وان قيل ان داء النوك ليس له دواء *

* نرى كثيرا من المفسرين يؤل آيات الله تعالى الحكمة ليوافقها مع قواعد هيئة اليونان. ويطبقها على اصول الحكمة الالهية أو الطبيعية اليونانية مع مكابدة المشاق وتحمل الصعوبات مع ان ما ظهر من الفنون الجديدة التي قام على صحتها البرهان يمكن تطبيقها وتوفيقها مع النصوص من غير كلفة لموافقة صحيح المعقول لصريح المنقول *

فلم لم يعترض النبهاني القبوري على مثل تفسير الامام فخر الدين الرازي وقد شحنه من كلام المتكلمين وفلاسفة اليونانيين . ومتى كانت هذه المباحث لدى المسلمين قبل ان تترجم كتب الفلاسفة فاذا لم يعترض على مثل ذلك فلم يعترض على من يسلك ذلك المسلك في الفلسفة الجديدة التي هي أصح واولى بالاعتبار من هذيان اليونانيين . فهل هذا الكلام منه الا تحكم وترجيح بلا مرجح (ثم ان هذا) القبوري لم يعترض على تفاسير القوم التي فسروا بها كلام الله تعالى ولم يقصدها من كلامه رب العالمين بل عد مثل هذه التفاسير من أجل المآثر . وأعظم التحف والمفاخر . ولم يتكلم بها أبو بكر ولا عمر ولا عثمان ولا على ولا غيرهم فلم يعترض على من تمنى ان يصنف تفسيرا يدل عليه كلام الله دلالة صريحة ويصدقه العيان ويؤيده البرهان * فاي ذنب لمن يطلب تصنيف مثل هذا التفسير . (نعم) المذنب هو الذي يطلب تصنيف ذلك من هذا الجاهل القبوري الغبي أحد الغلاة ويتكلم معه مثل هذا الكلام . وهو على ما سمعنا به ممن رآه من قراء المولد والتهاليل للاموات فاين هو من مثل هذه المطالب العالية فلا شك ان الذي تكلم معه بذلك الكلام وطلب منه ان يفسر القرآن . ومدح كتبه هو من العوام ومن أجهل الناس . فاى كتاب من كتبه يمدح مع كونها مشحونة بالاكاذيب والمغالاة في الدين ويأسف الناظر ان نظر فيها لحظة على فوات جزء من حياته في العبث بل ربما نجس تصوره وذهنه بما عقل منها *

﴿ الكلام على قول النبهاني ان الذي يتصدى لطلب تفسير مشتمل على العلوم العصرية ملحد ﴾

قد سبق منا بيان مقصد هذا المتصدى وذكرنا انه ليس من المذنبين بهذا الامل والمقصد . ولم يكن مقصده الا توفير سواد المسلمين . وحسن دعوة أعداء الدين . وتفهيم العوام أجل مقاصد الاسلام . فكيف يكون مثل هذا هو من الملحدين . والسالكين غير سبيل المؤمنين والنبهاني لا يحكم بالابتداع والالحاد على من يفسر القرآن برأيه ويقول (أتأمرون الناس بالبر)

الذى هو الفعل الجميل الموجب لصفاء القلب وذكاء النفس ولا تفعلون ما ترتقون به من مقام تجلى الافعال الى تجلى الصفات (وأنتم تتلون) كتاب فطرتكم الذي يأمركم بالدين السالك بكم سبيل التوحيد (افلا تعقلون) فتقيدون مطلقات صفاتكم الذميمة بعقال ما أفيض عليكم من لانوار القديمة واطلبوا المدد والعون ممن له القدرة الحقيقية (بالصبر) على مايفعل بكم لكى تصلوا الى مقام الرضا (والصلاة) التى هى المراقبة وحضور القلب لتلقي تجليات الرب وان المراقبة لشاقة الا على المنكسرة قلوبهم اللينة أفئدتهم لقبول أنوار التجليات اللطيفة واستيلاء سطواتها القهرية فهم الذين يتيقنون انهم بحضرة ربهم وانهم اليه راجعون بفناء صفاتهم ومحوها فى صفاته فلا يجدون في الدار الا شؤن الملك اللطيف القهار . انتهى *

وهذا تفسير قوله تعالى (أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم أفلا تعقلون واستعينوا بالصبر والصلاة وانها لكبيرة الا على الخاشعين الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم وأنهم اليه راجعون). فانظر ايها المنصف العارف باللغة ومدلولاتها فهل دلت الفاظ هذه الآيات على ما ذكروه من المعانى وهل هو الا تفسير بما تهوى الانفس *

وحيث انجر الكلام بنا الى هذا المقام وجب ان نذكر هنا بعض القواعد الاصولية المتعلقة بفن التفسير ليتميز به الحق من الباطل ويعرف الخطأ من الصواب ومن الله نستمد الاعانة والتوفيق *

قال شيخ الاسلام تقى الدين أبو العباس أحمد ابن تيمية الحرانى قدس الله روحه فى كتابه الذى صنفه فى أصول التفسير وهو كتاب مفصل حافل لم يؤلف مثله فى هذا الفن ما نصه * يجب ان يعلم ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بين لاصحابه معانى القرآن كما بين لهم الفاظه فقوله تعالى لتبين للناس ما نزل اليهم يتناول هذا وهذا . وقد قال أبو عبد الرحمن السلمى حدثنا الذين كانوا يقرؤن القرآن كعثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود وغيرهما انهم كانوا اذا تعلموا من النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عشر آيات لم يتجاوزوها حتى يعلموا ما فيها من العلم والعمل جميعا ولهذا كانوا يبقون مدة فى حفظ السورة . وقال أنس كان الرجل اذا قرأ البقرة وآل عمران جد فى أعيننا رواه أحمد فى مسنده . وأقام ابن عمر على حفظ البقرة ثمان سنين أخرجه في الموطأ وذلك ان الله تعالى قال (كتاب أنزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته وقال أفلا يتدبرون القرآن)

وتدبر الكلام بدون فهم معانيه لا يمكن . وأيضا فالعادة تمنع ان يقرأ قوم كتابا في فن من العلم كالطب والحساب ولا يستشرحونه فكيف بكلام الله الذى هو عصمتهم وبه نجاتهم وسعادتهم وقيام دينهم ودنياهم ولهذا كان النزاع بين الصحابة فى تفسير القرآن قليل جدا . وهو وان كان بين التابعين أكثر منه بين الصحابة فهو قليل بالنسبة الى مابعدهم . ومن التابعين من تلقى جميع التفسير عن الصحابة وربما تكلموا فى بعض ذلك بالاستنباط والاستدلال والخلاف بين السلف فى التفسير قليل وغالب مايصح عنهم من الخلاف يرجع الى اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد وذلك صنفان أحدهما ان يعبر واحد منهم عن المراد بعبارة غير عبارة صاحبه تدل على معنى فى المسمى غير المعنى الآخر مع اتحاد المسمى كتفسيرهم الصراط المستقيم بعض بالقرآن اى اتباعه . وبعض بالاسلام فالقولان متفقان لان دين الاسلام هو اتباع القرآن ولكن كل منهما نبه على وصف غير الوصف الآخر . كما ان لفظ صراط يشعر بوصف ثالث وكذلك قول من قال هو السنة والجماعة وقول من قال هو طريق العبودية وقول من قال هو طاعة الله ورسوله وأمثال ذلك . فهؤلاء كلهم أشاروا الى ذات واحدة لكن وصفها كل منهم بصفة من صفاتها *

* الثانى * ان يذكر كل منهم من الاسم العام بعض أنواعه على سبيل التمثيل وتنبيه المستمع على النوع لا على سبيل الحد المطابق للمحدود فى عمومه وخصوصه . مثال ما نقل فى قوله تعالى (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا) الآية فمعلوم ان الظالم لنفسه يتناول المضيع للواجبات والمنتهك للحرمات . والمقتصد يتناول فاعل الواجبات . وتارك المحرمات . والسابق يدخل فيه من سبق فتقرب بالحسنات مع الواجبات . فالمقتصدون أصحاب اليمين (والسابقون السابقون أولئك المقربون) . ثم ان كلا منهم يذكر هذا فى نوع من أنواع الطاعات كقول القائل السابق الذى يصلى فى اول الوقت والمقتصد الذى يصلى فى أثنائه والظالم لنفسه الذى يؤخر العصر الى الاصفرار أويقول السابق المحسن بالصدقة مع الذكاة . والمقتصد الذى يؤدي الذكاة المفروضة فقط . والظالم مانع الذكاة قال وهذان الصنفان اللذان ذكرناهما فى تنوع التفسير تارة لتنوع الاسماء والصفات وتارة لذكر بعض أنواع المسمى وهو الغالب فى تفسير سلف الامة الذى يظن انه مختلف . ومن التنازع الموجود منهم مايكون اللفظ فيه محتملا للامرين اما

لكونه مشتركا فى اللغة كلفظ القسورة الذى يراد به الرامي ويراد به الاسد ولفظ عسعس الذى يراد به اقبال الليل وادباره . واما لكونه متواطئا فى الاصل لكن المراد به أحد النوعين أوأحد الشخصين كالضمائر فى قوله ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى . وكلفظ الفجر والشفع والوتر وليال عشر واشباه ذلك . فمثل ذلك قد يجوز ان يراد به كل المعانى التى قالها السلف . وقد لا يجوز ذلك . فالاول أما لكون الآية نزلت مرتين فاريد بها هذا تارة وهذا تارة . واما لكون اللفظ المشترك يجوز ان يراد به معنياه . واما لكون اللفظ متواطئا فيكون عاما اذا لم يكن لمخصصه موجب فهذا النوع اذا صح فيه القولان كان من الصنف الثانى *

﴿ ومن الاقوال ﴾ الموجودة عنهم ويجعلها بعض الناس اختلافا ان يعبروا عن المعانى بالفاظ متقاربة كما اذا فسر بعضهم تبسل بتحبس وبعضهم بترتهن لان كلا منهما قريب من الآخر *

﴿ ثم قال فصل ﴾ والاختلاف في التفسير على نوعين منه مامستنده النقل فقط ومنه ما يعلم بغير ذلك . والمنقول اما عن المعصوم أوغيره ومنه مايمكن معرفة الصحيح منه من غيره ومنه مالا يمكن ذلك . وهذا القسم الذى لا يمكن معرفة صحيحه من ضعيفه عامته مما لا فائدة فيه ولا حاجة بنا الى معرفته . وذلك كاختلافهم فى لون كلب أصحاب الكهف واسمه وفى البعض الذى ضرب به القتيل من البقرة . وفي قدر سفينة نوح وخشبها وفى اسم الغلام الذي قتله الخضر ونحو ذلك فهذه الامور طريق العلم بها النقل فما كان منه منقولا نقلا صحيحا عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قبل ومالا بان نقل عن أهل الكتاب ككعب ووهب وقف عن تصديقه وتكذيبه لقوله صلى الله عليه وسلم اذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم . وكذا ما نقل عن بعض التابعين وان لم يذكر انه أخذه عن أهل الكتاب . فمتى اختلف التابعون لم يكن بعض أقوالهم حجة على بعض . وما نقل فى ذلك عن الصحابة نقلا صحيحا فالنفس اليه أسكن مما ينقل عن التابعين لان احتمال ان يكون سمعه من النبي صلي الله تعالى عليه وسلم أو من بعض من سمعه منه أقوى . ولان نقل الصحابة عن أهل الكتاب أقل من نقل التابعين . ومع جزم الصحابي بما يقوله كيف يقال انه أخذه عن أهل الكتاب وقد نهوا عن تصديقهم *

وأما القسم الذى يمكن معرفة الصحيح منه فهذا موجود كثير ولله الحمد وان قال الامام أحمد

ثلاثة ليس لها أصل التفسير والملاحم والمغازى . وذلك لان الغالب عليها المراسل . واما ما يعلم بالاستدلال لا بالنقل فهذا أكثر مافيه الخطأ من جهتين حدثتا بعد تفسير الصحابة والتابعين وتابعيهم باحسان فان التفاسير التى يذكر فيها كلام هؤلاء صرفا لايكاد يوجدفيها شئ من هاتين الجهتين مثل تفسير عبد الرزاق والعريانى ووكيع وعبد واسحق وأمثالهم أخذها قوم اعتقدوا معاني . ثم أرادوا حمل الفاظ القرآن عليها *

(والثانى) قوم فسروا القرآن بمجرد مايسوغ ان يريده من كان من الناطقين بلغة العرب من غير نظر الى التكلم بالقرآن والمنزل عليه والمخاطب به فالاولون راعوا المعنى الذى رأوه من غير نظر الى مايستحقه الفاظ القرآن من لدلالة والبيان والآخرون راعوا مجرد اللفظ وما يجوز ان يراد به العربى من غير نظر الى مايصلح للمتكلم وسياق الكلام * ثم هؤلاء كثيرا مايغلطون فى احتمال اللفظ لذلك المعنى فى اللغة كما يغلط في ذلك الذين قبلهم كما ان الاولين كثيراً ما يغلطون في صحة المعنى الذى فسروا به القرآن كما يغلط في ذلك الآخرون وان كان نظر الاولين الى المعنى أسبق ونظر الآخرين الى اللفظ أسبق والاولون صنفان تارة يسلبون لفظ القرآن مادل عليه وأريد به وتارة يحملونه على مالم يدل عليه ولم يرد به وفى كلا الامرين قد يكون ماقصدوا نفيه أو ثباته من المعنى باطلا فيكون خطؤهم فى الدليل والمدلول وقد يكون حقا فيكون خطؤهم فى الدليل لافى المدلول . فالذين اخطؤا فيهما مثل طوائف من أهل البدع اعتقدوا مذاهب باطلة وعمدوا الى القرآن فتأولوه على رأيهم وليس لهم سلف من الصحابة والتابعين لافى رأيهم ولا فى تفسيرهم . وقد صنفوا تفاسير على أصول مذهبهم مثل تفسير عبد الرحمن بن كيسان الاصم والجبائي وعبد الجبار والرمانى والزمخشرى وأمثالهم ومن هؤلاء من يكون حسن العبارة يدس البدع فى كلامه وأكثر الناس لايعلمون كصاحب الكشاف ونحوه حتى انه يروج على خلق كثير من أهل السنة كثيرا من تفاسيرهم الباطلة . وتفسير ابن عطيه وأمثاله اتبع للسنة وأسلم من البدعة ولو ذكر كلام السلف المأثور عنهم على وجهه لكان أحسن . فانه كثيرا ما ينقل من تفسير ابن جرير الطبرى وهو من أجل التفاسير وأعظمها قدرا . ثم انه يدع ماينقله ابن جرير عن السلف ويذكر مايزعم انه قول المحققين وانما يعنى بهم طائفة من أهل الكلام الذين قرروا أصولهم بطرق من جنس ماقررت به المعتزلة أصولهم

وان كانوا أقرب الى السنة لكن ينبغي ان يعطى كل ذى حق حقه فان الصحابة والتابعين والأئمة اذا كان لهم في الآية تفسير وجاء قوم فسروا الآية بقول آخر لاجل مذهب اعتقدوه وذلك المذهب ليس من مذاهب الصحابة والتابعين صار مشاركا للمعتزلة وغيرهم من أهل البدع في مثل هذا *

(وفى الجملة) من عدل عن مذاهب الصحابة والتابعين وتفسيرهم الى ما يخالف ذلك كان مخطئا في ذلك بل مبتدعا لانهم كانوا أعلم بتفسيره ومعانيه كما انهم أعلم بالحق الذى بعث الله به رسوله *

(وأما الذين) أخطئوا فى الدليل لا فى المدلول كمثل كثير من الصوفية والوعاظ والفقهاء يفسرون القرآن بمعان صحيحة فى نفسها لكن القرآن لا يدل عليها مثل كثير مما ذكره السلمى في الحقائق فان كان فيما ذكروه معانى باطلة دخل فى القسم الاول . انتهى كلام شيخ الاسلام ملخصا *

فقد علم من كلامه رحمه الله تعالى ان من فسر القرآن تفسيراً لا يخرج به عن السنة ولا يذكر فيه شيئا يناقض المنصوص ويذكر ما دل عليه لفظ القرآن باوجز عبارة والطفها وأوضحها ويبين محاسن ما اشتمل عليه الكتاب الكريم من الاحكام وما أخبر به من أمور الدنيا والآخرة وبيان الحكم المشتمل عليها مما ينطبق على الفنون الصحيحة على ممر الاعصر والايام فكيف يكون المتصدى لمثل هذا التفسير والطالب له ان يكون ملحداً أومبتدعاويكون النبهانى الذي يحكم بغير ما انزل الله من قوانين محاكم العدلية مسلما على المنهج المستقيم سبحانك هذا بهتان عظيم قال الله عز ذكره (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله) ومحبة الرسول باتباعه لا بالعمل على خلاف شريعته ولا بالغلو فيه كما غلا النبهاني حيث اعتقد ان النبي صلى الله عليه وسلم لا يخلو منه زمان ولا مكان يريد بذلك انه ما من زمان الا وهو فيه موجود وما من مكان الا وهو فيه موجود وهذه مقالة شنيعة فى الغلو فى النبي صلى الله عليه وسلم وانزال له فوق منزلته التى أنزله الله بها فان هذا اشراك للنبي صلى الله عليه وسلم فى أخص أوصاف البارى جل شأنه فكيف يدعى محبته من يقول بهذه المقالة ثم يصرف عمره فى الحكم بغيرما انزل الله ويذب عن البدع ويحث عليها ويشتم المحامين عن السنة النبوية والمحافظين على التوحيد

وسائر ماوردت به الشريعة الغراء كشيخ الاسلام ابن تيمية واضرابه فهل يتردد المنصف في ان مثل النبهاني أعدى الاعداء لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم *

﴿ الكلام على قول النبهاني ان الوهابية مبتدعة غير ان ضررهم دون من قبلهم ﴾ وأخذ يشتم المسلمين بكل ماهو أهل له ولا بد من الكلام على حقيقة ماعليه أهل نجد وبيان حال خصومهم عقائدهم ليتبين الناظر المنصف من المبتدع ومن الزائغ عن المحجة البيضاء *

(قال العلامة) الشيخ عبد اللطيف النجدي من أحفاد الامام الشيخ محمد عليهما الرحمة في كتابه منهاج التأسيس . في الرد على ابن جرجيس . ونقص عليك شيئا عن سيرة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ونذكر طرفا من أخباره وأحواله ليعلم الناظر فيه حقيقة أمره فلا يروج عليه تشنيع من استحوذ عليه الشيطان وأغراه وبالغ في كفره واستهواه . فنقول قد عرف واشتهر واستفاض من تقارير الشيخ ومراسلاته ومصنفاته المسموعة المقروءة عليه وما ثبت بخطه وعرف واشتهر من أمره ودعوته وما عليه الفضلاء النبلاء من أصحابه وتلامذته انه على ما كان عليه السلف الصالح وأئمة الدين أهل الفقه والفتوى في باب معرفة الله تعالى واثبات صفات كماله ونعوت جلاله التي نطق بها الكتاب العزيز وصحت بها الاخبار النبوية وتلقاها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقبول والتسليم يثبتونها ويؤمنون بها ويمرونها كما جاءت من غير تحريف ولا تعطيل . ومن غير تكييف ولا تمثيل . وقد درج على هذا من بعدهم * من التابعين وتابعيهم من أهل العلم والايمان وسلف الامة وأئمتها كسعيد بن المسيب وعروة بن الزبير والقاسم بن محمد وسالم بن عبد الله . وطلحة بن عبيد الله وسليمان بن يسار وأمثالهم . ومن الطبقة الثانية كمجاهد بن جبير . وعطاء بن أبي رباح والحسن البصرى وابن سيرين وعامر الشعبي وجنادة بن أبي أمية وحسان بن عطية وأمثالهم ومن الطبقة الثالثة على بن الحسين وعمر بن عبد العزيز . ومحمد بن مسلم الزهرى . ومالك بن أنس وأبي ذئب وابن الماجوشني وكحماد بن سلمة . وحماد بن زيد والفضيل بن عياض وعبد الله بن المبارك وأبي حنيفة النعمان بن ثابت . ومحمد بن ادريس . واسحق بن ابرهيم . وأحمد بن حنبل . ومحمد بن اسمعيل البخارى ومسلم بن حجاج القشيرى . واخوانهم وأمثالهم ونظرائهم من أهل الفقه والاثر في كل مصر وعصر . (وأما توحيد العبادة) والالهية فلا خلاف بين أهل الاسلام فيما قاله الشيخ .

وثبت عنه من المعتقد الذى دعا اليه . يوضح ذلك ان أصل الاسلام وقاعدته شهادة ان لا اله الا الله . وهي أصل الايمان بالله وحده وهي أفضل شعب الايمان وهذا الاصل لابد فيه من العلم والعمل والاقرار باجماع المسلمين ومدلوله وجوب عبادة الله وحده لاشريك له والبراءة من عبادة ماسواه كائنا من كان وهذا هو الحكمة التي خلقت لها الانس والجن وأرسل لها الرسل وانزلت بها الكتب . وهى تتضمن كمال الذل والحب . وتتضمن كمال الطاعة والتعظيم . وهذا هو دين الاسلام الذى لايقبل الله دينا غيره . لامن الاولين ولا من الاخرين . فان جميع الانبياء على دين الاسلام وهو يتضمن الاستسلام لله وحده . فمن استسلم له ولغيره كان مشركا . ومن لم يستسلم له كان مستكبرا عن عبادته قال الله تعالى (ولقد بعثنا فى كل امة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) وقال تعالى (وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه انه لااله الا أنا فاعبدون) وقال تعالى عن الخليل (اذ قال لابيه وقومه انني براء مما تعبدون الا الذى فطرنى فانه سيهدين وجعلها كلمة باقية فى عقبه لعلهم يرجعون) وقال تعالى عنه (أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الاقدمون فانهم عدو لى الا رب العلمين) . (وقال قد كانت لكم اسوة حسنة في ابراهيم والذين معه اذ قالوا لقومهم انا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده) وقال (تعالي واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا اجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون) وذكر عن رسله (نوح وهود وصالح وشعيب وغيرهم) انهم قالوا لقومهم (اعبدوا الله ما لكم من اله غيره) وقال عن أهل الكهف (انهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى وربطنا على قلوبهم اذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والارض لن ندعو من دونه الها لقد قلنا اذا شططا هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهة لولا يأتون عليهم بسلطان بين فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا) وقال الله تعالى (ان الله لايغفر ان يشرك به) في موضعين من كتابه وقال تعالى (انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار)

(قال رحمه الله) والشرك المراد بهذه الايات ونحوها يدخل فيه شرك عباد القبور وعباد الانبياء والملائكة والصالحين فان هذا هو شرك جاهلية العرب الذين بعث فيهم عبد الله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم فانهم كانوا يدعونها ويلتجؤن اليها ويسألونها على وجه التوسل بجاهها وشفاعتها لتقربهم الى الله كما حكى الله ذلك عنهم فى مواضع من كتابه كقوله تعالى (ويعبدون

من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله) الآية وقال تعالى (والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى) وقال تعالى (فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة بل ضلوا عنهم وذلك افكهم وما كانوا يفترون) *

﴿ قال رحمه الله ﴾ ومعلوم ان المشركين لم يزعموا ان الانبياء والاولياء والصالحين والملائكة شاركوا الله في خلق السموات والارض واستقلوا بشيء من التدبير والتأثير والايجاد ولو في خلق ذرة من الذرات قال تعالى (ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله ان أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته (قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون) فهم معترفون بهذا مقرون به لاينازعون فيه ولذلك حسن موقع الاستفهام وقامت الحجة بما أقروا به من هذه الجمل وبطلت عبادة من لا يكشف الضر ولا يمسك الرحمة ولا يخفى ما في التنكير من العموم والشمول المتناول لاقل شيء وأدناه من ضر أو رحمة . وقال تعالى (قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون) الى قوله فانى تسحرون . وقال تعالى (وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون) ذكر فيه السلف كابن عباس وغيره ايمانهم هنا بما أقروا به من ربوبيته وملكه وفسر شركهم بعبادة غيره

﴿ قال رحمه الله ﴾ وقد بين القرآن في غير موضع ان من المشركين من أشرك بالملائكة . ومنهم من أشرك بالانبياء والصالحين . ومنهم من اشرك بالكواكب . ومنهم من أشرك بالاصنام . وقد رد عليهم جميعهم وكفر كل أصنافهم كما قال تعالى(ولا يأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا أيامركم بالكفر بعد اذ انتم مسلمون) وقال تعالى(اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم) الآية . وقال(لن يستنكف المسيح ان يكون عبد الله ولا الملائكة المقربون) ونحو ذلك في القرآن كثير وبه يعلم المؤمن ان عبادة الانبياء والصالحين كعبادة الكواكب والاصنام من حيث الشرك والكفر بعبادة غير الله *

﴿ قال رحمه الله ﴾ وهذه العبادات التى صرفها المشركون لآلهتهم هى أفعال العبد الصادرة منه كالحب والخضوع والانابة والتوكل والدعاء والاستعانة والاستغاثة . والخوف والرجاء والنسك والتقوى والطواف ببيته رغبة ورجاء وتعلق القلوب والآمال بفيضه ومده واحسانه وكرمه فهذه الانواع أشرف أنواع العبادة وأجلها بل هى لب سائر الاعمال الاسلامية

وخلاصتها وكل عمل يخلو منها فهو خداج مردود على صاحبه . وانما اشرك وكفر من كفر من المشركين بقصد غير الله بهذا وتأهيله لذلك قال تعالى (أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون) (وقال تعالى) أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا لا يستطيعون نصر أنفسهم ولاهم منا يصحبون) (وقال تعالى) اتخذوا من دون الله آلهة لا يخلقون شيأ وهم يخلقون) لآية . وحكى عن أهل النار انهم يقولون لآلهتهم التى عبدوها مع الله تالله ان كنا لفى ضلال مبين . اذ نسويكم برب العالمين . ومعلوم انهم ماسووهم به فى الخلق والتدبير والتأثير وانما كانت التسوية فى الحب والخضوع والتعظيم والدعاء ونحو ذلك من العبادات *

﴿ قال رحمه الله ﴾ فجنس هؤلاء المشركين وأمثالهم ممن يعبد الاولياء والصالحين نحكم بانهم مشركون ونرى كفرهم اذا قامت عليهم الحجة الرسالية وما عدا هذا من الذنوب التى دونه فى الرتبة والمفسدة لا نكفر بها ولا نحكم على أحد من أهل القبلة الذين باينوا عباد الاوثان والاصنام والقبور بكفر بمجرد ذنب ارتكبوه وعظيم جرم اجترحوه . وغلاة الجهمية والقدرية والرافضة ونحوهم ممن كفرهم السلف لانخرج فيهم عن أقوال ائمة الهدى والفتوى من سلف هذه الامة ونبرأ الى الله مما اتت به الخوارج وقالته فى اهل الذنوب من المسلمين .

(قال رحمه الله) . ومجرد الاتيان بلفظ الشهادة من غير علم بمعناها ولا عمل بمقتضاها لا يكون به المكلف مسلما بل هو حجة على ابن آدم خلافا لمن زعم ان الايمان مجرد الاقرار كالكرامية ومجرد التصديق كالجهمية . وقد اكذب الله المنافقين فيما أتوا به وزعموه من الشهادة وسجل على كذبهم مع انهم أتوا بالفاظ مؤكدة بانواع من التأكيدات .قال تعالى(اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله والله يشهد انك لرسوله والله يشهد ان المنافقون لكاذبون) فاكدوا بلفظ الشهادة وان المؤكدة واللام والجملة الاسمية فاكذبهم وأكد تكذيبهم بمثل ما أكدوا به شهادتهم سواء بسواء . وزاد التصريح باللقب الشنيع والعلم البشيع الفضيع . وبهذا تعلم ان مسمى الايمان لابد فيه من الصدق والعمل ومن شهد ان لا اله الا الله وعبد غيره فلا شهادة له وان صلى وزكى وصام وأتى بشىء من أعمال الاسلام . قال تعالى لمن آمن ببعض الكتاب ورد بعضا .(افتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض) الآية وقال تعالى(ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون

ان يتخذوا بين ذلك سبيلا) لآية . وقال تعالى (ومن يدع مع الله الها آخر لا برهان له به فانما حسابه عند ربه) الآية *

(والكفر نوعان) مطلق ومقيد فالمطلق ان يكفر بجميع ماجاء به الرسول والمقيد ان يكفر ببعض ماجاء به الرسول حتى ان بعض العلماء كفر من أنكر فرعا مجمعا عليه كتوريث الجد والاخت وان صلى وصام . فكيف بمن يدعو الصالحين ويصرف لهم خالص العبادة ولبها وهذا مذكور فى المختصرات من كتب المذاهب الاربعة بل كفروا ببعض الالفاظ التى تجرى على السن بعض الجهال وان صلى وصام من جرت على لسانه *

(قال رحمه الله) والصحابة كفروا من منع الزكوة وقاتلوهم مع اقرارهم بالشهادتين والاتيان بالصلاة والصوم والحج *

(قال رحمه الله) واجتمعت الامة على كفر بنى عبيد القداح مع انهم يتكلمون بالشهادتين ويصلون ويبنون المساجد فى قاهرة مصر وغيرها *

(وذكر ابن الجوزى) انه صنف كتابا فى وجوب غزوهم وقتالهم سماه النصر على مصر قال وهذا يعرفه من له أدنى المام بشئ من العلم والدين فتشبيه عباد القبور بانهم يصلون ويصومون ويؤمنون بالبعث مجرد تعمية على العوام وتلبيس لينفق شركهم ويقال باسلامهم وايمانهم ويأبى الله ذلك ورسوله والمؤمنون *

﴿ وأما مسائل القدر والجبر ﴾ والارجاء والامامة والتشيع ونحو ذلك من المقالات والنحل فهو أيضا فيها على ماكان عليه السلف الصالح وأئمة الهدى والدين يبرأ مما قالته القدرية النفاة والقدرية المجبره وما قالته المرجئة والرافضة وما عليه غلاة الشيعة والناصبة . يوالى جميع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ويكف عما شجر بينهم ويرى انهم أحق الناس بالعفو عما يصدر منهم وأقرب الخلق الى مغفرة الله واحسانه لفضائلهم وسوابقهم وجهادهم وماجرى على ايديهم من فتح القلوب بالعلم النافع والعمل الصالح وفتح البلاد ومحو آثار الشرك وعبادة الاوثان والنيران والاصنام والكواكب ونحو ذلك مما عبده جهال الانام . ويرى البراءة مما عليه الرافضة وانهم سفهاء لئام ويرى ان أفضل الامة بعد نبيها أبو بكر فعمر فعثمان فعلى رضى الله تعالى عنهم أجمعين ويعتقد ان القرآن الذى نزل به الروح الامين على قلب سيد المرسلين وخاتم النبيين كلام الله

غير مخلوق منه بدا واليه يعود ويبرأ من رأى الجهمية القائلين بخلق القرآن . ويحكي تكفيرهم عن جمهور السلف أهل العلم والايمان ويبرأ من رأى الكلابية أتباع عبد الله بن سعيد ابن كلاب القائلين بان كلام الله هو المعنى القائم بنفس الباري وان مانزل به جبريل حكاية أو عبارة عن المعنى النفسى ويقول هـذا من قول الجهمية . وأول من قسم هذا التقسيم هو ابن كلاب وأخذ عنه الاشعري وغيره كالقلانسى ويخالف الجهمية فى كل ماقالوه وابتدعوه فى دين الله . ولا يرى ما ابتدعه الصوفية من البدع والطرائق المخالفة لهدى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وسنته في العبادات والخلوات والاذكار المخالفة للمشروع . ولا يرى ترك السنن والاخبار النبوية لرأي فقيه . ومذهب عالم خالف ذلك باجتهاده بل السنة أجل في صدره وأعظم عنده من ان تترك لقول أحد كائنا من كان . قال عمر بن عبد العزيز لا رأى لاحد مع سنة سنها رسول الله صلى الله عليه وسلم . نعم عند الضروة وعـدم الاهليـة والمعرفة بالسنن والاخبار وقواعـد الاستنباط والاستظهار يصار الى التقليد لا مطلقا بل فيما يتعسر ويخفى . ولا يرى ايجاب ماقاله المجتهد الا بدليل تقوم به الحجة من الـكتاب والسنة . خلافا لغلاة المقلدين ويوالي الائمة الاربعة ويرى فضلهم وامامتهم وانهم من الفضل والفضائل في غاية ورتبة يقصر عنها المتطاول . ويوالى كافة أهل الاسلام وعلماءهم من أهل الحديث والفقه والتفسير وأهل الزهد والعبادة . ويرى المنع من الانفراد عن ائمة الدين من السلف الماضين برأي مبتدع أو قول مخترع . فلا يحـدث فى الدين ماليس له أصل يتبع وما ليس من أقوال أهل العلم والاثر ويؤمن بما نطق به الـكتاب وصحت به الاخبار وجاء الوعيد عليه من تحريم دماء المسلمين وأموالهم واعراضهم ولا يبيح من ذلك الا ما أباحه الشرع وأهدره الرسول ومن نسب اليه خلاف هـذا فقد كذب وافترى وقال ماليس له به علم وسيجزيه الله ماوعد به امثاله من المفترين *

وابدى رحمـه الله تعالى من التقارير المفيده * والابحاث من الفريده على كلمـة الاخلاص والتوحيـد . شهادة ان لا اله الا الله ما دل عليـه الـكتاب المصدق . والاجماع المستبين المحقق . من نفى استحقاق العبادة والالهيـة عما سوى الله واثبات ذلك لله سبحانه على وجه الـكمال المنافى لـكليات الشرك وجزئياته . وان هذا هو معناها وضعا ومطابقة خلافا لمن زعم غير ذلك من المتكلمين . كمن يفسر ذلك بالقدرة على الاختراع أو بانه تعالى غني عما

سواه . مفتقر اليه ماعداه . فان هـذا لازم المعنى . اذ الاله الحق لا يكون الا قادرا غنيا عما سواه . واما كون هذا هو المعنى المقصود بالوضع فليس كذلك . والمتكلمون خفي عليهم هذا وظنوا ان تحقيق توحيد الربوبية والقدرة هو الغاية المقصودة . والفناء فيه هو تحقيق التوحيد . وليس الامر كذلك بل هـذا لا يكفى فى الايمان وأصل الاسلام الا اذا اضيف اليه واقترن به توحيد الالهية . وافراد الله بالعبادة والحب والخضوع والتعظيم والانابة والتوكل والخوف والرجاء وطاعة الله وطاعة رسوله *

هذا أصل الاسلام وقاعدته . والتوحيد الاول توحيد الربوبية والقدرة . والخلق والايجاد هو الذي بنى عليه توحيـد العمل والارادة وهو دليـله الاكبر . وأصله الاعظم . كما قال تعالى والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم) . الى آخر الآيات . قال العلامة ابن القيم رحمه الله *

﴿ ان كان ربك واحـدا سبحانه * فاخصصه بالتوحيد مع احسان ﴾
﴿ أو كان ربك واحدا انشاك لم * يشركه اذا نشاك رب ثان ﴾
﴿ فـكذاك أيضا وحده فاعبده لا * تعبـد سواه يا أخا العرفان ﴾

وهذه الجمل منقولة عن السلف والائمة من المفسرين وغيرهم من أهل اللغة اجمالا وتفصيلا *

﴿ وقد قرر رحمه الله ﴾ على شهادة ان محمدا رسول الله من بيان ماتستلزمه هذه الشهادة وتستدعيـه وتقتضيه من تجريد المتابعـة والقيام بالحقوق النبوية من الحب والتوقير والنصرة والمتابعة والطاعة وتقديم سنته صلى الله عليه وسلم على كل سنة وقول والوقوف معها حيث ما وقفت . والانتهاء حيث انتهت في أصول الدين وفروعه . باطنه وظاهره . خفيه وجليه . كليه وجزئيه . ماظهر به فضله . وتأكد علمه ونبله . وانه سباق غايات . وصاحب آيات لا يشق غباره . ولاتدرك فى البحث والافادة آثاره . وان اعداءه ومنازعيه وخصومه في الفضل . وشانيه يصدق عليهم المثل السائر بين أهل المحابر والدفاتر *

﴿ حسدوا الفتى اذ لم ينالوا سعيه * فالناس اعداء له وخصوم ﴾
﴿ كضرائر الحسـناء قلن لوجهها * حسدا وبغيا انه لدميم ﴾

﴿ وله رحمه الله ﴾ من المناقب والمآثر . ما لا يخفى على أهل الفضائل والبصائر ومما اختصه الله

به من الكرامه تسلط اعداء الدين وخصوم عباد الله المؤمنين على مسبته والتعرض لبهته وعيبه * قال الشافعي رحمه الله تعالى ما أرى الناس ابتلو بشتم أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الا ليزيدهم الله بذلك ثوابا عند انقطاع أعمالهم. وأفضل الامة بعد نبيها أبو بكر وعمر. وقد ابتليا من طعن أهل الجهالة والسفاهة بما لايخفى وما حكيناه عن الشيخ حكاه أهل المقالات عن أهل السنة والجماعة مجملا ومفصلا قال وهذه عبارة أبي الحسن الاشعرى فى كتابه مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين قال أبو الحسن الاشعري *

جملة ما عليه اصحاب الحديث واهل السنة الاقرار بالله وملائكته وكتبه ورسله وما جاء من عند الله وما رواه الثقات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لايردون من ذلك شيئا . والله تعالى الهواحد فرد صمد . لم يتخذ صاحبة ولا ولدا . وان محمدا عبده ورسوله . وان الجنة حق وان النار حق. وان الساعة آتية لاريب فيها وان الله يبعث من فى القبور . وان الله تعالى على عرشه كما قال الرحمن على العرش استوى . وان له يدين بلا كيف كما قال لما خلقت بيدي . وكما قال بل يداه مبسوطتان . وان له عينين بلا كيف وان له وجها جل ذكره كما قال تعالى (ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام) وان اسماء الله تعالى لايقال انها غير الله كما قالت المعتزلة والخوارج . واقروا ان لله علما . كما قال انزله بعلمه . وكما قال (وما تحمل من انثي ولا تضع الا بعلمه) واثبتوا السمع والبصر ولم ينفوا ذلك كما نفته المعتزلة . واثبتوا لله القوة كما قال(اولم يروا ان الله الذى خلقهم هو اشد منهم قوة) وقالوا انه لايكون في الارض من خير ولا شر الا ماشاء الله وان الاشياء تكون بمشيئة الله تعالى كما قال وما تشاؤن الا ان يشاء الله . وكما قال المسلمون ماشاء الله كان ومالم يشأ لم يكن .وقالوا ان احدا لايستطيع ان يفعل شيئا قبل ان يفعله. اويكون احد يقدر على ان يخرج عن علم الله . وان يفعل شيئا علم الله انه لايفعله واقروا انه لا خالق الا الله . وان اعمال العباد يخلقها الله وان العباد لايقدرون ان يخلقوا شيئا وان الله تعالى وفق المؤمنين لطاعته . وخذل الكافرين بمعصيته . ولطف للمؤمنين ونظر لهم واصلحهم وهداهم ولم يلطف للكافرين ولا اصلحهم ولا هداهم . ولو اصلحهم لكانوا صالحين. ولو هداهم لكانوا مهتدين . وان الله تعالى يقدر ان يصلح الكافرين ويلطف لهم حتى يكونوا مؤمنين ولكنه اراد ان يكونوا كافرين كما علم وخذلهم واضلهم وطبع على قلوبهم . وان الخير والشر

بقضاء الله وقدره . ويؤمنون بقضاء الله وقدره خيره وشره حلوه ومره . ويؤمنون انهم لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا الا ماشاء الله كما قال . ويلجؤن امرهم الى الله ويثبتون الحاجة الى الله فى كل وقت والفقر الى الله فى كل حال . ويقولون ان القرآن كلام الله غير مخلوق والكلام فى الوقف واللفظ . من قال باللفظ او بالوقف فهو مبتدع عندهم . لا يقال اللفظ بالقرآن مخلوق ولا يقال غير مخلوق . ويقولون ان الله تعالى يرى بالابصار يوم القيامة كما يرى القمر ليلة البدر . ويراه المؤمنون ولا يراه الكافرون لانهم عن الله محجوبون . قال الله تعالى (كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون . وان موسى سأل الله سبحانه الرؤية فى الدنيا وان الله تعالى تجلى للجبل فجعله دكا فاعلمه بذلك انه لا يراه فى الدنيا بل يراه فى الآخرة . ولم يكفروا أحدا من أهل القبلة بذنب يرتكبه كنحو الزنا والسرقة وما أشبه ذلك من الكبائر . وهم بمامعهم من الايمان مؤمنون وان ارتكبوا الكبائر . والايمان عندهم هو الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله وبالقدر خيره وشره . وحلوه ومره . وان ما أخطأهم لم يكن ليصيبهم وان ما أصابهم لم يكن ليخطيهم . والاسلام هو ان يشهد ان لا اله الا الله على ما جاء في الحديث . والاسلام عندهم غير الايمان . ويقرون بان الله مقلب القلوب . ويقرون بشفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وانها لاهل الكبائر من أمته وبعذاب القبر وان الحوض حق . والمحاسبة من الله للعباد حق والوقوف بين يدي الله حق . ويقرون بان الايمان قول وعمل يزيد وينقص . ولا يقولون مخلوق ولا غير مخلوق . ويقولون أسماء الله هى الله . ولا يشهدون على أحد من أهل الكبائر بالنار ولا يحكمون بالجنة لاحد من الموحدين حتى يكون الله تعالى نزلهم حيث شاء . ويقولون أمرهم الى الله ان شاء عذبهم وان شاء غفر لهم ويؤمنون بان الله تعالى يخرج قوما من الموحدين من النار على ما جاءت به الروايات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . وينكرون الجدل والمراء فى الدين والخصومة في القدر والمناظرة فيما يتناظر فيه أهل الجدل ويتنازعون فيه من ربهم بالتسليم للروايات الصحيحة ولما جاءت به الآثار التى رواها الثقات عدلا عن عدل حتى ينتهى ذلك الى رسول صلى الله عليه وسلم ولا يقولون كيف ولا لم لان ذلك بدعة . ويقولون ان الله لم يأمر بالشر بل نهى عنه وأمر بالخير ولم يرض بالشر وان كان مريدا له . ويعرف حق السلف الذين اختارهم الله تعالى لصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم ويأخذون بفضائلهم

ويسكون عما شجر بينهم صغيرهم وكبيرهم • ويقدمون أبا بكر ثم عمر ثم عثمان ثم عليا رضى الله تعالى عنهم • ويقرون انهم الخلفاء الراشدون المهديون وانهم افضل الناس كلهم بعد النبي صلى الله عليه وسلم • ويصدقون بالاحاديث التي جاءت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ينزل الى سماء الدنيا فيقول هل من مستغفر كما جاء في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . ويأخذون بالكتاب والسنة كما قال الله تعالى (فان تنازعتم فى شيء فردوه الى الله ورسوله) ويرون اتباع من سلف من أئمة الدين • وان لا يبتدعوا فى دينهم ما لم يأذن به الله ويقرون ان الله تعالى يجيء يوم القيمة كما قال • (وجاء ربك والملك صفا صفا) وان الله تعالى يقرب من خلقه كيف يشاء كما تعالى (ونحن أقرب اليه من حبل الوريد) ويرون العيد والجمعة والجماعة خلف كل امام بر وفاجر ويثبتون المسح على الخفين سنة ويرونه فى الحضر والسفر . ويثبتون فرض الجهاد للمشركين منذ بعث الله نبيه صلى الله عليه وسلم الى آخر عصابة تقابل الدجال وبعد ذلك يرون الدعاء لائمة المسلمين بالصلاح وان لا يخرج عليهم بالسيف وان لا يقاتلوا فى الفتنة • ويصدقون بخروج الدجال وان عيسى ابن مريم يقتله • ويؤمنون بمنكر ونكير والمعراج والرؤيا فى المنام . وان الدعاء لموتى المسلمين والصدقة عنهم بعد موتهم تصل اليهم ويصدقون بان في الدنيا سحرة وان الساحر كافر كما قال الله تعالى • وان السحر كائن موجود فى الدنيا • ويرون الصلاة على كل من مات من أهل القبلة مؤمنهم وفاجرهم . ويقرون ان الجنة والنار مخلوقتان • وان من مات مات باجله • وكذلك من قتل قتل باجله . وان الارزاق من قبل الله تعالى يرزقها عباده حلالا كانت او حراما . وان الشيطان يوسوس للانسان ويشككه ويخبطه • وان الصالحين قد يجوز ان يخصهم الله تعالى بايات تظهر عليهم وان السنة لا تنسخ القرآن • وان الاطفال امرهم الى الله ان شاء عذبهم وان شاء فعل بهم ما اراد • وان الله عالم ما العباد عاملون وكتب ان ذلك يكون وان الامور بيد الله تعالى ويرون الصبر على حكم الله تعالى والأخذ بما امر الله به والانتهاء عما نهى الله عنه • واخلاص العمل والنصيحة لجماعة المسلمين . واجتناب الكبائر والزنا وقول الزور والمعصية والفخر والكبر والازراء على الناس والعجب • ويرون مجانبة كل داع الى بدعة والتشاغل بقراءة القرآن وكتابة الاثار والنظر في الفقه مع التواضع والاستكانة وحسن الخلق وبذل المعروف وكف الاذى وترك الغيبة والنميمة والسعاية وتفقد المأكل والمشرب

فهذه جملة مايأمرون به ويستعجلونه ويرونه . وبكل ماذكرنا من قولهم نقول واليه نذهب وما توفيقنا الا بالله . وهو حسبنا ونعم الوكيل انتهى*

هذا مايعتقده اهل نجد ومن يوافقهم فكيف يقال انهم مبتدعون ولـكن الامر كما قيل

* ومن يك ذا فم مر مريض * يجد مرا به الماء الزلال *

وهـذا النبهانى الجاهل من اشد الناس عداوة للذين آمنوا ولذلك يرميهم بكل منكر واذا ذكر اخوانه المبتدعة ذكرهم بكل تعظيم . ثم ان الشيخ عبد اللطيف لما ذكر في منهاجه معتقد جده واتباعه ذكر طرفا من حال هذا المبتدع واخوانه وعقد فصلا لذلك فقال .

* ونذكر لك * طرفا من معتقد عباد القبور والصالحين وحقيقة ماهم عليه من الدين ليعلم الواقف عليه اى الفريقين احق بالامن ان كان الواقف ممن اختصه الله تعالى بالفضل والمن . ولئلا يلتبس الامر بتسميتهم لـكفرهم ومحالهم تشفعا وتوسلا واستظهارا مع مافي التسمية من الهلاك المتناهى عند من عقل الحقائق من ذلك محبتهم مع الله محبة تأله وخضوع ورجاء ودعاء وهم مع الله في المهمات والملمات والحوادث التى لايكشفها ولا يجيب الدعاء فيها الا فاطر الارض والسموات والعكوف حول اجداثهم وتقبيل اعتابهم والتمسح بآثارهم طلبا للغوث واستجابة لدعوات واظهار الفاقة وابداء الفقر والضراعة واستنزال الغيوث والامطار وطلب السلامة من شدائد البر والبحار . وسؤالهم تزويجهم الارامل والايامى . واللطف بالضعفاء واليتامى والاعتماد عليهم في المطالب العالية وتأهيلهم لمغفرة الذنوب والنجاة من الهاويه واعطاء تلك المراتب الساميه . وجماهيرهم لما الفت ذلك طباعهم وفسدت به فطرهم وعز عنه امتناعهم لا يكاد يخطر ببال احدهم مايخطر ببال آحاد المسلمين من قصد الله تعالى والانابة اليه بل ليس لذلك عندهم الا الولى الفلانى ومشهد الشيخ فلان حتى جعلوا الذهاب الى المشاهد عوضا عن الخروج للاستقاء والانابة الى الله فى كشف الشدائد والبلوى كل هذا رأيناه وسمعناه عنهم قال وقد حدث الشيخ مصطفى البولاقي ان بعض رؤساء الجامع الازهر عاده لما اشتكى عينيه وقال له هلا ذهبت الى مولد الشيخ احمد البدوى فقد حكى ان انسانا شكا اليه ذهاب بصره فسمع قائلا يقول من الضريح اعطوه عين كذا وكذا فانظر الى ماخطر ببال هذا المتكلم من تعظيم هذا الميت وتأهيله لتلك المطالب التى لايقدر عليها الا الله القاهر الغالب وقصد الوساطة

هنا على ما فيها ما اظنها تخطر بباله اصلا فهل سمعت عن جاهلية العرب مثل هذه الغرائب التى ينتهى عندها العجب والكلام مع زكي القلب يقظ الذهن قوى الهمة العارف بالحقائق. ومن لا ترضى نفسه بحضيض التقليد فى أصول الديانات والتوحيد. واما ميت القلب. بليد الذهن وضيع النفس جامد القريحة . ومن لا تفارق همته التشبث باذيال التقليد والتعلق على ما يحكى عن فلان وفلان فى معتقد اهل المقابر والتنديد. فذاك فاسد الفطرة معتل المزاج. وخطابه محض عناء ولجاج. ﴿قال﴾ ومما بلغنا عن بعض علماء زبيد ان رجلين قصدا الطائف فقال احدهما لصاحبه والمسئول ممن يترشح للعلم. اهل الطائف لا يعرفون الله انما يعرفون ابن عباس فاجابه بان معرفتهم لابن عباس كافية لانه يعرف الله فاى ملة صان الله ملة الاسلام لا تمانع هذه الكفريات ولا تدافعها . وذكر الزبيدى أيضا ان رجلا كان بمكة عند بعض المشاهد قال لمن عنده أريد الذهاب الى الطواف . فقال بعض غلاتهم مقامك ههنا اكرم ومن وقف على كتاب مناقب الاربعة المعبودين بمصر . وهم البدوى والرفاعي والدسوقي ورابعهم فيما أظن أبو العلاء . فقد وقف على ساحل كفرهم . وعرف صفة افكهم . وبلغنا عن بعض الثقات . ان جماعة من المدعين للعلم بزبيد كانوا يقرؤن صحيح البخارى فاذا فرغوا منه . اما احيانا أو مطلقا ذهبوا الى قبر الجبيرتي أو غيره فوقفوا عاكفين ما شاء الله وعليهم السكينة والوقار وضرب من الخضوع لنازل الحفرة . قال من نقله فالله أعلم * أهو شيء وجدوه فى صحيح البخارى أو غيره أوما هو . قال ورأيت في حاشية الشيخ ابراهيم البيجورى على السنوسية نقلا عن الدردير فيما أظن عن الشعرانى ان الله وكل بقبر كل ولى ملكا يقضى حاجة من سأل ذلك الولى *

فقف هنا وانظر ما آل اليه شركهم وأفكهم فاين هذا من قوله تعالى (واذا سألك عبادي عني فاني قريب أجيب دعوة الداعى اذا دعاني) وقوله (ادعوا ربكم تضرعا وخفية) . وقوله (فاذا فرغت فانصب والى ربك فارغب) . وقوله تعالى (أم من يجيب المضطر اذا دعاه) . وقوله تعالى (وقال ربكم ادعونى استجب لكم) الآية *

﴿ واي حجة ﴾ في هذا الذي قال الشعرانى لو كانوا يعلمون ولكن القوم أصابهم داء الامم قبلهم فنبذوا كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون واتبعوا ما تتلوا الشياطين *

ومن هذا الجنس ما ذكره الشعراني فى ترجمة الملقب شمس الدين الحنفى انه قال فى مرض

موته من كانت له حاجة فليأت قبري ويطلب ان اقضيها له فانما بيني وبينه ذراع من تراب وكل رجل يحجبه عن اصحابه ذراع من تراب فليس برجل انتهى *

وقد اجتمع جماعة من الموحدين من أهل الاسلام في بيت رجل من أهل مصر وبقربه رجل يدعى العلم فارسل اليه صاحب البيت فسأله بمجمع من الحاضرين فقال له كم يتصرف في الكون قال ياسيدي سبعة . قال من هم قال فلان وفلان وعد أربعة من المعبودين بمصر . فقال صاحب الدار لمن بحضرته من الموحدين انما بعثت لهذا الرجل وسألته لاعرفكم قدر ما أنتم فيه من نعمة الاسلام أو كلاما نحو هذا وباب تصرف المشائخ والاولياء قد اتسع حتى سلكه جمهور من يدعى الاسلام من أهل البسيطة وخرقه قد هلك في بحاره اكثر من سكن الغبراء واظلته المحيطه حتى نسى القصد الاول من التشفع والوساطة * فلا يعرج عليه عندهم الا من نسى عهود الحمى وقد ذكر هذا شيخ الاسلام في منهاجه عن غلاة الرافضة في علي فعاد الامر الى الشرك في توحيد الربوبية والتدبير والتأثير ولم يبلغ شرك الجاهلية الاولى الى هذه الغاية بل ذكر الله جل ذكره انهم يعترفون له بتوحيد الربوبية ويقرون به ولذلك احتج عليهم في غير موضع من كتابه بما أقروا به من الربوبية والتدبير على ما انكروه من الالهية *

ومن ذلك وهو من عجيب أمرهم ما ذكره حسين بن محمد النعمى اليمنى في بعض رسائله ان امرأة كف بصرها فنادت وليها اما الله فقد صنع ما ترى ولم يبق الا حسبك انتهى

وحدثني سعد بن عبدالله بن سرور الهاشمي رحمه الله ان بعض المغاربة قدموا مصر يريدون الحج فذهبوا الي الضريح المنسوب الى الحسين رضي الله عنه بالقاهرة فاستقبلوا القبر واحرموا ووقفوا وركعوا وسجدوا لصاحب القبر حتى انكر عليهم سدنة المشهد وبعض الحاضرين فقالوا هـذا محبة في سيدنا الحسين رضى الله تعالى عنه . وذكر بعض المؤلفين من أهل اليمن ان مثل هذا وقع عندهم . وقد حدثني الشيخ خليل الرشيدى بالجامع الازهر ان بعض اعيان المدرسين هناك قال لايدق وتد في القاهرة الا باذن السيد احمد البدوى قال فقلت له هـذا لايكون الا لله او كلا ما نحو هذا فقال حبي في سيدى احمد البدوى اقتضى هذا *

﴿ وحكى ﴾ ان رجلا سأل الآخر كيف رأيت الجمع عند زيارة الشيخ الفلاني فقال لم ارا كثر منه الا في جبال عرفات الا اني لم ارهم سجدوا لله سجدة قط ولا صلوا مدة الثلاثة أيام فقال

السائل قد تحملها الشيخ . قال بعض الافاضل وباب تحمل الشيخ مصراعاه مابين بصرى وعدن قد اتسع خرقه . وتتابع فتقه . ونال رشاش زتومه الزائر والمعتقد وسا كن البلد انتهى *

﴿ وقد اشتهر ﴾ مايقع من السجود على اعتاب المشهد وقصد التبرك مع مافيه لايمنع حقيقة العبادة الصورية . ومن المعروف عنهم شراء الولدان من الولي بشيء معين يبقى رسما جاريا يؤدى كل عام وان كانت امرأة فمهرها او نصف مهرها لانها مشتراة منه ولا يمانع هذا الا مكابر لانه استفاض واشتهر فلا ينكره الا مكابر في الحسيات . وان فقد بعض أنواعه في بعض البلاد فكم له من نظائر . وهذا اشد واشنع مما ذكر جل ذكره عن جاهلية العرب بقوله (وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا) الآية . وكذلك جعل السوائب باسم الولى لا يحمل عليها ولا تذبح . وسوق الهدايا والقرابين الى مشاهد الاولياء وذبحها حبا للشيخ وتقربا اليه . وهذا وان ذكر اسم الله عليه فهو اشد تحريما مما ذبح للحم وذكر عليه اسم غير الله كعيسى مثلا فان الشرك في العبادة اكبر من الشرك بالاستعانة . ومن ذلك ترك الاشجار والكلأ والعشب اذا كان بقرب المشهد وجعله من ماله

﴿ ومنها الحج الى المشاهد ﴾ فى اوقات مخصوصة مضاهاة لبيت الله فيطوفون حول الضريح ويستغيثون ويهدون لصاحب القبر ويذبحون وبعض مشائخهم يأمر الزائر بحلق رأسه اذا فرغ من الزيارة كما يفعلون فى بيت الله الحرام بعد الآداء وقد صنف بعض غلاتهم كتابا سماه حج المشاهد وهو متداول .

ومنها التعريف فى بعض البلاد عند من يعتقدونه من أهل القبور فيصلون عشية عرفة عند القبر خاضعين سائلين .

والعراق فيه من ذلك الحظ الاكبر . والنصيب الاوفى الاوفر . بل فيه البحر الذى لاساحل له . والمهامة التى لا ينجو سالكها ولا يكاد . ومن نحوه عرف الكفر وظهر الشرك والفساد كما يعرف ذلك من له المام بالتواريخ ومبدأ الحوادث فى الدين *

﴿ ومن شاهد ﴾ ما يقع منهم عند مشهد الحسين ومشهد على والكاظم عند رافضتهم . وعبد القادر والحسن البصرى والزبير وامثالهم عند سنتهم من العبادات وطلب العطايا والمواهب والتصرفات وانواع الموبقات علم أنهم من اجهل الخلق واضلهم وانهم في غاية من الكفر والشرك

ماوصل اليها من قبلهم ممن ينتسب الى الاسلام والله المسؤل ان ينصر دينه ويعلي كلمته بمحو هذه الاوثان حتى يعبد وحده فتسلم الوجوه له وتعود البيضاء كما كانت ليلها كنهارها *

(ومن ذلك) وان كان يعلم مما تقدم اتخاذها أعياداً ومواسم مضاهاة لما شرعه الله ورسوله من الاعياد المكانية والزمانية *

(ومنها) ما يقع ويجرى فى هذه الاجتماعات من الفجور والفواحش وترك الصلوات وفعل الخلاعات التي هى فى الحقيقة خلع لربقة الدين والتكليف ومشابهته لما يقع فى اعياد النصارى والصائبة والافرنج ببلاد فرانسا وغيرها من الفجور والطبول والزمور والخمور وبالجملة فما احدثه عباد القبور يعز حصره اواستيفاؤه انتهى كلام الفاضل الشيخ عبد اللطيف فى منهاجه *

(فياأيها النبهانى) الغافل هذا حال اخوانك ومن هو على شاكلتك ثم انك لم ترض بهذه المصائب والمثالب والمعائب حتى زدت فى الطنبور نغمه وذلك اعتقادك ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم موجود فى كل مكان وزمان ونظمت قصيدة من شعرك الركيك الفاسد فى ذلك ثم مع ذلك تدعى إنك محب لرسول الله صلى الله عليه وسلم كلا ثم كلا وقد ارسله الله تعالى لمحق الشرك وازالة الضلال وأنت بجهلك تريد تبديل الاحوال يريدون ان يطفؤا نور الله بافواههم ويأبى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون فمن المبتدع أمن يحافظ على السنة النبوية ويذب عنها من يحاول نقصها فى كل كلية وجزئية أم أمثالك الذين يدعون مع الله الها آخر ويطعنون على أخيار الامة وهداة المسلمين ويذبوا عن البدع وأهل الاهواء ويحكم بغير ما أنزل الله ويقدم المواد القانونية. على الآيات القرآنية والاحاديث النبوية. افلا يستحى من هذه بعض اوصافه ان يثلب أهل الايمان. وحملة القرآن. وحفاظ سنة سيد ولد عدنان. ولكن الامر كما ورد فى الحديث الصحيح ان مما ادرك الناس من كلام النبوة الاولى (اذا لم تستح فاصنع ماشئت) ولهذا النبهاني عدة قصائد فى الاستغاثة والالتجاء الى غير الله وهي مطبوعة مشهورة ولولا ان يدنس القلم ذكرها لذكرتها فانها تؤيد ماذكره الشيخ عبد اللطيف رحمه الله عنهم. وها أنا اذكر شعر بعض الغلاة المشتمل على مالهم من الغلو فى القبور والمشاهد من ذلك قول بعض العراقيين

سبوح سرت ليلا فسبحان من اسرى ... نبا من نبات الماء للكوفة الغرا
تروم باكناف الغري لها وكرا ... تمد جناحا من قوادمه الصبا

كساها الاسى ثوب الحداد ومن حلى تجملها بالصبر لاعجها اعرى
جرت تجرى كل الى خير موقف يقول لعينيه قفا نبك من ذكرى
وكم غمرة خضنا اليه وانما يخوض عباب البحر من يطلب الدرا
نؤم ضريحا ماالضراح وان علا بارفع منه لا وساكنه قدرا
حوى المرتضى سيف القضا اسد الشرى علىّ الذرى بل زوج فاطمة الزهرا
مقام على كرم الله وجهه مقام على رد عين العلى حسرى
اثير مع الافلاك خالف دوره فمن فوقه الغبرا ومن تحته الخضرا
احطنا به وهو المحيط حقيقة بنا فتعالى ان نحيط به خبرا
تطوف من الاملاك طائفة به فتسجد فى محراب جامه شكرا
وحزب من العالين يهتف بالثنا عليه بوحى كدت اسمعه جهرا
جدير بان يأوى الحجيج لبابه ويلمس من اركان كعبته الجدرا
حرى بتقسيم الفيوض وما سوى ابى الحسنين الاحسنين بها احرا
ثرى منه بالدنيا الثراء لمترب وللمذنب الجاني الشفاعة فى الاخرى
باهداب اجفان واحداق أعين وحر وجوه عفرتها يد الغبرا
امطنا القذى عن جفن سيف مذكر اجل سيوف الله اشهرها ذكرا
فو الله ما ندرى وقد سطع السنا جلونا قرابا ام جلينا له قبرا

وجاء من العراقيين من خمس هذه الابيات فقال

سرينا لنمحوا الاثم أو نغنم الاجرا لزورة من تمحو زيارته الوزرا
وسارت وقد ارخى علينا الدجى سترا نبا من نبات الماء للكوفة الغرا
سبوح سرت ليلا فسبحان من اسرى

تخيرتها دون السفائن مركبا واعددتها للسير شرقا ومغربا
فكانت كمثل الطير ان رمت مطلبا تمد جناحا من قوادمه الصبا
تروم باكناف الغرى لها وكرا

وكانت تجلى قبل هذا تجملا وقد غذيت فيما امر الذى حلا

اظن على فقد الشهيد بكر بلا   كساها الاسى ثوب الحداد ومن حلى
تجملها بالصبر لاعجها اعرى

الى موقف سرنا بغير توقف   يزيد بكائى عنده بتلهف
ولما تجارينا بفلك ومدنف   جرت فجرى كل الى خير موقف
يقول لعينيه قفا نبك من ذكرى

ترامت بنا فلك فيالنعم مرتمى   الى درة الفخر التى لن تقوما
نخضنا اليه البحر والبحر قد طما   وكم غمرة خضنا اليه وانما
يخوض عباب البحر من يطلب الدرا

الى مرقد يعلو السماكين منزلا   وقدنال مانال الضراح من العلى
نسير ولا نلوى على السير معدلا   نؤم ضريحا ماالضراح وان علا
بارفع منه لاو ساكنه قدرا

فزوج ابنة المختار كان غضنفرا   علا وارتضته الطهر من سائر الورى
اتعرف من هذا الذى طال مفخرا   حوى المرتضى سيف القضا اسد الشرى
على الذرى بل زوج فاطمة الزهرا

عيون الورى ان لاحظت منه كنهه   ترد عن التشبيه حسري فينتهوا
وان مقاما لا ترى العين شبهه   مقام على كرم الله وجهه
مقام على رد عين العلى حسرى

لقد صير الغبراء خضراء قبره   واشرق فيها في الحقيقة بدره
وقد وافق الاعجاز لله دره   اثير مع الافلاك خالف دوره
فمن فوقه الغبرا ومن تحته الخضرا

احاط بنا علما فليت سليقة   تفيد علوما عن علاه دقيقة
مجازا وقد جزنا اليه طريقة   احطنا به وهو المحيط حقيقة
نبا فتعالى ان نحيط به خبرا

فطف في مقام حل فيه ولبه   تر العالم الاعلى حفيفا بتربه

فكالمسجد الاقصى واي تشبه . ثطوف من الاملاك طائفة به
فتسجد في محراب جامعه شكرا

فاثنى عليه من علا مثل من دنا وكل بما أثنى أجاد وأحسنا
فحزب من الدانين اذ ذاك اعلنا وحزب من العالين يهتف بالثنا
عليه بوحي كدت اسمعه جهرا

حججنا الى بيت علا بجنابه عشية آوينا الى باب غابه
ومن قد سمت اركان كعبتنا به جديد بان يأوى الحجيج لبابه
ويلمس من اركان كعبته الجدرا

فيوض علوم الله من قدم حوى فقسم منها ما افاد وما احتوى
ومن قبل مايثوى ومن بعد ماسوى حرى بتقسيم الفيوض وما سوى
أبي الحسنين الا حسنين بها احرى

ظللنا وكم جان لديه ومذنب وذي حاجة منا وصاحب مطلب
نقبل والاجفان تهمى بصيب . ثرى منه في الدنيا الثراء لمترب
وللمذنب الجانى الشفاعة فى الاخرى

خدمنا أمير المؤمنين بموطن نعفر فيه الوجه قصد تيمن
ويخدم قبر المرتضى كل مؤمن باهداب اجفان واحداق اعين
وحر وجوه عفرتها يد الغبرا

ازلنا غبارا كان فى قبر حيدر فلاح كغمد المشرفي المشهر
ولا غروفى ذاك المكان المطهر امطنا القذى عن جفن سيف مذكر
اجل سيوف الله اشهرها ذكرا

تبدى سنى أنواره وتبينا . غداة جلونا قبره فتزينا
فحير افهاما وابهر أعينا فوالله ما ندري وقد سطع السنا
جلونا قرابا ام جلينا له قبرا

وقال صاحب الاصل وقد خمسها آخر من شعراء العراق أيضا

شمخت رفعة وعزت منالا　　واستطالت فخامة وجلالا
واستخفت من الجبال الثقالا　　قبة المرتضى على تعالى
شأنها عن موازن وعديل

بزغت فى الدجى كبدر منير　　وتبدت تزهو بحسن نضير
فهى اكسير كل قلب كسير　　من نضار صيغت بغير نظير
فى مثال منزه عن مثيل

قد صفا كالمرآة منها صقال　　فبدا للنجوم فيها مثال
فلك لايحيط فيه خيال　　فوقها كالا كليل لاح هلال
رمقته السهى بطرف كليل

ملأت قبة العوالم بالضو　　واستقلت بنفسها فى درى الجو
بعلى علت فما ضرها لو　　كبرت فاستقلت الفلك الدو
وارعنها بان يرى ببديل

حل فيها نور الهدى فتحلت　　ودنت فوق قبره فتـدلت
ملئت هيبة فعزت وجلت　　جللت مرقدا جليلا تجلت
فوقه هيبة المليك الجليل

سمكها سامت السماك مقاما　　حين ضمت ذاك الامام الهماما
ابدا شأو شأنها لن يسامى　　فعلى قبة السماء اذا ما
فضلوها اقول بالتفضيل

هي عين وللتجلي سجنجل　　كل ذات بعكسها تتمثل
وبمرآة فكر من يتخيل　　هي باء مقلوبة فوق تلك الـ
ـنقطة المستحيلة التاويل

دار مجد من بابها السعد يدخل　　دار فى صحنها الهدى في تسلسل
ـفى علاها مهما تشا ابدا قل　　هى فلك بل ما عليه استوى الفلـ
ـك ومن فوق لوحه من قبيل

كعبة نحوها قطعنا الفجاجا   بحماها قد آوت الحجاجا
ماترى عند بابها محتاجا   هى كهف النجاة طور المناجا
ة ثمال العفاة مأوى الدخيل

هى كنز لدرة الفخر موئل   قد حوت كل جوهر متفضل
ليس فيها لعارض الدهر معقل   هى حق للجوهر الخاص مالل
عرض العام عندها من مقيل

هى شمس الهدى لمن ضل دوما   مارأى من بها اهتدى قط لوما
كم هدت من غوى الجهالة قوما   هى ظل ماضل من قال يوما
بحماها من تحت ظل ظليل

صدف قد غلت بدر ثمين   وامام للمؤمنين مبين
كنزها قد حوى لخير دفين   هى غمد لذي فقار بطين
من سيوف الله العلى صقيل

حضرة فوقها الجلال تجلى   اجمة في عرينها الليث حلا
كيف تدنو الاسود منه محلا   هى غاب ثوى به أسد اللا
ه علىّ بصدر اشرف غيل

هو سيف القضا بايدى قدير   نصله ينتضى بيوم عسير
حيدر يضرم الوغى بسعير   ذاك ليث اردى العدى بزئير
وحسام أبادهم بصليل

هى روض ونعم مرعى ومنهل   لامير النحل الامام المفضل
دار فيها كأس الرحيق المسلسل   كورة لليعسوب مازج صرف الـ
شهد منها اطائب الزنجبيل

فلك دائر منير بشهب   نورها ظاهر بشرق وغرب
هونت فى تدبيرها كل صعب   كرة مستديرة فوق قطب
دبر الكائنات بالتعديل

صاغها الله من محاسن تعجب   وطلاها من نوره المتلهب
فهي اسنى سبيكة لمذهب   افرغتها يمنى المفاخر من تبـ
ـر المعالى فى قالب التبجيل

صبغة الله زينت بالتحلي   وعليها الاملاك للوحي تملي
مذ دنا الروح نحوها بالتدلي   صبغتها بالنور ايدى التجلي
بقدامى من خافقى جبرئيل

لا يحيط الخيال وقتا فوقتا   بحلاها ولا يخيل نعتا
جمعت ذاتها فضائل شتى   فغشاها النور الالهى حتى
بخيال جلت عن التخييل

احرزت من ازاهر الشرف الغض   واحاطت بالمجد فى الطول والعرض
كل فضل من فضلها يتبعض   قد حوى فصل بابها جمل الفضـ
ـل التى قد غنين عن تفصيل

جليت تزدهى بجسم صقيل   فهى زهراء مالها من مثيل
منذ زفت لخير مولى جليل   كعروس بدت بوجه جميل
تسبي شمس الضحى بخد اسيل

هي بدر الدجى بغير سرار   هي شمس ضاءت بغير استتار
زندها فى كلا الجديدين وار   هي فى الليل مثلها فى نهار
وبوقت الضحى كوقت الاصيل

نالت النيرات من ذاك نيلا   يستميل المحب للحب ميلا
فتهاوت منها تقبل زيلا   قابلتها البدور باللثم ليلا
وشموس النهار بالتقبيل

كسراج لنا تجلت مساء   فاستعارت منها الدراري سناء
زيتها التبر يستنير ضياء   صحنها كالقنديل يزهو صفاء
وهي تحكي زبالة القنديل

هل محب يحنو على ما اقاسى　　من غرام دك الجبال الرواسي
مالجرحي سواكما اليوم اسى　　ياخليلي والخليل المواسى
منكما من يحب نفع الخليل

بالغريين حاجة اقتضيها　　وبكو فان بلغة ارتجيها
فبحق الزهرا وحق بنيها　　عللانى بذكر من حل فيها
ان قلبي يطيب بالتعليل

ذو سجايا أصفى من الدر والور　　ومزايا لم نحصها بالتفكر
أخبرت عن نعوته الكتب الغر　　نعته بالزبور جاء وبالفر
قان بل بالتوراة والانجيل

هل أتى فى سواه بالذكر تملى　　آي وحي بها تسامي محلا
وصفه بالقرآن قد جاء يتلى　　الامام المبين أحصى به الله
جميع الاشياء فى التنزيل

صدره نسخة لما كان فى الكو　　ن قديما من خطها الناس املو
هو علم الكتاب فى علمه أو　　فهو اللوح بل وما خط فى اللو
ح لديه مقيد التسجيل

كم ثملنا منه بكاس روى　　فامطنا برشفها كل غى
ان ترم ان تفوز منها بري　　سل سبيلا لسلسبيل علىّ
فعلى ابن السبيل قصد السبيل

زره مهما أصابك الخطب منها　　تلق غيثا همى وبحرا خضما
فاجل فى راحه عن القلب مهما　　هو ساقى الحوض الذى ليس يظما
من حبته يداه بالتنويل

كم غليل روى بفيض مقيل　　ماروبناه عن فرات ونيل
كم أفاضت كفاه من سلسبيل　　هو ذات الشفا لكل عليل
وشفاء لذات كل غليل

صاغة الله من ندى وبراه وعلى فطرة السخا سواه
بحر جود ماللعفاة سواه عيلم كل قطرة من نداه
هى غيث لكل عام محيل

جئت أشكوا اليه بثي وحزنى حاش لله ان يخيب ظنى
نله من فضله قصارى التمنى عرض حال لاغر وان طال انى
لذت في جاهه العريض الطويل

غيث فضل يهمى بفيض غزير وغياث من كل أمر عسير
كيف أرضى منه بمن يسير طامع من نوالى بكثير
ما أنا منه قانع بقليل

كم عديم أحيا بجود عميم وهدى حائرا لنهج قويم
ولا عتابه بقلب سليم جئت مستهديا هدى من كريم
لست مستجديا جدى من بخيل

لجناحى اراش بعد تلافي بقدامى أفضاله والخوافى
قبره كعبة غدا للطوافى من ثراه لى ثروة وحذافى
ردعانى بهن أغنى معيل

كل من زار قبره أمن الهو ل وان كان ذنبه يملا الجو
ما ترانى وقد أحاط بى السو زرته والدموع تنهل والاو
زار تنهال عن كثيب مهيل

حبه بارز بدا من ضميري وعلينا فرض ولاء الامير
بولاه كم اغتنى من فقير ليس لى بعد حبه من نقير
يغن عنى شيئا ولا من فتيل

(وقال أيضا الشاعر العراقي)

حضرت الكاظمين منها المرايا قد حكت قلب صب أهل الطفوف
صبغتها يد التجلى بكف كبرت عن تشبيهها بالكفوف

وروت عن غدير خم صفاء ... فتراءت لطرفي المطروف
صور الـكائنات فوجا بفوج ... سابحات فى موجها المـكفوف
من قناديل عسجد زينوهـا ... بصفوف تلوح أثر صفوف
رسم تعليقها الانيق تبدـي ... كسطور منضودة من حروف
روضة للصدور فيها ورود ... با كف الالحاظ ذات قطوف
قد اطلت شمسا بغير كسوف ... واقلت بدرا بغـير خسوف
وطوت كاظما ولفت جوادا ... فازدهت بالمطوى والملفوف
شرفت فيهما وما كل ظرف ... جاز تشريفـه من المظروف
وغـدت للقلبين مثـل شغاف ... رق لطفـا كقلبي المشغوف
وهى لما على السماء أنافت ... بهما قلت ياسما المجـد نوفى
كلما زرتهـا أقول لعيني ... هذه كعبة الجلال فطوفى
بحماهـا كم من الوف من الزو ... وار فازت من المنى بصنوف
أفاخشى صروف دهري وانى ... بحماها يخشى الزمان صروفى
حرم آمن فمن كان فيه ... قاطنا كان آمنا من مخوف
ومطـاف به استدارت فطافت ... زمر كاستدارة الخذروف
كم لرشد من حائري هدته ... وبرفدكم قد كفت من كوفى
شنفتها العليـاء لما أصاخت ... لصرير الاقلام أبهى شنوف
شمخت عزة بانف أشم ... مرغم بالتراب شم الانوف
أرعفت مارن الصباح فاجرت ... دمه من بروقها بسيوف
الفت نفسى الثناء عليهـا ... وهي لاتنثنى عن المألوف
لاتلمنى على الوقوف بباب ... تتمنى الاملاك فيه وقوفى
هو باب مجرب ذو خواص ... كان منهـا اغاثة الملهوف
ملجأ العاجزين كهف اليتامى ... مروة المرملين مأوى الضيوف
من يروم الفتوح مما سواه ... طرقت بابه اكف الحتوف

أنا عنه حيا وميتا بدنيا ي واخراي لست بالمصروف
هم بنو المرتضى وعترة طه سحب الفضل أبحر المعروف
فليلمنى من شاء انى موال رافل من ولائهم بشفوف
فعليهم مني الثنا ما اليهم قطع المدلجون كل تنوف

(وقال)

الا ان صندوقا أحاط بحيدر وذى العرش قد أربى الى حضرة القدس
فان لم يكن لله كرسى عرشه فان الذى فى ضمنه آية الكرسى

وقال وقد شاهد الزوار ليلا تتهافت على الصندوق خلال الشموع الموقدة

صندوق قبر المرتضى زواره بين الشموع لهم عليه تهافت
فكانه بدر به قد احدقت سيارة من أنجم وثوابت

(وقال لما زار موسى الكاظم)

خلعنا نفوسا قبل خلع نعالنا غداة حللنا مرقدا منك مأنوسا
وليس علينا من جناح بخلعها لانك بالوادى المقدس ياموسى

الى غير ذلك من شعره الذي جمعه بمجموع سماه الباقيات الصالحات وكله على هذا المنهج ومن العجب من يسلك هذا المسلك كيف يدعى انه من أهل السنة وليس من الروافض وله أبيات فى الشيخ عبد القادر الكيلانى وهى هذه وقد سلك فيها من الغلو مسلك مانقلناه من شعره *

أبيات شعرى حكت آيات تنزيل تتلى بحضرة ممدوحى بترتيل
وعت من الملأ الاعلى لها اذن فشنفتها بتكبير وتهليل
قد انطوى العالم الاسمى باحرفها فعطر النشر منها طيب تأويل
عن حسنها قاصرات الطرف قدقصرت أجب بكاعبة النجدين عطبول
ماست دلالا تعاطيني الرضاب طل فهمت مابين عسال ومعسول
تاهت على اللؤلؤ المنثور اذ نظمت فى مدح مولاى عبد القادر الجليلى
قطب عليه مدار العالمين له دور تسلسل لا في قيد تعطيل

غوث وغيث لراجيه وخائفه   يحمى ويهمى بافضال وتفضيل
سجنجل لتجلى ذاته ظهرت   لعينه عينه من غير تمثيل
جلاء نقطة غين العين تربته   كم فزت منها بتعفير وتكحيل
طوفان علم به نوح النبوة فى   فلك الفتوة ينجى كل محمول
خضم فيض بعيد الغور فيه دست   سفن الولاية لا فى ساحل النيل
مصباح فضل بنبراس الجمال رهبت   مشكاته له فيه لا فى ضوء قنديل
نور بسيط على وجه البسيطة بل   بحر محيط بمعقول ومنقول
قرآن جمع لاشتات الهبات من الـ   ـزرات لا قبض بسط العرض والطول
فرقان فرق العلى آياته رسمت   فى جبهة كللت منه باكليل
مفتاح غيب بلا ريب ببرزخه   باب الشهود لديه غير مقفول
فى عالم الغيب قد صحت مشاهدة   له فجاء بكشف غير معلول
توارثت أولياء الله بغيته   منذ الست ومن جيل الى جيل
فى النشأتين له حال تصرفه   نالله فى كل معقود ومحلول
باب الرجاء وقطب الاولياء ونخـ   ـر الاتقياء ومأوى كل مذلول
عين الكمال وسلطان الرجاء ومد   بدوح الفعال وحانى كل مخذول
ملجا المريدين منجى اللائذين به   كنز المقلين مذخورى ومأمولى
زخرى وفيه غنى فقري ومدحته   فخرى أنال بحشرى منه تنويلى
الى موائده اللاتى حوت مددا   مددت باعا به علقت كشكولى
تفصيل اجمال جزء من خوارقه   عن حصرها كل اجمالى وتفصيلى
نلت البقا بفنائى فى محبته   فشاغلى فيه أضحى عين مشغول
وبان صحوى بمحوى فى هواه وعن   وهمى بانى سواه بان تخييلى
أتى من العلم فى مثل الذى أتيا   موسى وعيسى بتوراة وانجيل
ندب اذا عم خطب أو دجا حزن   جلاه فى سيف حزم غير مفلول
تهديك بهجته الغراء وغنيته   تغنيك عن كل مقصود ومأمول

فناده عند ناديه لفادحة ... وسله ماشئت تلقى خير مسئول
وقبل الترب من أعتاب سدته ... وابد الخشوع بدمع منك مسبول
فسدرة المنتهى لاشك حضرته ... لقد تناهى اليها علم جبريل
ترى المحبين صرعى تحت قبته ... وقلبهم عن هواه غير مشغول
أما تراهم وفى أطمارهم ربضوا ... ببابه كاسود الغيل بالغيل
اليه من موصل قدجئت منقطعا ... فياالقطع بحبل الله موصول
كم ظن قوم قبولا منه تم لهم ... وحققوا الظن انى غير مقبول
فدع رجالا على جهل تعنفنى ... فهل سمعت بصب غير معذول
وابغ رضا الله فى مدح تقدمه ... لفارق بين مفضال ومفضول
عليه أزكى سلام الله تتبعه ... تحية الملأ الاعلى بتبجيل
مادوخت ديمة الرضوان مرقده ... وجللته وغشته بمنديل *

الى غير ذلك من الشعر الكثير فى هذا الباب * ولو استوعبناه لطال به الكتاب وهذا حال خواصهم. وقد سمعت غلوهم فكيف حال عوامهم. وقد حكى العراقيون ان قبر عبد القادر قد غدا اليوم قبلة يطوفون عليه طواف الحجيج ببيت الله الحرام . وينذرون له النذور ويقدون السرج على رغم ماجاء به دين الاسلام. وقد اتخذ ذرارى الشيخ ذلك غنيمة يرتعون فيها كما ترتع الانعام . وبعض سفهاء العقول وناقصوا الاحلام يتخذهم وسائل فى الدنيا والآخرة. وحكى العراقيون ان الكيلانيين اليوم أشر امة فى العراق وعائلتهم أصبحت بلاء على بغداد ومن العجيب ان كبير تلك العائلة (نقيب) يدعى انه سلفى العقيدة وهو من سدنة الاصنام لم يزل يأكل النذور المحرمة من الهنديين وغيرهم نسأله تعالى أن يطهر الارض من أمثال هؤلاء المعادين لدين الله تعالى والمضادين لرسول الله صلى الله عليه وسلم وما أحق هذا النقيب بقول القائل *

﴿ نزلوا بمكة فى قبائل هاشم * ونزلت فى البيداء أبعد منزل ﴾

وقد سمعت ان بعض ادباء بلدته هجاه بقصائد كثيرة منها قصيدة مطلعها *

﴿ أرجح بغداد واني غريبها * على جنة الفردوس لولا نقيبها ﴾

وانى أسال الله تعالى ان يبصر المسلمين من اهل الهند وغيرهم حتى لا تكون أموالهم غنيمة لهكذا سفهاء ويصونهم من كيدهم انه على كل شيء قدير. ولولا ملاحظة ان يطول الكتاب لاتينا على مفصل أحوال هؤلاء السدنة وعباد الاصنام. وما ذكرناه كاف ان شاء الله تعالى فى هذا المقام *

فظهر مما ذكرنا ان قول هذا الجاهل ان الشيخ محمد ومن وافقه من أهل نجد وغيرهم أهل بدعة هو قول عاطل بل هم الفرقة الناجية ان شاء الله وهم أهل السنة والجماعة وهم عصابة الحق وان المبتدعة هم هذا الجاهل الغبي ومن على شاكلته لما سمعت من جهلهم وضلالهم ولكن الامر كما قيل فى المثل السائر . رمتني بدائها وانسلت *

﴿ وأما الكلام على ما ذكره من القدح والجرح فى كتب الشيخين واضرابهما ﴾

فسيأتى البحث عنه مفصلا فيما خصص له من فصول كتابه وعادته ودأبه تكرير الكلام من غير طائل بل ليعظم حجم الكتاب فيفرح به * اما قوله وقد طبعوا الى الآن عشرة كتب ثم عددها مع الطعن والقدح فيها فيقال له اخطات في الحساب . كما قد زغت عن جادة الحق والصواب بل ان الذى طبع من كتب الشيخين ونحوهما نحو مائة كتاب ما بين مختصر ومفصل . منها ماطبع فى مصر . ومنها ماطبع فى المطابع الهنديه ومنها ماطبع فى مكة شرفها الله . وكل هذه الكتب كنوز علم ومصابيح هدى . والحمد لله كما انها شجى لاعداء الدين والمبتدعة الملحدين وانى أبشرك أيها المبتدع ان جميع كتب شيخ الاسلام وأصحابه ستطبع قريبا ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله حيث يظهر بها زيغ الملحدين وافتراء السبكى وابن حجر واضرابهما من المتبعين لهواهم الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين . ثم ختم كلامه على الكتب بذكر شيء من قصيدته التى سماها طيبة الغرآء وهى التى ذكر فيها ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم موجود فى كل مكان وكل زمان غير انه لم يأت بجميع أبياتها هنا وزعم انه حاكى بها قصيدة بانت سعاد فيقال له لقد حكيت ولكن فاتك الشنب . وشعره ركيك جدا وسنتكلم عليه فيما يناسب من مباحث الكتاب . ثم نقول ان هذه القصيدة التي ذكرها لامناسبة لها مع البحث الذى هو بصدده . وهكذا مباحث كتابه كلها على هذا المنوال لم يزل يذكر مباحث غير متناسبة . ويورد امورا لا تفيده شيئا . ولم يكن قصده والله أعلم الا

انتفاخ كتابه وبيان رعونته وجهله نسأل الله تعالى العافية مما ابتلاه به *

﴿ ثم ان النبهاني ﴾ ذكر القسم الثاني من المقدمة وقل انه يشتمل على اثنى عشر تنبيها يلزم معرفتها لمن أراد مطالعة هذا الكتاب وذكر التنبيه الاول وفيه بيان أحوال ابن تيمية والتحذير عنه وانه ومن وافقه على ضلال . ثم ذكر التنبيه الثاني وهو بمعنى التنبيه الاول غير انه قال انه لا يكفر ابن تيمية وأصحابه لانهم من أهل القبلة وأطال الكلام في ذلك . ثم ذكر التنبيه الثالث وفيه ذكر رؤياه لابن السبكى وابن تيمية قائما والسبكي قاعدا على عجزه مع رجل ثالث ظنه صاحب الصارم المنكى ولم يعلم مقصده من هذا التنبيه * ثم ذكر التنبيه الرابع وقد اشتمل على بيان منزلة الرسول صلى الله عليه وسلم وانه صاحب الشفاعة العظمى والمقام المحمود وان أهل العلم حثوا على دعائه والاستغاثة به وطلب مايطلب من الله تعالي منه وانه لم يمنع منها سوى محمد بن عبد الوهاب وأصحابه والسيد صديق حسن خان وحزبه وان هذا الرجل هو الذى طبع كتب السنن وأضل الناس بها ثم ذكر التنبيه الخامس وفيه الثناء على ابن تمية وابن القيم ودفع التناقض بين ما كان منه من المدح والذم نظرا لاختلاف الحالات وتغاير الجهات وتأييد ذلك بما نقل من كتاب الصواعق الالهية للشيخ سليمان بن عبد الوهاب الحنبلي * ثم ذكر التنبيه السادس . وفيه اعتقاده في ابن تيمية وتلامذته أنهم من ائمة الدين واكابر علماء المسلمين . قد نفعوا الامة المحمديه بعلمهم نفعا عظيما وان أساؤا غاية الاساءة في بدعة منع الزيارة والاستغاثة واضروا بها الاسلام والمسلمين وهذا الذى استوجب رده عليهم حسما لمادة الفساد الى آخر ما هذى به * ثم ذكر التنبيه السابع وفيه يقول إياك أيها المسلم ان يخدعك الشيطان بقبول أقوال ابن تيمية وأصحابه ويقول لك انهم من اكابر أهل العلم الى آخر هذيانه الذى اورده للتنفير عن أقول الشيخ ومن يوافقه *

ثم ذكر التنبية الثامن وفيه أنه لو كان كلام ابن تيمية حقا في مسألة المنع من شد الرحل لزيارة القبور لترك الناس الزيارة وخربت المدينة * ثم ذكر التنبيه التاسع وفيه أنه لم يقصد بما ألف ردع من يقول باقوال ابن تيمية عن معتقده المبتدع فان هذا ممالا يفيد بل مقصوده تنبيه الناس على فساد عقائد هؤلاء القوم وتحذير المسلمين عن اعتقادقولهم *

ثم ذكر التنبيه العاشر وفيه ان ابن تيمية وكذلك أصحابه لم يقصدوا بمنعهم من سفرا لزيارة الحط من رتبة النبي صلى الله عليه وسلم حاشاهم من ذلك فانهم من اكابر علماء المسلمين وحماة

هذا الدين المبين ولكن لهم مذهب فاسد فى ذلك سلكوه بحسب ما ظهر لهم من الادلة التى قامت عندهم ومافهموه من الكتاب والسنة على حسب استعدادهم الخ . وهذه التنبيهات بعضها ينقض بعضا . ثم نقل عبارة ابن تيمية فى كتاب العقل والنقل فى تعظيم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم . ثم تعجب من القائل بهذا القول كيف يمنع من سفر الزيارة والاستغاثة به الخ . ثم ذكر التنبيه الحادى عشر وفيه تحذير الناس من مخالطة من يوافق ابن تيمية فى الاعتقاد فانهم مبتدعة وتكلم عليهم بكل مايستبشع . ثم ذكر التنبيه الثانى عشر وفيه بيان ان ابن تيمية لم يخص أحدا بالرد والتضليل ولكنه خاصم جميع المسلمين الى ان قال ويزيد على ذلك تكفير كثير من ائمة الصوفية الذين هم سادات الامة الخ *

أقول هذا حاصل ما ذكر فى تنبيهاته ويكفى الواقف عليها معرفة مبلغ هذا الرجل من العلم وخفة عقله ورعونته فان جميع ما ذكره فى هذه التنبيهات ضرب من الوسواس وكلام المتوهين او نوع من هذيان المحموم ومآل جميعها واحد وهو الحط على ابن تيمية وأصحابه وتحذير الناس من الميل اليه ومطالعة كتبه والاخذ باقواله بسبب ما ظهر له من منع سفر الزيارة والاستغاثة بمخلوق وبسبب قوله بهذين المسألتين قد قامت القيامة وفار التنور وهذا والامر لله تعالى من ادبار المسلمين وسوء طوالعهم فى هذا العصر عصر الترقي والاخذ بنواصى الكمالات . ونحن سنتكلم على كلا المسألتين فى مقامهما ونضرب صفحا عن مؤاخذته فى كل ما هذا به فى هذه التنبيهات وسنبين أقوال أهل العلم فى شأن ابن تيمية مما يلقم النبهانى واضرابه حجر السكوت *

وذكر فى التنبيه الثالث رؤياه ولم يعبرها فوجب تعبيرها له وذلك أنه قال رأيت منذ ثلاث سنوات ونيف الامام ابن تيمية والامام السبكى في رؤيا وهما فى مجلس واحد والسبكي جالس وهو سمين اسمر عليه هيبة ووقار وابن تيمية واقف اسمر اغبر نحيف الوجه والجسم عليه هيبة العلم . وقد كان اقرب الى من السبكى فقصدته لاقبل يده ويغلب على ظني أني قبلتها وسألته عن مقدار عمره فقال ستمائة سنة ثم انتبهت .

(فيقال له) ان صحت رؤياك أيها النبهانى وان كان ما تراه يقظة ومناما أضغاث أحلام . دلت على ان الله تعالى كشف لك عن حال مقتداك وشيخ بدعك وهو السبكى فانه كما هو المعلوم لدى كل منصف كان من الد الخصوم لشيخ الاسلام بل لكل أهل حق وحيث كان جالسا بين يدى

خصمه فهو دليل على ان خصمه وهو ابن تيمية قد اقعده على عجزه والامر كما رأيت فقد تكلم السبكى على ما افتى به الشيخ ابن تيمية فى مسئلتى الطلاق والزيارة فرد عليه الشيخ ابن تيمية بعدة مجلدات يقول ابن السبكي رأيت منها مجلدا . واما سواد الوجه الذي لاح في السبكى فهو بيان ما ابتدعه قال عز ذكره ترى الذين كذبوا على ربهم وجوههم مسودة . واما السمن الذى كان فيه فهو علامة غيظه وشقائه بين يدي خصمه . واما وقوف ابن تيمية على ساقه فهو النصر على خصومه وانه لم يزل قائما على ساق الهمة . واما نحافة وجوده فهو ما كابده من عناء مخاصمة أهل البدع واعداء الدين . وتعبير سمرته هو من السودد . وتقبيل يديه ذُلك له وضراعتك للحق * واما الرجل الذى رأيتــه وظننته ابن عبد الهادى او ابن القيم فهو والله أعلم الاول لانه الذي رد على مقتداك السبكي بعد وفاة الشيخ ابن تيمية فى كتاب الصارم المنكى فى الرد على السبكي فى كتابه شفاء السقام واقعده على عجزه أيضا . وبين جهله وغباوته . وقد رأيت وله الحمــد تعبير رؤياك من قبل . واما قوله لك فى جواب سؤالك عن مدة عمره أنه ستمائة سنة فهو معنى قوله تعالى (ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون) . ومثل ابن تيمية لم يمت على تعاقبِ الازمان .

﴿ وما دام ذكر العبــد بالفضل باقيا * فذلك حى وهو فى الترب هالك ﴾

﴿ وقال آخر ﴾

﴿ قد مات قوم وما ماتت مكارمهم * وعاش قوم وهم فى الناس أموات ﴾

فالعالم بما جاء به الرسول العامل به اطوع في أهل الارض من كل أحد فاذا مات احيا الله ذكره ونشر له فى العالمين أحسن الثناء فالعالم بعــد وفاته ميت وهو حي بين الناس . والجاهل فى حياته حى وهو ميت بين الناس كما قيل *

﴿ وفى الجهل قبل الموت موت لاهله واجسامهم قبل القبور قبور ﴾

﴿ وارواحهم في وحشة من جسومهم وليس لهم حتى النشور نشور ﴾

ومن تامل أحوال أئمة الاسلام كائمة الحديث والفقه كيف هم تحت التراب وهم في العالمين كانهم أحياء بينهم لم يفقدوا منهم الا صورهم والا فذكرهم وحديثهم والثناء عليهم غير منقطع وهذه هى الحياة حقا حتى عد ذلك حياة ثانية كما قال المتنبي *

﴿ ذكر الفتى عيشه الثاني وحاجته * مافاته وفضول العيش اشغال ﴾

(لكن النبهاني) على ماحكى لى من رآه انه كذاب كثيرا مايحدث بمنامات لا اصل لها وفي الحقيقة ان غالب هؤلاء المبتدعة كذلك . وهم بيت الكذب كما انهم المنهمكون على الدنيا وهذا علائم دجاجلة العصر قبحهم الله تعالى *

هذا وما ذكره فى باقى التنبيهات منه مالا يستحقه ان يصغى اليه لانه لا يخفي فساده حتى على صغار الطلبة . ومنه ما ذكره النبهانى فى باب مختص به فاجلنا البحث عنه والكلام عليه الى وصولنا اليه . والله الهادى الى سواء السبيل وهو حسبنا ونعم الوكيل .

ثم انه عقد بابا في اثبات مشروعية السفر الى زيارة قبره الشريف صلى الله تعالى عليه وسلم كسائر الانبياء والصالحين وجعله الباب الاول وافتتحه بارجوزة مدح بها النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ثم استدل على مشروعية هذا السفر بما ذكره ابن حجر فى كتابه الجوهر المنظم وقد اتى باكثره والكتاب مشهور . وبما ذكره ابن الحاج فى مدخله وهو كذلك ثم بما ذكره السبكى فى شفاء السقام . ثم بما ذكره الشيخ عبد القادر الكيلانى فى الغنية ثم عقبه بكلام النووى ثم بكلام ابن الهمام الحنفى في فتح القدير . ثم بما فى مشارق الانوار للشيخ حسن العدوي . ثم ذكر مازوروه من مد اليد للرفاعى . ثم ذكر اربعين حديثا في فضل المدينة لابن الحسن البكرى ثم ختم الباب بخاتمة ذكر اختلاف الناس فى التفاضل بين مكة والمدينة . ثم ذكر فصلا ذكر فيه شيئا مما لاينبغي فعله للزائر نقله من كتاب الجوهر المنظم لابن حجر المكي . ثم نقل عن العدوى كلاما يتعلق بكرامات الاولياء وتصرفهم وبه ختم الباب وحيث ان هذه المباحث مشهورة بل انها قد ملتها الاسماع لم اذكرها في هذا المقام لطولها بل اذكر حاصلها في اثناء الرد عليه ومن الله التوفيق والهداية الى اقوم طريق *

﴿ اقول ﴾ كان من الحزم عدم التعرض لهذه المسائل المفروغ عن تحقيقها . وقد سبق منا بيان العذر للكلام على هذيان النبهانى مع العلم انه لايفيد فى رد من ختم الله على قلبه وسمعه وعلى بصره غشاوة فانه قد الف فى هذا الباب كتب مفصلة ومجملة قد حقق فيها الكلام على هذه المسائل اتم تحقيق ومع ذلك لم يؤثر شيئا فى فهم هذا الخصم واضرابه واعاد وابدى واستدل بما هو مردود مرارا عديدة فسبحان من طبع على قلبه وهنا كلام لابن القيم يناسب المقام قال رحمه

الله تعالى ومن تأمل القرآن والسنة وسير الانبياء فى اممهم ودعوتهم لهم وما جرى لهم معهم جزم بخطأ اهل الكلام فيما قالوه وعلم ان القرآن مملوء من الاخبار عن المشركين عباد الاصنام انهم كانوا يقرون بالله وانه هو وحده ربهم وخالقهم وان الارض وما فيها له وحده وانه رب السموات السبع ورب العرش العظيم وانه بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه وانه هو الذى سخر الشمس والقمر وانزل المطر واخرج النبات والقرآن مناد عليهم بذلك محتج بما اقروا به من ذلك على صحة مادعتهم اليه رسله فكيف يقال ان القوم لم يكونوا مقرين قط بان لهم ربا وخالقا وهذا بهتان عظيم فالكفر امر وراء مجرد الجهل بل الكفر الاغلظ هو ما انكره هؤلاء وزعموا انه ليس بكفر *

قالوا والقلب عليه واجبان لايصير مؤمنا الا بهما جميعا . واجب المعرفة والعلم . وواجب الحب والانقياد والاستسلام فكما لا يكون مؤمنا اذا لم يأت بواجب العلم والاعتقاد لايكون مؤمنا اذا لم يأت بواجب الحب والانقياد والاستسلام بل اذا ترك هذا الواجب مع علمه ومعرفته به كان اعظم كفرا وابعد عن الايمان من الكافر جهلا فان الجاهل اذا عرف وعلم فهو قريب الى الانقياد والاتباع .

واما المعاند فلا دواء فيه قال تعالى كيف يهدي الله قوما كفروا بعد ايمانهم وشهدوا ان الرسول حق والله لايهدى القوم الظالمين *

قالوا فحب الله ورسوله بل كون الله ورسوله احب الى العبد من سواهما لايكون العبد مسلما الا به ولا ريب ان الحب امر وراء العلم فما كل من عرف الرسول احبه كما تقدم *

قالوا وهذا الحاسد يحمله بغض المحسود على معاداته والسعى فى اذاه بكل ممكن مع علمه بفضله وعلمه وانه لاشيء فيه يوجب عداوته الا محاسنه وفضائله *

ولهذا قيل الحاسد عدو للنعم والمكارم فالحاسد لم يحمله على معادات المحسود جهله بفضله وكماله وانما حمله على ذلك فساد قصده وارادته كما هي حال الرسل وورثتهم مع الرؤساء الذين سلبهم الرسل وورثوهم رياستهم الباطلة فعادوهم وصدوا النفوس عن متابعتهم ظنا ان الرياسة تبقى لهم وينفردون بها .

وسنة الله فى هؤلاء ان يسلبهم رياسة الدنيا والآخرة ويصغرهم فى عيون الخلق مقابلة لهم

بنقيض قصدهم وما ربك بظلام للعبيد *
قال فهذا موارد احتجاج الفريقين وموقف اقدام الطائفتين فاجلس ايها المنصف منهما مجلس الحكومة . وتوخ بعلمك وعدلك فصل هذه الخصومة . فقد ادلى كل منهما بحجج لا تعارض ولا تمانع وجاء ببينات لا ترد ولا تدافع فهل عندك شيء غير هذا يحصل به فصل الخطاب وينكشف به لطالب الحق وجه الصواب فيرضى الطائفين . ويزول به الاختلاف من البين . والا

﴿ فخل المطى وحاديها * واعط القوس باريها ﴾

﴿ دع الهوى لاناس يعرفون به * قد كابدوا الحب حتى لان أصعبه ﴾

ومن عرف قدره وعرف لذى الفضل فضله فقد قرع باب التوفيق والله الفتاح العليم فنقول وبالله التوفيق .

كلا الطائفتين ماخرجت عن موجب العلم ولا عدلت عن سنن الحق وانما الاختلاف والتباين بينهما من عدم التوارد على محل واحد ومن اطلاق الفاظ مجملة بتفصيل معانيها يزول الاختلاف ويظهر ان كل طائفة موافقة للاخرى على نفس قولها وبيان هذا ان المقتضى قسمان مقتض لا يتخلف عنه موجبه ومقتضاه لقصوره فى نفسه عن التمام او لفوات شرط اقتضائه او قيام مانع منع تأثيره فان أريد بكون العلم مقتضيا للاهتداء والاقتضاء التام الذى لا يتخلف عنه أثره بل يلزمه الاهتداء بالفعل فالصواب قول الطائفة الثانية وانه لا يلزم من العلم حصول الاهتداء المطلوب وان أريد بكونه موجبا انه صالح للاهتداء مقتض له وقد يتخلف عنه مقتضاه لقصوره او فوات شرط او قيام مانع فالصواب قول الطائفة الاولى قال وتفصيل هذه الجملة ان العلم بكون الشيء سببا لمصلحة العبد ولذاته وسروره قد يتخلف عنه عمله بمقتضاه لاسباب عديدة (السبب الاول) ضعف معرفته بذلك (السبب الثانى) عدم الاهلية وقد تكون معرفته به تامة لكن يكون مشروطا بزكاة المحل وقبوله للتزكية فاذا كان المحل غير زكي ولا قابل للتزكية كان كالارض الصلدة التى لا يخالطها الماء فانه يمتنع النبات منها لعدم أهليتها وقبولها فاذا كان القلب قاسيا حجريا لا يقبل تزكية ولا تؤثر فيه النصائح لم ينتفع بكل علم يعلمه كما لا تنبت الارض الصلبة ولو أصابها كل مطر وبذر فيها كل بذر كما قال تعالي فى هذا الصنف من الناس (ان الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الاليم)

وقال تعالى (ولو أننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا الا ان يشاء الله) وقال تعالى (قل انظروا ماذا في السموات والارض وما تغنى الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون) وهذا في القرآن كثير فاذا كان القلب قاسيا غليظا جافيا لا يعمل فيه العلم شيأ . وكذلك اذا كان مريضا مهينا مائيا لا صلابة فيه ولا قوة ولا عزيمة لم يؤثر فيه العلم .

(السبب الثالث) قيام مانع وهو اما حسد او كبر وذلك مانع ابليس من الانقياد للامر وهو داء الاولين والآخرين الا من عصم الله وبه تخلف الايمان عن اليهود الذين شاهدوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وعرفوا صحة نبوته ومن جرى مجراهم وهو الذى منع عبد الله بن أبي من الايمان . وبه تخلف الايمان عن أبي جهل وسائر المشركين فانهم لم يكونوا يرتابون فى صدقه وان الحق معه لكن حملهم الكبر والحسد على الكفر . وبه تخلف الايمان عن أمية واضرابه ممن كان عنده علم بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم *

(السبب الرابع) مانع الرياسة والملك وان لم يقم بصاحبه حسد ولا تكبر عن الانقياد للحق لكن لا يمكنه ان يجتمع له الانقياد وملكه ورياسته فيضن بملكه ورياسته كحال هرقل واضرابه من ملوك الكفار الذين علموا نبوته وصدقه وأقروا بها باطنا وأحبوا الدخول في دينه لكن خافوا على ملكهم وهذا داء ارباب الملك والولاية والرياسة وقل من نجا منه الا من عصم الله وهو داء فرعون وقومه ولهذا قالوا (أنؤمن لبشر مثلنا وقومهما لنا عابدون) أنفوا ان يؤمنوا ويتبعوا موسى وهارون وينقادوا لهما وبنوا اسرائيل عبيد لهم . ولهذا قيل ان فرعون لما أراد متابعة موسى وتصديقه شاور هامان وزيره فقال بينا أنت اله تُعبد تصير عبدا تَعبد غيرك فأبى العبودية واختار الرياسة والالهية المحال *

(السبب الخامس) مانع الشهوة والمال وهو الذى منع كثيرا من أهل الكتاب من الايمان خوفا من بطلان ماكلهم واموالهم التي تصير اليهم من قومهم وقد كان كفار قريش يصدون الرجل عن الايمان بحسب شهوته فيدخلون عليه منها فكانوا يقولون لمن يحب الزنا ان محمدا يحرم الزنا ويحرم الخمر وبه صدوا الاعشى الشاعر عن الاسلام قال وقد فاوضت غير واحد من أهل الكتاب فى الاسلام وصحته فكان آخر ما كلمنى به أحدهم أنا لا اترك الخمر واشربها امنا فاذا أسلمت حلتم بينى وبينها وجلدتموني على شربها . وقال آخر منهم بعد ان عرف ماقلت

له لى أقارب ارباب أموال واني ان اسلمت لم يصل الى منها شيء وانا أؤمل ان ارثهم او كما قال * ولا ريب ان هـذا القدر فى نفوس خلق كثير من الكفار فتتفق قوة داعي الشهوة والمال وضعف داعى الايمان فيجيب داعى الشهوة والمال ويقول لا ارغب بنفسي عن آبائي وسلفى .
(السبب السادس) محبة الاهل والاقارب والعشيرة يرى أنه اذا اتبع الحق وخالفهم ابعدوه وطردوه عنهم وأخرجوه من بين أظهرهم وهذا سبب بقاء خلق كثير على الكفر بين قومهم وأهاليهم وعشائرهم .
(السبب السابع) محبة الدار والوطن وان لم يكن له بها عشيرة ولا أقارب لكن يرى ان فى متابعة الرسول خروجه عن داره ووطنه الى دار الغربة والنوى فيضن بوطنه *
(السبب الثامن) تخيل ان فى الاسلام ومتابعة الرسول ازراء وطعنا منه على آبائه واجداده وذما لهم وهذا هو الذى منع أبا طالب وأمثاله عن الاسلام . استعظموا آباءهم وأجدادهم ان يشهدوا عليهم بالكفر والضلال وان يختاروا خلاف ما اختار أولئك لانفسهم ورأوا أنهم ان اسلموا سفهوا أحلام أولئك وضلوا عقولهم ورموهم بأقبح القبائح وهو الكفر والشرك . ولهذا قال أعداء الله لابي طالب عند الموت اترغب عن ملة عبد المطلب . فكان آخر ما كلمهم به . هو على ملة عبدالمطلب فلم يدعه أعداء الله الا من هذا الباب لعلمهم بتعظيم أباه عبدالمطلب . وانه انما حاز الفخر والشرف به فكيف يأتى أمرا يلزم منه غاية تنقيصه وذمه — ولهذا قال لولا ان تكون مسبة على بنى عبدالمطلب لاقررت بها عينك او كما قال وهذا شعره يصرح فيه بانه قد علم وتحقق نبوة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وصدقه كقوله *

﴿ ولقد علمت بأن دين محمد * من خير اديان البرية دينا ﴾
﴿ لولا الملامة اوحذار مسبة * لوجدتنى سمحا بذاك مبينا ﴾

﴿ وفى قصيدته اللامية ﴾

﴿ فوالله لولا أن تكون مسبة * تجر على أشياخنا فى المحافل ﴾
﴿ لكنا اتبعناه على كل حالة * من الدهر جدا غير قول التهازل ﴾
﴿ لقد علموا ان ابننا لا مكذب * لدينا ولا يعنى بقول الاباطل ﴾

والمسبة التى زعم انها تجر على اشياخه شهادته عليهم بالكفر والضلال وتسفيه الاحلام وتضليل

العقول وهذا هو الذى منعه من الاسلام بعد تيقنه *

(السبب التاسع) متابعة من يعاديه من الناس للرسول وسبقه الى الدخول في دينه وتخصصه وقربه منه وهذا القدر منع كثيرا من اتباع الهدى يكون للرجل عدو ويبغض مكانه ولا يحب ارضا يمشي عليها ويقصد مخالفته ومناقضته فيراه قد اتبع الحق فيحمله قصد مناقضته ومعاداته على معادات الحق وأهله وان كان لا عداوة بينه وبينهم وهذا كما جرى لليهود مع الانصار فانهم كانوا أعداءهم وكانوا يتواعدونهم بخروج النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وأنهم يتبعونه ويقاتلونهم معه فلما بدرهم اليه الانصار واسلموا حملهم معاداتهم على البقاء على كفرهم ويهوديتهم

(السبب العاشر) مانع الالف والعادة والمنشأ فان العادة قد تقوى حتي تغلب حكم الطبيعة ولهذا قيل هى طبيعة ثانية فيربى الرجل على المقالة وينشأ عليها صغيرا فيتربى قلبه ونفسه عليها كما يتربى لحمه وعظمه على الغذاء المعتاد ولا يعقل نفسه الا عليها. ثم يأتيه العلم وهلة واحدة يريد ازالتها واخراجها من قلبه وان يسكن موضعها فيعسر عليه الانتقال ويصعب عليه الزوال . وهذا السبب وان كان أضعاف الاسباب معنى فهو اغلبها على الامم وارباب المقالات والنحل ليس مع اكثرهم بل جميعهم الا ما عسى ان يشذ الاعادة ومربى تربى عليه طفلا لا يعرف غيرها ولا يحسن به فدين العوائد هو الغالب على اكثر الناس فالانتقال عنه كالانتقال عن الطبيعة الى طبيعة ثانية. فصلوات الله وسلامه على أنبيائه ورسله خصوصا على خاتمهم وأفضلهم محمد صلى الله تعالى عليه وسلم كيف غيروا عوائد الامم الباطلة ونقلوهم الى الايمان حتى استحدثوا به طبيعة ثانية خرجوا بها عن عادتهم وطبيعتهم الفاسدة ولا يعلم مشقة هذا على النفوس الا من زوال نقل رجل واحد عن دينه ومقالته الى الحق . فجزى الله المرسلين أفضل ما جازى به أحدا من العالمين . انتهى المقصود من نقله *

(وهذا كلام حسن) يعلم به سبب عناد المبتدعة على بدعهم وعدم تأثير الدعوة الحقة فيهم اذ هم على قدم اسلافهم الذين لم ينقادوا للحق ولم يذعنوا لدعوة المرسلين وأظن ان هذا الرجل وهو النبهانى المبتدع المجادل بالباطل وكذلك اضرابه من غلاة الشافعية قد توفرت فيهم الاسباب العشرة السابقة ولا سيما السبب الاول والثاني فان اليهود قد أخبر الله تعالى عن حال قلوبهم بقوله (ثم قست قلوبهم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة وان من الحجارة لما يتفجر

منه الانهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من خشية الله وما الله بغافل عما تعملون) *

ونعود الى كلام هذا المخذول فنقول ان مانقله عن ابن حجر والسبكي وغيره كله متحد معنى ومن بعد السبكي كلهم قلدوه في رأيه الفاسد واعتقاده الكاسد الذي ذكره في كتابه شفاء السقام. وقد علمت حال هذا الكتاب. وما جرى عليه من الرد والابطال. فقد رده الامام العالم العلامة الحافظ المحقق أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الهادي الحنبلي المقدسي قدس الله روحه في كتابه الذى سماه الصارم المنكى. فى الرد على السبكي. وقد حقق فيه المسائل المتعلقة بزيارة القبور وبين ما كان فيهما من حق وزور واظهر جهل السبكي بعلم الاثر والحديث وعدم فهمه لمقاصد الشريعة *

ومن نظر الى هذا الكتاب تبين له ان شهرة السبكي بالعلم كانت شهرة كاذبة وان نظره كنظر العوام وان منزلته من العلماء كقطرة من بحر ماء ونغبة من داماء لا يعلم شيئا من معقول ولا منقول وان اطراء غلاة الشافعية فيه من محض تعصبهم وقسوة قلوبهم فهى كالحجارة أو أشد قسوة — ولهذا ترى هذا المخذول لم يزل يتمنى ان لم يكن الف هذا الكتاب أعنى كتاب الصارم المنكى * فاذا رد هذا الكتاب رد جميع ما الف في هذه المسألة من كتب الغلاة ولو لم يكن سوى الصارم المنكى لكفى فى ذلك مع ان كتب الرد عليهم لا تعد ولا تحصى ولا تكاد تستقصى ولو وقفت على ردود الجوهر المنظم لتبين لك انه خزف لدى كل منصف يعلم وكل هذه الكتب مشهورة متداولة بين الايدى فاذا تكلمنا على ماذكر هذا المخذول كان عبثا وتضييعا للقرطاس

ولما كانت كتب الخصوم كلها فى الرد على شيخ الاسلام ابن تيمية وقد ذكروا عنه مالم يقل به وزوروا عليه امورا كثيرة لم يقل بها نقل جميع ماقاله فى الزيارة من الكتب والفتاوى ثم ننبه على بطلان قول الخصم المخذول باوجز عبارة ومن الله نستمد التوفيق *

﴿قال شيخ الاسلام﴾ ابن تيمية قدس الله روحه فى كتابه الجواب الباهر لمن سأل من أولياء الامور عما أفتى به في زيارة المقابر مانصه بعد البسملة *

قد ذكرت فيما كتبته من المناسك ان السفر الى مسجده وزيارة قبره كما يذكره أئمة المسلمين في مناسك الحج عمل صالح مستحب وقد ذكرت فى عدة مناسك الحج السنة فى ذلك وكيف

يسلم عليه . وهل يستقبل الحجرة كمالك والشافعى وأحمد . وأبو حنيفة يقول يستقبل القبلة ويجعل الحجرة عن يساره فى قول وخلفه فى قول لان الحجرة لما كانت خارجة المسجد وكان الصحابة يسلمون عليه لم يكن يمكن أحدا ان يستقبل وجهه ويستدبر القبلة كما صار ذلك ممكنا بعد دخولها فى المسجد *

ثم قال وأما ماذكر فى المناسك انه بعد تحية النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وصاحبيه والصلاة والسلام يدعو . فقد ذكر الامام أحمد وغيره انه يستقبل القبلة ويجعل الحجرة عن يساره لئلا يستدبره — وذلك بعد تحيته والصلاة والسلام ثم يدعو لنفسه وذكروا انه اذا حياه وصلى عليه يستقبل وجهه بابى هو وامى صلى الله عليه وسلم فاذا أراد الدعاء جعل الحجرة عن يساره واستقبل القبلة ودعا وهذا مراعاة منهم بذلك فان الدعاء عند القبر لا يكره مطلقا بل يؤمر به كما جاءت به السنة فيما تقدم ضمنا وتبعا . وانما المكروه ان يتحرى المجيء للقبر للدعاء عنده . وكذلك ذكر أصحاب مالك قالوا يدنوا من القبر فيسلم على النبي صلى الله عليه وسلم ثم يدعوا مستقبل القبله يوليه ظهره . وقيل لا يوليه ظهره * فانما اختلفوا لما فيه من استدباره . فاما اذ جعل الحجرة عن يساره فقد زال المحذور بلا خلاف وصار فى الروضة أو امامها . ولعل هذا الذى ذكره الائمة أخذوه من كراهة الصلاة الى القبر فان ذلك قد ثبت النهي فيه عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فلما نهى ان يتخذ القبر مسجدا أو قبلة امروا بان لا يتحرى الدعاء اليه كما لا يصلي اليه — ولهذا والله أعلم حرفت الحجرة وثلثت لما بنيت فلم يجعل حائطها الشمالى على سمت القبلة ولا جعل مسطحا . ولذلك قصدوا قبل ان تدخل الحجرة في المسجد *

﴿ثم﴾ ان الشيخ رحمه الله أطال الكلام . الى ان ذكر مسألة السفر للصلاة فى المسجد . ثم قال والصلاة تقصر في هذا السفر المستحب باجماع المسلمين لم يقل أحد من أئمة المسلمين ان هذا السفر لا تقصر فيه الصلاة ولا نهى أحد عن السفر الى مسجده وان كان المسافر الى مسجده يزور قبره صلى الله عليه وسلم بل هذا من أفضل الاعمال الصالحة ولا في شيء من كلامى وكلام غيري نهى عن ذلك ولا نهى عن المشروع فى زيارة قبور الانبياء والصالحين ولا عن المشروع فى زيارة سائر القبور بل قد ذكرت في غير موضع استحباب زيارة القبور كما كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يزور أهل البقيع وشهداء أحد ويعلم أصحابه اذا زاروا القبور ان يقول

قائلهم السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين وانا ان شاء الله بكم لاحقون ويرحم الله المستقدمين مناومنكم والمستأخرين ونسأل الله لنا ولكم العافية اللهم لا تحرمنا أجرهم ولا تفتنا بعدهم واغفر لنا ولهم *

واذا كانت زيارة قبور عموم المؤمنين مشروعة فزيارة قبور الانبياء والصالحين أولى لكن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم له خاصة ليست لغيره من الانبياء والصالحين وهو انا أمرنا أن نصلى ونسلم عليه فى كل صلاة وشرع ذلك فى الصلاة وعند الاذان وسائر الادعية وان نصلى ونسلم عليه عند دخول مسجده وغير مسجده وعند الخروج منه وكل من دخل فلا بد ان يصلى فيه ويسلم عليه فى الصلاة والسفر الى غيره مشروع لكن العلماء فرقوا بينه وبين غيره حتى كره مالك ان يقال زرت قبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لان المقصود الشرعى بزيارة القبور السلام عليهم والدعاء لهم وذلك السلام والدعاء قد حصل على اكمل الوجوه فى الصلاة فى مسجده وغير مسجده وعند سماع الاذان وعند كل دعاء فشرع الصلاة عليه عند كل دعاء فانه أولى بالمؤمنين من انفسهم ولهذا يسلم المصلي عليه فى الصلاة قبل ان يسلم على نفسه وعلى سائر عباد الله الصالحين فيقول السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ويصلى عليه فيدعو له قبل ان يدعو لنفسه وأما غيره فليس عنده مسجد فيستحب السفر اليه كما يستحب السفر الى مسجده وانما يشرع ان يزار قبره كما شرعت زيارة القبور وأما هو فيشرع السفر الى مسجده وينهى عما يوهم انه سفر الى غير المساجد الثلاثة *

ويجب الفرق بين الزيارة الشرعية التى سنها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وبين البدعية التى لم يشرعها بل نهى عن مثل اتخاذ قبور الانبياء والصالحين مساجد والصلاة الى القبر واتخاذه وثنا وقد ثبت فى الصحيحين عنه صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الاقصى حتى ان أبا هريرة سافر الى الطور الذي كلم الله عليه موسى فقال له بصرة ابن أبي بصرة الغفارى لو أدركتك قبل ان تخرج لما خرجت سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول لا تعمل المطي الا الى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجدى هذا ومسجد بيت المقدس فهذه المساجد شرع السفر اليها لعبادة الله فيها بالصلاة والقراءة والذكر و لدعاء والاعتكاف * والمسجد الحرام يختص

بالطواف لايطاف بغيره وما سواه من المساجد اذا أتاها الانسان وصلى فيها من غير سفر كان ذلك من أفضل الاعمال كما ثبت فى الصحيح عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال من تطهر فى بيته ثم خرج الى المسجد كانت خطواته احداها تحط خطيئة والاخرى ترفع درجة والعبد في صلاة مادام ينتظر الصلاة والملائكة تصلى على أحدكم مادام في مصلاه الذى صلى فيه اللهم اغفرله اللهم ارحمه مالم يحدث ولو سافر من بلد الى بلد مثل ان يسافر الى دمشق من مصر لاجل مسجدها أوبالعكس أو يسافر الى مسجد قباء من بلد بعيدلم يكن هذا مشروعا باتفاق الائمة الاربعة وغيرهم ولو نذر ذلك لم يف بنذره باتفاق الائمة الاربعة وغيرهم الا خلاف شاذ عن الليث بن سعد فى المساجد. وقال ابن مسلمة من أصحاب مالك فى مسجد قباء فقط ولكن اذا أتى المدينة استحب له ان يأتى مسجد قباء ويصلى فيه لان ذلك ليس بسفر ولا بشد رحل فان النبي صلى الله عليه وسلم كان يأتى مسجد قباء راكبا وماشيا كل سبت ويصلى فيه ركعتين . وقال من تطهر في بيته ثم أتى مسجد قباء كان له كعمرة رواه الترمذي وابن أبى شيبة *

وقال سعد بن أبى وقاص وابن عمر صلاة فيه كعمرة ولو نذر المشى الى مكة للحج والعمرة لزمه باتفاق المسلمين ولو نذر ان يذهب الى مسجد المدينة أو بيت المقدس ففيه قولان احدهما ليس عليه الوفاء وهو قول أبى حنيفة واحد قولى الشافعى لانه ليس من جنسه ما يجب بالشرع . والثانى عليه الوفاء بذلك وهو مذهب مالك واحمد بن حنبل والشافعي فى قوله الآخر لان هذ طاعة لله . وقد ثبت فى صحيح البخارى عن عائشة عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال من نذر ان يطيع الله فليطعه ومن نذر ان يعصي الله فلا يعصيه ولو نذر السفر الى غير المساجد أو السفر الى مجرد قبر نبيّ أو صالح لم يلزمه الوفاء بنذره باتفاقهم فان هذا السفر لم يأمر به النبي صلى الله عليه وسلم بل قد قال لاتشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد وانما يجب بالنذر ما كان طاعة . وقد صرح مالك وغيره بان من نذر السفر الى المدينة النبوية ان كان مقصوده الصلاة فى مسجد النبي صلى الله عليه وسلم وفى بنذره . وان كان مقصوده مجرد زيارة القبر من غير صلاة فى المسجد لم يف بنذره قال لان النبي صلي الله عليه وسلم قال لا تعمل المطى الا الى ثلاثة مساجد والمسألة ذكرها اسماعيل بن اسحق فى المبسوط

ومعناها في المدونة والجلاب وغيرهما من كتب أصحاب مالك يقول ان من نذر اتيان مسجد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لزمه الوفاء بنذره لان المسجد لا يؤتى الا للصلاة ومن نذر اتيان المدينة النبوية فان كان قصده الصلاة فى المسجد وفى بنذره وان قصد شيئا آخر مثل زيارة من بالبقيع أو شهداء أحد لم يف بنذره لان السفر انما يشرع الى المساجد الثلاثة . وهذا الذى قاله مالك وغيره ماعلمت أحدا من ائمة المسلمين قال بخلافه بل كلامهم يدل على موافقته.وقد ذكر أصحاب الشافعى وأحمد فى السفر لزيارة القبور قولين التحريم والاباحة وقدمائهم وائمتهم قالوا انه محرم.وكذلك أصحاب مالك وغيرهم *

وانما وقع النزاع بين المتأخرين لان قوله صلى الله عليه وسلم لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد صيغة خبر ومعناه النهى فيكون حراما.وقال بعضهم ليس بنهى وانما معناه انه لا يشرع وليس بواجب ولا مستحب بل مباح كالسفر في التجارة وغيرها . فيقال له تلك الاسفار لا يقصد بها العبادة بل يقصد بها مصلحة دنيوية مباحة والسفر الى القبور انما يقصد به العبادة والعبادة انما تكون بواجب أو مستحب.فاذا حصل الاتفاق على ان السفر الى القبور ليس بواجب ولا مستحب كان من فعله على وجه التعبد مبتدعا مخالفا للاجماع والتعبد به بدعة ليس بمباح لكن من لم يعلم ان ذلك بدعة فانه قد يعذر فاذا تبينت له السنة لم يجز مخالفة النبي صلى الله عليه وسلم ولا التعبد بما نهى عنه كما لا تجوز الصلاة عند طلوع الشمس ولا عند غروبها وكما لا يجوز صوم يومى العيدين وان كانت الصلاة والصيام من أفضل العبادات ولو فعل ذلك انسان قبل العلم بالسنة لم يكن عليه اثم فالطوائف متفقة على انه ليس مستحبا وما علمت احدا من ائمة المسلمين قال ان السفر اليها مستحب وان كان قاله بعض الاتباع فهو ممكن.واما الائمة المجتهدون فما منهم من قال هذا.واذا قيل هذا كان قولا ثالثا فى المسئلة وحينئذ فيبين لصاحبه ان هذا القول خطأ مخالف للسنة ولاجماع الصحابة فان الصحابة فى خلافة أبي بكر وعمر وعثمان وعلى وبعدهم الى انقراض عصرهم لم يسافر أحد منهم الى قبر نبي ولا رجل صالح * وقبر الخليل عليه السلام بالشام لم يسافر اليه أحد من الصحابة وكانوا يأتون بيت المقدس ويصلون فيه ولا يذهبون الى قبر الخليل ولم يكن ظاهرا بل كان فى البناء الذى بناه سليمان عليه السلام ولا كان قبر يوسف يعرف ولكن أظهر ذلك بعد اكثر من ثلثمائة سنة من الهجرة.ولهذا وقع فيه نزاع فكثير من أهل

العلم ينكره. ونقل ذلك عن مالك وغيره لان الصحابة لم يكونوا يزورونه فيعرف. ولما استولى النصارى على الشام نقبوا البناء الذى كان على الخليل واتخذوا المكان كنيسة. ثم لما فتح المسلمون البلد بقي مفتوحا. وأما على عهد الصحابة فكان قبر الخليل عليه السلام مثل قبر نبينا صلى الله عليه وسلم ولم يكن أحد من الصحابة يسافر الى المدينة لاجل قبر النبي صلي الله تعالى عليه وسلم بل كانوا يأتون فيصلون فى مسجده ويسلمون عليه فى الصلاة ويسلم من سلم عند دخول المسجد والخروج منه وهو مدفون في حجرة عائشة فلا يدخلون الحجرة ولا يقفون خارجها عنها في المسجد عند السور. وكان يقدم فى خلافة أبي بكر وعمر امداد اليمن الذين فتحوا الشام والعراق وهم الذين قال الله فيهم فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه ويصلون في مسجده كما ذكرنا ولم يكن أحد يذهب الى القبر ولا يدخل الحجرة ولا يقوم خارجها فى المسجد بل السلام عليه من خارج الحجرة وعمدة مالك وغيره فيه على مافعل ابن عمر * وبكل حال فهذا القول لو قاله نصف المسلمين لكان له حكم أمثاله فى مسائل النزاع. واما ان يجعل هو الدين الحق ويستحل عقوبة من خالفه ويقال بكفره فهذا خلاف اجماع المسلمين وخلاف ماجاء به الكتاب والسنة فان كان المخالف للرسول فى هذه المسألة يكفر فالذى خالف سنته واجماع الصحابة وعلماء امته فهو الكافر * ونحن لا نكفر أحدا من المسلمين بالخطأ لا فى هذه المسائل ولا في غيرها ولكن ان قدر تكفير المخطئ فمن خالف الكتاب والسنة واجماع الصحابة والعلماء أولى بالكفر ممن وافق الكتاب والسنة والصحابة وسلف الامة وائمتها فائمة المسلمين فرقوا بين ما امر به النبي صلي الله عليه وسلم وبين مانهى عنه فى هذا وغيره فما أمر به هو عبادة وطاعة وقربة وما نهى عنه بخلاف ذلك بل قد يكون شركا كما يفعله أهل الضلال من المشركين وأهل الكتاب ومن ضاهاهم حيث يتخذون المساجد على قبور الانبياء والصالحين ويصلون اليها وينذرون لها ويحجون لها بل قد يجعلون الحج الى بيت المخلوق أفضل من الحج الى بيت الله الحرام ويسمون ذلك الحج الاكبر. وصنف لهم شيوخهم فى ذلك مصنفات. كما صنف المفيد ابن النعمان كتابا فى مناسك المشاهد سماه مناسك حج المشاهد وشبه بيت المخلوق ببيت الخالق *

وأصل دين الاسلام ان نعبد الله وحده ولا نجعل له من خلقه ندا ولا كفوا ولا سميا قال

تعالى (فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سميا) وقال (ولم يكن له كفوا أحد). وقال (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير). وقال (فلا تجعلوا لله أندادا) وفي الصحيحين عن ابن مسعود قال قلت يارسول الله أي الذنب أعظم قال ان تجعل لله ندا وهو خلقك. قلت ثم أي قال ان تقتل ولدك خشية ان يطعم معك. قلت ثم أي قال ان تزاني بحليلة جارك. وقال تعالى (ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله). فمن سوى بين الخالق والمخلوق في الحب له والخوف منه والرجاء له فهو مشرك والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم نهى امته عن دقيق الشرك وجليله حتى قال صلى الله عليه وسلم من حلف بغير الله فقد أشرك رواه أبو داود. وقال له رجل ماشاء الله وشئت فقال أجعلتني لله ندا بل ماشاء الله وحده وقال لاتقولوا ماشاء الله وشاء محمد. ولكن قولوا ماشاء الله ثم شاء محمد. وجاء معاذ بن جبل مرة فسجد له فقال له ماهذا يامعاذ. فقال يارسول الله رأيتهم في الشام يسجدون لاساقفتهم فقال يامعاذ انه لايصلح السجود الا لله ولو كنت آمرا أحدا ان يسجد لاحد لامرت المرأة ان تسجد لزوجها من عظم حقه عليها. فلهذا فرق النبي صلي الله تعالى عليه وسلم بين زيارة أهل التوحيد وبين زيارة أهل الشرك فزيارة أهل التوحيد لقبور المسلمين تتضمن السلام عليهم والدعاء لهم وهو مثل الصلاة على جنائزهم وزيارة أهل الشرك تتضمن انهم يشبهون المخلوق بالخالق ينذرون له ويسجدون له ويدعونه ويحبونه مثل مايحبون الخالق فيكونون قد جعلوه لله ندا وسووه برب العالمين وقد نهى الله تعالى ان يشرك به الملائكة والانبياء وغيرهم. فقال تعالى (ما كان لبشر ان يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون ولا يأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا أيأمركم بالكفر بعد اذ أنتم مسلمون) وقال تعالى (قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لايملكون كشف الضر عنكم ولاتحويلا أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويخافون عذابه ان عذاب ربك كان محذورا) *

قالت طائفة من السلف كان اقوام يدعون الانبياء كالمسيح وعزير ويدعون الملائكة فأخبرهم الله ان هؤلاء عبيده يرجون رحمته ويخافون عذابه ويتقربون اليه بالاعمال ونهى سبحانه ان يضرب له مثلا بالمخلوق فلا يشبه بالمخلوق الذي يحتاج الى الاعوان والحجاب ونحو ذلك قال

تعالى (واذا سألك عبادى عنى فاني قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون) وقال تعالى (قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة فى السموات ولا في الارض ومالهم فيهما من شرك وماله منهم من ظهير ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له) وسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم سيد الشفعاء لديه وشفاعته أعظم الشفاعات وجاهه عند الله أعظم الجاهات . ويوم القامة اذا طلب الخلق الشفاعة من آدم ثم من نوح ثم من ابراهيم ثم من موسى ثم من عيسى كل واحد يحيلهم على الآخر فاذا جاؤا الى المسيح يقول اذهبوا الى محمد عبد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر قال فاذهب فاذا رأيت ربى خررت له ساجدا وأحمد ربى بمحامد يفتحها على لا أحسنها الآن فيقال أى محمد ارفع رأسك قل يسمع سل تعطه واشفع تشفع قال فيحد لى حدا فادخلهم الجنة فمن انكر شفاعة نبينا صلى الله عليه وسلم فى أهل الكبائر فهو مبتدع ضال كما ينكرها الخوارج والمعتزلة . ومن قال ان مخلوقا يشفع عند الله بغير اذنه فقد خالف اجماع المسلمين ونصوص القرآن قال تعالى (من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه) وقال تعالى (ولا يشفعون الا لمن ارتضى) وقال تعالى (وكم من ملك في السموات لا تغنى شفاعتهم شيأ الا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى) وقال تعالى (وخشعت الاصوات للرحمن فلا تسمع الا همسا يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من أذن له الرحمن ورضى له قولا) وقال تعالى (مالكم من دونه من ولي ولا شفيع) ومثل هذا في القرآن كثير فالدين هو متابعة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بان يأمر بما أمر به وينهى عما نهى عنه ويحب ما احبه الله ورسوله من الاعمال والاشخاص ويبغض ما ابغضه الله ورسوله من الاعمال والاشخاص والله سبحانه وتعالى قد بعث رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم بالفرقان ففرق بين هذا وهذا فليس لاحد ان يجمع بين مافرق الله بينه فمن سافر الي المسجد الحرام والمسجد الاقصى او مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم فصلى فى مسجده وصلى فى مسجد قباء وزار القبور كما مضت به سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فهذا هو الذي عمل العمل الصالح ومن انكر هذا السفر فهو كافر يستتاب فان تاب والا قتل . واما من قصد السفر لمجرد زيارة القبر ولم يقصد الصلاة فى مسجده وسافر الى مدينته فلم يصل فى مسجده صلى الله عليه وسلم ولا سلم عليه في الصلاة بل اتى القبر ثم رجع فهذا مبتدع ضال مخالف لسنة رسول الله صلى

الله عليه وسلم ولاجماع اصحابه ولعلماء أمته وهو الذى ذكر فيه القولان (أحدهما) أنه محرم (والثانى) لا شئ عليه ولا اجر له والذى يفعله علماء المسلمين هو الزيارة الشرعية يصلون فى مسجده صلى الله عليه وسلم ويسلمون عليه فى الدخول للمسجد وفي الصلاة وهذا مشروع باتفاق المسلمين قد ذكرت هذا في المناسك وفي الفتيا وذكرت أنه يسلم على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى صاحبيه وهذا الذى لم اذكر فيه نزاعا فى الفتيا مع ان فيه نزاعا اذ من العلماء من لا يستحب زيارة القبور مطلقا ومنهم من يكرهها مطلقا كما نقل ذلك عن ابراهيم النخعي والشعبي ومحمد ابن سيرين وهؤلاء من أجلة التابعين ونقل ذلك عن مالك وعنه أنها مباحة ليست مستحبة واما اذا قدر من اتى المسجد فلم يصل فيه ولكن اتى القبر ثم رجع فهذا هو الذي انكره الائمة كمالك وغيره وليس هذا مستحبا عند أحد من العلماء وهو محل النزاع هل هو حرام او مباح وما علمنا أحدا من علماء المسلمين استحب مثل هذا *

﴿ثم ذكر عليه الرحمة حكم السفر الى القبور من كلامه في الجواب الباهر فقال﴾

واما السفر الى قبور الانبياء والصالحين فهذا لم يكن موجودا فى الاسلام فى زمن مالك وانما حدث هذا بعد القرون الثلاثة قرن الصحابة والتابعين وتابعيهم *

فاما هذه القرون التى اثنى عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يكن هذا ظاهرا فيها ولكن بعدها ظهر الافك والشرك. ولهذا لما سأل سائل لمالك عن رجل نذر ان يأتى قبر النبي صلى الله عليه وسلم. فقال ان كان اراد المسجد فليأته وليصل فيه وان كان اراد القبر فلا يفعل للحديث الذى جاء لا تعمل المطي الا الى ثلاثة مساجد وكذلك من يزور قبور الانبياء والصالحين ليدعوهم او يطلب منهم الدعاء او يقصد الدعاء عندهم لكونه اقرب اجابة فى ظنه فهذا لم يكن يعرف على عهد مالك لا عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم ولا غيره. واذا كان مالك يكره ان يطيل الوقوف عنده للدعاء فكيف بمن لا يقصد لا السلام عليه ولا الدعاء له. وانما يقصد دعاءه وطلب حوائجه منه ويرفع صوته عنده فيؤذى الرسول ويشرك بالله ويظلم نفسه ولم يعتمد الائمة الاربعة ولا غير الاربعة على شيء من الاحاديث التى يرويها بعض الناس فى ذلك مثل مايروون انه قال من زارنى فى مماتى فكانما زارني في حياتى ومن قوله من زارنى وزار ابى فى عام ضمنت له على الله الجنة ونحو ذلك فان هذا لم يروه احد من أئمة المسلمين ولم يعتمدوا عليها

ولم يروها لا أهل الصحاح ولا اهل السنن التى يعتمد عليها كابي داود والنسائي لانها ضعيفة بل موضوعة كما قد بين العلماء الكلام عليها ومن زاره فى حياته كان من المهاجرين اليه والواحد بعدهم لو انفق مثل احد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه وهو اذا اتى بالفرائض لا يكون مثل الصحابة فكيف يكون مثلهم فى النوافل او بما ليس قربة او بما هو منهي عنه. وكره مالك رحمه الله ان يقول القائل زرت قبر النبي صلى الله عليه وسلم كره هذا اللفظ لان السنة لم تأت به في قبره *

وقد ذكروا فى تعليل ذلك وجوها ورخص غيره فى هذا اللفظ للاحاديث العامة فى زيارة القبور ومالك يستحب مايستحبه سائر العلماء من السفر الى المدينة والصلاة فى مسجده وكذلك السلام عليه وعلى صاحبيه عند قبورهم اتباعا لابن عمر. ومالك رضى الله عنه من اعظم الناس بهذا لانه قد رأى التابعين الذين رأوا الصحابة بالمدينة ولهذا كان يستحب اتباع السلف فى ذلك ويكره ان يبتدع احد هناك بدعة فكره ان يطيل القيام والدعاء عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم لان الصحابة لم يكونوا يفعلون ذلك وكره لاهل المدينة كلما دخل انسان المسجد ان يأتي قبر النبي صلى الله عليه وسلم لان السلف لم يكونوا يفعلون ذلك *

قال مالك ولا يصلح آخر هذه الامة الا ماصلح اولها بل كانوا يأتون الى مسجده فيصلون خلف ابى بكر وعمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم أجمعين فان الاربعة صلوا أئمة فى مسجده والمسلمون يصلون خلفهم وهم يقولون في الصلاة السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته كما كانوا يقولون ذلك فى حياته. ثم اذا قضوا الصلاة قعدوا أوخرجوا ولم يكون يأتون القبر للسلام لعلمهم بان الصلاة والسلام عليه فى الصلاة اكمل وأفضل وهى المشروعة *

وأما دخولهم عند قبره للصلاة والسلام عليه هناك او الصلاة والدعاء فانه لم يشرعه لهم بل نهاهم. وقال لا تتخذوا قبري عيدا وصلوا على حيثما كنتم فان صلاتكم تبلغنى فبين ان الصلاة تصل اليه من البعيد وكذلك السلام ومن صلى عليه مرة صلى الله عليه بها عشرا ومن سلم عليه سلم الله عليه عشرا. وتخصيص الحجرة بالصلاة والسلام جعل لها عيدا وهو قد نهاهم عن ذلك ونهاهم ان يتخذوا قبره أو قبر غيره مسجدا ولعن من فعل ذلك ليحذروا ان يصيبهم مثل ماصاب غيرهم من اللعنة وكان أصحابه خير القرون وهم اعلم الناس بسننه وأطوع الامة

لامره وكانوا اذا دخلوا الى المسجد لايذهب أحد منهم الى قبره لامن داخل الحجرة ولا من خارجها . وكانت الحجرة فى زمانهم يدخل اليها من الباب اذ كانت عائشة فيها وبعد ذلك الى ان بنى الحائط الآخر وهم مع ذلك التمكن من الوصول الى قبره لايدخلون اليه لا لسلام ولا لصلاة ولا لدعاء لأنفسهم ولا لسؤال عن حديث أو علم ولا كان الشيطان يطمع فيهم حتى يسمعهم كلاما وسلاما فيظنون انه هو كلمهم وافتاهم وبين لهم الاحاديث او انه قد رد عليهم السلام بصوت يسمع من خارج كما طمع الشيطان فى غيرهم فاضلهم عند قبره وقبر غيره حتى ظنوا ان صاحب القبر يحدثهم ويفتيهم ويأمرهم وينهاهم فى الظاهر وانه يخرج من القبر ويرونه خارجا من القبر ويظنون ان نفس ابدان الموتى خرجت من القبر تكلمهم وان روح الميت تجسدت لهم فرأوها كما رآهم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ليلة المعراج يقظة لا مناما فان الصحابة رضوان الله عليهم خير قرون هذه الامة التى هى خير امة اخرجت للناس وهم تلقوا الدين عن النبي صلى الله عليه وسلم بلا واسطة ففهموا من مقاصده وعاينوا من أفعاله وسمعوا منه شفاها مالم يحصل لمن بعدهم وهم قد فارقوا جميع أهل الارض وعادوهم وهجروا جميع الطوائف وأديانهم وجاهدوا باموالهم وانفسهم . قال صلى الله عليه وسلم فى الحديث الصحيح لاتسبوا أصحابى فوالذى نفسى بيده لوأنفق أحدكم مثل احد ذهبا مابلغ مد احدهم ولا نصيفه وهذا قاله لخالد بن الوليد لما تشاجر هو وعبد الرحمن بن عوف لان عبد الرحمن بن عوف كان من السابقين الاولين وهم الذين انفقوا من قبل الفتح وقاتلوا وهو فتح الحديبية وخالد هو وعمرو ابن العاص وعثمان بن طلحة أسلموا فى مدة الهدنة بعد الحديبية وقبل فتح مكة فكانوا من المهاجرين التابعين لا من المهاجرين الاولين *

وأما الذين اسلموا عام فتح مكة فليسوا بمهاجرين لأنه لاهجرة بعد الفتح بل كان الذين اسلموا من أهل مكة يقال لهم الطلقاء لان النبى صلى الله عليه وسلم اطلقهم بعد الاستيلاء عليهم عنوة كما يطلق الاسير والذين بايعوه تحت الشجرة ومن كان من مهاجرة الحبشة هم السابقون الاولون من المهاجرين والانصار *

وفى الصحيح عن جابر قال قال لنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يوم الحديبية أنتم خير أهل الارض وكنا الفا واربعمائة ولهذا لم يطمع الشيطان ان ينال منهم من الاضلال والاغواء ما نال ممن

بعدهم فلم يكن فيهم من يتعمد الكذب على النبي صلى الله عليه وسلم وان كان له أعمال غير ذلك قد تنكر عليه لو لم يكن فيهم من أهل البدع المشهورة كالخوارج والروافض والقدرية والمرجئة والجهمية بل كل هؤلاء انما حدثوا فيمن بعدهم ولم يكن فيهم من طمع الشيطان ان يترائى له في صورة بشر ويقول انا الخضر أو انا ابراهيم أو موسى أو عيسى أو المسيح أو ان يكلمه عند قبر حتى يظن ان صاحبه كلمه بل هذا انما ناله فيمن بعدهم وناله ايضا من النصارى حيث اتاهم بعد الصلب. وقال ان هو المسيح وهذه مواضع المساير ولايقول انا الشيطان فان الشيطان لا يكون جسدا أو كما قال . وهذا هو الذى اعتمد عليه النصارى في انه صلب لا في مشاهدته فان أحدا منهم لم يشاهد الصلب وانما حضره بعض اليهود وعلقوا المصلوب وهم يعتقدون انه المسيح ولهذا جعل الله هذا من ذنوبهم وان لم يكونو صلبوه ولكنهم قصدوا هذا الفعل وفرحوا به قال تعالى (وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيما وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وان الذين اختلفوا فيه لفى شك منه مالهم به من علم الا اتباع الظن وما قتلوه يقينا بل رفعه الله اليه) وبسط هذا له موضع آخر *

﴿ والمقصود ﴾ ان الصحابة رضى الله عنهم لم يطمع الشيطان ان يضلهم كما اضل به غيرهم من أهل البدع الذين تأولوا القرآن على غير تأويله وجهلوا السنة اذا رأوا أوسمعوا امورا من الخوارق فظنوها من جنس آيات الانبياء والصالحين وكانت من أفعال الشياطين كما اضل النصارى واهل البدع بمثل ذلك فهم يتبعون المتشابه من الكتاب ويدعون المحكم ولذلك يتمسكون بالمتشابه من الحجج العقلية والحسية كما يسمع ويرى امورا فيظن انه رحمانى وانما هو شيطاني ويدعون البين الحق الذى لا اجمال فيه ولذلك لم يطمع الشيطان ان يتمثل فى صورته ويغيث من استغاث به أو ان يحمل اليهم صوتا يشبه صوته لان الذين رأوه قد علموا ان هذا شرك لا يحل ولهذا ايضا لم يطمع فيهم ان يقول احد منهم لاصحابه اذا كانت لكم حاجة فتعالوا الى قبرى ولا تستغيثوا بى لا فى محياى ولا فى مماتى كما جرى مثل هذا لكثير من المتأخرين ولا طمع الشيطان ان يأتي احدهم ويقول انا من رجال الغيب أو الاوتاد الاربعة أو من السبعة او الاربعين أو يقول له انت منهم اذ كان هذا عندهم من الباطل الذى لا حقيقة له . ولا طمع الشيطان ان يأتي احدهم فيقول انا رسول الله ويخاطبه عند القبر كما وقع ذلك لكثير ممن بعدهم عند

قبره وقبر غيره وعند غير القبور كما يقع كثير من ذلك للمشركين وأهل الكتاب يرون بعد الموت من يعظمونه . فاهل الهند يرون من يعظمونه من شيوخهم الكفار وغيرهم والنصارى يرون من يعظمونه من الانبياء والحواريين وغيرهم . والضلال من أهل القبلة يرون من يعظمونه *

* أما النبي صلى الله تعالى عليه وسلم . وأما غيره من الانبياء يقظة ويخاطبهم ويخاطبونه وقد يستفتونه ويسئلونه عن احاديث فيجيبهم . ومنهم من يخيل له ان الحجرة قد انشقت وخرج منها النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وعانقه هو وصاحباه . ومنهم من يخيل اليه انه رفع صوته بالسلام حتى وصل مسيرة ايام الى مكان بعيد . وهذا وامثاله اعرف ممن وقع له هذا واشباهه عددا كثيرا . وقد حدثني بما وقع له فى ذلك وبما اخبر به غيره من الصادقين من يطول هذا الموضع بذكرهم *

وهذا موجود عند خلق كثير كما هو موجود عند النصارى والمشركين لكن كثير من الناس يكذب بهذا وكثير منهم اذا صدق به يعتقد انه من الآيات الالهية وان الذى رأى ذلك رآه لصلاحه ودينه ولم يعلم انه من الشيطان وانه اضل من فعل به ذلك وانه بحسب قلة علم الرجل يضله ومن كان اقل علما قال له مايعلم انه مخالف للشريعة خلافا ظاهرا . ومن عنده علم بها لا يقول له ما يعلم انه مخالف للشريعة ولا مفيد فائدة فى دينه بل يضله عن بعض ما كان يعرفه فان هذا فعل الشياطين هو وان ظن انه استفاد شيأ فالذى خسره من دينه اكثر ولهذا لم يقل قط احد من الصحابة ان الخضر اتاه ولا موسى ولا عيسى ولا انه سمع رد النبي صلى الله عليه وسلم وابن عمر كان يسلم ولم يقل قط أنه سمع الرد وكذلك التابعون وتابعوهم وانما حدث هذا في بعض المتأخرين وكذلك لم يكن أحد من الصحابة يأتيه فيسأله عند القبر عن بعض ما تنازعوا فيه واشكل عليهم من العلم لا خلفاؤه الاربعة ولا غيرهم مع أنهم أخص الناس به حتى ابنته فاطمة لم يطمع الشيطان ان يقول لها اذهبي الي قبره فسليه هل يورث كما أنهم أيضا لم يطمع الشيطان فيهم فيقول لهم اطلبوا منه ان يدعو لكم بالمطر لما اجدبوا ولا قال اطلبوا منه ان يستنصر لكم ولا ان يستغفر كما كانوا في حياته يطلبون منه ان يستسقي لهم وان يستغفر لهم فلم يطمع الشيطان فيهم بعد موته ان يطلبوا منه ذلك ولا طمع بذلك فى القرون الثلاثة وانما

ظهرت هـذه الضلالات ممن قل علمه بالتوحيد والسنة فاضله الشـيطان كما اضل النصارى فى أمور لقلة علمهم بما جاء به المسيح ومن قبله من الانبياء صلوات الله عليهم وسلامه وكذلك لم يطمع الشيطان ان يطير بأحدهم في الهواء ولا ان يقطع به الارض فى مدة قريبة كما يقطع مثل هذا لـكثير من المتأخرين لان الاسفار التى كانوا يسافرونها كانت طاعات كسفر الحج والعمرة والجهاد وهم يثابون على كل خطوة يخطونها فيه وكلما بعدت المسافة كان الاجر أعظم كالذي يخرج من بيتـه الى المسجد فخطواته احداهما ترفع درجة والاخرى تحط خطيئة فلم يمكن الشـيطان ان يفوتهـم ذلك الاجر بأن يحملهم فى الهواء او يؤزهم فى الارض ازا حتى يقطعوا المسافة بسرعة . وقد علموا ان النبي صلى الله عليه وسلم انما اسرى به الله من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى ليريه من آياته وانه اراه من آياته الـكبرى وكان هذا من خصائصه فليس لمن بعده مثل هذا المعراج ولـكن الشياطين تخيل اليه معاريج شيطانية كما خيلها لجماعة من المتأخرين . واما قطع النهر الـكبير بالسير على الماء فهذا قد يحتاج اليه المؤمنون أحيانا مثـل ان لا يمكنهم العبور الى العدو وتكميل الجهاد الا بذلك فلهـذا كان الله يكرم من يحتاج الى ذلك من الصحابة والتابعين بمثل ذلك كما اكرم به العلاء بن الحضرمى وأصحابه وابا مسلم الخولانى وأصحابه . وبسط هذا موضع آخر غير هذا الـكتاب لـكن المقصود ان يعرف ان الصحابة خير القرون وأفضل الخلق بعد الانبياء فما ظهر فيمن بعدهم ممن يظن أنها فضيـلة للمتأخرين ولم تكن فيهم فانها من الشيطان وهى نقيصة لا فضيلة سواء كانت من جنس العلوم أو من جنس العبادات او من جنس الخوارق والآيات أو من جنس السياسة والملك بل خير الناس بعدهم أتبعهم لهم . قال ابن مسعود رضى الله عنـه من كان منكم مستنا فليستن بمن قد مات فان الحى لا تؤمن عليه الفتنة اولئك أصحاب محمد صلى الله تعالي عليه وسلم ابر هذه الامة قلوبا وأعمقها علما واقلها تكلفا قوم اختارهم الله لصحبة نبيه ولاقامة دينه فاعرفوا لهم حقهم وتمسكوا بهديهم فانهم كانوا على الهدي المستقيم . وبسط هذا له موضع آخر*

والمقصود هنا ان الصحابة تركوا البدع المتعلقة بالقبور بقبره وقبر غيره لنهيه صلى الله عليه وسلم عن ذلك ولئلا يتشبهوا باهل الـكتاب الذين اتخذوا قبور الانبياء أوثانا وانما كان بعضهم يأتى من خارج فيسلم عليه اذا قدم من سفر كما كان ابن عمر يفعل بل كانوا فى حياته يسلمون عليه

ثم يخرجون من المسجد لا يأتون اليه عند كل صلاة واذا جاء أحد سلم عليه ردعليه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وكذلك من سلم عليه عند قبره رد عليه وكانوا يدخلون على عائشة فكانوا يسلمون عليه كما يسلمون فى حياته ويقول أحدهم السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته وقد جاء هذا عاما مامن رجل يمر بقبر الرجل كان يعرفه فى الدنيا فيسلم عليه الا رد الله عليه روحه حتى يرد عليه السلام فاذا كان رد السلام موجودا فى عموم المؤمنين فهو في أفضل الخلق اولى . واذا سلم المسلم عليه فى صلاته فانه وان لم يرد عليه لكن الله يسلم عليه عشرا كما فى الحديث من سلم على مرة سلم الله عليه عشرا فالله يجزيه على هذا السلام أفضل مما يحصل بالرد كما انه من صلى عليه مرة صلى الله عليه بها عشرا وكان ابن عمر يسلم عليه ثم ينصرف ولا يقف له او لنفسه لان ذلك لم ينقل عن أحد من الصحابة فكان بدعة محضة قال مالك لن يصلح آخر هذه الامة الا ما اصلح اولها مع أن فعل ابن عمر اذا لم يفعل مثله سائر الصحابة انما يحصل للتسويغ كامثال ذلك فيما يفعله بعض الصحابة واما القول بان هذا الفعل مستحب او منهي عنه او مباح فلا يثبت الا بدليل شرعي فالوجوب والندب والاباحة والاستحباب والكراهة والتحريم لا يثبت شيء منها الا بالادلة الشرعية والادلة الشرعية كلها مرجعها اليه فالقرآن هو الذى بلغه والسنة هى التى علمها والاجماع بقوله عرف أنه معصوم والقياس انما يكون حجة اذا علمنا ان الفرع مثل الاصل او ان علة الاصل فى الفرع . وقد علمنا أنه صلى الله عليه وسلم لا يتناقض فلا يحكم في المتماثلين بحكمين متناقضين ولا يحكم بالحكم لعلة تارة ويمنعه اخرى مع وجود العلة الا لاختصاص احدى الصورتين بما يوجب التخصيص فشرعه هو ماشرعه وسنته هي ماسنها لا يضاف اليه قول غيره وفعله وان كان من أفضل الناس اذا وردت سنته بل ولا يضاف اليه الا بدليل يدل على الاضافة ولهذا كان الصحابة كابى بكر وعمر وابن مسعود يقولون باجتهادهم ويكونون مصيبين موافقين لسنته لكن يقول أحدهم اقول فى هذا برأيي فان يكن صوابا فمن الله وان كان خطأ فمنى ومن الشيطان والله ورسوله بريئان منه فان كان ماخالف سنته فهو شرع منسوخ مبدل لكن المجتهدون وان قالوا برأيهم واخطأوا فلهم أجر وخطأهم مغفور لهم وكان الصحابة اذا أراد أحدهم ان يدعو لنفسه استقبل القبلة ودعا لنفسه كما كانوا يفعلون فى حياته لا يقصدون الدعاء عند الحجرة ولا يدخل أحدهم الى القبر والسلام عليه قد شرع

للمسلمين فى كل صلاة وشرع للمسلمين اذادخل أحدهم المسجد اى مسجد كان*
فالنوع الاول كل صلاة يقول المصلى السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته . ثم يقول السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين قال النبى صلى الله عليه وسلم فاذا قلتم ذلك أصابت كل عبد صالح لله فى السما والارض فقد شرع للمسلمين فى كل صلاة ان يسلموا على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم خصوصا وعلى عباد الله الصالحين من الملائكة والانس والجن وفى الصحيحين عن ابن مسعود رضى الله عنه قال كنا نقول خلف النبي صلى الله عليه وسلم فى الصلاة السلام على فلان وفلان فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله هو السلام فاذا قعد أحدكم فى الصلاة فليقل التحيات لله والصلوات والطيبات السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين أشهد أن لا اله الا الله واشهد أن محمدا عبده ورسوله وقد روى عنه التشهد بالفاظ أخر كما رواه مسلم من حديث ابن عباس وكما كان ابن عمر يعلم الناس التشهد . ورواه مسلم من حديث ابي موسى لكن مثل تشهد ابن مسعود ولكن لم يخرج البخارى الا تشهد ابن مسعود وكل ذلك فان القرآن أنزل على سبعة احرف فالتشهد اولى *
والمقصود أنه صلى الله عليه وسلم ذكر ان المصلى اذا قال السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين اصابت كل عبد صالح فى السماء والارض وهذا يتناول الملائكة والانس والجن كما قال تعالى عنهم وانا منا الصالحون ومنا دون ذلك كنا طرائق قدداً *
والنوع الثانى السلام عليه عند دخول المسجد كما فى المسند والسنن عند فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا دخل أحدكم المسجد فليقل باسم الله والصلاة والسلام على رسول الله اللهم اغفرلى ذنوبي وافتح لى ابواب رحمتك واذا خرج قال باسم الله والصلاة والسلام على رسول الله اللهم اغفرلي ذنوبى وافتح لي أبواب فضلك*
وروى مسلم في صحيحه الدعاء عند دخول المسجد بان يفتح له أبواب رحمته وعند خروجه بسؤال الله من فضله وهذا الدعاء مؤكد فى دخول مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهذا ذكروه العلماء فيما صنفوه من المناسك لمن أتى الى مسجده أن يقول ذلك فان السلام عليه مشروع عند دخول المسجد والخروج وفى نفس كل صلاة . وهذا أفضل وانفع من السلام عند قبره وادوم وهذا مصلحة محضة لا مفسدة فيها يرضى الله ويوصل نفع ذلك الى رسول الله والى المؤمن

وهذا مشروع في كل صلاة وعند دخول المسجد والخروج منه بخلاف السلام عند القبر مع ان قبره من حين دفن لم يمكن أحد من الدخول اليه لا لزيارة ولا لصلاة ولا لدعاء ولا غير ذلك ولكن كانت عائشة فيه لانه بيتها وكانت ناحية عن القبور لان القبور فى مقدم الحجرة وكانت هي فى مؤخر الحجرة ولم يكن الصحابة يدخلون الى هناك وكانت الحجرة على عهد الصحابة خارجة عن المسجد متصلة به وانما دخلت فيه فى خلافة عبد الملك بن مروان بعد موت العبادلة ابن عمر وابن عباس وابن الزبير وابن عمرو بل موت جميع الصحابة الذين كانوا بالمدينة ولم يكن الصحابة يدخلون الى عند القبر ولا يقفون عنده خارجا مع أنهم يدخلون الي مسجده ليلا ونهارا . وقد قال صلى الله تعالي عليه وسلم صلاة فى مسجدى هذا خير من ألف صلاة فيما سواه من المساجد الا المسجد الحرام . وقال لا تشد الرحال الا الي ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجدي هذا ومسجد بيت المقدس وكانوا يقدمون من الاسفار للاجتماع بالخلفاء الراشدين وغير ذلك فيصلون فى مسجده ويسلمون عليه فى الصلاة وعند دخول المسجد والخروج منه ولا يأتون القبر اذ كان عندهم مما لم يامرهم به ولم يسنه لهم وانما أمرهم وسن لهم الصلاة والسلام عليه فى الصلاة وعند دخولهم المساجد وغير ذلك ولكن ابن عمر كان يأتيه فيسلم عليه وعلى صاحبيه عند قدومه من السفر وقد يكون فعله غير ابن عمر ايضا فهكذا رأي من رأى من العلماء هذا جائز اقتداء بالصحابة رضى الله عنهم وابن عمر كان يسلم ثم ينصرف ولا يقف يقول السلام عليك يارسول الله السلام عليك ياأبا بكر السلام عليك ياأبت ثم ولم يكن جمهور الصحابة يفعلون ذلك اذ لم يكن هذا سنة سنها لهم . وكذلك أزواجه كن على عهد الخلفاء وبعدهم يسافرن للحج ثم ترجع كل واحدة الى بيتها كما وصاهن بذلك وكانت امداد اليمن الذين قال الله فيهم فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه على عهد ابى بكر وعمر يأتون أفواجا من اليمن للجهاد فى سبيل الله ويصلون خلف ابى بكر وعمر فى مسجده ولا يدخل أحد منهم الى داخل الحجرة ولا يقف فى المسجد خارجا منها لا لدعاء ولا صلاة ولا سلام ولا غير ذلك وكانوا عالمين بسنته كما علمهم الصحابة والتابعون ان حقوقه ملازمة لحقوق الله وان جميع ما أمر الله به وأحبه من حقوقه وحقوق رسوله فان صاحبها يؤمر بها فى جميع المواضع والبقاع فليست الصلاة والسلام عليه عند قبره باوكد من ذلك فى غير ذلك المكان بل صاحبها مأمور

بها حيث كان اما مطلقا واما عند الاسباب المؤكدة لها كالصلاة والدعاء والاذان ولم يكن شيء من حقوقه ولا شيء من العبادات هو عند قبره أفضل منه فى غير تلك البقعة بل نفس مسجده له فضيلة لكونه مسجده . ومن اعتقد أنه قبل القبر لم يكن له فضيلة اذ كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يصلى فيه والمهاجرون والانصار وانما حدثت له الفضيلة في خلافة الوليد بن عبد الملك لما ادخل الحجرة فى مسجده . فهذا لا يقوله الا جاهل مفرط فى الجهل او كافر فهو مكذب لما جاء مستحق للقتل *

وكان الصحابة يدعون فى مسجده كما كانوا يدعون فى حياته لم يتجدد لهم شريعة غير الشريعة التي علمهم اياها فى حياته وهو لم يأمرهم اذا كان لاحدهم حاجة ان يذهب الى قبر نبي او صالح فيصلي عنده ويدعوه او يدعو بلا صلاة او يسأله حوائجه او يسأله ان يسأل ربه فقد علم الصحابة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يأمرهم بشيء من ذلك ولا أمرهم ان يخصوا قبره اوحجرته الى جوانب حجرته لا بصلاة ولا دعاء لا له ولا لانفسهم بل قد نهاهم ان يتخذوا بيته عيدا فلم يقل لهم كما يقول بعض الشيوخ الجهال لاصحابه اذا كان لكم حاجة فتعالوا الى قبرى بل نهاهم عما هو ابلغ من ذلك ان يتخذوا قبره او قبر غيره مسجدا يصلون فيه لله ليسد ذريعة أمته قد الشرك . فصلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليما . وجزاه عنا أفضل ماجزى نبيا عن بلغ الرسالة وأدى الامانة ونصح الامة وجاهد فى الله حق جهاده وعبد الله حتى أتاه اليقين من ربه فكان انعام الله به أفضل نعمة أنعم بها على أهل الارض *

وقد دلهم صلى الله تعالى عليه وسلم على أفضل العبادات وأفضل البقاع كما فى الصحيحين عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال قلت يارسول الله أى العمل أفضل قال الصلاة على مواقيتها قلت ثم أى قال ثم بر الوالدين قلت ثم أى قال الجهاد فى سبيل الله سألته عنهن ولو استزدته لزادني . وفي المسند وسنن ابن ماجه عن ثوبان عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال . استقيموا ولن تحصوا واعلموا ان خير اعمالكم الصلاة ولا يحافظ على الوضوء الا مؤمن والصلاة قد سن للامة ان تتخذ لها مساجد وهى أحب البقاع الى الله كما ثبت عنه فى صحيح مسلم وغيره أنه قال . أحب البقاع الى الله المساجد . وأبغض البقاع الى الله الاسواق . ومع هذا فقد لعن من يتخذ قبور الانبياء والصالحين مساجد وهو فى مرض الموت نصيحة للامة وحرصا منه

على هذا كما نعتـه الله بقوله (لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم) *

وفى الصحيحين عن عائشة رضي الله تعالى عنها أنها قالت قال رسول الله صلى الله عليـه وسلم فى مرضه الذى لم يقم منه. لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد قالت عائشة ولولا ذلك لا برز قبره ولـكن كره ان يتخذ مسجدا *

وعن عائشة وابن عباس قالا لما نزل برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم طفق يطرح خميصة له على وجهه فاذا اغتم كشفها عن وجهه. فقال وهو كذلك لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور انبيائهم مساجد يحذر ماصنعوا *

ومن حكمة الله تعالى ان عائشة أم المؤمنين صاحبة الحجرة التى دفن فيها تروي هذه الاحاديث وقد سمعتها منه وان كان غيرها من الصحابة سمعها ايضا كابن عباس وابى هريرة وجندب وابن مسعود رضى الله تعالى عنهم . وفى الصحيحين عن ابى هريرة رضى الله عنـه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قاتل الله اليهود اتخذوا قبور انبياءهم مساجد . وفى الصحيحين عن عائشة ان ام حبيبة وام سلمة ذكرتا كنيسة رأينها بارض الحبشة فيها تصاوير لرسول الله صلى الله عليـه وسلم فقال ان أولئك اذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجدا وصوروا فيه تلك الصور . أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة * وفى صحيح مسلم عن جندب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان يموت بخمس وهو يقول انى ابرأ الى الله ان يكون لى منكم خليل فان الله قد اتخذنى خليلا كما اتخذ ابراهيم خليلا ولو كنت متخذا من أهل الارض خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا الا وان من كان قبلكم كانوا يتخـذون القبور مساجد الا فلا تتخذوا القبور مساجد فانى انها كم عن ذلك * وفى صحيح مسلم عن ابى مرثد الغنوى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لاتجلسوا على القبور ولا تصلوا اليها. وفى المسند وصحيح ابى حاتم انه قال أن من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم احياء والذين يتخذون القبور مساجد .

﴿ وقد تقدم نهيه ﴾ ان يتخذ قبره عيدا فلما علم الصحابة انه قد نهاهم عن ان يتخذوه مصـلى للفرائض التى يتقرب بها الى الله لئلا يتشبهوا بالمشركين الذين يتخذونها ويصلون بها ويندرون لها كان نهيهم عن دعائها اعظم واعظم كما انه لما نهاهم عن الصلاة عند طلوع الشمس وغروبها

لئلا يتشبهوا بمن يسجد للشمس كان نهيهم عن السجود للشمس اولى فكان الصحابة يقصدون الصلاة والدعاء والذكر فى المساجد التى بنيت لله دون قبور الانبياء والصالحين التى نهوا ان يتخذوها مساجد وانما هى بيوت المخلوقين وكانوا يفعلون بعد موته ما كانوا يفعلون فى حياته

﴿ ثم ذكر فصلا فى جوابه عن غلو بعض الناس فى تعظيم القبور حتى قال ان البلاء يندفع عن أهل البلد أو الاقليم بمن هو مدفون عندهم من الانبياء والصالحين ﴾

قال شيخ الاسلام في اثناء كلامه فى الجواب الباهر واما ما يظنه بعض الناس انه يندفع البلاء عن اهل بغداد بقبور ثلاثة احمد بن حنبل وبشر الحافى ومنصور ابن عمار. ويظن بعضهم انه يندفع البلاء عن اهل الشام بمن عندهم من قبور الانبياء الخليل وغيره عليهم السلام. وبعضهم يظن انه يندفع البلاء عن اهل مصر بنفيسة او غيرها او يندفع عن اهل الحجاز بقبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم واهل البقيع او غيرهم *

فكل هذا غلو مخالف لدين المسلمين مخالف للكتاب والسنة والاجماع فالبيت المقدس كان عنده من قبور الانبياء والصالحين ماشاء الله . فلما عصوا الانبياء وخالفوا ماامر الله به ورسله سلط عليهم من انتقم منهم والرسل الموتى ماعليهم الا البلاغ . وقد بلغوهم رسالة ربهم . وكذلك نبينا قال الله تعالى فى حقه (ان عليك الا البلاغ) وقال (وما على الرسول الا البلاغ المبين) . وقد ضمن الله لكل من اطاع الرسول ان يهديه وينصره فمن خالف الرسول استحق العذاب ولم يغن عنه احد من الله شيئا كما قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ياعباس عم رسول الله لا اغنى عنك من الله شيئا يافاطمة بنت محمد لا اغنى عنك من الله شيئا . وقال لمن والاه من اصحابه لالفين احدكم يأتى يوم القيامة على رقبته بعير له رغاء يقول يارسول الله اغثنى فاقول لا املك لك من الله شيئا قد بلغتك وكان اهل المدينة فى خلافة ابى بكر وعمر وعثمان وعلى افضل اهل الدنيا والآخرة لتمسكهم بطاعة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم . ثم تغيروا بعض التغير فقتل عثمان وخرجت الخلافة خلافة النبوة من عندهم وصاروا رعية لغيرهم . ثم تغيروا بعض التغير فجرى عليهم عام الحرة من النهب والقتل وغير ذلك من المصائب مالم يجر عليهم قبل ذلك والذى فعل بهم ذلك وان كان ظالما متعديا فليس هو اظلم ممن فعل بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم واصحابه مافعل . وقد قال الله تعالى (أولما اصابتكم مصيبة قد اصبتم مثليها قلتم انى هذا قل هو من

عند انفسكم) وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم والسابقون الاولون مدفونين بالمدينة — وكذلك الشام كان اهله في اول الاسلام في سعادة الدنيا والدين . ثم جرت فتن وخرج الملك من ايديهم ثم سلط عليهم المنافقون الملاحدة والنصارى بذنوبهم واستولوا على بيت المقدس وقبر الخليل وفتحوا البناء الذي كان عليه وجعلوه كنيسة . ثم صلح دينهم فاعزهم الله ونصرهم على عدوهم لما اطاعوا الله ورسوله واتبعوا ما انزل اليهم من ربهم فطاعة الله ورسوله هي قطب وعليها تدور ومن يطع الله ورسوله فأولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا . وكان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يقول في خطبته من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فلا يضر الا نفسه ولا يضر الله شيئا . ومكة نفسها لا يدفع البلاء عن أهلها ويجلب لهم الرزق الا بطاعتهم لله ورسوله كما قال الخليل عليه السلام (رب اني اسكنت من ذريتي بواد غير ذي ذرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل افئدة من الناس تهوي اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون) *

وكانوا في الجاهلية يعظمون حرمة الحرم ويحجون ويطوفون بالبيت وكانوا خيرا من غيرهم من المشركين والله لا يظلم مثقال ذرة فكانوا يكرمون مالا يكرم غيرهم ويؤتون مالا يؤتاه غيرهم لكونهم كانوا متمسكين من دين ابراهيم اعظم ما تمسك به غيرهم وهم في الاسلام ان كانوا افضل من غيرهم كان جزاؤهم بحسب فضلهم . وان كانوا اسوأ عملا من غيرهم كان جزاؤهم بحسب سياءتهم فالمساجد والمشاعر انما تنفع فضيلتها لمن عمل فيها بطاعة الله والا فمجرد البقاع لا يحصل بها ثواب ولا عقاب . وانما الثوب والعقاب على الاعمال المأمور بها والمنهى عنها . وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد آخى بين سلمان الفارسي وابي الدرداء وكان ابو الدرداء بدمشق وسلمان بالعراق فكتب ابو الدرداء الى سلمان هلم الي الارض المقدسة فكتب اليه سلمان ان الارض لا تقدس احدا وانما يقدس الرجل عمله والمقام بالثغور للجهاد افضل من سكنى الحرمين باتفاق العلماء ولهذا كان سكنى الصحابة بالمدينة افضل للهجرة والله هو الذى خلق الخلق وهو الذى يهديهم ويرزقهم وينصرهم وكل من سواه لا يملك شيئا من ذلك * كما قال تعالى (قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض وما لهم فيهما من شرك وماله منهم من ظهير ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له) وقد فسروها

بان يؤذن للشافع والمشفوع له جميعا فان سيد الشفعاء يوم القيامة محمد صلى الله عليه وسلم . واذا اراد الشفاعة قال فاذا رأيت ربى خررت له ساجدا فاحمده بمحامد يفتحها على لا احسنها الآن فيقال لى ارفع رأسك وقل يسمع وسل تعطه واشفع تشفع قال فيحد لى حدا فادخلهم الجنة وكذلك ذكره فى المرة الثانية والثالثة *

ولهذا قال ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة الا من شهد بالحق فاخبر انه لا يملكها احد دون الله وقوله الا من شهد بالحق وهم يعلمون استثناء منقطع اى من شهد بالحق وهم يعلمون هم اصحاب الشفاعة . منهم الشافع . ومنهم المشفوع له * وقد ثبت في الصحيح عن ابى هريرة انه قال من اسعد الناس بشفاعتك يارسول الله . فقال لقد ظننت يااباهريرة ان لا يسألنى عن هذا الحديث اول منك لما رأيت حرصك على الحديث اسعد الناس بشفاعتي من قال لا اله الا الله خالصا من قبل نفسه رواه البخاري فجعل أسعد الناس بشفاعتى اكملهم اخلاصا . وقال فى الحديث اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل مايقول . ثم صلوا على فانه من صلى على مرة صلى الله عليه بها عشرا . ثم سلوا الله لى الوسيلة فانها درجة فى الجنة لا تنبغي الا لعبد من عباد الله وارجو ان اكون ذلك العبد فمن سأل الله لى الوسيلة حلت عليه شفاعتى يوم القيامة فالجزاء من جنس العمل . فقد اخبر صلى الله عليه وسلم انه من صلى عليه مرة صلى الله عليه بها عشرا . قال ومن سأل لى الوسيلة حلت عليه شفاعتى يوم القيامة ولم يقل كان اسعد الناس بشفاعتى بل قال أسعد الناس بشفاعتى من قال لا اله الا الله خالصا من قبل نفسه فعلم ان مايحصل للعبد بالتوحيد والاخلاص من شفاعة الرسول وغيرها لا يحصل بغيره من الاعمال وان كان صالحا كسؤال الوسيلة للرسول فكيف بما لم يأمر به من الاعمال بل نهى عنه فذاك لا ينال به خيرا لا في الدنيا ولا فى الآخرة مثل غلو النصارى فى المسيح فانهم يضرهم ولا ينفعهم ونظير هذا فى الصحيح عنه انه قال وان لكل نبي دعوة مجابة وانى اختبأت دعوتى شفاعتى لامتي يوم القيامة فهى نائلة ان شاء الله من مات لا يشرك بالله شيئا وكذلك فى أحاديث الشفاعة كلها انما يشفع فى أهل التوحيد فبحسب توحيد العبد لربه واخلاصه دينه لله يستحق كرامة الله بالشفاعة وغيرها وهو سبحانه علق الوعد والوعيد والثواب والعقاب والحمد والذم بالايمان وتوحيده وطاعته فمن كان أكمل فى ذلك كان أحق بتولى الله له بخير الدنيا والآخرة ثم جميع عباده مسلمهم وكافرهم هو الذى

رزقهم وهو الذي يدفع عنهم المكاره وهو الذى يقصدونه فى النوائب قال تعالى (وما بكم من نعمة فمن الله ثم اذا مسكم الضرفاليه تجازون) وقال تعالى قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن) أى بدلا عن الرحمن هذا أصح القولين كقوله تعالى (ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة في الارض يخلفون) أى لجعلنا بدلا منكم كما قاله عامة المفسرين ومنه قول الشاعر *

﴿ فليت لنا من ماء زمزم شربة * مبردة باتت على طيهان ﴾

أي بدلا من ماء زمزم فلا يكلأ الخلق بالليل والنهار فيحفظهم ويدفع عنهم المكاره الا الله قال تعالى (أم من هذا الذى هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن ان الكافرون الا في غرور أم من هذا الذى يرزقكم ان أمسك رزقه بل لجوا فى عتو ونفور) ومن ظن ان أرضا معينة تدفع عن أهلها البلاء مطلقا بخصوصها أو لكونها فيها قبور الانبياء والصالحين فهو غالط فافضل البقاع مكة وقد عذب الله أهلها عذابا شديدا عظيما فقال ضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بانعم الله فاذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون ولقد جاءهم رسول منهم فكذبوه فاخذهم العذاب وهم ظالمون *

﴿ ومن فصول الجواب الباهر لمن سأل من ولاة الامر عما أفتى به فى زيارة المقابر كلام فى ان الزيارة المتضمنه ترك مأمور أو فعل محظور ليست بمشروعة ﴾

قال شيخ الاسلام قدس الله روحه . وقد تنازع المسلمون في زيارة القبور فقال طائفة من السلف ان ذلك كله منهي عنه لم ينسخ فان أحاديث النسخ لم يروها البخارى ولم تشتهر ولما ذكر البخارى باب زيارة القبور . احتج بحديث المرأة التى بكت على القبر ونقل ابن بطال عن الشعبي قال لولا أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم نهى عن زيارة القبور لزرت قبر ابنتي وقال النخعي كانوا يكرهون زيارة القبور وعن ابن سيرين مثله قال وقد سئل مالك عن زيارة القبور فقال قد كان نهى عنه عليه السلام . ثم أذن فلو فعل ذلك انسان ولم يقل الا خيرا لم أر بذلك باسا وليس من عمل الناس . وروى عنه انه كان يضعف زيارتها وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد نهى أولا عن زيارة القبور باتفاق العلماء . فقيل لان ذلك يفضى الى الشرك وقيل لاجل النياحة عندها . وقيل لانهم كانوا يتفاخرون بها . وقد ذكر طائفة من العلماء فى قوله الهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر . انهم كانوا يتكاثرون بقبور الموتى وممن ذكره ابن عطية فى

تفسيره . قال وهذا تانيب على الاكثار من زيارة القبور أى حتى جعلتم أشغالكم القاطعة عن العبادة والعلم زيارة القبور تكثرا بمن سلف واشارة بذكره *

ثم قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها ولا تقولوا هجرا وكان نهيه في معنى الآية . ثم أباح الزيارة بعد لمعنى الاتعاظ لا لمعنى المباهاة والتفاخر وتسنيمها بالحجارة الرخام وتكوينها سربا وبنيان النواويس عليها هذا لفظ ابن عطية *

﴿ والمقصود ﴾ ان العلماء متفقون على انه كان نهى عن زيارة القبور ونهى عن الانتباذ فى الدباء والختم والمزفت والنقير واختلفوا هل نسخ ذلك فقالت طائفة لم ينسخ ذلك لان أحاديث النسخ ليست مشهورة . ولهذا لم يخرج البخارى مافيه نسخ عام * وقال الاكثرون بل نسخ ذلك ثم قالت طائفة منهم انما نسخ الى الاباحة فزيارة القبور مباحة لامستحبة . وهذا قول فى مذهب مالك واحمد وقالوا لان صيغة أفعل بعد الحظر انما تفيد الاباحة كما قال فى الحديث كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها وكنت نهيتكم عن الانتباذ فى الادعية فانتبذوا ولا تشربوا مسكرا . وقد روى ولا تقولوا هجرا وهذا يدل على ان النهى كان لما يقال عندها من الاقوال المنكرة سدا للذريعة كالنهى عن الانتباذ فى الاوعية كان لان الشدة المطربة تدب فيها ولا يدرى بذلك فيشرب الشارب الخمر وهو لا يدري . وقال الاكثرون زيارة قبور المؤمنين مستحبة للدعاء للموتى مع السلام عليهم كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يخرج الى البقيع فيدعو لهم وكما ثبت في الصحيحين انه خرج الى شهداء أحد فصلى عليهم صلاته على الموتى كالمودع للاحياء والاموات * وثبت فى الصحيح انه كان يعلم أصحابه اذا زاروا القبور ان يقولوا السلام عليكم أهل دار قوم مؤمنين وانا ان شاء الله بكم لاحقون يرحم الله المستقدمين منا ومنكم والمستاخرين نسأل الله لنا ولكم العافية اللهم لا تحرمنا أجرهم ولا تفتنا بعدهم واغفر لنا ولهم — وهذا في زيارة قبور المؤمنين — وأما زيارة قبر الكافر فرخص فيه لاجل تذكار الآخرة ولا يجوز الاستغفار لهم وقد ثبت فى الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه زار قبر أمه فبكى وأبكى من حوله وقال استأذنت ربى فى ان أزور قبرها فاذن لى واستأذنته فى ان أستغفر لها فلم يأذن لى فزوروا القبور فانها تذكركم الآخرة * والعلماء المتنازعون كل منهم يحتج بدليل شرعى ويكون عند بعضهم من العلم ماليس عند الآخر فان العلماء ورثة الانبياء . قال الله تعالى (وداود وسليمان اذ يحكمان في

الحرث اذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما

* والاقوال الثلاثة صحيحة باعتبار فان الزيارة اذا تضمنت أمرا محرما من شرك أو كذب أو ندب او نياحة وقول هجر فهي محرمة بالاجماع كزيارة المشركين بالله والساخطين لحكم الله فان هؤلاء زيارتهم محرمة فانه لا يقبل دين الا الاسلام وهو الاستسلام لخالقه وآمره فنسلم لما قدره الله وقضاه ونسلم لما يأمر به ونحبه وهذا نفعله وندعو اليه وذلك نسلمه ونتوكل فيه عليه فنرضى بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد نبيا ونقول فى صلاتنا اياك نعبد واياك نستعين مثل قوله أستعينوا بالصبر والصلاة ان الله مع الصابرين وقوله وأقم الصلاة طرفى النهار وزلفا من الليل ان الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين واصبر فان الله لا يضيع أجر المحسنين) *

والنوع الثانى زيارة القبور لمجرد الحزن على الميت لقرابته أو صداقته فهذه مباحة كما يباح البكاء على الميت بلا ندب ولا نياحة كما زار النبي صلى الله عليه وسلم قبر أمه فبكى وابكي من حوله وقال زوروا القبور فانها تذكركم الآخره فهذه الزيارة كان ينهى عنها لما كانوا يصنعون من المنكر فلما عرفوا الاسلام أذن فيها لان فيها مصلحة وهو تذكر الموت فكثير من الناس اذا رأى قريبه وهو مقبور ذكر الموت واستعد للآخرة وقد يحصل منه جزع فيتعارض الامران ونفس الجنس مباح ان قصد به طاعة وان عمل معصية كان معصية *

وأما النوع الثالث فهو زيارتها للدعاء لها كالصلاة على الجنازة فهذا هو المستحب الذي دلت السنة على استحبابه لان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فعله وكان يعلم أصحابه ما يقولون اذا زاروا القبور — وأما زيارة قباء فيستحب لمن أتى المدينة ان يأتي قباء فيصلي في مسجدها وكذلك يستحب له عند الجمهور ان يأتى البقيع وشهداء أحد كما كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يفعل فزيارة القبور للدعاء للميت من جنس الصلاة على الجنائز يقصد فيها الدعاء لهم لا يقصد فيها أن يدعو مخلوقا من دون الله ولا يجوز ان تتخذ مساجد ولا تقصد لكون الدعاء عندها أو بها أفضل من الدعاء فى المساجد والبيوت. والصلاة على الجنائز أفضل باتفاق المسلمين من الدعاء للموتى عند قبورهم وهذا مشروع بل هو فرض على الكفاية متواتر متفق عليه بين المسلمين ولو جاء انسان الى سرير الميت يدعوه من دون الله ويستغيث به كان هذا شركا محرما باجماع المسلمين

أولو ندبه وناح لكان ايضا محرما وهو دون الاول فمن احتج بزيارة النبي صلى الله عليه وسلم لاهل البقيع وأهل أحد على الزيارة التى يفعلها أهل الشرك وأهل النياحة فهو أعظم ضلالا ممن يحتج بصلاته على الجنازة على انه يجوز ان يشرك بالميت ويدعى من دون الله ويندب ويناح عليه كما يفعل ذلك من يستدل بهذا الذي فعله الرسول وهو عبادة لله وطاعة له يثاب عليه الفاعل وينتفع المدعو له ويرضى به الرب على انه يجوز ان يفعل ماهو شرك بالله وايذاء للميت وظلم من العبد لنفسه كزيارة المشركين وأهل الجزع الذين لايخلصون له الدين ولا يسلمون لما حكم به سبحانه وتعالى . فكل زيارة تتضمن فعل مانهى عنه وترك ماأمر به كالتى تتضمن الجزع وقول الهجر وترك الصبر أوتتضمن الشرك أو دعاء غير الله وترك اخلاص الدين لله فهى منهى عنه — وهذه الثانية أعظم اثمامن الاولى ولا يجوز ان يصلى اليها بل ولا عندها بل ذلك مما نهى عنه النبي صلى الله عليه وسلم فقال لاتصلوا الى القبور ولا تجلسوا عليها رواه مسلم فى صحيحه . فزيارة القبور على وجهين وجه نهى عنه صلى الله تعالى عليه وسلم واتفق العلماء على انه غير مشروع وهو ان يتخذها مساجد ويتخذها وثنا ويتخذهاعيدا فلا يجوز ان تقصد للصلاة الشرعية ولا ان تعبد كما تعبد الاوثان . ولا ان تتخذ عيدا يجتمع اليها فى وقت معين كما يجتمع المسلمون في عرفة ومنى *

وأما الزيارة الشرعية فهى مستحبة عند الاكثرين وقيل مباحة . وقيل كلها منهى عنه كما تقدم والذى تدل عليه الادلةالشرعية انه يحمل المطلق من كلام العلماء على المقيد *

وتفصيل الزيارة على ثلاثة أنواع منهى عنه ومباح ومستحب وهو الصواب . قال مالك وغيره لاتأت الا هذه الآثار (مسجد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ومسجد قباء وأهل البقيع وأحد) فان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لم يكن يقصد الا هذين المسجدين وهاتين المقبرتين كان يصلى يوم الجمعة فى مسجده ويوم السبت يذهب الى قباء كما في الصحيحين عن ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم كان ياتى قباء كل سبت را كبا وماشيا فيصلى فيه ركعتين . وأما احاديث النهي فكثيرة مشهورة فى الصحيحين وغيرهما كقوله صلى الله تعالي عليه وسلم لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور انبياءهم مساجد . ثم ذكر الاحاديث الواردة فى ذلك وقد سبق ذكرها غير مرة . (ومنها) قوله صلى الله تعالى عليه وسلم فيما رواه ابن مسعود ان من شرار

الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء والذين يتخذون القبور مساجد • رواه الامام أحمد فى مسنده وابو حاتم فى صحيحه • وفى سنن أبى داود عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال لا تتخذوا قبرى عيدا وصلوا على فان صلاتكم تبلغنى • وفى موطأ مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال اللهم لا تجعل قبرى وثنا يعبد اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبياءهم مساجد • ثم ذكر الاثر المشهور في سنن سعيد بن منصور • وقال فلما اراد الائمة اتباع سنته في زيارة قبره والسلام طلبوا ما يعتمدون عليه من سنته فاعتمد الامام أحمد على الحديث الذى في السنن عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من رجل يسلم علي الا رد الله علي روحي حتى أرد عليه السلام وعنه أخذ ابو داود ذلك فلم يذكر في زيارة قبره غير هذا الحديث وترجم عليه باب زيارة القبر مع ان دلالة الحديث على المقصود فيها نزاع وتفصيل فانه لا يدل على كل ما يسميه الناس زيارة باتفاق المسلمين ويبقي الكلام المذكور فيه هل هو السلام عند القبر كما كان من دخل على عائشة يسلم عليه أو يتناول هذا والسلام عليه من خارج الحجرة • فالذين استدلوا به جعلوه متناولا لهذا وهذا وهو غاية ما كان عندهم فى هذا الباب عنه صلى الله تعالى عليه وسلم • وهو صلى الله عليه وسلم يسمع السلام من القبر وتبلغه الملائكة الصلاة والسلام من البعد كما في النسائى عنه صلى الله عليه وسلم ان لله ملائكة سياحين يبلغونى عن أمتى السلام • وفى السنن عن أوس بن أوس ان النبى صلى الله عليه وسلم قال اكثروا على من الصلاة يوم الجمعة وليلة الجمعة فان صلاتكم معروضة على قالوا كيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت فقال ان الله حرم على الارض ان تأكل لحوم الانبياء صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليما وذكر مالك فى موطئه ان عبد الله بن عمر كان يأتى فيقول السلام عليك يارسول الله • السلام عليك يا أبا بكر • السلام عليك يا أبتى ثم ينصرف وفى رواية كان اذا قدم من سفر • وعلى هذا اعتمد مالك رحمه الله فيما يفعل عند الحجرة اذا لم يكن عنده الا أثر ابن عمر وأما ما زاد على ذلك مثل الوقوف للدعاء للنبي صلى الله عليه وسلم ومع كثرة الصلاة والسلام عليه فقد كرهه مالك • وذكر انه بدعة لم يفعلها السلف ولا يصلح آخر هذه الامة الا ما أصلح أولها . والله تعالى أعلم *

هذا ما وجدناه من الجواب الباهر • وبه علم مذهب الشيخ فى زيارة القبور وان ما تكلم به الخصوم من غلاة الشافعية ونحوهم هو محض بهتان وزور * وله رضى الله تعالى عنه كتاب آخر

فى مباحث الزيارة بحث فيه مع بعض من اعترض عليه من علماء المالكية وهوأبسط مماذكرنا وفيه مسائل مهمة أيضا فنذكر منه مايخص المقام *

﴿ قال المعترض المالكى ﴾ وورد في زيارة قبره صلى الله عليه وسلم أحاديث صحيحة وغيرها مما لم تبلغ درجة الصحيح لكنها يجوز الاستدلال بها على الاحكام الشرعية ويحصل بها الترجيح *

﴿ قال شيخ الاسلام رحمه الله تعالى ﴾ والجواب من وجوه ﴿ أحدها ﴾ ان يقال لو ورد من ذلك ما هو صحيح لكان انما يدل على مطلق الزيارة وليس فى جواب الاستفتاء نهى مطلق عن الزيارة ولا حكى في ذلك نزاع فى الجواب وانما فيه ذكر النزاع فيمن لم يكن سفره الا لمجرد زيارة قبور الانبياء والصالحين وحينئذ فلو كان في هذا الباب حديث صحيح لم يتناول محل النزاع ولا فيه رد على ماذكره المجيب من النزاع والاجماع *

﴿ الثانى ﴾ انه لو قدر انه ورد فى زيارة قبره أحاديث صحيحة لكان المراد بها هو المراد بقول من قال من العلماء انه يستحب زيارة قبره ومرادهم بذلك السفر الى مسجده وفى مسجده يسلم عليه ويصلى عليه ويدعي له ويثنى عليه ليس المراد انه يدخل الى قبره ويصلى عليه وحينئذ فهذا المراد قد استحبه المجيب وذكر انه مستحب بالنص والاجماع فمن حكي عن المجيب انه لايستحب ما استحبه علماء المسلمين من زيارة قبره على الوجه المشروع فقداستحق مايستحقه الكاذب المفتري . واذا كان يستحب هذا وهو المراد بزيارة قبره فزيارة قبره بهذا المعنى من مواقع الاجماع لامن موارد النزاع *

﴿ الثالث ﴾ ان نقول قول القائل انه ورد فى زيارة قبره أحاديث صحيحة قول لم يذكر عليه دليلا . فاذا قيل له لانسلم انه ورد في ذلك حديث صحيح احتاج الى الجواب وهو لم يذكر شيئا من تلك الاحاديث كما ذكر قوله كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها . وكما ذكر زيارته لاهل البقيع وأحد فان هذا صحيح وهنا لم يذكر شيئا من الحديث الصحيح فبقى ماذكره دعوى مجردة تقابل بالمنع *

﴿ الوجه الرابع ﴾ ان نقول هذا قول باطل لم يقله أحد من علماء المسلمين العارفين بالصحيح وليس فى الاحاديث التى رويت بلفظ زيارة قبره حديث صحيح عند أهل المعرفة ولم يخرج

أرباب الصحيح شيئا من ذلك ولا أرباب السنن المعتمدة كسنن أبي داود والنسائى والترمذي ونحوهم ولا أهـل المساند التى من هذا الجنس كمسند أحمد وغيره ولا فى موطأ مالك ولا في مسند الشافعي ونحو ذلك شيء من ذلك . ولا احتج امام من ائمة المسلمين كابى حنيفة ومالك والشافعي وأحمد وغيرهم بحديث فيه ذكر زيارة قبره . فكيف يكون في ذلك أحاديث صحيحة ولم يعرفها أحد من أئمـة الدين ولا علماء الحديث ومن أين لهـذا وأمثاله ان تلك الاحاديث صحيحة وهو لا يعرف هذا الشأن *

﴿ الوجه الخامس ﴾ قوله ولا غيرها مما لم تبلغ درجة الصحيح لـكنها يجوز الاستدلال بها على الاحكام الشرعية ويحصل بها الترجيح . فيقال له اصطلاح الترمذى ومن بعده ان الاحاديث ثلاثة أقسام صحيح وحسن وضعيف . والضعيف قد يكون موضوعا فعلم انه كذب وقد لا يكون كذلك فما ليس بصحيح ان كان حسنا على هذا الاصطلاح احتج به وهو لم يذكر حديثا وتبين انه حسن يجوز الاستدلال به فنقول له لا نسلم انه ورد من ذلك ما يجوز الاستدلال به وهو لم يذكر الا دعوى مجردة فتقابل بالمنع *

﴿ الوجه السادس ﴾ ان يقال ليس فى هذا الباب ما يجوز الاستدلال به بل كلها ضعيفة بل موضوعة كما قد بسط فى مواضع وذكرت هذه الاحاديث وذكرت كلام الائمة عليها حديثا حديثا بل ولا عرف عن أحـد من الصحابة انه تكلم بلفظ زيارة قبره البتة فلم يكن هذا اللفظ معروفا عندهم ولهـذا كره مالك التكلم بخلاف لفظ زيارة القبور مطلقا فان هـذا اللفظ معروف عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وعن أصحابه وفى القرآن ألهيكم التكاثر حتى زرتم المقابر . لـكن معناه عند الا كثرين الموت وعند طائفة هى زيارتها للتفاخر بالموتى والتكاثر . وأما لفظ قبر النبي صلى الله تعالي عليه وسلم المخصوص فلا يعرف لا عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا عن أصحابه وكل ما يروى فيه فهو ضعيف بل هو كذب موضوع عند أهـل العلم بالحديث كما قـد بسط هذا فى مواضع *

﴿ الوجه السابع ﴾ ان يقال الذين أثبتوا استحباب السلام عليه عند الحجرة كمالك وابن حبيب وأحمـد بن حنبل وأبي داود احتجوا بفعل ابن عمر كما احتج بذلك مالك وأحمد وغيرهما وأما بالحديث الذى رواه أبو داود وغيره باسناد جيد عن أبى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم

انه قال ما من رجل يسلم علي الا رد الله علي روحي حتى أرد عليه السلام فهذا عمدة أحمد وأبي داود وابن حبيب وأمثالهم وليس في لفظ الحديث المعروف في السنن والمسند عند قبري لكن عرفوا ان هذا هو المراد وانه لم يرد على كل مسلم عليه في صلاة في شرق الارض وغربها مع ان هذا المعنى ان كان هو المراد بطل الاستدلال بالحديث من كل وجه على اختصاص تلك البقعة بالسلام وان كان المراد السلام عليه عند قبره كما فهمه عامة العلماء فهل يدخل فيه من سلم من خارج الحجرة هذا مما تنازع فيه الناس . وقد نوزعوا في دلالته فمن الناس من يقول هذا انما يتناول من سلم عليه عند قبره كما كانوا يدخلون الحجرة على زمن عائشة فيسلمون على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وكان يرد عليهم فاولئك سلموا عليه عند قبره وكان يرد عليهم وهذا قد جاء عموما في حق المؤمنين مامن رجل يمر بقبر الرجل كان يعرفه في الدنيا فيسلم عليه الا رد الله عليه روحه حتى يرد عليه السلام قالوا فاما من كان في المسجد فهؤلاء لم يسلموا عليه عند قبره بل سلامهم عليه كالسلام عليه في الصلاة وكالسلام عليه اذا دخل المسجد وخرج وهذا هو السلام الذي أمر الله به في حقه بقوله صلوا عليه وسلموا تسليما وهذا السلام قد ورد انه من سلم عليه مرة سلم الله عليه عشرا كما انه من صلى عليه مرة صلى الله عليه بها عشرا فاما أثر من صلى عليه مرة صلى الله عليه بها عشرا فهو ثابت من وجوه بعضها في الصحيح كما في صحيح مسلم عن عبد الله بن عمر وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل مايقول ثم صلوا علي فانه من صلى علي مرة صلى الله عليه بها عشرا ثم سلوا الله لي الوسيلة فانها درجة في الجنة لا تنبغي الا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون ذلك العبد فمن سأل الله لي الوسيلة حلت عليه شفاعتي يوم القيامة وهذا مروي عن النبي صلى الله عليه وسلم من غير هذا الوجه كما في حديث العلاء ابن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من صلى علي واحدة صلى الله عليه عشرا *

وأما السلام فقد جاء أيضا في أحاديث من أشهرها حديث عبد الله بن المبارك عن حماد بن سلمة عن ثابت البناني عن سليمان مولى الحسن بن علي عن عبد الله بن أبي طلحة عن أبيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه جاء ذات يوم والبشر يرى في وجهه . فقال انه جاءني جبريل فقال أما يرضيك يا محمد ان الله يقول انه لا يصلي عليك

أحد من أمتك الا صليت عليه عشرا ولا يسلم عليك أحد من أمتك الا سلمت عليه عشرا . وقد روى فى عدة أحاديث ان الله جعل على كل من صلى عليه ويسلم على كل من سلم عليه ولم يذكر عددا لكن الحسنة بعشر أمثالها فالمقيد يفسر المطلق * قال القاضى عياض من رواية عبد الرحمن ابن عوف عنه عليه السلام قال لقيت جبريل فقال لى ابشرك ان الله يقول من سلم عليك سلمت عليه ومن صلى عليك صليت عليه قال ونحوه من رواية أبى هريرة ومالك بن أوس بن الحدثان وعبد الله بن أبى طلحة قلت وبسط الكلام على هذه الاحاديث له موضع آخر . والمقصود هنا ان ما أمر الله به من الصلاة والسلام عليه هو كما أمر به صلى الله عليه وسلم من الدعاء له بالوسيلة وهذا أمر اختص هو به فان الله أمر بذلك في حقه بعينه مخصوصا بذلك وان كان السلام على جميع عباد الله الصالحين مشروعا على وجه العموم وقد قيل ان الصلاة تكره على غير الانبياء . وغلا بعضهم فقال تكره على غيره من الانبياء . وكذلك قال بعض المتأخرين فى السلام على غير الانبياء * ولكن الصواب الذى عليه عامة العلماء انه يسلم على غيره . واما الصلاة فقد جوزها أحمد وغيره والنزاع فيها معروف * وفى تفسير شيبان عن قتادة قال حدث انس بن مالك عن أبي طلحة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سلمتم على فسلموا على المرسلين فانما انا رسول من المرسلين وهكذا رواه ابن ابى عاصم فى كتاب الصلاة ورواه ابن ابي حاتم وغيره ولم يذكروا فيه سماع قتادة له وهو فى تفسير سعيد ابن أبي عروبة عن قتادة مرسلا . وقد قال الله تعالى فى كتابه (قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى) وقال (وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين) *

وقال لما ذكر نوحا وابراهيم وموسى وهارون والياسين وتركنا عليه فى الآخرين سلام على نوح فى العالمين وتركنا عليه فى الآخرين سلام على ابراهيم وتركنا عليهم فى الآخرين سلام على موسى وهارون . وتركنا عليه في الآخرين سلام على الياسين *

﴿ والمقصود ﴾ هنا ان هذا السلام المأمور به خصوصا والمشروع فى الصلاة وغيرها عموما على كل عبد صالح كقول المصلى السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فان هذا ثابت فى التشهدات المروية عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كلها مثل حديث ابن مسعود الذى في الصحيحين وحديث ابى موسى وابن عباس الذين رواهما مسلم وحديث ابن عمر وعائشة وجابر وغيرهم

التي في المساند والسنن وهـذا السلام لا يقتضي ردا من المسلم عليـه بل هو بمنزلة دعاء المؤمن للمؤمنين واستغفاره لهم فيه الاجر والثواب من الله ليس على المدعو لهم مثل ذلك الدعاء بخلاف سلام التحية فانه مشروع بالنص والاجماع في حق كل مسلم وعلى المسلم عليه ان يرد السلام ولو كان المسلم عليه كافرا فان هذا من العدل الواجب ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يرد على اليهود اذا سلموا بقوله وعليكم واذا سلم على معين تعين الرد واذا سلم على جماعة فهل ردهم فرض على الاعيان او على الـكفاية على قولين معروفين هما قولان في مذهب احمد وغيره وسلام الزائر للقبر على الميت المؤمن هو من هذا الباب . ولهذا روى ان الميت يرد السلام مطلقا . فالصلاة والسلام عليه صلى الله عليه وسلم في مسجده وسائر المساجد وسائر البقاع مشروع بالـكتاب والسنة والاجماع . واما السلام عليه عند قبره من داخل الحجرة فهذا كان مشروعا لما كان ممكنا بدخول من يدخل على عائشة . واما تخصيص هـذا السلام والصلاة بالمـكان القريب من الحجرة فهذا محل النزاع . وللعلماء في ذلك ثلاثة اقوال منهم من ذكر استحباب السلام والصلاة والسلام عليه اذا دخل المسجد ثم بعد ان يصلى في المسجد استحب أيضا ان يأتي الى القبر ويصلى ويسلم كما ذكر ذلك طائفة من أصحاب مالك والشافعي واحمد . ومنهم من لم يذكر الا الثاني فقط وكثير من السلف لم يذكروا الا النوع الاول فقط . فاما النوع الاول فهو المشروع لاهل البلد وللغرباء في هذا المسجد وغير هذا المسجد . واما النوع الثاني فهو الذي فرق من استحبه بين أهل البلد والغرباء سواء فعـله مع الاول أو مجردا عنه كما ذكر ذلك ابن حبيب وغيره اذا دخل مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم قال باسم الله وسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم السلام علينا من ربنا وصلى الله وملائكته على محمد اللهم اغفر لي وافتح لي أبواب رحمتك وجنتك وجنبني من الشيطان الرجيم * ثم اقصد الى الروضة وهي ما بين القبر والمنبر فاركع فيها ركعتين قبل وقوفك بالقبر تحمد الله فيها وتسأله تمام ما خرجت اليه والعون عليه وان كانت ركعتاك في غير الروضة اجزأتك وفي الروضة أفضل . وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة ومنبري على ترعة من ترع الجنه . ثم تقف بالقبر متواضعا وتصلي عليه وتثني بما يحضر وتسلم على ابي بكر وعمر وتدعوا لهما واكثر من الصلاة في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم بالليل والنهار ولا تدع ان تأتي مسجد قباء قبور الشهداء

قلت وهذا الذى ذكره من استحباب الصلاة في الروضة قول طائفة وهو المنقول عن الامام احمد في مناسك المروزى . واما مالك فنقل عنه انه يستحب التطوع في موضع صلاة النبي صلى الله عليه وسلم . وقيل لا يتعين لذلك موضع من المسجد . واما الفرض فيصليه فى الصف الاول مع الامام بلا ريب والذى ثبت في الصحيح عن سلمة بن الاكوع انه كان يتحرى الصلاة عند الاسطوانة . واما ما قصد تخصيصه بالصلاة فيه فالصلاة فيه أفضل واما مقامه فانما كان يقوم فيه اذا كان اما مايصلى بهم الفرض والسنة ان يقف الامام وسط المسجد امام القوم فلما زيد فى المسجد صار موقف الامام فى الزيادة والمقصود معرفة ما ورد عن السلف من الصلاة والسلام عليه صلى الله تعالى عليه وسلم عند دخول المسجد وعند القبر ففى مسند ابى يعلى الموصلي حدثنا ابو بكر بن ابي شيبة حدثنا زيد بن الحباب حدثنا جعفر بن ابراهيم من ولد ذى الجناحين حدثنا على بن عمر عن أبيه على ابن الحسين انه رأى رجلا يجىء الى فرجة كانت عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم فيدخل فيها فيدعو فنهاه فقال الا احدثكم حديثا سمعته من أبى عن جدى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تتخذوا قبرى عيدا ولا بيوتكم قبورا فان تسليمكم يبلغنى اينما كنتم * وهذا الحديث مما اخرجه الحافظ ابو عبد الله محمد بن عبد الواحد المقدسي فيما اختاره من الاحاديث الجياد الزائدة على مافى الصحيحين وهو اعلى مرتبة من تصحيح الحاكم وهو قريب من تصحيح الترمذى وابى حاتم البستى ونحوهما فان الغلط فى هذا قليل ليس هو مثل صحيح الحاكم فان فيه أحاديث كثيرة يظهر انها كذب موضوعة فلهذا انحطت درجته عن درجة غيره فهذا على بن الحسين زين العابدين وهو من اجل التابعين علما ودينا حتى قال الزهرى مارأيت هاشميا مثله وهو يذكر هذا الحديث باسناده ولفظه لا تتخذوا بيتى عيدا فان تسليمكم يبلغنى اينما كنتم وهذا يقتضي انه لا مزية للسلام عليه عند بيته كما لا مزية للصلاة عليه عند بيته بل قد نهي عن تخصيص بيته بهذا . وهذا وحديث الصلاة مشهور فى سنن أبى داود وغيره من حديث عبد الله بن نافع قال أخبرنى ابن أبى ذئب عن سعيد المقبري عن أبى هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تجعلوا بيوتكم قبورا ولا تجعلوا قبرى عيدا وصلوا على فان صلاتكم تبلغني حيث كنتم وهذا حديث حسن ورواته ثقات مشاهير لكن عبد الله بن نافع الصائغ فيه لين لا يمنع الاحتجاج به قال يحيى بن معين هو ثقة وحسبك

بابن معين موثقا * وقال ابو زرعة لا بأس به . وقال ابو حاتم الرازى ليس بالحافظ هو لين تعرف وتنكر قلت ومثل هذا قد يخاف انه يغلط احيانا فاذا كان لحديثه شواهد علم انه محفوظ وهذا له شواهد متعددة قد بسطت فى غير هذا الموضع كما رواه سعيد ابن منصور فى سننه حدثنا حبان حدثنا على حدثني محمد بن عجلان عن ابى سعيد مولى المهدى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تتخذوا بيتى عيدا ولا بيوتكم قبورا وصلوا على حيثما كنتم فان صلاتكم تبلغني . وقال سعيد أيضا حدثنا عبد العزيز بن محمد اخبرنى سهيل بن أبى سهيل قال رآنى الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب عند القبر فنادانى وهو فى بيت فاطمة يتعشى . فقال هلم الى العشاء فقلت لا أريده فقال مالى رأيتك عند القبر فقلت سلمت على النبي صلى الله عليه وسلم فقال اذا دخلت المسجد فسلم عليه * ثم قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تتخذوا بيتى عيدا ولا بيوتكم مقابر لعن الله اليهود اتخذوا قبور انبيائهم مساجد . وصلوا علىّ فان صلاتكم تبلغنى حيثما كنتم ما انتم ومن بالاندلس منه الا سواء * رواه اسماعيل بن اسحق فى كتاب الصلاة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يذكر هذه الزيارة وهى قوله ما انتم ومن بالاندلس الاسواء لان مذهبه ان القادم من سفر و المريد للسفر سلامه أفضل وان الغرباء يسلمون اذا دخلوا وخرجوا وهذه مزية على من بالاندلس والحسن ابن الحسن وغيره لا يفرقون بين أهل المدينة والغرباء ولا بين المسافر وغيره فرواه القاضى اسمعيل عن ابراهيم بن حمزة * حدثنا عبد العزيز بن محمد عن سهل بن أبى سهل قال جئت أسلم على النبي صلي الله عليه وسلم وحسن بن حسن يتعشى فى بيت عند النبي صلى الله عليه وسلم فدعاني فجئته فقال أدن فتعش قال قلت لا أريده قال مالى رأيتك وقفت قلت وقفت أسلم على النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا دخلت فسلم عليه * ثم قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال صلوا فى بيوتكم ولا تجعلوا بيوتكم مقابر لعن الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد وصلوا علىّ فان صلاتكم تبلغني حيثما كنتم ولم يذكر قول الحسن فهذا فيه انه أمره أن يسلم عند دخول المسجد وهو السلام المشروع الذى روى عن النبي صلى الله عليه وسلم وجماعة من السلف كانوا يسلمون عليه اذا دخلوا المسجد وهذا مشروع فى كل مسجد . وهذا الحسن بن الحسن المثنى وهو من التابعين وهو من ظهر على بن الحسين هذا ابن الحسن وهذا ابن الحسن . وقد ذكر القاضى عياض هذا عن

الحسن بن على نفسه رضى الله عنهم أجمعين فقال وعن الحسن بن على عن النبي صلى الله عليه وسلم قال حيثما كنتم فصلوا على فان صلاتكم تبلغنى قال وعن الحسن • بن على اذا دخلت المسجد فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تتخذوا بيتى عيدا ولا تتخذوا بيوتكم قبورا وصلوا على حيثما كنتم فان صلاتكم تبلغنى حيث كنتم قلت والصلاة والسلام عليه عند دخول المسجد مأثور عنه صلى الله عليه وسلم وعن غير واحد من الصحابة والتابعين مثل الحديث الذي فى المسند والترمذى وابن ماجة عن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل المسجد صلى على محمد وسلم • وقال رب اغفر لى ذنوبي وافتح لى أبواب فضلك هذا لفظ الترمذى • وفي غيره أنه صلى الله عليه وسلم أمر بذلك وفى سنن أبى داود عن أبى أسيد او أبى حميد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل أحدكم المسجد فليسلم وليصل على النبي صلى الله عليه وسلم وليقل وذكر الحديث • وقال الضحاك ابن عثمان حدثنا سعيد المقبرى عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا دخل أحدكم المسجد فليسلم على النبي صلى الله عليه وسلم وليقل اللهم اجرني من الشيطان الرجيم أخرجه ابن خزيمة فى صحيحه قال القاضى عياض ومن مواطن الصلاة والسلام عليه دخول المسجد قال أبو اسحق بن شعبان وينبغي لمن دخل المسجد أن يصلى على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى آله ويترحم عليه وعلى آله ويبارك عليه وعلى آله ويسلم عليه تسليما ويقول اللهم اغفر لى وافتح لى أبواب رحمتك وفضلك قال وقال عمرو بن دينار فى قوله اذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم وقال ان لم يكن في البيت أحد فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام على أهل البيت ورحمة الله وبركاته قال وقال ابن عباس المراد بالبيوت المساجد وقال النخعي اذا لم يكن فى البيت أحد فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين • قال وعن علقمة قال اذا دخلت المسجد أقول السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته صلى الله وملائكته على محمد قال ونحوه عن كعب اذا دخل وخرج ولم يذكر الصلاة قال واحتج ابن شعبان لما ذكره بحديث فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يفعله اذا دخل المسجد قال ومثله عن أبى بكر بن محمد ابن عمرو بن حزم وذكر السلام والرحمة قال وروى ابن وهب عن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا دخلت المسجد فصل على النبي صلى

الله عليه وسلم وقل اللهم اغفرلى ذنوبى وافتح لى أبواب رحمتك. وفى رواية أخرى فليسلم وليصل ويقول اذا خرج اللهم انى أسألك من فضلك وفى أخرى اللهم احفظنى من الشيطان وعن محمد بن سيرين كان الناس يقولون اذا دخلوا المسجد صلى الله وملائكته على محمد السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته باسم الله دخلنا وباسم الله خرجنا وعلى الله توكلنا وكانوا يقولون اذا خرجوا مثل ذلك . قلت هذا فيه حديث مرفوع فى سنن أبي داود وغيره أنه يقال عند دخول المسجد اللهم اني أسألك خير المولج وخير المخرج باسم الله ولجنا وباسم الله خرجنا وعلى الله توكلنا قال القاضى عياض وعن أبى هريرة اذا دخل أحدكم المسجد فليصل على النبى صلى الله عليه وسلم وليقل اللهم افتح لى. وقلت وروى ابن أبي حاتم من حديث سفيان الثورى عن ضرار بن مرة عن مجاهد في هذه الآية فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم تحية من عند الله مباركة طيبة قال اذا دخلت بيتا ليس فيه أحد فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين واذا دخلت المسجد فقل السلام على رسول الله واذا دخلت على أهلك فقل السلام عليكم قلت والآثار مبسوطة فى مواضع. والمقصود هنا أن نعرف ما كان عليه السلف من الفرق بين ما أمر الله به من الصلاة والسلام عليه وبين سلام التحية الموجب للرد الذي يشترك فيه كل مؤمن حى ويرد فيه على الكافر ولهذا كان الصحابة بالمدينة على عهد الخلفاء الراشدين ومن بعدهم اذا دخلوا المسجد لصلاة او اعتكاف او تعليم او تعلم او ذكر لله ودعاء له ونحو ذلك مما شرع فى المساجد لم يكونوا يذهبون الى ناحية القبر فيزورونه هناك ولا يقفون خارج الحجرة كما لم يكونوا يدخلون الحجرة أيضا لزيارة قبره فلم يكن الصحابة بالمدينة يزورون قبره لا من المسجد خارج الحجرة ولا داخل الحجرة ولا كانوا أيضا يأتون من بيوتهم لمجرد زيارة قبره بل هذا من البدع التى أنكرها الائمة والعلماء وان كان الزائر منهم ليس مقصوده الا الصلاة والسلام عليه وبينوا أن السلف لم يفعلوها كما ذكره مالك فى المبسوط وقد ذكره أصحابه كابى الوليد الباجي والقاضى عياض وغيرهما*

قيل لمالك ان ناسا من أهل المدينة لا يقدمون من سفر ولا يريدونه يفعلون ذلك أي يقفون على قبر النبي صلى الله عليه وسلم فيصلون عليه ويدعون له ولابى بكر وعمر يفعلون ذلك فى اليوم مرة او اكثر وربما وقفوا فى الجمعة والايام المرة والمرتين او اكثر عند القبر يسلمون ويدعون ساعة

فقال لم يبلغنى هذا عن أهل الفقه ببلدنا وتركه واسع ولن يصلح آخر هذه الامة الا ما أصلح أولها ولم يبلغنى هذا عن أول هذه الامة وصدرها أنهم يفعلون ذلك ويكره الا لمن جاء من سفر او أراده فقد كره مالك رحمه الله هذا وبين انه لم يبلغه هذا عن أهل العلم بالمدينة ولا عن صدر هذه الامة وأولها . وهم الصحابة وان ذلك يكره لاهل المدينة الا عند السفر ومعلوم ان أهل المدينة لا يكره لهم زيارة قبور أهل البقيع وشهداء أحد وغيرهم بل هم فى ذلك ليسوا بدون سائر الامصار فاذا لم يكره لأولئك زيارة القبور بل يستحب لهم زيارتها عند جمهور العلماء كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يفعل فاهل المدينة اولى أن لا يكره لهم بل يستحب لهم زيارة القبور كما يستحب لغيرهم اقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم ولكن قبر النبي صلى الله عليه وسلم خص بالمنع شرعا وحسا كما دفن في الحجرة ومنع الناس من زيارة قبره من الحجرة كما يزار سائر القبور فيصل الزائر الى عند القبر . وقبر النبي صلى الله عليه وسلم ليس كذلك فلا يستحب هذه الزيارة فى حقه ولا تمكن وهذا لعلو قدره وشرفه لا لكون غيره أفضل منه فان هذا لا يقوله أحد من المسلمين فضلا عن الصحابة والتابعين وعلماء المسلمين بالمدينة وغيرها ومن هنا غلط طائفة من الناس يقولون اذا كانت زيارة قبر آحاد الناس مستحبة فكيف بقبر سيد الاولين والآخرين صلوات الله وسلامه عليه وهؤلاء ظنوا أن زيارة قبر الميت مطلقا هو من باب الاكرام والتعظيم له والرسول صلى الله عليه وسلم أحق بالاكرام والتعظيم من كل أحد وظنوا ان ترك الزيارة فيها تنقص لكرامته فغلطوا وخالفوا السنة واجماع الامة سلفها وخلفها فقولهم نظير قول من يقول اذا كانت زيارة القبور يصل الزائر فيها الى قبر المزور فان ذلك ابلغ فى الدعاء له وان كان مقصوده دعاءه كما يقصده أهل البدع فهو ابلغ فى دعائه فالرسول صلى الله عليه وسلم اولى ان نصل الى قبره اذا زرناه . وقد ثبت بالتواتر واجماع الامة ان الرسول صلى الله عليه وسلم لا يشرع الوصول الى قبره للدعاء له ولا لدعائه ولا لغير ذلك بل غيره يصلى على قبره عند اكثر السلف كما دلت عليه الاحاديث الصحيحة والصلاة على القبر كالصلاة على الجنازة تشرع مع القرب والمشاهدة وهو بالاجماع لا يصلى على قبره سواء كان للصلاة حد محدود او كان يصلى على القبر مطلقا ولم يعرف ان أحدا من الصحابة الغائبين لما قدم صلى على قبره صلى الله عليه وسلم * وزيارة القبور المشروعة هى مشروعة مع الوصول

الى القبر بمشاهدته . وهذه الزيارة غير مشروعة فى حقه بالنص والاجماع ولا هي أيضا ممكنة فتبين غلط هؤلاء الذين قاسوه على عموم المسلمين . وهذا من باب القياس الفاسد ومن قاس قياس الاولى ولم يعلم ما اختص به كل واحد من القياس والمقيس به كان قياسه من جنس قياس المشركين الذين كانوا يقيسون الميتة على المزكى . ويقولون للمسلمين أتأكلون ما قتلتم ولا تأكلون ما قتل الله فانزل الله تعالي (وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم ليجادلوكم وان أطعتموهم انكم لمشركون) وكذلك لما أخبر الله ان الاصنام التى تعبد هى وعابدوها حصب جهنم قاس ابن الزبعرى قبل أن يسلم هو وغيره من المشركين عيسى بها . وقالوا يجب أن يعذب عيسى قال ولما ضرب ابن مريم مثلا اذا قومك منه يصدون وقالوا أآلهتنا خير أم هو ماضربوه لك الا جدلا بل هم قوم خصمون * ثم قال ان هو الا عبد أنعمنا عليه وجعلناه مثلا لبنى اسرائيل وبين تعالى الفرق بقوله (ان الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون) بين أن من كان صالحا نبيا أو غير نبي لم يعذب لاجل من أشرك به وعبده وهو بريء من اشراكهم * واما الاصنام فهى حجارة تجعل حصبا للنار * وقد قيل انها من الحجارة التى قال الله تعالى فيها وقودها الناس والحجارة . وقال تعالى (وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا) وبسط هذا له موضع آخر

﴿ والمقصود هنا ﴾ أن يعرف أن ما مضت به سنته وكان عليه خلفاؤه وأصحابه وأهل العلم والدين بالمدينة من تركهم لزيارة قبره اكمل في القيام بحق الله وحق رسوله صلى الله عليه وسلم فهو اكمل وأفضل وأحسن مما يفعل مع غيره وهو أيضا فى حق الله وتوحيده اكمل واتم وابلغ * وأما كونه أتم فى حق الله فلان حق الله على عباده ان يعبدوه ولا يشركوا به شيأ كما ثبت ذلك فى الصحيحين عن معاذ بن جبل عن النبي صلى الله عليه وسلم ويدخل فى العبادة جميع خصائص الرب فلا يتقي غيره ولا يخاف غيره ولا يتوكل على غيره ولا يدعى غيره ولا يصلى لغيره ولا يصام لغيره ولا يتصدق الا له ولا يحج الا الى بيته قال تعالى (ومن يطع الله ورسوله ويخشى الله ويتقه فاولئك هم الفائزون) فجعل الطاعة لله والرسول وجعل الخشية والتقوى لله وحده وقال (ولو أنهم رضوا بما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله انا الى الله راغبون) فجعل الايتاء لله والرسول وجعل التوكل والرغبة لله وحده . وقال فاذا فرغت فانصب والى ربك فارغب . وقال وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين إنما هو اله واحد

فاياى فارهبون وله مافى السموات والارض وله الدين واصبا أفغير الله تتقون) وقال تعالى)قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا) وقال تعالى (قل أرأيتم ما تدعون من دون الله أرونى ماذا خلقوا من الارض أم لهم شرك فى السموات ائتونى بكتاب من قبل هذا او أثارة من علم ان كنتم صادقين) وقال تعالى (قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة فى السموات ولا فى الارض ومالهم فيهما من شرك وماله منهم من ظهير) ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له . وهذا الباب واسع وقال النبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس اذا سألت فأسأل الله واذا استعنت فاستعن بالله . وفى الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم فى صفة السبعين ألفا الذين يدخلون الجنة بغير حساب هم الذين لا يسترقون ولا يكترون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون فهم لا يطلبون من غيرهم أن يرقيهم والرقية دعاء فكيف بما هو أبلغ من ذلك. ومعلوم أنه لو اتخذ قبره عيدا ومسجدا ووثنا صار الناس يدعونه ويتضرعون اليه ويسألونه ويتوكلون عليه ويستغيثون ويستجيرون به وربما سجدوا له وطافوا به وصاروا يحجون اليه وهذه كلها من حقوق الله وحده الذي لا يشركه فيها مخلوق وكان من حكمة الله دفنه فى حجرته ومنع الناس من مشاهدة قبره والعكوف عليه والزيارة له ونحو ذلك لتحقيق توحيد الله وعبادته وحده لا شريك له واخلاص الدين لله *

﴿ وأما قبور أهل البقيع ونحوهم ﴾ من المؤمنين فلا يحصل ذلك عندها واذا قدر أن ذلك فعل عندها منع من يفعل ذلك وهدم ما يتخذ عليها من المساجد وان لم تزل الفتنة الا بتعفية قبره وتعميته فعل ذلك كما فعله الصحابة بامر عمر بن الخطاب فى قبر دانيال وأما كون ذلك أعظم لقدره واعلى لدرجته فلان المقصود المشروع بزيارة قبور المؤمنين كاهل البقيع وشهداء أحد هو الدعاء كما كان هو يفعل ذلك كما زارهم وكما سنه لامته فلو سن للامة أن يزوروا قبره للصلاة عليه والسلام عليه والدعاء له كما كان بعض أهل المدينة يفعل ذلك أحيانا وبين مالك أنه بدعة لم تبلغه عن صدر هذه الامة ولا عن أهل العلم بالمدينة وانها مكروهة فانه لن يصلح آخر هذه الامة الا ما اصلح أولها لكان بعض الناس يزوره ثم لتعظيمه في القلوب وعلم الخلائق بانه أفضل الرسل وأعظمهم جاها وأنه اوجه الشفعاء الى ربه تدعو النفس ان تطلب منه حاجاتها وأغراضها وتعرض عن حقه من الصلاة والسلام عليه والدعاء له فان الناس مع ربهم

كذلك الا من أنعم الله عليه بحقيقة الايمان وانما يعظمون الله عند ضرورتهم اليه كما قال تعالى (واذا مس الانسان الضر دعانا لجنبه او قاعدا او قائما فلما كشفنا عنه ضره مر كان لم يدعنا الى ضر مسه كذلك زين للمكافرين ما كانوا يعملون) وقال تعالى واذا مسكم الضر فى البحر ضل من تدعون الا اياه فلما نجاكم الى البر أعرضتم وكان الانسان كفورا وقال تعالى واذا مس الانسان ضر دعا ربه منيبا اليه ثم اذا خوله نعمة منه نسى ما كان يدعوا اليه من قبل وجعل لله أندادا ليضل عن سبيله قل تمتع بكفرك قليلا انك من أصحاب النار ونظائر هذا فى القرآن متعددة فاذا كانوا الا من شاء الله انما يعظمون ربهم ويوحدونه ويذكرونه عند ضرورتهم لاغراضهم ولا يعرفون حقه اذا خلصهم فلا يحبونه ويعبدونه ولا يسالونه ولا يقومون بطاعته فكيف يكونون مع المخلوق فهم يطلبون من الانبياء والصالحين أغراضهم وذلك مقدم عندهم على حقوق الانبياء والصالحين فاذا ايقنوا ان في زيارة قبر نبي اوصالح تحصيل أغراضهم بسؤاله ودعائه وجاهه وشفاعته أعرضوا عن حقه واشتغلوا باغراضهم كما هو الموجود فى عامة الذين يحجون الى القبور المعظمة ويقصدونها لطلب الحوائج . فلو اذن الرسول صلى الله عليه وسلم لهم فى زيارة قبره ومكنهم من ذلك لاعرضوا عن حق الله الذي يستحقه من عبادته وحقه وعن حق الرسول صلى الله عليه وسلم الذى يستحقه من الصلاة والسلام عليه والدعاء له بل ومن جعله واسطة بينهم وبين الله فى تبليغ أمره ونهيه وخبره فكانوا يهضمون حق الله وحق رسوله كما فعلت النصارى فانهم بغلوّهم فى المسيح تركوا حق الله من عبادته وحده وتركوا حق المسيح فهم لا يدعون له بل هو عندهم رب يدعى ولا يقومون بحق رسالته فينظرون ما أمر به وما أخبر به بل اشتغلوا بالشرك به وبغيره وبطلب حوائجهم ممن يستغيثون به من الملائكة والانبياء وصالحيهم عما يجب من حقوقهم وأيضا فلو جعلت الصلاة والسلام عليه والدعاء له عند قبره أفضل منها فى غير تلك البقعة كما قد يكون الدعاء للميت عند قبره أفضل لكانوا يخصون تلك البقعة بزيارة الدعاء له واذا غابوا عنها تنقص صلاتهم وسلامهم ودعائهم فان الانسان لا يجتهد فى الدعاء فى المكان المفضول كما يجتهد فى المكان الفاضل وهم قد امروا ان يقوموا بحق الرسول صلى الله عليه وسلم فى كل مكان وان لا يكون البعيد عن قبره انقص ايمانا وقياما بحقه من المجاور لقبره وقال لهم صلى الله عليه وسلم لا تتخذوا بيتى عيدا وصلوا على

حيثما كنتم فان صلاتكم تبلغني وقد شرع لهم أن يصلوا عليه ويسألوا له الوسيلة اذا سمعوا المؤذن حيث كانوا وان يسلموا عليه فى كل صلاة ويصلوا عليه فى الصلاة ويسلموا عليه اذا دخلوا المسجد واذا خرجوا منه . فهذا الذى أمروا به عام فى كل مكان وهو يوجب من القيام بحقه ورفع درجته واعلاء منزلته مالا يحصل لو جعل ذلك عند قبره أفضل ولا اذا سوى بين قبره وقبر غيره بل انما يحصل كمال حقه مع حق ربه بفعل ماشرعه وسنه لامته من واجب ومستحب وهو أن يقوموا بحق الله ثم بحق رسوله صلى الله عليه وسلم حيث كانوا من المحبة والموالاة والطاعة وغير ذلك من الصلاة والسلام والدعاء وغير ذلك ولا يقصد تخصيص القبر لما يفضى اليه ذلك من ترك حق الله وحق رسوله صلى الله عليه وسلم فهذا وغيره مما يبين ان ما نهى عنه الناس ومنعوا منه وكان السلف لا يفعلونه من زيارة قبره وان كان زيارة قبر غيره مستحبة فهو أعظم لقدره وارفع لدرجته واعلى في منزلته وان ذلك أقوم بحق الله واتم واكمل فى عبادته وحده لا شريك له واخلاص الدين له ففى ذلك تحقيق شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله وان كان أهل البدع الذين فعلوا مالم يشرعه بل ما نهى عنه وخالفوا الصحابة والتابعين لهم باحسان فاستحبوا ما كانوا أولئك يكرهونه ويمنعون منه هم مضاهون للنصارى وانهم نقصوا من تحقيق الايمان بالله ورسوله والقيام بحق الله وحق رسوله صلى الله عليه وسلم بقدر ما دخلوا فيه من البدعة التى ضاهوا بها النصارى فهذا هذا والله أعلم *

وأيضا فانه اذا أطيع أمره واتبعت سنته كان له من الاجر بقدر اجر من اطاعه واتبع سنته لقوله صلى الله عليه وسلم من دعى الى هدى كان له من الاجر مثل أجور من اتبعه من غير ان ينقص من أجورهم شيئا. وقوله من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها الى يوم القيامة * واما البدع التى لم يشرعها بل نهى عنها وان كانت متضمنة للغلو فيه والشرك به والاطراء له كما فعلت النصارى فانه لا يحصل بها أجر لمن عمل بها فلا يكون للرسول صلى الله عليه وسلم فيها منفعة بل صاحبها ان عذر كان ضالا لا أجر له فيها وان قامت عليه الحجة استحق العذاب وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح لا تطرونى كما اطرت النصارى عيسي ابن مريم فانما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله صلى الله عليه وسلم *

فان قال هؤلاء الذين قاسوا زيارة قبره على زيارة سائر القبور ان الناس منعوا من الوصول

اليه تعظيما لقدره وجعل سلامهم وخطابهم له من وراء الحجرة لان ذلك ابلغ في الادب والتعظيم . قيل فهذا موجب الفرق فان الزيارة المشروعة ان كان مقصودها الدعاء له فيكون ذلك قريبا من الحجرة أفضل منه في سائر المساجد والبقاع فالذى يدعو له داخل الحجرة اقرب وان كان القرب مستحبا فكلما كان اقرب كان افضل كسائر القبور وان كان مقصودها ما يقوله أهل الشرك والضلال من دعائه ودعاؤه من القرب اولى فينبغى ان يكون من داخل الحجرة اولى ولما ثبت ان هذا القرب من القبر ممنوع منه بالنص والاجماع وهو أيضا غير مقدور علم ان القرب من ذلك ليس بمستحب بخلاف زيارة قبر غيره والصلاة على قبره فان القرب منه مستحب مالم يفض الى مفسدة من شرك اوبدعة او نياحة فان افضى الى ذلك منع ذلك *

ومما يوضح هذا ان الشخص الذى يقصد اتباعه زيارة قبره يجعلون قبره بحيث تمكن زيارته فيكون له باب يدخل منه الى القبر ويجعل عند القبر مكان للزائر اذا دخل بحيث يتمكن من القعود فيه بل يوسع المكان ليسع الزائرين ومن اتخذه مسجدا جعل عنده صورة محراب أو قريبا منه . واذا كان الباب مغلقا جعل له شباك على الطريق ليراه الناس فيه فيدعونه . وقبر النبي صلى الله عليه وسلم بخلاف هذا كله لم يجعل للزائر طريق اليه بوجه من الوجوه ولا قبر في المكان كبير يتسع للزوار ولا جعل للمكان شباك يرى منه القبر بل منع الناس من الوصول اليه والمشاهدة له ومن أعظم مامن الله على رسوله صلى الله عليه وسلم وعلى امته واستجاب دعائه ان دفن في بيته بجانب مسجده فلا يقدر أحد ان يصلي الا الى المسجد والعبادة المشروعة في المسجد معروفة بخلاف مالو كان قبره منفردا عن المسجد والمسافر اليه انما يسافر الى المسجد واذا سمي هذا زيارة لقبره فهو اسم لامسمى له انما هو اتيان الى مسجده — ولهذا لم يطلق السلف هذا اللفظ ولا عند قبره قناديل معلقة ولا ستور مسبلة بل انما يعلق القناديل في المسجد المؤسس على التقوى ولا يقدر أحد ان يخلق نفس قبره بزعفران أو غيره ولا ينذر له زيتا ولا شمعا ولا سترا ولا غير ذلك مما ينذر لقبر غيره وان كان في بعض الاحوال قد ستر بعض الناس الحجرة أو خلقها بعضهم بزعفران فهذا انما هو للحائط الذى يلي المسجد لا لنفس باطن الحجرة والقبر فلا يفعل بقبر غيره وان فعل شيء في ظاهر الحجرة فعلم ان الله سبحانه وتعالى استجاب دعاءه حيث قال اللهم لاتجعل قبري وثنا يعبد وان كان كثير من الناس

يريدون ان يجعلوه وثنا ويعتقدون ان ذلك تعظيم له كما يريدون بذلك ويعتقدون فى قبر غيره فهم لا يتمكنون من ذلك بل هـذا القصد والاعتقاد خيال فى نفوسهم لاحقيقة له فى الخارج بخلاف القبر الذى جعل وثنا وان كان الميت وليا لله لا اثم عليه من فعل من أشرك به كما لا اثم على المسيح من اثم من أشرك به *

قال تعالى (واذقال الله ياعيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى الهين من دون الله قال سبحانك مايكون لى ان أقول ماليس لى بحق ان كنت قلته فقد علمته تعلم مافى نفسى ولا أعلم فى مانفسك انك أنت علام الغيوب ماقلت لهم الا ماأمرتنى به ان اعبدوا الله ربى وربكم وكنت عليهم شهيدا مادمت فيهم فلما توفيتني كنت انت الرقيب عليهم وأنت على كل شىء شهيد) وقال المسيح يابنى اسرائيل اعبدوا الله ربى وربكم انه من يشرك بالله فقـد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار. وقال تعالي ويوم نحشرهم وما يعبدون من دون الله فيقول أأنتم أضللتم عبادى هؤلاء أم هم ضلوا السبيل قالوا سبحانك ما كان ينبغى لنا ان نتخذ من دونك من أولياء ولـكن متعتهم وآباءهم حتى نسوا الذكر وكانوا قوما بورا فقـد كذبوكم بما تقولون فما تستطيعون صرفا ولا نصرا ومن يظلم منكم نذقه عذابا كبيرا *

فالمعبودون من دون الله سواء كانوا أولياء كالملائكة والانبياء والصالحين أو كانوا أوثانا قد تبرؤا ممن عبدهم وبينوا انه ليس لهم ان يوالوا من عبدهم ولا ان يواليهم عن عبدهم فالمسيح وغيره وان كانوا براء من الشرك بهم لـكن المقصود بيان مافضل الله به محمدا صلى الله عليه وسلم وامته وما أنعم به عليهم من اقامة التوحيد لله والدعوة الى عبادته وحده واعلاء كلمته ودينه واظهار مابعثه الله من الهدى ودين الحق وما صانه الله به وصان قبره من ان يتخذ مسجدا فان هذا من أقوى أسباب ضلال أهل الـكتاب. ولهذا لعنهم النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك تحذيرا لامته وبين ان هؤلاء شرار الخلق عند الله يوم القيامة ولما كان أصحابه أعلم الناس بدينه وأطوعهم له لم يظهر فيهم من البدع ماظهر فيمن بعدهم لا فى أمور القبور ولا فى غيرها فلا يعرف من الصحابة من كان يتعمد الـكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وان كان فيهم من له ذنوب لـكن هذا الباب مما عصمهم الله فيه من تعمد الـكذب على نبيهم وكذلك البدع الظاهرة المشهورة مثل بدعة الخوارج والروافض والقدرية والمرجئة لم يعرف عن أحد من الصحابة شىء من ذلك بل

النقول الثابتة عنهم تدل على موافقتهم للكتاب والسنة . وكذلك اجتماع رجال الغيب بهم أو الخضر أوغيره وكذلك مجيء الانبياء اليهم فى اليقظة وحمل من يحمل منهم الى عرفات ونحو ذلك مما وقع فيه كثير من العباد وظنوا انه كرامة من الله وكان من اضلال الشياطين لهم لم تطمع الشياطين ان توقع الصحابة فى مثل هذا فانهم كانوا يعلمون ان هذا كله من الشيطان ورجال الغيب هم الجن قال تعالى وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا . وكذلك الشرك باهل القبور لم يطمع الشيطان ان يوقعهم فيه فلم يكن على عهدهم فى الاسلام قبر نبي يسافر اليه ولا يقصد للدعاء عنده أو لطلب بركته أو شفاعته أو غير ذلك بل أفضل الخلق محمد خاتم الرسل صلوات الله وسلامه عليه وقبره عندهم محجوب لا يقصده أحد منهم لشيء من ذلك وكذلك كان التابعون لهم باحسان ومن بعدهم من أئمة المسلمين وانما تكلم العلماء والسلف فى الدعاء للرسول صلى الله عليه وسلم عند قبره . منهم من نهى عن الوقوف للدعاء دون السلام عليه . ومنهم من رخص فى هذا وهذا . ومنهم من نهى عن هذا وهذا * وأما دعاؤه هو وطلب استغفاره وشفاعته بعد موته فهذا لم ينقل عن أحد من ائمة المسلمين لا من الائمة الاربعة ولا غيرهم بل الادعية التى ذكروها خالية عن ذلك *

أما مالك فقد قال القاضى عياض وقال مالك فى المبسوط لا ارى ان يقف عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم يدعو ويسلم ولكن يسلم ويمضى وهذا الذى نقله القاضي عياض ذكره القاضى اسمعيل ابن اسحق فى المبسوط . قال وقال مالك لا أرى ان يقف الرجل عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم يدعو ولكن يسلم على النبى صلى الله عليه وسلم وعلى أبي بكر وعمر ثم يمضي وقال مالك ذلك لان هذا المنقول عن ابن عمر انه كان يقول السلام عليك يا رسول الله السلام عليك يا أبا بكر السلام عليك يا أبت أو يا أبتاه ثم ينصرف ولا يقف يدعو فرأى مالك ذلك من البدع . قال وقال مالك فى رواية ابن وهب اذا سلم على النبي صلى الله عليه وسلم ودعا يقف ووجهه الى القبر لا الى القبلة ويدنو ويسلم ولا يمس القبر بيده فقوله فى هذه الرواية اذا سلم ودعا قد يريد بالدعاء السلام فانه قال يدنو ويسلم ولا يمس القبر بيده ويؤيد ذلك انه قال فى رواية ابن وهب يقول السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته وقد يراد انه يدعو له بلفظ الصلاة كما ذكر في الموطأ من رواية عبد الله بن دينار انه كان يصلى على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى أبى بكر

وعمروفي رواية يحيي بن يحيي وقد غلطه ابن عبد البر وغيره وقالوا انما لفظ الرواية على ماذكره ابن القاسم والقعنبي وغيرهما يصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ويسلم على أبي بكر وعمر وقال أبو الوليد الباجي وعندى انه يدعو للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم بلفظ الصلاة ولابى بكر وعمر لما فى حديث ابن عمر من الخلاف ۰ قال القاضي عياض وقال فى المبسوط لا بأس لمن قدم من سفر أو خرج الى سفر ان يقف على قبر النبي صلى الله عليه وسلم فيصلى عليه ويدعو له ولابي بكر وعمر فان اراد بالدعاء السلام والصلاة فهو موافق لتلك الرواية وان اراد دعاء زائدا فهى رواية أخرى وبكل حال فانما اراد الدعاء اليسير *

واما ابن حبيب فقال ثم يقف بالقبر متواضما موقرا فيصلى عليه ويثنى عليه ويثني بما حضر ويسلم على أبي بكر وعمر فلم يذكر الا الثناء عليه مع الصلاة واما الامام أحمد فذكر الثناء عليه بلفظ الشهادة له بذلك مع الدعاء له بغير الصلاة ۰ ومع دعاء الداعى لنفسه ايضا لم يذكر ان يطلب منه شيئا ولا يقرأ عند القبر قوله تعالى ولو انهم اذ ظلموا انفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما ۰ كما لم يذكر مالك ذلك ولا المتقدمون من أصحابنا ولا جمهورهم بل قال فى منسك المروزى ثم ائت الروضة وهى بين القبر والمنبر فصل فيها وادع بما شئت ثم ائت قبر النبي صلى الله عليه وسلم فقل السلام عليك يارسول الله ورحمة الله وبركاته السلام عليك يامحمد بن عبد الله اشهد ان لا اله الا الله وأشهد انك رسول الله وأشهد انك بلغت رسالة ربك ونصحت لامتك وجاهدت في سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة وعبدت الله حتى أتاك اليقين فجزاك الله أفضل ماجزى نبيا عن أمته ورفع درجتك العليا وتقبل شفاعتك الكبرى وأعطاك سؤلك في الآخرة والاولى كما تقبل من ابراهيم اللهم احشرنا في زمرته وتوفنا على سنته واوردنا حوضه واسقنا بكاسه مشربا رويا لا يظمأ بعده أبدا * وما من دعاء وشهادة وثناء يذكر عند القبر الا وقد وردت السنة بذلك وما هو منه فى سائر البقاع ولا يمكن أحدا أن يأتى بذكر يشرع عند القبر دون غيره وهذا تحقيق لنهيه ان يتخذ قبره او بيته عيدا فلا يقصد تخصيصه بشىء من الدعاء للرسول صلى الله عليه وسلم فضلا عن الدعاء لغيره بل يدعى بذلك للرسول صلى الله تعالى عليه وسلم حيث كان الداعى فان ذلك يصل اليه صلى الله تعالى عليه وسلم — وهذا بخلاف ماشرع عند قبر غيره كقوله السلام على أهل

الديار من المؤمنين والمسلمين وانا ان شاء الله بكم لاحقون يرحم الله المستقدمين منا ومنكم والمستأخرين فان هذا لايشرع الا عند القبور ولا يشرع عند غيرها وهذا مما يظهر به الفرق بينه وبين غيره وان ماشرعه وفعله أصحابه من المنع من زيارة قبره كما تزار القبور هو من فضائله وهو رحمة لامته ومن تمام نعمة الله عليها فالسلف كلهم متفقون على ان الزائر لايسأله شيئاولا يطلب منه مايطلب منه في حياته ويطلب منه يوم القيامة لاشفاعة ولا استغفارا ولا غير ذلك وانما كان نزاعهم فى الوقوف للدعاء له والسلام عليه عند الحجرة فبعضهم رأى هذا من السلام الداخل فى قوله صلى الله عليه وسلم مامن من رجل يسلم على الا رد الله على روحى حتى ارد عليه السلام واستحبه لذلك وبعضهم لم يستحبه أما لعدم دخوله وأما لان السلام المأمور به في القرآن مع الصلاة وهو السلام الذى لايوجب الرد أفضل من السلام الموجب للرد فان هذا مما يدل عليه الكتاب والسنة واتفق عليه السلف فان السلام المأمور به فى القرآن كالصلاة المأمور بها فى القرآن كلاهما لا يوجب عليه الرد بل الله يصلى على من يصلى عليه ويسلم على من سلم عليه ولان السلام الذي يوجب الرد هو حق للمسلم كما قال تعالى (واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها او ردوها) ولهذا يرد السلام على من سلم وان كان كافرا وكان اليهود اذا سلموا عليه يقول عليكم وأمر أمته بذلك . وانما قال عليكم لانهم يقولون السام والسام الموت فيقول عليكم قال صلى الله عليه وسلم يستجاب لنا فيهم ولا يستجاب لهم فينا. ولما قالت عائشة وعليكم السام واللعنة قال مهلا ياعائشة فان الله رفيق يحب الرفق في الامر كله او لم تسمعى ماقلت لهم يعني رددت عليهم فقلت عليكم فهذا اذا قالوا السام عليكم. واما اذا علم انهم قالوا السلام فلا يخصون فى الرد فيقال عليكم فيصير بمعنى السلام عليكم لا علينا بل يقال وعليكم * واذا قال الرسول صلى الله عليه وسلم وأمته عليكم جزاء دعائهم وهو دعاء بالسلامة والسلام أمان فقد يكون المستجاب هى سلامتهم منا أى من ظلمنا وعداوتنا. وكذلك كل من رد السلام على غيره فانما دعا له بالسلامة وهذا مجمل ومن الممتنع ان يكون كل من رد على النبي صلى الله عليه وسلم السلام من الخلق دعا له بالسلامة من عذاب الدنيا والآخرة فقد كان المنافقون يسلمون عليه ويرد عليهم ويرد على المسلمين أصحاب الذنوب وغيرهم لكن السلام فيه امان ولهذا لايبتدأ الكافر الحربى بالسلام بل كتب النبي صلى الله عليه وسلم كتابه الى قيصر قال فيه

من محمد رسول الله الى قيصر عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى كما قال موسي لفرعون والحديث فى الصحيحين من رواية ابن عباس عن أبى سفيان بن حرب فى قصته المشهورة لما قرأ قيصر كتاب النبي صلى الله عليه وسلم وساله عن أحواله وقد نهى صلى الله عليه وسلم عن ابتداء اليهود بالسلام. فمن العلماء من حمل ذلك على العموم. ومنهم من رخص اذا كان للمسلم اليه حاجة يبتدئه بالسلام بخلاف اللقاء والكفار كاليهود والنصارى يسلمون عليه وعلى أمته سلام التحية الموجب للرد. واما السلام المطلق فهو كالصلاة عليه انما يصلى عليه ويسلم عليه أمته فاليهود والنصارى لا يصلون عليه ويسلمون عليه وكانوا اذا رأوه يسلمون عليه فذلك الذى يختص به المؤمنون ابتداء وجوابا أفضل من هذا الذى يفعله الكفار معه ومع أمته ابتداء وجوابا ولا يجوز ان الكفار اذا سلموا عليه سلام التحية فان الله يسلم عليهم عشرا بل كان النبي صلى الله عليه وسلم يجيبهم على ذلك فيوفيهم كما لو كان لهم دين فقضاه * واما ما يختص بالمؤمنين فاذا صلوا عليه صلى الله على من صلى عليه عشرا . واذا سلم عليه سلم الله عليه عشرا وهذا الصلاة والسلام هو المشروع فى كل مكان بالكتاب والسنة والاجماع بل هو مأمور به من الله سبحانه وتعالى لافرق فى هذا بين الغرباء وبين أهل المدينة عند القبر — واما السلام عليه عند القبر فقد عرف أن الصحابة والتابعين المقيمين بالمدينة لم يكونوا يفعلونه اذا دخلوا المسجد وخرجوا منه ولو كان هذا كالسلام عليه لو كان حيا لكانوا يفعلونه كلما دخلوا المسجد وخرجوا منه كما لو دخلوا المسجد فى حياته وهو فيه فانه مشروع لهم كلما رأوه ان يسلموا عليه بل السنة لمن جاء الى قوم ان يسلم عليهم اذا قدم واذا قام كما أمر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك وقال ليست الاولى أحق من الآخرة فهو لما كان حيا كان أحدهم اذا أتى يسلم واذا قام يسلم ومثل هذا لا يشرع عند القبر باتفاق المسلمين وهو معلوم الاضطرار من عادة الصحابة ولو كان سلام التحية خارج الحجرة كان مستحبا لكل أحد . ولهذا كان اكثر السلف لا يفرقون بين الغرباء وأهل المدينة ولا بين حال السفر وغيره فان استحباب هذا لهؤلاء وكراهته لهؤلاء حكم شرعي يفتقر الى دليل شرعي ولا يمكن أحد ان ينقل عن النبي صلى الله عليه وسلم انه شرع لاهل المدينة الاتيان عند الوداع للقبر . وشرع لهم ولغيرهم ذلك عند القدوم من سفر . وشرع للغرباء تكرير ذلك كلما دخلوا المسجد وخرجوا منه ولم يشرع ذلك لاهل المدينة فمثل هذه الشريعة ليس منقولا عن

النبي صلى الله عليه وسلم ولا عن خلفائه ولا هو معروف من عمل الصحابة وانما نقل عن ابن عمر السلام عند القدوم من السفر وليس هذا من عمل الخلفاء وأكابر الصحابة قلت روى عبد الرزاق فى مصنفه عن معمر عن أيوب عن نافع قال كان ابن عمر اذا قدم من سفر أتى قبر النبي صلي الله عليه وسلم فقال السلام عليك يارسول الله السلام عليك ياأبا بكر السلام عليك ياأبتاه وأنبأه عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر قال معمر فذكرت ذلك لعبيد الله بن عمر فقال مانعلم أحدا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فعل ذلك الا ابن عمر هكذا قال عبيد الله بن عمر العمرى الكبير وهو أعلم آل عمر فى زمانه واحفظهم واثبتهم *

قال الشيخ كما كان ابن عمر يتحرى الصلاة والنزول والمرور حيث حل ونزل وغير ذلك فى السفر . وجمهور الصحابة لم يكونوا يصنعون ذلك بل أبوه عمر كان ينهى عن مثل ذلك كما روى سعيد بن منصور فى سننه . حدثنا أبو معاوية عن الاعمش عن المعرور بن سويد عن عمر قال خرجنا معه في حجة حجها فقرأ بنا فى صلاة الفجر ألم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل ولايلاف قريش فى الثانية فلما رجع من حجته رأى الناس ابتدروا المسجد فقال ما هذا فقالوا مسجد صلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هكذا هلك أهل الكتاب قبلكم اتخذوا آثار الانبياء بيعا من عرضت له منكم فيه الصلاة فليصل ومن يعرض له فليمض . ومما اتفق عليه الصحابة ابن عمر وغيره من انه لا يستحب لاهل المدينة الوقوف عند القبر للسلام اذا دخلوا المسجد وخرجوا بل يكره ذلك يبين ضعف حجة من احتج بقوله ما من رجل يسلم على الا رد الله على روحى حتي ارد عليه السلام فان هذا لو دل على استحباب السلام عليه من المسجد لما اتفق الصحابة علي ترك ذلك ولم يفرق فى ذلك بين القادم من السفر وغيره . فلما اتفقوا على ترك ذلك مع تيسيره علم انه غير مستحب بل لوكان جائزا لفعله بعضهم . فدل على انه كان من المنهى عنه كما دلت عليه سائر الاحاديث . وعلى هذا فالجواب عن الحديث اما بتضعيفه على قول من يضعفه . وأما بان ذلك يوجب فضيلة الرسول صلى الله عليه وسلم لافضيلة المسلم بالرد عليه اذا كان هذا من باب المكافأة والجزاء حتى انه يشرع للبر والفاجر التحية بخلاف مايقصد به الدعاء المجرد وهو السلام المأمور به . واما بان يقال هذا مما هو فيمن سلم عليه من قريب والقريب ان يكون فى بيته فانه ان لم يحد بذلك لم يبق له حد محدود من جهة الشرع

كما تقدم ذكر هذا . وأما الوجه فتوجيهه ان الحديث ليس فيه ثناء على المسلم ولا مدح له ولا ترغيب له فى ذلك ولا ذكر أجر له كما جاء فى الصلاة والسلام المأمور بهما فانه قد وعد ان من صلى عليه مرة صلى الله عليه عشرا وكذلك من سلم عليه وأيضا فهو مأمور بهما وكل مأمور به ففاعله محمود مشكور مأجور -- وأما قوله مامن رجل يمر بقبر الرجل فيسلم عليه الا ردّ الله عليه روحه حتى يرد عليه السلام ومامن رجل يسلم على الارد الله على روحى حتى أرد عليه السلام فانما فيه مدح المسلم عليه والاخبار بسماعه السلام وانه يرد السلام فيكافئ المسلم عليه لا يبقى للمسلم عليه فضل فانه بالرد يحصل المكافأة كما قال تعالى (واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها أوردوها) ولهذا كان الرد من باب العدل المأمور به الواجب لكل مسلم اذا كان سلامه مشروعا . وهذا كقوله من سألنا أعطيناه ومن لم يسألنا أحب الينا هو أخبار باعطائه السائل ليس هذا أمر بالسؤال وان كان السلام ليس مثل السؤال لكن هذا اللفظ انما يدل على مدح الراد -- وأما المسلم فيقف الامر فيه على الدليل واذا كان المشروع لاهل المدينة ان لا يقفوا عند الحجرة ويسلموا عليه علم قطعا ان الحديث لم يرغب فى ذلك ومما يبين ذلك ان مسجده كسائر المساجد لم يختص بجنس من العبادات لاتشرع فى غيره وكذلك المسجد الاقصى ولكن خصا بان العبادة فيهما أفضل بخلاف المسجد الحرام فانه مخصوص بالطواف واستلام الركن وتقبيل الحجر وغير ذلك . وأما المسجدان الآخران فما يشرع فيهما من صلاة وذكر واعتكاف وتعلم وتعليم وثناء على الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وصلاة عليه وتسليم عليه وغير ذلك من العبادات فهو مشروع فى سائر المساجد والعمل الذى يسمى زيارة لقبره لا يكون الا فى مسجده لا خارجا عن المسجد فعلم ان المشروع من ذلك العمل مشروع فى سائر المساجد لا اختص لقبره بجنس من أجناس العبادات ولكن العبادة فى مسجده أفضل منها في غيره لاجل المسجد لا لاجل القبر * قال الشيخ ومما يوضح هذا انه لم يعرف عن أحد من الصحابة انه تكلم باسم زيارة قبره لا ترغيبا فى ذلك ولا غير ترغيب فعلم ان مسمى هذا الاسم لم يكن له حقيقة عندهم . (ثم ذكر) ماحكيناه عنه فيما تقدم*

﴿ثم قال والمقصود﴾ ان هذا كله يبين ضعف حجة المفرق بين الصادر من المدينة والوارد عليها والوارد علي مسجده من الغرباء والصادر عنه . وذلك انه يمتنع ان يقال انه يرد على هؤلاء ولا

يرد على أحد من أهل المدينة المقيمين بها فان اولئك هم أفضل أمته وخواصها وهم الذين خاطبهم بهذا فيمتنع ان يكون المعني من سلم منكم يا أهل المدينة لم أرد عليه مادمتم مقيمين بها فان المقام بها هو غالب أوقاتهم وليس فى الحديث تخصيص ولا عن النبي صلى الله عليه وسلم مايدل على ذلك (يبين هـذا) ان الحجرة لما كانت مفتوحة وكانوا يدخلون على عائشة لبعض الامور فيسلمون عليه انما كان يرد عليهم اذا سلموا * (فان قيل) انه لم يكن يرد عليهم فهـذا تعطيل للحديث (وان قيل) كان يرد عليهم من هناك ولا يرد اذا سلموا من خارج فقد أظهر الفرق * وان قيل بل هو يرد على الجميع فحينئذ ان كان رده لا يقتضى استحباب هذا السلام بطل الاستدلال به وان كان رده يقتضي الاستحباب وهو الآن مختص بمن سلم من خارج لزم ان يستحب لاهل المدينة السلام عند الحجرة كلما دخلوا المسجد وخرجوا وهو خلاف ما أجمع عليه الصحابة والتابعون لهم باحسان وخلاف قول المفرقين . ومن أهل المدينة من قد لا يسافر منها أو لا يسافر الا للحج والقادم قد يقيم بالمدينـة العشر والشهر فهذا يرد عليه عشر مرات فى اليوم والليـلة واكثر كلما دخل وخرج وذاك المدنى المقيم لا يرد عليه قط فى عمره ولا مرة * وايضا فاستحباب هذا للوارد والصادر تشبيه له بالطواف الذى يشرع للحاج عند الورود الى مكة وهو الذى يسمى طواف القدوم وطواف التحية وطواف الورود وعند الصدر وهو الذى يسمى طواف الوداع وهذا تشبيه لبيت المخلوق ببيت الخالق ولهذا لا يجوز الطواف بالحجرة بالاجماع ولا الصلاة اليها كما ثبت عنه صلى الله عليه وسلم فى صحيح مسلم عن أبى مرثد الغنوى انه قال قال صلى الله تعالى عليه وسلم لا تجلسوا على القبور ولا تصلوا اليها وأيضا فالطواف بالبيت لاهل مكة ولغيرهم كلما دخلوا المسجد والوقوف عند القبر كلما دخل المدنى لا يشرع بالاتفاق فلم يبق الفرق بين المدنى وغير المدنى له أصل فى السنة ولا نظير فى الشريعة ولا هو مما سنه الخلفاء الراشدون وعمل به عامة الصحابة فلا يجوز ان يجعل هذا من شريعته وسنته واذا فعله من الصحابة الواحد والاثنان والثلاثة واكثر دون غيرهم كان غايته انه يثبت به التسويغ بحيث يكون هذا مانعا من دعوى الاجماع على خلافه بل يكون كسائر المسائل التى ساغ فيها الاجتهاد لبعض العلماء اما أن يجعل من سنة الرسول صلى الله عليه وسلم وشريعته وحكم مالم تدل عليه سنته لكون بعض السلف فعل ذلك فهذا لا يجوز ونظير هذا مسحه للقبر . قال أبو بكر الاثرم قلت لابى عبد الله يعنى الامام

احمد قبر النبي صلى الله عليه وسلم يلمس ويتمسح به قال ماعرف هذا قلت فالمنبر قال أما المنبر فنعم قدجاء فيه قال أبو عبد الله شئ يروونه عن ابن أبى فديك عن ابن أبى ذئب عن ابن عمر انه مسح على المنبرقال ويروونه عن سعيد بن المسيب فى الرمانة قلت ويروى عن يحيي بن سعيد يعنى الانصارى شيخ مالك وغيره انه حيث اراد الخروج الى العراق جاء الى المنبر فمسحه ودعا فرأيته استحسن ذلك . ثم قال لعله عندالضرورة والشيء قلت لابي عبد الله انهم يلصقون بطونهـم بجدار القبر وقلت له ورأيت أهل العلم من أهل المدينـة لايمسونه ويقومون ناحيته فيسلمون فقـال أبو عبـد الله نعم وهكذا كان ابن عمر يفعل ذلك . ثم قال أبو عبـد الله بابي وأمي صلى الله تعالى عليه وسلم * وقد ذكر أحمد بن حنبل أيضا في منسك المروزى نظـير مانقل عن ابن عمر وابن المسيب ويحيي ابن سعيد وهذا كله يدل على التسويغ وان هذا ممـا فعله بعض الصحابة فلا يقال انعقداجماعهم على تركه بحيث يكون فعل من فعل ذلك اقتداء ببعض السلف لم يبتدع هو شيئا من عنده . واما ان الرسول صلى الله عليه وسلم ندب الى ذلك ورغب فيه وجعله عبادة وطاعة يشرع فعلها فهذا يحتاج الى دليل شرعي لايكفى فى ذلك فعـل بعض السلف ولا يجوز ان يقال ان الله ورسوله يحب ذلك او يكرهه وانه سن ذلك وشرعه اونهى عن ذلك وكرهه أو نحو ذلك الا بدليل يدل على ذلك لاسيما اذا عرف ان جمهور أصحابه لم يكونوا يفعلون ذلك فيقال لو كان هو ندبهم الى ذلك واحبه لفعلوه فانهم كانوا أحرص الناس على الخير ونظير هذا متعددة والله أعلم * والمؤمن قد يتحرى الدعاء والصـلاة في مكان دون مكان لاجتماع قلبه فيه وحصول خشوعه فيه لالانه يرى الشارع فضـل ذلك المـكان كصلاة الذى يكون في بيته ونحو ذلك فمثل هذا اذا لم يكن منهيا عنه فلا بأس به ويكون ذلك مستحبا فى حق ذلك الشخص لـكون عبادته فيه أفضـل كما اذا صـلى القوم خلف امام يحبونه كانت صلاتهم أفضل من ان يصلوا خلف من هم له كارهون . وقد يكون العمل المفضول فى حق بعض الناس أفضـل لـكونه انفع له وكونه ارغب فيه وهو احب اليه من عمل افضـل منه لـكونه يعجز عنه فهذا يختلف بحسب اختلاف الاشخاص وهو غير ما ثبت فضـل جنسه بالشرع كما ثبت ان الصلاة افضل . ثم القراءة . ثم الذكر بالادلة مع ان العمل المفضول فى مكانه هو افضل من الفاضل فى غير مكانه كفضيلة الذكر والدعاء والقراءة بعـد الفجر والعصر على الصـلاة

المنهى عنها فى هـذا الوقت وكفضيلة التسبيح فى الركوع والسجود على القـراءة لانه نهى ان يقرأ القرآن راكعا او ساجدا وكفضيلة آخر القرآن هنالك لانه موطن الدعاء ونظائر هذا متعددة وبسط هذا له موضع آخر *

﴿ لـكن المقصود هنا ﴾ ان يعلم ان ماقيـل انه مستحب للامة قد ندبهـم اليه الرسول صلى الله عليه وسلم ورغبهم فيه فلا بد له من دليل يدل علي ذلك ولا يضاف الى الرسول صلى الله عليه وسـلم الا ماصدر عنه والرسول صلى الله عليه وسلم هو الذي فرض الله على جميع الخلق الايمان به وطاعته واتباعه وايجاب ماأوجبه وتحريم ماحرمه وشرع ماشرعه وبه فرق الله بين الهدى والضلال والرشاد والغى والحق والباطل والمعروف والمنكر وهو الذى شهد الله له بانه يدعو اليه باذنه ويهدى الى صراط مستقيم وهو الذى جعل الرب طاعته طاعة له فى مثل قوله من يطع الرسول فقد اطاع الله . وقوله وما ارسلنا من رسول الا ليطـاع باذن الله وهو الذى لاسبيل لاحد الى النجاة الا بطاعته ولا يسأل الناس يوم القيامة الا عن الايمان به واتباعه وطاعته وبه يمتحنون فى القبور . قال تعالى فلنسألن الذين ارسل اليهم ولنسألن المرسلين وهو الذى أخذ الله الميثاق على النبيين وأمرهم ان يأخـذوا على أممهم الميثـاق انه اذا جاءهم ان يؤمنوا به ويصدقونه وهو الذى فرق الله به بين أهل الجنـة والنار فمن آمن به واطاعه كان من أهـل الجنة . ومن كذبه وعصاه كان من أهل النار . قال تعالى ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين . والوعد بسعادة الدنيا والآخرة والوعيد بشقاوة الدنيا والآخرة يتعلق بطاعته فطاعته هى الصراط المستقيم وهى حبل الله المتين وهى العروة الوثقى وأصحابها هم اولياء الله المتقون وحزبه المفلحون وجنده الغالبون . والمخالفون لهم هم أعداء الله حزب ابليس اللعين . قال تعـالى ويوم يعض الظالم على يديه يقول ياليتنى اتخذت مع الرسول سبيلا ياويلتى ليتنى لم اتخذ فلانا خليلا لقد أضلنى عن الذكر بعد اذ جاءنى وكان الشيطان للانسان خذولا وقال تعالى يوم تقلب وجوههم في النار يقولون ياليتنا اطعنا الله وأطعنا الرسول وقالوا ربنا انا اطعنا سادتنا وكبرائنا فاضلونا السبيلا ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيرا . وقال تعالى قل أطيعوا الله والرسول فان تولوا فان الله لا يحب الـكافرين وقال تعالى فلا

وربك لايؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لايجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما . وقال تعالى فليحذر الذين يخالفون عن أمره ان تصيبهم فتنة او يصيبهم عذاب اليم . وقال تعالى ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ذلك الفضل من الله . وجميع الرسل أخبروا بان الله أمر بطاعتهم كما قال تعالى وما ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله يأمرون بعبادة الله وحده وتقواه وحده وخشيته وحده ويأمرون بطاعتهم كما قال تعالى ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فأولئك هم الفائزون . وقال نوح اعبدوا الله واتقوه وأطيعون . وقال فى الشعراء فاتقوا الله وأطيعون وكذلك قال هود وصالح ولوط وشعيب والناس محتاجون الى الايمان بالرسول صلى الله عليه وسلم فطاعته فى كل زمان ومكان ليلا ونهارا سفرا وحضرا سرا وعلانية جماعة وفرادى وهم احوج الى ذلك من الطعام والشراب بل من النفس فانهم متى فقدوا ذلك فالنار جزاء من كذب بالرسول وتولى عن طاعته كما قال تعالى فانذرتكم نارا تلظى لا يصلاها الا الاشقى الذى كذب وتولى اى كذب بما أخبر به وتولى عن طاعته كما قال تعالى فى موضع آخر فلا صدق ولا صلى ولكن كذب وتولى اي كذب بما أخبر به وتولى عن طاعته وقال تعالى انا ارسلنا اليكم رسولا شاهدا عليكم كما ارسلنا الى فرعون رسولا فعصي فرعون الرسول فاخذناه أخذا وبيلا . وقال فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الارض ولا يكتمون الله حديثا والله تعالى قد سماه سراجا منيرا وسمى الشمس وهاجا والناس الى السراج المنير احوج منهم الى السراج الوهاج فانهم يحتاجون اليه ليلا ونهارا سرا وعلانية وهو انفع لهم فانه منير ليس فيه اذى بخلاف الوهاج فانه ينفع تارة ويضر أخرى ولما كانت حاجة الناس الى الرسول صلى الله عليه وسلم والايمان به وطاعته ومحبته وموالاته وتعظيمه وتعزيزه وتوقيره عامة فى كل مكان وزمان كان ما يؤمر به من حقوقه عاما لايختص بقبره فمن خص قبره بشيء من الحقوق كان جاهلا بقدر الرسول صلى الله عليه وسلم وقدر ما أمر الله به من حقوقه وكل من اشتغل بما امر الله به من طاعته شغله عما نهى عنه من البدع المتعلقة بقبره وقبر غيره ومن اشتغل بالبدع المنهي عنها ترك ما أمر به الرسول صلى الله عليه وسلم من حقه فطاعته هى مناط السعادة والنجاة والذين

يحجون الى القبور ويدعون الموتى من الانبياء وغيرهم عصوا الرسول صلى الله عليه وسلم واشركوا بالرب ففاتهم ما أمروا به من تحقيق التوحيد والايمان بالرسول صلى الله عليه وسلم وهو تحقيق شهادة أن لااله الا الله وأن محمدا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم . وجميع الخلق يأتون يوم القيامة فيسألون عن هذين الاصلين ماذا كنتم تعبدون وماذا أجبتم المرسلين كما بسط هذا فى موضعه *

﴿ والمقصود ﴾ ان الصحابة كانوا فى زمن الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم أجمعين يدخلون المسجد ويصلون فيه الصلوات الخمس ويصلون على النبي صلى الله عليه وسلم ويسلمون عليه عند دخول المسجد وبعد دخوله ولم يكونوا يذهبون ويقفون الى جانب الحجرة ويسلمون عليه هناك وكان على عهد الخلفاء الراشدين والصحابة حجرته خارجة عن المسجد ولم يكن بينهم وبينه الا الجدار . ثم أنه انما أدخلت الحجرة في المسجد فى خلافة الوليد بن عبد الملك بعد موت عامة الصحابة الذين كانوا بالمدينة وكان من آخرهم موتا جابر بن عبد الله وتوفى فى خلافة عبد الملك فانه توفى سنة ثمان وسبعين والوليد تولي سنة ست وثمانين وتوفى سنة ست وتسعين فكان بناء المسجد وادخال الحجرة فيه فيما بين ذلك . وقد ذكر أبو زيد عمر بن شبة النميرى فى كتاب أخبار المدينة (مدينة الرسول) صلى الله عليه وسلم عن أشياخه وعمن حدثوا عنه ان عمر بن عبد العزيز لما كان نائبا للوليد على المدينة فى سنة احدى وتسعين هدم المسجد وبناه بالحجارة المنقوشة وعمل سقفه بالساج وماء الذهب وهدم حجرات أزواج النبي صلى الله عليه وسلم فأدخلها فى المسجد وأدخل القبر فيه *

﴿ ثم ذكر الشيخ ﴾ الآثار المروية فى عمارة عمر بن عبد العزيز المسجد وزيادته فيه وذكر ان حكم الزيادة حكم المزيد (فقال) وقد جاءت الآثار بان حكم الزيادة فى مسجده حكم المزيد تضعف فيه الصلاة بالف صلاة كما أن المسجد الحرام حكم الزيادة فيه حكم المزيد فيجوز الطواف فيه والطواف لا يكون الا فى المسجد لا خارجا منه ولهذا اتفق الصحابة على أنهم يصلون فى الصف الاول من الزيادة التى زادها عمر ثم عثمان وعلى ذلك عمل المسلمين كلهم فلولا ان حكمه حكم مسجده لكانت تلك صلاة فى غير مسجده والصحابة وسائر المسلمين بعدهم لا يحافظون عن العدول عن مسجده الى غير مسجده ويأمرون بذلك . قال ابو زيد حدثنى محمد بن يحيي حدثني من

أثق به ان عمر زاد في المسجد من القبلة الى موضع المقصورة التى به هي اليوم قال فاما الذى لايشك فيه أهل بلدنا ان عثمان هو الذى وضع القبلة فى موضعها اليوم ثم لم تغير بعد ذلك * قال ابو زيد حدثنا محمد بن يحيي عن محمد عن عثمان عن مصعب بن ثابت عن خباب ان النبي صلى الله عليه وسلم قال وهو يوما فى مصلاه لو زدنا في مسجدنا وأشار بيده نحو القبلة * حدثنا محمد بن يحيي عن محمد بن اسمعيل عن ابن أبي ذئب . قال قال عمر لو مد مسجد النبي صلى الله عليه وسلم لكان منه حدثنا محمد بن يحيي عن سعد بن سعيد عن أخيه عن أبيه عن أبي هريرة . قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو بني هذا المسجد الى صنعاء لكان مسجدى فكان ابو هريرة يقول والله لو مد هذا المسجد الى داري ماعدوت أن أصلى فيه . حدثنا محمد حدثنا عبد العزيز بن عمران عن فليح بن سليمان عن ابن أبى عمرة قال زاد عمر فى المسجد فى شاميه ثم قال لو زدنا فيه حتى يبلغ الجبانة كان مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وهذا الذى جاءت به الآثار هو الذي يدل عليه كلام الائمة المتقدمين وعملهم فانهم قالوا ان الصلاة الفرض خلف الامام أفضل وهذا الذى قالوه هو الذى جاءت به السنة وكذلك كان الامر على عهد عمر وعثمان فان كليهما زاد من قبلي المسجد فكان مقامه فى الصلاة الخمس في الزيادة وكذلك مقام الصف الاول الذى هو أفضل مايقام فيه بالسنة والاجماع . واذا كان كذلك فيمتنع أن تكون الصلاة فى غير مسجده أفضل منها في مسجده وأن يكون الخلفاء والصفوف الاول كانوا يصلون فى غير مسجده وما بلغنى عن أحد من السلف خلاف هذا لكن رأيت بعض المتأخرين قد ذكر ان الزيادة ليست من مسجده وما علمت لمن ذكر ذلك سلفا من العلماء قال وهذه الامور نبهنا عليها ههنا فانه يحتاج الى معرفتها وأكثر الناس لايعرفون الامر كيف كان ولا حكم الله ورسوله فى كثير من ذلك وكان من المقصود ان المسجد لما زاد فيه الوليد وأدخلت فيه الحجرة كان قد مات عامة الصحابة ولم يبق الا من ادرك النبي صلى الله عليه وسلم ولم يبلغ من التميز الذى يؤمر فيه بالطهارة والصلاة . ومن المعلوم بالتواتر ان ذلك كان فى خلافة الوليد بن عبد الملك . وقد ذكروا ان ذلك كان سنة احدى وتسعين وان عمر بن عبد العزيز مكث في بنائه ثلاث سنين وسنة ثلاث وتسعين مات فيها خلق كثير من التابعين مثل سعيد بن المسيب وغيره من الفقهاء السبعة . ويقال لها سنة الفقهاء وجابر بن عبد الله وكان من السابقين الاولين ممن بايع بالعقبة تحت الشجرة ولم يكن بقي

من هؤلاء غيره لما مات وذلك قبل تغيير المسجد بسنين ولم يبق بعده ممن كان بالغا حين موت النبي صلى الله عليه وسلم الا سهل بن سعد الساعدى فانه توفي سنة ثمانى وثمانين . وقيل سنة احدى وتسعين ولهذا قيل فيه انه آخر من مات بالمدينة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كما قاله ابو حاتم البستى وغيره * واما من مات بعد ذلك فكانوا صغارا مثل السائب بن زيد الكندي ابن أخت نمر فانه مات بالمدينة سنة احدى وتسعين . وقيل انه مات بعده عبد الله بن طلحة الذي حنكه النبي صلى الله عليه وسلم وكذلك محمود بن الربيع الذى عقل مجة مجها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى وجهه من بئر كان في دارهم وله خمس سنين مات سنة تسع وتسعين وله ثلاث وتسعون سنة وأبوا امامة بن سهل بن حنيف سماه النبي صلى الله عليه وسلم أسعد باسم أسعد بن زرارة مات سنة مائة لكن هؤلاء لم يكن لهم فى حياته من التمييز ماينقلون عنه أقواله وأفعاله التى ينقلها الصحابة مثل ماينقلها جابر وسهل بن سعد وغيرهما . وأما ابن عمر فكان قد مات قبل ذلك بعد قتل ابن الزبير بمكة سنة أربع وسبعين . وابن عباس مات قبل ذلك بالطائف سنة ثمان وستين فهؤلاء وأمثالهم من الصحابة لم يدرك أحد منهم تغيير المسجد وادخال الحجرة فيه وأنس بن مالك كان بالبصرة ولم يكن بالمدينة . وقيل أنه آخر من مات بها من الصحابة وكانت حجر أزواج النبي صلى الله عليه وسلم شرقي المسجد وقبليه وقيل وشاميه فاشتريت من ملاكها ورثة أزواجه وزيدت فى المسجد فدخلت حجرة عائشة وكان الذى تولى ذلك عمر بن عبد العزيز نائب الوليد على المدينة فسد باب الحجرة وبنوا حائطا آخر عليها غير الحائط القديم فصار المسلم عليه من وراء الجدار أبعد من المسلم عليه لما كان جدارا واحدا . قال هؤلاء ولو كان سلام التحية الذي يرده على صاحبه مشروعا فى المسجد لكان له حد ذراع أو ذراعان أو ثلاثة فلا يعرف الفرق بين المكان الذى يستحب فيه هذا والمكان الذى لا يستحب . فان قيل من سلم عليه عند الحائط الغربى رد عليه . قيل وكذلك من كان خارج المسجد والا فما الفرق حينئذ فيلزم ان يرد على جميع أهل الارض وعلى كل مصل فى صلاة كما ظنه بعض الغالطين ومعلوم بطلان ذلك . وان قيل يختص بقدر بين المسلم وبين الحجرة . قيل فما حد ذلك وهم لهم قولان منهم من يستحب القرب من الحجرة كما استحب ذلك مالك وغيره ولكن يقال فما حد ذلك القرب واذا جعل له حد فهل يكون من خرج عن الحد فعل المستحب وآخرون

من المتأخرين يستحبون التباعد عن الحجرة كما ذكر ذلك من ذكره من أصحاب أبي حنيفة والشافعى فهل هو بذراع أو باع أو أكثر . وقدره من قدره من أصحاب أبي حنيفة باربعة أذرع فانهم قالوا يكون حين يسلم عليه مستقبل القبلة ويجعل الحجرة عن يساره ولا يدنوا أكثر من ذلك وهذا والله أعلم قاله المتقدمون لان المقصود به السلام المأمور به فى القرآن كالصلاة عليه ليس المقصود به سلام التحية الذى يرد جوابه المسلم عليه فان هذا لا يشرع فيه هذا البعد ولا يستقبل به القبلة ولا يسمع اذا كان بالصوت المعتاد . وبالجملة فمن قال انه يسلم سلام التحية الذى يقصد به الرد فلا بد من تحديد مكان ذلك . فان قال الى ان يسمع ويرد السلام فان حد في ذلك ذراعا أو ذراعين أو عشرة أذرع أو قال ان ذلك فى المسجد كله أو خارج المسجد فلا بد له من دليل * والاحاديث الثابته عنه فيها ان الملائكة يبلغونه صلاة من صلى عليه وسلام من يسلم عليه ليس في شيء منها انه يسمع بنفسه ذلك . فمن زعم انه يسمع ويرد من خارج الحجرة من مكان دون مكان فلا بد له من حد . ومعلوم انه ليس فى ذلك حد شرعي وما أحد يحد فى ذلك حدا الا عورض بمن يزيده أو ينقصه ولا فرق *

وأيضا فذلك يختلف باختلاف ارتفاع الاصوات وانخفاضها والسنة للمسلم فى السلام عليه خفض الصوت . ورفع الصوت فى مسجده منهى عنه بالسلام والصلاة وغير ذلك بخلاف المسلم من الحجرة فانه فرق ظاهر بينه وبين المسلم عليه من المسجد . ثم السنة لمن دخل مسجده ان يخفض صوته فالمسلم عليه ان رفع الصوت أساء الادب برفع الصوت فى المسجد وان لم يرفع لم يصل الصوت الى داخل الحجرة . وهذا بخلاف السلام الذى أمر الله به ورسوله الذي يسلم الله على صاحبه كما يصلى على من صلى عليه فان هذا مشروع فى كل مكان لا يختص بالقبر *

﴿ وبالجملة ﴾ فهذا الموضع فيه نزاع قديم بين العلماء على كل تقدير فلم يكن عند أحد من العلماء الذين استحبوا سلام التحية فى المسجد حديث في استحباب زيارة قبره يحتجون به فعلم ان هذه الاحاديث ليست مما يعرفه أهل العلم . ولهذا لما تتبعت وجدت رواتها إما كذاب وإما ضعيف سيء الحفظ ونحو ذلك كما قد بين فى غير هذا الموضع . وهذا الحديث الذى فيه مامن مسلم يسلم على الا رد الله على روحى حتى أرد عليه السلام . قد احتج به احمد وغيره من العلماء . وقيل هو على شرط مسلم وهو معروف من حديث حيوة بن شريح المصرى الرجل

الصالح الثقة عن أبي صخر عن يزيد ابن عبد الله بن قسيط عن أبي هريرة وأبو صخر هـذا متوسط (ولهذا) اختلف فيه عن يحيي بن معين فمرة قال هو ضعيف ووافقه النسائى ومرة قال لا بأس به ووافقه احمد فلو قدر ان هذا مخالف لما هو أصح منه وجب تقديم ذاك عليه ولكن السلام على الميت ورده السلام على من سلم عليه قد جاء فى غير هـذا الحديث . ولو أريد اثبات سنة رسول الله صلي الله عليه وسلم بمثل هـذا الحديث لكان هذا مختلفا فيه فالنزاع فى اسناده وفى دلالة متنه . ومسلم روى بهذا الاسناد قوله صلى الله عليه وسلم من خرج مع جنازة من بيتها وصلى عليها ثم تبعها حتى تدفن كان له قيراطان من الاجر كل قيراط مثل أحد ومن صلى عليها ثم رجع كان له من الاجر مثل أحد . وهذا الحديث قد رواه البخارى ومسلم وغيرهما من حديث أبي هريرة وعائشة من غير هـذا الطريق . ومسلم قد يروى عن الرجل فى المتابعات مالا يرويه فيما انفرد به وهـذا معروف منه فى عدة رجال يفرق بين من يروى عنه ماهو معروف من رواية غيره وبين من يعتمد عليه فيما ينفرد به . ولهذا كثير من أهل العلم يمتنعون ان يقولوا فى مثل ذلك هو على شرط مسلم أو البخارى كما بسط هذا فى موضعه

﴿ الوجه الثامن ﴾ انه لو كان فى هـذا الباب حديث صحيح لم يخف على الصحابة والتابعين بالمدينة ولو كان ذلك معروفا عندهم لم يكره أهل العلم بالمدينة مالك وغيره ان يقول القائل زرت قبر النبي صلى الله عليه وسلم فلما كرهوا هذا القول دل على أنه ليس عندهم فيه أثر لا عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ولا عن أصحابه *

﴿ الوجه التاسع ﴾ ان الذين كرهوا هـذا القول والذين لم يكرهوه من العلماء متفقون على ان السفر الى زيارة قبره انما هو سفر الى مسجده ولو لم يقصد الا السفر الى القبر لم يمكنه ان يسافر الا الى المسجد لكن قد يختلف الحكم بنيته كما تقدم . وأما زيارة قبره كما هو المعروف في زيارة القبور فهذا ممتنع غير مقدور ولا مشروع . وبهذا يظهر ان الذين كرهوا ان يسموا هذا زيارة لقبره قولهم أولى بالصواب فان هذا ليس زيارة لقبره ولا فيه مايختص بالقبر بل كل مايفعل فانما هو عبادة يفعل في المساجد كلها أو في غير المساجد أيضا . ومعلوم ان زيارة القبر لها اختصاص بالقبر . ولما كانت زيارة قبره المشروعة انما هى سفر الى مسجده وعبادة في مسجده ليس فيها مايختص بالقبر كان قول من كره ان يسمى هذا زيارة لقبره أولى بالشرع والعقل

واللغة ولم يبق الا السفر الى مسجده. وهذا مشروع بالنص والاجماع . والذين قالوا يستحب زيارة قبره انما أرادوا هذا فليس بين العلماء خلاف فى المعنى بل فى التسمية والاطلاق. والمجيب لم يحك نزاعا فى استحباب هذه الزيارة الشرعية التي تكون فى مسجده وبعضهم يسميها زيارة لقبره. وبعضهم يكره ان تسمى زيارة لقبره والمجيب يستحب مايستحب بالنص والاجماع وقد ذكر مافيه النزاع كان الحاكى عنه خلاف هذا كاذبا مفتريا يستحق مايستحقه أمثاله من المفترين *

﴿ قال المعترض المالكى ﴾ وتضافرت النصوص عن الصحابة والتابعين . وعن السادة العلماء المجتهدين . بالحض على ذلك والدب اليه . والغبطة لمن سارع لذلك وداوم عليه . حتى نحا بعضهم فى ذلك الي الوجوب . ورفعه عن درجة المباح والمندوب . ولم يزل الناس مطبقين على ذلك قولا وعملا . لايشكون فى ندبه ولا يبغون عنه حولا . وفى مسند ابن ابي شيبة من صلى عليّ عند قبري سمعته . ومن صلى على نائيا سمعته *

﴿ قال الشيخ ﴾ هكذا فى النسخة التى حضرت الى مكتوبة عن المعترض . وقد صحح على سمعته وهو غلط فان لفظ الحديث من صلى عليّ عند قبرى سمعته ومن صلى على نائيا بلغته هكذا ذكره الناس. وهكذا ذكره القاضى عياض عن ابن أبى شيبة. وهذا المعترض عمدته في مثل هذا كتاب القاضى عياض . وهذا الحديث قد رواه البيهقى وغيره من حديث العلاء بن عمرو الحنفى. حدثنا أبو عبد الرحمن عن الاعمش عن أبي صالح عن أبى هريرة عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم. قال من صلى عليّ عند قبري سمعته. ومن صلى على نائيا بلغته. قال البيهقى أبو عبد الرحمن هذا هو محمد بن مروان السدى فيما أرى وفيه نظر. وقد مضى مايؤكده قلت هو تبليغ صلاة أمته وسلامهم عليه كما فى الاحاديث المعروفة مثل الحديث الذى فى سنن أبي داود وغيره عن حسين الجعفى. حدثنا عبد الرحمن بن يزيد بن جابر عن ابى الاشعث الصنعانى عن أوس ابن أوس الثقفى . قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل أيامكم يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه قبض. وفيه النفخة. وفيه الصعقة فاكثروا على من الصلاة فيه فان صلاتكم معروضة على قالوا وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت يقولون (بليت) فقال ان الله حرم على الارض ان تأكل أجساد الانبياء * وهذا الحديث رواه أبو داود والنسائى وابن ماجه. ورواه أبو حاتم قال البيهقى وله شواهد . وروى حديثين عن ابن مسعود وأبي أمامة وله شواهد أكثر

مما ذكر البيهقى . منها ما رواه ابن ماجه . حدثنا عمرو بن سواد المصرى حدثنا عبد الله بن وهب عن عمرو بن الحارث عن سعيد ابن أبى هلال عن زيد بن ايمن عن عبادة بن نسى عن أبى الدرداء رضى الله عنه . قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثروا علىّ من الصلاة يوم الجمعة فانه مشهود تشهده الملائكة وان أحداً لن يصلي علىّ الا عرضت علىّ صلاته حتى يفرغ منها . قال قلت وبعد الموت قال وبعد الموت ان الله حرم على الارض ان تأكل أجساد الانبياء . ورواه أبو جعفر محمد بن جرير الطبري فى تهذيب الآثار من حديث سعيد بن أبى هلال كما تقدم ﴿ ومنها ﴾ ما رواه أبو داود وغيره عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا تجعلوا بيوتكم قبوراً ولا تجعلوا قبرى عيداً وصلوا علىّ فان صلاتكم تبلغنى حيث كنتم . وهذا له شواهد مراسيل من وجوه مختلفة يصدق بعضها بعضاً ﴿ منها ﴾ ما رواه سعيد بن منصور فى سننه . حدثنا حبان بن على حدثنا محمد بن عجلان عن أبى سعيد مولى المهرى * قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تتخذوا بيتى عيداً ولا بيوتكم قبوراً وصلوا علىّ حيث كنتم فان صلاتكم تبلغنى . وقال سعيد حدثنا عبد العزيز بن محمد أخبرنى سهيل ابن أبى سهيل قال رآنى الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب عند القبر فنادانى وهو في بيت فاطمة يتعشى . فقال هلم الى العشاء فقلت لا أريده فقال مالى رأيتك عند القبر فقلت سلمت على النبى صلى الله عليه وسلم فقال اذا دخلت المسجد فسلم عليه ثم قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تتخذوا بيتى عيداً ولا بيوتكم مقابر لعن الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد . وصلوا علىّ فان صلاتكم تبلغنى حيثما كنتم ما أنتم ومن بالاندلس منه الا سواء * ورواه اسمعيل بن اسحق القاضى فى كتاب فضل الصلاة على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ولفظه قال مالى رأيتك وقفت قلت وقفت أسلم على النبي صلى الله عليه وسلم . فقال اذا دخلت المسجد فسلم وذكر الحديث ولم يذكر قول الحسن . وقال اسمعيل حدثنا ابراهيم بن الحجاج عن وهيب عن أيوب السختيانى قال بلغني والله أعلم ان ملكا موكل بكل من صلى على النبي صلى الله عليه وسلم حتى يبلغه . وأما السلام في النسائى وغيره من حديث سفيان الثورى عن عبد الله ابن السائب عن زاذان عن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم . قال ان لله ملائكة سياحين يبلغونى عن أمتى السلام . وفى الحديث الذى تقدم من رواية أبى يعلى الموصلي وقد تقدم

اسناده عن علي بن الحسين انه رأى رجلا يجئ الى فرجة كانت عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم فيدخل فيها فنهاه. وقال ألا أحدثكم حديثا سمعته من أبي عن جدي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تتخذوا بيتي عيداً ولا بيوتكم قبوراً فان تسليمكم يبلغني أينما كنتم فهذه الاحاديث المعروفة عند اهل العلم التي جاءت من وجوه حسان فصدق بعضها بعضا وهي متفقة على أن من صلى عليه وسلم من أمته فان ذلك يبلغه ويعرض عليه وليس فى شئ منها انه يسمع صوت المصلي عليه والمسلم بنفسه انما فيها ان ذلك يعرض عليه ويبلغه صلى الله عليه وسلم تسليما ومعلوم انه أراد بذلك الصلاة والسلام الذى ما أمر الله به سوآء صلي عليه وسلم فى مسجده أو مدينته أو مكان آخر فعلم انما أمر الله به من ذلك فانه يبلغه — وأما من سلم عليه عند قبره فانه يرد عليه وذلك كالسلام على سائر المؤمنين ليس هو من خصائصه ولا هو السلام المأمور به الذى يسلم الله على صاحبه عشرا كما يصلى على من صلى عليه عشرا فان هذا هو الذى أمر الله به فى القرآن وهو لا يختص بمكان دون مكان — وقد تقدم حديث أبى هريرة انه يرد السلام علي من سلم عليه والمراد عند قبره لكن النزاع فى معنى كونه عند القبر هل المراد في بيته كما يراد مثل ذلك في سائر ما أخبر به من سماع الموتى انما هو لمن كان عند قبورهم قريباً منها أو يراد به من كان فى الحجرة كما قاله طائفة من السلف والخلف وهل يستحب ذلك عند الحجرة لمن قدم من سفر أو لمن أراده من أهل المدينة أولا يستحب بحال وليس الاعتماد فى سماعه مايبلغه من صلاة أمته وسلامهم الا على هذه الاحاديث الثابتة — فأما ذاك الحديث وان كان معناه صحيحاً فاسناده لا يحتج به وانما يثبت معناه باحاديث أخر فانه لا يعرف الا من حديث محمد بن مروان السدي الصغير عن الاعمش كما ظنه البيهقي وما ظنه في هذا هو متفق عليه عند أهل المعرفة وهو عندهم موضوع على الاعمش — قال عباس الدورى عن يحيي بن معين محمد بن مروان ليس بثقة * وقال البخاري سكتوا عنه لا يكتب حديثه البتة — وقال الجوزجاني ذاهب الحديث * وقال النسائي متروك الحديث. وقال صالح جزرة كان يضع الحديث. وقال أبو حاتم الرازى والازدي متروك الحديث. وقال الدارقطني ضعيف. وقال ابن حبان لا يحل كتب حديثه الا اعتباراً ولا الاحتجاج به بحال — وقال ابن عدى عامة مايرويه غيره محفوظ والضعف على رواياته بين فهذا الكلام على ماذكره من الحديث مع أنا قد بينا صحة معناه باحاديث أخر وهو لو كان صحيحاً

فانما فيه انه يبلغ صلاة من صلى نائيا ليس فيه انه يسمع ذلك كما قد وجدته منقولا عن هذا المعترض . فان هذا لم يقله أحد من أهل العلم ولا يعرف فى شئ من الحديث انما يقوله بعض الجهال يقولون انه يوم الجمعة وليلة الجمعة يسمع باذنيه صلاة من صلى عليه فالقول بانه يسمع ذلك من نفس المصلى باطل وانما فى الاحاديث المعروفة انه يبلغ ذلك ويعرض عليه وكذلك تبلغه اياه الملائكة وقول القائل انه يسمع الصلاة من بعيد ممتنع فانه ان أراد وصول وصوت المصلى اليه فهذه مكابرة وان أراد انه بحيث يسمع أصوات الخلائق من البعد فليس هذا الا لله رب العالمين الذى يسمع أصوات العباد كلهم قال تعالى أم يحسبون انا نسمع سرهم ونجواهم بلى ورسلنا لديهم يكتبون وقال ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم الى قوله ولا أكثر الا وهو معهم أينما كانوا الى قوله ان الله بكل شئ عليم وليس أحد من البشر بل ولا من الخلق يسمع أصوات العباد كلهم ومن قال هذا فى بشر فقوله من جنس قول النصارى الذين يقولون ان المسيح هو الله وانه يعلم ما يفعله العباد ويسمع أصواتهم ويجيب دعائهم قال تعالى لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم وقال المسيح يابنى اسرائيل اعبدوا الله ربى وربكم انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة وما من اله الا اله واحد وان لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم أفلا يتوبون الى الله ويستغفرون والله غفور رحيم ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنى يؤفكون قل أتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضراً ولا نفعا والله هو السميع العليم فلا المسيح ولا غيره من البشر ولا أحد من الخلق يملك لاحد من الخلق ضراً ولا نفعاً بل ولا لنفسه وان كان أفضل الخلق قال تعالى قل أني لا أملك لكم ضراً ولا رشداً وقال تعالى قل لا أقول لكم عندى خزائن الله ولا أعلم الغيب الآية وقال تعالي قل لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضراً الا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء ان أنا الا نذير وبشير لقوم يؤمنون وقوله الا ما شاء الله فيه قولان قيل هو استثناء متصل وانه يملك من ذلك ما ملكه الله وقيل هو منقطع والمخلوق لا يملك لنفسه نفعا ولا ضراً بحال فقوله الا ما شاء الله استثناء منقطع أى لكن يكون من ذلك ما شاء الله كقول الخليل ولا أخاف

ما تشركون به الا ان يشاء ربى شيئا أى لا أخاف ان يفعلوا شيئا لكن ان شاء ربي شيئا كان والالم يكن والا فهم لا يفعلون شيئا وكذلك قوله ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة ثم قال الا من شهد بالحق وهم يعلمون تنفعه الشهادة وتنفع شهاداته كقوله لا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له وقال قل لله الشفاعة جميعا وبسط هذا له موضع آخر *

﴿ قال الشيخ ﴾ وأما ماذكره من تضافر النقول عن السلف بالحض على ذلك واطباق الناس عليه قولا وعملا ﴿ فيقال ﴾ الذي اتفق عليه السلف والخلف وجاءت به الاحاديث الصحيحة هو السفر الى مسجده والصلاة والسلام عليه فى مسجده وطلب الوسيلة له وغير ذلك مما أمر الله به ورسوله فهذا السفر مشروع باتفاق المسلمين سلفهم وخلفهم وهذا هو مراد العلماء الذين قالوا يستحب السفر الى زيارة قبر نبينا صلى الله عليه وسلم فان مرادهم بالسفر لزيارته هو السفر الى مسجده وذكروا فى نسك الحج أنه يستحب زيارة قبره وهذا هو مراد من ذكر الاجماع على ذلك كما ذكر القاضى عياض (قال) وزيارة قبره سنة من المسلمين مجتمع عليها وفضيلة مرغب فيها فمرادهم الزيارة التى بينوها وشرحوها كما ذكر ذلك القاضى عياض فى هذا الفصل فصل زيارته قال وقال اسحق بن ابراهيم الفقيه ومما لم يزل شأن من حج المرور بالمدينة والقصد الى الصلاة فى مسجد النبي صلى الله عليه وسلم والتبرك برؤية روضته ومنبره وقبره ومجلسه وملامس يديه ومواطىء قدميه والعمود الذي كان يستند اليه ونزل جبريل بالوحى عليه فيه وبمن عمره وقصده من الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين والاعتبار بذلك كله (قلت) وذلك ان لفظ زيارة قبره ليس المراد بها نظير المراد بزيارة قبر غيره يوصل اليه ويجلس عنده ويتمكن الزائر مما يفعله الزائرون للقبور عندها من سنة وبدعة وأما هو صلى الله عليه وسلم فلا سبيل لاحد ان يصل الا الى مسجده لا يدخل أحد بيته ولا يصل الى قبره بل دفنوه فى بيته بخلاف غيره فانهم دفنوه فى الصحراء كما فى الصحيحين عن عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال في مرض موته لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد يحذر مافعلوا قالت عائشة ولولا ذلك لابرز قبره ولكن كره ان يتخذ مسجدا فدفن فى بيته لئلا يتخذ قبره مسجدا ولاوثنا ولا عيدا فان فى سنن أبى داود من حديث أحمد بن صالح عن عبد الله ابن نافع أخبرني ابن أبى ذئب عن سعيد المقبرى عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله

تعالى عليه وسلم لاتجعلوا بيوتكم قبورا ولا تجعلوا قبري عيدا وصلوا على فان صلاتكم تبلغني حيث كنتم وفى الموطا وغيره عنه أنه قال اللهم لاتجعل قبرى وثنا يعبد اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد وفى صحيح مسلم عنه أنه قال قبل ان يموت بخمس ان من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد الا فلا تتخذوا القبور مساجد فانى أنهاكم عن ذلك فلما لعن من يتخذ القبور مساجد تحذيرا لامته من ذلك ونهاهم عن ذلك ونهاهم ان يتخذوا قبره عيدا دفن في حجرته لئلا يتمكن أحد من ذلك وكانت عائشة ساكنة فيها فلم يكن فى حياتها أحد يدخل لذلك انما يدخلون اليها هى ولما توفيت لم يبق بها أحد ثم لما دخلت في المسجد سدت وبنى الجدار البرانى عليها فما بقى أحد يتمكن من زيارة قبره كالزيارة المعروفة عند قبر غيره سواء كانت سنية أو بدعية بل انما يصل الناس الى مسجده ولم يكن السلف يطلقون على هذا زيارة لقبره ولا يعرف عن أحد من الصحابة لفظ زيارة قبره البتة ولم يتكلموا بذلك وكذلك عامة التابعين لا يعرف هذا فى كلامهم فان هذا المعنى ممتنع عندهم فلا يعبروا عن وجوده وهو قد نهى عن اتخاذ بيته وقبره عيدا وسأل الله تعالى ان لايجعل وثنا ونهى عن اتخاذ القبور مساجد فقال النبي صلى الله عليه وسلم اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ولهذا كره مالك وغيره ان يقال زرنا قبر النبي صلى الله عليه وسلم ولو كان السلف ينطقون بهذا لم يكرهه مالك وقد باشر التابعين بالمدينة وهو أعلم الناس بمثل ذلك *

ولو كان فى هذا حديث معروف عن النبي صلى الله عليه وسلم لعرفه هؤلاء ولم يكرهه مالك وأمثاله من علماء المدينة الاخبار بلفظ تكلم به الرسول صلى الله عليه وسلم فقد كان رضى الله عنه يتحرى الفاظ الرسول فى الحديث فكيف يكره النطق بلفظه لكن طائفة من العلماء سموا هذا زيارة لقبره وهم لايخالفون مالكا ومن معه فى المعنى بل الذى يستحبه اولئك من الصلاة والسلام وطلب الوسيلة ونحو ذلك فى مسجده يستحبه هؤلاء لكن هؤلاء سموا هذا زيارة لقبره واولئك كرهوا ان يسموا هذا زيارة لقبره وقد حدث من بعض المتأخرين فى ذلك بدع لم يستحبها أحد من الائمة الاربعة كسؤاله الاستغفار وزاد بعض جهال العامة ماهو محرم أو كفر باجماع المسلمين كالسجود للحجرة والطواف بها وأمثال ذلك مما ليس هذا موضعه ومبدأ ذلك من الذين ظنوا ان هذا زيارة لقبره وظن هؤلاء ان الانبياء والصالحين تزار قبورهم لدعائهم والطلب

منهم واتخاذ قبورهم أوثانا . حتى قد يفضلون تلك البقعة على المساجد وان بني عليها مسجد فضلوه على المساجد التى بنيت لله وحتى قد يفضلون الحج الى قبر من يعظمونه على الحج الى البيت العتيق الى غير ذلك مما هو كفر وردة عن الاسلام باتفاق المسلمين . فالذى تضافرت به النقول عن السلف قاطبة وأطبقت عليه الامة قولا وعملا هو السفر الى مسجده المجاور لقبره والقيام بما أمر الله به من حقوقه فى مسجده كما يقام بذلك فى غير مسجده لكن مسجده أفضل المساجد بعد المسجد الحرام عند الجمهور * وقيل انه أفضل مطلقا كما نقل عن مالك وغيره ولم يتطابق السلف والخلف على اطلاق قبره ولا ورد بذلك حديث صحيح ولا نقل معروف عن أحد من الصحابة ولا كان الصحابة المقيمون بالمدينة من المهاجرين والانصار اذا دخلوا المسجد وخرجوا منه يجيؤن الى القبر ويقفون عنده ويزورونه فهذا لم يعرف عن أحد من الصحابة . وقد ذكر مالك وغيره ان هذا من البدع التي لم تنقل عن السلف وان هذا منهى عنه . وهذا الذى قاله مالك مما يعرفه أهل العلم الذين لهم عناية بهذا الشان يعرفون ان الصحابة لم يكونوا يزورون قبره لعلمهم بانه قد نهى عن ذلك ولو كان قبره يزار كما تزار القبور قبور أهل البقيع والشهداء شهداء أحد لكان الصحابة يفعلون ذلك اما بالدخول الى حجرته وإما بالوقوف عند قبره اذا دخلوا المسجد وهم لم يكونوا يفعلون لاهذا ولا هذا بل هذا من البدع كما بين ذلك أئمة العلم . وهذا كما ذكره القاضى عياض وهو الذى قال زيارة قبره سنة مجمع عليها وفضيلة مرغب فيها وهو فى هذا الفصل ذكر عن مالك انه كره ان يقال زرنا قبر النبي صلى الله عليه وسلم وذكر فيه أيضا قال مالك فى المبسوط وليس يلزم من دخل المسجد وخرج منه من أهل المدينة الوقوف بالقبر وانما ذلك للغرباء . وقال مالك فى المبسوط أيضا ولا باس لمن قدم من سفر ان يقف على قبر النبي صلى الله عليه وسلم ويدعو له ولابى بكر وعمر قيل له فان ناسا من أهل المدينة لايقدمون من سفر ولا يريدونه يفعلون ذلك فى اليوم مرة أو أكثر وربما وقفوا فى الجمعة أو الايام المرة والمرتين أو أكثر عند القبر فيسلمون ويدعون ساعة فقال لم يبلغنى هذا عن أهل الفقه ببلدنا وتركه واسع ولن يصلح آخر هذه الامة الا ما أصلح أولها . ولم يبلغنى عن أول هذه الامة وصدرها انهم كانوا يفعلون ذلك . ويكره الا لمن جاء من سفر أو أراده فقد بين مالك انه لم يبلغه عن السلف من الصحابة المقيمين بالمدينة انهم كانوا

يقفون بالقبر عند دخول المسجد الا لمن قدم من سفر مع ان الذى يقصد السفر فيه نزاع مذكور فى غير هذا الموضع . وقد ذكر القاضى عياض عن أبي الوليد الباجى انه احتج لما كرهه مالك . فقال أهل المدينة مقيمون بها لم يقصدوها من أجل القبر والتسليم . وقال صلى الله تعالى عليه وسلم اللهم لاتجعل قبرى وثنا يعبد . اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور انبيائهم مساجد وقوله لاتتخذوا قبرى عيدا . واذا كانت هذه الزيارة مما نها عنها فى الاحاديث فالصحابة أعلم بنهيه وأطوع له . فلهذا لم يكن بالمدينة منهم من يزور قبره باتفاق العلماء . وهذا الوقوف الذى يسميه غير مالك زيارة لقبره الذى بين مالك وغيره انه بدعة لم يفعلها السلف هى زيارة مقصود صاحبها الصلاة والسلام عليه كما بين ذلك فى السؤال لمالك لكن لما قال النبي صلى الله عليه وسلم لاتتخذوا قبرى عيدا وصلوا على حيثما كنتم فان صلاتكم تبلغني . وروى مثل ذلك فى السلام عليه علم انه كره تخصيص تلك البقعة بالصلاة والسلام بل يصلى عليه ويسلم فى جميع المواضع وذلك واصل اليه فاذا كان مثل هذه الزيارة للقبر بدعة منهيا عنها فكيف بمن يقصد مايقصده من قبور الانبياء والصالحين ليدعوهم ويستغيث بهم ليس قصده الدعاء لهم ومعلوم ان هذا أعظم في كونه بدعة وضلالة فالسلف والخلف انما تطابقوا على زيارة قبره بالمعني المجمع عليه من قصد مسجده والصلاة فيه كما تقدم وهذا فرق بينه وبين سائر قبور الانبياء والصالحين فانه يشرع السفر الى عند قبره لمسجده الذي أسس على التقوى فهذا السفر مشروع باتفاق المسلمين والصلاة مقصورة فيه باتفاق المسلمين ومن قال ان هذا السفر لاتقصر فيه الصلاة فانه يستتاب فان تاب والا قتل وليس ذلك سفرا لمجرد الزيارة بل لابد ان يقصد اتيان المسجد والصلاة فيه وان لم يقصد الا القبر فهذا يندرج فى كلام المجيب حيث قال أما من سافر لمجرد زيارة قبور الانبياء والصالحين فهل يجوز له قصر الصلاة على قولين معروفين فهو ذكر القولين فيمن سافر لمجرد قصد زيارة القبور . أما من سافر لقصد الصلاة فى مسجده عند حجرته التى فيها قبره فهذا سفر مشروع مستحب باتفاق المسلمين . وقد تقدم قول مالك للسائل الذي سأله عمن نذر ان يأتى قبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان أراد مسجد النبي صلى الله عليه وسلم فليأته وليصل فيه وان كان انما أراد القبر فلا يفعل للحديث الذي جاء لاتعمل المطي الا الى ثلاثة مساجد فالسائل سأله عمن نذر ان يأتى

الى قبر النبي صلى الله عليه وسلم ففصل مالك فى الجواب بين ان يريد القبر أو المسجد مع ان اللفظ انما هو نذر ان يأتى القبر فعلم ان لفظ أتيان القبر وزيارة القبر . والسفر الى القبر ونحو ذلك يتناول من يقصد المسجد وهذا مشروع ويتناول من لم يقصد الا القبر وهذا منهى عنه كما دلت عليه النصوص وبينه العلماء مالك وغيره فمن نقل عن السلف انهم استحبوا السفر لمجرد القبر دون المسجد بحيث لا يقصد المسافر المسجد ولا الصلاة فيه بل انما يقصد القبر كالصورة التي نهى عنها مالك . فهذا لا يوجد فى كلام أحد من العلماء السلف استحباب ذلك فضلا عن اجماعهم عليه . وهذا الموضع يجب على المسلمين عامة وعلمائهم تحقيقه ومعرفة ماهو المشروع والمأمور به الذى هو عبادة لله وحده وطاعة له ولرسوله صلى الله عليه وسلم وبر وتقوى وقيام بحق الرسول وما هو شرك وبدعة وضلالة منهى عنها لئلا يلتبس هذا بهذا فان السفر الى مسجد المدينة مشروع باتفاق المسلمين . لكن انما الاعمال بالنيات . وانما لكل امرئ مانوى وقد تقدم عن مالك وغيره انه اذا نذر اتيان المدينة ان كان قصده الصلاة في المسجد والا لم يوف بنذره . وأما اذا نذر أتيان المسجد لزمه لانه انما يقصد الصلاة فلم يجعل السفر الى المدينة سفرا مأمورا به الا سفر من قصد الصلاة فى المسجد وهو الذى يؤمر به الناذر بخلاف غيره لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجدى هذا والمسجد الاقصى وجعل من سافر الى المدينة أو الى بيت المقدس لغير العبادة الشرعية فى المسجدين سفرا منهيا عنه لا يجوز ان يفعله وان نذره . وهذا قول جمهور العلماء فمن سافر الى مدينة الرسول أو بيت المقدس لقصد زيارة ماهناك من القبور أو من آثار الانبياء والصالحين كان سفره محرما عند مالك والاكثرين . وقيل انه سفر مباح ليس بقربة كما قاله طائفة من أصحاب الشافعى وأحمد وهو قول ابن عبد البر . وما علمنا أحدا من علماء المسلمين المجتهدين الذين تذكر أقوالهم فى مسائل الاجماع والنزاع ذكر ان ذلك مستحب فدعوى من ادعي ان السفر الى مجرد القبور مستحب عند جميع علماء المسلمين كذب ظاهر . وكذلك ان ادعى ان هذا قول الائمة الاربعة أو جمهور علماء المسلمين فهو كذب بلا ريب . وكذلك ان ادعى ان هذا قول عالم معروف من الائمة المجتهدين وان قال هذا قول المتأخرين أمكن ان يصدق فى ذلك وهو بعد ان تعرف صحة نقله نقل قولا شاذا مخالفا لاجماع السلف مخالفا لنصوص الرسول

فكفى بقوله فسادا ان يكون قولا مبتدعا في الاسلام مخالفا للسنة والجماعة لما سنه الرسول صلى الله عليه وسلم ولما أجمع عليه سلف الامة وائمتها. والنقل عن علماء السلف يوافق ماقاله مالك فمن نقل عنهم ضد ذلك فقد كذب وأقل مافى الباب ان يجعل ممن طولب بصحة نقله والالفاظ المجملة والتى يقولها طائفة قد عرف مرادهم وعياض نفسه الذى ذكر ان زيارته سنة مجمع عليها قد بين الزيارة المشروعة فى ذلك. وقد ذكر عياض فى قوله لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد ماهو ظاهر مذهب مالك ان السفر الى غيرها محرم فهو أيضا يقول ان السفر لمجرد زيارة القبور كما قاله مالك وسائر أصحابه مع ما ذكره من استحباب الزيارة الشرعية مع ماذكر من كراهة مالك ان يقول القائل زرت قبر النبي صلى الله عليه وسلم والله أعلم *

﴿ ثم ان المعترض المالكي احتج فى زيارة قبره صلى الله عليه وسلم بالقياس على زيارة الحى فقال المعارض المناقض ﴾

وروى مسلم فى صحيحه في الذى سافر لزيارة أخ له فى الله. ولفظ الحديث ان رجلا زار اخا له فى قرية أخرى فارصد الله على مدرجته ملكا فلما أتى عليه قال اين تريد قال أريد اخالي فى تلك القرية. قال هل لك عليه من نعمة تربها قال لا الا انى أحببته فى الله. فقال انى رسول الله اليك بان الله أحبك كما أحببته فيه. (وفي موطأ مالك) عن معاذ بن جبل فى حديث ذكر فيه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أى عن الله وجبت محبتي للمتحابين فىّ والمتجالسين فيّ والمتزاورين فىّ والمتباذلين فىّ ﴿ قال ﴾ فقد علمت أيها الاخ بهذا فضيلة زيارة الاخوان. وما أعد الله بها للزائرين من الفضل والاحسان فكيف بزيارة من هو حى الدارين. وامام الثقلين. الذى جعل الله حرمته في حال مماته كحرمته فى حال حياته. ومن شرفه الحق بما أعطاه من جميع صفاته. ومن هدانا ببركته الى الصراط المستقيم. وعصمنا به من الشيطان الرجيم. ومن هو آخذ بحجزنا ان نقتحم فى نار الجحيم. ومن هو بالمؤمنين رؤف رحيم *

﴿ قال الشيخ ابن تيمية ﴾ والجواب اما زيارة الاخ الحى فى الله كما في الحديث فهذا نظير زيارته فى حياته يكون الانسان بذلك من أصحابه وهم خير القرون واما جعل زيارة القبر كزيارته حيا كما قاسه هذا المعترض فهذا قياس ماعلمت أحدا من علماء المسلمين قاسه ولا علمت أحدا منهم احتج فى زيارة قبره بالقياس على زيارة الحى المحبوب فى الله وهذا من أفسد القياس فانه

من المعلوم ان من زار الحى حصل له بمشاهدته وسماع كلامه ومخاطبته وسؤاله وجوابه وغير ذلك مالا يحصل لمن لم يشاهده ولم يسمع كلامه وليس رؤية قبره أورؤية ظاهر الجدار الذى بنى على بيته بمنزلة رؤيته ومشاهدته ومجالسته وسماع كلامه ولو كان هذا مثل هذا لكان كل من زار قبره مثل واحد من أصحابه ومعلوم ان هذا من أبطل الباطل وأيضا فالسفر اليه فى حياته اما ان يكون لما كانت الهجرة اليه واجبة كالسفر قبل الفتح فيكون المسافر اليه مسافرا للمقام عنده بالمدينة مهاجرا من المهاجرين اليه وهذا السفر انقطع بفتح مكة فقال صلى الله عليه وسلم لاهجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية ٠ ولهذا لما جاء صفوان بن أمية مهاجرا أمره ان يرجع الى مكة وكذلك سائر الطلقاء كانوا بمكة لم يهاجروا ٠ واما ان يكون المسافر اليه وافدا اليه ليسلم ويتعلم منه مايبلغه قومه كالوفود الذين كانوا يفدون عليه لاسيما سنة تسع وعشر سنة الوفود ٠ وقد أوصى فى مرضه بثلاث فقال أخرجوا النصارى من جزيرة العرب وأجيزوا الوفود بنحو ما كنت أجيزهم ٠ ومن الوفود وفد عبد القيس لما قدموا عليه ورجعوا الى قومهم بالبحرين لكن هؤلاء اسلموا قديما قبل فتح مكة وقالوا لانستطيع ان نأتيك الا فى شهر حرام لان بيننا وبينك هذا الحى من كفار مضروهم أهل نجد كأسد وغطفان وتميم وغيرهم فانهم لم يكونوا قد اسلموا بعد وكان السفر اليه فى حياته لتعلم الاسلام والدين ولمشاهدته وسماع كلامه وكان خيرا محضا ولم يكن أحد من الانبياء والصالحين عبد فى حياته بحضرته فانه كان ينهى من يفعل ماهو دون ذلك من المعاصى فكيف بالشرك كما نهى الذين سجدوا له ونهى الذين صلوا خلفه قياما وقال ان كدتم تفعلون فعل فارس والروم فلا تفعلوا رواه مسلم ٠ وفى المسند باسناد صحيح عن أنس قال لم يكن شخص أحب اليهم من رسول صلى الله عليه وسلم وكانوا اذا رأوه لم يقوموا له لما يعلمون من كراهته لذلك ٠ وفى الصحيح ان جارية قالت عنده وفينا نبى يعلم مافى غد فقال النبى صلى الله عليه وسلم دعى هذا وقولى الذى كنت تقولين ومثل هذا كثير من نهيه عن المنكر بحضرته فكل من رآه فى حياته لم يتمكن ان يفعل بحضرته منكرا يقر عليه * ﴿الى ان قال﴾ ومعلوم انه لوكان حيا فى المسجد لكان قصده فى المسجد من أفضل العبادات وقصد القبر الذى اتخذ مسجدا مما نهى عنه ولعن أهل الكتاب على فعله . وأيضا فليس عند قبره مصلحة من مصالح الدين وقربة

الى رب العالمين . الا وهى مشروعـة فى جميع البقاع فلا ينبغى ان يكون صاحبها غير معظم للرسول صلى الله عليه وسلم التعظيم التام والمحبة التامة الا عند قبره بل هو مأمور بهذا في كل وقت . وزيارته فى حياته مصلحة راجحة لا مفسدة فيها والسفر الى القبر بمجرده بالعكس مفسدة راجحة لا مصلحة فيها بخلاف السفر الى مسجده فانه مصلحة راجحة وهنا يفعل من حقوقه ما يفعل في سائر المساجد وهذا مما يتبين به كذب الحديث الذى يقال فيه من زارنى بعد مماتى فكأنما زارنى في حياتي — وهذا الحديث معروف من رواية حفص بن سليمان القاضرى صاحب عاصم عن ليث ابن أبى سليم عن مجاهد عن ابن عمر . قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حج فزار قبرى بعد موتى كان كمن زارنى فى حياتى — وقد رواه عنه غير واحد وهو عندهم معروف من طريقه وهو عندهم ضعيف فى الحديث الى الغاية حجة فى القراءة قال يحيي بن معين حفص ليس بثقة . وقال البخارى تركوه ﴿ ثم سرد ﴾ الشيخ كلام الائمة فيه وقال وقد رواه الطبراني في المعجم من حديث الليث ابن أبي سليم عن زوجة جده عائشة عن ليث وهذا الليث وزوجة جده مجهولان ونفس المتن باطل فان الاعمال التى فرضها الله ورسوله لا يكون الرجل بها مثل الواحد من الصحابة بل في الصحيحين عنه انه قال لو انفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه فالجهاد والحج ونحوهما أفضل من زيارة قبره باتفاق المسلمين ولا يكون الرجل بها كمن سافر اليه فى حياته ورآه كيف وذلك اما ان يكون مهاجراً اليه كما كانت الهجرة قبل الفتح أو من الوفود الذين كانوا يفدون اليه يتعلمون الاسلام ويبلغونه عنه الى قومهم وهذا عمل لا يمكن أحدا بعدهم ان يفعل مثلهم ومن شبه من زار قبر شخص بمن كان يزوره فى حياته فهو مصاب فى عقله ودينه . والزيارة الشرعيه لقبر الميت مقصودها الدعاء له والاستغفار كالصلاة على جنازته والدعاء المشروع المامور به فى حق نبينا كالصلاة عليه والسلام عليه . وطلب الوسيلة له مشروع فى جميع الامكنة لا يختص بقبره فليس عند قبره عمل صالح تمتاز به تلك البقعة بل كل عمل صالح يمكن فعله فى سائر البقاع لكن مسجده أفضل من غيره فالعبادة فيه فضيلة بكونها فى مسجده كما قال صلاة فى مسجدى هذا خير من ألف صلاة فيما سواه الا المسجد الحرام والعبادات المشروعة فيه بعد دفنه مشروعة فيه قبل ان يدفن النبي صلى الله عليه وسلم فى حجرته وقبل ان تدخل حجرته فى المسجد ولم يتجدد بعد ذلك فيه عبادة غير

العبادات التي كانت على عهد النبي صلى الله عليه وسلم وغير ماشرعه هو لامته ورغبهم فيه ودعاهم اليه وما يشرع للزائر من صلاة وصيام ودعاء له وثناء عليه كل ذلك مشروع في مسجده في حياته وهي مشروعة في سائر المساجد بل وفى سائر البقاع التى تجوز فيها الصلاة وهو صلى الله عليه وسلم قد جعلت له ولامته الارض مسجدا وطهورا فحيث ما ادركت أحدا الصلاة فليصل فانه مسجد كما ثبت ذلك فى الحديث الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم ومن ظن ان زيارة القبر تختص بجنس من العبادة لم تكن مشروعة فى المسجد وانما شرعت لاجل القبر فقد أخطأ لم يقل هذا أحد من الصحابة والتابعين وانما غلط فى هذا بعض المتأخرين وغاية ماتقل عن بعض الصحابة كابن عمر انه كان اذا قدم من سفر يقف عند القبر ويسلم وجنس السلام عليه مشروع في المسجد وغير المسجد قبل السفر وبعده واما كونه عند القبر فهذا كان يفعله ابن عمر اذا قدم من سفر وكذلك الذين استحبوه من العلماء استحبوه للصادر والوارد من المدينة واليها من أهلها وللوارد والصادر من المسجد من الغرباء مع ان أكثر الصحابة لم يكونوا يفعلون ذلك ولا فرق أكثر السلف بين الصادر والوارد بل كلهم ينهون عما نهي عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قال أبو الوليد الباجى انما فرق بين أهل المدينة وغيرها لان الغرباء قصدوا لذلك وأهل المدينة مقيمون بها ولم يقصدوها من أجل القبر والتسليم قال وقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم لا تجعل قبرى وثنا يعبد اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد وقال لا تجعلوا قبرى عيداً وهذا الذى ذكره من أدلةمن سوى فى النهى فان قوله صلى الله تعالى عليه وسلم لا تجعلوا ولا تتخذوا بيتى عيداً نهى لكل أمته أهل المدينة والقادمين اليها وكذلك نهيه عن اتخاذ القبور مساجد وخبره بان غضب الله اشتد على من فعل ذلك هو متناول للجميع وكذلك دعاؤه بان لا يتخذ قبره وثنا عام وما ذكره من ان الغرباء قصدوا لذلك تعليق على العلة ضد مقتضاها فان القصد لذلك منهى عنه كما صرح به مالك وجمهور أصحابه وكما نهى عنه واذا كان منهيا عنه أو ليس بقربة لم يشرع الاعانة عليه وابن عمر لم يكن يسافر الي المدينة لاجل القبر بل المدينة وطنه فكان يخرج منها لبعض الامور ثم يرجع الى وطنه فيأتى المسجد فيصلى فيه ويسلم فاما السفر لاجل القبور فلا يعرف عن أحد من الصحابة بل ابن عمر كان يقدم الى بيت المقدس ولا يزور قبر الخليل صلى

الله عليه وسلم وكذلك أبوه عمر رضي الله عنه ومن معه من المهاجرين والانصار قدموا الى بيت المقدس ولم يذهبوا الى قبر الخليل عليه السلام وكذلك سائر الصحابة الذين كانوا ببيت المقدس وسائر أهل الشام لم يعرف عن أحد منهم انه سافر الى قبر الخليل عليه السلام ولا غيره كما كانوا يسافرون الى المدينة لاجل القبر وما كان قربة للغرباء فهو قربة لاهل المدينة لم يكن قربة لغيرهم كاتخاذ بيته عيداً واتخاذ قبره وقبر غيره مسجداً وكالصلاة الى الحجرة والتمسح بها والصاق البطن بها والطواف بها وغير ذلك مما يفعله جهال القادمين فان هذا فان هذا باجماع المسلمين ينهى عنه الغرباء كما ينهى عنه أهل المدينة ينهون عنه صادرين وواردين باتفاق المسلمين ٠ وبالجملة فجنس الصلاة والسلام عليه والثناء عليه صلى الله عليه وسلم ونحو ذلك مما استحبه بعض العلماء عند القبر للواردين والصادرين هو مشروع فى مسجده وسائر المساجد وأما ما كان سؤالا له فهذا لم يستحبه أحد من السلف لا الائمة الاربعة ولا غيرهم ثم بعض من يستحب هذا من المتأخرين يدعوا به مع البعد فلا يختص هذا عندهم بالقبر وأما نفس بيته عند قبره فلا يمكن أحدا الوصول ولم يشرع هناك عمل يكون هناك منه فى غيره ولو شرع لفتح باب الحجرة للامة بل قد قال لا تتخذوا بيتى عيداً وصلوا علىّ فان صلاتكم تبلغني حيثما كنتم صلوات الله وسلامه عليه وقد تقدم ما رواه سعيد بن منصور فى سننه عن عبد العزيز الدراوردى عن سهيل بن أبى سهيل قال رآنى الحسن بن الحسن بن علي بن أبى طالب فنادانى فقال مالى رأيتك عند القبر فقلت سلمت على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقال اذا دخلت المسجد فسلم على النبى صلى الله عليه وسلم ثم قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تتخذوا بيتى عيدا وصلوا علىّ حيثما كنتم فان صلاتكم تبلغنى ما أنتم ومن بالاندلس الاسواء ٠ وكذلك سائر الصحابة الذين كانوا ببيت المقدس وغيرها من الشام مثل معاذ بن جبل وأبي عبيدة ابن الجراح وعبادة ابن الصامت وأبى الدرداء وغيرهم لم يعرف عن أحد منهم انه سافر لقبر من القبور التى بالشام لا قبر الخليل ولا غيره كما لم يكونوا يسافرون الى المدينة لاجل القبر وكذلك الصحابة الذين كانوا بالحجاز والعراق وسائر البلاد كما قد بسطنا هذا فى غير هذا الموضع *

* فان قيل * الزائر فى الحياة انما أحبه الله لكونه يحبه فى الله والمؤمنون يحبون الرسول صلى الله عليه وسلم أعظم وكذلك يحبون سائر الانبياء والصالحين فاذا زاروهم أثيبوا على

هذه المحبة . (قيل) حب الرسول من أعظم واجبات الدين . وفى الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان من كان الله ورسوله أحب اليه لما سواهما ومن يحب المرء لايحبه الا لله ومن كان يكره ان يرجع في الكفر بعد اذ انقذه الله منه كما يكره ان يلقى فى النار * وفي الحديث الصحيح عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لايؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من ولده ووالده والناس أجمعين . رواه البخارى عن أبى هريرة . قال والذى نفسي بيده . وفى صحيح البخارى عن عبد الله بن هشام قال كنا مع النبى صلى الله عليه وسلم وهو آخذ بيد عمر فقال يارسول الله لانت أحب الى من كل شيء الا نفسى فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا والذى نفسي بيده حتى اكون أحب اليك من نفسك فقال عمر فانه الآن والله لانت أحب الى من نفسى قال الآن ياعمر وتصديق ذلك فى القرآن قوله . النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم . وقوله قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى ياتى الله بأمره والله لايهدى القوم الفاسقين * وقال لاتجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب فى قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه . وفى صحيح البخارى عن أبي هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال مامن مؤمن الا وأنا أولى به في الدنيا والآخرة اقرؤا ان شئتم . النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم . وذكر الحديث . وفى حديث آخر لايؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به لكن حبه وطاعته وتعزيره وتوقيره وسائر ماأمر الله به من حقوقه مأمور به فى كل مكان لايختص بمكان دون مكان وليس من كان في المسجد عند القبر باولى بهذه الحقوق ووجوبها عليه ممن كان فى موضع آخر ومعلوم ان مجرد زيارة قبره كالزيارة المعروفة للقبور غير مشروعة ولا ممكنة ولو كان فى زيارة قبره عبادة زائدة للامة لفتح باب الحجرة ومكنوا من فعل تلك العبادة عند قبره وهم لم يمكنوا الا من الدخول الى مسجده والذى يشرع فى مسجده يشرع فى سائر المساجد لكن مسجده أفضل من سائرها غير المسجد الحرام على نزاع فى ذلك ومايجده المسلم فى قلبه من محبته والشوق اليه والانس بذكره وذكر أحواله فهو مشروع له في كل مكان وليس فى مجرد زيارة

ظاهر الحجرة مايوجب عبادة لاتفعل بدون ذلك بل نهى عن ان يتخذ ذلك المكان عيدا وأمر ان يصلى عليه حيث كان العبد ويسلم عليه فلا يخص بيته وقبره لا بصلاة عليه ولا تسليم عليه فكيف بما ليس كذلك . واذا خص قبره بذلك صار ذلك فى سائر الامكنة دون ماهو عند قبره ينقص حبه وتعظيمه وتعزيره وموالاته والثناء عليه عند غير قبره عما يفعل عند قبره كما يجده الناس فى قلوبهم اذا رأوا من يحبونه ويعظمونه يجدون فى قلوبهم عند قبره مودة له ورحمة ومحبة أعظم مما يكون بخلاف ذلك . والرسول صلى الله عليه وسلم هو الواسطة بينهم وبين الله فى كل مكان وزمان فلا يؤمرون بما يوجب نقص محبتهم وايمانهم فى عامة البقاع والازمنة مع ان ذلك لو شرع لهم لاشتغلوا بحقوقهم عن حقه واشتغلوا بطلب الحوائج منه كما هو الواقع فيدخلون فى الشرك بالخالق وفى ترك حق المخلوق فينقص تحقيق الشهادتين شهادة أن لا اله الا الله وأن محمد رسول الله *

وأما ماشرعه لهم من الصلاة والسلام عليه فى كل مكان وان لايتخذوا بيته عيدا ولا مسجدا ومنعهم من ان يدخلوا اليه ويزوروه كما تزار القبور فهذا يوجب كمال توحيدهم للرب تبارك وتعالى وكمال ايمانهم بالرسول صلى الله عليه وسلم ومحبته وتعظيمه حيث كانوا واهتمامهم بما أمروا به من طاعته فان طاعته هى مدار السعادة وهى الفارقة بين أولياء الله واعدائه واهل الجنة واهل النار . فاهل طاعته هم اولياء الله المتقون . وجنده المفلحون . وحزبه الغالبون . واهل مخالفته ومعصيته بخلاف ذلك والذين يقصدون الحج الى قبره وقبر غيره ويدعونهم ويتخذونهم اندادا من اهل معصيته ومخالفته لامن اهل طاعته وموافقته فهم في هذا الفعل من جنس اعدائه لامن جنس اوليائه وان ظنوا ان هذا من موالاته ومحبته كما يظن النصارى ان ماهم عليه من الغلو فى المسيح والشرك به من جنس محبته وموالاته وكذلك دعاؤهم للانبياء والموتى كابراهيم وموسى وغيرهما عليهم السلام . ويظنون ان هذا من محبتهم وموالاتهم وانما هو من جنس معاداتهم ولهذا يتبرؤن منهم يوم القيامة . وكذلك الرسول صلى الله عليه وسلم يتبرأ ممن عصاه وان كان قصده تعظيمه والغلو فيه . قال تعالى وانذر عشيرتك الاقربين واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين فان عصوك فقل انى برىء مما تعملون فقد امر الله المؤمنين ان يتبرؤا من كل معبود غير الله ومن كل من عبده قال تعالى قد كانت لكم اسوة حسنة فى ابراهيم والذين معه اذ قالوا

لقومهم انا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتي تؤمنوا بالله وحده * وكذلك سائر الموتى ليس فى مجرد رؤية قبورهم مايوجب لهم زيادة المحبة الا لمن عرف أحوالهم بدون ذلك فيتذكر أحوالهم فيحبهم والرسول صلى الله عليه وسلم يذكر المسلمون أحواله ومحاسنه وفضائله وما من الله به عليه ومامن به على أمته فبذلك يزداد حبهم له وتعظيمهم له لا بنفس رؤية القبر — ولهذا تجد العاكفين على قبور الانبياء والصالحين من أبعد الناس عن سيرتهم ومتابعتهم وانما قصد جمهورهم التأكل والترأس بهم فيذكرون فضائلهم ليحصل لهم بذلك رياسة أو مأكلة لا ليزدادوهم حبا وخيرا. وفى مسند الامام أحمد وصحيح أبى حاتم عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم احياء والذين يتخذون القبور مساجد . وما ذكره هذا من فضائله فبعض مايستحقه صلى الله عليه وسلم والامر فوق ماذكره اضعافا مضاعفة لكن هذا يوجب ايماننا به وطاعتنا له واتباع سنته والتأسى به والاقتداء به ومحبتنا له وتعظيمنا له وموالاة أوليائه ومعاداة أعدائه فان هذا هو طريق النجاة والسعادة وهو سبيل الحق ووسيلتهم الى الله تعالى ليس فى هذا مايوجب معصيته ومخالفة أمره والشرك بالله واتباع غير سبيل المؤمنين السابقين الاولين والتابعين لهم باحسان وهو صلى الله عليه وسلم قد قال . لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد . وقال لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد يحذر مافعلوا . وقال لاتتخذوا قبري عيدا وصلوا على حيثما كنتم فان صلاتكم تبلغنى . وقال خير الكلام كلام الله وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم وشر الامور محدثاتها وكل بدعة ضلالة . وقال انه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ واياكم ومحدثات الامور فان كل بدعة ضلالة الى غير ذلك من الادلة التى تبين ان الحجاج الى القبور هم من المخالفين للرسول صلى الله عليه وسلم الخارجين عن شريعته وسنته لا من الموافقين له المطيعين له كما قد بسط فى غير هذا الموضع *

﴿ هذا آخر مانقلناه من كتاب شيخ الاسلام فيما يتعلق بالزيارة ﴾

وقد علم مما نقلناه ان شيخ الاسلام رحمه الله لم يحرم زيارة القبور على الوجه المشروع فى شيء من كتبه ولم ينه عنها ولم يكرهها بل استحبها وحض عليها ومناسكه ومصنفاته طافحة بذكر

استحباب قبر النبي صلى الله عليه وسلم وسائر القبور ولم ينكر زيارتها فى موضع من المواضع ولاذ كر في ذلك خلافا الا نقلا غريبا ذكره فى بعض كتبه عن بعض التابعين . وانما تكلم على مسألة شد الرحال وأعمال المطى الى مجرد زيارة القبور . وذكر فى ذلك قولين للعلماء المتقدمين والمتأخرين (أحدهما) القول باباحة ذلك كما يقوله بعض أصحاب الشافعي واحمد (والثاني) انه منهى عنه كما نص عليه امام دار الهجرة مالك بن أنس ولم ينقل عن أحد من الائمة الثلاثة خلافه واليه ذهب جماعة من أصحاب الشافعى وأحمد هكذا ذكر الشيخ الخلاف في شد الرحال وأعمال المطى القبور ولم يذكره في الزيارة الخالية عن شد رحل وأعمال مطى والسفر الى زيارة القبور مسألة وزيارتها من غير سفر مسألة أخرى . ومن خاط هذه المسألة بهذه المسألة وجعلهما مسألة واحدة وحكم عليهما بحكم واحد وأخذ فى التشنيع على من فرق بينهما وبالغ فى التنفير عنه فقد حرم التوفيق وحاد عن سواء الطريق واحتج الشيخ لمن قال بمنع شد الرحال وأعمال المطى الى القبور بالحديث المشهور المتفق على صحته وهو لاتشدوا الرحال الحديث . وذكر وجه الاستدلال فى الكتابين السابقين وكذا في كتاب اقتضاء الصراط المستقيم بما لامزيد عليه

* فما نقله النبهاني الغافل الغبي عن السبكى وابن حجر وغيرهما من غلاة أسلافه ساقط عن درجة الاعتبار بل هو افتراء محض وبهتان صرف على الشيخ فى هذه المسألة وغيرها والمسألة فرضية لا وقوع لها البتة فان كل من سافر الى المدينة من أجل آماله الصلاة فى مسجده صلى الله تعالى عليه وسلم ونية زيارة القبر فقط ان وقعت كان حكمها ماذكره الشيخ حسبما دل عليه الحديث الصحيح فلا يرد ماذكره هذا الغبي فى التنبيه الثامن من الهذيان وهو قوله اعلم انه لو كان حكم السفر لزيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم التحريم كما زعمه ابن تيمية لامتنع الناس لذلك من زيارته عليه الصلاة والسلام ولصارت المدينة المنورة من أحقر المدن بل من أحقر القرى وكادت تكون خرابا بلقعا فان عمارتها انما هو لوجود قبره الشريف صلى الله عليه وسلم فيها فان زيارة المؤمنين لها وانتيابهم اياها وترددهم اليها ومجاورتهم فيها كل ذلك انما هو لاجله صلى الله عليه وسلم ليكون وسيلتهم الى الله تعالى فى سعادتهم لانه ثبت عندهم ثبوتا أوضح من الشمس انه صلى الله عليه وسلم أقرب الوسائل وأجلها وأنجحها الى الله تعالى الى آخر ماهذا به فى ذلك التنبيه *

﴿ فانظر أيها المنصف ﴾ الى جهـل هـذا الغبي وما أدت اليه حماقته فانه الى الآن لم يعرف ان عمارة المـدن باى شيء تكون ولا درى أسـباب الخراب ماهي وظن ان زيارة القبور هى سبب عمارة البلاد والاعراض عنها هو المستوجب لخرابها ولا بدع ان اعتقد الغلاة الضالون هـذا الاعتقاد الفاسـد فمثل ذلك هو اللائق بقلوبهم المختوم عليها . (ويقال) له ان الشيخ لم يحرم الزيارة ولا السفر اليها مطلقا حتى يرد ماذكرت . وان الصـلاة فى المسجد النبوى اذا كانت بتلك المنزلة فلا شك ان المسلمين لا يهملونها . وما ذكره من قلة زوار البيت المقـدس فكذب وعلى مقتضى تمليله يلزم ان يكون البيت المقدس خرابا لقلة زواره . ومن المعلوم مابلغ اليه من العمارة والمدنية . والرجل لا يستحى من الـكذب والزور ومقصوده بيان انه كان رئيس المحـكمة الجزائية ليعلم الناس مبلغه من العلم والايمان قاتله الله ما أعظم حماقته ورعونته . ثم يقال ان عمارة البلاد بالعلم والتقوى والايمان الـكامل والعمل الصالح والسعى للدنيا والآخرة . وأما زيارة القبور أى قبر كان انما هى للدعاء للميت والاستعباد به فهو شعبة من شعب الطرق الاخروية *

﴿ وقد ذكر هذا الغبي أيضا فى تضاعيف كلامه نقلا عن بعض اسلافه الغلاة ﴾ ان زيارة القبور تعظيم وتعظيم النبي صلى الله عليه وسلم واجب فلا يجوز اهماله *

﴿ قال الامام الحافظ ابن قدامة في الصارم المنكى ﴾ الـكلام عليه من وجوه ﴿ أحدها ﴾ ان يقال هاتان المقدمتان ان أخذتا على اطلاقهما انتجتا أن زيارة قبره واجبة وهو انتاج لازم للمقدمتين لزوما بينا فان الضرب الاول من الشكل الاول والحد الاوسط فيه محمول فى الاولى موضوع فى الثانية فتكون النتيجة موضوع الاولى ومحمول الثانية وهى زيارة قبره واجبـة ثم يلزم على هذا لوازم . منها ان تارك زيارة قبره عاص آثم مستحق للعقوبة منتفي العدالة لا تصح شهادته ولا تقبل روايته ولا فتواه . وفى هذا تفسيق جميع الصحابة الا من صح عنـه منهم الزيارة ولا ريب ان هذا شر من قول الرافضة الذين فسقوا جمهورهم بتركهم تولية على بل هو من جنس قول الخوارج الذين يكفرون بالذنب لان تارك هذه الزيارة عنده تارك لتعظيمه وتارك تعظيمه كفر اوملزوم للـكفر فان تعظيم الرسول من لوازم الايمان فعدمه مستلزم للـكفر . وعلى هذا فكل من لم يزر قبره فهو كافر لانه تارك لتعظيمه صلى الله عليه وسلم ولا ريب ان الروافض

والخوارج لم يصلوا الى الجهل والكذب على الله ورسوله وعلى الامة *

﴿ يوضحه الوجه الثانى ﴾ ان الخوارج انما كفروا الامة بمخالفة أمره ومعصيته وتمسكوا بنصوص متشابهة لم يردوها الى المحكم وأما عباد القبور فكفروا بموافقة الرسول في نفس مقصوده . وجعلوا تجريد التوحيد كفرا وتنقصا . فاين المكفر بالذنب من المكفر بموافقة الرسول وتجريد التوحيد *

﴿ يوضحه الوجه الثالث ﴾ ان زيارة قبره لو كانت تعظيما له لكانت مما لا يتم الايمان الا بها ولكانت فرضا معينا على كل من استطاع اليها سبيلا من قرب أو بعد ولما أضاع السابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان هذا الفرض وقام به الخلف الذين خلفوا من بعدهم ويزعمون انهم بذلك أولياء الرسول وحزبه القائمون بحقوقه وما كانوا أولياءه ان أولياؤه الا أهل طاعته والقيام بما جاء به علما ومعرفة وعملا وارشادا وجهادا الذين جردوا توحيد الخالق وعرفوا للرسول حقه ووافقوه في تنفيذ ماجاء به والدعوة اليه والذب عنه *

﴿ الوجه الرابع ﴾ انه اذا كانت زيارة قبره واجبة على الاعيان كانت الهجرة الى القبر آكد من الهجرة اليه فى حياته فان الهجرة الى المدينة انقطعت بعد الفتح كما قال النبى صلى الله عليه وسلم لاهجرة بعد الفتح . وعند عباد القبور ان الهجرة الى القبر فرض معين على من استطاع اليه سبيلا وليس يخاف ان هذا مراغمة صريحة لما جاء به الرسول . واحداث فى دينه مالم يأذن به وكذب عليه وعلى الله . وهذا من أقبح التنقص *

﴿ وقد ذكر السبكى في موضع من كتابه شفاء السقام ﴾ انه رأى فتيا بخط شيخ الاسلام وفيها ولهذا كانت زيارة القبور على وجهين زيارة شرعية وزيارة بدعية فالزيارة الشرعية مقصودها السلام على الميت والدعاء له ان كان مؤمنا وتذكر الموت سواء كان الميت مؤمنا أم كافرا قال وقال بعد ذلك فالزيارة لقبر المؤمن نبيا كان أو غير نبي من جنس الصلاة على جنازته وأما الزيارة البدعية فمن جنس زيارة النصارى مقصودها الاشراك بالميت مثل طلب الحوائج منه أو به أو التمسح بقبره وتقبيله أو السجود له ونحو ذلك فهذا كله لم يأمر الله به ولا رسوله الله صلى الله عليه وسلم ولا استحبه أحد من ائمة المسلمين ولا أحد من السلف لا عند قبر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ولا غيره *

﴿ قال السبكي ﴾ بعد حكايته هذا الكلام عن الشيخ وبقي قسم لم يذكره وهو ان تكون للتبرك به من غير اشراك به فهذه ثلاثة أقسام أولها السلام والدعاء له . وقد سلم جوازه وانه شرعى والقسم الثانى التبرك به والدعاء عنده للزائر . قال وهذا القسم يظهر من فحوى كلام ابن تيمية انه يلحقه بالقسم الثالث ولا دليل له على ذلك بل نحن نقطع ببطلان كلامه فيه وان المعلوم من الدين وسير السلف الصالحين التبرك ببعض الموتي من الصالحين فكيف بالانبياء والمرسلين ومن ادعى ان قبور الانبياء وغيرهم من أموات المسلمين سواء فقد أتي أمرا عظيما نقطع ببطلانه وخطئه فيه . وفيه حط لرتبة النبي صلى الله عليه وسلم الى درجة من سواه من المؤمنين وذلك كفر بيقين فان من حط رتبة النبي صلى الله عليه وسلم عما يجب له فقد كفر فان قال ان هذا ليس بحط ولكنه منع من التعظيم فوق مايجب له . قلت هذا جهل وسوء أدب وقد تقدم فى أول الباب الخامس الكلام فى ذلك . ونحن نقطع بان النبي صلى الله عليه وسلم يستحق من التعظيم أكثر من هذا المقدار في حياته وبعد موته ولا يرتاب من فى قلبه شيء من الايمان . هذا كله كلام المعترض *

﴿ فانظر ﴾ الى ماتضمنه من الغلو والجهل والتكفير بمجرد الهوى وقلة العلم أفلا يستحى من هذا مبلغ علمه ان يرمى أتباع الرسول وحزبه وأولياءه برأيه الذى يشهد به عليه كلامه لكن من يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا *

﴿ الوجه الخامس ﴾ ان يقال لهذا المعترض وأشباهه من عباد القبور أتوجبون كل تعظيم للرسول صلى الله عليه وسلم أو نوعا خاصا من التعظيم فان أوجبتم كل تعظيم لزمكم ان توجبوا السجود لقبره وتقبيله واستلامه والطواف به لانه من تعظيمه * وقد أنكر صلى الله عليه وسلم على من عظمه بما لم يأذن به كتعظيم من سجد له . وقال لاتطرونى كما اطرت النصارى عيسى بن مريم فانما انا عبد فقولوا عبد الله ورسوله . ومعلوم ان مطريه انما قصد تعظيمه *

وقال صلى الله عليه وسلم لمن قال له يامحمد ياسيدنا وابن سيدنا وخيرنا وابن خيرنا عليكم بقولكم ولا تستهدينكم الشيطان أنا محمد عبد الله ورسوله . ما أحب ان ترفعونى فوق منزلتى التى انزلني الله عز وجل فمن عظمه بما لا يحب فانما أتى بضد التعظيم وهذا نفس ماحرمه الرسول صلوات الله وسلامه عليه . ونهى عنه وحذر منه *

(وأيضا) فان الحلف به تعظيم له فقولوا يجب على الحالف ان يحلف به لانه تعظيم له وتعظيمه واجب وكذلك تسبيحه وتكبيره والتوكل عليه والذبح باسمه كل هذا تعظيم له ومعلوم ان ايجاب هذا مثل ايجاب الحج اليه بالزيارة على من استطاع اليه سبيلا ولا فرق بينهما . وان قلتم انما نوجب نوعا خاصا من التعظيم طولبتم بضابط هذا النوع وحده . والفرق بينه وبين التعظيم الذى لايجب ولا يجوز وبيان ان الزيارة من هذا النوع الواجب. والا كنتم متناقضين موجبين فى الدين مالم يوجبه الله وشارعين شرعا لم يأذن به الله *

﴿ الوجه السادس ﴾ أن يقال الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم كلما خطر بالبال تعظيم له فأوجبوا له هذا التعظيم واحكموا على من قال لا يجب بأنه تارك لتعظيمه بل أحكموا على من قال لا تجب الصلاة عليه كلما ذكر ولا تجب الصلاة عليه فى الصلاة اولا تجب فى العمر الا مرة اولا تجب أصلا بانه تارك للتعظيم لان الصلاة عليه تعظيم له بلا ريب فهل كان ائمة الاسلام وعلماء الأمة نافين له لتعظيمه تاركين له بنفيهم الوجوب ام كانوا أشد تعظيما له منكم واعرف بحقوقه واحفظ لدينه ان يزاد فيه ماليس منه *

﴿ يوضحه الوجه السابع ﴾ ان الذين كرهوا من الفقهاء الصلاة عليه عند الذبح يكونون على قولكم تاركين لتعظيمه وذلك قادح في ايمانهم. وكذلك من كره او حرم الحلف به وقال لا تنعقد يمين الحالف به يكون على قولكم تاركا لتعظيمه لان الحلف به تعظيم له بلا ريب *

﴿ الوجه الثامن ﴾ أن القول بعدم وجوب زيارة قبره او بعدم استحبابها او بعدم جواز شد الرحال لا يقدح فى تعظيمه بوجه من الوجوه وهو بمنزلة قول من قال من ائمة الاسلام لاتجب الصلاة عليه في التشهد الاخير. وبمنزلة قول من قال منهم تكره الصلاة عليه عند الذبح. وبمنزلة قول من قال لا تستحب الصلاة عليه فى التشهد الاول ولا عند التشهد في الاذان بل قول من نفى وجوب الزيارة او جواز شد الرحال الى القبر اولى أن يكون منافيا للتعظيم من قول من نفى وجوب الصلاة عليه او استحبابها في بعض المواضع لان الصلاة عليه مامور بها. وقد ضمن للمصلى عليه مرة أن يصلى عليه عشرا بل الصلاة عليه محض التعظيم له فنفى وجوبها او استحبابها فى موضع ليس بترك للتعظيم وليس انكار وجوب كل من الامرين قادحا فى تعظيمه بل ذلك عين تعظيمه *

﴿يدل عليه الوجه التاسع﴾ ان تعظيمه هو موافقته في محبة ما يحب وكراهة ما يكره والرضى بما يرضى به وفعل ما أمر به وترك ما نهى عنه والمبادرة الى ما رغب فيه والبعد عما حذر منه وان لا يتقدم بين يديه ولا يقدم على قوله قول أحد سواه ولا يعارض ما جاء به بمعقول ثم يقدم المعقول عليه كما يقوله ائمة هذا المعترض الذين تلقي عنهم أصول دينه وقدم أرائهم وهواجس ظنونهم على كلام الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ثم ينسب ورثة الرسول الواقفين مع أقواله المخالفين لما خالفها الى ترك التعظيم واي اخلال بتعظيم وأى تنقص فوق من عزل كلام الرسول صلى الله عليه وسلم عن افادة اليقين . وقدم عليه أراء الرجال وزعم أن العقل يعارض ما جاء به وان الواجب تقديم المعقول وأراء الرجال على قوله *

﴿الوجه العاشر﴾ أن ايجاب زيارة قبره واستحبابها وشد الرحال اليه لاجل تعظيمه يتضمن جعل القبر منسكا يحج اليه كما يحج الى البيت العتيق كما يفعله عباد القبور ولا سيما فانهم يأتون عنده بنظير ما يأتى به الحاج من الوقوف و لدعاء والتضرع وكثير منهم يطوف بالقبر ويستلمه ويقبله ويمسح عليه فلم يبق عليه من أعمال المناسك الا الحلق والنحر ورمى الجمار فايجاب الوسيلة الى هذا المحذور واستحبابها من أعظم الامور منافاة لما شرعه الله ورسوله . وقد آل الامر بكثير من الجهال الي النحر عند قبور من يشدون الرحال الى قبورهم وحلق رؤسهم عند قبورهم وتسمية زيارتها حجا ومناسك . وصنف فيه بعضهم كتابا سماه مناسك حج المشاهد وكان سبب هذا هو الغلو الذى يظنه من قل علمه تعظيما ولا ريب ان هذا اكره شئ الى الرسول قصداً ووسيلة

﴿الوجه الحادى عشر﴾ ان هذا الذى قصده عباد القبور من التعظيم هو بعينه السبب الذى لاجله حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم اتخاذ القبور مساجد وايقاد السرج عليها ولعن فاعل ذلك ونهى عن الصلاة اليها وحرم اتخاذ قبره عيداً ودعا ربه أن لا يجعل قبره وثنا يعبد . ولاجله نهى فضلاء الامة وساداتها عن ذلك . ولاجله أمر عمر بتعفية قبر دانيال لما ظهر فى زمان الصحابة (ولاجله) منع مالك من نذر اتيان المدينة وأراد القبر أن يوفى بنذره . (ولاجله) كره الشافعى ان يعظم قبر مخلوق حتى يجعل مسجدا كما قال واكره أن يعظم مخلوق حتى يجعل قبره مسجداً . ولاجله كره مالك أن يقول القائل زرت قبر النبي صلى الله عليه وسلم لما يوهم هذا اللفظ من أنه انما قصد المدينة لاجل زيارة القبر ولما فيه من تعظيم القبر باضافة الزيارة اليه

مع كونه أعظم القبور على الاطلاق وأجلها وأشرف قبر على وجه الارض فالفتنة بتعظيمه أقرب من الفتنة بتعظيم غيره من القبور فحمى مالك رحمه الله تعالى الذريعة حتى فى اللفظ ومنع الناذر من اتيانه ولو كان اتيانه قربة عنده لاوجب الوفاء به فان من أصله ان كل طاعة تجب بالنذر سواء كان من جنسها واجب بالشرع اولم يكن ولهذا يوجب اتيان مسجد المدينة على من نذر أتيانه . وقد منع ناذر اتيان القبر من الوفاء بنذره فلو كان ذلك عنده قربة لا لزمه الوفاء به ومن ردهذا النقل عنه وكذب الناقل فهو من جنس من افترى الكذب وكذب بالحق لما جاءه فان ناقله ممن له لسان صدق في الامة بالعلم والامانة والصدق والجلالة وهو القاضى ابو اسحق اسمعيل بن اسحق بن اسمعيل بن حماد بن زيد أحد الائمة الاعلام وكان نظير الشافعى واماما فى سائر العلوم حتى قال المبرد اسمعيل القاضى أعلم مني بالتصريف وروى عن يحيي بن اكثم أنه رآه مقبلا فقال قد جاءت المدينة وقد ذكر هذا النقل عن مالك فى أشهر كتبه عند أصحابه واجلها عندهم وهو المبسوط فمن كذبه فهو بمنزلة من كذب مالكا والشافعي وابا يوسف ونظرائهم ومن وصل الهوى بصاحبه الى هذا الحد فقد فضح نفسه وكفى خصمه مؤنته ومن جميع أقوال مالك وأجوبته وضم بعضها الى بعض ثم جمعها الى أقوال السلف وأجوبتهم قطع بمرادهم وعلم نصيحتهم للامة وتعظيمهم للرسول وحرصهم على اتباعه وموافقته فى تجريد التوحيد وقطع أسباب الشرك وبهذا جعلهم الله ائمة وجعل لهم لسان صدق فى الامة فلو ورد عنهم شئ خلاف هذا لكان من المتشابه الذى يرد الى المحكم من كلامهم وأصولهم فكيف ولم يصح عنهم حرف واحد يخالفه فتبين انهذا التعظيم الذي قصده عباد القبور هو الذي كرهه أهل العلم وهو الذى حذر منه رسول الله صلى الله عليه وسلم ونهى أمته عنه ولعن فاعله وأخبر بشدة غضب الله عليه حيث يقول اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ومعلوم قطعا انهم انما فعلوا ذلك تعظيما لهم ولقبورهم فعلم أن التعظيم للقبور مما يلعن الله فاعله ويشتد غضبه عليه *

﴿ الوجه الثانى عشر ﴾ ان هذا الذى يفعله عباد القبور من المقاصد والوسائل ليس بتعظيم فان التعظيم محله القلب واللسان والجوارح وهم أبعد الناس منه . فالتعظيم بالقلب ما يتبع اعتقاد كونه رسولا من تقديم محبته على النفس والولد والوالد والناس أجمعين ويصدق هذه المحبة أمران احدهما تجريد التوحيد فانه صلى الله عليه وسلم كان أحرص الخلق على تجريده حتى

قطع أسباب الشرك ووسائله من جميع الجهات ونهى عن عبادة الله بالتقرب اليه بالنوافل من الصلوات فى الاوقات التى يسجد فيها عباد الشمس لها بل قبل ذلك الوقت بعد أن تصلى الصبح والعصر لئلا يتشبه الموحدون بهم فى وقت عبادتهم ونهى أن يقال ما شاء الله وشاء فلان ونهى أن يحلف بغير الله وأخبر أن ذلك شرك ونهى أن يصلى الى القبر ويتخذ مسجدا او عيدا او يوقد عليها سراج وذم من شرك بين اسمه واسم ربه تعالى فى لفظ واحد فقال له بئس الخطيب أنت بل مدار دينه على هذا الاصل الذى هو قطب رحى النجاة ولم يقرر أحد ماقرره صلى الله عليه وسلم بقوله وفعله وهديه وسد الذرائع المنافية له فتعظيمه صلى الله عليه وسلم بموافقته على ذلك لا بمناقضته فيه (الثاني) تجريد متابعته وتحكيمه وحده فى الدقيق والجليل من أصول الدين وفروعه والرضا بحكمه والانقياد له والتسليم والاعراض عمن خالفه وعدم الالتفات اليه حتى يكون وحده الحاكم المتبع المقبول قوله كما كان ربه تعالى وحده المعبود المألوه المخوف المرجي المستغاث به المتوكل عليه الذى اليه الرغبة والرهبة واليه الوجهة والعمل الذى يؤمل وحده لكشف الشدائد وتفريج الكربات ومغفرة الذنوب الذى خلق الخلق وحده ورزقهم وحده وأحياهم وحده ويميتهم وحده ويغفر ويرحم ويهدى ويضل ويسعد ويشقى وحده وليس لغيره من الامر شيء كائنا من كان بل الامر كله لله وأقرب الخلق اليه وسيلة وأعظمهم عنده جاها وارفعهم لديه ذكرا وقدرا وأعمهم عنده شفاعة ليس له من الامر شيء ولا يعطى أحدا شيئاً ولا يمنع أحدا شيئاً ولا يملك لاحد ضرا ولا رشدا . وقد قال لاقرب الخلق اليه وهم ابنته وعمه وعمته . يافاطمة بنت محمد لا اغنى عنك من الله شيأ يا عباس عم رسول الله لا أغنى عنك من الله شيأ يا صفية عمة رسول الله لا أغني عنك من الله شيأ . فهذا هو التعظيم الحق المطابق لحال المعظم النافع للمعظم فى معاشه ومعاده الذى هو لازم ايمانه وملزومه . واما التعظيم باللسان فهو الثناء عليه بما هو أهله مما اثنى به على نفسه وأثنى به عليه ربه من غير غلو ولا تقصير فكما ان المقصر المفرط تارك لتعظيمه فالغالى المفرط كذلك وكل منهما شر من الآخر من وجه دون وجه وأولياؤه سلكوا بين ذلك قواما * واما التعظيم بالجوارح فهو العمل بطاعته والسعى فى اظهار دينه واعلاء كلماته ونصر ماجاء به وجهاد ما خالفه * وبالجملة فالتعظيم النافع هو تصديقه فيما أخبر وطاعته فيما أمر والموالاة والمعاداة والحب والبغض لاجله وفيه وتحكيمه وحده

والرضا بحكمه وان لا يتخذ من دونه طاغوت يكون التحاكم الى أقواله فما وافقها من قول الرسول قبله وما خالفها رده او تأوله او اعراض عنه والله سبحانه يشهد وكفى بالله شهيدا وملائكته ورسله وأولياؤه ان عباد القبور وخصوم الموحدين ليسوا كذلك وهم يشهدون على انفسهم بذلك وما كان لهم ان ينصروا دينه ورسوله صلى الله عليه وسلم شاهدين على انفسهم بتقديم آراء شيوخهم وأقوال متبوعيهم على قوله . وانه لا يستفاد من كلامه يقين وانه اذا عارضه الرجال قدمت عليه وكان الحكم ما تحكم به *

أفلا يستحي من الله من العقلاء من هذا حاله فى أصول دينه وفروعه ان يتستر بتعظيم القبر ليوهم الجهال انه معظم لرسوله الله صلى الله عليه وسلم ناصر له منتصر له ممن ترك تعظيمه وتنقصه ويأبى الله ذلك ورسوله صلى الله عليه وسلم والمؤمنون وما كانوا اولياءه ان أولياؤه الا المتقون ولكن اكثرهم لا يعلمون * وقل اعملوا فسير الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون انتهى *

وقد اكثر شيخ الاسلام قدس الله روحه من الرد على الغلاة القبوريين في كتابه اقتضاء الصراط المستقيم وغيره من كتبه وما ذكرناه واف بالغرض على اختصاره والله أعلم *

(ثم ان النبهانى الغبي) ذكر قصة بلال التى ذكرها السبكى وهى ان بلالا رأى فى منامه النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول له ما هذه الجفوة يا بلال اما آن لك أن تزورنى يا بلال فانتبه حزينا وجلا خائفا فركب راحلته وقصد المدينة فاتى قبر النبي صلى الله عليه وسلم فجعل يبكى عنده ويمرغ وجهه عليه الى آخرها . وقد تكلم عليها الحافظ ابن قدامة فى كتابه الصارم المنكى فى الرد على السبكي وبين وضعها وكذبها بما لا مزيد عليه . وقال انها لو صحت لما أفادت الخصم شيأ الى آخر كلامه *

﴿ وذكر النبهانى الغبي أيضا ﴾ الا كذوبة المشهورة المسندة لاحمد الرفاعى . فقال ان الزيارة وصلة مع الحبيب وقد وقع لبعض العارفين مخاطبته له صلى الله عليه وسلم ورده عليه ومن ذلك المعنى ما ذكره بعض العارفين عن القطب الرفاعى فى حال زيارته للقبر الشريف من قوله *

فى حالة البعد روحى كنت أرسلها * تقبل الارض عنى وهى نائبتى
وهذه دولة الاشباح قد حضرت * فامدد يمينك كي تحظى بها شفتى

قال فمد يده الشريفة من الشباك فقبلها انتهى كلامه *

﴿ أقول الكلام ﴾ على هذه الخرافة في مقامين . (المقام الاول) في تكذيب وقوع هذه القصة واقترانها على أحمد الرفاعي . (المقام الثاني) في بيان عدم امكان رؤية النبي صلى الله عليه وسلم بعد موته وان من ادعى ذلك فهو كاذب *

(اما المقام الاول) وهو بيان كذب هذه القصة فمن وجوه كثيرة نذكر منها ما خطر بالبال (الاول) انه قد ترجم أحمد الرفاعي هذا جماعة من المؤرخين على اختلافهم في المذهب ولم يذكروا هذه القصة في ترجمته ولو كانت ثابتة لعدوها من أعظم مآثره وأكبر مفاخره لاسيما التاج السبكي فتعصبه للمتصوفة ولا سيما من هو على مذهبه ونحلته ومع ذلك لم يذكر هذه القصة في ترجمة أحمد الرفاعي لما ترجمه في طبقاته فانه قال *

﴿ أحمد بن علي بن أحمد بن يحيي بن حازم بن علي بن رفاعة ﴾ الشيخ الزاهد الكبير أحد أولياء الله العارفين والسادات المشمرين أهل الكرامات الباهرة أبو العباس بن أبي الحسن بن الرفاعي المغربي قدم أبوه الى العراق وسكن ببعض القرى وتزوج باخت الشيخ منصور الزاهد ورزق منها أولاداء منهم الشيخ أحمد هذا لكنه مات وأحمد حمل فلما ولد رباه وأدبه خاله منصور وكان مولده في المحرم سنة خمسمائة وتفقه على مذهب الشافعي وكان كتابه التنبيه ولو أردنا استيعاب فضائله لضاق الوقت ولكنا نوردما فيه بلاغ ثم ذكر كلاما في محاسن اخلاقه الى ان قال وقال الشيخ أحمد سلكت كل طريق فما رأيت أقرب ولا أسهل ولا أصلح من الذل والافتقار والانكسار لتعظيم أمر الله والشفقة على خلق الله والاقتداء بسنة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وكان يجمع الحطب ويحمله الى بيوت الارامل والمساكين وربما كان يملأ الماء لهم الى ان قال وكان لايجمع بين قميصين لافي شتاء ولا في صيف ولا يأكل الا بعد يومين أو ثلاثة أكلة . ثم قال وعن يعقوب وقد سئل عن أوراد سيدي أحمد . فقال كان يصلي أربع ركعات بالف قل هو الله أحد ويستغفر كل يوم مرة واستغفاره ان يقول لا اله الا أنت سبحانك اني كنت من الظالمين عملت سوء وظلمت نفسي واسرفت في أمري ولا يغفر الذنوب الا أنت فاغفرلي وتب عليّ انك أنت التواب الرحيم يا حي يا قيوم لا اله الا أنت * توفي يوم الخميس ثاني عشر جمادى الاولى سنة ثمان وسبعين وخمسمائة ومناقبه أكثر من ان تحصى * وقد أفرد لها بعض

الصلحاء كتابا يخصها انتهى *

فلم يقصد قصة مد اليد التي هى من أعظم الخوارق وأعجبها لو صحت مع انه ذ كرأعظم مفاخره وهى قصة الهرة التي كانت نائمة على كمه فقطع الـكم وقصة البعوضة التي كانت على يده تمتص دمه وقصة الـكلاب التي كانت تأكل التمر من القوصرة فى دار الطعام وهم يتهارجون فوقف على الباب لئلا يدخل اليهم أحد يؤذيهم *

وذ كر القاضي أحمد الشهير بابن خلـكان فى كتابه وفيات الاعيان مانصه ﴿ أبو العباس أحمد ابن أبى الحسن على بن أبى العباس أحمد المعروف بابن الرفاعي ﴾ كان رجلا صالحاً فقيها شافعى المذهب أصله من العرب وسكن فى البطائح بقرية يقال لها أم عبيـدة وانضم اليه خلق عظيم من الفقراء وأحسنوا الاعتقاد فيه وتبعوه . والطائفة المعروفة بالرفاعيـة والبطائحية من الفقراء منسوبة اليه ولاتباعه أحوال عجيبة من أكل الحيات وهى حية والنزول فى التنانير وهى تتضرم بالنار فيطفؤنها الى ان قال ولم يكن له عقب وانما العقب لاخيـه وأولاده يتوارثون المشيخة والولاية على تلك الناحية الى الآن وأمورهم مشهورة مستفيضة فلاحاجة الى الاطالة فيها انتهى

(فلم يذكر) تلك القصة من مناقبه ولو صحت روايتها لـكانت غرة وجه مناقبه وهكذا ذكر كل من ترجمه من الثقاة وهذه مما اختلقها له أصحابه بعد موته بمدة سنين كما ادعوا له الانتساب الى ابراهيم المرتضى بن موسى الـكاظم رضى الله عنه ولا أصل له أيضا . قال في مختصر عمدة الطالب ان الشيخ أحمد رحمه الله لم يدع ذلك . وانما ادعاه البطن الثالث من ولده ويقولون هم أحمد بن على بن الحسين بن المهدى بن أبي القاسم بن محمد بن الحسين ابن أحمد الاكبر بن موسى أبى شجه بن ابراهيم المذكور . قال أبو نصر البخارى لا يصح لابراهيم المرتضى عقب الا من موسى وجعفر ومن انتسب الى غيرهما فهو كاذب انتهى المقصود منه . (والمقصود) ان قصة مد اليد ونحوها من المزايا والمآثر لو صحت لـكانت أحق بالذكر من جميع ما ذكروه فلما لم يذكروها علمنا انها من افك أفاك أثيم *

﴿ الوجه الثانى ﴾ ان أحسن من رواها الامام السيوطي وقد أسـندها الى بعض المجاميع ولم يذكر لها سندا واهيا فضلا عن ان يكون صحيحا مع ان حاله فى الرواية معلوم . فقال فى كتابه تنوير الحلك فى رؤية النبي والملك . وفى بعض المجاميع وذكر القصة والبيتين على وجه الاختصار

مع ان هذه القصة لو صحت لتوفرت الدواعي على نقلها لانها حادث عظيم وخارق عجيب فالشيء الذي تتوفر الدواعى على نقله ولم يذكره أحد من الثقات بل ذكره لدجالون الضالون المضلون فهو لا شك تزوير وبهتان وكذب من افك شيطان *

﴿ الوجه الثالث ﴾ ان الدجالون الذين رووا هذه القصة المكذوبة ادعوا ان من كان حاضرا هناك ورأوا اليد وسمعوا رد السلام نحو مائة ألف أو يزيدون . سبحانك هذا بهتان عظيم كيف يمكن ان يكون هناك هذا العدد الكثير وأى محل فى المسجد يسعهم أو يسع عشر معشارهم ثم ان القبر قد أحاطت به الجدران فمن أى شباك خرجت اليد . ومن المعلوم اذا كان أمر عجيب وشيء غريب يتهاجم على رؤيته الرآؤن فلا يمكن الرؤية الا للقريب . وكذلك سماع رد السلام كيف أمكن الجميع . فانظر الى هذه الاكذوبة التى لا تروج حتى على ضعفاء العقول . ومع ذلك فقد تمسك بها قوم سلب الله منهم الحياء واتخذوها حبالة من حبائل مصائدهم . واغراهم الله على مثل هذه الدعاوي الكاذبة ليفضحهم بها فى الدنيا والآخرة انتقاما لاهل الحق منهم

﴿ الوجه الرابع ﴾ ان كثيرا من أهل العلم والادب نسب البيتين الى غير أحمد الرفاعى (قال الشيخ) صلاح الدين الصفدى في تذكرته حكى ان ابن الفارض لما اجتمع بالشهاب السهروردي فى مكة أنشده *

في حالة البعد روحى كنت أرسلها * تقبل الارض عنى وهي نائبتي
وهذه نوبة الاشباح قد حضرت * فامدد يمينك كى تحظى بها شفتى

وكفى بما ذكره الشيخ صلاح الدين هذا شاهدا على بطلان ما ادعاه غلاة الرفاعية ومبتدعتهم فان هذا الشيخ كان اماما أديبا ناظما ناثرا ولد سنة ست وتسعين وستمائة وقد عقد له ابن السبكى ترجمة مجلة فى طبقاته . وممن نقل ذلك الشهاب الخفاجى الشافعى فى كتابه طراز المجالس وان البيتين من شعر ابن الفارض لما اجتمع بالسهروردى في مكة . (قال) وقد نسب هذا لغيره ولم يذكر الغير ولم يصرح باسمه *

﴿ الوجه الخامس ﴾ حسن الظن باحمد الرفاعي رحمه الله يقتضى عدم مخالفته للسنة النبوية والشريعة المحمديه . فقد كان على ماروى الثقاة بخلاف من يدعى الانتماء اليه من المبتدعة الغلاة وانه لم يزل على المنهج المستقيم والصراط القويم — فمن البعيد عنه الزيارة البدعية التى وردت عن

الجهلة الشيطانيه بل لابد ان يزور الزيارة التى ذكرها الأئمة الاعلام وأساطين دين الاسلام وقد مر بيان ذلك مفصلا فيما نقلناه من كتابى الشيخ فكيف يسوغ لمن تأدب بالآداب النبويه ان يتجاسر فى ذلك المقام ويطلب منه مالم يطلبه غيره من أكابر الصحابة وأئمة أهل البيت وغيرهم ويقول له امدد يمينك كي تحظي بها شفتى فهل هذا الا قول أفاك أثيم أراد ان يروج زيف كلامه على الجهلة والعوام الطغام . فمن اليقين لدى العارفين ان هذه القصة كذب وزور لعن الله من وضعها وافتراها *

﴿ المقام الثانى فى الكلام على رؤية النبي صلى الله عليه وسلم بعد الموت ﴾

قد ذكرنا سابقا بعض الوجوه على القدح برواية مد اليد وقصدنا الاختصار فى القول اذ الكلام عليه طويل جدا . وقد آن ان نتكلم على المقام الثاني وهو أيضا من بعض الوجوه السابقة . (فنقول) وبالله التوفيق ان رؤية النبي صلى الله عليه وسلم قد ادعاها قوم كثيرون بعد وفاته بزمن طويل * وقد ألف الجلال السيوطي رسالته المسماة بتنوير الحلك في رؤية النبي والملك لاجل تأييد هذا القول وحال السيوطى وتلونه معلوم حتى جعله بعض أهل العلم حاطب ليل . وبعد ان نقل عنه صاحب روح المعانى في هذه المسألة مانقل وكذا عن غيره قال في تفسيره ﴿ ثم انى أقول بعد هذا كله ﴾ ان مانسب الى بعض الكاملين من أرباب الاحوال من رؤية النبي صلى الله عليه وسلم بعد وفاته وسؤاله والاخذ عنه لم نعلم وقوع مثله فى الصدر الاول وقد وقع اختلاف بين الصحابة رضى الله تعالى عنهم من حين توفي الى ماشاء الله تعالى فى مسائل دينية وأمور دنيوية وفيهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلى رضى الله تعالى عنهم والى ابى بكر وعلى ينتهى أغلب سلاسل الصوفية الذين تنسب اليهم تلك الرؤية ولم يبلغنا ان أحدا منهم ادعي انه رأى فى اليقظة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخذ عنه ما أخذ وكذا لم يبلغنا أنه صلى الله عليه وسلم ظهر لمتحير فى أمر من أولئك الصحابة الكرام فارشده وأزال تحيره . وقد صح عن عمر رضى الله تعالى عنه أنه قال فى بعض الامور ليتنى كنت سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه ولم يصح عندنا أنه توسل الى السؤال منه صلى الله عليه وسلم بعد الوفاة . نظير مايحكى عن بعض أرباب الاحوال . وقد وقفت على اختلافهم فى حكم الجد مع الاخوة . فهل وقفت على ان أحدا منهم ظهر له الرسول صلى الله عليه وسلم فارشده الى ما هو الحق فيه وقد

بلغك ماعرى فاطمة البتول رضى الله تعالى عنها من الحزن العظيم بعد وفاته صلى الله عليه وسلم وما جرى لها فى أمر فدك . فهل بلغك عنه عليه الصلاة والسلام ظهر لها كما يظهر للصوفية فبل لوعتها وهون حزنها وبين الحال لها وقد سمعت بذهاب عائشة الى البصرة وما كان من وقعة الجمل . فهل سمعت تعرضه صلى الله عليه وسلم لها قبل الذهاب وصده اياها عن ذلك لئلا يقع أو تقوم الحجة عليها على اكمل وجه الى غير ذلك مما لايكاد يحصى كثرة . ﴿والحاصل﴾ انه لم يبلغنا ظهوره عليه الصلاة والسلام لاحد من أصحابه واهل بيته وهم هم مع احتياجهم الشديد لذلك. وظهوره عند باب مسجد قباء كما يحكيه بعض الشيعة افتراء محض وبهت بحث * وبالجملة عدم ظهوره لاولئك الكرام وظهوره لمن بعدهم مما يحتاج الى توجيه يقنع به ذووا الافهام ولا يحسن منى ان أقول كل مايحكى عن الصوفية من ذلك كذب لا أصل له لكثرة حاكيه وجلالة مدعيه . وكذا لايحسن منى ان أقول انهم انما رأوا النبي صلى الله عليه وسلم مناما فظنوا ذلك لخفة النوم وقلة وقته يقظة . فقالوا رأينا يقظته لما فيه من البعد ولعل فى كلامهم مايأباه . وغاية ماأقول ان تلك الرؤية من خوارق العادة كسائر كرامات الاولياء ومعجزات الانبياء عليهم السلام . وكانت الخوارق فى الصدر الاول لقرب العهد بشمس الرسالة قليلة جدا وانى يرى النجم تحت الشعاع أو يظهر كوكب . وقد انتشر ضوء الشمس فى البقاع فيمكن ان يكون قد وقع ذلك لبعضهم على سبيل الندرة ولم تقتض المصلحة افشاء . ويمكن ان يقال انه لم يقع لحكمة الابتلاء أو لخوف الفتنة أو لان فى القوم من هو كالمرآة له صلى الله عليه وسلم أو ليهرع الناس الى كتاب الله تعالى وسنته صلى الله تعالى عليه وسلم فيما يهمهم فيتسع باب الاجتهاد وتنشر الشريعة وتعظم الحجة التى يمكن ان يعقلها كل أحد او لنحو ذلك وربما يدعى انه عليه الصلاة والسلام ظهر ولكن كان مستترا فى ظهوره . كما روى ان بعض الصحابة احب ان يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء الى ميمونة فاخرجت له مرآته فنظر فيها فراى صورة رسول الله عليه الصلاة والسلام ولم ير صورة نفسه . فهذا كالظهور الذى يدعيه الصوفية الا انه بحجاب المرآة وليس من باب التخيل الذى قوى بالنظر الى مرآته عليه الصلاة والسلام . وملاحظة انه كثيرا ما ظهرت فيها صورته حسبما ظنه ابن خلدون . فان قبل قولى هذا وتوجيهى لذلك الامر فبها ونعمت . والا فالامر مشكل فاطلب لك مايحله . والله سبحانه الموفق للصواب . انتهى كلامه .

وتوجيهه الذى وجه به غير مقبول اذ لايدل عليه كتاب ولاسنة صحيحة وليس الامر مشكلا اذا لم يقبل توجيهه كمازعمه لان غلط الحس كثير . فاذا صدقوا برواياتهم نجيب حينئذ بما اجاب شيخ الاسلام فى كتابه الجواب الباهر . وقد ذكرناه سابقا برمته فانه قد قال وكان الصحابة خير القرون وهم اعلم الناس بسننه واطوع الامة لامره وكانوا اذا دخلوا الى المسجد لايذهب احد منهم الى قبره لامن داخل الحجرة ولامن خارجها . وكانت الحجرة في زمانه يدخل اليها من الباب اذ كانت عائشة فيها وبعد ذلك الى ان بنى الحائط الآخر وهم مع ذلك التمكن من الوصول الى قبره لايدخلون اليه لالسلام ولا لصلاة ولا لدعاء لانفسهم ولا لسؤال عن حديث اوعلم ولا كان الشيطان يطمع فيهم حتى يسمعهم كلاما وسلاما فيظنون انه هو كلمهم وأفتاهم وبين لهم الاحاديث او انه قد رد عليهم السلام بصوت يسمع من خارج كما طمع الشيطان فى غيرهم فاضلهم عند قبره وقبر غيره حتى ظنوا ان صاحب القبر يحدثهم ويفتيهم ويأمرهم وينهاهم فى الظاهر وانه يخرج من القبر ويرونه خارجا من القبر ويظنون ان نفس ابدان الموتى خرجت من القبر تكلمهم وان روح الميت تجسدت لهم فرأوها كما رآهم النبي صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج يقظة لامناما . فان الصحابة رضوان الله عليهم خير قرون هذه الامة التى هى خير أمة اخرجت للناس . وهم تلقوا الدين عن النبي صلى الله عليه وسلم بلا واسطة ففهموا من مقاصده وعاينوا من افعاله . وسمعوا منه شفاها مالم يحصل لمن بعدهم وهم قد فارقوا جميع أهل الارض وعادوهم وهجروا جميع الطوائف واديانهم وجاهدوا باموالهم وانفسهم الى آخر ماذكره هناك

﴿ ثم انه ﴾ يؤيد ماذكره الشيخ ان العرب فى الجاهلية كثيراً ما كانوا يسمعون كلاما من اصنامهم (كما سمعوا من صنمهم المسمى بالجلسد) وهو صنم كان بحضرموت وفى كتاب أبي أحمد الحسن ابن عبد الله العسكرى . قال أخبرنا ابن دريد قال أخبرني عمي الحسين بن دريد قال أخبرني حاتم ابن قبيصة المهلبي عن هشام بن الكلبي عن أبي مسكين قال كان بحضرموت صنم يسمى الجلسد تعبده كنده وحضرموت وكانت سدنته بني شكامة بن شبيب بن السكون بن أشرث بن ثور بن مرتع وهو كنده . ثم الى أهل بيت منهم يقال لهم بنو علاق . وكان الذى يسدنه منهم يسمى الاخزر ابن ثابت وكان للجلسد حمى ترعاه سوامه وغنمه . وكانت هوا في الغنم اذا رعت حمى الجلسد حرمت على أربابها وكانوا يكلمون منه وكان كجثة الرجل العظيم وهو من صخرة بيضاء لها كالرأس

اسود . واذا تأمله الناظر رأى فيه كصورة وجه الانسان (قال الاخزر) . انى كنت يوما عند الجلسد وقد ذبح له رجل من بنى الامرى بن مهرة ذبحا اذ سمعنا فيه كهمهمة الرعد فاصغينا فاذا قائل يقول . شعار أهل عدم . انه قضاء حتم . ان بطش سهم . فقد فاز سهم . فقلنا ربنا وضاح وضاح فاعاد الصوت وهو يقول نا . نجم العراق . ياأخزر بن علاق هل أحسست جمعا عما . وعددا جما . يهوى من يمن وشام . الى ذات الاجام . نور أظل . وظلام أفل . وملك انتقل من محل الى محل . ثم سكت فلم ندر ما هو فقلنا هذا أمر كائن . فلما كان في العام المقبل . وقد راث علينا ما كنا نسمع من كلام الصنم وساءت ظنوننا . وقربنا قربانا ولطخنا بدمه وكذلك كنا نفعل . فاذا الصوت قد عاد علينا فتباشرنا . فقلنا عم صباحا ربنا لا مصد عنك ولا محيد تشارت الشؤن وسأت الظنون . فالعياذ من غضبك . والأياب الا صفحك . فاذا النداء من الصنم يقول قلبت البنات . وعزاها واللات . وعلياها ومناة . منعت الافق فلا مصعد وحرست فلا مقعد . وأبهمت فلا متلدد . وكان قدنا جم نجم . وهاج الجم . وصامت زجم . وقابل رجم . وداع نطق . وحق سبق . وباطل زهق ثم سكت فتحدثت القبائل بهذا في مخاليف اليمن . فانا لعلى أفان ذلك . اذا ضل رجل من كندة ابلا فاقبل الى الجلسد فنحر جزورا واستعار توبين من ثياب السدنة واكتراها فلبسهما . وكذلك كانوا يفعلون . ثم قال أنشدك يارب ابكرا ضخامدمومة دما مخلوقة بالافخاز . مخلوطة بالحاذ . أضللتها بين جماهير النخرة . حيث الشقيقة والصفره فاهد رب وارشد فلم يجب . قال الاخزر فانكسر لذلك . وقد كان فيما مضى يخبرنا بالاعاجيب . فلما جن علينا الليل بت مبيتى عنده فاذا هاتف يقول . لاشأن للجلسد ولا رثي لهدد . استقام الاود . وعبد الواحد الصمد . واكفى الحجر الاصلد . والرأس الاسود . قال فنهضت مذعوراً فاتيت الصنم فاذا هو منقلب على رأسه . وكان لو اجتمع فئام من الناس ماحلحلوه فو الذى نفسى بيده ماعرجت على أهل ولا مال حتى أتيت راحلتى وخرجت حتى أتيت صنعاء . فقلت هل من خائبة خبر . فقيل ظهر رجل بمكة يدعو الى خلع الاوثان . ويزعم أنه نبي فلم ازل أطوف في مخاليف اليمن حتى ظهر الاسلام . فأتيت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فأسلمت . وفي اشعارهم *

فبات يجتاب شقارى كما * يبقر من يمشى الى الجلسد

والبيقر مشية يطأطىء الرجل فيها رأسه والبيت للمثقب العبدى ومنهم من قال انه لعدى بن الرقاع . ويروى كما كبر من يمشى الى الجلسد *

(وسمعوا أيضا كلاما من صنمهم المسمى بالضمار) وهو بكسر الضاد المعجمة وميم مخففة بعدها ألف ثم راء مهملة كان صنما لبني سليم ولما حضرت مرداسا الوفاة قال للعباس ولده اى بني أعبد ضمارا فانه ينفعك ويضرك فبينا عباس يوما عند ضمار اذ سمع من جوف ضمار مناديا يقول *

من للقبائل من سليم كلها * أودى ضمار وعاش أهل المسجد

ان الذي ورث النبوة والهدى * بعد ابن مريم من قريش مهتد

أودى ضمار وكان يعبد مدة * قبل الكتاب الى النبي محمد

فحرق عباس ضمارا . ولحق بالنبي صلى الله عليه وسلم . وفى لفظ أن عباس بن مرداس كان فى لقاح له نصف النهار اذ طلع عليه راكب على نعامة بيضاء وعليه ثياب بيض فقال له يا عباس الم تر أن السماء قد تعب أحراسها . وان الحرب قد جرقت أنفاسها . وأن الخيل وضعت أحلاسها وان الذي نزل عليه البر والتقوى صاحب الناقة القصوا فقال عباس فراعنى ذلك فجئت وثنا لنا يقال له الضمار كنا نعبده . ونكلم من جوفه . فكنست ماحوله ثم تمسحت به . فاذا صائح يصيح من جوفه *

قل للقبائل من قريش كلها * هلك الضمار وفاز أهل المسجد

هلك الضمار وكان يعبد مدة * قبل الصلاة على النبي محمد

ان الذى ورث النبوة والهدى * بعد ابن مريم من قريش مهتد

قال عباس فخرجت مع قوم بني حارثة الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بالمدينة فدخلت المسجد فلما رآنى رسول الله صلى الله عليه وسلم تبسم . فقال ياعباس كيف اسلامك فقصصت عليه القصة . فقال صدقت واسلمت انا وقومى . وما كفى مبتدعة الرفاعية وغلاتهم تلك الاكذوبة الظاهرة العوار البينة الفساد حتى اتخذوا لها يوم عيد ولا يأكلون قبله بسبعة أيام شيئا من اللحوم وبعد انقضائها يكون العيد فيهنىء بعضهم بعضا به ويسمونه عيد مد اليد . ولهم فى ذلك رسائل ومصنفات . منها القواعد المرعية . فى أصول الطريقة الرفاعية . وفيها قاعدة فى الخلوة الاسبوعيه المحرمية . وفيها اشترط رجال هذه الطريقة العلية دخول الخلوة المحرمية في

كل سنة فى اليوم الثاني عشر من محرم الحرام الى مساء اليوم السابع عشر . وقد اشترطوا ذلك على كل من انتسب الى هذه الطريقة . وقالوا يلزم المختلى ان يتخذ له فراشا خالصا لايشاركه فيه النساء وان يديم الوضوء كلما حدث له ناقض جدده ولا يتكلم بمالايعنيه ولا يكثر الكلام لغير ضرورة وليلزم بيته الا لعذر وينفرد . وليكن طعامه خاليا عن كل ذي روح * ثم ذكر مايشرع للسالك في تلك الايام من اوراد واذكار .

﴿ ومنها الفخر المخلد ﴾ . فى منقبه مد اليد . وفيها بيان مايشرع ليلة عيد الخلوة المحرمية من البدع والاهواء ولم ينزل الله بها من سلطان . ولم يتكلم بما حوته عالم من العلماء الاعلام . وكلها قد تلقوها عن اخوانهم الباطنية . والنحل الرافضية *

وليس هذا المقام مقام الرد عليهم وبيان مانسب من الضلال اليهم . وقد رد عليهم شيخ الاسلام فى عدة مواضع والف فيهم كتبا مفصلة . منها كتابه الذى سماه كشف حال المشائخ الاحمدية وبيان أحوالهم الشيطانية . نذكر منه ان شاء الله تعالى مايناسب مقامه *

﴿ وأظن ان ﴾ ما كتبه النبهانى الغبي فى هذه المسألة انما هو ارضاء لشيخه شيخ الضلال ومقدمة الدجال . عدو المسلمين . وناصر المبتدعين . الذى كان قربه من ولى الامر من أعظم المصائب وأدهى النوائب . وقد روج بدع الرفاعية أى رواج . وعدل بالمسلمين عن سواء السبيل وأقوم منهاج هذا مع ماهو عليه من الفسق والفجور . والزيغ عن الحق فى كل الامور . وما اكتفى بذلك حتى بث حزبه ومردته يصدون عن الحق فى كل سبيل . وأقعدهم على صراط الله المستقيم للاغواء والتضليل . حتى استفحل أمرهم . وعم البر والبحر شرهم . فذكر النبهاني الجاهل هذه القضية التى هى احدى حبائل شيخه ليستجلب رضاه . فعليه وعلى شيخه مايستحقان... والردود المؤلفة فى القدح على شيخه هذا كثيرة . وكلها مطبوعة ومشتهرة . منها كتاب المسامير. ومنها الفتح المبين . ومنها السيف الربانى . ومنها غير ذلك . ولكن الامر كما قيل *

﴿ من يهن يسهل الهوان عليه * ما لجرح بميت ايلام ﴾

﴿ ثم ان النبهانى أخذ يتكلم على فضل المدينة النبوية وذكر للشيخ البكرى أربعين حديثا فى فضلها والبكرى هذا هو الذى رد عليه الشيخ فى كتاب الاستغاثة وهو مجلد كبير . ثم ذكر الخلاف فى مكة والمدينة أيهما أفضل الخ أقول ﴾

﴿أقول﴾ فضل المدينة مما لاشك فيه والكتب مملوءة من ذلك . قال ابن خلدون اعلم ان الله سبحانه وتعالى فضل من الارض بقاعا اختصها بتشريفه وجعلها مواطن لعبادته يضاعف فيها الثواب وينمو بها الاجور وأخبرنا بذلك على السن رسله وانبيائه لطفا بعباده وتسهيلا لطرق السعادة لهم وكانت المساجد الثلاثة هى أفضل بقاع الارض حسبما ثبت فى الصحيحين وهى مكة والمدينة وبيت المقدس أما بيت الحرام الذى بمكة فهو بيت ابرهيم صلوات الله وسلامه عليه أمره الله ببنائه وان يؤذن فى الناس بالحج اليه فبناه هو وابنه اسماعيل كما نصه القرآن وقام بما أمره الله فيه وسكن اسماعيل به مع هاجر ومن نزل معهم من جرهم الى ان قبضهما الله ودفنا بالحجر منه *

وبيت المقدس بناه داود وسليمان عليهما السلام أمرهما الله ببناء مسجده ونصب هيا كله ودفن كثير من الانبياء من ولد اسحق عليه السلام حواليه *

(قال) والمدينة مهاجر نبينا محمد صلوات الله وسلامه عليه أمره الله تعالى بالهجرة اليها واقامة دين الاسلام بها فبنى مسجده الحرام بها وكان ملحده الشريف في تربتها *

(قال) فهذه المساجد الثلاثة قرة عين المسلمين ومهوى أفئدتهم وعظمة دينهم وفى الآثار من فضلها ومضاعفة الثواب فى مجاورتها والصلاة فيها كثير معروف *

(ثم انه أشار) الى شيء من الخبر عن أولية هذه المساجد الثلاثة وكيف تدرجت أحوالها الى ان كمل ظهورها فى العالم . وقد ذكر ياقوت الحموي ذلك بتفصيل اكثر على انه قد أفرد لذلك كتب مخصوصة مشهورة . فلا نتعب القلم بذكرها *

﴿ وقد ذكر شيخ الاسلام ابن تيمية ﴾ فى جواب سؤال ورده عن صحة أصول مذهب أهل المدينة ومنزلة مالك المنسوب اليه مذهبهم فى الامامة والديانة وضبط علوم الشريعة عند أئمة علماء الامصار وأهل الثقة والخبرة من سائر الاعصار *

﴿ أجاب رضى الله عنه ﴾ الحمد لله * مذهب أهل المدينة النبوية دار السنة ودار الهجرة ودار النصرة اذ فيها سن الله لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم سنن الاسلام وشرائعه واليها هاجر المهاجرون الى الله ورسوله وبها كان الانصار انصار الله الذين تبوؤا الدار والايمان من قبلهم مذهبهم فى زمن الصحابة والتابعين وتابعيهم أصح مذاهب أهل المذاهب الاسلامية شرقا وغربا فى الاصول

والفروع وهذه الاعصار الثلاثة هى أعصار القرون المفضلة التي قال فيها النبي صلى الله عليه وسلم فى الحديث الصحيح من وجوه خير القرون القرن الذى بعثت فيهم . ثم الذين يلونهم . ثم الذين يلونهم فذكر ابن حبان بعد قرنه قرنين بلا نزاع . وفى بعض الاحاديث الشك فى القرن الثالث بعد قرنه . وقد روى فى بعضها بالجزم باثبات القرن الثالث بعد قرنه فتكون أربعة واعتمد على ذلك أبو حاتم السلمى ونحوه من علماء أهل الحديث فى طبقات هذه الامة بان هذه الزيادة ثابتة في الصحيح . ثم انه ذكر أحاديث الثلاثة والاحاديث التي فيها ذكر القرن الرابع . الى ان قال . وفى القرون التى اثنى عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مذهب أهل المدينة وهذا هو سر المسألة وكان أصح مذاهب أهل المدائن فانهم كانوا يتأسون باثر رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر من سائر الامصار وكان غيرهم من أهل الامصار دونهم فى العلم بالسنة النبوية واتباعها حتى انهم لا يفتقرون الى نوع من سياسة الملوك وان افتقار العلماء ومقاصيد العباد أكثر من افتقار أهل المدينة حيث كانوا أغنى من غيرهم عن ذلك كله بما كان عندهم من الآثار النبوية التي يفتقر الى العلم بها واتباعها كل أحد — ولهذا لم يذهب أحد من علماء المسلمين الى ان اجماع أهل مدينة من المدائن حجة يجب اتباعها غير المدينة لا فى تلك الاعصار ولا فيما بعدها لا اجماع أهل مكة ولا الشام ولا العراق ولا غير ذلك من أمصار المسلمين * ومن حكى عن أبي حنيفة أو أحد من أصحابه ان اجماع أهل الكوفة حجة يجب اتباعها على كل مسلم فقد غلط على أبي حنيفة وأصحابه فى ذلك *

(وأما المدنية) فقد تكلم الناس فى اجماع أهلها واشتهر عن مالك وأصحابه ان اجماع أهلها حجة وان بقية الائمة ينازعونهم فى ذلك والكلام انما هو فى اجماعهم فى تلك الاعصار المفضلة . وأما بعد ذلك فقد اتفق الناس على ان اجماع أهلها ليس بحجة اذ كان حينئذ فى غيرها من العلماء مالم يكن فيها لا سيما من حين ظهر بها الرفض فان أهلها مستمسكون بمذهبهم القديم منتسبين الى مذهب مالك الى أوائل المائة السادسة أو قبل ذلك أو بعد ذلك فانهم قدم اليهم من رافضة المشرق من أهل قاشان وغيرهم من أفسد مذهب كثير منهم لا سيما المنتسبون منهم الى العترة النبوية . وقدم عليهم بكتب أهل البدع المخالفة للكتاب والسنة وبذل لهم أموالا فكثرت البدعة بها من حينئذ . فاما الاعصار المفضلة فلم يكن فيها بالمدينة النبوية بدعة ظاهرة

البتة ولا خرج منها بدعة فى أصول الدين كما خرج من سائر الامصار فان الامصار الكبار التى سكنها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرج منها العلم والايمان خمسة البحران والعراقان والشامان. منها خرج القرآن والحديث والفقه والعبادة ومايتبع ذلك من أمور الاسلام * وخرج من هذه الامصار بدع أصولية غير المدينة النبوية. فالكوفة خرج منها التشيع والارجاء. وانتشر بعد ذلك في غيرها. والبصرة خرج منها القدر والاعتزال الفاسد وانتشر بعد ذلك فى غيرها. والشام كان بها النصب والقدر. وأما التجهم فانما ظهر من ناحية خراسان وهو شر البدع ولان ظهور البدع بحسب البعد عن الدار النبوية. فلما حدثت الفرقة بعد مقتل عثمان ظهرت بدعة الحرورية وتقدم بعقوبتها الشيعة من الاصناف الثلاثة الغالبة حيث حرقهم عليّ بالنار والمفضلة حيث تقدم بجلدهم ثمانين. والسبائية حيث طلب ان يعاقب ابن سبا بالقتل أو بغيره فهرب منه ثم فى أواخر عصر الصحابة حدثت القدرية فى آخر عصر ابن عمر وابن عباس وجابر وأمثالهم من الصحابة وحدثت المرجئة قريبا من ذلك *

وأما الجهمية فانما حدثوا فى أواخر عصر التابعين بعد موت عمر بن عبد العزيز. وقد روى انه أنذر بهم وكان ظهورجهم بخراسان فى خلافة هشام بن عبد الملك وقد قتل المسلمون شيخهم الجعد بن درهم قبل ذلك ضحى به خالد بن عبد الله القسرى. وقال يا أيها الناس ضحوا تقبل الله ضحاياكم فانى مضح بالجعد بن درهم انه زعم انه لم يتخذ الله ابراهيم خليلا ولم يكلم موسى تكليما تعالى عما يقول الجعد بن درهم علوا كبيراً. ثم نزل فذبحه. وقد روى ان ذلك بلغ الحسن البصرى وأمثاله من التابعين فشكروا ذلك *

﴿ وأما المدينة النبوية ﴾ فكانت سليمة من ظهور هذه البدع وان كان بها من هو مضمر لذلك كان عندهم مهانا مذموما اذ كان بها قوم من القدرية وغيرهم لكن كانوا مذمومين مقهورين بخلاف التشيع والارجاء بالكوفة والاعتزال وبدع النساك بالبصرة والنصب بالشام فانه كان ظاهرا وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الدجال لا يدخلها ويحكى ان عمرو بن عبيد وهو رأس المعتزلة ممن كان يساجي سفيان الثورى ولم يعلم سفيان به فقال عمرو لرجل من هذا فقال سفيان الثورى أو قال من أهل الكوفة قال ولو علمت بذلك لدعوته الى رأيي ولكن ظننته من هؤلاء المدنيين الذين يجيئونك من فوق *

﴿ولم يزل العلم والايمان﴾ بها ظاهرا الى زمن أصحاب مالك وهم أصل القرن الرابع حيث أخذ ذلك القرن عن مالك وأهل طبقته كالثورى والاوزاعى والليث بن سعد. وحماد بن زيد وحماد بن سلمة وسفيان بن عيينة وأمثالهم . وهؤلاء أخذوا عن طوائف من التابعين وأولئك أخذوا عمن أدركوا من الصحابة والكلام فى اجماع أهل المدينة فى تلك الاعصار .

﴿والتحقيق فى مسألة اجماع أهل المدينة﴾ ان منه ماهو متفق عليه بين المسلمين ومنه ماهو قول جمهور ائمة المسلمين . ومنه مالا يقوم به الا بعضهم . وذلك ان اجماع أهل المدينة على أربع مراتب ﴿الاولى﴾ ما يجرى مجرى النقل عن النبي صلى الله عليه وسلم مثل نقلهم لمقدار الصاع والمد وكترك صدقة الخضراوات والاجناس فهذا مما هو حجة باتفاق العلماء . اما الشافعي وأحمد وأصحابهما فهذا حجة عندهم بلانزاع كما هو حجة عند مالك وذلك مذهب أبي حنيفة وأصحابه . قال أبو يوسف رحمه الله وهو اجل أصحاب ابي حنيفة واول من لقب قاضى القضاة . لما اجتمع بمالك وسأله عن هذه المسائل واجابه مالك بنقل اهل المدينة المتواتر رجع ابو يوسف الى قوله وقال لو رأى صاحبي مثل ما رأيت لرجع مثل ما رجعت .

(فقد نقل) ابو يوسف ان مثل هذا النقل حجة عند صاحبه ابى حنيفة كما هو حجة عند غيره لكن ابو حنيفة لم يبلغه هذا النقل كما لم يبلغه ولم يبلغ غيره من الائمة كثير من الحديث فلا لوم عليهم فى ترك مالم يبلغهم علمه . وكان رجوع ابى يوسف الى هذا النقل كرجوعه الى احاديث كثيرة اتبعها هو وصاحبه محمد وتركا قول شيخهما لعلمهما بان شيخهما كان يقول ان هذه الاحاديث ايضا صحت لكن لم تبلغه . ومن ظن بابى حنيفة او غيره من ائمة المسلمين انهم يتعمدون مخالفة الحديث الصحيح لقياس او غيره فقد اخطأ عليهم وتكلم اما بظن واما بهوى فهذا ابو حنيفة يعمل بحديث التوضى بالنبيذ بالسفر مخالفة للقياس . وبحديث القهقهة فى الصلاة مع مخالفته للقياس لاعتقاده صحتهما وان كان ائمة الحديث لم يصححوه . قال وقد بينا هذا فى رسالة رفع الملام . عن الائمة الاعلام . وبينا ان احدا من ائمة الاسلام لا يخالف حديثا صحيحا بغير عذر بل لهم نحو من عشرين عذرا مثل ان يكون أحدهم لم يبلغه الحديث أو بلغه من وجه لم يثق به أولم يعتقد دلالته على الحكم أو اعتقد ان ذلك الدليل قد عارضه ماهو أقوى منه كالناسخ أو مايدل على الناسخ وأمثال ذلك . والاعذار يكون العالم فى بعضها مصيبا فيكون

له أجران . ويكون في بعضها مخطئا بعد اجتهاده فيثاب على اجتهاده وخطؤه مغفور له لقوله تعالى ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا . وقد ثبت فى الصحيح ان الله استجاب هذا الدعاء وقال قد فعلت . ولان العلماء ورثة الانبياء *

وقد ذكر الله عن داود وسليمان انهما حكما فى قضية وانه فهمها أحدهما . ولم يعب الآخر بل اثنى على كل واحد منهما بانه آتاه حكما وعلما فقال وداود وسليمان اذ يحكمان فى الحرث اذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما *

وهذه الحكومة تتضمن مسألتين تنازع فيهما العلماء . مسألة نفش الدواب فى الحرث بالليل وهو مضمون عند جمهور العلماء كمالك والشافعى وأحمد . وأبو حنيفة لم يجعله مضمونا والثانى ضمان بالمثل والقيمة وفى ذلك نزاع في مذهب الشافعى وأحمد وغيرهما والمأثور عن أكثر السلف فى نحو ذلك يقتضى الضمان بالمثل اذا أمكن كما قضى به سليمان وكثير من الفقهاء لا يضمنون ذلك الا بالقيمة كالمعروف من مذهب أبي حنيفة والشافعى وأحمد *

والمقصود هنا ان عمل أهل المدينة الذى يجرى مجري النقل حجة باتفاق المسلمين قال مالك لابي يوسف لما سأله عن الصاع والمد وأمر أهل المدينة باحضار صيعانهم وذكروا له ان اسنادها على اسلافهم . أترى هؤلاء ياأبا يوسف يكذبون قال لا والله مايكذبون . فاذا حررت هذه الصيعان فوجدتها خمسة أرطال وثلث برطا لكم يا أهل العراق فقال رجعت الى قولك ياأباعبدالله ولو رأى صاحبي مارأيت لرجع كما رجعت *

وسأله عن صدقة الخضراوات . فقال هذه مباقيل أهل المدينة لم يؤخذ منها صدقة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أبي بكر ولا عمر رضى الله تعالى عنهما يعنى وهى تنبت فيها الخضراوات *

وسأله عن الاجناس فقال هذا جنس فلان وهذا جنس فلان . يذكر لبيان الصحابة فقال أبو يوسف في كل منهما قد رجعت يا أبا عبد الله ولو رأى صاحبي مارأيت لرجع كما رجعت *

(وأبو يوسف ومحمد) وافقا بقية الفقهاء فى انه ليس فى الخضراوات صدقة كمذهب مالك والشافعى وأحمد . وفي انه ليس فيما دون خمسة أوسق صدقة كمذهب هؤلاء وان الوقف عنده لازم كمذهب هؤلاء *

(وانما قال) رطالكم يا أهل العراق لانه لما انقرضت الدولة الاموية وجاءت دولة ولد العباس قريبا فقام أخوه أبو جعفر الملقب بالمنصور فبنى بغداد فجعلها دار ملكه . وكان أبو جعفر يعلم ان أهل الحجاز حينئذ كانوا أغنى بدين الاسلام من أهل العراق *

(ويروى) انه قال ذلك لمالك أو غيره من علماء المدينة قال نظرت فى هذا الامر فوجدت أهل العراق أهل كذب وتدليس أو نحو ذلك ووجدت أهل الشام انما هم أهل غزو وجهاد ووجدت هذا الامر فيكم *

(ويقال انه) قال لمالك وأنت أعلى أهل الحجاز أو كما قال . فطلب أبو جعفر علماء الحجاز ان يذهبوا الى العراق وينشروا العلم فيه فقدم عليهم هشام بن عروة ومحمد بن اسحق ويحيي بن سعيد الانصارى وربيعة بن أبي عبد الرحمن وحنظلة بن أبي شقيق الجمحى وعبد العزيز ابن أبي سلمة الماجشون وغير هؤلاء . وكان ابو يوسف يختلف فى مجالس هؤلاء ويتعلم منهم الحديث واكثر ممن قدم الحجاز *

ولهذا يقال فى اصحاب ابى حنيفة ابو يوسف اعلمهم بالحديث وزفر اطردهم للقياس * والحسن بن زياد اللؤلؤى اكثرهم تفريعاً * ومحمد اعلمهم بالعربية والحساب . وربما قيل اكثرهم تفريعاً *

(فلما صارت) العراق دار الملك واحتاج الناس الى تعريف اهلها بالسنة والشريعة غير المكيال الشرعى برطل اهل العراق وكان رطلهم بالحنطة الثقيلة والعدس اذ ذاك تسعين مثقالا مائة وثمانية وعشرون درهما واربعة اسباع الدرهم . فهذا هو المرتبة الاولى لاجماع اهل المدينة وهو حجة باتفاق المسلمين *

﴿ المرتبة الثانية ﴾ العمل القديم بالمدينة قبل مقتل عثمان بن عفان فهذا حجة فى مذهب مالك وهو المنصوص عن الشافعى * قال فى رواية يونس بن عبد الاعلى اذا رايت قدماء اهل المدينة على شيء فلا تتوقف فى قلبك ريبا انه الحق وكذا ظاهر مذهب احمد ان ما سنه خلفاء الراشدون فهو حجة يجب اتباعها وقال احمد كل بيعة كانت فى المدينة فهى خلافة النبوة * ومعلوم ان بيعة ابي بكر وعمر وعثمان كانت بالمدينة * وكذلك بيعة علىّ كانت بالمدينة . ثم خرج منها وبعد ذلك لم يعقد بالمدينة بيعة * وقد ثبت في الحديث الصحيح حديث العرباض بن سارية عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى

تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ واياكم ومحدثات الامور فان كل بدعة ضلالة . وكل ضلالة في النار * وفى السنن من حديث سفينة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال خلافة النبوة ثلاثون سنة ثم تكون ملكا عضوضا. فالمحكي عن أبي حنيفة يقتضى ان قول الخلفاء الراشدين يخالف سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم *

﴿ والمرتبة الثالثة ﴾ اذا تعارض فى المسألة دليلان كحديثين وقياسين جهل ايهما ارجح واحدهما يعمل به أهل المدينه . فيه نزاع فمذهب مالك والشافعى انه يرجح أهل المدينة ومذهب ابى حنيفة انه لا يرجح بعمل أهل المدينة ولاصحاب أحمد وجهان . ﴿ أحدهما ﴾ وهو قول القاضى ابى يعلى وابن عقيل انه لا يرجح . ﴿ والثاني ﴾ وهو قول ابى الخطاب وغيره انه يرجح به . قيل هذا هو المنصوص عن احمد . ومن كلامه قال اذا رأى أهل المدينة حديثا وعملوا به فهو الغاية وكان يفتى على أهل المدينة ويقدمه على مذهب اهل العراق تقريرا كثيرا . وكان يدل المستفتى على مذاهب أهل الحديث ومذهب اهل المدينة ويدل المستفتى على اسحق وابى عبيدة وابى ثور ونحوهم من فقهاء اهل الحديث * ويدله على حلقة المدنيين حلقة ابي مصعب الزهرى ونحوه وابو مصعب هو آخر من مات من رواة ابو لصاعن مالك . مات بعد احمد بسنة سنة اثنين واربعين ومائتين . وكان احمد يكره ان يرد على اهل المدينة كما يرد على اهل الرأى . ويقول انهم اتبعوا الآثار فهذا مذهب جمهور الائمة يوافق مذهب مالك في الترجيح لاقوال اهل المدينة

﴿ واما المرتبة الرابعة ﴾ فهى العمل المتأخر بالمدينه فهذا هل هو حجة شرعية يجب اتباعها ام لا. فالذى عليه ائمة الناس انه ليس بحجة شرعية هذا مذهب الشافعى واحمد وابى حنيفة وغيرهم وهو قول المحققين من اصحاب مالك كما ذكر ذلك الفاضل عبد الوهاب فى كتابه أصول الفقه وغيره . ذكر ان هذا ليس اجماعا ولا حجة عند المحققين من أصحاب مالك. وربما جعله حجة بعض أهل الغرب من أصحابه . وليس معه للائمة نص ولا دليل بل هم أهل تقليد. قلت ولم ار فى كلام مالك مايوجب جعل هذا حجة وهو فى الموطأ انما يذكر الاصل المجمع عليه عندهم فهو يحكي مذهبهم . وتارة يقول الذى لم يزل عليه اهل العلم ببلدنا يصير الى الاجماع القديم وتارة لا يذكر ولو كان مالكا يعتقد ان العمل المتأخر حجة يجب على جميع الامة اتباعها وان خالفت النصوص لوجب عليه ان يلزم الناس بذلك حد الامكان . كما يجب عليه ان يلزمهم

اتباع الحديث والسنة الثابتة التي لا تعارض فيها . وبالاجماع *

﴿ وقد عرض ﴾ عليه الرشيد او غيره ان يحمل الناس على موطئه فامتنع من ذلك . وقال ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم تفرقوا فى الامصار وانما جمعت على اهل بلدى او كما قال

﴿ واذا تبين ﴾ ان اجماع اهل المدينة تفاوت فيه مذاهب جمهور الائمة علم بذلك ان قولهم اصح اقوال اهل الامصار رواية ورأيا . وانه تارة يكون حجة قاطعة . وتارة حجة قوية . وتارة مرجحا للدليل . اذ ليست هذه الخاصية لشيء من امصار المسلمين . ومعلوم ان من كان بالمدينة من الصحابة هم خيار الصحابة اذ لم يخرج منها احد قبل الفتنة الا واقام بها من هو افضل منه فانه لما فتح الشام والعراق وغيرهما ارسل عمر ابن الخطاب الى الامصار من يعلمهم الكتاب والسنة فذهب الى العراق عبد الله بن مسعود وحذيفة ابن اليمان وعمار ابن ياسر . وعمران ابن حصين وسلمان الفارسى وغيرهم *

وذهب الى الشام معاذ بن جبل وعبادة بن الصامت . وابو الدرداء . وبلال بن رباح وامثالهم . وبقي عنده مثل عثمان وعلى وعبد الرحمن بن عوف ومثل ابى بن كعب ومحمد بن مسلمة وزيد ابن ثابت وغيرهم وكان ابن مسعود وهو اعلى من كان بالعراق من الصحابة يفتي بالفتيا . ثم يأتى المدينة فيسأل علماء اهل المدينة فيردونه عن قوله فيرجع كما جرى فى مسألة امهات النساء لما ظن ابن مسعود ان الشرط فيها وفى الربيبة وانه اذا طلق امرأته قبل الدخول حلت أمها كما تحل ابنتها . فلما جاء الى المدينة وسأل عن ذلك اخبره علماء الصحابة ان الشرط فى الربيبة دون الامهات فرجع الى قولهم وأمر الرجل بفراق امرأته بعد ما حلت * وكان اهل المدينة فيما يعملون . اما سنة من رسول الله صلى الله عليه وسلم * واما ان يرجعوا الى قضايا عمر بن الخطاب ويقال ان مالكا أخذ جل الموطا عن ربيعة وربيعة عن سعيد بن المسيب . وسعيد ابن المسيب عن عمر . وعمر محدث . وفي الترمذى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لو لم ابعث فيكم لبعث فيكم عمر . وفى الصحيحين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال كان فى الامم قبلكم محدثون فان يكن في أمتي أحد فعمر . وفى السنن عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال اقتدوا باللذين من بعدى أبي بكر وعمر . وكان عمر يشاور أكابر الصحابة كعلي وعثمان وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن وهم أهل الشورى . ولهذا قال الشعبي انظروا ما قضى

به عمر فانه كان يشاور . ومعلوم ان ما كان يقضى أو يفتى به عمر يشاور هؤلاء ارجح مما يقضى او يفتى به ابن مسعود او نحوه رضى الله تعالى عنهم أجمعين . (وكان عمر) فى مسائل الدين والاصول والفروع انما يتبع لما قضى به رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يشاور عليا وغيره من أهل الشورى كما شاوره فى المطلقة المعتدة الرجعية فى المرض اذا مات زوجها هل ترث وأمثال ذلك . فلما قتل عثمان وحصلت الفتنة والفرقة وانتقل على الى العراق هو وطلحة والزبير لم يكن بالمدينة من هو مثل هؤلاء . ولكن كان بها من الصحابة مثل سعد بن ابى وقاص وابى ايوب ومحمد بن مسلمة وامثالهم من هو أجل ممن مع على من الصحابة فاعلم من كان بالكوفة من الصحابة على وابن مسعود وعلى كان بالمدينة اذ كان بها عمر وعثمان وابن مسعود وهو نائب عمر وعثمان . ومعلوم ان عليا مع هؤلاء أعظم علما وفضلا من جميع من معه من أهل العراق ولهذا كان الشافعى يناظر بعض أهل العراق فى الفقه محتجا على المناظر بقول على وابن مسعود فصنف الشافعى كتاب اختلاف على وعبد الله يبين فيه ما تركه المناظر وغيره من أهل العلم من قولهما . (وجاء) بعده محمد بن نصر المروزى صنف فى ذلك اكثر مما صنف الشافعى (الى أن قال) ومما يوضح الامر فى ذلك ان سائر أمصار المسلمين غير الكوفة كانوا منقادين لعلم أهل المدينة لا يعدون أنفسهم اكفاءهم فى العلم كاهل الشام ومصر مثل الاوزاعى ومن قبله وبعده من الشاميين . ومثل الليث بن سعد ومن قبل ومن بعد من المصريين وان تعظيمهم لعمل أهل المدينة واتباعهم لمذاهبهم القديمة ظاهر بين — وكذلك علماء أهل البصرة كايوب وحماد بن زيد وعبد الرحمن بن مهدى وأمثالهم ولهذا ظهر مذهب أهل المدينة فى هذه الامصار فان أهل مصر صاروا ناصرة لقول أهل المدينة وهم أجلاء أصحاب مالك المصريين كابن وهب وابن القاسم واشهب وعبد الله بن الحكم والشاميون مثل الوليد بن مسلم ومروان ابن محمد وأمثالهم لهم روايات معروفة عن مالك . وأما أهل العراق كعبد الرحمن بن مهدي وحماد ابن زيد . ومثل اسميل بن اسحق القاضي وأمثالهم كانوا على مذهب مالك وكانوا قضاة القضاة واسمعيل ونحوه كانوا من أجل علماء الاسلام *

واما الكوفية) بعد الفتنة والفرقة يدعون مكافاة أهل المدينة . واما قبل الفتنة والفرقة فقد كانوا متبعين لاهل المدينة ومنقادين لهم لا يعرف بعد مقتل عثمان ان أحدا من أهل الكوفة او

غيرها يدعي ان أهل مدينته أعلم من اهل المدينة . فلما قتل عثمان وتفرقت الامة وصاروا شيعا ظهر من اهل الكوفة من يساوى بعلماء اهل الكوفة علماء اهل المدينة ووجه الشبهة فى ذلك انه ضعف امر المدينة لخروج خلافة النبوة منها وقوى امر اهل العراق لحصول على فيها *

(لكن) ما فيه الكلام من مسائل الفروع والاصول قد استقر فى خلافة عمر . ومعلوم ان قول اهل الكوفة مع سائر الامصار قبل الفرقة اولى من قولهم وحديثهم بعد الفرقة *

* (قال عبيدة السلمانى) قاضى على كرم الله وجهه رأيك مع عمر فى الجماعة احب الينا من رأيك وحدك فى الفرقة . ومعلوم انه كان بالكوفة من الفتنة والتفرق مادل عليه النص والاجماع لقول النبي صلى الله عليه وسلم . الفتنة من ههنا . الفتنة من ههنا . الفتنة من ههنا . من حيث يطلع قرن الشيطان وهذا الحديث قد ثبت عنه فى الصحيح من غير وجه *

(ومما يوضح الامر فى ذلك) ان العلم اما رواية واما رأى وأهل المدينة أصح أهل المدن رواية ورأيا . واما حديثهم فاصح الاحاديث . وقد اتفق اهل العلم بالحديث على ان اصح الاحاديث احاديث اهل المدينة . ثم احاديث اهل البصرة . (واما احاديث اهل الشام) فهى مورد ذلك فانه لم يكن من الاسناد المتصل وضبط الالفاظ مالهؤلاء . ولم يكن منهم قوم يعنى أهل المدينة ومكة والبصرة والشام من يعرف بالكذب لكن . منهم من يضبط . ومنهم من لا يضبط .

(واما اهل الكوفة) فلم يكن الكذب فى اهل بلدا كثر منهم فيهم . ففى زمن التابعين كان بها خلق كثير منهم معروفون بالكذب لا سيما الشيعة فانهم اكثر الطوائف كذبا باتفاق اهل العلم . ولاجل هذا يذكر عن مالك وغيره من اهل المدينة انهم لم يكونوا يحتجون بعامة احاديث اهل العراق لانهم قد علموا ان فيهم كذابين ولم يكونوا يميزون بين الصادق والكاذب فاما اذا علموا صدق الحديث فانهم يحتجون به كما روي مالك عن ايوب السختيانى وهو عراقي فقيل له ذلك فقال ما حدثتكم عن احد الا وايوب افضل منه او نحو هذا . وهذا القول هو القول القديم للشافعي حتي روى انه قيل له اذا روى سفيان عن منصور عن علقمة عن عبدالله حديثا لا يحتج به فقال ان لم يكن له اصل بالحجاز والا فلا *

(ثم ان الشافعي) رجع عن ذلك . وقال لاحمد بن حنبل أنتم اعلم بالحديث منا فاذا صح الحديث فاخبرنى به حتى اذهب اليه شاميا كان او بصريا او كوفيا ولم يقل مكيا او مدنيا لانه كان يحتج

بهذا قبل . واما علماء اهل الحديث كشعبة ويحيي بن سعيد واصحاب الصحيح والسنن فكانوا يميزون بين الثقات الحفاظ وغيرهم ممن بالكوفة والبصرة من الثقات الذين لاريب فيهم وان فيهم من هو افضل من كثير من اهل الحجاز . ولا يستريب عالم فى مثل اصحاب عبد الله ابن مسعود كعلقمة والاسود وعبيدة السلماني والحارث التيمى وشريح القاضى . ثم مثل ابراهيم النخعى والحكم بن عيينة وامثالهم من اوثق الناس واحفظهم . فلهذا صار علماء الاسلام متفقين على الاحتجاج بما صححه اهل العلم بالحديث من اي مصر كان (وصنف ابوداود) السجستانى مفاريد اهل الامصار يذكر فيه ما انفرد اهل كل مصر من المسلمين من اهل العلم بالسنة *

﴿ وأما الفقه والرأى ﴾ فقد علم ان أهل المدينة لم يكن فيهم من ابتدع بدعة في أصول الدين ولما حدث الكلام فى الرأى في أوائل الدولة العباسية وفرع لهم ربيعة بن هرمز فرعا كما فرع عثمان الليثي وأمثاله بالبصرة . وأبو حنيفة وأمثاله بالكوفة . وصار فى الناس من يقبل ذلك وفيهم من يرد . وصار الرادون لذلك مثل هشام ابن عروة وأبى الزناد والزهرى وابن عيينة وأمثالهم فان ردوا ماردوا من الرأى المحدث بالمدينة فهم للرأى المحدث بالعراق أشد رأيا فلم يكن اهل المدينة اكثر من اهل العراق فيما لا يحمد. وهم فوقهم فيما يحمدونه . وبهذا يظهر الرجحان — واما ماقال هشام بن عروة لم يزل امر بني اسرائيل معتدلا حتى نشأ فيهم المولدون ابناء سبايا الامم — فقالوا فيهم بالرأى فضلوا واضلوا. قال ابن عيينة فنظرنا فى ذلك فوجدنا ماحدث من الرأى انما هو من المولدين ابناء سبايا الامم *

وذكر بعض من كان بالمدينة وبالبصرة وبالكوفة والذين بالمدينة احمد عند هذا ممن بالعراق من اهل المدينة . ولما قال مالك رضى الله تعالى عنه عن احدى الدولتين انهم كانوا اتبع للسنن من الدولة الاخرى . قال ذلك لاجل ما ظهر بمقارنها من الحدثان لان اولئك اولى بالخلافة نسبا وقرنا *

وقد كان المنصور والمهدي والرشيد وهم سادات خلفاء بنى العباس يرجحون علماء الحجاز وقولهم على علماء اهل العراق كما كان خلفاء بنى امية يرجحون اهل الحجاز على علماء الشام ولما كان فيهم من لم يسلك هذا السبيل بل عدل الى الاراء المشرقية كثر الاحداث فيهم وضعفت الخلافة *

ثم ان بغداد انما صار فيها من العلم والايمان وترجحت على غيرها بعد موت مالك وامثاله من علماء اهل الحجاز وسكنها من افشى السنة بها واظهر حقائق الاسلام . مثل احمد بن حنبل وابى عبيدة وامثالهما من فقهاء اهل الحديث . ومن ذلك الزمان ظهرت بها السنة من الاصول والفروع وكثر ذلك فيها وانتشر منها الى الامصار . وانتشر ايضا من ذلك الوقت من المشرق والمغرب فصار فى المشرق مثل اسحق بن ابراهيم بن راهويه واصحابه واصحاب عبد الله بن المبارك . وصار الى المغرب من علم اهل المدينة ما نقل اليهم من علماء الحديث . فصار فى بغداد وخراسان والمغرب من العلم ما يكون مثله اذ ذاك بالحجاز والبصرة ولم يكن بعد عصر مالك واصحابه من علماء الحجاز من يفضل على علماء العراق والمشرق والمغرب وهذا باب يطول تتبعه ولو استقصينا فضل علماء أهل المدينة وصحة أصولهم لطال الكلام *

﴿ اذا تبين ذلك ﴾ فلا ريب عند احد ان مالكا رضي الله عنه اقوم الناس بمذهب اهل المدينة رواية ورايا فانه لم يكن في عصره ولا بعده اقوم بذلك منه كان له من المكانة عند اهل الاسلام الخاص منهم والعام مالا يخفى على من له بالعلم ادنى المام . وقد جمع الحافظ ابو بكر الخطيب اخبار الرواة عن مالك فبلغوا الفا وسبعمائة او نحوها * وهؤلاء الذين اتصل الى الخطيب حديثهم بعد قريب من ثلاثمائة سنة فكيف بمن انقطعت اخبارهم ولم يتصل اليهم خبرهم فان الخطيب توفى سنة اثنين وسبعين واربعمائة وعصره وعصر ابن عبد البر والبيهقى والقاضى ابى يعلى وامثال هؤلاء واحد . ومالك توفى سنة تسع وسبعين ومائه . وتوفى أبو حنيفة سنة خمسين ومائة . وتوفى الشافعى سنة أربع ومائتين . وتوفى احمد بن حنبل سنة احدى وأربعين ومائتين . ولهذا قال الشافعى ما تحت اديم السماء كتاب اكثر صوابا بعد كتاب الله من موطأ مالك . وهو كما قال الشافعى رضي الله عنه *

(وهذا) لا يعارض ما عليه ائمة الاسلام من انه ليس بعد القرآن كتاب اصح من صحيح البخاري ومسلم مع ان الائمة على ان البخارى اصح من مسلم . ومن رجح مسلما فانه رجحه بجمعه الفاظ الحديث فى مكان واحد فان ذلك ايسر على من يريد جمع الفاظ الحديث *

(واما من زعم) ان الاحاديث التى انفرد بها مسلم او الرجال الذين انفرد بهم اصح من الاحاديث التى انفرد بها البخارى ومن الرجال الذين انفرد بهم . فهذا غلط لا يشك فيه عالم كما لا يشك احد

ان البخارى اعلم من مسلم بالحديث والعلل والتاريخ وانه أفقه منه اذ البخارى وأبو داود افقه أهل الصحيح والسنن المشهورة ، وان كان قد يتفق لبعض ما انفرد به مسلم ان يرجح على بعض ما انفرد به البخارى فهذا قليل والغالب بخلاف ذلك ، فان الذي اتفق عليه أهل العلم انه ليس بعد القرآن كتاب أصح من كتاب البخارى ومسلم . وانما كانا كذلك لانه جرد فيهما الحديث الصحيح المسند ، ولم يكن القصد بتصنيفهما ذكر آثار الصحابة والتابعين ولا سائر الحديث من الحسن والمرسل وشبه ذلك ، ولا ريب ان ماجرد فيه الحديث الصحيح المسند عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو أصح الكتب لانه أصح منقولا عن المعصوم من الكتب المصنفة ، وأما الموطأ ونحوه فانه صنف على طريقة العلماء المصنفين اذ ذاك ، فان الناس على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يكتبون القرآن ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد نهاهم ان يكتبوا عنه غير القرآن وقال من كتب عنى شيئا غير القرآن فليمحه ، ثم نسخ ذلك عن جمهور العلماء حيث اذن فى الكتابة لعبد الله بن عمر . وقال اكتبوا لابي شاه . وكتب لعمرو بن حزم كتابا . قالوا وكان النهى أولا خوفاً من اشتباه القرآن بغيره . ثم اذن لما امن ذلك ، فكان الناس يكتبون من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم مايكتبون . وكتبوا أيضا غيره ولم يكونوا يصنفون ذلك فى كتب مصنفة الى زمن تابعى التابعين . فصنف العلم . صنف ابن جريج شيئا في التفسير وشيئا في الاموات وصنف سعيد ابن أبي عروبة وحماد بن سلمة ومعمر وأمثاله هؤلاء يصنفون ما في الباب عن النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين ، وهذه هى كانت كتب الفقه والعلم والاصول والفروع بعد القرآن . فصنف مالك الموطأ على هذه الطريقة . وصنف بعد عبد الله ابن المبارك وعبد الله بن وهب ووكيع بن الجراح وعبد الرحمن بن مهدى . وعبد الرزاق . وسعيد بن منصور . وغير هؤلاء فهذه الكتب التى كانوا يعدونها فى ذلك الزمان هى التي أشار اليها الشافعي رحمه الله تعالى . فقال ليس بعد القرآن كتاب اكثر صوابا من موطأ مالك ، فان حديثه أصح من حديث نظرائه . وكذلك الامام أحمد لما سئل عن حديث مالك ورأيه . وحديث غيره ورأيهم . رجح حديث مالك ورأيه على حديث أولئك ورأيهم . وهذا يصدق الحديث الذى رواه الترمذى وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال يوشك ان يضرب الناس اكباد الابل فى طلب العلم فلا يجدون عالما أعلم من عالم المدينة فقد روى عن غير واحد

كابن جريج وابن عيينة وغيرهما انهم قالوا هو مالك والذين نازعوا فى هذا لهم ماخذان (أحدهما) الطعن فى الحديث فزعم بعضهم ان فيه انقطاعا والثانى انه أراد غير مالك كالعمرى الزاهد ونحوه فيقال مادل عليه الحديث وانه مالك مر مقرر لمن كان موجودا وبالتواتر لمن كان غائبا . فانه لا ريب انه لم يكن فى عصر مالك أحد ضرب اليه الناس اكباد الابل أكثر من مالك . وهذا يقرر بوجهين (أحدهما) بطلب تقديمه على مثل الثورى والاوزاعي والليث وأبى حنيفة . وهذا فيه نزاع ولا حاجة اليه فى هذا المقام (والثانى) ان يقال ان مالكا تأخرموته عن هؤلاء كلهم فانه توفى سنة تسع وسبعين ومائة وهؤلاء كلهم ماتوا قبل ذلك . فمعلوم انه بعد موت هؤلاء لم يكن في الامة أعلم من مالك فى ذلك العصر . وهذا لا ينازع فيه أحد من المسلمين . ولا رحل الى أحد من علماء المدينة ما رحل الى مالك لا قبله ولا بعده . رحل اليه من المشرق والمغرب . ورحل اليه الناس على اختلاف طبقاتهم من العلماء والزهاد والملوك والعامة وانتشر موطاه في الارض حتى لا يعرف فى ذلك العصر كتاب بعد القرآن كان أكثر انتشارا من الموطأ . وأخذ الموطأ عنه أهل الحجاز والشام والعراق . ومن أصغر من أخذ عنه الشافعى ومحمد بن الحسن وأمثالهما وكان محمد بن الحسن اذا حدث بالعراق عن مالك والحجازيين يمتلئ داره . واذا حدث عن أهل العراق يقل الناس لعلمهم بان علم مالك وأهل المدينة أصح وأثبت . وأجل من أخذ عنه الشافعى العلم اثنان مالك وابن عيينة * ومعلوم عند كل أحد ان مالكا أجل من ابن عيينة حتى انه كان يقول انى ومالك كما قال القائل *

﴿ وابن اللبون اذا مالز فى قرن * لم يستطع صولة البزل القناعيس ﴾

ومن زعم ان الذى ضربت اليه اكباد الابل فى طلب العلم هو العمرى الزاهد مع كونه كان رجلا صالحا زاهدا آمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر لم يعرف ان الناس احتاجوا الى شئ من علمه ولا رحلوا اليه فيه وكان اذا أراد أمراً يستشير مالكا ويستفتيه كما نقل انه استشاره لما كتب اليه من العراق ان يتولى الخلافة فقال حتى أشاور مالكا فلما استشاره أشار عليه ان لا يدخل فى ذلك . وأخبره ان هذا لا يتركه ولد العباس حتى تراق فيه دماء كثيرة . وذكر له ما ذكره عمر بن عبد العزيز لما قيل له ولى القاسم بن محمد ان بنى أمية لا يدعون هذا الامر حتى تراق فيه دماء كثيرة وهذه علوم التفسير والحديث والفتيا وغيرها من العلوم لم يعلم الناس

أخذوا عن العمري الزاهد منها مايذكر فكيف يقرن هذا بمالك فى العلم ورحلة الناس اليه * ثم هذه كتب الصحيح التى أجل مافيها كتاب البخارى أول مايستفتح الباب بحديث مالك وان كان في الباب شئ من حديث مالك لايقدم على حديثه غيره . ونحن نعلم ان الناس ضربوا اكباد الابل فى طلب العلم فلم يجدوا عالما أعلم من مالك في وقته . والناس كلهم مع مالك (وأهل المدينة) اما موافق . واما منازع . فالموافق لهم عضد ونصير . والمنازع لهم معظم لهم مبجل لهم عارف بمقدارهم وما تجد من يستخف باقوالهم ومذاهبهم الا من ليس معدودا من أئمة العلم وذلك لعلمهم ان مالكا هو القائم بمذهب أهل المدينة وهو أظهر عند الخاصة والعامة من رجحان مذهب أهل المدينة على سائر الامصار فان موطاه مشحون . اما بحديث أهل المدينة واما بما اجتمع عليه أهل المدينة * اما قديما * واما حديثا * واما مسألة تنازع فيها أهل المدينة وغيرهم فيختار فيها قولا ويقول هذا أحسن ماسمعت . فاما بآثار معروفة عند علماء المدينة ولو قدر انه كان فى الازمان المتقدمة من هو أتبع لمذهب أهل المدينة من مالك فقد انقطع ذلك * ولسنا ننكر ان من الناس من أنكر على مالك مخالفته أولا لاحاديثهم فى بعض المسائل كما يذكر عن عبد العزيز الدراوردي انه قال له في مسألة تقدير المهر بنصاب السرقة تعرقت يا أبا عبد الله أي صرت فيها الى قول أهل العراق الذين يقدرون أقل المهر بنصاب السرقة . لكن النصاب عند أبى حنيفة وأصحابه عشرة دراهم * واما مالك والشافعى وأحمد فالنصاب عندهم ثلاثة دراهم أو أربع دينار كما جاءت بذلك الاحاديث الصحيحة . فقال أولا ان مثل هذه الحكاية يدل على ضعف أقاويل أهل العراق عند أهل المدينة . وانهم كانوا يكرهون للرجل ان يوافقهم . وهذا مشهور عندهم يعيبون الرجل بذلك كما قال ابن عمر لما استفتاه عن دم البعوض . وكما قال ابن المسيب لربيعة لما سأله عن عقل أصابع المرأة . وأما ثانيا فمثل هذا فى قول مالك قليل جدا وما من عالم الا وله ما يرد عليه وما أحسن ماقال ابن حويز منداد في مسألة بيع كتب الرأي والاجارة عليها لا فرق عندنا بين رأى صاحبنا مالك وغيره فى هذا الحكم لكنه أقل خطأ من غيره *

* وأما الحديث * فأكثره تجد مالكا قد قال به فى احدى الروايتين . وانما ترك طائفة من أصحابه كمسألة رفع اليدين عند الركوع والرفع منه * وأهل المدينة رووا عن مالك الرفع . وافقا

للحديث الذى رواه لكن ابن القاسم ونحوه من البصريين هم الذين قالوا بالرواية الاولى ومعلوم ان رواية ابن قاسم أصلها مسائل أسد بن فرات التي فرعها أهل العراق . ثم سأل عنها أسد ابن القاسم فأجابه بالنقل عن مالك وتارة بالقياس على قوله ثم أصحها فى رواية سحنون فلهذا يقع في كلام ابن القاسم طائفة من الميل الى قول أهل العراق وان لم يكن ذلك من أصول أهل المدينة ثم اتفق انه لما انتشر مذهب مالك بالاندلس وكان يحيي من عامل الاندلس والولاة يستشيرونه فكانوا يأمرون القضاة ان لا يقضوا الا برواية عن مالك ثم رواية غيره ثم انتشرت رواية ابن القاسم عن مالك لاجل من عمل بها وقد تكون مرجوحة فى المذهب وعمل أهل المدينة والسنة حتى صاروا يتركون رواية الموطأ الذى هو متواتر عن مالك ومازال يحدث به حتى مات لرواية ابن القاسم وان كان طائفة من أئمة المالكية أنكروا ذلك فمثل هذا ان كان فيه عيب فانما هو على من نقل ذلك لا على مالك ويمكن المتبع لمذهبه ان يتبع السنة فى عامة الامور اذ قل من سنة الا وله قول يوافقها بخلاف كثير من مذهب أهل الكوفة فانهم كثيرا مايخالفون السنة وان لم يتعمدوا ذلك ثم من تدبر أصول الاسلام وقواعد الشريعة وجد أصول مالك وأهل المدينة أصح الاصول والقواعد وقد ذكر ذلك الشافعى وأحمد وغيرهما حتى ان الشافعى لما ناظر محمد بن الحسن حين رجع محمد بصاحبه على صاحب الشافعي فقال له الشافعى بالانصاف أو بالمكاثرة قال له بالانصاف فقال ناشدتك الله صاحبنا اعلم بكتاب الله أم صاحبكم فقال بل صاحبكم فقال صاحبنا أعلم بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم أم صاحبكم فقال بل صاحبكم فقال صاحبنا اعلم باقوال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أم صاحبكم فقال صاحبكم فقال مابقى بيننا وبينكم الا القياس ونحن نقول بالقياس ولكن من كان بالاصول اعلم كان قياسه أصح وقالوا للامام أحمد من أعلم بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك أم سفيان فقال بل مالك فقيل له أيما أعلم باثار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك ام سفيان فقال بل مالك فقيل له ايما أزهد مالك ام سفيان فقال هذه لكم ومعلوم ان سفيان الثورى اعلم اهل العراق ذلك الوقت بالفقه والحديث فان ابا حنيفة والثورى ومحمد بن عبد الرحمن بن ابى ليلى والحسن بن صالح بن جنى وشريك ابن عبد الله النخمى القاضي كانوا متقاربين فى العصر وهم أئمة فقهاء الكوفة فى ذلك العصر

وكان أبو يوسف يتفقه اولا على محمد بن عبد الرحمن ابن ابي ليلى القاضى ثم انه اجتمع بابي حنيفة فراى انه افقه منه فلزمه وصنف كتاب اختلاف أبى حنيفة وأبى ليلى واخذه عنه محمد بن الحسن ونقله الشافعى عن محمد بن الحسن وذكر فيه اختياره وهو المسمى بكتاب اختلاف العراقيين ومعلوم ان سفيان الثوري اعلم هذه الطبقة في الحديث مع تقدمه فى الفقه والزهد والذين انكروا من اهل العراق وغيرهم ما انكروا من الراى المحدث بالكوفة لم ينكروا ذلك على سفيان الثورى بل سفيان عندهم امام العراق فتفضيل احمد لمذهب مالك على مذهب سفيان تفضيل له على مذهب اهل العراق وقد قال الامام احمد فى علمه وعلم مالك بالكتاب والسنة والآثار ما تقدم مع ان احمد يقدم سفيان الثوري على هذه الطبقة كلها وهو يعظم سفيان غاية التعظيم ولكنه كان يعلم ان مذهب اهل المدينة وعلمائها أقرب الى الكتاب والسنة من مذهب أهل الكوفة وعلمائها وأحمد كان معتدلا عالما بالامور يعطي كل ذى حق حقه . ولهذا كان يحب الشافعى ويثني عليه ويدعو له ويذب عنه عند من يطعن فى الشافعى أو من ينسبه الى بدعة ويذكر تعظيمه للسنة واتباعه لها ومعرفته باصول الفقه كالناسخ والمنسوخ والمجمل والمفسر ويثبت خبر الواحد ومناظرته عن مذهب أهل الحديث من خالفه بالرأي وغيره *

وكان الشافعى يقول سمونى ببغداد ناصر الحديث . ومناقب الشافعى واجتهاده فى اتباع الكتاب والسنة واجتهاده فى الرد على من يخالف ذلك كثير جدا . وهو كان على مذهب أهل الحجاز . وكان تفقه على طريقة المكيين أصحاب ابن جريج كمسلم بن خالد والزنجى . وسعيد بن سالم القداح . ثم رحل الى مالك وأخذ عنه الموطأ وكمل أصول أهل المدينة فكان اجل علما وفقها وقدرا من أهل مكة من عهد النبي صلى الله عليه وسلم الى عهد مالك . ثم اتفقت له محنة ذهب فيها الى العراق فاجتمع بمحمد بن الحسن وكتب كتبه وناظره وعرف أصول أبى حنيفة وأصحابه واخذ من الحديث ما اخذه على أهل العراق * ثم ذهب الى الحجاز . ثم قدم الى العراق مرة ثانية . وفيها صنف كتابه القديم المعروف بالحجة واجتمع به احمد بن حنبل فى هذه القدمة بالعراق واجتمع به بمكة وجمع بينه وبين اسحق بن راهويه وتناظرا بحضور احمد رضى الله تعالى عنهم اجمعين . ولم يجتمع بابى يوسف ولا بالاوزاعى وغيرهما فمن ذكر ذلك فى الرحلة المضافة اليه فهو كاذب فان تلك الرحلة فيها من الاكاذيب عليه . وعلى مالك وأبى يوسف ومحمد وغيرهم من

أهل العلم مالا يخفى على عالم وهي من جنس كذب القصاص . ولم يكن ابو يوسف ومحمد سعيا في اذى الشافعى قط ولا كان حال مالك معه ماذكر في تلك الرحلة الكاذبة *

ثم رجع الشافعى الى مصر وصنف كتابه الجديد وهو فى خطابه وكتابه ينسب الى مذهب أهل الحجاز . فيقول قال بعض اصحابنا وهو يعنى اهل المدينة او بعض علماء أهل المدينة كمالك ويقول فى اثناء كلامه وخالفنا بعض المشرقيين . وكان الشافعى عند اصحاب مالك واحدا منهم ينسب الى اصحابهم . واختار سكنى مصر اذ ذاك لانهم كانوا على مذهب اهل المدينة ومن يشبههم من اهل مصر كالليث بن سعد وأمثاله *

وكان اهل الغرب . بعضهم على مذهب هؤلاء . وبعضهم على مذهب الاوزاعى وأهل الشام ومذهب أهل الشام ومصر والمدينة متقارب لكن اهل المدينة اجل عند الجميع *

﴿ ثم ان الشافعى رضى الله عنه ﴾ لما كان مجتهدا فى العلم ورأى من الاحاديث الصحيحة وغيرها من الادلة مايجب عليه اتباعه وان خالف قول اصحاب المدنيين قام بما رآه واجبا عليه وصنف الاملاء على مسائل ابن القاسم واظهر خلاف مالك فيما خالفه فيه *

وقد احسن الشافعى فيما فعل وقام بما يجب عليه وان كان قد كره ذلك من كرهه وآذوه وجرت محنة مصرية معروفة والله يغفر لجميع المؤمنين والمؤمنات الاحياء منهم والاموات

﴿ وابو يوسف ومحمد ﴾ هما اصحاب ابي حنيفة وهما مختصان به كاختصاص الشافعي بمالك ولعل خلافهما له يقارب خلاف الشافعي لمالك وكل ذلك اتباعا للدليل وقياما بالواجب والشافعي قرر سؤال اصحابه والكتاب والسنة وكان كثير الاتباع لما صح عنده من الحديث ولهذا كان عبد الله بن الحكم يقول لابنه يابنى الزم هذا الرجل فانه صاحب حجج فما بينك وبين ان يقول قال ابن القاسم فيضحك منك الا ان تخرج من مصر *

﴿ قال محمد ﴾ فلما صرت الى العراق جلست الى حلقة فيها ابن ابى داود . فقلت قال ابن القاسم فقال ومن ابن القاسم فقلت رجل مفت يقول من مصر الى اقصى المغرب واظنه قال ﴿ قلت ﴾ رحم الله ابى وكان مقصود أبيه اطلب الحجة لقول اصحابك ولا تتبع فالتقليد انما يقبل حيث يعظم المقلد بخلاف الحجة فانه يقبل في كل مكان فان الله اوجب على كل مجتهد ان يقول بموجب ماعنده من العلم . والله يخص هذا من العلم والفهم مالا يختص به هذا . وقد

يكون هذا هو المخصوص بمزيد العلم والفهم فى نوع من العلم اوباب منه او مسألة . وهذا هو مخصوص بذلك فى نوع آخر . لكن جملة مذاهب اهل المدينة النبوية راجحة في الجملة على مذاهب اهل المغرب والمشرق . وذلك يظهر بقواعد جامعة *

﴿ هذا آخر ما نقلناه من كلام شيخ الاسلام فى ترجيح مذهب أهل المدينة ﴾

وبه يعلم ما كان عليه من الاعتقاد الصحيح والفطنة الزائدة والفهم الكثير فان كل من تكلم على فضل المدينة تكلم اجمالا ولم يبين الفضل بالدليل والسبب . وكتابه هذا كتاب جليل . وقد نقلنا منه ما نقلنا حرصا على حفظ فوائده . وقد بقى منه كلام طويل تكلم فيه على قواعد جامعة تفيد رجحان مذهب المدنيين فعليك به ان اردته . مقصودنا مما ذكرنا بيان افلاس النبهاني الجاهل من كل فضيلة وانه ينقل فى كتابه ما يقصد به تعظيم حجم الكتاب من غير فهم لما ينقله ولا محاكمة بل انه يقلد غلاة شيوخه تقليد اعمى ومع ذلك يجعل نفسه من المتبعين . ويرمي شيخ الاسلام ومن هو على مسلكه بانهم من المبتدعين ولا بدع منه فانه ممن قال الله فيه (وقالوا لو كنا نسمع او نعقل ما كنا فى أصحاب السعير *

﴿ ثم ان النبهانى عقد فصلا فى ذكر شئ مما لا ينبغي فعله للزائر ونقل أقوالا عن ابن حجر واضرابه ينقض بعضها بعضا وساق منها جملة من العبارات ﴾

انظر الى ما قاله ابن حجر فى التحفة والزواجر مع ما ذكره فى الجوهر المنظم تجد المناقضة ظاهرة قال في التحفة . وقد افتى جمع بهدم كل ما فى قرافة مصر من الابنية حتى قبة امامنا الشافعي التى بناها بعض الملوك وينبغى لكل أحد هدم ذلك مالم يخش منه مفسدة فيتعين الرفع للامام أخذا من كلام ابن الرفعة انتهى *

وقال فى الزواجر ومن أعظم أسباب الشرك الصلاة عند القبور واتخاذها مسجدا . ويجب ازالة كل منكر عليها . ويجب المبادرة لهدمها وهدم القباب التى على القبور اذ هى أضر من مسجد الضرار لانها أسست على معصية رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه نهى عن ذلك وأمر بهدم القبور ويجب ازالة كل قنديل اوسراج على قبر ولا يصح وقفه اونذره . (وقال أيضا فى الزواجر) ومن الكبائر اتخاذ القبور مساجد وايقاد السراج عليها واتخاذها أوثانا والطواف بها والصلاة اليها انتهى *

وقد نقض ذلك كله في كتابه الجوهر المنظم . فاباح كل ما منعه في ذينك الكتابين . حتى قال بجواز السجود للقبور اذا غلب الحال على أهل الاحوال . وذكر فيه من الغلو ما فيه قرة لعيون الغلاة . ولولا خوف التطويل لنقلنا كلامه كله والكتاب متداول بين الناس ثم ان النبهاني عقد بابا آخر في مشروعية الاستغاثة به صلى الله تعالى عليه وسلم وضمنه أربعة فصول (أولها) ذكر فيه أحاديث وردت في استغاثة الناس به صلى الله عليه وسلم في حياته (وثانيها) في أحاديث الشفاعة يوم القيامة (وثالثها) في بعض ما قاله العلماء واثبتوا به مشروعية الاستغاثة به صلى الله عليه وسلم (ورابعها) في توضيح هذه المسألة من قبل مؤلف الكتاب *

أقول ومن الله المعونة وبيده أزمة التوفيق * ان الكلام على ما حواه كلامه من الكذب والزور والبطلان يطول جدا فضلا عما اشتملت عليه عبارته من الغلط وفساد التركيب وسوء التعبير فكتابه كله ظلمات بعضها فوق بعض فلو تكلمنا على ذلك كله لطال الكلام . وكلت عن رقمه الاقلام . فان النبهاني هذا هو من أعظم الغلاة المحادين لله ورسوله وكلامه كله باطل وجهل مركب وبهت لاهل الحق . وليس فيه جملة واحدة توافق الحق أصلا * فالحمد لله الذي خذل أعداء دينه وجعلهم عبرة لاوليائه وعباده المؤمنين . اما مشروعية الاستغاثة ففيها تفصيل اذ الاستغاثة بالشيء على ما ذكره بعض المحققين طلب الاغاثة والغوث منه كما ان الاستعانة طلب الاعانة منه فاذا كانت بنداء من المستغيث للمستغاث كان ذلك سؤالا منه وظاهر ان ذلك ليس توسلا به الى غيره اذ قد جرت العادة أن من توسل باحد عند غيره أن يقول لمستغاثه استغيثك على هذا الامر بفلان فيوجه السؤال اليه ويقصر أمر شكواه عليه . ولا يخاطب المستغاث به ويقول له ارجو منك او أريد منك واستغيث بك . ويقول أنه وسيلتي الى ربي وان كان كما يقول فما قدر المتوسل اليه حق قدره وقد رجا وتوكل والتجا الى غيره كيف واستعمال العرب يأبى عنه فان من يقول صار لي ضيق فاستغثت بصاحب القبر . فحصل الفرج يدل دلالة جلية على انه قد طلب الغوث منه ولم يفد كلامه أنه توسل به بل انما يراد هذا المعنى اذا قال توسلت او استغثت عند الله بفلان او يقول لمستغاثه استغثت اليك بفلان فيكون حينئذ مدخول الباء متوسلا به ولا يصح ارادة هذا المعنى اذا قلت استغثت بفلان وتريد التوسل به سيما اذا كنت داعيه وسائله بل قولك هذا . نص على ان مدخول الباء مستغاث وليس مستغاثا به والقرائن التي

تكتنفه من الدعاء وقصر الرجاء والالتجاء شهود غدول ولا محيد عما شهدت به ولا عدول فهذه الاستغاثه وتوجه القلب الى المسؤل بالسؤال والانابة محظورة على المسلمين لم يشرعها الاحد من أمته رسول رب العالمين * وهل سمعتم ان أحدا فى زمانه صلى الله عليه وسلم او ممن بعده فى القرون المشهود لاهلها بالنجاة والصدق وهم أعلم منا بهذه المطالب وأحرص على نيل مثل تلك الرغائب . استغاث بمن يزيل كربته التى لا يقدر على ازالتها الا الله ام كانوا يقصرون الاستغاثة على مالك الامور ولم يعبدوا الا اياه (ولقد) جرت عليهم أمور مهمة وشدائد مدلهمة فى حياته صلى الله عليه وسلم وبعد وفاته فهل سمعت عن أحد منهم أنه استغاث بالنبي صلى الله عليه وسلم اوقالوا انا مستغيثون بك يارسول الله أم بلغك انهم لاذوا بقبره الشريف وهو سيد القبور حين ضاقت منهم الصدور (كلا) لا يمكن لهم ذلك وان الذى كان بعكس ما هنالك فلقد اثنى الله عليهم ورضى عنهم فقال عز من قائل اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم مبينا لنا ان هذه الاستغاثة أخص الدعاء وأجلى أحوال الالتجاء . وهى من لوازم السائل المضطر الذى يضطر الى طلب الغوث من غيره فيخص نداءه لدى استغاثته بمزيد الاحسان فى سره وجهره فنى استغاثته بغيره تعالى عند كربته تعطيل لتوحيد معاملته *

﴿ فان قلت ﴾ ان للمستغاث بهم قدرة كسبية وتسببية فتنسب الاغاثة اليهم بهذا المعنى *

﴿ قلنا له ﴾ ان كلامنا فيمن يستغاث به عند الملم مالا يقدر عليه الا الله أو لسؤال مالا يعطيه ويمنعه الا الله . وأما فيما عدى ذلك مما يجرى فيه التعاون والتعاضد بين الناس واستغاثة بعضهم ببعض فهذا شيء لا نقول به ونعد منعه جنونا كما نعد اباحة ماقبله شركا وضلالا . وكون العبد له قدرة كسبية . لايخرج بها عن مشيئة رب البرية لا يستغاث به فيما لا يقدر عليه الا الله ولا يستعان به ولا يتوكل عليه ولا يلتجأ فى ذلك اليه . فلا يقال لاحد حى أو ميت . قريب أو بعيد . ارزقني أو أمتنى . أو أحى ميتى . أو اشف مريضى الى غير ذلك مما هو من الافعال الخاصة بالواحد الاحد الفرد الصمد بل يقال لمن له قدرة كسبية قد جرت العادة بحصولها ممن أهله الله لها . اعني فى حمل متاعي أو غير ذلك . والقرآن ناطق بخطر الدعاء عن كل أحد لا من الاحياء ولا من الاموات سواء كانوا أنبياء أو صالحين أو غيرهم . وسواء كان الدعاء بلفظ الاستغاثة أو بغيرها فان الامور الغير المقدرة للعباد لاتطلب الا من خالق القدر

ومنشى البشر كيف والدعاء عبادة وهي مختصة به سبحانه . أسبل الله علينا بفضله عفوه ورضوانه فالقصر على ماتعبدنا فيه من محض الايمان . والعدول عنه عين المقت والخذلان *

﴿ وهذا ﴾ خلاصة ماذكروه من جعل الاستغاثة والاستشفاع بغير الله شركا ظاهرا لايغفر ومتعاطيه جاعل لله ندا فيذبح بامر الله تعالى وشرع رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لم يتب ويغفر *

﴿ وبالجملة ﴾ فالاستغاثة والاستعانة والتوكل أغصان دوحة التوحيد . المطلوب من العبيد *

﴿ بقي ههنا شئ ﴾ يورده المجيزون على هؤلاء المانعين . وهو انه لاشك ان من عبد غير الله . شرك حلال الدم والمال وان الدعاء لمختص بالله سبحانه عبادة بل هو مخ العبادة . ولكن لانسلم ان طلب الاغاثة ممن استغيث بهم شرك مطلقا . وانما يكون شركا لو كان المستغيث معتقدا انهم هم الفاعلون لذلك خلقا وايجادا فحينئذ يكون من الشرك الاعتقادي قطعا . أما من اعتقدهم الفاعلين كسبا وتسببا فليس بمسلم ولئن سلمنا فليس المقصود من طلب الاغاثة منهم وندائهم الا التوسل بهم وبجاههم وان كان اللفظ ظاهرا يدل على الطلب منهم وانهم المطلوبون بهذا النداء لكن مقصود المستغيث التشفع والتوسل بهم الى ربهم وهو صلى الله عليه وسلم من أشرف الوسائل الى الله سبحانه . وقد أمرنا سبحانه بتطلب مايتوسل به . فقال تعالى وابتغوا اليه الوسيلة فكيف تحظرونها بل تجعلونها شركا مخرجا عن الملة وليس في قلوب المسلمين الا هذا المعنى . وان في ذلك تكفير أكثر الناس . من غير ارتياب والتباس . وكيف تحكمون على اناس قد أظهروا شعائر الاسلام من أذان وصلاة . وصوم وحج وايتاء زكاة . يأتون بكلمة التوحيد . ويحبون الله ويحبون سيد المرسلين . ويتلقون بالقبول التام ماجاء عنهما من أمور الدين . وغاية الامر انهم لرهبتهم من ربهم ومعرفتهم بعلو مرتبة نبيهم وما وعده الله سبحانه من ارضاءه في أمته كما قال سبحانه ولسوف يعطيك ربك فترضى ولا يرضى صلى الله عليه وسلم الا بان يقف لامته في مثل هذه التوسلات فينالوا الرغبات . وليس في أقوالكم هذه الا تنقص بحق هذا النبي الذي أوجب الله علينا حبه أكثر من محبتنا لانفسنا . وفي مثل ذلك بشاعة في القول . وشناعة بطريق الاول *

﴿ فالجوب عنه منهم ان قالوا ﴾ أما أول اعتراضكم وقولكم انه ليس مقصودهم الا التوسل

وان تكلموا بما يفيد غيره فانه يدل على ان الشرك لايكون الا اعتقاديا وانه لايكون كفرا الا اذا طابق الاعتقاد . وهذا يقتضى سد أبواب الشرائع باسرها ومحو الابواب التى ذكرها الفقهاء فى الردة ومحقها كيف وان الله سبحانه يقول • ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم • وقال سبحانه أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤون لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم ﴿ وقد ذكر المفسرون ﴾ انهم قالوها على جهة المزح — وكذلك العلماء كفروا بالفاظ سهلة جداء وبافعال تدل على ماهو دون ذلك • ولو فتحناهذا الباب لامكن لكل من تكلم بكلام يحكم على قائله بالردة ان يقول لم تحكمون بردتى فيذكر احتمالا ولو بعيداً يخرج به عما كفر فيه . ولما احتاج الى توبة ولا توجه عليه لوم أبداً ولساغ لكل أحد ان يتكلم بكل ما أراد فتنسد الابواب المتعلقة باحكام الالفاظ من حد قذف وكفارة يمين وظهار ولانسدت أبواب العقود من نكاح وطلاق وغير ذلك من الفسوخ والمعاملات فلا يتعلق حكم من الاحكام باى لفظ كان الا اذا اعتقد المعنى وان أفيد بوضع الالفاظ *

﴿ وأما ماذكرتم ﴾ من انه أشرف الوسائل فهى كلمة حق أريد بها باطل كقولكم انه ذوالجاه العريض والمقام المنيع ونحن أولى بهذا المقام منكم لاتباعنا لاقواله وأفعاله *

واقتدائنا به صلى الله عليه وسلم فى جميع أحواله مقتفين لآثاره واقفين عند أخباره فهو صلى الله عليه وسلم نبينا وهادينا الى سبل الاسلام ومنقذنا برسالته من مهاوى أولئك الجفاة الطغام فلا نعمل الا بامره ونتلقي ذلك بالسمع والطاعة في حلوه ومرّه وقد أوجب علينا ان نتبع سبيل المؤمنين ونهانا عن الغلو في الدين فان غلونا فاننا اذا عن الصراط نا كبون ولئن عدلنا انا اذا لخاسرون *

وكيف يحسن طريق يؤدى الى الاشراك وانى يليق بالموحدين هذا الوجه المؤدي للارتباك • وهذا طريق سلفنا الصالح وهو الاعتقاد الصحيح الراجح هذا وان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وأرواحنا له الفداء لايرضى بما يغضب الرب المتعال — وكيف لا وقد بعث بحماية التوحيد من هذه الاقوال والافعال * وقد قالت عائشة رضي الله تعالي عنها عن خلق النبي صلى الله عليه وسلم كان خلقه القرآن يرضى لرضاه ويسخط لسخطة فليس لنا وسيلة الى الله الا الدعاء المبني على اصول الذل والافتقار والثناء فهو الوسيلة التى أمرنا الله سبحانه بالتوسل به وجعله من

أفضل الوسائل وأخبرنا انه مخ عبادته تحقيقا لعبديتنا فسد به عن غيره أبواب الذرائع *
﴿ وقد اختلف العلماء ﴾ بعد ان اتفقوا على استحباب سؤال الله تعالى به وباسمائه وبصفاته وأفعاله وبصالح أعمالنا التى حصلت لنا بمحض كرمه وافضاله فى جواز التوسل بالذوات المنيفة والاماكن والاوقات الشريفة * فعن العز بن عبدالسلام ومن تابعه عدم الجواز الا بالنبي صلى الله عليه وسلم حيث صح الحديث فيجوز ويكون ذلك خاصا به لعلو رتبته * وعن الحنابلة فى أصح القولين مكروه كراهة تحريم * ونقل الفقهاء الحنفية عن بشر بن الوليد انه قال سمعت أبا يوسف يقول قال أبو حنيفة لا ينبغى لاحد ان يدعو الله الا به . وفى جميع متونهم ان قول الداعي المتوسل بحق الانبياء والرسل وبحق البيت والمشعر الحرام مكروه كراهة تحريم * وقال القدورى المسألة بخلقه تعالى لا تجوز لانه لا حق للمخلوق على الخالق * وأما حديث أسألك بحق السائلين عليك وبحق ممشاى هذا وبحق نبيك والانبياء من قبلى ففيها وهن وعلى تسليمها فالمراد بهذا الحق ما أوجبه الله تعالى على نفسه وذلك من أفعاله لان حق السائلين الاجابة . وحق المطيعين الاثابة . وحق الانبياء التقريب والتفضل بما يخص أولئك العصابة صلى الله تعالى عليهم وسلم وذلك كقوله تعالى وكان حقا علينا نصر المؤمنين . وقوله تعالى وعدا علينا حقا فى التوراة والانجيل والقرآن . وقوله كتب ربكم على نفسه الرحمة . وقوله صلى الله تعالى عليه وسلم حق الله على العباد ان يعبدوه ولا يشركوا به شيئا . وحق العباد على الله ان لا يعذبهم *
﴿ والسؤال بالاعمال ﴾ لان المشى الى الطاعة امتثالا لامره عمل طاعة وذلك من أعظم الوسائل المأمور بها فى قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة) ومن نظر الى الادعية الواردة فى الكتاب والسنة لم يجدها خارجة عما ذكرنا . قال الله تعالى فى دعاء المؤمنين (ربنا اننا سمعنا مناديا ينادى للايمان ان آمنوا بربكم فآمنا) وقوله تعالى (انه كان فريق من عبادي يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين) وقوله تعالى عن الحواريين (ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين) وكان ابن مسعود يقول اللهم انك أمرتنى وأطعتك ودعوتنى فاجبتك فاغفر لى ودعاء النبي صلى الله عليه وسلم الذى جمعه العلماء لا يخرج عن هذا النمط وخلاف ذلك يعد كالخروج عن جادة الصواب والشطط فاتبع أيها الناظر نبيك المصطفى تسلم من اللغط والغلط . هذا ما كان من تحرير مدعي المانعين وتقريره على وجه أبان عن لباب

تلخيصهم بتسطيره. ثم أخذ يذكر الجواب عما استدل به المجوزون فان أردت الوقوف عليه فارجع الى كتاب العقد الثمين *

﴿ فتبين مما نقلناه ﴾ ان الاستغاثة بمخلوق بما لا يقدر عليه الا الله تعالى مما لا يجوز فان الاستغاثة دعاء والدعاء عبادة بل مخ العبادة. وغير الله تعالى لا يعبد بل هو المخصوص بالعبادة فاذا أصاب الناس جدب وقحط فلا يقال يارسول الله ارفع عنا القحط والجدب. واذا نزل بالناس بلاء أو وباء فلا يقال يارسول الله أو ياجبريل أو ياميكائيل ارفع عنا البلاء والوباء. واذا مرض أحد فلا يقول يارسول الله شافني وعافني ولا غيره واذا احتاج أحد الى رزق فلا يقول يارسول الله ارزقني ولا غيره. واذا لم يكن لاحد ولد فلا يجوز له ان يقول يارسول الله اعطني ولدا واذا كان في شدة في بر أو بحر فلا يجوز ان يقول يارسول الله أدركني أو التجئ اليك أو استغيث بك او نحو ذلك بل كل ذلك شرك يخرج عن الدين لانه عبادة لغير الله . ونحن نوضح المسألة فقد زلت فيها اقدام فنبين اولا معنى العبادة . ثم نذكر ما هو من خصائص الالوهية ومن الله نستمد التوفيق *

﴿ اما العبادة ﴾ فهي في اللغة الذل والانقياد واصطلاحا اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الاقوال والاعمال الباطنة والظاهرة كالتوحيد فانه عبادة في نفسه والصلاة والزكاة والحج وصيام رمضان والوضوء وصلة الارحام وبر الوالدين والدعاء والذكر والقراءة وحب الله وخشية الله والانابة اليه واخلاص الدين له والصبر لحكمه . والشكر لنعمه . والرضاء بقضائه . والتوكل عليه والرجاء لرحمته . والخوف من عذابه . وغير ذلك مما رضيه واحبه فامر به وتعبد الناس فيه . قال العلامة عمر بن عبد الرحمن الفارسي في كشفه على الكشاف الزمخشري عند تفسير قوله تعالى يا ايها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم وهو خطاب لمشركي اهل مكة ونقل عن علقمة ان كل خطاب بيا ايها الناس فهو مكي وبيا ايها الذين آمنوا فهو مدني مالفظه تحرير الكلام فيه ان العبادة قد تطلق على اعمال الجوارح بشرط قصد القربه . ومنه قوله صلى الله عليه وسلم لفقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد وهي على هذا غير الايمان بمعني التصديق والنية والاخلاص بل مشروطة بها . وقد تطلق على التحقق بالعبدية بارتسام ما امر السيد جل وعلا او نهى . وعلى هذا يتناول الاعمال والعقائد القلبية ايضاً فيدخل فيها الايمان وهو عبادة في نفسه وشرط لسائر

العبادات انتهي *

وقال ابن القيم في شرح منازل السائرين مانصه . فالعبادة تجمع أصلين غاية الحب بغاية الذل والخضوع والعرب تقول طريق معبد اى مذلل والتعبد التذلل والخضوع فمن أحببته ولم تكن خاضعا له لم تكن عابدا له ومن خضعت له بلا محبة لم تكن عابدا له حتى تكون محبا خاضعا ثم قال في مكان آخر من شرحه هذا . مراتب العبودية واحكامها لكل واحد من القلب واللسان والجوارح فواجب القلب منه متفق على وجوبه . ومختلف فيه . فالمتفق على وجوبه كالاخلاص والتوكل والمحبة والصبر والانابة والخوف والرجاء والتصديق الحازم والنية للعبادة . وهذه قدر زائد على الاخلاص فان الاخلاص افراد المعبود عن غيره ونية العبادة لها مرتبتان (أحدهما) تمييز العبادة عن العادة (والثانية) تمييز مراتب العبادات بعضها عن بعض . والاقسام الثلاثة واجبة وكذلك الصدق والفرق بينه وبين الاخلاص ان للعبد مطلوبا وطلبا فالاخلاص توحيد مطلوبه والصدق توحيد الطلب . فالاخلاص ان لايكون المطلوب منقسما والصدق ان لايكون الطلب منقسما . فالصدق بذل الجهد . والاخلاص افراد المطلوب واتفقت الامة على وجوب هذه الاعمال على القلب من حيث الجملة . وكذلك النصح في العبودية ومدار الدين عليه وهو بذل الجهد فى ايقاع العبودية على الوجه المحبوب للرب المرضى به . واصل هذا واجب وكماله مرتبة المقربين . وكذلك كل واحد من هذه الواجبات القلبية له طرفان واجب مستحق وهو مرتبة اصحاب اليمين وكمال مستحب وهو مرتبة المقربين . انتهي بعض ماقاله في بعض عبودية القلب . وعقبه بعبوديه اللسان الواجب منها والمستحب . وعبودية الجوارح الواجب منها والمستحب ايضا . ومن اشتغل بالنظر الى أنواع العبادات هان عليه تمييزها والله الهادى الى سواء السبيل *

﴿ وبالجملة ﴾ فكل عبادة فهى مقصورة على الاله الواحد من أعمال القلوب والجوارح فكما لو صلى لغير الله او صام على وجه التقرب اليه كان كافرا مشركا عند جميع الناس فكذلك من تقرب اليه بالاعمال القلبية المذكورة من التوكل والانابة والخوف والرجاء وغير ذلك لكن لما كانت هذه الامور القلبية من التأله وكان الاولون يتألهون بها ويسمون من تأله بها الها . وكان مرجع كل ذلك الى القلب واعماله التى هي منبع التوحيد ومصدر هذا الدين والمرجع اليه فى الشك واليقين . ومع ذلك فهى الفارقة بين الاله الحق الذى اختص بها على الدوام *

والاله الباطل الذى لايحوم الموحد حوله بهذا المقام كان ذلك هو الداعى للتخصيص والموجب للتنصيص . وايضا فالكلام على من حصل منه الشرك بما تالهه فى قلبه ورسخ بفؤاده ولبه من الاعمال الغير المختصة بالمسلمين واما هذه الاعمال الظاهرة الشرعية المختصة بهم فلايتعاطاها احد لمن سواه ولم نرها تعمل الا لله ولم يعبدوابها الا اياه فهذا هو الذى اوجب تخصيصهم لهذه الاعمال القلبية وبعض البدنية كالسجود وحلق الرأس عبودية . والا فجميع العبادات قلبيها وقوليها وبدنيها مختصة به سبحانه وتعالى لاتصلح الا له — قال المحقق السعد التفتازانى في شرحه للمقاصد مانصه اعلم ان حقيقة التوحيد اعتقاد عدم الشريك فى الالوهية وخواصها ولا نزاع بين أهل الاسلام ان خلق الاجسام وتدبير العالم واستحقاق العبادة من الخواص . ثم قال فى آخر هذا المبحث . وبالجملة فان التوحيد فى الالوهية واجب شرعا وعقلا وفى استحقاق العبادة شرعا . وما أمروا الا ليعبدوا الها واحدا سبحانه وتعالى عمايشركون انتهى *

وقد أفرد شيخ الاسلام لتحقيق معنى العبادة رسالة مفيدة وهى رسالة العبودية فراجعها *

﴿ وأما الثانى أعنى ماهو من خصائص الالوهية ﴾ فاعلم ان توحيد الله تعالى بالتعظيم كما قاله العلامة القرافي فى كتاب الفروق ثلاثة اقسام واجب اجماعا وغير واجب اجماعا ومختلف فيه هل يجب توحيد الله تعالى به ام لا *

﴿ القسم الاول ﴾ الذى يجب توحيد الله تعالى به من التعظيم بالاجماع فذلك كالصلوات على اختلاف انواعها والصوم على اختلاف رتبه فى الفرض والنفل والنذر فلا يجوز ان يفعل شئ من ذلك لغير الله تعالى وكذلك الحج ونحو ذلك اى كالاستغاثة والاستعانة والالتجاء وكذلك الخلق والرزق والامانة والاحياء والبعث والنشر والسعادة والشقاء والهداية والاضلال والطاعة والمعصية والقبض والبسط فيجب على كل أحد أن يعتقد توحيد الله تعالي وتوحده بهذه الامور على سبيل الحقيقة وان أضيف شئ منها لغيره تعالى فانما ذلك على سبيل الربط العادى لا ان ذلك المشار اليه فعل شيأ حقيقة كقولنا قتله السم واحرقته النار وارواه الماء فليس شيء من ذلك يفعل شيأ مما ذكر حقيقة بل الله تعالى ربط هذه المسببات بهذه الاسباب كما شاء وأراد ولو شاء لم يربطها وهو الخالق لمسبباتها عندوجودها لا ان تلك الاسباب هى الموجدة وكذلك أخبار الله تعالى عن عيسى عليه السلام أنه كان يحيي الموتى ويبرئ الاكمه والابرص

معناه ان الله تعالى كان يحيي الموتى ويبرئ عند إرادة عيسى عليه السلام لذلك لاأن عيسى عليه السلام هو الفاعل لذلك حقيقة بل الله تعالى هو الخالق لذلك ومعجزة عيسى عليه السلام فى ذلك ربط وقوع ذلك الاحياء وذلك الابراء بارادته . فان غيره يريد ذلك ولا يلزم ارادته ذلك فاللزوم بارادته هو معجزته عليه السلام — وكذلك جميع ما يظهر على أيدى الانبياء والاولياء من المعجزات والكرامات . الله تعالى هو خالقها — وكذلك يجب توحيده تعالى باستحقاق العبادة والالهية وعموم تعلق صفاته تعالى فيتعلق علمه بجميع المعلومات وارادته بجميع الكائنات . وبصره بجميع الموجودات الباقيات والفانيات وسمعه بجميع الاصوات . وخبره بجميع المخبرات فهذا ونحوه توحيدواجب بالاجماع من أهل الحق لا مشاركة لاحد فيه *

(ثم ذكر القسم الثانى) وهو المتفق على عدم التوحيد فيه والتوحد ومثل له بالوجود والعلم ونحوهما واطنب فيه . ثم ذكر القسم الثالث وهو الذي اختلف فيه هل يجب توحيد الله تعالى به ام لا . قال فهذا هو التعظيم بالقسم فهل يجوز أن يقسم بغير الله تعالى فلا يكون من التعظيم الذى وجب التوحيد فيه او لا يجوز فيكون من التعظيم الذى وجب التوحيد فيه وأطال الكلام فيه أيضا ومرادنا القسم الاول لان فيه قوله . وكذلك يجب توحيده تعالى باستحقاق العبادة . الخ وهذا هو المقصود بالنقل . ولا يخفى ما فى كلامه من المخالفة للنصوص بسبب القول بأقوال الكلابية وليس هذا موضع مناقشته بما ذكر *

وحيث اتسع الكلام بحسب المقام ننقل ما قاله الفاضل ابن القيم فى كتابه الجواب الكافى لمن سأل عن الدواء الشافى ما نصه *

ومن خصائص الالهية الكمال المطلق من جميع الوجوه الذى لا نقص فيه بوجه من الوجوه وذلك يوجب العبادة كلها له وحده والتعظيم والاجلال والحسبة والدعاء والرجاء والامانة والتوبة والتوكل والاستعانة وغاية الذل مع غاية الحب كل ذلك يجب عقلا وشرعا وفطرة ان يكون له وحده ويمنع الغير التشبيه ممن لا شبيه له ولا مثل له ولا ند له وذلك أقبح التشبيه وابطله ولشدة قبحه وتضمنه غاية الظلم أخبر سبحانه عباده سبحانه انه لا يغفره مع أنه كتب على نفسه الرحمة *

﴿ ومن خصائص الالهية ﴾ العبودية التى قامت على ساقين لا قوام لها بدونهما وهما غاية الحب مع غاية الذل هذا تمام العبودية وتفاوت منازل الخلق فيها بحسب تفاوتهم فى هذين الاصلين

فمن أعطى حبه وذله وخضوعه لغير الله فقد شبه به في خالص حقه. وهذا من المحال أن تجيء به شريعة من الشرائع وقبحه مستقر في كل فطرة وعقل * ولكن غرت الشياطين فطر اكثر الخلق وعقولهم وافسدتها عليهم واغتالتهم عنها . ومضى على الفطرة الاولى من سبقت له من الله تعالى الحسنى . فارسل اليهم رسله صلى الله عليهم وسلم وأنزل كتبه بما يوافق فطرهم وعقولهم فازدادوا بذلك نورا على نور يهدي الله لنوره من يشاء . اذا عرفت هذا *

﴿ فمن خصائص الالوهية ﴾ السجود فمن سجد لغيره فقد شبه المخلوق به (ومنها) التوكل فمن توكل على غيره فقد شبهه به (ومنها) التوبة فمن تاب الى غيره فقد شبهه به. (ومنها) الحلف باسمه تعظيما واجلالا فمن حلف بغيره على هذا الوجه فقد شبهه به انتهى ما قاله *

﴿ والمقصود من ذلك كله ﴾ القيام بالقسط الذى هو التوحيد وهو عبادة الله وحده لا شريك له قال عز من قائل (قل أمر ربي بالقسط وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين) وقال تعالى (واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا اجعلنا من دون الرحمن آلهة تعبدون فهذا التوحيد أعظم العدل وأقومه. واصل الدين ومحكمه. وذلك بان يكون الدين كله لله قولا وعملا واعتقادا باخلاص هذه الكلمة الطيبة فى لفظها ومعناها . شهادة أن لا اله الا الله وحده لا شريك له. وأن محمدا عبده ورسوله . وروح هذه الكلمة افراد الرب جل ثناؤه وتقدست اسماؤه . ولا اله غيره . بالمحبة والاجلال والتعظيم والخوف والرجاء وتوابع ذلك من التوكل والانابة والرغبة والرهبة فلا يحب سواه. وكلما يحب غيره فانما يحبه تبعا لمحبته وكونه وسيلة الى زيادة محبته ولا يخاف سواه ولا يرجو سواه . ولا يتوكل الا عليه. ولا يرغب الا اليه. ولا يرهب الا منه ولا يعمل عملا قد تعبد الناس به الا افرده به ولا يشرك غيره معه فيكون قد جمع جميع أنواع العبادات فيه قولا وعملا واعتقادا . وتحقق بما قال وهو كلمة لا اله الا الله ولا نعبد الا اياه مخلصين له الدين ولو كره المشركون*

وبهذه الحقوق التي هي حق الله تعالى على جميع عباده وحكمه الذى اوجبه على سائر مخلوقه تميز المسلمون . واستسلم اليه المستسلمون *

﴿ ولما كان الدعاء ﴾ لا يصدر في الغالب الا ممن قام بقلبه كمال الذل والافتقار . لاسيما في حالة الانكسار والاضطرار كان كما ورد فى الحديث مخ العبادة ومن وفق له فقد اوتى الحسنى

وزيادة . وهذا الذى ذكرته ملخص ماشار اليه المحققون انتهى *

* وبما ذكرنا من معنى الاستغاثة واختصاصها بالله تعالى * سقط ماذكره النبهانى وغيره من الغلاة الزائغين من ان الاستغاثة بالاصفياء جائزة . ولو كانت بالامور التي لايقدر عليها الا الله تعالى وهذا شرك محض وعبادة لغير الله تعالى وهو قول ليس عليه شبهة فضلا عن الدليل المقبول لدى أهل العلم * ثم انه * عقد فصلا ذكر فيه اربعين حديثا من أحاديث الشفاعة ولا كلام لنا فيها اذا طلبت منهم يوم القيامة . وأما فى الدنيا فانها تطلب من الله ان يشفع فيهم من يشفع وسيأتى بعض الكلام عليها ان شاء الله * ثم انه عقد فصلا آخر وهو الثالث * زعم انه ذكر ماقاله ائمة العلماء وأثبتوا به مشروعية الاستغاثة بغير الله تعالى . ونقل عبارة ابن حجر في الجوهر المنظم المشتملة على الاعتراض على الشيخ ابن تيمية فى انكاره الاستغاثة بغير الله تعالى وان التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم حسن فى كل حال قبل خلقه وبعد خلقه فى الدنيا والآخرة (قال ابن حجر) فمما يدل لطلب التوسل به صلى الله عليه وسلم ما أخرجه الحاكم وصححه انه صلى الله عليه وسلم وذكر الحديث . وفيه استغاثة آدم به وذكر حديث الاعمى وحديث التوسل بالاعمال وحديث استسقاء الرجل بقبر النبي صلى الله عليه وسلم * ثم ذكر كلام السبكي * الذى نقله ابن حجر بعينه قال وعبارة ابن حجر السابقة وان كانت كافية وافية فلا بأس بذكر بعض ماذكره السبكي وان تكرر بعضه مع ماتقدم عن ابن حجر لانه نقل كثيرا من عباراته وان لم ينسب بعضها اليه وساق كلام السبكى ونقل مثل ذلك عن أمثال هؤلاء الغلاة . (ثم قال) وقد يتوسل بذى الجاه الى من هو أعلى جاها منه والاستغاثة طلب الغوث والمستغيث يطلب من المستغاث به ان يحصل له الغوث من غيره وان كان ذلك الغير أعلى منه . فالتوجه والاستغاثه به صلى الله عليه وسلم وبغيره ليس لهما معنى فى قلوب المسلمين غير ذلك ولا يقصد بهما أحد منهم سواه فمن لم ينشرح صدره لذلك فليبك على نفسه . والمستغاث به فى الحقيقة هو الله تعالى والنبي صلى الله عليه وسلم واسطة بينه وبين المستغيث فهو سبحانه مستغاث به والغوث منه خلقا وايجادا والنبي مستغاث والغوث منه سببا وكسبا . انتهى ماخلص من كلامه *

* أقول وبالله التوفيق * أما مافى كلام هذا الجاهل الغبي من فساد التركيب وبشاعة التعبير فلسنا بصدد بيانه والكلام عليه يطول والغرض ابطال الدعوى ومعارضتها والكشف عن

حالها وحال ائمته السابقين من الامم المعارضين للرسل بآرائهم واهوائهم . ثم نتكلم ان شاءالله بعد الكلام على هذه المقالة على جميع شبههم الفاسدة * قال العلامة الشيخ عبد اللطيف رحمه الله تعالى فى كتابه منهاج التأسيس فى الرد على ابن جرجيس بعد ان نقل عن العراقي مثل مانقلنا عن النبهانى ﴿ والجواب ﴾ عن هذه الشبهة من وجوه *

﴿ الاول ﴾ ان الله سبحانه انما خلق خلقه لعبادته الجامعة لمعرفته ومحبته والخضوع له وتعظيمه وخوفه ورجائه والتوكل عليه والانابة اليه والتضرع بين يديه . وهذه زبدة الرسالة الالهية . وحاصل الدعوة النبوية . وهو الحق الذى خلقت له السموات والارض وأنزل به الكتاب وهو الغاية المطلوبة والحكمة المقصودة من ايجاد المخلوقات وخلق سائر البريات . قال تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون . ودعا سبحانه عباده الى هذا المقصود . وافترض عليهم القيام به حسب ما أمر والبراءة من الشرك والتنديد المنافى لهذا الاصل الذي هو المراد من خلق سائر العبيد . قال الله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء . وقال انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار . وقال ومن يشرك بالله فكانما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح فى مكان سحيق *

فالقول بجواز الاستغاثة بغير الله ودعاء الانبياء والصالحين وجعلهم وسائط بين العبد وبين الله . والتقرب اليهم بالنذور والنحر والتعظيم بالحلف وما أشبهه مناقضة ومنافاة لهذه الحكمة التى هى المقصودة بخلق السموات والارض وانزال الكتب وارسال الرسل وفتح لباب الشرك فى المحبة والخضوع والتعظيم ومشاقة ظاهرة لله ولرسله ولكل نبى كريم والنفوس مجبولة على صرف ذلك المذكور من العبادات . الى من أهلته لكشف الشدائد وسد الفاقات . وقضاء الحاجات من الامور العامة التى لايقدر عليها الا فاطر الارض والسموات *

﴿ الوجه الثانى ﴾ ان هذا بعينه قول عباد الانبياء والصالحين من عهد قوم نوح الى ان بعث اليهم خاتم النبيين ولم يزيدوا على ماقال هؤلاء الغلاة فيما انتحلوه من الشرك الوخيم . والقول الذميم كما حكى الله عنهم ذلك فى كتابه الكريم . قال تعالى ويعبدون من دون الله مالايضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله *

(وقال تعالى) والذين اتخذوا من دونه أولياء مانعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى *

(وقال تعالى) فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة بل ضلوا عنهم وذلك افكهم وما كانوا يفترون *

(فهذه النصوص) المحكمة صريحة في ان المشركين لم يقصدوا الا الجاه والشفاعة والتوسل بمعنى جعلهم وسائط تقربهم الى الله وتقضى حوائجهم منه تعالى . وقد أنكر القرآن هذا اشد الانكار . وأخبر ان أهله هم أصحاب النار . وان الله تعالى حرم عليهم الجنة دار أوليائه الابرار وجمهور هؤلاء المشركين لم يدعوا الاستقلال ولا الشركة فى توحيد الربوبية . بل قد أقروا واعترفوا بان ذلك لله وحده كما حكى سبحانه اقرارهم واعترافهم بذلك فى غير موضع من كتابه . (فحاصل) ماذكر من جواز الاستغاثة والدعاء والتعظيم بالنذر والحلف مع نفى الاستقلال وان الله يفعل لاجله هو عين دعوى المشركين . وتعليلهم وشبهتهم لم يزيدوا عليه حرفا واحدا الا انهم قالوا قربان وشفعاء . والغلاة سموا ذلك توسلا . فالعلة واحدة . والحقيقة متحدة *

﴿ الوجه الثالث ﴾ ان الله سبحانه أمر عباده بدعائه ومسألته والاستغاثة به وانزال حاجتهم وفاقتهم وضرورتهم به . (قال تعالى) واذا سألك عبادى عنى فانى قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان فليستجيبوا لى وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون . (وقال تعالى) وقال ربكم ادعونى أستجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين (وقال تعالى) أم من يجيب المضطر اذا دعاه الآية . وقال تعالى فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه . (وقال تعالى) يسأله من فى السموات والارض كل يوم هو في شأن . (وقال تعالى) فاذا فرغت فانصب والى ربك فارغب وفى الحديث من لم يسأل الله يغضب عليه وفيه الدعاء سلاح المؤمن وعماد الدين . وحديث النزول كل ليلة الى السماء الدنيا يقول تعالى هل من سائل فاعطيه . هل من مستغفر فاغفر له هل من تائب فأتوب عليه . وعلى مذهب الغلاة وقولهم باستحباب الاستغاثة بغير الله تعالى . وجعل الوسائط بين العباد وبينه تعالى يهدم هذا الاصل الذى هو أصل الدين . ويسد بابه ويشتغاث بالانبياء والصالحين . ويرغب اليهم فى حاجات الطالبين والسائلين وضرورات المضطرين من خلق الله أجمعين *

﴿ الوجه الرابع ﴾ ان الله تعالى دعا عباده بربوبيته العامة الشاملة لكليات الممكنات وجزئياتها فى الدنيا والآخرة وانفراده بالايجاد والتدبير والتأثير والتقدير والعطاء والمنع والخفض والرفع

والعز والذل والاحياء والامانة والسعادة والشقاوة والهداية والمغفرة والتوبة على عباده الى غير ذلك من أفعال الربوبية وآثارها المشاهدة المصنوعة الى معرفته وعبادته الجامعة لمحبته والخضوع له وتعظيمه ودعائه وترك التعلق على غيره محبة وتعظيما واستغاثة * قال تعالى أم من خلق السموات والارض وأنزل من السماء ماء فأنبتنا به جنات . الى قوله قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين (وقال تعالى) قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون الى قوله فانى تسحرون . (وقال تعالى) قل من يرزقكم من السماء والارض الى قوله أفلا تتقون . (فتأمل) هذه الآيات وما تضمنته من تقرير أفعال الربوبية التى لا يخرج عنها فرد من افراد الكائنات وأعرف ما سيقت له ودلت عليه من وجوب محبته تعالى وعبادته وحده لا شريك له وترك عبادة ما عبد من دونه من الانداد والآلهة والبراءة من ذلك *

﴿ وانظر ﴾ هل القوم المخاطبون بهذا زعموا الاستقلال لغير الكبير المتعال أم اقروا له سبحانه بالاستقلال والتدبير والتأثير وانما أتوا من جهة الواسطة والشفاعة والتوسل بدعاء غير الله وقصد سواه فيما يحتاجه العبد وما يهواه . وهذا صريح من تلك الحجج البينات . ونص هذه الآيات المحكمات . احتج سبحانه بما أقروا به من الربوبية والاستقلال على ابطال قصد غيره بالعبادة والدعاء والاستغاثة كما يفعله أهل الجهل والضلال . فاذا قيل تجوز الاستغاثة بالانبياء والصالحين ودعاؤهم والنذر لهم على انهم وسائط ووسائل بين الله وبين عباده وان الله يفعل لاجلهم . انهدمت القاعدة الايمانية . وانتقضت الاصول التوحيدية . وفتح باب الشرك الاعظم . وعادت الرغبات والرهبات . والمقاصد والتوجهات . الى سكان القبور والاموات ومن دعى مع الله من سائر المخلوقات . وهذه هى الغاية الشركية . والعبادة الوثنية . فنعوذ بالله من الضلال والشقاء والانحراف عن أسباب الفلاح والهدى .

﴿ الوجه الخامس ﴾ انه لا فلاح ولا صلاح ولا نجاح ولا نعيم ولا لذة للعبد الا بان يكون الله سبحانه هو الهه ومحبوبه ومستغاثه الذى اليه مفزعه عند الشدائد . واليه مرجعه في عامة المطالب والمقاصد . والعبد به فاقة وضرورة وحاجة الا ان يكون الله هو معبوده ومستغاثه اليه انابته ومفزعه . ولو حصلت له كل الكائنات وتوجه الى جميع المخلوقات لم تسد فاقته ولا تدفع ضرورته . ولا يحصل نعيمه وفرحه ويزول همه وكربه وشقاؤه الا بربه الذى من وجده

وجد كل شئ ومن فاته فاته كل شئ وهو أحب اليه من كل شئ وهذه فاقة وضرورة وحاجات لا يشبهها شئ فتقاس به وانما تشبه من بعض الوجه حاجة العبد الى طعامه وشرابه وقوته الذى يقوم بدنه به فان البدن لا يقوم الا بذلك وفقده غاية انعدام البدن وموته * وأما فقد محبة الله وعبادته ودعائه فعذاب وشقاء وجحيم فى الآخرة والاولى لا ينفعك بحال من الاحوال قال تعالى اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو فاما يأتينكم منى هدى فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى الى قوله ولعذاب الآخرة شد وأبقى * وقال تعالى الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مآب . (وفي حديث القدسي) حديث الاولياء يقول الله تعالى من عادى لى وليا فقد بارزنى بالمحاربة وما تقرب الىّ عبدى بمثل اداءماافترضت عليه ولا يزال عبدى يتقرب الىّ بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها فبي يسمع وبى يبصر وبى يبطش الحديث *

﴿ وعلى القول ﴾ بجعل الوسائط والشفعاء بين العباد وبين الله تقلع أصول هذا الاصل العظيم الذى هو قطب رحى الايمان وينهدم أساسه الذى ركب عليه البنيان فاي فرح وأي نعيم وأي فاقة سدت وأي ضرورة دفعت وأى سعادة حصلت وأي أنس وأطمئنان اذا كان التوجه والدعاء والاستغاثة والذبح والنذر لغير الملك الحنان المنان . سبحان الله ما اجرأ هذا المعترض على الله وعلى رسله وعلى دينه وعلى عباده المؤمنين *

اللهم انا نبرأ اليك مما جاء هذا المفترى وما قاله فى دينك وكتابك . وعلى عبادك وأوليائك . (قال تعالى) لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون . فصلاح السموات والارض بان يكون الله سبحانه هو الهها دون ما سواه ومستغاثها الذى تفرع اليه وتلجأ اليه فى مطالبها وحاجاتها . وقرر المتكلمون هنا تمانع وجود ربين مدبرين وانه لا صلاح للعالم الا بان يكون الله قيومه ومدبره * وقرر غيره من المحققين امتناع الصلاح بوجود آلهة تعبد وتقصد وترجى فالاول يرجع الى الربوبية . والثانى الى الالهية *

﴿ الوجه السادس ﴾ ان الشرع الذى جاء به محمد صلى الله عليه وسلم والسنة التى سنها فى قبور الانبياء والصالحين وعامة المؤمنين تنافي هذا القول الشنيع الذى افتراه هذا الجاهل وتبطله

وتعارضه فانه صلى الله عليه وسلم سن عند القبور ماصحت به الاحاديث النبوية . وجرى عليه عمل علماء الامة من السلام عند زيارتها والدعاء لاصحابها . وسؤال الله العافية لهم من جنس ما شرعه من الصلاة على جنائزهم ونهى عن عبادة الله عند القبور والصلاة فيها واليها وخص قبور الانبياء والصالحين بلعن من اتخذها مساجد يعبد فيها تعالى ويدعى . وتواترت بذلك الاحاديث خرجها أصحاب الصحيحين وأهل السنن ومالك فى موطئه *

﴿ فنها ﴾ قوله صلى الله عليه وسلم اللهم لا تجعل قبرى وثنا يعبد اشتدغضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد . وحديث ابن مسعود ان من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء والذين يتخذون القبور مساجد . وحديث أبى هريرة رضى الله عنه قاتل الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد . وحديث جابر بن عبد الله سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان يموت بخمس يقول انى أبرأ الى الله ان يكون لى منكم خليل . فان الله قد اتخذنى خليلا كما اتخذ ابراهيم خليلا ولو كنت متخذا من أهل الارض خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا . الا وان من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد الا فلا تتخذوا القبور مساجد فانى أنهاكم عن ذلك . وحديث عائشة لما نزل برسول الله صلى الله عليه وسلم طفق يطرح خميصة له على وجهه فاذا اغتم بها كشفها . فقال وهو كذلك لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد . قالت عائشة يحذر ماصنعوا ولولا ذلك لابرز قبره . ولكن خشى ان يتخذ مسجد . وفى رواية لمسلم وصالحيهم *

وانما نهى عن الصلاة عندها واتخاذها مساجد لما يفضى اليه من دعائها والاستغاثة بها وقصدها للحوائج والمهمات والتقرب اليها بالنذور والنحر ونحو ذلك من القربات فجاء الغلاة فهتكوا ستر الشريعة واقتحموا الحمى وشاقوا الله ورسوله وقالوا تدعى ويستغاث بها وترجى . ومن شم رائحة العلم وعرف شيئا مما جاءت به الرسل عرف ان هذا الذى قاله الغلاة من جنس عبادة الاصنام والاوثان مناقض لما دلت عليه السنة والقرآن . ولا يستريب فى ذلك عاقل من نوع الانسان.

﴿ الوجه السابع ﴾ ان الله تعالى نهى عن الغلو ومجاوزة الحد فيما شرعه من حقوق أنبيائه وأوليائه قال تعالى (يا أهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق) وقال تعالى (يا أهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن

سواء السبيل) وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه . قل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتطرونى كما اطرت النصاري ابن مريم انما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله . وعن ابن عباس فى قوله تعالى وقالوا لا تذرن آلهتكم ولاتذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا)هذه أسماء رجال صالحين فى قوم نوح فلما ماتوا أوحى الشيطان الى قومهم ان انصبوا لهم انصابا وصوروا تماثيلهم . فلما مات أولئك ونسى العلم عبدت وقل ابن القيم قال غير واحد من السلف عكفوا على قبورهم وصوروا تماثيلهم . فلما طال عليهم الامد عبدت * انتهى . (فانظر)الى مآل اليه الغلو بالتصاوير والعكوف من غير دعاء ولا عبادة فكيف بالدعاء والاستغاثة والتوسل والقول بان الله تعالى يفعل لاجلهم هذا نفس الشرك والاول وسيلته التى حدث الشرك بسببها — وقد قطع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وسيلة هذا الشرك وحمى الحمى وسد الذريعة حتى نهى عن الصلاة عندها واعتياد المجيء اليها بقوله فى أشرف القبور لاتجعلوا قبرى عيدا ولا بيوتكم قبورا . وصلوا على حيثما كنتم فان صلاتكم تبلغنى * ونهى عن رفع القبور وبعث على ابن أبى طالب ان لايدع تمثالا الا طمسه ولا قبرا مشرفا الا سواه . ونهى عن تعظيمها بايقاد السرج كل هذا صيانة للتوحيد وحماية لجانبه فرحم الله امرأ آمن بالجنة والنار وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم امامه ومعلمه وقدوته ولم يلتفت عما جاء به ولم يبال بمن خالفه وسلك غير سبيله وحن الى ما كان عليه السلف الصالح وائمة الهدى في هذا الباب وفى غيره أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور الرحيم) (قل اطيعوا الله والرسول فان تولوا فان الله لا يحب الكافرين)*

(الوجه الثامن) ان من أعرض عن الله وقصد غيره واعد ذلك الغير لحاجته وفاقته واستغاث به ونذر له ولاذ به فقد ساء الظن بربه * وأعظم الذنوب عند الله تعالى اساءة الظن به فان المسيء به الظن قد ظن به خلاف كما له المقدس فظن به ما يناقض اسماءه وصفاته ولهذا توعد سبحانه وتعالى الظانين به ظن السوء بمالم يتوعد به غيرهم كما قال تعالى (عليهم دائرة السوء وغضب الله عليهم ولعنهم واعد لهم جهنم وساءت مصيرا) وقال تعالى لمن انكر صفة من صفاته (وذلكم ظنكم الذى ظننتم بربكم ارداكم فاصبحتم من الخاسرين) وقال تعالى عن خليله ابراهيم عليه الصلاة والسلام) اذ قال لقومه ماذا تعبدون أئفكا آلهة دون الله تريدون فما ظنكم برب العالمين) اى فما

ظنكم ان يجازيكم اذا لقيتموه وقد عبدتم غيره وما ظننتم باسمائه وصفاته وربوبيته من النقص حتى احوجكم ذلك الى عبودية غيره فلو ظننتم به ما هو أهله من انه بكل شئ عليم . وعلى كل شئ قدير وانه غني عن كل ما سواه فقير اليه كل من عداه وأنه قائم بالقسط على خلقه وانه المنفرد بتدبير خلقه لا يشرك فيه غيره والعالم بتفاصيل الامور فلا تخفى عليه خافية من خلقه والكافى لهم وحده لا يحتاج الى معين . والرحمن بذاته فلا يحتاج فى رحمته الى من يستعطفه وهذا بخلاف الملوك وغيرهم . من الرؤساء فانهم محتاجون الى من يعرفهم أحوال الرعية وحوائجهم الذى يعينهم على قضاء حوائجهم والى من يسترحمهم ويستعطفهم بالشفاعة فاحتاجوا الى الوسائط ضرورة لحاجتهم وعجزهم وضعفهم وقصور علمهم * فاما القادر على كل شئ الغنى بذاته عن كل شئ العالم بكل شئ الرحمن الرحيم . الذى وسعت رحمته كل شئ فادخال الوسائط بينه وبين خلقه تنقص بحق ربوبيته والهيته وتوحيده وظن به ظن السوء . وهذا يستحيل ان يشرعه لعباده ويمتنع فى العقول والفطر وقبحه مستقر فى العقول السليمة فوق كل قبح . يوضح هذا ان العابد معظم لمعبوده متأله له خاضع ذليل له والرب تبارك وتعالى وحده هو الذى يستحق كمال التعظيم والاجلال والتأله والخضوع والذل وهذا فى خالص حقه . فمن اقبح الظلم ان يعطى حقه لغيره ويشرك بينه وبينه فيه ولاسيما اذا كان الذى جعل شريكه فى حقه هو عبده ومملوكه كما قال تعالى (ضرب لكم مثلا من انفسكم هل لكم مما ملكت ايمانكم من شركاء فيما رزقناكم فانتم فيه سواء تخافونهم كخيفتكم انفسكم) اي اذا كان أحدكم يأنف ان يكون مملوكه شريكه في رزقه فكيف تجعلون لى من عبيدى شركاء فيما انا منفرد به وهو الالهية التى لا تنبغى لغيرى ولا تصلح لسواى . فمن زعم ذلك فما قدرنى حق قدرى . ولا عظمني حق تعظيمى . ولا افردني كما انا منفرد به وحدى دون خلقي فما قدر الله حق قدره من عبد معه غيره كما قال تعالى (وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون) فما قدر من هذا شأنه وعظمته حق قدره من اشرك معه فى عبادته من ليس له شئ من ذلك البتة بل هو أعجز شيء واضعفه فما قدر القوى العزيز حق قدره من اشرك معه الضعيف الذليل * وكذلك ما قدره حق قدره من قال انه لم يرسل الى خلقه رسولا ولا انزل كتابا بل نسبه الى ما لا يليق به ولا يحسن منه من اهمال خلقه وتركهم سدى . وخلقهم باطلا

عبثا ولا قدره حق قدره من نفى حقائق اسمائه الحسنى وصفاته العليافنفى سمعه وبصره وارادته واختياره وعلوه فوق خلقه وكلامه وتكليمه لمن شاء من خلقه بما يريد او نفى عموم قدرته وتعلقها بافعال عباده من طاعتهم ومعاصيهم فاخرجها عن قدرته ومشيئته وخلقه. وجعلهم يخلقون لانفسهم ما يشاؤن بدون مشيئة الرب تبارك وتعالى فيكون فى ملكه مالا يشاء ويشاء مالا يكون تعالى الله عز وجل عن قول اشباه المجوس علوا كبيرا. وكذلك ما قدره حق قدره من قال انه يعاقب عبده على مالا يفعله العبد ولا له عليه قدرة ولا تأثير له فيها البتة بل هو نفس فعل الرب جل جلاله فيعاقب عبده على فعله وهو سبحانه وتعالى الذى جبر العبد عليه وجبره على الفعل أعظم من اكراه المخلوق المخلوق. فاذا كان من المستقر في الفطر والعقول ان السيد لو اكره عبده على فعل والجأه اليه ثم عاقبه عليه لكان قبيحا. فاعدل العادلين. وأحكم الحاكمين. وأرحم الراحمين. كيف يجبر العبد على فعل لا يكون للعبد فيه صنع ولا تأثير ولا هو واقع بارادته بل ولا هو فعله البتة ثم يعاقب عليه عقوبة الابد تعالى الله عز وجل عن ذلك علوا كبيرا. وقول هؤلاء شر من أقوال المجوس والطائفتان ما قدروا الله حق قدره وكذلك ما قدره من لم يصنه عن بئر ولا حش ولا مكان يرغب عن ذكره. بل جعله فى كل مكان وصانه عن عرشه ان يكون مستويا عليه. يصعد اليه الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه وتعرج الملائكة والروح اليه وتنزل من عنده ويدبر الامر من السماء الى الارض ثم يعرج اليه فصانه عن استوائه على سرير الملك. ثم جعله فى كل مكان يأنف الانسان بل غيره من الحيوان ان يكون فيه. وما قدره حق قدره من نفى حقيقة محبته ورحمته ورأفته ورضاه وغضبه ومقته ولا من نفى حقيقة حكمته التى هى الغايات المحمودة المقصودة بفعله. ولا من نفى حقيقة فعله ولم يجعل له فعلا اختياريا يقوم به بل أفعاله منقولات منفصلة عنه فنفى حقيقة محبته واتيانه واستوائه على عرشه وتكليمه موسى صلى الله عليه وسلم من جانب الطور ومجيئه يوم القيامة لفصل القضاء بين عباده بنفسه الى غير ذلك من أفعاله وأوصاف كماله التى نفوها وزعموا انهم بنفيها قدروا الله حق قدره وكذلك لم يقدره حق قدره من جعل له صاحبة وولدة وجعله يحل فى مخلوقاته وجعله عين هذا الوجود — وكذلك لم يقدره حق قدره من قال انه رفع أعداء رسله وأهل بيته وأهمل ذكرهم وجعل فيهم الملك والخلافة والعفو ووضع اولياء رسوله واهانهم

واذلهم وضرب عليهم الذلة اينما ثقفوا وهـذا يتضمن غاية القدح فى الرب تبارك وتعالى عن قول الرافضة علوا كبيرا وهذا القول مشتق من قول اليهود والنصارى فى رب العالمين انه أرسل ملـكا ظالما فادعى النبوة لنفسه وكذب على الله تعالى ومكث زمناطويلا يكذب عليه كل وقت . ويقول قال كذا وأمر بكذا ونهى عن كذا وينسخ شرائع أنبيائه ورسله ويستبيح دماء اتباعهـم واموالهم وحريمهم ويقول الله تعالى اباح لي ذلك والرب تبارك وتعالى يظهره ويؤيده ويعليه ويقويه ويجيب دعواته ويمكنه ممـن يخالفه ويقيم الادلة على صدقة ولا يعاديه احد الاظفر به فيصـدقه بقوله وفعله وتقريره ويحـدث ادلة تصدقه شيئا بعد شيء . ومعلوم ان هـذا يتضمن اعظم القدح والطعن فى الرب سبحانه وتعالى * وعلمه وحكمتـه ورحمتـه وربوبيته تعالى عن قول الجاحدين علوا كبيرا *

فوازن بين قول هذا وقول اخوانه من الرافضة تجد القولين رضيعى لبان ثدى أم تقاسى باسحم داج عوض لايتفرق — وكذلك لم يقدره حق قدره من قال انه يجوز ان يعذب أولياءه ومن لم يعصه طرفة عين ويدخلهم دار الجحيم وينعم أعداءه ومن لم يؤمن به طرفة عين ويدخلهـم دار النعيم وان كلا الامرين بالنسبة اليه سواء — وانما الخبر المحض جاء عنه بخلاف ذلك فمنعناه الخـبر لالمخالفة حكمته وعدله — وقد انكر سبحانه وتعالى فى كتابه على من تجوز عليه ذلك غاية الانكار وجعل الحـكم به من أسوء الاحكام * وكذلك لم يقدره حق قدره من زعم انه لايحيي الموتى ولا يبعث من فى القبور ولا يجمع خلقه ليوم تجازي فيه المحسن باحسانه والمسيء باساءته ويأخذ للمظلوم فيه حقه من ظالمه ويكرم المتحملين المشاق فى هذه الدار من أجله وفى مرضاته بافضل كرامته ويبين لخلقه الذى يختلفون فيه . وليعلم الذين كفروا انهم كانوا كاذبين * وكذلك لم يقدره حق قدره من هان عليه أمره فعصاه ونهيه فارتكبه . وحقه فضيعه . وذكره فاهمله ، وغفل قلبـه عنه ، وكان هواه آثر عنده من طلب رضاه وطاعتـه المخلوق اهم عنده من طاعته فالله الفضلة من قلبه وقوله وعمله وسواه المقدم فى ذلك لانه المهم عنده يستخف بنظر الله اليه واطلاعه عليه وهو في قبضته . وناصيته بيده ويعظم نظر المخلوق اليه واطلاعهم عليه بكل قلبه وجوارحه يستحي من الناس ولا يستحي من الله عز وجل ويخشى الناس ولا يخشى الله عز وجل . ويعامل الخلق بأفضل مايقدر عليه وان عامل الله عز وجل عامله باهون ماعنده

وأحقره وان قام فى خدمة الهه من البشر قام بالجد والاجتهاد وبذل النصيحة قد فرغ له قلبه وجوارحه وقدمه على كثير من مصالحه حتى اذا قام في حق ربه ان ساعده القدر قام قياما لا يرضاه مثله لمخلوق من مخلوقاته وبدا له مالم يستحى ان يواجه به مخلوقا لمثله فهل قدر الله حق قدره من هذا وصفه وهل قدره حق قدره من شارك بينه وبين عدوه فى محض حقه من الاجلال والتعظيم والطاعة والذل والخضوع والخوف والرجاء. فلو جعل من أقرب الخلق اليه شريكا في ذلك لكان ذلك جزاءه وتوثبا على محض حقه واستهانة به وشريكا بينه وبين غيره فيما لا ينبغى ولا يصلح الا له سبحانه وتعالى فكيف وانما شرك بينه وبين أبغض الخلق اليه وأهونهم عليه وأمقتهم عنده وهو عدو على الحقيقة فانه ما عبد من دون الله الا الشيطان كما قال تعالى (ألم أعهد اليكم يابنى آدم ان لا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين وان اعبدونى هذا صراط مستقيم) ولما عبد المشركون الملائكة بزعمهم وقعت عبادتهم فى نفس الامر للشيطان وهم يظنون انهم يعبدون الملائكة كما قال تعالى (ويوم نحشرهم جميعاً ثم يقول للملائكة أهؤلاء اياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن اكثرهم بهم مؤمنون) فالشيطان يدعو المشرك الى عبادته ويوهمه انه ملك — وكذلك عباد الشمس والقمر والكواكب يزعمون انهم يعبدون روحانيات هذه الكواكب وهى التى تخاطبهم وتقضي لهم الحوائج ولهذا اذا طلعت الشمس قارنه الشيطان لعنه الله تعالى فيسجد لها الكفار فيقع سجودهم له — وكذلك عند غروبها — وكذلك من عبد المسيح وامه لم يعبدهما وانما عبد الشيطان فانه يزعم انه يعبد من أمره لعبادته وعبادة امه ورضيها لهم وامرهم بها * وهذا هو الشيطان الرجيم لعنه الله تعالى لا عبد الله ورسوله. ونزل هذا كله على قوله تعالى (ألم أعهد اليكم يابنى آدم أن لا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين) فما عبد أحد من بنى آدم غير الله عز وجل كائنا من كان الا وقعت عبادته للشيطان فيستمتع العابد بالمعبود فى حصول غرضه ويستمتع المعبود بالعابد فى تعظيمه له واشراكه مع الله الذى هو غاية رضا الشيطان — ولهذا قال تعالى (ويوم نحشرهم جميعا يامعشر الجن قد استكثرتم من الانس) من اغوائهم واضلالهم (وقال أولياؤهم من الانس ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا أجلنا الذى أجلت لنا قال النار مثواكم خالدين فيها الا ما شاء الله ان ربك حكيم عليم) فهذه اشارة لطيفة الى السر الذي لاجله كان الشرك اكبر الكبائر عند الله تعالى وانه لا يغفر

بغير التوبة منه وانه يوجب الخلود فى النار وانه ليس تحريمه وقبحه بمجرد النهى عنه بل يستحيل على الله سبحانه وتعالى ان يشرع عبادة اله غيره كما يستحيل عليه ما يناقض أوصاف كماله ونعوت جلاله وكيف يظن المنفرد بالربوبية والالهية والعظمة والجلال ان يأذن فى مشاركته فى ذلك او يرضى به تعالى الله عز وجل عن ذلك علوا كبيرا انتهى . وانما سقنا هذا المبحث العظيم الذى يعقد عليه الخناصر ويعض عليه بالنواجذ لما فيه من الفوائد التي لا يستغنى عنها من نصح نفسه وانما الغرض بيان ما فى التوسل والاستغاثة بالاموات والغائبين من سوء الظن بالله رب العالمين .

﴿الوجه التاسع﴾ ان الله تعالى حرم القول عليه بغير علم وجعله أعظم من الشرك قال تعالى (قل انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغي بغير الحق وان تشركوا بالله مالم ينزل به سلطانا) الآية فرتب المحرمات منتقلا من الادنى الى الاعلى وقال تعالى (ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أولئك يعرضون على ربهم ويقول الاشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا وهم بالآخرة هم كافرون) ومن عرف الشرك حق المعرفة يعلم ان من قال بجوز الاستغاثة والتوسل بالانبياء والصالحين والنذر لهم والحلف وما أشبهه من التعظيم له نصيب وافر من الكذب على الله وعلى رسوله ومن الصد عن سبيل الله وابتغاء العوج والله المستعان . وقال تعالى (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه هو الغنى له مافي السموات وما في الارض ان عندكم من سلطان بهذا أتقولون على الله مالا تعلمون قل ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون متاع فى الدنيا ثم الينا مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون

﴿ويتبين﴾ كذب الغلاة على الله وعلى رسوله وعلى عباده الصالحين بالكلام على ما ساقه هذا المعترض من الادلة التى يزعم انها تدل على دعواه وتنصر ما قاله وافتراه *

فاما قوله اعلم ان المجوزين للاستغاثة بالانبياء والصالحين مرادهم انها أسباب ووسائل بدعائهم وان الله يفعل لاجلهم لا انهم الفاعلون استقلالا من دون الله فان هذا كفر بالاتفاق فجواب هذا تقدم فى الوجه الثانى — وذكرنا ان المشركين من عهد نوح الى عهد خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم لم يقصدوا سوى هذا . ولم يدعوا لالهتهم غيره وانهم ما زادوا حرفا واحدا على هذا العراقي وشيعته وهو يظن ان النزاع في دعواه الاستقلال وليس الامر كذلك . فان النزاع بين

الرسل وقومهم انما هو فى توحيد العبادة فكل رسول أول مايقرع اسماع قومه بقوله ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره وكان المشركون من الجاهلية يقولون فى تلبيتهم لبيك لا شريك لك الا شريك هو لك تملكه وما ملك فاثبتوا الشرك في العبادة واعتقدوا ان الهتهم مملوكة لا مستقلة وهذا ظاهر فى القرآن والسنة لا يجهله من عرف ماالناس فيه من أمر دينهم وانما خفى ذلك على هذا المعترض لفرط جهله وكثافة فهمه . ولانه نشأ بين عباد القبور المتوسلين بها وبأهلها فظن ان هذا هو الاسلام . والمسكين لم يعرف ربه وما يجب له من الحقوق على كافة الانام *

ولم يتخرج على امام يعتمد فى بيان الشرائع والاحكام . مع عباد القبور في هذه الازمان . اعتقدوا التدبير والتصريف لمن يعتقدونه فطائفة قالت يتصرف فى الكون سبعة . وطائفة قالت يتصرف أربعة . وطائفة قالت يتصرف سبعون — واختلفوا فى قطبهم الذى اليه يرجعون تعالى الله عما يقول الظالمون فأهل مصر يرون انه البدوى وأهل العراق يرجحون الشيخ عبد القادر والرافضة يرون ذلك للائمة من أهل البيت وهذا مشتهر عنهم لاينكره الا مكابر . وقد حكم المعترض الجاهل بان دعوى الاستقلال كفر بالاتفاق وعلى قول غلاة عباد القبور مصدر التصريف عنهم يستقلون به لان الوكيل يستقل بتدبير ما وكل اليه وحينئذ فاذا لم يعرف العبادة ومسألة النزاع كيف يجادل عن قوم جزم بكفرهم وحكى عليه الاتفاق . فالرجل مخلط لايدرى ما يقول . ﴿ وأما قوله ولا يخطر ببال مسلم جاهل فضلا عن عالم الخ ﴾ فيقال اين العنقاء لتطلب . واين السمندل . ليجلب اذا اصبح الاسلام لم يرغب أهله الى دعاء غير الله من العباد والاوثان والاصنام . (واما قوله) بل ليس هذا خاصا بنوع الاموات . فان الاحياء وغيرهم من الاسباب العادية كالقطع للسكين والشبع للاكل والري والدفء لو اعتقد أحد أنها فاعلة ذلك بنفسها من غير استنادها الى الله يكفر اجماعا .

﴿ فيقال ﴾ اذا كان اسناد الفعل اليها استقلالا لا يكفر فاعله اجماعا وهى من الاسباب العادية التى أودع الله تعالى فيها قوة فاعلة فكيف لايكفر من أسند مالا يقدر عليه الا الله من اغاثة اللهفات وتفريج الكربات واجابة الدعوات الى غير الله من الصالحين او غيرهم وزعم انهم وسائل . او ان الله وكل اليهم التدبير كرامة لهم هذا اولى بالكفر واحق به ممن قبله .

ويقال للزائغ انت لاترضى تكفير أهل القبور لاحتمال العذر والشبهة وانه شرك أصغر ثياب من اخطأ فيه فكيف جزمت بكفر من أسند القطع للسكين من غير استناد الى الله . وما الفرق بين من عذرته وجزمت باثابته وبين من كفرته وجزمت بعقابه ليست احدى المسألتين باظهر من الاخرى وما يقال من الجواب فيما اثبته من الكفر يقال فيما نويته .

يوما بجزوى ويوما بالعقيق وبا لعذيب يوما ويوما بالخليصاء

اى مذهب وافق هواك تمذهبت به .

﴿ ويقال ﴾ جمهور العقلاء على الفرق بين الاسباب العادية وغيرها فالشبع والري والدفء أسباب عادية فاعلة . وانما يكفر من انكر خلق الله لهذه الاسباب . وقال بفعلها دون مدبر عليم حكيم . وهذا البحث يتعلق بتوحيد الربوبية . وأما جعل الاموات أسبابا يستغاث بها وتدعى وترجى وتعظم على انها وسائط . فهذا دين عباد الاصنام يكفر فاعله بمجرد اعتقاده وفعله وان لم يعتقد الاستقلال كما نص عليه القرآن فى غير موضع . فالغلاة معارضون للقرآن مصارمون لنصوصه *

﴿ وأما قوله ﴾ ان السبكي والقسطلانى والسمهودى وابن حجر فى الجوهر المنظم قالوا والاستغاثة به صلى الله تعالى عليه وسلم وبغيره فى معنى التوسل الى الله تعالى بجاهه الخ

﴿ فيقال مسألة ﴾ الاستغاثة به وبجاهه ليست هى مسألة النزاع ومراد أهل العلم ان يسأل الله بجاه عبده ورسوله لاان يسأل الرسول نفسه فان هذا لايطلق عليه توسل بل هو دعاء واستغاثة وان لفظ التوسل صار مشتركا . فعباد القبور يطلقون التوسل على الاستغاثة بغير الله ودعائه رغبا ورهبا والذبح والنذر والتعظيم بما لم يشرع فى حق مخلوق وأهل العلم يطلقونه على المتابعة والاخذ بالسنة فيتوسلون الى الله بما شرعه لهم من العبادات وبما جاء به عبده ورسوله محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وهذا هو التوسل في عرف القرآن والسنه كما يأتيك مفصلا ان شاء الله تعالى . ومنهم من يطلقه على سؤال الله ودعائه بجاه نبيه أو بحق عبده الصالح أو بعباده الصالحين . وهذا هو الغالب عند الاطلاق في كلام المتأخرين كالسبكى والقسطلانى وابن حجر . ﴿ وبالجملة ﴾ فما نقله هنا عمن ذكر ليس من مسألة النزاع فى شئ وان كابر الغلاة وزعموا انه قصدوا دعاء الانبياء والصالحين والاستغاثة بهم أنفسهم وان هذا يسمى توسلا فهذا عين الدعوى والدعوى يحتج لها لا بها

فبطل كلامه على كل تقدير *

﴿ وأما قوله ﴾ أو بان يدعو الله كما فى حال الحياة اذ هو غير ممتنع (فيقال) هذا جراءة على الله وعلى رسوله وتقدم اليه بما لم يشرعه ولم يأذن فيه . واعلم الخلق به أصحابه وأهل بيته وأئمة الدين من أمته لم يفعل أحد منهم ذلك البتة ولا نقله من يعتد به وهم أعلم الخلق به وبدينه وشرعه وما يجوز ومايمتنع فلا يخلوا اما ان تسلم هذه المقامات ويجزم بأن الخروج عن هديهم من أفضع الجهالات وأضل الضلالات أو تسلم تلك المقدمات ويدعي ان الخلف الذين يقولون مالا يفعلون ويفعلون مالا يؤمرون أحق بالصواب والعلم والمتابعة فى تلك المسائل والمقالات وهذا اخلال بجملة لدين . وقدح في القرون المفضلة بنص سيد المرسلين . وكفى بهذا فضيحة وجهلا لو كانوا يعلمون *

﴿ وأما قوله ﴾ مع علمه بسؤال من سأله والمستغيث يطلب من المستغاث به ان يحصل له الغوث من غيره (فيقال) أمادعوى عموم العلم بسؤال السائلين لمن يستغيث به جهلة القبور بين فالاخذ به واطلاقه على غير الله كفر صريح باتفاق أهل العلم فان من زعم احاطة العلم وعمومه لغير الله أو عموم القدرة أو الرزق أو الخلق لغيره سبحانه يكفر كفرا واضحا كما ذكره شراح الاسماء وغيرهم من أهل العلم ومادعوى تخصيص ذلك بالنبي صلى الله عليه وسلم فهى وان كانت من جنس ماقبلها فى الرد والمنع وتبطل مذهب عباد القبور ودعاءهم لغير الله من الغائبين والاموات فان دعاء الغافل الذى لايعلم بحال الداعي ولا يدريها ضلال مستبين قال تعالى (ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لايستجيب له الى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون)

﴿ وأما قوله ﴾ والمستغيث يطلب من المستغاث به ان يحصل له الغوث من غيره ممن هو أعلى منه وليس لها فى قلوب المسلمين غير ذلك الى آخره *

﴿ فيقال ﴾ هذا يدل على جهل هذا الغبي باللغة والشرع فان الداعي السائل لغيره لايسمى مغيثا والمغيث من يفعل الاغاثة ويحصل الغوث بفعله * قال شيخ الاسلام من زعم ان مسألة الله بجاه عبده تقتضى ان يسمى العبد مغيثا . أو يكون ذلك استغاثة بالعبد فهذا جهل ونسبته الى اللغة أو الى أمة من الامم كذب ظاهر فان المغيث هو فاعل الاغاثة ومحدثها لا من تطلب بجاهه وحقه ولم يقل أحد ان التوسل بشئ هو الاستغاثة به بل العامة الذين يتوسلون فى أدعيتهم بامور كقول

أحدهم نتوسل اليك بحق الشيخ فلان أو بحرمته أو باللوح والقلم أو بالكعبة فى أدعيتهم يعلمون انهم لا يستغيثون بهذه الامور وان المستغيث بالشئ طالب منه سائل له والمتوسل به لا يدعي ولا يطلب منه ولا يسأل وانما يطلب به فكل أحد يفرق بين المدعو به والمدعو * وتقدم ذلك فقول هذا الزائغ . والنبي صلى الله عليه وسلم مستغاث والغوث منه تسببا وكسبا (فيقال) نعم هذا معتقد من يعبد الانبياء والصالحين ويستغيث بهم يقول هم سببي ووسائطي يحصلون لي بكسبهم والله هو الخالق ولا ادعى غير ذلك ولا نازع فى الخلق والربوبية الا فرعون والذى حاج ابراهيم فى ربه وجمهور المشركين على الاول كما تقدم تقريره فبطل تعليله *

﴿ وأما قوله ﴾ ولا يعارض ذلك خبر أبي بكر الصديق رضى الله عنه قوموا بنا نستغيث برسول الله صلى الله عليه وسلم الخ لان فى سنده ابن لهيعة والكلام فيه مشهور (فيقال) ابن لهيعة خرج له البخارى ومسلم فجاوز القنطرة ولا يقدح فيما رواه ابن لهيعة الا جاهل بالصناعة والاصطلاح وهو قاضى مصر وعالمها ومسندها روى عن عطاء ابن أبى رباح والاعرج وعكرمة وخلق وعنه روى شعبة ابن الحجاج أمير المؤمنين في الحديث وعمرو بن الحارث والليث بن سعد وابن وهب وخلق ومن طعن فى ابن لهيعة بقول بعض الناس فيه لزمه الطعن فى كثير من الاكابر المحدثين كسعيد المقبرى وسعيد بن اياس الجريرى وسعيد بن عروبة واسمعيل بن أبان وأزهر بن سعد السمان البصرى وأحمد بن صالح المصرى وأبو اليمان وأمثالهم ممن خرج له البخاري وغيره من الائمة *

فدع عنك الكتابة لست منها * ولو سودت وجهك بالمداد

﴿ وأما قوله ﴾ وبفرض صحته فهو على حد قوله تعالى ومارميت اذ رميت ولكن الله رمى وقوله صلى الله عليه وسلم ماأنا حملتكم ولكن الله حملكم *

﴿ وهذا ﴾ من نوادر جهل هؤلاء الضلال فان لفظ الاستغاثة طلب الغوث ممن هو بيده لمن اصابته شدة ووقع في كرب والا نجح والاولى لمن أصابه ذلك ان يستغيث بمن يجيب المضطر اذا دعاه الموصوف بانه غياث المستغيثين مجيب المضطرين أرحم الراحمين . فلفظ الاستغاثة يستعمل فى مخ العبادة ومالا يقدر عليه الا الله عالم الغيب والشهادة . فكره صلى الله عليه وسلم اطلاقه عليه فيما يستطيعه ويقدر عليه حماية لحمى التوحيد وسدا لذريعة الشرك وان كان يجوز اطلاقه

فيما يقدر عليه المخلوق فحماية جانب التوحيد من مقاصـد الرسول ومن قواعد هذه الشريعة المطهرة . فاين هـذا من قوله ومارميت اذ رميت ولـكن الله رمى فان الرمي المنفى هو ايصال مارمى به الى أعين المشركين جملتهم . وهزيمتهم بذلك . والرمي المثبت مافعله النبي صلى الله عليه وسلم من رمى ماأخذ بكفه الشريفة من التراب واستقبال وجوه العدو به *

﴿ وأما قوله ﴾ وكثيراً ماتجيء السنة بنحو هذا من بيان حقيقه العـلم ويجيء القرآن من اضافة الفعل الى مكتسبه كقوله صلى الله عليه وسلم لن يدخل أحد الجنة بعمله مع قوله تعـالى (ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون) فالامر ليس كما توهمه هذا الزائغ فان الباء في الحديث باء المعاوضـة والمبادلة وفى الآية هي باء السببية لاباء المعاوضة فالمنفى غير المثبت كما نص عليه أهل العلم وأهل التفسير . وكل فاضل وعارف بصير . نعوذ بالله من القول على الله وعلى كتابه بغير علم ولا سلطان منير .

﴿ وأما قوله ﴾ ان اطلاق لفظ الاستغاثة لمن يحصل منه غوث ولو تسببا أمر معلوم لاشك فيه لغة ولا شرعا ﴿ فقد ﴾ تقدم كلام شيخ الاسلام فى نفى الاستغاثة عمن يسأل الله بجاهه وحقه وعمن يدعو لغيره . وان من قال ذلك قد كذب على سائر اللغات والامم . وأما من يسأل ويدعى وينادى كما يفعله عباد القبور بمن يدعونه فهذا يسمى استغاثة كما يسمى عبادة لغير الله وشركا بالله وهذا النوع ليس النزاع فى اسمه وانما النزاع فى جوازه وحله . وأما حديث الشفاعة فهو فيما يقدر عليه البشر من الدعاء كما يسأل الحي الحاضر ان يدعوا الله وان يستسقى *

﴿ وأما كلام الشـيخ ابن تيمية ﴾ الذي نقله عن المصنفين فى اسماء الله فهو حجة لنا على عباد القبور فانهم استغاثوا بغير الله فيما لايقدر عليه الا الله *

﴿ وقوله ﴾ وان حصلت من غيره تعالى فهو مجاز ﴿ جوابه ﴾ ان الاستغاثة التى هي من جنس الاسباب العادية التى يقدر عليها المخلوق وفي وسعه . فهذه وان حصلت من العبد فهى حقيقة لامجاز ولا ينازع في هذا من عرف شيئاً من اللغة والعبد يفعل حقيقة فيأ كل حقيقة ويشرب حقيقة ويهب حقيقة وينصر أخاه ظالما أو مظلوما حقيقة والله سبحانه خلق العبد وما يعمل وهذا معروف من عقائد أهل السنة والجماعة وانما ينفى الفعل حقيقه عن فاعله . ومن قام به . القدرية المجبرة الذين يزعمون ان العبد مجبور وانه لا اختيار له ولا مشيئة كما هو مبسوط فى موضعه . والغلاة صفر اليدين من هذه المباحث المهمة *

﴿ وكذلك قوله ﴾ الاستغاثة بمعنى ان يطلب منه ما هو اللائق بمنصبه . لا ينازع فيها مسلم فاللائق بمنصبه الشريف ان يطلب منه ما يستطيعه ويقدر عليه كالدعاء وسائر الاسباب العادية ونحو ذلك . واما مالا يقدر عليه الا الله كهداية القلوب . ومغفرة الذنوب والانقاذ من النار ونحو ذلك من المطالب التي لا يقدر عليها الا الله الواحد القهار . فهذا انما يليق بمقام الربوبية قال تعالى انك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وقال (ومن يغفر الذنوب الا الله) وقال تعالى (افانت تنقذ من فى النار) وقال تعالى (ليس لك من الامر شيء) . وقال رجل أتوب الى الله ولا أتوب الى محمد فقال صلى الله عليه وسلم عرف الحق لاهله *

﴿ وأما قوله ﴾ وقد ذكر المجوزون ان جعل النبي صلى الله عليه وسلم متسببا لا مانع من ذلك شرعا وعقلا ﴿ فيقال ﴾ هذه العبارة ركيكة التركيب والمجوزون للاستغاثة بغير الله فيما لا يقدر عليه الا الله هم خصومنا فلا حجة فى كلامهم بل الشرع والعقل يرد مذهبهم ويبطله كما مر تقريره عن ابن القيم . واما الاسباب العادية فانها قد تجب . وقد تستحب . وقد تباح . وقد تكره وليس الكلام فيها . والمستغيث بغير الله فيما لا يقدر عليه الا الله لا ينجيه مجرد اعتقاده ان ذلك باذن الله . بل لابد من اخلاص الدعاء والاستغاثة . ودعاء المستغيث من أجل العبادات فيجب اخلاصه لله . (وقول) الغلاة (ومن اقربا الكرامة وانها باذن الله) لم يجد بدا من اعترافه بجواز ذلك ﴿ فيقال ﴾ بل البد والسعة واليسر فى القول بانه لا يستغاث بالمخلوق فيما يختص بالخالق . ولو كان المخلوق قد ثبت له من الكرامة ماثبت فالكرامة فعل الله لا فعل غيره . والمستغاث هو الله لا غيره . ولم يكن الصحابة يستغيثون ويسألون من ظهرت له كرامة أو حصلت له خارقة من الخوارق . فهذا الكلام الذى قاله الغلاة جهل مركب يليق بقائله . وكل اناء بالذى فيه ينضح *

﴿ وأما قوله ﴾ والاخبار النبوية قد عاضدته . والآثار قد ساعدته . فبالوقوف على مامر من كلا منا تعرف ان الاخبار النبوية قد عارضته وما عاضدته بل ابطلته والآثار السلفية قد ردته وما ساعدته *

﴿ وأما قوله ﴾ ومن جعل الله فيه قدرة كاسبة للفعل مع اعتقاده ان الله هو الخالق كيف يمتنع عليه طلب ذلك الشيء ﴿ فجوابه ﴾ ان الله لم يجعل للعباد قدرة على ما يختص به من الاغاثة المطلقة *

وأما الاغاثة بالاسباب العادية وماهو في طوق البشر وقدرتهم فهذا ليس الكلام فيه . والاموات لاقدرة لهم على الاسباب العادية . وما يطلب من الحي الحاضر فما هنا ليس من ذلك القبيل وما يستوي الاحياء ولا الاموات . وقد يجعل الله للعبد قدرة على بعض الاشياء ويمنع من سؤاله وطلبه . وفي الحديث لا تزال المسألة باحدكم حتى يلقى الله . وليس على وجهه مزعة لحم وفيه من سأل الناس وله مايغنيه جاءت مسألته يوم القيامة خدوشا أو خموشا في وجهه . فهذا له قدرة . وقد منع السائل الغني من سؤاله بل والسحرة جعل الله لهم قدرة على أنواع السحر والشعبذة وسؤالهم ذلك من أكبر الكبائر فبطل قول هذا الزائغ ان من جعل الله له قدرة لامانع من سؤاله وكون الله قد قرب انبيائه ورسله وأوجب على العباد برهم وتعظيمهم يقتضى ذلك ان يستغاث بهم أو يطلب منهم مالا يقدر عليه أحد الا الله . والتعظيم اللائق بمناصبهم ليس من هذا الجنس بل تعظيمهم محبتهم وطاعتهم وتعزيرهم وتوقيرهم والاقتداء بهديهم والاخذ بما جاؤا به وعباد القبور تركوا هذا التعظيم الواجب وعظموهم بالاستغاثة والعبادة والذبح والنذر من جنس تعظيم أهل الكتاب لانبيائهم ورهبانهم وأحبارهم . وهذا الزائغ من جهله يدعو الناس الى طريقة الغلاة من أهل الكتاب ويعرض عما جاءت به الرسل ويصد عن السنة والكتاب قال تعالى (ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لايعقلون) *

﴿ وأما قوله ﴾ وقد خلق الله فيه قوة كاسبة . فان أراد القوة العادية البشرية الانسانية فليس النزاع في هذا وان أراد مايعتقده عباد القبور في معبوداتهم من الصالحين وغيرهم وان لهم قدرة على اجابة المضطر واغاثة الملهوف وقضاء حوائج السائلين فهذا شرك في الربوبية لم يبلغه شرك المشركين من أهل الجاهلية بل هو قول غلاة المشركين الذين يرون لآلهتهم تصرفا وتدبيراً . وان ارادانهم يدعون ويسألون ويستغاث بهم والله يعطي لاجلهم . فهذا هو قول الجاهلية من الاميين والكتابيين . وتقدمت الآيات الدالة على ذلك . وتقدم ماحكاه الشيخ من قول النصارى ياوالدة الاله اشفعي لنا الى الاله . فهم طلبوا منها الشفاعة والجاه ليس الا . وهذا من كفرهم وشركهم مع ماهم عليه من القول في عيسى وامه قاتلهم الله فان كان هذا الزائغ أراد هذا الثاني فهو شرك غليظ وقد تقدم له التصريح بذلك وعبارته هنا توهم الاول وهو الغالب على عباد القبور في هذه الازمان نسأل الله العفو والعافية *

(وأما كون الاولياء)والصالحين فى حال مماتهم كحال حياتهم يدعون لمن قصدهم ويتسببون في انقاذه فهذا جهل عظيم . وقول على الله بلا علم لم يرد به كتاب ولا سنة ولا قاله ولا فعله أحد يعتد به ويقتدى به من أهل العلم والايمان . وقد مضت القرون الثلاثة المفضلة ولم يعهد عن أحد منهم أنه قال ذلك أو فعله . وعندهم أشرف القبور على الاطلاق ولم يعرف عن أحد منهم أنه سأل الرسول صلى الله عليه وسلم أو دعاه ولا غيره من الصالحين . وخبر العتبي سيأتي الكلام عليه وان فاعل ذلك اعرابى ليس مما يقتدى به ويحتج بقوله وان كان بعض المتأخرين احتج بحكاية الاعرابي فهواحتجاج مدخول وقدنازعهم من هوأقدم منهم وأجل من الاكابروالفحول (وأما قوله فى قوله تعالى) فاستغاثه الذى من شيعته على الذى من عدوه فان قل قائل هذا في الحى وله قدرة قلنا لا يجوز نسبة الافعال الى أحد حي أو ميت على انه الفاعل استقلالا من دون الله (فهذا الكلام) أورده بناء على أن النزاع فى دعوى الاستقلال وبزعمه أنه اذالم يعتقد الاستقلال فالاسباب العادية كغيرها ودعاء الاموات والغائبين يجوز عنده اذالم يعتقد الاستقلال هذه دعواه كررها مرارا واحتج بها والدعوى تحتاج لدليل لا تصلح هى دليلا لا سيما هذه الدعوى الضالة الكاذبة الخاطئة والله سبحانه حكى استغاثة المخلوق الحى الحاضر فيما يقدر عليه من نصره على عدوه وهذا جائز لا نزاع فيه واعتقاد الاستقلال من دون الله وان العبد يخلق أفعال نفسه هذه مسألة أخرى لم يقل بها الا قدرية النفاة والناس مختلفون فى تكفيرهم بهذا القول . (وبالجملة) فالنزاع فى غير هذه المسألة وانما هو فى دعاء الاموات والغائبين وان لم يستقل بذلك المطلوب من دون الله .

(وأما قوله) وقد جعل الله الاغاثة فى غيره فهو قول ركيك فاسد المعنى فان الله لم يجعل الاغاثة في غيره بل هو المغيث على الاطلاق وانما جعل لعباده عملا وكسبا فى فرد جزئى مما يستطيعه العبد ويكون في قدرته وعبارة الزائغ فى غاية البشاعة .

(وأما قوله) فلهذا نفى النبي صلى الله عليه وسلم الاغاثة كما تقدم حيث قال أنه لا يستغاث الا بالله فليس النفى لما ذكره الزائغ فان المخاطبين يعلمون أن الله خالق أفعال العباد وانما نفى الاستغاثة عنه حماية للتوحيد وصيانة لجانبه كما قال لمن قال له أنت سيدنا وابن سيدنا السيد الله انما انا عبد فقولوا عبد الله ورسوله ولو كان كما زعم الزائغ لنفى عن رسول الله صلى الله عليه

وسلم كل فعل وكل قول صدر منه لانه لا يفعله استقلالا قال الله تعالى (والله خلقكم وما تعملون) والزائغ قد خاض فيما لا يدريه وما هو أجنبي عنه فالحد فى الالفاظ النبوية وحرفها وكابر الحس والمعقول والمنفي في الحديث الاستغاثة لا الاغاثة وأظن المعترض لا يفرق بينهما *

﴿ الكلام على شبه الخصم وأبطالها ﴾

(الشبهة الاولى) ما أورده ابن حجر فى الجوهر المنظم والسبكي فى كتابه عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال لما اقترف آدم الخطيئة قال يارب أسألك بمحمد صلى الله عليه وسلم الا ما غفرت لى قال الله يا آدم كيف عرفت محمدا ولم أخلقه . قال يارب لما خلقتنى بيدك ونفخت فى من روحك رفعت رأسى فرأيت على قوائم العرش مكتوبا لا اله الا الله محمد رسول الله فعلمت أنك لم تضف الى اسمك الا أحب الخلق اليك فقال له الله صدقت يا آدم انه لأحب الخلق الى واذ سالتنى بحقه فقد غفرت لك ولولا محمد ما خلقتك والمراد بحقه صلى الله عليه وسلم رتبته ومنزلته لديه تعالى أو الحق الذي جعله الله سبحانه وتعالى له على الخلق أو الحق الذى جعله الله تعالى بفضله له عليه الخ *

(الجواب) أن يقال هذا الحديث لا أصل له بل الثابت عند أهل العلم والمفسرين ان قوله تعالى (فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه انه هو التواب الرحيم) نزل فى توبة آدم وهذه الكلمات هى المفسرة بقوله تعالى (ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين) وهذا مروي عن سعيد بن جبير ومجاهد وأبى العالية والربيع بن أنس والحسن وقتادة ومحمد بن كعب القرضى وخالد بن معدان وعطاء الخراسانى وعبد الرحمن بن زيد وعن ابن عباس قال علم شأن الحج وعن عبيد بن عمير أنه قال قال آدم يارب خطيئتى التى أخطأت شيا كتبته على قبل أن تخلقنى أو شئ ابتدعته من قبل نفسى . قال بل كتبته عليك قبل أن أخلقك قال فكما كتبته على فاغفره لى قال فذلك قوله (فتلقى آدم من ربه كلمات) وعن ابن عباس قال آدم عليه السلام الم تخلقنى بيدك قيل له بلى ونفخت في من روحك قيل له بلى وعطست فقلت يرحمك الله وسبقت رحمتك غضبك قيل بلى وكتبت على أن أعمل هذا قيل له بلى قال أفرأيت ان تبت هل أنت راجعي الى الجنة قال نعم وكذا رواه العوفي وسعيد بن جبير وسعيد بن معبد ورواه الحاكم فى مستدركه الى ابن عباس وروى ابن أبى حاتم حديثا مرفوعا شبيها بهذا وعن مجاهد

قال الكلمات اللهم لا اله الا أنت سبحانك وبحمدك ربى انى ظلمت نفسى فاغفرلي انك خير الغافرين اللهم لا اله الا أنت سبحانك وبحمدك اني ظامت نفسي فاغفرلي انك خير الراحمين اللهم لا اله الا أنت سبحانك وبحمدك رب اني ظلمت نفسى فتب على انك أنت التواب الرحيم هذا ما عليه المفسرون لا ما قاله الغلاة فان كان بعض من لا بصيرة له قد ذكره فالحجة عما ثبت عن الصحابة وعن سلف الامة وائمتها ولا يجوز تفسير القرآن بأقوال شاذة أو موضوعة لا تثبت عند أهل العلم والحديث وائمة التصحيح والترجيح ولما روي ابن حميد الرازى الحكاية المنسوبة الى مالك رحمه الله مع ابى جعفر المنصور وفيها أنه سأل مالكا فقال يا ابا عبد الله استقبل القبلة وادعو ام استقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم عليه السلام الى الله يوم القيامة بل استقبله واستشفع به فرد الحفاظ على ابن حميد هذه الحكاية وذكروا ان اسنادها مظلم منقطع مشتمل على من يتهم بالكذب وقالوا ابن حميد كثير المناكير ولم يسمع من مالك شيأ بل روايته عنه منقطعة . ومحمد بن حميد الرازاى هذا تكلم فيه غير واحد من الائمة ونسبه بعضهم الى الكذب *

(الشبهة الثانية) أن رجلا ضريرا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ادع الله لي أن يعافيني فقال ان شئت دعوت وان شئت صبرت وهو خير لك الى ان قال فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه ويدعو بهذا الدعاء * اللهم انى أسألك واتوجه اليك بنبيك محمد صلى الله عليه وسلم نبي الرحمة يا محمد اني اتوجه بك الى ربى فى قضاء حاجتى لتقضي لي * اللهم شفعه فيّ . فقام وقد ابصر الخ *

﴿ والجواب ﴾ ما ذكره بعض أهل الحديث حيث قال اعلم ان الجواب عنه يعلم من تأمل معناه فقوله اللهم انى أسألك أى أطلب منك وأتوجه اليك بنبيك محمد صرح باسمه مع ورود النهى عن ذلك تواضعا منه صلى الله عليه وسلم لكون التعليم من قبله وفى ذلك قصر السؤال الذى هو أصل الدعاء على الله الملك المتعال ولكنه توسل بالنبي أى بدعائه ولذا قال فى آخره . اللهم فشفعه فيّ اذ شفاعته لا تكون الا بالدعاء لربه قطعا ولو كان المراد التوسل بذاته فقط لم يكن لذلك التعقيب معنى اذ التوسل بقوله بنبيك كاف فى افادة هذا المعنى فقوله يا محمد انى توجهت بك الى ربى قال الطيبى الباء في بك للاستعانة وقوله انى توجهت بك بعد قولي اليك فيه معنى قوله من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه فيكون خطابا لحاضر معاين فى قلبه مرتبط بما توجه به

عند ربه من سؤال نبيه بدعائه الذى هو عين شفاعته ولذلك أتى بالصيغة الماضوية بعد الصيغة المضارعية المفيد كل ذلك ان هذا لداعي قد توسل بشفاعة نبيه فى دعائه فكأنه استحضره وقت ندائه ومثل ذلك كثير في المقامات الخطابية والقرائن الاعتبارية فقوله فى حاجتى هذه لتقضي لى أى ليقضيها لى ربى بشفاعته أى فى دعائه وذلك مشروع مأمور به فان الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين كانوا يطلبون منه الدعاء وكان يدعو لهم . وكذلك يجوز الآن ان تأتى رجلا صالحا فتطلب منه الدعاء لك بل يجوز للاعلى ان يطلب من الادنى الدعاء له كما طلب النبي صلى الله عليه وسلم الدعاء من عمر بن الخطاب رضى الله عنه في عمرته . بان قال لا تنسانا يا أخى من دعائك قال عمر رضى الله عنه مايسرني بها حمر النعم . قال المناوى سأل الله أولا ان يأذن لنبيه ان يشفع له ثم أقبل على النبي ملتمسا شفاعته له . ثم كرمقبلا على ربه ان يقبل شفاعته والباء فى بنبيك للتعدية وفى بك للاستعانة وقوله اللهم فشفعه في أى أقبل شفاعته فى حقى والعطف على مقدر أى اجعله شفيعا لى فشفعه . وكل هذه المعانى دالة على وجود شفاعته بذلك وهو دعائه صلى الله عليه وسلم بكشف عاهته وليس ذلك بمحظور غاية الامر انه توسل من غير دعاء بل هو نداء لحاضر و لدعاء أخص من النداء اذ هو نداء عبادة شاملة للسؤال بما لا يقدر عليه الا الله وانما المحظور السؤال بالذوات لا مطلقا بل على معنى انهم وسائل لله بذواتهم . وأما كونهم وسائل بدعائهم فغير محظور . واذا اعتقد انهم وسائل لله بذواتهم فسأل منهم الشفاعة للتقرب اليهم فذلك عين ما كان عليه المشركون الاولون *

﴿ وأما ورود هذا الحديث ﴾ عن عثمان بن حنيف رضى الله عنه فى زمن عثمان ففى سنده مقال فكيف يتعارض به جميع كتب الله وسنة رسوله وعمل أصحابه وهل سمعت أحدا منهم جاء اليه صلى الله عليه وسلم بعد وفاته الى قبره الشريف فطلب منه مالا يقدر عليه الا الله وهم حريصون على مثل هذه المثوبات لا سيما والنفوس مولعة بقضاء حوائجها تتشبث بكل ما تقدر عليه فلو صح عند أحدهم أدنى شئ من ذلك لرأيت أصحابه يتناوبون قبره الشريف في حوائجهم زمرا زمرا ومثل ذلك تتوفر الدواعي على نقله ولا وسع الله طريقا لم يتسع للصحابة والتابعين وصلحاء علماء الدين *

﴿ الشبهة الثالثة ﴾ ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه توسل بالعباس رضى الله عنه فى الاستسقاء

ولم ينكر عليه وكان حكمة توسله به دون النبي صلى الله عليه وسلم وقبره اظهار غاية التواضع لنفسه والرفعة لقرابته صلى الله عليه وسلم ففى توسله بالعباس توسل بالنبي صلى الله عليه وسلم وزيادة الخ *

﴿ والجواب ﴾ ان المراد من التوسل الدعاء لهم يدل عليه ثبوت دعائه لهم بطلب السقيا كما جاءت به بقية الروايات . وهذا المعنى هو الذى عناه الفقهاء فى كتبهم ومرادهم التوجه الى الله بدعاء الصالحين بان يدعو لهم ولو كان التوسل بالذوات هو المطلوب والمدلول الذى أقاموا عليه الدليل وهم بمقتضى دليلهم لايخصون الاحياء بهذا التوسل ويستحبون التوسل بالذوات الشريفة ولو بندائهم ودعائهم كما مر تقريره من دليلهم وانه على معنى ان الشفعاء يدعون لهم . وقالوا الامانع من ذلك عقلا وشرعاً فانهم أحياء فى قبورهم لكان التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم في ذلك الامر المهم وهو عنده بالمدينة أولى . ولكان قولهم كما فى رواية البخارى ان عمر بن الخطاب استسقى بالعباس وقال اللهم انا كنا اذا أجدبنا توسلنا اليك بنبيك فتسقينا وانا نتوسل اليك بعم نبينا فاسقنا فيسقون *

عبثاً ضائعا بل مخلا بما يقولون ويدعون بل هو أقوى الادلة وأرجحها وأعلاها وأوثقها وأصحها وأصدقها لما ندعيه فان قول عمر * اللهم انا كنا اذا اجدبنا توسلنا الخ يدل دلالة ظاهرة على انقطاع ذلك الذى هو الدعاء بدليل قوله انا كنا . ولما كان العباس حيا طلبوه منه فلما مات فات فقصرهم له على الموجودين ولو كانوا مفضولين دليل ساطع وبرهان لامع على هذا المراد ولو كان المقصود الذوات كما يقولون لبقيت هذه التوسلات عندهم على حالها لم تتغير ولم تتبدل الى المفضولين بعد وجود الفاضلين سيما الانبياء والمرسلين . فتأمل فى هذا فانه أحسن مافي هذه الاوراق . حقيق بان يضرب عليه رواق الاتفاق . والله يهديك السبيل نعم المولى ونعم الوكيل *

وأما باقي الشبه التي أوردها النبهانى من كلام اسلافه الغلاة . فمنها مالا يمس مقصودنا . ومنها أحاديث لاتخلو عن ضعف أو كذب رأوا وغير ذلك مما يمنع العمل بموجبه كما ذكره من رد عليهم . ولو نظرت اليها بعين الايمان وجدت آثار الوضع لائحة عليها وأحوال الصحابة وأعمالهم تدل على انهم غير معترفين بما فيها ولو كان عندهم من ذلك أدنى رائحة لجاؤا الى قبر النبي صلى الله عليه وسلم فى جميعماينوبهم على الرواحل وتركوا عند ذلك جميع المشاغل

﴿ ذكر شبه أخرى للمجوزين للاستغاثة وابطالها ﴾

لم يزل خصوم أهل الحق فى كل عصر يسعون فى تأييد باطلهم ويستندون الى شبه هى أو هى من بيت العنكبوت وانها لمن أوهن البيوت ، ويتشبثون لترويج باطلهم حتى بحبال القمر . وقد رأيت رسالة مختصرة صنفها العلامة أبو عبد الله الشيخ محمد رحمه الله سماها كشف الشبهات أودعها نبذة من ذلك وهي على اختصارها نافعة جدا لطالب الحق فاحببت ايراد شئ منها اتماما للفائدة قال رحمه الله *

﴿ اعلم ﴾ ان الله سبحانه من حكمته لم يبعث نبيا بهذا التوحيد الا جعل له أعداء كما قال تعالى (وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غروراً) وقد يكون لاعداء التوحيد علوم كثيرة وكتب وحجج كما قال تعالى (فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم) اذا عرفت ذلك وعرفت ان الطريق الى الله تعالى لابد له من أعداء اهل فصاحة وعلم وحجج ، فالواجب عليك ان تعلم من دين الله مايكون لك سلاحا تقاتل به هؤلاء الشياطين الذين قال امامهم ومقدمهم لربك عزوجل لاقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لآتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم (ولكنك) اذا اقبلت على الله تعالى واصغيت الى حججه وبيناته فلا تخف ان كيد الشيطان كان ضعيفا والعامى من الموحدين يغلب الفا من خصومه بأذن الله كما قال تعالى (وان جندنا لهم الغالبون) فجند الله هم الغالبون بالحجة والبيان كما انهم الغالبون بالسيف والسنان وانما الخوف على الموحد الذى يسلك الطريق وليس معه سلاح ، وقد من الله تعالى علينا بكتابه الذى جعله تبيانا لكل شئ وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين ، فلا يأتى صاحب باطل بحجة الا وفى القرآن ماينقضها ويبين بطلانها كما قال تعالى (ولا يأتونك بمثل الا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا) قال بعض المفسرين هذه الآية عامة فى كل حجة يأتى بها أهل الباطل الى يوم القيامة *

﴿ وأنا أذكر لك ﴾ أشياء مما ذكر الله تعالى في كتابه جوابا لكلام احتج به خصوم أهل الحق فى زماننا هذا علينا (فنقول) ان جواب أهل الباطل من طريقين مجمل ومفصل (أما المجمل) فهو الامر العظيم والفائدة الكبيرة لمن عقلها . وذلك قوله تعالى (هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فاما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ماتشابه

منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ومايعلم تأويله الا الله والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يتذكر الا أولوا الالباب) وقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اذا رأيتم الذين يتبعون ماتشابه منه فاولئك الذين سمى الله فاحذروهم *

﴿ مثال ذلك ﴾ اذا قال لك بعض الخصوم الا أن أولياء الله لاخوف عليهم ولاهم يحزنون وان الشفاعة حق وان الانبياء عليهم السلام لهم جاه عند الله . أوذكر كلاما للنبي صلى الله عليه وسلم يستدل به على شيء من باطله فاجبه بقولك ان الله تعالى ذكر ان الذين في قلوبهم زيغ يتركون المحكم ويتبعون المتشابه وان الله تعالى ذكر ان المشركين يقرون بالربوبية وانه كفرهم بتعلقهم على الملائكة والانبياء والاولياء مع انهم قالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله فهذا أمر محكم بين لايقدر أحد ان يغير معناه . وماذكرت لي أيها الخصم من الكتاب الكريم أو كلام النبي صلى الله عليه وسلم لا أعرف معناه . ولكن أقطع ان كلام الله تعالى لايتناقض وان كلام النبي صلى الله عليه وسلم لايخالف كلام الله *

﴿ وهذا جواب سديد ﴾ ولكن لايفهمه الا من وفقه الله تعالى فلا تستهونه فانه كما قال تعالى (وما يلقاها الا الذين صبروا ومايلقاها الاذو حظ عظيم)

﴿ وأما الجواب المفصل ﴾ فان اعداء الحق لهم اعتراضات كثيرة يصدون بها الناس (منها) قولهم نحن لا نشرك بالله بل نشهد انه لا يخلق ولا يرزق ولا ينفع ولا يضر الا الله تعالى وحده لا شريك له . وان محمدا صلى الله عليه وسلم لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا فضلا عن غيره . ولكن انا مذنب والصالحون لهم جاه عند الله واطلب من الله بهم (فأجبه) ان الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا مقرين بما ذكرت ومقرين ان أوثانهم لا تدبر شيئا وانما أرادوا الجاه والشفاعة واقرأ عليه ماذكر الله فى كتابه ووضحه له فان قال ان هذه الآيات نزلت فيمن يعبد الاصنام فكيف تجعلون الصالحين أصناما . فأجبه بانه اذا أقر ان الكفار كانوا يشهدون بالربوبية كلها لله وانهم ما أرادوا ممن قصدوا الا الشفاعة . واذا أراد ان يفرق بين فعلهم وفعله بما ذكر فاذكر له ان الكفار منهم من كان يدعو الصالحين والاصنام . ومنهم من كان يدعو الاولياء الذين قال الله فيهم أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب . وقال تعالى ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وامه صديقة كانا

يا كلان الطعام انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنى يؤفكون . واذكر قوله تعالى ويوم نحشرهم جميعاً ثم نقول للملائكة أهؤلاء اياكم كانوا يعبدون . قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون . (فقل له) أعرفت ان الله تعالى كفر من قصد الاصنام وكفر أيضا من قصد الصالحين وقاتلهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فان قال ان الكفار يريدون منهم . وانا أشهد ان الله تعالى هو النافع الضار المدبر لا أريد الا منه والصالحون ليس لهم من الامر شئ ولكنى بقصدهم ارجو من الله تعالى شفاعتهم . فأجبه ان هذا قول الكفار سواء بسواء فاقرأ عليه قوله تعالى . مانعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى . وقوله تعالى هؤلاء شفعاؤنا عند الله *

﴿ واعلم ﴾ ان هذه الشبه الثلاث هى أكبر ما عندهم فاذا عرفت ان الله تعالى وضحها فى كتابه وفهمتها فهما جيدا فما بعدها أيسر منها *

﴿ فان قال ﴾ انا لا أعبد الا الله والالتجاء الى الصالحين ودعاؤهم ليس بعبادة فقل له أنت تقر ان الله تعالى فرض عليك اخلاص العبادة وهو حقه عليك فاذا قال نعم فقل له بين لى هذا الذى فرض عليك وهو اخلاص العبادة لله وحده وهو حقه عليك فانه لا يعرف العبادة ولا أنواعها فبينها له بقولك قال الله تعالى (ادعوا ربكم تضرعا وخفية) اذا علمت بهذا هل هو عبادة فلا بد ان يقول نعم والدعاء مخ العبادة فقل له اذا أقررت انها عبادة ودعوت الله ليلا ونهارا خوفا وطمعا . ثم دعوت في تلك الحاجة نبيا أو غيره هل أشركت فى عبادة الله غيره اذ قال الله تعالى فصل لربك وانحر وأطعت الله ونحرت له فلا بد ان يقول نعم . (فقل له) اذا نحرت لمخلوق نبي أو جني أو غيرهما هل أشركت في هذه العبادة غير الله تعالى فلا بد ان يقر ويقول نعم *

﴿ وقل له أيضا ﴾ ان المشركين الذين نزل فيهم القرآن هل كانوا يعبدون الملائكة والصالحين واللات والعزى وغير ذلك فلا بد ان يقول نعم (فقل له) وهل كانت عبادتهم اياهم الا فى الدعاء والذبح والالتجاء ونحو ذلك . والا فهم مقرون انهم عبيد لله تحت قهره وان الله تعالى هو الذى يدبر الامر ولكن دعوهم والتجؤا اليهم للجاه والشفاعة وهذا ظاهر جدا (فان قال) أتنكر شفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتبرأ منها (فقل له) لا أنكرها ولا أتبرأ

منها بل هو صلى الله تعالى عليه وسلم الشافع المشفع وارجو شفاعته لكن الشفاعة كلها لله كما قال تعالى قل لله الشفاعة جميعا ولا تكون الا من بعد اذنه سبحانه كما قال عز وجل من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه . ولا يشفع لاحد الا من بعد أن يأذن الله فيه كما قال جل جلاله ولا يشفعون الا لمن ارتضى . وهو لا يرضى الا التوحيد . كما قال تعالى ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين *

فاذا كانت الشفاعة كلها لله ولا تكون الا بعد اذنه ولا يشفع النبي صلى الله عليه وسلم ولا غيره في أحد حتى يأذن الله فيه ولا يأذن الا لاهل التوحيد تبين ان الشفاعة كلها لله واطلبها منه وأقول اللهم لا تحرمنى شفاعته اللهم شفعه فىّ وأمثال هذا *

﴿ فان قال ﴾ ان النبي صلى الله عليه وسلم أعطى الشفاعة وأنا أطلب مما أعطاه الله (فقل له) ان الله تعالى أعطاه الشفاعة ونهاك عن هذا . وقال فلا تدعوا مع الله أحدا وأيضا فان الشفاعة أعطيها غير النبى صلى الله عليه وسلم فقد صح ان الملائكة يشفعون والاولياء يشفعون . أتقول ان الله أعطاهم الشفاعة وأنا أطلبها منهم . (فان) قلت هذا رجعت الى عبادة الصالحين التي ذكرها الله تعالى في كتابه . (وان) قلت لا بطل قولك ان الله تعالى اعطاه الشفاعة وانا اطلب مما اعطاه الله *

﴿ فان قال ﴾ انا لا أشرك بالله شيئا حاشا وكلا والالتجاء الى الصالحين ليس بشرك (فقل له) اذا كنت تقر ان الله تعالى قد حرم الشرك أعظم من تحريمه الزنا . وتقر ان الله لا يغفره فما هذا الامر الذى عظمه الله وذكر انه لا يغفره فانه لا يدرى (فقل له) كيف تبرئ نفسك من الشرك وأنت لا تعرفه . أم كيف يحرم الله عليك هذا ويذكر انه لا يغفره ولا تسأل عنه ولا تعرفه أتظن ان الله يحرمه ولا يبينه لنا (فان قال) الشرك عبادة الاصنام ونحن لا نعبد الاصنام (فقل) وما معنى عبادة الاصنام أتظن انهم كانوا يعتقدون ان تلك الاخشاب والاحجار تخلق وترزق وتدبر أمر من دعاها فهذا يكذبه القرآن أو هو قصد خشبة أو حجر أو بنية أو غيره يدعون ذلك ويذبحون له يقولون انه يقربنا الى الله زلفى ويدفع عنا ببركته . (فقل) له صدقت وهذا هو فعلكم عند الاحجار . والبنايا التي على القبور وغيرها فهذا قد أقر ان فعلهم هذا هو عبادة الاصنام *

﴿ ويقال له ايضا ﴾ قولك الشرك عبادة الاصنام هل مرادك ان الشرك مخصوص بهذا وان الاعتماد على الصالحين ودعائهم لايدخل فى هذا فهذا يرده ماذكره الله تعالى في كتابه من كفر من تعلق على الملائكة وعيسى والصالحين فلا بد ان يقر لك ان من أشرك فى عبادة الله أحدا من الصالحين فهو الشرك المطلوب فى القرآن وهذا هو المطلوب *

﴿ وسر المسألة ﴾ انه اذا قال لك انا لا أشرك بالله فقل له وما الشرك بالله فسره لى فان قال هو عبادة الاصنام فقل له وما معنى عبادة الاصنام فسرها لى فان فسرها بما بينه القرآن فهو المطلوب وان لم يعرفه فكيف يدعى شيأ وهو لايعرفه وان فسر ذلك بغير معناه فبين له الآية الواضحة فى معني الشرك بالله وعبادة الاوثان مما يفعل فى هذا الزمان بعينه وان عبادة الله وحده لاشريك له هي التى ينكرون عليها ويصيحون كما صاح اخوانهم حيث قالوا أجعل الآلهة الها واحد ان هذا لشئ عجاب *

﴿ فاذا عرفت ﴾ ان هذا الذي يسميه خصوم الحق فى وقتنا الاعتقاد هو الشرك الذي أنزل فيه القرآن وقاتل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الناس عليه فاعلم ان شرك الاولين أخف من شرك أهل عصرنا من وجهين ﴿ أحدهما ﴾ ان الاولين لايشركون ولا يدعون الملائكة والاولياء اوثانا مع الله تعالى الا في الرخاء . وأما في الشدة فيخلصون لله الدين كما قال تعالى (واذا مسكم الضر فى البحر ضل من تدعون الا اياه فلما نجاكم الى البر أعرضتم وكان الانسان كفورا) وقال تعالى قل أرأيتكم ان أتاكم عذاب الله او أتتكم الساعة اغير الله تدعون ان كنتم صادقين بل إياه تدعون فيكشف ماتدعون اليه ان شاء وتنسون ماتشركون) وقال تعالى (واذا مس الانسان ضر دعا ربه منيبا اليه) الى قوله (قل تمتع بكفرك قليلا انك من أصحاب النار) وقال تعالى (واذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين فمن فهم هذه المسألة التي أوضحها الله تعالى فى كتابه وهى ان المشركين الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعون الله ويدعون غيره فى الرخاء . واما فى الضر والشدة فلا يدعون الا الله تعالى وحده لاشريك له وينسون ساداتهم تبين له الفرق بين شرك أهل زماننا وشرك الاولين ولكن أين من يفهم قلبه هذه المسأله فهما راسخا والله المستعان *

﴿ والامر الثاني ﴾ ان الاولين يدعون مع الله أناسا مقربين عند الله . اما أنبياء . واما أولياء . واما

ملائكة ويدعون أشجارا وأحجارا مطيعة لله ليست عاصية . وأهل زماننا يدعون مع الله أناسا من أفسق الناس والذين يدعونهم هم الذين يحكون عنهم الفجور من الزنا والسرقة وترك الصلاة وغير ذلك ومن يعتقد في الصالحين ومن يعبد مالا يعصى كالخشب والحجر أهون ممن يعتقد فيمن يشاهد فسقه وفساده ويشهد به *

﴿ اذا تحققت ﴾ ان الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أصح عقولا وأخف شركا من هؤلاء . فاعلم ان لهؤلاء شبهة يوردونها على ماذكرنا وهي من أعظم شبههم فاصغ سمعك لجوابها وهي أنهم يقولون ان الذين نزل فيهم القرآن لا يشهدون ان لا اله الا الله ويكذبون الرسول وينكرون البعث ويكذبون القرآن ويجعلونه سحرا ﴿ ونحن ﴾ نشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله ونصدق القرآن ونؤمن بالبعث ونصلي ونصوم فكيف تجعلوننا مثل أولئك *

﴿ فالجواب ﴾ انه لاخلاف بين العلماء كلهم ان الرجل اذا صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم في شيء وكذبه في شيء انه كافر لم يدخل في الاسلام وكذلك اذ آمن ببعض القرآن وجحد بعضه كمن أقر بالتوحيد وجحد وجوب الصلاة او أقر بالتوحيد والصلاة وجحد الزكاة او أقر بهذا كله وجحد الصوم او أقر بهذا كله وجحد الحج *

ولما لم ينقد أناس في زمن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم للحج انزل الله تعالى في حقهم (ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غنيّ عن العالمين) ومن أقر بهذا كله وجحد البعث كفر بالاجماع وحل دمه وماله كما قال جل جلاله (ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا أولئك هم الكافرون حقا) فاذا كان الله تعالى قد صرح في كتابه ان من آمن ببعض وكفر ببعض فهو الكافر حقا زالت هذه الشبهة عن قلبه *

﴿ ويقال ﴾ اذا كنت تقر ان من صدق الرسول في شيء وجحد وجوب الصلاة انه كافر حلال الدم بالاجماع * وكذلك اذا أقر بكل شيء الا البعث . وكذلك لو جحد وجوب صوم رمضان لايجحد هذا ولا تختلف المذاهب فيه . وقد نطق به القرآن كما قدمنا . فمعلوم ان التوحيد هو أعظم فريضة جاء بها النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وهو أعظم من الصلاة والزكاة والصوم والحج ﴿ فكيف ﴾ اذا جحد الانسان شيئا من هذه الامور كفر وان عمل بكل ماجاء به الرسول .

واذا جحد التوحيد الذى هو دين الرسل كلهم لايكفر سبحان الله ماأعجب هذا الجهل

﴿ ويقال أيضا ﴾ هؤلاء أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قاتلوا بنى حنيفة . وقد اسلموا مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وهم يشهدون ان لااله الا الله وأن محمدا رسول الله ويصلون ويؤذنون ﴿ فان قال ﴾ انهم يقولون ان مسيلمة نبي قلنا هـذا هو المطلوب اذا كان من رفع رجلا فى رتبة النبي صلى الله عليه وسلم كفر وحل ماله ودمه ولم تنفعه الشهادتان ولا الصلاة فكيف بمن رفع وليا او صحابيا او نبيا فى مرتبة جبار السموات والارض سبحان الله ماأعظم شأنه كذلك يطبع الله على قلوب الذين لايعلمون *

﴿ ويقال أيضا ﴾ ان الذين حرقهم على بن أبى طالب كلهم يدعون الاسلام وهم من اصحاب على وقد تعلموا العلم من الصحابة ولكن اعتقدوا فى علىّ مثل الاعتقاد فى الصلحاء . فكيف اجمع الصحابة على قتلهم وكفرهم أتظنون ان الصحابه يكفرون المسلمين ام تظنون ان الاعتقاد فى صلحاء العصر لايضر . والاعتقاد فى على ابن ابى طالب يكفر *

﴿ ويقال أيضا ﴾ ان بنى عبيد القداح الذين ملكوا المغرب ومصر أيام بنى العباس كلهم كانوا يشهدون ان لااله الا الله وان محمدا رسول الله ويدعون الاسلام ويصلون الجمعة والجماعة فلما أظهروا مخالفة الشريعة فى أشياء دون مانحن فيه أجمع العلماء على كفرهم وقتالهم وان بلادهم بلاد حرب وغزاهم المسلمون حتى استنقذوا ما بايديهم من بلدان المسلمين *

﴿ ويقال أيضا ﴾ اذا كان الاولون لم يكفروا الا من جمع بين الشرك وتكذيب الرسول صلى الله عليه وسلم والقرآن وانكار البعث وغير ذلك فما معنى الباب الذى ذكره الفقهاء من كل مذهب وهو باب حكم المرتد وهو المسلم الذى يكفر بعد اسلامه . وذكروا أنواعا كثيرة كل نوع منها يكفر ويحل دم الرجل وماله حتى انهم ذكروا أشياء يسيرة عند من فعلها مثل كلمة يذكرها بلسانه دون قلبه أو كلمة يذكرها على وجه المزح واللعب *

﴿ ويقال أيضا ﴾ ان الذين قال تعالى فيهم يحلفون بالله ماقالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم أما سمعت الله تعالى كفرهم بكلمة مع انهم فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاهدون معه ويصلون معه ويزكون ويحجون ويوحدون . وكذلك الذين قال الله تعالى فيهم قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم فهؤلاء الذين

اخبر الله تعالى عنهم انهم كفروا بعد ايمانهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك قد قالوا كلمة ذكروا انهم قالوها على وجه المزح *

(فتأمل) هذه الشبهة وهى قولهم تكفرون المسلمين اناسا يشهدون ان لااله الا الله ويصلون ويصومون . (ثم تأمل) جوابها فانه من انفع ما في هذه الاوراق *

﴿ ومن الدليل على ذلك أيضا ﴾ ما حكى الله تعالى عن بنى اسرائيل مع اسلامهم وعلمهم وصلاحهم انهم قالوا لموسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة قال انكم قوم تجهلون . وقال ناس من الصحابة اجعل لنا ذات أنواط فحلف صلى الله عليه وسلم ان هذا نظير قول بنى اسرائيل اجعل لنا الها . ولكن لخصوم الحق شبهة يدلون بها عند هذه القصة وهى انهم يقولون ان بنى اسرائيل لم يكفروا وكذلك الذين قالوا اجعل لنا ذات أنواط لم يكفروا *

﴿ فالجواب ﴾ ان نقول ان بنى اسرائيل لم يفعلوا ذلك وكذلك الذين سألوا النبي صلى الله عليه وسلم ولا خلاف ان بنى اسرائيل لم يفعلوا ذلك ولو فعلوا ذلك لكفروا . وكذلك لا خلاف ان الذين نهاهم النبي صلى الله عليه وسلم لو لم يطيعوه . واتخذوا ذات أنواط بعد نهيه لكفروا وهذا هو المطلوب *

﴿ وهذه القصة ﴾ تفيد ان المسلم بل العالم قد يقع فى أنواع من الشرك وهو لا يدرى فتفيد التعلم والتحرز ومعرفة ان قول الجاهل فهمنا التوحيد من أكبر الجهل ومن مكائد الشيطان وتفيد أيضا ان المسلم اذا تكلم بكلام كفر وهو لا يدرى فنبه على ذلك وتاب من ساعته انه لا يكفر كما فعل بنو اسرائيل . والذين سألوا النبي صلى الله عليه وسلم * وتفيد أيضا انه لو لم يكفر فانه يغلظ عليه الكلام تغليظا شديدا كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم *

﴿ ولخصوم الحق واعداء الدين شبهة اخرى ﴾ وهى انهم يقولون ان النبي صلى الله عليه وسلم انكر على اسامة قتل من قال لا اله الا الله وقال أقتلته بعد ما قال لا اله الا الله وكذلك قوله أمرت ان أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله الى أحاديث أخر فى الكف عمن قالها ومراد هؤلاء الجهلة ان من قالها لا يكفر ولا يقتل ولو فعل ما فعل *

﴿ فيقال لهم ﴾ من المعلوم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتل اليهود وسألهم وهم يقولون لا اله الا الله . وان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم . قاتلوا بنى حنيفة وهم يشهدون ان

لااله الا الله وان محمدا رسول الله . ويصلون ويدعون الاسلام — وكذلك الذين حرقهم على ابن أبي طالب بالنار . وهؤلاء الجهلة يقرون ان من انكر البعث كفر وقتل ولو قال لااله الاالله. وان من جحد شيئا من أركان الاسلام كفر وقتل ولو قالها . فكيف لاتنفعه اذا جحد فرعا من الفروع وتنفعه اذا جحد التوحيد الذى هو أساس دين الرسل ورأسه ولكن أعداء الله لم يفهموا معنى الاحاديث *

﴿ فاما احاديث اسامة ﴾ فانه قتل رجلا ادعى الاسلام بسبب انه ظن انه ما ادعى الاسلام الا خوفا على دمه وماله . والرجل اذا اظهر الاسلام وجب الكف عنه حتى يتبين منه مايخالف ذلك . وانزل الله تعالى في ذلك ياايها الذين آمنوا اذا ضربتم فى سبيل الله فتبينوا اى تثبتوا فالآية تدل على انه يجب الكف عنه والتثبت فاذا تبين منه بعد ذلك مايخالف الاسلام قتل لقوله فتبينوا ولو كان لايقتل اذا قالها لم يكن للتثبت معنى . وكذلك الاحاديث الاخر معناها ماذكرناه وان من اظهر التوحيد والاسلام وجب الكف عنه الا ان يتبين منه ماينافض ذلك *

﴿ والدليل على هذا ﴾ ان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذى قال أقتلته بعدماقال لااله الا الله . وقال أمرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لااله الا الله . وهو الذي قال فى الخوارج أينما لقيتموهم فاقتلوهم لئن ادركتهم لاقتلنهم قتل عاد مع كونهم من أكثر الناس عبادة وتهليلا حتى ان الصحابة رضي الله عنهم يحقرون أنفسهم عندهم . وقد تعلموا العلم من الصحابة فلم تنفعهم كلمة لااله الا الله ولا كثرة العبادة ولا ادعاء الاسلام لما ظهر منهم مخالفة الشريعة *

﴿ وكذلك ﴾ ماذكرناه من قتال اليهود وقتال الصحابة رضى الله عنهم بنى حنيفة *

﴿ وكذلك ﴾ أراد صلى الله عليه وسلم ان يغزو بني المصطلق لما أخبره رجل منهم انهم منعوا الذكاة حتى أنزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا * وكان الرجل كاذبا عليهم . وكل هذا يدل على ان مراد النبي صلى الله عليه وسلم بالاحاديث التى احتجوا بها ماذكرناه *

﴿ ولهم شبهة أخرى ﴾ وهي ان النبي صلى الله عليه وسلم ذكر ان الناس يوم القيامة يستغيثون بآدم . ثم بنوح . ثم بابراهيم . ثم بموسى . ثم بعيسى فكلهم يعتذر حتى ينتهوا الى رسول الله

صلى الله عليه وسلم قالوا فهذا يدل على ان الاستغاثة بغير الله ليست شركا *

﴿ والجواب ﴾ان نقول سبحان من طبع على قلوب اعدائه فان الاستغاثة بالمخلوق فيما يقدر عليه لاننكرها كما قال تعالى فى قصة موسى فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه وكما يستغيث الانسان باصحابه فى الحرب أو غيره فى أشياء يقدر عليها المخلوق ونحن انكرنا استغاثة العبادة التى يفعلونها عند قبور الاولياء أو فى غيبتهم في الاشياء التى لايقدر عليها الا الله . اذا ثبت ذلك فاستغاثتهم بالانبياء يوم القيامة يريدون منهم ان يدعوا الله ان يحاسب الناس حتى يستريح أهل الجنة من كرب الموقف — وهذا جائز في الدنيا والآخرة مثل ان تأتى عند رجل صالح حى يجالسك ويسمع كلامك تقول له ادع الله لى كما كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألونه فى حياته . وأما بعد موته فحاشا وكلا انهم لم يسألوا ذلك بل انكر السلف على من قصد دعاء الله عند قبره فكيف بدعائه نفسه . صلى الله عليه وسلم *

﴿ ولهم شبهة أخرى ﴾ وهى قصة ابراهيم عليه السلام لما القى فى النار . اعترض له جبريل فى الهواء . وقال له ألك حاجة . فقال ابرهيم عليه السلام أما اليك فلا * قالوا فلوكانت الاستغاثة شركا لم يعرضها على ابرهيم عليه السلام *

﴿ والجواب ﴾ان هذا من جنس الشبهة الاولى فان جبريل عليه السلام عرض عليه ان ينفعه بامر يقدر عليه فانه كما قال الله تعالى فيه شديد القوى ذو مرة . فلو أذن له ان ياخذ نار ابراهيم عليه السلام وما حولها ويلقيها فى المشرق أو المغرب لفعل ولو أمره الله تعالى ان يضع ابرهيم عليه السلام عنهم فى مكان بعيد لفعل ولو أمره ان يرفعه الى السماء لفعل . وهذا كرجل غني له مال كثير يرى رجلا محتاجا فيعرض عليه ان يقرضه أو يهبه شيئا يقضى به حاجته فيأبى ذلك المحتاج ان يأخذ ويصبر الى ان يأتيه الله برزق لامنة فيه لاحد . فاين هذا من استغاثة العبادة والشرك لو كانوا يفقهون *

﴿ هذا آخر ماقصدنا نقله من كتاب الشبهات ﴾ وقد خطر لى بيتان من الشعر في قصة ابرهيم عليه السلام نظمهما بعض الادباء العصريين وهما *

أصبحت ملة ابرهيم متبعا * لا أبتغى من سوى رب العلى بدلا
لو قال لى الروح جبرائيل هل لك من * حاج لقلت له أما اليك فلا

وهذا هو التوحيد لذى يرغم انف النبهانى واضرابه من الغلاة الطغاة وما نقلناه عن الشيخ كلام مفيد لذوى البصائر والافهام . وقد سقط به ماذكره النبهاني من توضيح مسألة الاستغاثة فان كلامه هنا مجردا عادة عبارة سابقة ليعظم لديه جم كتابه . نسأله تعالى ان يهدينا سبلنا. ويصلح لنا أحوالنا . بمنه وكرمه *

(ثم ان النبهانى الغبى) ذكر في آخر الفصل الرابع تتمة زعم انها اشتملت على كلام بعض أئمة أهل العلم والاولياء فى زيارة قبور الصالحين والانتفاع بزيارتها وصفاء ارواحهم بعد مماتهم . ثم نقل عن ابن دحلان هذيانه الذى فى كتابه تقريب الاصول لتسهيل الوصول وهو قوله قد صرح كثير من العارفين ان الولى بعد وفاته تتعلق روحه بمريديه فيحصل لهم ببركته انوار وفيوضات . قال وممن صرح بذلك قطب الارشاد سيدى عبدالله بن علوي الحداد فانه قال الولى يكون اعتناؤه بقرابته واللائذين به بعد موته اكثر من اعتنائه بهم فى حياته لانه فى حياته كان مشغولا بالتكليف وبعد موته طرح عنه الاعباء وتجرد . والحي فيه خصوصية وبشرية وربما غلبت احداهما الاخرى . وخصوصا فى هذا الزمان فانها تغلب البشرية والميت ما فيه الا الخصوصية فقط (ثم بقى يهذى) الى أن قال وكان الشيخ ابو المواهب أيضا يقول من الاولياء من ينفع مريده الصادق بعد مماته اكثر مما ينفعه حال حياته ومن العباد من تولى الله تعالى تربيته بنفسه بغير واسطة . ومنهم من تولاه بواسطة بعض أوليائه ولو ميتا فى قبره فيربى مريده وهو في قبره ويسمع مريده في صوته من القبر ولله عباد يتولى تربيتهم النبي صلى الله عليه وسلم بنفسه من غير واسطة لكثرة صلاتهم عليه صلى الله عليه وسلم ﴿ثم نقل كلام الامام فخر الدين الرازى﴾ الذي ذكره فى الفصل الثالث عشر من كتابه المطالب العالية فى بيان كيفية الانتفاع بزيارة القبور والموتى وهو قوله ان الانسان اذا ذهب الى قبر انسان قوى النفس كامل الجواهر ووقف هناك ساعة وحصل تأثير فى نفسه حين حصل من الزائر تعلق بزيارة تلك التربة فلايخفى ان لنفس ذلك الميت تعلقا بتلك التربة أيضا فحينئذ يحصل لنفس الزائر الحي ولنفس ذلك الانسان الميت تعلقا بتلك التربة وملاقاة بسبب اجتماعهما بتلك التربة أيضا فصار هاتان النفسان شبيهتين بمرآتين صقيلتين متقابلتين بحيث ينعكس الشعاع من كل واحدة منهما الى الاخرى فكل ما حصل فى نفس هذا الزائر الحى من المعارف والبراهين والعلوم

الكسبية والاخلاق الفاضلة من الخشوع لله تعالى والرضا بقضاء الله تعالى ينعكس منه نور الى روح هذا الحي الزائر وبهذه الطريقة تصير تلك الزيارة سببا لحصول تلك المنفعة الكبرى والبهجة العظمى لروح هذا الزائر فهذا هو السبب والاصل في مشروعية الزيارة ولا يبعد ان يحصل منها اسرار اخرى ادق وأخفى مما ذكرنا وتمام الحقائق ليس الا عند الله تعالى انتهى كلام الرازى (ثم قال) قال الشيخ أبو المواهب قال بعض العارفين وللاولياء عند زيارة الاولياء وقائع كثيرة تدل على اعتناء المزور بالزائر وتوجهه اليه بالكلية على قدر توجهه وقابليته (قال النبهاني) انتهى ما نقلته من تقريب الاصول للسيد أحمد دحلان *

(أقول) انما نقلت كلام ابن دحلان الذى استدل به النبهاني على باطله من اوله الى آخره وان كان فيه تضييع المداد والقرطاس ويؤسف على ما يصرف مدة نقله على الانفاس ليقف عليه المؤمن فيحمد الله على الايمان والاسلام ونجاته من ظلمات مثل هذه الاوهام ولشناعتها وبشاعتها لدى ذوى العقول السليمة لا تحتاج الى اقامة دليل ولا برهان على ما حوته من بداهة البطلان وجميع من نقل عنه ذلك الهذيان كانوا من غلاة الشافعية فقط . ومن الاسف على مثل هذا المذهب ان دنسه هؤلاء الغلاة واضرابهم مع ما كان عليه الامام الشافعي من الاتباع للسنة * وقد صان الله تعالى السادة الحنفية والمالكية والحنابلة عن مثل هذه العقيدة الزائغة والقول الباطل . ومن المعلوم لديك ان النبهاني عقد بابا لزيارة القبور وبابا للسفر اليها وهذا بما هذى في كلا البابين وكانه نسى أن يذكر هذا الكلام فى موضعه فتداركه فى هذا المقام فان له تعلقا به من حيث الاستمداد والاستفاضة اللذان ادعاهما فى الزيارة قاتله الله ما أعظم جهله وغباوته *

ثم انا قد اسلفنا الكلام على الزيارة وبينا ما فيه الكفاية لمن كان له قلب سليم وقلنا ان الزيارة منها ما هو سنى وهو الذى كان يعلمه الرسول صلى الله عليه وسلم أصحابه من شأنها ومنها ما هو بدعي لم ينزل الله به من سلطان واطنبنا الكلام على كل ذلك ونقلنا ما كتبه شيخ الاسلام فى الجواب الباهر وكتابه فى الرد على المعترض المالكى وهو الذى لم يسبقه أحد اليه ومنه يعلم ان ما كتبه ابن دحلان وما نقله عن الرازي كلام ساقط كل السقوط وليس عليه دليلا لا من كتاب ولا من سنة ولا من كلام السلف الصالح وكان الذى قل يقول الرازى من المتقدمين

والمتأخرين انما أخذوه عن الاشراقيين من فلاسفة اليونان ومن الاسف على مثل الرازى أن يتفوه بمثل مانقل عنه ومنزلته في العلم ما تعلم لكن الامام الذهبي قد بين حقيقته ومبلغه من علوم الدين وابن السبكى تأثر من شيخه الذهبي اذ بين حقيقته وأطال اللسان عليه فى طبقاته فى الكلام على ترجمة الرازى . وابن دحلان ليس مما يلام على جهله وغباوته ودعواه في العلم معلومة وعجبه وكبره مما يقتضى ما رأيت من جهله . والحاصل أنه لو لم يكن لنا دليل على بطلان ما نقله النبهاني عمن نقله سوى مخالفته للنقل الصحيح والعقل الصريح لكفانا ذلك فكيف والادلة على بطلانه كثيرة كما يعلم مما سبق *

﴿ ثم ان النبهاني ﴾ نقل كلام ابن دحلان في كتابه خلاصة الكلام فى بيان أمراء البلد الحرام وعقد له بابا وجعله ثالث الابواب . وهو كلام ليس عليه اثارة من علم . ونقله النبهانى باسره فذكر الشبه التى تمسك بها الوهابية على زعمه . فقال ينبغي أولا ان نذكر الشبهات التى تمسك بها ابن عبد الوهاب فى اضلال العباد . ثم نذكر الرد عليه ببيان ان كل ماتمسك به زور وافتراء وتلبيس على عوام الموحدين *

﴿ قال فمن شبهاته ﴾ التى تمسك بها زعمه ان الناس مشركون في توسلهم بالنبي صلى الله عليه وسلم وبغيره من الانبياء والاولياء والصالحين وفى زيارتهم قبره صلى الله عليه وسلم ونداءهم له بقولهم يارسول الله نسألك الشفاعة وزعم ان ذلك كله اشراك وحمل الآية القرآنية التى نزلت فى المشركين على الخواص والعوام من المؤمنين كقوله تعالى فلا تدعوا مع الله أحدا وقوله تعالى ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون واذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين وقوله تعالى ولا تدع مع الله الها آخر فتكون من المعذبين . وقوله تعالى ولا تدع من دون الله مالا ينفعك ولا يضرك فان فعلت فانك اذا من الظالمين . وقوله تعالى له دعوة الحق والذين يدعون من دونه مايملكون من قطمير ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير . وقوله تعالى قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة ايهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه ان عذاب ربك كان محذورا * وامثال هذه الآيات كثيرة فى القرآن كلها حملها على الموحدين الخ .

﴿ أقول ومن الله أستمد التوفيق ﴾ ان النبهاني لم يزل يكرر مباحث كتابه ويعيد حتى يعظم حجم كتابه وما أدري ماذا قصد بنقل كلام ابن دحلان فهل للاستدلال به على باطله وهو لا يفيده ذلك فان الرجل ليس ممن يحتج بقوله بل ولا ممن يوثق به فانه مبتدع بل من الغلاة المشهورين وان كان نقله لكلامه ليبين للناس ان له أمثالا في الغلو والضلال فهذا مما لا يحتاج فقد قيل

﴿ ومهما تكن عند امرئ من خليقة * وان خالها تخفى على الناس تعلم ﴾

وعلى كل حال فان ما نقله النبهاني عن صاحبه مؤلف كتاب خلاصة الكلام وكتاب الدرر السنية في الرد على الوهابية كلام قد رددناه سابقا كما قد رد عليه من قبلي علماء وأفاضل محققون وقد انتشرت كتبهم منها كتاب صيانة الانسان عن وسوسة الشيخ دحلان للعلامه المحدث الشيخ عبدالله بن الشيخ عبد الرحمن بن الشيخ عبد الرحيم السندى رحمه الله تعالى . وقد أجاد في رده عليه واظهر زيغه وعواره . فقد قال فى خطبة كتابه * أما بعد فاني وقفت على الرسالة التى جمعها الشيخ احمد بن زيني دحلان وسماها الدرر السنية فى الرد على الوهابية ورأيت مؤلفها يدعى في ديباجة رسالته الباطلة الساقطة الدنية الردية انه جمع فيها ما تمسك به أهل السنة فى زيارة النبي صلى الله عليه وسلم والتوسل به من الدلائل والحجج القوية من الآيات والاحاديث النبوية فتعجبت منه التعجب الصراح كيف وليس فى الباب حديث واحد حسن فضلا عن الصحاح فتأملت فيها تأمل الناقد البصير لكي أعلم به هل صدق فى تلك الدعوى أم كذب كذب المجادل الضرير فوجدت دعواها عارية عن لباس الصدق والحق المبين محلاة بحلية الزور والكذب والباطل المهين فانه ليس فيها من الاحاديث الا ما أورده التقى السبكى في شفاء السقام . وهى دائرة بين الاحتمالات الثلاثة السقام . اما موضوعة عملتها أيدى الوضاع الاثام او ضعاف واهية رواها من وسم بمثل كثرة الغلط والخطأ والاوهام . او شئ يسير من الصحيح والحسن فى زعمه قاصر عن افادة المرام . كما بين ذلك كله الامام ابو عبد الله محمد بن احمد بن عبد الهادى فى كتابه الصارم المنكي . وليس فيها من الآيات والاحاديث الصحاح والحسان ما يدل على المطلوب المحكى . وكان حقا على المؤلف تعاطى واحد مما يذكر لئلا يعد كلامه مما يهجر وينكر * أما إيراده لاحاديث صحيحة او حسنة دالة على المطلوب غير ما أورد في الشفاء او الاجابة عما تكلم به عليها صاحب الصارم وغيره من الائمة الاذكياء وان لم يفعل هذا ولا ذاك فليس لها فائدة .

ولا يؤل هذا الطول الى منفعة وفائدة . ومن عجائب صنيعه أن المؤلف مع زعمه انه من جملة المقلدين يستدل بالادلة الشرعية وهو منصب المجتهدين فمن لى أن أنبه على ما وقع فيها من مساوى المفاهيم وزخارف الاقوال واراجيف الاستدلال لئلا يغتر بها من يقف عليها ممن لا خبرة له بحقائق علم السنة من المتون والرجال فبالله أستعين وأقول الى آخر ما قال *

(فاذا عرفت ما كان من الردود) على أقوال ابن دحلان فالتعرض لها في مثل هذا المقام فضول ومع ذلك نشير اشارة اجمالية الى الرد عليها (فنقول) قوله فمن شبهاته التي تمسك زعمه ان الناس مشركون فى توسلهم بالنبي صلى الله عليه وسلم الخ لا اصل له بل ان له دلائل قطعية من الكتاب والسنة على ان العبادة مختصة بالله تعالى لا يشركه غيره لقوله تعالى (إياك نعبد وإياك نستعين) وقوله صلى الله عليه وسلم فى الحديث الصحيح الذى رواه البخارى ومسلم اذا استعنت فاستعن بالله الخ و بين أن ما لا يقدر عليه الا الله فطلبه منه مخ العبادة فمن صرفه لغيره فلا شك أنه عبد الغير ومن عبد الغير فقد اشرك على ما سبق فيما نقل عنه من كتاب الشبهات * ثم أنه لم يقل ان زيارة قبر النبى صلى الله عليه وسلم أو قبور سائر الانبياء والصلحاء الزيارة المشروعة شرك بل ندبها واستحبها . نعم ان الزيارة المخالفة لما ورد فهى ليست بمقبولة كما انها كذلك عند المحققين من الائمة وقد سبق بيان ذلك فيما نقلناه عن شيخ الاسلام * وكذلك التوسل به بمعنى جعله وسيلة والطلب من الله تعالى ليس مما نوزع فيه . وقوله (وند أنهم له الخ) قد أسلفنا لك فيما نقلناه من كتاب الشبهات ان الشفاعة تطلب من الله تعالى وتقدم تفصيله (وقوله) وحمل الآيات القرآنية التى نزلت فى المشركين على الخواص والعوام من المؤمنين الخ (فقد تقدم أيضا) بيان ذلك مفصلا فى كشف الشبهات * وحاصل ما أسلفناه أن من عبد غير الله شملته نصوص المشركين وان صام وان صلى فلا حاجة الى تكرير الكلام فى هذا المقام * وقد تكلم على هذه الاعتراضات على وجه البسط أيضا الشيخ عبد الله السندى فى رده على ابن دحلان فراجعه ان شئت فانه مفيد *

(ثم ان النبهانى) نقل كلام ابن دحلان بجملته وهو عين ما هذى به فى كتابه الدرر السنية وما فيها منقول عن الجوهر المنظم وشفاء السقام * وقد عرفت ما كان من الكتابين . وما كان من الرد عليهما فلا نتعب البنان برده * ثم قال بعد كلام طويل ان الذين اعتنوا بالرد على محمد

ابن عبد الوهاب خلائق لا يحصون من مشارق الارض ومغاربها من أرباب المذاهب الاربعة في كتب مبسوطة ومختصرة . (ثم ذكر) أحاديث الزيارة التى سبق الكلام عليها وبها ختم الباب

(أقول) يجاب عن هذا الكلام من وجوه ﴿ الوجه الاول ﴾ ان كثيرا من العلماء المحققين انتصروا للشيخ وردوا على من رد عليه بكتب مفصلة مفيدة لا يسع المقام ذكرها *

﴿ الوجه الثانى ﴾ ان رد كثير من العلماء على الشيخ لا يقتضى بطلان ما كان عليه ولا حقية ما كان عليه خصومه انما معيار الحق شهادة الكتاب العزيز والسنة النبوية * واذا كان قوله وعمله موافقا للثقلين فلا مبالاة بمخالفة الغير كائنا من كان *

﴿ اذا رضيت عنى كرام عشيرتي * فلا زال غضبانا على لئامها ﴾

﴿ الوجه الثالث ﴾ ان الامة لم تزل بين راد ومردود ولا يزالون مختلفين ولذلك خلقهم وكثير من علماء الصحابة والتابعين وتابعي التابعين قد خالفهم كثير من العلماء * هؤلاء المذاهب الاربعة كل واحد منهم له من المخالفين اكثر من الموافقين وكل منهم قد رد عليه خصومه بردود مفصلة . وهذا من المسلمات التي لا يسوغ النزاع فيها فالشيخ الدحلاني كانه غض طرفه عما جرى بين أئمته وأتباعهم وما كان من خراب الديار بسبب تنازعهم . ورأى ما اعترض به خصوم ابن عبد الوهاب عليه لما أظهر زيفهم وزيغهم وباطلهم وضلالهم *

والحق بيد الشيخ الدحلانى فانه على جهله قد ادعى الرياسة على قوم لم يميزوا بين يمينهم وشمالهم وأطاعوه لموافقته لهم على ما ألفوه من الضلال والغي فاذا علمت أقوال هذا الرجل وتبصر بها من تبصر تقطعت حبائل ابن دحلان . وأمثاله من حزب الشيطان . ثم انه ليس هو باول من رد عليه ولا أول من عودي وحسد . فى البخارى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أخبر ورقة بن نوفل خبر ما رأى قال له ورقة هذا الناموس الذى نزل الله على موسى ياليتني فيها جذعا ليتنى اكون حيا اذ يخرجك قومك . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أو مخرجي هم . قال نعم لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به الا عودي وان لم يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزرا. ولو أخذنا ما جرى على الائمة طال الكلام *

﴿ وقد ذكر الشيخ عبد اللطيف ﴾ في كتابه منهاج التأسيس . فى الرد على ابن جرجيس . كلاما مفيدا يعلم منه السبب في معاداة الناس لجده الشيخ محمد ولا باس بذكره فانه يرد به على

الخصوم (قال عليه الرحمة) ان الله بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون . وكان الناس قبل مبعثه على أديان متفرقة ونحل متباينة . وطرائق مختلفة . وضلال مستبين . كما فى صحيح مسلم من حديث عياض بن عمار عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله نظر الى أهل الارض فمقتهم عربهم وعجمهم الا بقايا من أهل الكتاب فقام صلى الله عليه وسلم باعباء النبوة والرسالة . وصدع بالانكار على كافة أهل الجهالة والضلالة . ودعى الناس الى معرفة الله تعالى وتوحيده . وأمرهم باخلاص الدين لله وتجريده . ولم يزل صلى الله تعالى عليه وسلم الى الله داعيا . والى سبيله هاديا . حتى أظهره الله على سائر فرق المشركين . الاميين منهم والكتابيين . واستعلن الدين واستنار . وقهر الاسلام كل مشرك جبار . فأكمل الله للامة الدين . وأتم النعمة بما جاء به رسوله الامين . فدخل الناس فى دين الله أفواجا . وأشرقت الارض بنور النبوة واهتزت طربا وابتهاجاً . ومحا الله آثار الاصنام والاوثان . وخمدت معابد الصلبان والنيران . ورفعت أعلام السنة والقرآن . حتى تركهم صلى الله عليه وسلم على البيضاء ليلها كنهارها . لايضل سالكها ولا تلتبس عليه مناهجها ومسالكها . ولم يزل خلفاؤه الراشدون . ومن بعدهم من تلك الاعصار الفاضلة والقرون . على هذا المنهج المنير متفقون . وبعروته مستمسكون . فاستمر الامر على ذلك . ومضى الصالحون على تلك المناهج الواضحة والمسالك . ثم نشأ فى الاسلام من لايعرف الجاهلية . ولم يميز بين شعب الشرك والاصول الاسلامية . فانتقضت من الدين عراه . وعز خلاصه وعظمت بالجهال محنته وبلواه . وآلت الرياسة الى الجهال والاغمار . وجاءت دولة غربة الدين واشتد الادبار . فوقع الشرك بالصالحين وغيرهم صرفالم يشب . هرم عليه الكبير ونشأ الصغير وشب . واستحكم الامر استحكاما لامزيد عليه . حتى جزم الاكثر بكفر من أنكر ذلك وأشار به اليه . وهذا من أعلام نبوة نبينا المصطفى . زاده الله تعالى صلاة وسلاما وشرفاً . فقد روى الشيخان وغيرهما من حديث أبى سعيد الخدري رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرا بشبر وذراعاً بذراع حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه . قلنا يارسول الله اليهود والنصارى قال فمن . وجاء نحوه عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه وفيه زيادة وباعا بباع وفيه حتى لو ان أحدهم دخل جحر ضب لدخلتموه وحتى لو ان أحدهم جامع أمه

في الطريق لفعلتموه . وفي الباب عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه وشداد بن أوس وعن عمرو ابن شعيب عن أبيه عن جده . فصار الامر طبق ماأخبر به هذه الامة نبيها وظهر وجه الشبه بينهم وبينها . وانتهى الحال الى ان قيل بالاتحاد والحلول وكثرت في ذلك اشارات القوم والنقول . وصار هو مذهب الخاصة والخلاصة عند الاكثرين . ومن أنكره فهو عندهم ليس على شيء من العلم والدين . وعبدت الكواكب والنجوم . وصنف فى ذلك مثل أبى معشر وصاحب السر المكتوم . وعظمت القبور وبنيت عليها المساجد . وعبدت تلك الضرائح والمشاهد ، وجعلت لها الاعياد الزمانية والمكانية . وصرفت لها العبادات المالية والبدنيه . ونحرت لها النحائر والقرابين وطاف بها الفوج بعد الفوج من الزائرين والسائلين . وحلقت لاربابها رؤس الوافدين . وهتف بدعائها ورجائها من حضر أو غاب من المعتقدين والمحبين . واعتمدوا عليها فى المهمات من دون الله رب العالمين وانتهكت باعيادها وموالدها محظورات الشريعة والمحرمات . واستبيح فيها ما اتفق على تحريمه جميع الشرائع والنبوات . وكثر المكاء والتصدية بتلك الفجاج والعرصات . وبارزوا بتلك القبائح والعظائم فاطر الارض والسموات . وصنف في استحبابه بعض شيوخهم كابن المفيد . وظنه الاكثر من دين الاسلام والتوحيد . وأشير الى من أنكره بالكفر الشديد . وقد ضمن الله تعالى لهذه الامة ان لاتجتمع على ضلاله . وان لايزال فيها من يعبد الله تعالى قائما على أى وصف وحاله . وجاء الحديث بانه تعالى يبعث لهذه الامة على رأس كل قرن من يجدد لها أمر الدين . ويقوم من الحجة بالواضح المستبين. فمنهم من قص علينا نبؤه ووصل . ومنهم من انقطع عنا خبره وما اتصل . وأحق أهل القرن الثانى عشر . عند من خبر الامور وسبر . ووقف على ماقرره أهل العلم والاثر . من حصول الوصف الكاشف المعتبر شيخ الاسلام والمسلمين . المجدد لما درس من أصول الملة والدين . السلفى الاول وان تأخر زمانه عند من عقل وتأمل. محمد ابن عبد الوهاب . رحمه الله تعالى وأجزل له الثواب وكان قيامه رحمه الله تعالى بعد الخمسين ومائة وألف من سنى الهجرة المحمدية . وابتداء التواريخ الاسلامية . فشمر رحمه الله تعالى عن ساعدى جده واجتهاده *

وأعلن بالنصح لله ولكتابه ولرسوله وسائر عباده . وصبر على ماناله من أعباء تلك الرتبة والدعوة وما قصد به من أنواع المحنة والجفوة . وقرر رحمه الله تعالى ان الواقع الذى حكينا .

والصنيع الذى رأينا وروينا . عن عباد القبور والصالحين . هو بعينه فعل الجاهلية الوثنيين . وهو الذى جاءت الرسل بمحوه وابطاله . وتكفير فاعله ورد باطله ومحاله . وقال ان حقيقة دين الاسلام وزبدة ما جاءت به الرسل الكرام . هو افراد الله تعالى بالقصد والعبادة واسلام الوجه له بالعمل والاراده . وترك التعلق على الاولياء من دونه والانداد . والبراءة من عبادة ماسواه من سائر المخلوقات والعباد . وهذا معنى كلمة الاخلاص والتوحيد . وهو الحكمة المقصودة بخلق جميع الكائنات والعبيد . وقرر رحمه الله ان مجرد الاتيان بلفظ الشهادة مع مخالفة ما دلت عليه الاصول المقررة ومع الشرك الا كبر فى العبادة لا يدخل المكلف فى الاسلام . اذ المقصود من الشهادتين حقيقة الاعمال التى لا يقوم الايمان بدونها كمحبة الله وحده والخضوع له والانابة اليه والتوكل عليه وافراده بالاستعانة والاستغاثة فيما لا يقدر عليه سواه وعدم الاشراك به فيما يستحقه من العبادات كالذبح والنذر والتقوى والخشية ونحو ذلك من الطاعات *

واستدل لذلك بنصوص قاطعة . وبراهين واضحة ساطعة . وحكى الاجماع على ذلك عن الائمة الفضلاء . والسادة النبلاء . من سائر أهل الفقه والفتوى . وذكر عبارة من حكى الاجماع من أهل المذاهب الاربعة وغيرهم . والف فى ذلك التآليف . وقرر الحجة وصنف التصانيف . وقد عارضه من الغلاة المارقين . ومن الدعاة الى عبادة الاولياء والصالحين . أناس من أهل وقته فباؤا بغضب الله ومقته وأظهره الله عليهم بعد الامتحان . وحقت كلمة ربك على أهل الكفر والطغيان . وهذه سنة الله التى قد خلت من قبل . وحكمته التي يظهر بها ميزان الفضل والعدل وقد جمع أعدؤه شبهات فى رد ما أبداه . وجحد ما قرره واملاه . واستعانوا بملئهم من العجم والعرب . ونسبوه الى ما يستحيي من ذكره أهل العقل والادب . فضلا عن ذوى العلوم والرتب . وزعموا انه خارجي مخالف للسنة والجماعة . كمقالة اسلافهم رسول الله صلى الله عليه وسلم انه صابئي صاحب أفك وصناعه . انتهى ما قصدنا نقله من الكلام *

﴿ ثم ان النبهاني ﴾ عقد بابا رابعا نقل فيه على زعمه أقوال علماء المذاهب الاربعة فى الرد على ابن تيمية والكلام على بعض كتبه ومخالفته أهل السنة في بعض المسائل المهمة ومنها اعتقاد الجهة فى جانب الله تعالى وتقدس (قال فمن عاصره) الامام صدر الدين ابن الوكيل المعروف بابن

مرحل الشافعي وقد ناظره *

(أقول ومن الله المدد والاعانة) هذا الباب هو عمدة أبواب كتاب النبهانى وبيت قصيده ولاجل ذكره ألف كتابه فان الغلاة بغضهم لشيخ الاسلام ابن تيمية ممالا شبهة فيه والنبهانى فى هذا من حثالتهم وفضلاتهم فلا شك أنه من أشد الناس عداوة لهذا الامام لان غالب كتبه فى الرد على المبتدعة وأهل الزيغ والضلال والالحاد (ثم أنه) ذكر ابن الوكيل قبل كل أحد من أعداء الشيخ لانه كان عريقا فى البدع مبغضا للسنة النبوية وكان من غلاة الشافعية أيضا وقعت بينه وبين شيخ الاسلام قدس الله روحه مناظرات وقد اثار عليه فتنا كثيرة . وقد رأيت ان أذكر ماكان من المناظرة بين الشيخ وخصومه ليتبين للناظر أعداؤه من محبيه . ورأيت رسالة من جملة الرسائل الكبرى التى طبعت حديثا فى مصر مشتملة على بيان مناظرته ورأيت فيها تحريفا كثيرا ونقصانا مع ان الشيخ ألف كتابا فيما عقد له من المجالس وما جرى له فيها فاحببت ان أذكر ما وجدته من ذلك ليكون المنصف على بصيرة من أمره . وكلام صاحب الواقعة أصح من غيره . ولذلك اتحفت أهل العلم بذكرها لما اشتملت عليه من الفوائد الغريزة والمسائل الكثيرة *

﴿ ذكر المجالس التى انعقدت لمناظرة شيخ الاسلام ابن تيمية فى عقيدته الواسطية ﴾
(وهى من مصنفاته رضي الله تعالى عنه)

(قال بعد البسملة) الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين . وأشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له ولا ظهير له ولا معين . وأشهد أن محمدا عبده ورسوله الذى أرسله الى الخلق أجمعين . صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا وعلى سائر عباد الله الصالحين * (اما بعد) فقد سئلت غير مرة أن اكتب ما حضرنى ذكره مما جرى فى المجالس الثلاثة المعقودة للمناظرة فى أمر الاعتقاد بمقتضى ماورد من كتاب ذى السلطان من الديار المصرية الى نائبه أمير البلاد لما سعى اليه قوم من الجهمية والاتحادية والرافضة وغيرهم من ذوي الاحقاد فامر الامير بجمع القضاة الاربعة . قضاة المذاهب الاربعة وغيرهم من نوابهم والمفتين والمشايخ ممن له حرمة وبه اعتداد . وهم لا يدرون ما قصد بجمعهم فى هذا الميعاد . وذلك يوم الاثنين ثامن رجب المبارك عام خمس وسبعمائة فقال لى هذا المجلس عقد لك فقد ورد مرسوم السلطان

بان اسألك عن اعتقادك وعما كتبت به الى الديار المصرية من الكتب التى تدعو بها الناس الى الاعتقاد . وأظنه قال وان أجمع القضاة والفقهاء ويتباحثون فى ذلك

(فقلت) أما الاعتقاد فلا يؤخذ عني ولا عمن هو أكبر منى بل يؤخذ عن الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وما أجمع عليه سلف الامة فما كان فى القرآن وجب اعتقاده وكذلك ماثبت فى الاحاديث الصحيحة مثل صحيح البخارى ومسلم وأما الكتب فما كتبت الى أحد ابتداء أدعو به الى شئ من ذلك ولكنى كتبت أجوبة أجبت بها من سألنى من أهل الديار المصرية وغيرهم وكان قد بلغنى انه زور على كتاب الى الامير ركن الدين الجاشنكير استاذذي السلطان يتضمن ذكر عقيدة محرفة ولم أعلم بحقيقته لكن علمت انه مكذوب *

وكان يرد على من مصر وغيرها من يسألني عن مسائل فى الاعتقاد فاجبته بالكتاب والسنة وما كان عليه سلف الامة فقال نريد ان تكتب لنا عقيدتك فقلت اكتبوا *

فامر الشيخ كمال الدين ان يكتب فكتب له جمل الاعتقاد فى أبواب الصفات والقدر . ومسائل الايمان والوعيد والامامة والتفضيل . وهو ان اعتقاد أهل السنة والجماعة الايمان بما وصف الله به نفسه وبما وصفه به رسول من غير تحريف ولا تعطيل . ولا تكييف ولا تمثيل . وان القرآن كلام الله غير مخلوق . منه بدا واليه يعود . والايمان بان الله خالق كل شئ من أفعال العباد وغيرها . وانه ماشاء الله كان وما لم يشأ لم يكن . وانه أمر بالطاعة وأحبها ورضيها . ونهى عن المعصية وكرهها . والعبد فاعل حقيقة . والله خالق فعله وان الايمان والدين قول وعمل يزيد وينقص . وان لا نكفر أحدا من أهل القبلة بالذنوب ولا نخلد فى النار من أهل الايمان أحدا وان الخلفاء بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم على . وترتيبهم في الفضل كترتيبهم فى الخلافة . ومن قدم على على عثمان فقد أزرى بالمهاجرين والانصار . وذكرت هذا أو نحوه . فاني الآن قد بعد عهدى ولم أحفظ لفظ ما أمليته لكنه كتب اذ ذاك *

(ثم قلت) للامير والحاضرين أنا أعلم ان أقواما يكذبون على كما قد كذبوا غير مرة وان أمليت الاعتقاد من حفظي ربما يقولون كتم بعضه أوداهن ودارى فانا أحضر عقيدة مكتوبة من نحو سبع سنين قبل ان يجئ التتر الى الشام وقلت قبل حضورها كلاما قد بعد عهدى به وغضبت غضبا شديدا لكنى أذكر انى قلت انا اعلم ان أقواما كذبوا على وقالوا للسلطان اشياء

وتكلمت بكلام احتجت اليه • مثل ان قلت من قام بالاسلام أوقات الحاجة غيرى • ومن الذي أوضح دلائله وبينه وجاهد أعداءه واقامه لما مال . حين تخلي عنه كل أحد . ولا أحد ينطق بحجته ولا أحد يجاهد عنه • وقمت مظهرا الحجة مجاهدا عنه مرغبا فيه *

﴿ فاذا ﴾ هؤلاء يطمعون فى الكلام فيّ فكيف يصنعون بغيري • ولو ان يهوديا طلب من السلطان الانصاف لوجب عليه ان ينصفه وأنا قد أعفو عن حق وقد لا أعفو بل أطلب الانصاف منه وان يحضر هؤلاء الذين يكذبون ليكافئوا على افترائهم • وقلت كلاما أطول من هذا الجنس لكن بعد عهدى به *

فاشار الامير الى كاتب الدرج محي الدين ان يكتب فى ذلك وقلت أيضا كل من خالفنى فى شئ مما كتبته فانا أعلم بمذهبه منه . وما أدرى هل قلت هذا قبل حضورها أو بعده لكن قلت أيضا بعد حضورها وقرائتها ماذكرت فيها فصلا الا وفيه مخالف من المنتسبين الى القبلة • وكل جملة فيها خلاف لطائفة من الطوائف ثم أرسلت من احضرها ومعه كراريس بخطي من المنزل •فحضرت العقيدة الواسطية وقلت لهم هذه كان سبب كتابتها انه قدم عليّ من ارض واسط بعض قضاة نواحيها شيخ يقال رضى الدين الواسطى من اصحاب الشافعى قدم علينا حاجا وكان من اهل الخير والدين وشكا ما الناس فيه بتلك البلاد فى دولة التتر من غلبة الجهل والظلم ودروس الدين والعلم وسألنى ان اكتب له عقيدة تكون عمدة له ولاهل بيته فاستعفيت من ذلك وقلت قد كتب الناس عقائد متعددة فخذ بعض عقائد ائمة السنة فالح فى السؤال وقال ما احب الاّ عقيدة تكتبها انت فكتبت له هذه العقيدة وأنا قاعد بعد العصر وقد انتشرت بها نسخ كثيرة فى مصر والعراق وغيرهما فاشار الامير بان أقرأها انا لرفع الريبة واعطاها لكاتبه الشيخ كمال الدين فقرأها على الحاضرين حرفا حرفا والجماعة الحاضرون يسمعونها ويورد المورد منهم ماشاء ويعارض فيما شاء والامير ايضا سأل عن مواضع فيها • وقد علم الناس ما كان فى نفوس طائفة من الحاضرين من الخلاف والهوى ما قد علم الناس بعضه وبعضه بسبب الاعتقاد وبعضه بغير ذلك • ولا يمكن ذكر ماجري من الكلام والمناظرات فى هذه المجالس فانه كثير لاينضبط لكن اكتب ملخص ما حضرني من ذلك مع بعد العهد بذلك ومع انه كان يجرى رفع اصوات ولغط لاينضبط *

﴿ فكان مما ﴾ اعترض عليه بعضهم لما ذكر فى أولها . ومن الايمان بالله الايمان بما وصف به نفسه ووصفه به رسوله من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل . فقال ماالمراد بالتحريف والتعطيل ومقصوده ان هذا ينفى التأويل الذى أثبته أهل التأويل الذى هو صرف اللفظ عن ظاهره اما وجوبا واما جوازا . فقلت تحريف الكلم عن مواضعه كما ذمه الله تعالى فى كتابه وهو ازالة اللفظ عما دل عليه من المعنى مثل تأويل بعض الجهمية لقوله تعالى وكلم الله موسى تكليما . اي جرحه بأظافير الحكمة تجريحا . ومثل تأويلات القرامطة والباطنية وغيرهم من الجهمية والرافضه والقدرية وغيرهم فسكت وفي نفسه مافيها *

وذكرت فى غير هذا المجلس اني عدلت عن لفظ التأويل الى لفظ التحريف لان التحريف اسم جاء القرآن بذمه . وانا تحريت فى هذه العقيدة اتباع الكتاب والسنة فبينت ماذمه الله من التحريف ولم اذكر فيها لفظ التأويل بنفى ولا اثبات لانه لفظ له عدة معان كما بينته فى موضعه من القواعد فان معنى لفظ التأويل فى كتاب الله غير معنى لفظ التأويل فى اصطلاح المتاخرين من أهل الاصول والفقه وغير معنى لفظ التأويل فى اصطلاح كثير من أهل التفسير والسلف لان من المعانى التى قد تسمى تأويلا ماهو صحيح منقول عن بعض السلف فلم أنف ماتقوم به الحجة على صحته اذ ماقامت الحجة على صحته وهو منقول عن السلف فليس من التحريف

﴿ وقلت لهم أيضا ﴾ ذكرت فى النفى التمثيل ولم اذكر التشبيه لان التمثيل نفاه الله بنص كتابه حيث قال ليس كمثله شئ وقال هل تعلم له سميا وكان أحب الي من لفظ ليس فى كتاب الله ولا سنة رسوله وان كان قد يعنى بنفيه معنى صحيح كما قد يعنى به معنى فاسد . ولما ذكرت انهم لاينفون عنه ماوصف به نفسه ويحرفون الكلم عن مواضعه ويلحدون في أسماء الله وآياته جعل بعض الحاضرين يتمعض من ذلك لاستشعاره مافي ذلك من الرد الظاهر عليه . ولكن لم يتوجه له مايقوله واراد ان يدور بالاسئلة التى أعلمها فلم يتمكن لعلمه بالجواب .

﴿ ولما ذكرت آية الكرسى ﴾ أظنه سال الامير عن قولنا لايقربه شيطان حتى يصبح وذكرت حديث أبى هريرة فى الذى كان يسرق صدقة الفطر وذكرت ان البخارى رواه فى صحيحه وأخذوا يذكرون نفى التشبيه والتجسيم ويطنون فى هذا ويعرضون لما ينسبه بعض الناس الينا من ذلك .

﴿ وقلت ﴾ قولي من غير تكييف ولا تمثيل ينفي كل باطل وانما اخترت هذين الاسمين لان التكييف مأثور نفيه عن السلف كما قال ربيعة ومالك وابن عيينة وغيرهم المقالة التي تلقاها العلماء بالقبول الاستواء معلوم والكيف مجهول والايمان به واجب والسؤال عنه بدعة فاتفق هؤلاء السلف على ان التكييف غير معلوم لنا فنفيت ذلك اتباعا لسلف الامة وهو ايضا منفي بالنص فان تأويل آيات الصفات يدخل فيها حقيقة الموصوف وحقيقة صفاته وهذا من التأويل الذي لا يعلمه الا الله كما قد قررت ذلك في قاعدة مفردة ذكرتها في التأويل والفرق بين علمنا بمعنى الكلام وبين علمنا بتأويله *

﴿ وكذلك ﴾ التمثيل منفيّ بالنص والاجماع القديم مع دلالة العقل على نفيه ومعنى التكييف اذ كنه الباري غير معلوم للبشر وذكرت في ضمن ذلك الخطأ الذي نقل انه مذهب السلف وهو اجراء الصفات وأحاديث الصفات على ظاهرها مع نفي الكيفية والتشبيه عنها اذ الكلام في الصفات فرع على الكلام في الذات يحتذى فيه حذوه ويتبع فيه مثاله . فاذا كان اثبات الذات اثبات وجود لا اثبات تكييف — وكذلك اثبات الصفات اثبات وجود لا اثبات تكييف

﴿ وقال أحد كبار المخالفين ﴾ فحينئذ يجوز أن يقال هو جسم لا كالاجسام. فقلت له أنا وبعض الفضلاء الحاضرين انما قيل انه لو وصف الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم وليس في الكتاب والسنة ان الله جسم حتى يلزم هذا السؤال *

﴿ وأخذ بعض القضاة ﴾ المعروفين بالديانة يريد اظهار ان ينفي عنا مايقول وينسبه البعض الينا فجعل يريد المبالغة في نفي التشبيه والتجسيم فقلت ذكرت فيها في غير موضع من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل *

﴿ قلت في صدرها ﴾ ومن الايمان بالله الايمان بما وصف به نفسه في كتابه وبما وصف به رسوله محمد صلى الله عليه وسلم من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل *

﴿ ثم قلت ﴾ وماوصف الرسول به ربه من الاحاديث الصحاح التي تلقاها أهل المعرفة بالقبول وجب الايمان بها كذلك الى أن قلت الى أمثال هذه الاحاديث التي يخبر فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم بما أخبر به فان الفرقة الناجية أهل السنة يؤمنون بذلك. كما يؤمنون بما أخبر الله في كتابه من غير تحريف ولا تعطيل . ومن غير تكييف ولا تمثيل . بل هم وسط في فرق

الامة . كما ان الامة هي الوسط فى الامم فهم وسط فى باب صفات الله بين أهل التعطيل الجهمية وبين أهل التمثيل المشبهة *

﴿ ولما رأى هذا الحاكم العدل ﴾ ممالاتهم وتعصبهم ورأى قلة العارف الناصر وخافهم قال انت صنفت اعتقاد الامام أحمد فتقول هذا اعتقاد أحمد يعنى والرجل يصنف على مذهبه فلا يعترض عليه فان هذا مذهب متبوع . وغرضه بذلك قطع مخاصمة الخصوم فقلت ماجمعت الا عقيدة السلف الصالح جميعهم ليس للامام احمد اختصاص بهذا . والامام أحمد انما هو مبلغ العلم الذى جاء به النبي صلى الله عليه وسلم ولو قال أحمد من تلقاء نفسه مالم يجيء به الرسول لم نقبله . وهذه عقيدة سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم *

﴿ وقلت مرات ﴾ قد أمهلت كل من خالفنى في شيء منها ثلاث سنين فان جاء بحرف واحد عن أحد من القرون الثلاثة التى اثنى عليها النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال خير القرون القرن الذى بعثت فيهم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم بخالف ما ذكرناه فانا أرجع عن ذلك وعلى أن آتى بنقول جميع الطوائف عن القرون الثلاثة يوافق ماذكرناه من الحنفية والمالكية والشافعية والحنبلية والاشعرية وأهل الحديث والصوفية وغيرهم *

(وقلت أيضا فى غير هذ المجلس) الامام أحمد رضي الله تعالى عنه لما انتهى اليه من السنة ونصوص رسول الله صلى الله عليه وسلم اكثر مما انتهى الى غيره وابتلى بالمحنة والرد على أهل البدع اكثر من غيره كان كلامه وعلمه فى هذا الباب اكثر من غيره فصار اماما فى السنة اظهر من غيره والا فالامر كما قاله بعض شيوخ المغاربة العلماء الصلحاء . قال المذهب لمالك والشافعى والظهور لاحمد بن حنبل . يعنى ان الذي كان عليه أحمد عليه جميع أئمة الاسلام وان كان لبعضهم من الزيادة او البيان او اظهار الحق ودفع الباطل ماليس لبعض *

(ولما جاء فيها) وما وصف به النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ربه فى الاحاديث الصحاح التى تلقاها أهل العلم بالقبول . (ولما جاء) حديث أبى سعيد المتفق عليه في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم يقول الله يوم القيامة يا آدم فيقول لبيك وسعديك فينادى بصوت ان الله يأمرك أن تبعث بعثا الى النار الحديث . سألهم الامير هل الحديث صحيح فقلت نعم هو فى الصحيحين ولم يخالف فى ذلك أحد واحتاج المنازع الى الاقرار به ووافق الجماعة على ذلك *

(وطلب الامير) الكلام في مسألة الحرف والصوت لان ذلك طلب منه فقلت هذا الذى يحكيه كثير من الناس عن الامام أحمد وأصحابه ان صوت القارئين ومداد المصاحف قديم ازلي كما نقله مجد الدين بن الخطيب وغيره كذب مفترى لم يقل ذلك أحمد ولا احد من علماء المسلمين لا من أصحاب أحمد ولا غيرهم . وأخرجت كراسا قد احضرته مع العقيدة فيه الفاظ أحمد مما ذكره الشيخ ابو بكر الخلال فى كتاب السنة عن الامام أحمد وما جمعه صاحبه ابو بكر المروزى من كلام الامام أحمد وكلام أئمة زمانه وسائر أصحابه فان من قال لفظى بالقرآن مخلوق فهو جهمى . ومن قال غير مخلوق فهو مبتدع *

(قلت) وهذا هو الذى نقله الاشعرى فى كتاب المقالات عن أهل السنة وأصحاب الحديث وقال انه يقول به قلت فكيف بمن يقول لفظى قديم فكيف بمن يقول صوتى غير مخلوق فكيف بمن يقول صوتى قديم ونصوص الامام أحمد فى الفرق بين تكلم الله فى صوت وبين صوت العبد كما نقله البخارى صاحب الصحيح فى كتاب خلق أفعال العباد وغيره من أئمة السنة

* واحضرت جواب مسئلة * كنت سئلت عنها قديما فيمن حلف بالطلاق فى مسألة الحرف والصوت ومسالة الظاهر فى العرش فذكرت من الجواب القديم فى هذه المسألة وتفصيل القول فيها وان اطلاق القول ان القرآن هو الحرف والصوت اوليس بحرف ولا صوت كلاهما بدعة حدثت بعد المائة الثالثة *

(وقلت) هذا جوابي . وكانت هذه المسألة قد ارسل بها طائفة من المعاندين المتجهمة ممن كان بعضهم حاضرا فى المجلس فلما وصل اليهم الجواب اسكتهم وكانوا قد ظنوا انه ان اجبت بما فى ظنهم ان أهل السنة تقوله حصل مقصودهم من الشناعة وان اجبت بما يقولونه هم حصل مقصودهم من الموافقة . فلما اجيبوا بالفرقان الذى عليه أهل السنة وليس هو كما يقولونه هم ولا ما ينقلونه عن أهل السنة او قد يقوله بعض الجهال بهتوا لذلك . وفيه ان القرآن كله كلام الله حروفه ومعانيه ليس القرآن اسما لمجرد الحروف ولا لمجرد المعانى *

(وقلت فى ضمن الكلام لصدر الدين بن الوكيل) لبيان كثرة تناقضه وانه لا يستقر على مقالة واحدة وانما يسعى فى الفتن والتفريق بين المسلمين (عندي) عقيدة للشيخ ابى البيان فيها ان من قال ان حرفا من القرآن مخلوق فقد كفر . وقد كتبت عليها بخطك ان هذا مذهب

الشافعي وأئمة أصحابه وانك تدين الله بها فاعترف بذلك . فانكر عليه الشيخ كمال الدين بن الزملكانى ذلك . فقال ابن الوكيل هذا نص الشافعي وراجعه فى ذلك مرارا . فلما اجتمعنا فى المجلس الثانى ذكر لابن الوكيل . ان ابن درباس نقل فى كتاب الانتصار عن الشافعى مثل ماقلت . فلما كان في المجلس الثالث اعاد ابن الوكيل الكلام فى ذلك . فقال الشيخ كمال الدين لصدر الدين بن الوكيل قد قلت فى ذلك المجلس للشيخ تقي الدين انه من قال ان حرفا من القرآن مخلوق فهو كافر فاعاده مرارا فغضب هنا الشيخ كمال الدين غضبا شديدا ورفع صوته وقال هذا يكفر أصحابنا المتكلمين الاشعرية الذين يقولون ان حروف القرآن مخلوقة مثل امام الحرمين وغيره . وما نصبر على تكفير أصحابنا . فانكر ابن الوكيل انه قال ذلك وقال ماقلت ذلك . وانما قلت ان من انكر حرفا من القرآن فقد كفر فرد ذلك عليه الحاضرون . وقالوا ما قلت الا كذا وكذا . وقالوا ما ينبغي لك ان تقول قولا وترجع عنه . وقال بعضهم ماقال هذا فلما حرفوا قال ما سمعناه قال هذا حتى قال نائب السلطان واحد يكذب وآخر يشهد والشيخ كمال الدين مغضب فالتفت الى قاض القضاة نجم الدين الشافعى يستصرخه للانتصار على ابن الوكيل حيث كفر أصحابه . فقال القاضى نجم الدين . ما سمعت هذا فغضب الشيخ كمال الدين وقال كلاما لم اضبط لفظه الا ان معناه ان هذا غضاضة على الشافعى وعاد عليهم ان أئمتهم يكفرون ولا ينتصر لهم ولم اسمع من الشيخ كمال الدين ما قال فى حق القاضى نجم الدين واستثبت غيرى ممن حضر هل سمع منه فى حقه شيأ فقالوا لا لكن القاضى اعتقد ان التعيير لاجله ولكونه قاضى المذهب ولم ينتصر لاصحابه . وان الشيخ كمال الدين قصده بذلك فغضب قاضى القضاة نجم الدين . وقال اشهدوا علىّ انى عزلت نفسى واخذ يذكر ما يستحق به التقديم والاستحقاق وعفته عن التكلم فى اعراض الجماعة ويستشهد بنائب السلطان فى ذلك . وقلت له كلاما مضمونه تعظيمه واستحقاقه لدوام المباشرة فى هذه الحال *

﴿ ولما جاءت مسئلة القرآن ﴾ ومن الايمان به الايمان بان القرآن كلام الله غير مخلوق منه بدا واليه يعود نازع بعضهم في كونه منه بدا واليه يعود وطلبوا تفسير ذلك . فقلت اما هذا القول فهو المأثور الثابت عن السلف مثل ما نقله عمرو بن دينار . قال أدركت الناس منذ سبعين سنة يقولون الله الخالق وما سواه مخلوق الا القرآن فانه كلام الله غير مخلوق منه بدا واليه يعود . وقد

جمع غير واحد ما فى ذلك من الآثار عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم والصحابة والتابعين كالحافظ أبي الفضل بن ناصر والحافظ أبى عبد الله المقدسى . واما معناه فان قولهم منه بدا أى هو المتكلم به وهو الذى أنزله من لدنه ليس هو كما تقوله الجهمية أنه خلق فى الهواء او غيره وبدا من عند غيره . واما اليه يعود فانه يسرى به فى آخر الزمان من المصاحف والصدور فلا يبقي في الصدور منه كلمة ولا في المصاحف منه حرف ووافق على ذلك غالب الحاضرين وسكت المنازعون *

وخاطبت بعضهم فى غير هذا المجلس بان اريته العقيدة التى جمعها الامام القادرى وفيها أنه كلام الله خرج منه فتوقف في هذا اللفظ فقلت هكذا قال النبي صلى الله عليه وسلم ما تقرب العباد الى الله بمثل ما خرج منه يعني القرآن . وقال خباب بن الارت يا هذا تقرب الى الله بما استطعت فلن يتقرب اليه بشيء أحب اليه مما خرج منه وقال ابو بكر الصديق لما قرأ قرآن مسيلمة الكذاب ان هذا الكلام لم يخرج من ال يعنى رب (وجاء فيها) ومن الايمان به الايمان بان القرآن كلام الله منزل غير مخلوق منه بدا واليه يعود وان الله تكلم به حقيقة وان هذا القرآن الذى أنزله الله على محمد صلى الله عليه وسلم هو كلام الله حقيقة لا كلام غيره ولا يجوز اطلاق القول بانه حكاية عن كلام الله او عبارة بل اذا قرأه الناس أو كتبوه فى المصاحف لم يخرج بذلك عن أن يكون كلام الله فان الكلام انما يضاف حقيقة الى من قاله مبتديا لا الى من قاله مبلغا موديا فتمعض بعضهم من اثبات كونه كلام الله حقيقة بعد تسليمه ان الله تعالى تكلم به حقيقة . (ثم) انه سلم ذلك لما بين له ان المجاز يصح نفيه وهذا لا يصح نفيه ولما بين له ان أقوال المتقدمين المأثورة عنهم وشعر الشعراء المضاف اليهم هو كلامهم حقيقة فلا يكون شبه القرآن باقل من ذلك . فوافق الجماعة كلهم على ما ذكر فى مسألة القرآن وان الله متكلم حقيقة وان القرآن كلام الله حقيقة لا كلام غيره *

﴿ ولما ذكر فيها ﴾ ان الكلام انما يضاف حقيقة الى من قاله مبتديا لا الى من قاله مبلغا مؤديا استحسنوا هذا الكلام وعظموه . وأخذ اكبر الخصوم يظهر تعظيم هذا الكلام كابن الوكيل وغيره وأظهر الفرح بهذا التلخيص . وقال انك قد ازلت عنا هذه الشبهة وشفيت الصدور ويذكر شيأ من هذا النمط *

﴿ ولما جاء ما ذكر ﴾ من الايمان باليوم الآخر وتفصيله ونظمه استحسنوا ذلك وعظموه وكذلك لما جاء ذكر الايمان بالقدر وانه على درجتين الى غير ذلك من القواعد الجليلة (وكذا لما جاء) ذكر الكلام فى الفاسق الملى فى الايمان لكن اعترضه على ذلك بما سأذكره (وكان مااعترض به) المنازعون المعاندون بعد انقضاء قراءة جميعها والبحث فيها عن أربعة أسئلة ﴿الاول﴾ قولنا ومن أصول الفرقة الناجية ان الايمان والدين قول وعمل يزيد وينقص قول القلب واللسان وعمل القلب واللسان والجوارح قالوا اذا قيل ان هذا من أصول الفرقة الناجية خرج عن الفرقة الناجية من لم يقل ذلك مثل أصحابنا المتكلمين الذين يقولون ان الايمان هو التصديق ومن يقول الايمان هو التصديق والاقرار واذا لم يكونوا من الناجين لزم أن يكونوا هالكين *

﴿ واما الاسئلة الثلاثة ﴾ وهي التى كانت عمدتهم فاوردوها وقد دخل فيما ذكرناه من الايمان بالله الايمان بما أخبر الله في كتابه وتواتر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأجمع عليه سلف الامة من أنه سبحانه فوق سمواته على عرشه عليّ على خلقه وهو معهم اينما كانوا يعلم ماهم عاملون كما جمع بين ذلك قوله تعالى (هو الذى خلق السموات والارض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج فى الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير) وليس معنى قوله وهو معكم انه مختلط بالخلق فان هذا لا توجبه اللغة وهو خلاف ما أجمع عليه سلف الامة وخلاف ما فطر الله عليه الخلق بل القمر آية من آيات الله من أصغر مخلوقاته وهو موضوع فى السماء وهو مع المسافر أينما كان وغير المسافر وهو سبحانه فوق العرش رقيب على خلقه مهيمن عليهم مطلع اليهم الى غير ذلك من معانى ربوبيته وكل هذا الكلام الذى ذكره الله تعالى من أنه فوق العرش وانه معنا حق على حقيقته لا يحتاج الى تحريف ولكن يصان على الظنون الكاذبة *

﴿ السؤال الثانى ﴾ قال بعضهم نقر باللفظ الوارد مثل حديث العباس حديث الاوعال والله فوق العرش ولا نقول فوق السموات ولا نقول على العرش استوى ولا نقول مستو وأعادوا هذا المعنى مرارا ان اللفظ الذى ورد يقال اللفظ بعينه ولا يبدل بلفظ يرادفه ولا يفهم له معنى أصلا . ولا يقال انه يدل على صفة لله أصلا . ويبسط الكلام فى هذا في المجلس الثانى كما سنذكره ان شاء الله تعالى *

﴿ السؤال الثالث ﴾ قالوا التشبيه بالقمر فيه تشبيه كون الله في السماء *

﴿ السؤال الرابع ﴾ قالوا قولك حق على حقيقته . الحقيقة هي المعنى اللغوي ولا نفهم من الحقيقة اللغوية الا استواء الاجسام وفوقيته ولم تضع العرب ذلك الا لها فاثبات الحقيقة هو محض التجسيم ونفى التجسيم مع هذا تناقض ومصانعة (فاجبتهم عن الاسئله) بان قولى اعتقاد الفرقة الناجية هي الفرقة التى وصفها النبي صلى الله عليه وسلم بالنجاة حيث قال تفرق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة اثنتان وسبعون فى النار وواحدة فى الجنة وهى من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي فهذا الاعتقاد هو المأثور عن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضى الله عنهم وهم ومن اتبعهم . الفرقة الناجية فانه قد ثبت عن غير واحد من الصحابة أنه قال الايمان يزيد وينقص وكل ماذكرته في ذلك فانه مأثور عن الصحابة بالاسانيد الثابتة لفظه ومعناه . واذا خالفهم من بعدهم لم يضر فى ذلك (قلت لهم) وليس كل من خالف فى شئ من هذا الاعتقاد يجب ان يكون هالكا فان المنازع قد يكون مجتهداً مخطئا يغفر الله خطاه . وقد لايكون بلغه فى ذلك من العلم ماتقوم عليه الحجة . وقد تكون له من الحسنات مايمحو الله به سيئاته واذا كانت ألفاظ الوعيد المتناولة لايجب ان يدخل فيها المتأول والقانت وذو الحسنات الماحية والمغفور له وغير ذلك . فهذا أولى بل موجب هذا الكلام ان من اعتقد ذلك نجا فى هذا الاعتقاد . ومن اعتقد ضده فقد يكون ناجيا . وقد لايكون ناجيا كما يقال من صمت نجا *

﴿ وأما السؤال الثانى ﴾ فاجبتهم أولا بان كل لفظ قلته فهو مأثور عن النبي صلى الله عليه وسلم مثل لفظ فوق السموات ولفظ على العرش وفوق العرش (وقلت) اكتبوا الجواب فأخذ الكاتب فى كتابته . ثم قال بعض الجماعة قد طال المجلس اليوم فيؤخر هذا الى مجلس آخر وتكتبون أنتم الجواب وتحضرونه فى ذلك المجلس . فأشار بعض الموافقين بان يتم الكلام بكتابة الجواب لئلا تنتشر أسئلتهم واعتراضهم وكان الخصوم لهم غرض فى تأخير كتابة الجواب ليستعدوا لانفسهم ويطالعوا ويحضروا من غاب من أصحابهم ويتأمل العقيدة فيما بينهم ليتمكنوا من الطعن والاعتراض فحصل الاتفاق ان يكون تمام الكلام يوم الجمعة وقمنا على ذلك وقد أظهر الله من قيام الحجة وبيان المحجة ما أعز به السنة والجماعة وأرغم به أهل البدعة والضلالة *

﴿ وفى نفوس كثير من الناس ﴾ أمور لم يحدث فى المجلس الثاني وأخذوا فى تلك الايام يتأملونها ويتأملون ماأجبت به فى مسائل تتعلق بالاعتقاد مثل المسألة الحموية فى الاستواء والصفات الخبرية وغيرها *

﴿ قال عليه الرحمة فصل ﴾ فلما كان المجلس الثانى يوم الجمعة فى اثني عشر رجب وقد أحضروا أكثر شيوخهم ممن لم يكن حاضرا ذلك المجلس وأحضروامعهم زيادة صفى الدين الهندى. وقالوا هذا أفضل الجماعة وشيخهم فى علم الكلام وبحثوا فيما بينهم واتفقوا وتعاطوا وحضروا بقوة واستعداد للمخاطب الذي هو المسؤل والمجيب والمناظر. فلما اجتمعنا وقد أحضرت ما كتبته من الجواب عن أسئلتهم المتقدمة التى طلبوا تاخيره الى اليوم حمدت الله بخطبة الحاجة خطبة ابن مسعود رضى الله عنه. ثم قلت ان الله تعالى أمرنا بالجماعة والائتلاف ونهانا عن الفرقة والاختلاف وقال لنا في القرآن واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا. وقال ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شئ. وقال ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ماجاءتهم البينات وربنا واحد وكتابنا واحد ونبينا واحد. وأصول لدين لاتحتمل التفرق والاختلاف وانا أقول ما يوجب الجماعة بين المسلمين وهو متفق عليه بين السلف فان وافق الجماعة فالحمدلله والا فمن خالفنى بعد ذلك كشفت الاسرار وهتكت الاستار. وبينت المذاهب الفاسدة التى أفسدت الملل والدول. وأنا أذهب الى سلطان الوقت على البريد وأعرفه من الامور مالاأقوله في هذا المجلس. فان للسلم كلاما وللحرب كلاما (وقلت) لاشك ان الناس يتنازعون يقول هذا انا حنبلى. ويقول هذا أنا أشعرى. ويجري بينهم تفرق وفتن واختلاف على أمور لايعرفون حقيقتها. وأنا قد أحضرت مابين اتفاق المذاهب فيما ذكرته. وأحضرت كتاب تبين كذب المفتري فيما ينسب الى الشيخ أبى الحسن الاشعرى رضى الله عنه تاليف الحافظ أبي القاسم ابن عساكر رحمه الله (وقلت) لم يصنف فى أخبار الاشعرى المحمودة كتاب مثل هذا. وقد ذكر فيه لفظه الذى ذكره فى كتابه الابانة *

﴿ فلما ﴾ انتهيت الى ذكر المعتزلة سأل الامير عن معنى المعتزلة فقلت كان الناس في قديم الزمان قد اختلفوا فى الفاسق الملى وهو من أول اختلاف حدث فى الملة هل هو كافر أو مؤمن. فقالت الخوارج انه كافر. وقالت الجماعة انه مؤمن. وقالت طائفة نقول هو فاسق لامؤمن ولا كافر ننزله

منزلة بين المنزلتين وخلدوه فى النار واعتزلوا حلقة الحسن البصرى وأصحابه رحمه الله تعالى فسموا معتزلة (وقال الشيخ الكبير) بجبته ورداته ليس كما قلت ولكن أول مسألة اختلف فيها المسلمون مسألة الكلام وسمى المتكلمون متكلمين لاجل تكلمهم فى ذلك وكان أول من قالها عمرو بن عبيد . ثم خلف بعد موته عطاء بن واصل *

﴿ هكذا قال ﴾ وذكر نحوا من هذا فغضبت عليه . وقلت أخطأت وهذا كذب مخالف للاجماع وقلت له لا أدب ولا فضيلة . لا تأدبت معي في الخطاب . ولا أصبت فى الجواب *

﴿ قلت ﴾ الناس اختلفوا فى مسألة الكلام فى خلافة المأمون وبعدها فى أواخر المائة الثانية وأما المعتزلة فقد كانوا قبل ذلك بكثير من زمن عمرو بن عبيد بعد موت الحسن البصرى في أوائل المائة الثانية ولم يكن أولئك قد تكلموا في مسألة الكلام ولا تنازعوا فيها وانما أول بدعتهم تكلمهم فى مسائل الاسماء والاحكام والوعيد فقال هذا ذكره الشهرستانى فى كتاب الملل والنحل فقلت الشهرستانى ذكره فى اسم المتكلمين لم سموا متكلمين. لم يذكره فى اسم المعتزلة والامير انما سال عن اسم المعتزلة وأنكر الحاضرون عليه وقالوا غلطت وقلت في ضمن كلام أنا أعلم كل بدعة حدثت فى الاسلام وأول من ابتدعها وما كان سبب ابتداعها وأيضا فما ذكره الشهرستانى ليس بصحيح فى اسم المتكلمين فان المتكلمين كانوا يسمون بهذا الاسم قبل منازعتهم فى مسالة الكلام وكانوا يقولون عن واصل بن عطاء انه متكلم ويصفونه بالكلام ولم يكن الناس اختلفوا فى مسألة الكلام وقلت أنا وغيرى انما هو واصل بن عطاء أى لا عطاء بن واصل كما ذكره المعترض قلت وواصل لم يكن بعد موت عمرو بن عبيد وانما كان قرينه وقد روي ان واصلا تكلم مرة بكلام فقال عمرو بن عبيد لو بعث نبيا ما كان يتكلم باحسن من هذا وفصاحته مشهورة حتى قيل انه كان الثغ وكان يحترز عن الراء حتى قيل له أمر الامير ان يحفر بئر فقال أوعز القائدان يقلب قليب *

﴿ ولما انتهى الكلام الى ماقاله الاشعرى ﴾ قال الشيخ المقدم فيهم لاريب ان الامام أحمد امام عظيم القدر من اكبر أئمة الاسلام لكن قد انتسب اليه اناس ابتدعوا أشياء فقلت أما هذا فحق وليس هذا من خصائص أحمد بل ما من امام الا وقد انتسب اليه أقوام هو منهم بريئ قد انتسب الى مالك اناس مالك بريئ منهم وانتسب الى الشافعى أناس هو بريئ منهم وانتسب الى أبى

حنيفة أناس هو بريء منهم وقد انتسب الى موسى عليه السلام أناس هو منهم بريء وانتسب الى عيسى عليه السلام أناس هو منهم بريئ وقد انتسب الى علي بن ابي طالب أناس هو بريئ منهم ونبينا صلى الله عليه وسلم قد انتسب اليه من القرامطة والباطنية وغيرهم من أصناف الملحدة والمنافقين من هو بريئ منهم وذكر في كلامه انه انتسب الى أحمد من الحشوية والمشبهة ونحو هذا الكلام *

فقلت المشبهة والمجسمه في غير أصحاب الامام أحمد أكثر منهم هو فيهم أصناف . الاكراد كلهم شافعية وفيهم من التشبيه والتجسيم مالا يوجد في صنف آخر وأهل جيلان فيهم شافعية وحنبلية قلت وأما الحنبلية المحضة فليس فيهم من ذلك مافي غيرهم وكان من تمام الجواب ان الكرامية المجسمة كلهم حنفية *

﴿ وتكلمت ﴾ على لفظ الحشوية ما أدرى جوابا عن سؤال الامير اوغيره أو غير جواب فقلت هذا اللفظ اول من ابتدعه المعتزلة فانهم يسمون الجماعة والسواد الاعظم الحشو كما تسميهم الرافضة الجمهور . وحشو الناس هم عموم الناس وجمهورهم وهم غير الاعيان المتميزين يقولون هذا من حشو الناس كما يقال هذا من جمهورهم وأول من تكلم بهذا عمرو بن عبيد قال وكان عبد الله بن عمر رضي الله عنه حشويا فالمعتزلة سموا الجماعة حشوا كما تسميهم الرافضة الجمهور .

﴿ وقلت ﴾ لاأدرى في المجلس الاول أو الثاني أول من قال ان الله جسم هشام بن الحكم الرافضى ﴿ قلت ﴾ لهذا الشيخ من في أصحاب الامام أحمد رحمه الله حشوى بالمعنى الذي تريده الاثرم . ابو داود المروزى . الخلال . أبو بكر . عبد العزيز ابو الحسن التميمى . ابن حامد القاضي . ابو يعلى . ابو الخطاب . بن عقيل . ورفعت صوتى . وقلت سمهم . قل لى من هم . من هم . ﴿ أبكذب ﴾ ابن الخطيب وافترائه على الناس في مذاهبهم تبطل الشريعة وتندرس معالم الدين كما نقل هو وغيره عنهم انهم يقولون ان القرآن القديم هو أصوات القارئين ومداد الكاتبين وان الصوت والمداد قديم ازلى *

من قال هذا . وفي اى كتاب وجد هذا عنهم قل لى . وكما نقل عنهم ان الله لايرى في الآخرة باللزوم الذى ادعاه والمقدمة التي نقلها وأخذت أذكر مايستحقه هذا الشيخ من انه كبير الجماعة وشيخهم وان فيه من العقل والدين مايستحق ان يعامل بموجبه *

﴿ وأمرت ﴾ بقراءة العقيدة جميعها عليه فانه لم يكن حاضرا فى المجلس الاول وانما أحضروه فى الثانى انتصارا . وحدثنى الثقة عنه بعد خروجه من المجلس انه اجتمع به . وقال له اخبرنى عن هذا المجلس . فقال مالفلان ذنب ولا لى . فان الامير سأل عن شيء فاجابه عنه * فظننته سأل عن شيء آخر . وقال قلت انتم مالكم على الرجل اعتراض فانه نصر ترك التأويل وأنتم تنصرون قول التأويل . وهما قولان للاشعرى . وقال أنا اختار قول ترك التأويل وأخرج وصيته التى أوصى بها وفيها قولى ترك التأويل *

﴿ قال الحاكي لى ﴾ فقلت له بلغني عنك انك قلت في آخر المجلس لما أشهد الجماعة على أنفسهم بالموافقة لاتكتبوا عنى نفيا ولا اثباتا فلم ذاك . ﴿ فقال ﴾ لوجهين ﴿ أحدهما ﴾ انى لم أحضر قراءة جميع العقيدة فى المجلس الاول . ﴿ والثاني ﴾ لان أصحابى طلبوني لينتصروا بى فما كان يليق ان اظهر مخالفتهم فسكت عن الطائفتين *

﴿ وأمرت ﴾ غير مرة ان يعاد قراءة العقيدة جميعها على هذا الشيخ فرأى بعض الجماعة ان ذلك تطويل وانه لايقرأ عليه الا الموضع الذى لهم عليه سؤال وأعظموه لفظ الحقيقة فقرأوه عليه فذكر هو بحثا حسنا يتعلق بدلالة اللفظ فحسنته ومدحته عليه وقلت لاريب ان الله حي حقيقة عليم حقيقة سميع حقيقة بصير حقيقة وهذا متفق عليه بين أهل السنة والصفاتيه من جميع الطوائف ولو نازع بعض أهل البدع فى بعض ذلك فلا ريب ان الله موجود والمخلوق موجود ولفظ الوجود سواء كان مقولا عليهما بطريق (الاشتراك) الاشتراك اللفظي او بطريق التواطؤ المتضمن للاشتراك لفظا ومعنى او بالتشكيك الذي هو نوع من التواطؤ فعلى كل قول فالله موجود حقيقة والمخلوق موجود حقيقة ولا يلزم من اطلاق الاسم على الخالق والمخلوق بطريق الحقيقة محذور ولم ار ارجح فى ذلك المقام قولا من هذه الثلاثة على الآخر لان غرضي تحصل على كل مقصودى وكان مقصودى تقرير ماذكرته على قول جميع الطوائف وان أبين اتفاق السلف ومن تبعهم على ماذكرت . وان اعيان المذاهب الاربعة والاشعرى واكابر أصحابه على ماذكرته فانه قبل المجلس الثانى اجتمع بى من أكابر علماء الشافعية والمنتسبين الى الاشعرية والحنفية وغيرهم من عظم خوفهم من هذا المجلس وخافوا انتصار الخصوم فيه وخافوا على نفوسهم ايضا من تفرق الكلمة فلو اظهرت الحجة التى ينتصر بها

ماذكرته ولم يكن من أئمة اصحابهم من يوافقها صارت فرقة وتعصب عليهم ان يظهروا فى المجالس العامة الخروج عن اقوال طوائفهم بما فى ذلك من تمكن اعدائهم من اعتراضهم . فاذا كان من ائمة مذهبهم من يقول ذلك وقامت عليه الحجة وبان انه مذهب السلف امكنهم اظهار القول به ما يعتقدونه فى الباطن من انه الحق حتى قال بعض الاكابر من الحنفية وقد اجتمع بي لو قلت هذا مذهب احمد وتثبت ذلك لانقطع النزاع ومقصوده انه يحصل دفع الخصوم عنك بانه مذهب متبوع ويستريح المنتصر والمنازع من اظهار الموافقة . فقلت لا والله ليس لاحمد بن حنبل فى هذا اختصاص . وانما هذا اعتقاد سلف الامة وئمة اهل الحديث . وقلت ايضا هذا اعتقاد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكل لفظ ذكرته فانا اذكر به آية او حديثا او اجماعا سلفيا . واذكر من ينقل الاجماع عن السلف من جميع طوائف المسلمين والفقهاء الاربعة والمتكلمين واهل الحديث والصوفية وقلت لمن خاطبنى من أكابر الشافعية لا تبين ان ماذكرته هو قول السلف وقول أئمة أصحاب الشافعي وأذكر قول الاشعرى وأئمة اصحابه التى ترد على هؤلاء الخصوم ولينتصرن كل شافعي وكل من قال بقول الاشعري الموافق لمذهب السلف وأبين ان القول المحكي عنه فى تأويل الصفات الخبرية قول لا أصل له فى كلامه . وانما هو قول طائفة من اصحابه فللاشعرية قولان ليس للاشعري قولان *

* (فلما ذكرت فى المجلس) * ان جميع اسماء الله التى سمي بها المخلوق كلفظ الوجود الذى هو مقول بالحقيقة على الواجب والممكن على الاقوال الثلاثة تنازع كبيران هل هو مقول بالاشتراك او بالتواطؤ . فقال احدهما هو متواطئ . وقال الآخر هو مشترك لتلازم التركيب . وقال هذا قد ذكر فخر الدين ان هذا النزاع مبنى على ان وجوده هل هو عين ماهيته املا . فمن قال وجود كل شئ عين ماهيته قال انه مقول بالاشتراك * ومن قال ان وجوده قدر زائد على ماهيته قال انه مقول بالتواطؤ . فاخذ الاول يرجح قول من يقول ان الوجود زائد على الماهية لينصر انه مقول بالتواطؤ . فقال الثانى مذهب الاشعري واهل السنة ان وجوده عين ماهيته فانكر الاول ذلك فقلت اما متكلموا اهل السنة فعندهم ان وجود كل شئ عين ماهيته * واما القول الآخر فهو قول المعتزلة ان وجود كل شئ قدر زائد على ماهيته . وكل منهما اصاب من وجه . فان الصواب ان هذه الاسماء مقولة بالتواطؤ كما قد قررته في غير هذا الموضع واجبت عن شبهة التركيب بالجوابين

المعروفين -- واما بناء ذلك على كون وجود الشيء عين ماهيته او ليس عينه فهو من الغلط المضاف الى ابن الخطيب . فانا وان قلنا ان وجود الشيء عين ماهيته لايجب ان يكون الاسم مقولا عليه وعلى نظيره بالاشتراك اللفظي فقط كما في جميع اسماء الاجناس فان اسم السواد مقول على هذا السواد وهذا السواد بالتواطؤ . وليس هذا السواد عين هذا السواد اذ الاسم دال على القدر المشترك بينهما والمطلق الكلى لكنه لا يوجد مطلقا بشرط الاطلاق الا في الذهن ولا يلزم من ذلك نفي القدر المشترك بين الاعيان الموجودة في الخارج فانه على ذلك تنتفي الاسماء المتواطئة وهي جمهور الاسماء في الغالب . وهي اسماء الاجناس اللغوية وهو الاسم المطلق على الشيء وعلى كل ما اشبهه سواء كان اسم عين او اسم صفة جامدا اومشتقا . وسواء كان جنسا منطقيا او فقهيا او لم يكن بل اسم الجنس في اللغة يدخل فيه الاجناس والاصناف والانواع ونحو ذلك . وكلها أسماء متواطئة وأعيان مسمياتها في الخارج متميزة *

﴿ وطلب بعضهم ﴾ اعادة قراءة الاحاديث المذكورة في العقيدة ليطعن في ذلك في بعضها فعرفت مقصوده . فقلت كانك قد استعددت في حديث الاوعك حديث العباس ابن عبد المطلب وكانوا قد تعبوا حتى ظفروا بما تكلم به زكى الدين عبد العظيم من قول البخارى في تاريخه عبد الله بن عمرة لايعرف له سماع من الاحنف . فقلت هذا الحديث مع أنه رواه أهل السنن كابي داود وابن ماجه والترمذى وغيرهم فهو مروى من طريقين مشهورين فالقدح في أحدهما لايقدح في الآخر * فقال أليس مداره على ابن عمرة . وقلت قال البخارى لايعرف له سماع من الاحنف . فقلت قد رواه امام الائمة ابن خزيمة في كتاب التوحيد الذى اشترط فيه أنه لايحتج فيه الا بما نقله العدل عن العدل موصولا الى النبي صلى الله عليه وسلم . قلت والاثبات مقدم على النفي والبخارى انما نفي معرفة سماعه من الاحنف لم ينف معرفة الناس بهذا . فاذا عرف غيره ماثبت به الاسناد كانت معرفته واثباته مقدماً على نفي غيره وعدم معرفته ووافق الجماعة على ذلك . وأخذ بعض الجماعة يذكر من المدح مالا يليق ان أحكيه وأخذوا يناظرون في أشياء لم تكن في العقيدة ولكن انما تعلقوا بما أجبت به في مسائل وله تعلق بما قد يفهمونه من العقيدة *

﴿ فاحضر بعض اكابرهم ﴾ كتاب الاسماء والصفات للبيهقى رحمه الله تعالى فقال هذا فيه تأويل الوجه عن السلف . فقلت لعلك تعنى قوله تعالى (ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه .

فقال نعم قد قال مجاهد والشافعي وغيرهما . وليست هـذه آية من آيات الصفات ومن عدها في الصفات فقد غلط كما فعل طائفة فإن سياق الـكلام يدل على المراد حيث قال (ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله) والمشرق والمغرب الجهات والوجه هو الجهة يقال أي وجه تريد أي أيّ جهة وانا أريد هذا الوجه أي هذه الجهة كما قال تعالى (ولـكل وجهة هو موليها) ولهذا قال (فأينما تولوا فثم وجه الله) اى تستقبلوا وتتوجهوا انتهى *

﴿ هذا ما وجدناه ﴾ منقولا عمن نقل من خط المصنف شيخ الاسـلام تقي الدين قدس الله روحه وغرضنا من نقله أن يتبين للناظر في هذا الـكتاب ان من ينقل عنهم الغبي النبهاني من مطاعن الشيخ كصدر الدين ابن الوكيل وابن الزملـكاني وصفي الدين الهندي والعز بن جماعـة والسبكي ونحوهم من غلاة الشافعية كلهم كانوا خصوما الدآء للشيخ فـلا يلتفت الى قدحهم وجرحهم والشيخ قد كابد منهم ما كابد وهؤلاء واضرابهم الذين شيدوا اركان البـدع ونفثوا سم ضلالهم في أفواه متبعيهم قاتلهم الله أجمعين . على ان ما ذكر في هـذه المناظرة تنفع في مباحث كثيرة تأتي ان شاء الله وبها يرتدع الخصم الا لد (قال النبهاني) ومنهم الامام ابو حيان وكان صديقا . له فلما اطلع على بدعه رفضه رفضا بتا وحذر الناس منه *

﴿ أقول ﴾ نعم قال الشيخ ابو حيان من المثنين على ابن تيمية بالثناء الحسن الجميل وله شعر جيد في مدحه نذكره في مناقبة المنقوله عن الشيخ مرعي الحنبلي وما ذكره من الرفض لم نعلمه ممن يوثق به * نعم ذكر الامام الذهبي أنه بعد ان مدحه دار بينهما كلام فجرى ذكر سيبويه فاغلظ الشيخ ابن تيمية القول في سيبويه فناظره أبو حيان بسببه ثم عاد زاما له وصـير ذلك ذنبالا يغفر — ويقال ان ابن تيمية قال له ما كان سيبويه نبي النحو ولا معصوما بل أخطأ في الـكتاب في ثمانين موضعا ما تفهمها أنت فكان ذلك سبب مقاطعته اياه — وذكره في تفسيره البحر بكل سوء وكذا في مختصره النهر انتهى . فمن الممكن أن يقع بين العلماء مثـل ذلك ولـكن من المعلوم ان طعن ابن حيان انما كان بعد تخطئة ابن تيمية له والحط على سيبويه — وما ذكره النبهاني الجاهل ان رفضه كان بعد ان اطلع على بدعه قول ساقط والسبب الذى كان من أجله المنافرة قد ذكره أهل العلم . وأي بدعة تنسب للشيخ تقي الدين حتى يهجره بسببها ابو حيان النحوي وما ذهب اليه من الاختيارات كلها مبرهنة بالـكتاب والسنة كما في كتاب الاختيارات ولـكن

النبهانى الجاهل الغافل ظن ذلك هيصة قطار اليها ثم ان من مدح وذم فقد كذب مرتين . على ان قدح المعاصر المعاصر معلوم حاله . والرجل ليس من أهل الجرح والتعديل حتى يعول عليه *

﴿ قال النبهاني ﴾ ومنهم الامام عز الدين بن جماعه رد عليه وشنع عليه كثيرا (جوابه) ان العز هذا كان من أعظم خصوم الشيخ وحسدته وكانت أقواله فى الشيخ تقى الدين وبهتانه عليه من انكى سلاح ابن حجر المكى فى الطعن على أهل التوحيد وأعداء الغلاة وقد عقد ابن السبكى ترجمة له فى طبقاته فلا نتعب القلم بها *

﴿ قال النبهانى ﴾ ومنهم الامام كمال الدين الزملكاني الشافعى المتوفى ستة سبعة وعشرين وسبعمائة. ثم نقل ترجمته عن تاريخ ابن الوردى والثناء عليه ثم نقل عن كتاب كشف الظنون كتاب الدرة المضيه فى الرد على ابن تيميه قال وقد ناظره فى مسائله التى شذ بها عن المذاهب الاربعة (ثم قال) ومن اشنعها مسئلة منعه شد الرحل واعمال المطئ لزيارة القبور ومنعه الاستغاثة بغير الله ثم أورد له أبياتا التجا فيها بغير الله الى آخر ما قال *

(جوابه) ان كمال الدين هذا قد سبق ذكره فى مجالس المناظرة وانه أحد خصوم الشيخ تقى الدين ومثله لا يرجى منه أن يثنى عليه ومع ذلك فقد اثنى عليه كل الثناء وسيأتى بيانه عند الكلام على مناقب الشيخ عليه الرحمه . ثم ان الرد على بعض مسائل ابن تيمية لا يقتضي الجرح فيه فمن المعلوم ما ألف من الردود على العلماء والمجتهدين . هؤلاء الائمة الاربعة كم ردوا عليهم وكم خالفهم من مخالف حتى ان أصحاب الائمة يردون على ائمتهم ولم يقل أحد أن كل من يرد عليه كلامه يكون من المبتدعين والسالكين غير سبيل المؤمنين كما يزعمه هذا الغبي واضرابه من غلاة الشافعية *

(قال النبهانى) ومنهم الامام الكبير الشهير تقي الدين السبكي ثم نقل عنه عبارته التى فى كتاب شفاء الاسقام المشتملة على القدح فى شيخ الاسلام ابن تيمية ومنها قوله وحسبك ان انكار ابن تيمية للاستغاثة والتوسل قول لم يقله عالم قبله وصار بين أهل الاسلام مثله الى آخر ماقال مما هو على هذا المنوال *

﴿ أقول فى الجواب ﴾ عن هذا الهذيان والكلام العارى عن الدليل والبرهان ان السبكي هذا شيخ أعداء ابن تيمية وعميدهم وعليه يعتمد الطاعنون شقيهم وسعيدهم والمناظرات التي كانت

بين السبكى وبين الشيخ قدملأت لدفاتر ونفذت منها المحابر وما هـذا به السبكي فى حق الشيخ كله قد رد عليه وعاد وباله اليه وما كتبه فى مسألة الطلاق من الاعتراض قد رد عليه شيخ الاسلام بمجلدات رأى ابن السبكى منها مجلدا وشفاء السقام رد عليـه الشيخ ابو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الهادى المقدسي . وبرد السبكى على الشيخ فى المسألتين السابقتين لم يزل يفتخر على أهل الحق نظما ونثراً ومن نظمه فى ذلك ما قاله فى أبياته المشهورة *

لو كان حيا يرى قولى ويسمعه . رددت ما قال رداً غـير مشتبه
كما رددت عليـه فى الطلاق وفى ترك الزيارة اقفو اثر سبسبه
وبعـده لاأرى للرد فائدة هـذا وجوهره مما أضن به
والرد يحسن في حالين واحـدة لقطع خصم قوى في تغلبه
وحالة لانتفاع الناس حيث به هدى وربح لديهم فى تكسبه

وما أحسن مارد عليه الامام ابو المظفر الحنبلى معارضا لابياته هذه*

وقلت من بعدهذا قول ذى حسد أخطا الهدى وتجارى في تنكبه
*(لو كان حيا يرى قولى ويسمعه * رددت ما قال رداً غير مشتبه)*
*(كما رددت عليه فى الطلاق وفي * ترك الزيارة اقفو أثر سبسبه)*
فضحت نفسك في هذا المقال ولم تشعر وعجت عن المرعى واخصبه
عرفتنا ان ما قد قلت ليس لوجـ ـه الله بل للمرا أقبح بمنصبه
اذ لو أردت بيان الحق فهت به في محضر الخصم اما في مغيبه
ماذاك صدك بل خوف الجواب كما أجبت قبل بسهم من مصوبه
ذا شأن من يجرد صارما ذكرا ماضى الغرارين غضبا من مجربه
لكن اذا الاسد الضرغام غاب عن الـ ـعرين تسمع فيـه ضبح ثعلبه
كذا الجبان خلافى البر صاح الا مبارز وتعالى فـي توثبـه
ولو سمعت جواب الرد رحت فتى من أعظم الخلق عن جرم واتوبه
وقد كفاني أبو العباس كلفته كذا أرحت لساني غير متعبـه
ووافقته سراة الناس عن كثب من أهل مذهبه أو غير مذهبه

من أهل بغداد والآيات شاهدة ... لهم وللحق مصباح يبين به
عبت الذي قال مافيه الخلاف من ا ... قاع الثلاث ولو أفتى باغربه
وقلت تنكح زوجا غيره ونكا ... حها مع الخلف باق فى تذبذبه
وكيف تنكح من لم تبر عصمتها ... بلا خلاف لشخص مع تجنبه
وفي الزيارة لم تنصف رددت على ... مالم يقله ولم تمرر بسبسبه
رداً ملخصه أشياء أذكرها ... اما حديث ضعيف عند مطلبه
اما صحيح ولكن لادليل به ... على مرادك بل هدم لمنصبه
اما بمجمل لفظ قول خصمك من ... أقوى المقال به قسرا وأصوبه
اما بلا علم لى والجهل غايته ... أيعذر الشخص فيما لا أحاط به
فاي رد لعمرى قد رددت وما ... ذا قلت اذ قلت اقف اثر سبسبه
ان كان عندك فى شد الرحال الى ال ... قبور نقل فعارضه بموكبه
ليعرف الحق من كان أخا نظر ... خال عن العلم ناء عن تعصبه
انى وذلك كالعنقاء في عدم ... وكالسمندل يحكى مع تغيبه
ما أنت الا كما قد قيل في مثل ... خالف لتعرف مشهور لضربه
فشيخنا بصريح الحق حجته ... ونقد نقلك زيف في تقلبه
فمن أحق بحق القول ان ظهر الا ... انصاف مرتفعا من فوق مرقبه
﴿ وقلت مابعده للرد فائدة ٭ هذا وجوهره مما أضن به ﴾
ماذا الكلام وما معناه قله لنا ... امدح أم هجوا عرب عن معربه
ماذلك الجوهر المضنون ويحك هل ... تعني به الشيخ أو ردا لمذهبه
فان يك ماذا الطعن فيه او الا ... جواب عن قوله نور بغيهبه
﴿ والرد يحسن فى حالين واحدة ٭ لقطع خصم قوى فى تغلبه ﴾
﴿ وحالة لانتفاع الناس حيث به ٭ هدى وربح لديهم فى تكسبه ﴾
كتم العلوم حرام لايجوز لذى ... علم يضن بعلم عند طلبه
والرد فى الحالة الاولى مضى هدرا ... فاستدرك الحال الاخرى قبل مذهبه

فقل ورد ان استطعت السبيل اذا ... وانفع به الناس كى تحظى باثوبه
حاشا وكلا وانى بالسبيل الى ... رد الصواب وقد وافى بكبكبه
قل كى ترى سننا تستن فى سنن ال ... هدى تنكس جهما عن توثبه
ورهطه وتريك الحق اظهر من ... شمس الضحى وهلالا وسط غيهبه

(وقال الامام أبو عبد الله محمد بن جمال الدين الشافعى رحمه الله من جملة قصيدته التى عارض السبكي بها)

وما رددت عليه فى الطلاق فما ... حققت نقلا ولا عقلا ظفرت به
بل فاسد القصد اعمى الذهن منك كما ... هى عادة الله فيمن شان مذهبه
نزلت حول حماه كي تنازله ... فما علوت عليه بل علوت به
وقد اجابك فانظر في الجواب ترى ... سيفا تجول المنايا عند مضربه
أخذت منه علوما فانتصرت بها ... على سواه وكانت من مهذبه
وحزتها مجملات من مفصلة ... ففصل الآن ماجات تحظ به
وهكذا كل من سارت ركائبه ... يقفو خطاه فسائل من مجربه
وان تبجحت بالردين لست له ... كفوا ولا أهل هذا المصر فانتبه
كم بحر علم أتاه عاد ساقية ... وكم جهول أتاه صار منتبه
وما نرى لكم في الخلق فائدة ... غير التنعم فى النعماء من شبه
أين الثريا مكانا في ترفعها ... من الثرى قال هذا كل منتبه
من ذا يقيس تقى الجلد من درن ال ... دنيا وأمراضها يوما باجربه
لو كان عندك انصاف ومكرمة ... وجود معرفة أو ذهن منتبه
لكنت تقفو وراه قفو مجتهد ... علما ودنيا وأمرا تفلحن به
لو وفق الله أهل الارض قاطبة ... الى الصواب لساروا خلف مذهبه
وما نسبتم اليه عند ذكركم ... ترك الزيارة أمر لايقول به
فقد أجابكم عن ذا باجوبة ... أزال فيها صدى الاشكال والشبه
وقد تبين هذا فى مناسكه ... لكل ذي فطنة فى القول معربه

رميتموه ببهتان يشان به ... والله ينصفه ممن رماه به
وفى الجواب أمور من تدبرها ... سقى الانام بها من صفو مشربه
ولم يكن مانعا نفس الزيارة بل ... شد الرحال اليها فادر وانتبه
تمسكا بصحيح النقل متبعا ... خير القرون أولي التحقيق والنبه
مع الائمة أهل الحق كلهم ... قالوا كما قال قول غير مشتبه
وقد عامت يقينا حين وافقه ... أهل العراق على فتياه فافت به
هذا وقد قلت فيما قلت مرتجلا ... فيما تقدم قولا غير منجبه
﴿لو كان حيا يرى قولي ويسمعه ... رددت ماقال ردا غير مشتبه﴾
فابرز ورد ترى والله أجوبة ... مثل الصواعق تردى من تمر به
عقلا ونقلا وآيات مفصلة ... من كل أروع شهم القلب منتبه
ماضى الجنان كحد السيف فكرته ... يريك نثرا ونظما فى تأدبه
وقاد ذهن اذا جالت قريحته ... يكاد يخشى عليه من تلهبه
يقابلون الذى يأتي بمشتبه ... من الكلام ولا يخشون ذا النبه
فنزل القوم فى أعلى منازلهم ... فليس ذو منصب يحمى بمنصبه
وانظر الى من طغي فى الارض من امم ... ولا تكن سالكا فى اثر سبسبه
ان الاله يجازى كل ذى عمل ... بمثل احسانه أو قبح مكسبه
هذا جوابك ياهذا موازنة ... بحرا وقافية فى النظم والشبه
والحمد لله حمدا لانفاد له ... جار على مرما يقضي وأطيبه
ثم الصلاة على خير الورى شرفا ... محمد المصطفى الهادى بمذهبه
وآله والصحاب الغر كلهم ... ماأشرق الجو من أنوار كوكبه

وكلا القصيدتين مشهورتان وقد رأيت مالقى السبكى من الويل والعطب بسبب مجاوزته حده فى الجهل والحسد . وما أحسن ماوصف به الحافظ أبو عبد الله بن قدامه كتاب شفاء السقام وترجم مؤلفه السبكى *

(أما وصف الكتاب) فهو هذا * قال الحافظ أما بعد فانى وقفت على الكتاب الذى ألفه بعض

قضاة الشافعية فى الرد على شيخ الاسـلام تقي الدين أبي العباس أحمد بن تيمية في مسألة شد الرحال واعمال المطى الى القبور وذكر انه قد سماه شن الغارة على من أنكر سفر الزيارة . ثم زعم انه اختار ان يسميه شفاء السقام في زيارة خير الانام فوجدت كتابه مشتملا على تصحيح الاحاديث الضعيفه والموضوعـة وتقوية الآثار الواهية والمكذوبة وعلى تضعيف الاحاديث الصحيحة الثابتـة . والآثار القوية المقبولة وتحريفها عن مواضعها . وصرفها عن ظاهرها . بالتأويلات المستنكرة المردودة *

(ثم أخذ يصف المؤلف ويترجم أحواله فقال)

ورأيت مؤلف هـذا الكتاب المذكور رجلا ممـاريا معجبا برأيه متبعا لهواه ذاهبا فى كثير مما يعتقده الى الاقوال الشاذة والاراء الساقطة . صار فى أشياء ممـا يعتمده الى الشبه المخيلة والحجج الداحضة وربما خرق الاجماع فى مواضع لم يسبق اليها ولم يوافقه أحد من الائمة عليها . وهو فى الجملة لون غريب وبناء عجيب . تارة يسلك فيما ينصره ويقويه مسلك المجتهدين فيكون مخطئا فى ذلك الاجتهاد . ومرة يزعم فيما يقوله ويدعيه انه من جملة المقلدين فيكون من قلده مخطئا في ذلك الاعتقاد . نسأل الله سبحانه ان يلهمنا رشدنا . ويرزقنا الهداية والسداد هذا مع انه ان ذكر حديثا مرفوعا . أوأثرا موقوفا وهو غير ثابت قبله اذا كان موافقا لهواه وان كان ثابتا رده اما بتأويل أو غيره اذا كان مخالفا لهواه . وان نقل عن بعض الائمة الاعلام كمالك وغيره ما يوافق رأيه قبله وان كان مطعونا فيه غير صحيح عنه . وان كان مما يخالف رأيه رده ولم يقبله وان كان صحيحا ثابتا . وان حكى شيأ ممـا يتعلق بالـكلام على الحديث وأحوال الرواة عن أحد من أئمة الجرح والتعديل كالامام أحمد بن حنبل وأبي حاتم الرازى وأبى حاتم البستى وأبى جعفر العقيلى وأبى أحمد بن عدى وأبي عبد الله الحاكم صاحب المستدرك وأبى بكر البيهقى وغيرهم من الحفاظ . وكان مخالفا لما ذهب اليه لم يقبل قوله ورده عليه وناقشه فيه وان كان ذلك الامام قد أصاب فى ذلك القول ووافقه غيره من الائمة عليه . وان كان موافقا لمـا صار اليه تلقاه بالقبول واحتج به واعتمد عليه . وان كان ذلك الامام قـد خولف فى ذلك ولم يتابعه غيره من الائمة عليه . وهذا هو عين الجور والظلم وعدم القيام بالقسط نسأل الله التوفيق ونعوذ به من الخذلان واتباع الهوي . هذا مع انه حمله اعجابه برأيه وغلبه اتباع هواه

على ان نسب سوء الفهم والغلط فى النقل الى جماعة من العلماء الاعلام المعتمد عليهم في حكاية مذاهب الفقهاء واختلافهم وتحقيق معرفة الاحكام . حتى زعم ان ما نقله الشيخ أبو زكريا النووى فى شرح مسلم عن الشيخ أبي محمد الجوينى من النهى عن شد الرحال واعمال المطي الى غير المساجد الثلاثة كالذهاب الى قبور الانبياء والصالحين والى المواضع الفاضلة ونحو ذلك هو مما غلط فيه على الشيخ أبى محمد . وان ذلك وقع منه على سبيل السهو والغفلة . قال ولو قاله يعنى الشيخ أبا محمد أو غيره ممن يقبل كلامه الغلط لحكمنا بغلطه وانه لم يفهم مقصود الحديث . فانظر الى كلام هـذا المعترض المتضمن لرد النقل الصحيح بالرأى الفاسـد واجمع بينه وبين ما حكاه شيخ الاسلام من الافتراء العظيم . والافك المبين . والـكذب الصراح . وهو ما نقله عنه من انه جعل زيارة قبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقبور سائر الانبياء عليهم السلام معصية بالاجماع مقطوعا بها — هكذا ذكر المعترض عن بعض قضاة الشافعية عن الشيخ انه قال هذا القول الذى لا يشك عاقل من أصحابه وغير أصحابه انه كذب مفترى لم يقـله قط ولا يوجد فى شئ من كتبه ولا دل كلامه عليه . بل كتبه كلها ومناسكه وفتاويه وأقواله وافعاله تشهد ببطلان هذا النقل عنه . ومن له أدنى علم وبصيرة يقطع بان هذا مفتعل مختلق على الشيخ وانه لم يقله قط . وقد قال الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبا فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين) وهذا المعترض يعلم ان ما نقله هـذا القاضى المشهور بما لا أحب حكايته عنه في هذا المقام عن شيخ الاسلام من هذا الـكلام كذب مفترى لا يرتاب فى ذلك . ولـكنه يطفف ويداهن ويقول بلسانه ما ليس فى قلبه قال ولقـد أخبرنى الثقة انه ألف هذا الـكتاب لما كان بمصر قبل ان يلى القضاء بالشام بمدة كبيرة ليتقرب به الى القاضي الذي حكى عنه هذا الـكذب ويحظي لديه فخاب امله ولم ينفق عنده . وقد كان هذا القـاضى الذى جمع المعـترض أعنى السبكي كتابه هـذا لاجله من أعداء الشيخ المشهورين . وقد زعم هذا المعترض أيضا مع هذا الامر الفظيع الذى ارتكبه من التـكذيب بالصـدق والتصديق بالـكذب ان الفتاوى المشهورة التى أجاب بها علماء أهل بغداد موافقة للشيخ مختلقة موضوعة وضعها بعض الشياطين . هكذا زعم مع علم الخاص والعام بان هذه الفتاوى مما شاع خبره وذاع واشتهر أمرها وانتشر . وهى صحيحة ثابتة متواترة عمن أفتى بها من العلماء . وقد رأيت

انا وغيري خطوطهم بها . فانظر الى تكذيب هذا المعترض بما لم يحط به علما . وجرائته على انكار ما اشتهر وتواتر . وكيف يحل لمن ينتسب الى شئ من الدين ان ينسب أمرا مقطوعا بكذبه الى من لم يقله . ويقدح فى أمر مشاهد مقطوع بصحته . ويزعم انه مختلق من بعض الشياطين . هذه عثرة لا تقال وله مثلها كثيرا . ومن لم يجعل الله له نورا فماله من نور . قال فلما وقفت على هذا الكتاب المذكور . وهو شفاء السقام . أحببت ان أنبه على ما وقع فيه من الامور المنكرة والاشياء المردودة وخلط الحق بالباطل لئلا يغتر بذلك بعض من يقف عليه ممن لا خبرة له بحقائق الدين . مع ان كثيرا مما فيه من الوهم والخطا يعرفه خلق من المبتدئين فى العلم بادنى تأمل ولله الحمد . ولو نوقش مؤلف هذا الكتاب على جميع ما اشتمل عليه من الظلم والعدوان والخطأ والخبط والتخليط والغلو والتشنيع والتلبيس لطال الخطاب ولبلغ الجواب مجلدات . ولكن التنبيه على القليل مرشد الى معرفة الكثير لمن له أدنى فهم والله المستعان انتهى *

﴿ وقال الحافظ أبو عبد الله أيضا ﴾ فى موضع آخر من كتابه الصارم المنكي . وقد سمعت أخا شيخ الاسلام يذكر هذا النص الذى حكاه القاضي اسمعيل في المبسوط عن مالك لهذا المعترض بحضرة بعض ولاة الامر . فغضب المعترض وهو السبكي غضبا شديدا ولم يجبه با كثر من قوله هذا كذب على مالك . فانظر الى جراءة هذا المعترض واقدامه على تكذيب مالم يحط بعلمه بغير برهان ولا حجة بل بمجرد الهوى والتخرص . وليس هذا ببدع منه فانه قد عرف منه مثل ذلك فى غير موضع . وهو من أشد الناس مخالفة لمالك فى هذه المواضع التى لا يعرف لاحد من كبار الائمة انه خالف مالكا فيها بل قد حمله فرط غلوه ومتابعته هواه على نسبة أمور عظيمة لا أحب ذكرها . الى من قال بقول مالك فى هذه المواضع التى لا يعرف عن امام متبوع مخالفته فيها . نعوذ بالله من الخذلان . ومن عجب ان هذا المعترض صحح الحكاية المنقولة عن مالك مع أبي جعفر المنصور لان فيها مايتابع هواه . مع انها غير صحيحة بل هى باطلة موضوعة وكذب هذا النقل الثابت الذى ذكره القاضى اسمعيل في المبسوط لشدة مخالفته لهواه ومقصده وما ذهب اليه . واعرض عما ذكره أيضا فى المبسوط من قول مالك لاأرى ان يقف عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم يدعو . ولكن يسلم ويمضي لانه مخالف لهواه وتمسك

بما فى كتاب (الموازنة) لمتابعته هواه فى ظنه . وهكذا عادته ودأبه يكذب النصوص الثابتة أو يعرض عنها • ويقبل الاشياء الواهية التي لم تثبت والامور المجملة الخفيـة ويتمسك بها بكلتا يديه . وليس هذا شأن من يقصد الحق . وايضاح لدين للخلق • نسأل الله تعالى التوفيق ﴿ وذكر هذا الامام الحافظ فى أثناء كتابه كثيرا من أحوال السبكى التى لا ترضى الله تعالى ولا رسوله صلى الله عليه وسلم . فلا بدع من هذا المبتدع بل القبورى وهو النبهانى ان يحتج على ترويج مقاصده بالسبكي وأمثاله من اسلافه غلاة الشافعية . بل الفرقة الزائغة الحلوليه اعداء الحق وأهله . وخصوم الدين ومن أخذ به *

﴿ قال النبهاني ﴾ ورأيت للامام السبكي عبارة موجودة الآن بخط يده فى المكتبة الخالدية فى القدس • وقد أرسلت فاستكتبتها وهذه صورتها بحروفها ﴿ قال رحمه الله تعالى ﴾ فى سنة احدى وخمسين وسبعمائة وقفت على كتاب العقل والنقل لابن تيمية فوجدت فيه مواضع أنكرتها وكتبت على بعضها حواشى فتحركت أنوف خلق له ففكرت فى انتشار أصحاب هذا الرجل وما يخشى من انتشار بدعته وعدم من يقاومهم فكتبت ليلة السبت عاشر شوال سنة أحد وخمسين وسبعمائة رقعة الى سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم أسأل الله فيها ذلك ﴿ وفى آخرها ﴾ ان كنت مصيبا فى اعتقادى فقوّنى وان كنت مخطئا فاهدنى • ثم أصبحت ورفعتها للشيخ نور الدين السخاوى ليحملها فانه عزم على الحج وكان ذلك قبل الظهر • فلما كان الظهر جاءنى شخص فاخبرني عن ابن تيمية بخبر يوجب شوطي فيه وكنت سمعت عنه من شخص مسألة من نحو أربعين سنة فلم أصدقها فلما تابعها هذا وقع في قلبي صحة ذلك ﴿ ثم جاء ﴾ آخر وآخر وآخر بمثل ذلك • ثم نظمت ﴾ قصيدة أرسلتها مع الشيخ نور الدين أيضا ﴿ فلما ﴾ أكملت نظمها فى ليلة الاثنين ثانى عشر الشهر المذكور • وقع فى قلبي ان الله تعالى ما هيأ لى تلك الاخبار فى ذلك اليوم الا هداية وجوابا عما سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم وانظر هذه القضية ما اعجبها • وفضل رسول الله صلى الله عليه وسلم عليّ *

وها أنا أذكر نص ما كتبته فى تلك الورقة وما نظمته ان شاء الله والمرجو من الله ارسالها ووصولها الى النبى صلى الله عليه وسلم ونجحهما ان شاء الله اما الورقة فنص ما فيها *

بسم الله الرحمن الرحيم الى سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم • يارسول الله اني عبيد ضعيف

عاجز مسكين وجميع ماحصل لى من خير الدنيا والآخرة انت كنت سببه وانت وسيلتي الى الله سبحانه وانى نشأت على دين الاسلام سالما عن الشبه والبدع والاهوية والاغراض والميل الى جانب من الجوانب لا أعرف غير أشهد ان لااله الا الله وأشهد ان محمدا رسول الله . ثم اشتغلت بالقرآن . ثم بالفقه على مذهب الشافعى لااعرف غير ذلك ولم اسمع ولم يدخل فى قلبي شئ غير ذلك لا من العقائد ولا من غيرها . ثم اشتغلت بنحو وأصول وفرائض . ثم بعلم الحديث ذا تصويب فيه اليك . ثم نظرت فى شئ من العلوم العقلية واشتغلت بعلم الكلام على طريقة الاشعرى لانها المشهورة فى بلادنا التى رأيت عليها أهلى وقومى وبقيت أراها طريقة وسطى بين الحشو والاعتزال ولا زلت على تلك حتى جاوزت عشرين سنة من عمرى وأنا بالديار المصرية فشاع عندنا خبر ابن تيمية وما يتفق له بدمشق وكان بها اذ ذاك علماء يقاومونه وفي مصر القاهرة علماء وأكابر فاحضروه واتفق له ماانفق بسبب العقائد . ثم كتبت كلامه فى التوسل والاستغاثة وتكلم معه من هو أكبرمنى ورأيته واجتمعت به كثيرا . ثم عاد الى الشام . ثم بلغنا كلامه فى الطلاق وان من علق الطلاق على قصد اليمين . ثم حنث لايقع عليه طلاق ورددت عليه فى ذلك . ثم بلغنا كلامه فى السفر الى زيارتك ومنعه إياه ورددت عليه فى ذلك ثم توفى وله أصحاب كثيرون يشيعون رأيه وينشرون تصانيفه وجئت الى دمشق كما يقال نائب شريعتك ومن لي برضاك بذلك فانا أقل عبيدك مسكت عن الكلام فى العقائد من الجانبين لاني فى نفسى ان عقولنا تضعف عن ادراك سبحات الحق جل جلاله وأرى البقاء على الفطرة السليمة والاكتفاء بالايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وان لا ينبه العوام لشئ آخر ومن كان عالما ينظر بما يسرله والمعصوم من عصم الله لكن الطلاق والزيارة انا شديد الانكار لقول ابن تيمية فيهما ظاهرا وباطنا والعقائد لايعجبنى مااعتمده فيهامن تحريك قلوب العوام فيها

﴿قال النبهانى﴾ انتهت عبارة الامام السبكى بحروفها وهى مكتوبة بخطه بلانقط وهكذا جائتنى صورتها فنقطتها . (أما) القصيدة التى ذكرها فغير موجودة انتهى .

﴿أقول ومنه سبحانه المدد والتوفيق﴾ قد نقلت فى هذا المقام ماذكره النبهاني بحذافيره من غير تلخيص ولا اختصار وان كان في نقلها تضييع للمداد والقرطاس ليعلم الناظر فى هذا المقام ماخلق الله من العقول والافهام فيحمد الله تعالى من عوفي من داء هذا الجهل الوخيم

والضلال القديم والنبهانى هذا رجل كذاب لا يؤمن على نقله ولا يصدق بروايته فانه من الغلاة والجهلة الغواة ولكنه قد يصدق الكذوب فان صحت روايته هذه عن السبكي كفاه خزيا ذلك وهو الذى يناسب ما كان عليه من الغلو والابتداع الظاهر وهذه المقالة عن السبكى قادحة في عدالته مسقطة له عن درجة أهل العلم موصلة له الى طبقة العوام السفلى . ومن العجيب انه قال في أول مقالته ففكرت فى انتشار أصحاب هذا الرجل وما يخشى من انتشار بدعته الخ فنسب البدعة الى الشيخ ابن تيمية حافظ الامة مع شهرة حاله فى التعصب على السنة فعبر عنه بالمبتدع وجعل نفسه هو المتبع وفى المثل السائر . رمتني القرعى بدائها وانسلت وهكذا تكون الوقاحة وعدم الحياء من الله ورسوله صلى الله عليه وسلم . وفى الحديث ان مما أدرك الناس من كلام النبوة الاولى اذا لم تستح فاصنع ماشئت وهذا هو الهوى المتبع واعجاب المرء بنفسه الذى ورد في الخبر . وليت النبهانى المثبور كان عنده شيء من البصيرة والفهم فلم ينقل هذه المقالة الشنعاء عن السبكى حتي . أفضحه بها وقد توفاه الله تعالى منذ مآت من السنين ولكن أبى الله الا ان يفضح من تنقص خيار الامة وسلفها بكشف عورات جهالاتهم

* ثم ان ماحكاه عن السبكى من المقالة الفضيعة مختلة المبني والمعنى يرد على كل كلمة من كلماتها ايرادات ومواخذات لو بسطنا الكلام فيها لاستوجب ان يفرد له كتاب مفصل . والوقت يضيق عن الاشتغال بمثل ذلك فكان من الواجب علينا ان نتكلم عليها اجمالا ونذكر مايرد على محصلها ومقصدها ولولا سوء الادب لاجبنا مقالته تلك على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكرنا له ماتعدى به طوره وتجاوز حده ولكن نعوذ بالله من التجاسر علي مقام النبوة والتفوه بما لم يقله كما انا نلجأ اليه ان يعصمنا من سوء الادب *

﴿ ثم ان الكلام ﴾ على ماقصده السبكي فى مقالته من وجوه ﴿ الوجه الاول ﴾ ان كتاب العقل والنقل ويسمى أيضا بيان موافقة صريح المعقول . لصحيح المنقول . ويسمى أيضا قسطاس الانصاف والعدل . فى رد . تعارض العقل والنقل . من مصنفات الآية الظاهرة . والحجة الباهرة ماشطة العصر بل نادرة الدهر بحر العلوم . وصدر القروم الناسك العابد والورع الزاهد شيخ الاسلام تقى الدين ابى العباس احمد بن تيمية رحمه الله * الفه في الجواب عن سؤال ورد اليه وهو اذا تعارضت الادلة السمعية والعقلية او السمع والعقل او العقل والظواهر النقلية

والقواطع العقلية أو نحو ذلك من العبارات فهل يجمع بينهما وهو محال لانه جمع بين النقيضين واما ان يرادا جميعا * واما ان يقدم السمع وهو محال لان العقل أصل النقل فلو قدمناه عليه كان ذلك قدحا فى العقل الذى هو أصل النقل . والقدح فى أصل الشيء قدح فيه فكان تقديم النقل قدحا في النقل والعقل جميعا . فيجب تقديم العقل * ثم النقل اما ان يتأول . واما ان يفوض . واما اذا تعارضا تعارض الضدين امتنع الجواب عنهما ولم يمتنع ارتفاعهما فذكر فى الجواب تسعة عشر وجها مفصلة أتم تفصيل فى بيان ان صريح المعقول لايخالف صحيح المنقول *

وفيه الذب عن الشريعة الغراء وانها وافية بكل مايستوجب سعادة الدارين ليس لها حاجة الى اكمالها بالقواعد التى وضعها علماء الكلام من أعداء الله ورسوله صلى الله عليه وسلم. وان جميع ماجاءت به الشريعة الغراء مما يوافق ما تقتضيه العقول السليمة . وان نصوصها لا تؤول لاجل تطبيقها على ما اخترعوه من الآراء الفاسدة . والاقوال الكاسدة . وبسط الكلام كل البسط في كل وجه من تلك الوجوه هذا موضوع الكتاب وهو كتاب جليل ليس له نظير فى بابه . ومن النعم العظمى على الامة ظهور هذا الكتاب فى هذا العصر وانتشاره بين الناس وما أحسن ماقال فيه الشيخ ابن القيم في منظومته الشافية الكافية . وقد عقد فصلا فى ذكر مؤلفات شيخ الاسلام *

وأقرأ كتاب العقل والنقل الذى * مافى الوجود له نظير ثان

فجزى الله تعالى عن المسلمين كل خير من سعى فى طبعه ونشره . ومثل هذا الكتاب كيف يشتكى منه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من له أدنى بصيرة فى العلم وأقل نظر فى معرفة الشريعة اللهم الا اذا كان السبكى ممن ختم الله على قلبه فلم يفهمه وتصدى للرد عليه والاستئذان من الرسول عليه السلام لاجل ذلك وما بعد الحق الا الضلال *

﴿ الوجه الثانى ﴾ ان الله تعالى اكمل الدين المبين قبيل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم فأصبحت الشريعة الغراء ليلها كنهارها لم تغادر شيئا من الاحكام ولا من بيان الحلال والحرام وبسط الكلام عليها الائمة ومجتهدوا الامة فلم يبق حاجة الى مراجعة النبي صلى الله عليه وسلم بعد وفاته بل ان عمر رضي الله تعالى عنه لم يوافق على كتابة الكتاب فى مرضه . وقد طلب دواة وقرطاسا والحديث مشهور قال تعالى اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا فاذا أشكل أمر على أحد راجع أهل الذكر ان كان ممن لايعلم أو فتش على

مقصده كتب الشريعة ونصوصها فما دلت عليه واقتضته عمل بموجبه من غير حاجة الى كتابة شيء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكتابته عند قبره وقال عز اسمه يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم فان تنازعتم فى شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا *

﴿ ذكر المفسرون ﴾ ان الخطاب عام للمؤمنين مطلقا والشيء خاص بأمر الدين بدليل مابعده والمعنى فان تنازعتم أيها المؤمنون أنتم وأولوا الامر منكم فى أمر من أمور الدين فردوه الى الله أى فراجعوا فيه الى كتابه والرسول أي الى سنته ولا شك ان هذا انما يلائم حمل أولى الامر على الامراء دون العلماء لان للناس والعامة منازعة الامراء فى بعض الامور وليس لهم منازعة العلماء اذ المراد بهم المجتهدون والناس ممن سواهم لاينازعونهم فى أحكامهم . وجعل بعضهم الخطاب فيه لاولى الامر على الالتفات ليصح ارادة العلماء لان للمجتهدين ان ينازع بعضهم بعضا مجادلة ومحاجة . فيكون المراد أمرهم بالتمسك بما يقتضيه الدليل . وبعضهم قال يراد الاعم مع أنه يجوز ان يكون الخطاب للمؤمنين وتكون المنازعة بينهم وبين أولى الامر باعتبار بعض الافراد وهم الامراء . والمقصود ان الله تعالى أمر المؤمنين عند التنازع ان يراجعوا الكتاب والسنة لا ان يكتبوا كتابا لقبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ويتلقى الجواب بمحض الاوهام كما فعله السبكى . وتمام الكلام على الآية يطلب من محله *

﴿ الوجه الثالث ﴾ ان الصحابة الكرام اختلفوا بعد وفاة رسول الله صلي الله تعالى عليه وسلم في الخلافة اختلافا كثيراً وهو مذكور فى محله فلم يستفتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في قبره ولم يكتبوا له ان الانصار يارسول الله يقولون منا أمير ومنكم أمير وان بعضهم يريد أبا بكر . ومنهم من طلب عليا . ومنهم ومنهم . ثم انهم اختلفوا بعد ذلك فى مسائل علمية ولم يستفتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قبره ولم يجيء أحد منهم يسأله ماذا حكم الجد مع الاخوة وان فاطمة جاءت الى أبى بكر تطلب ارث أبيها منه فاورد لها خبر نحن معاشر الانبياء لا نورث فلم ترض بقوله وقامت وهى عليه غضبا ولم تستفت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قبره ولا كتبت اليه مافعل معها أبو بكر . وخرج على عثمان أهل مصر وغيرهم فلم يستفتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى قبره عما كان من عثمان ولا ان عثمان شكى عليهم كما فعل السبكى .

وان عليا ومعاوية تنازعا الامر وجرى بين الفريقين ماجرى ولم يصدر عن أحد ماصدر عن السبكي من الشكوى والاستئذان . ومثل هذه المسائل مما لايحيط بالقلم *

﴿ الوجه الرابع ﴾ ان من اشتبه عليه أمر ولم يعلم هل هو خير أم شر ليعمل بموجبه يستخير الله تعالى فان الاستخارة مما درج عليه السلف وجرى على منهاجهم الخلف وقد تكلموا عليها فى فصول *

﴿ منها فى الامور ﴾ التى هي محل الاستخارة . فقالوا مامن شأنه ان يراد ينقسم أولا الى ثلاثة أقسام (الاول) مايعلم كونه خيرا قطعا كالواجب المضيق (الثاني) مايعلم كونه شرا قطعا كالمحرم المجمع على تحريمه (الثالث) مالا يعلم على القطع خيريته ولا شريته فى وقت مخصوص كالواجب الموسع والمندوب كذلك والمندوب المضيق الذى يعارضه مندوب آخر فى ذلك الوقت من غير ظهور رجحان لاحدهما والمباحات كلها . ولما كان معناها طلب خير الامرين من الفعل فى وقت معين أو تركه فيه لم يكن الاولان محلين لها اذ أولهما خير قطعا فلا رخصة في تركه . وثانيهما شر قطعا فلا رخصة فى فعله فليس محلا لها الا الثالث فما يوهم العموم فى بعض الاخبار كالامور فى خبر جابر الآتى عام مخصص . أو ان أل فيه للعهد *

﴿ ومنها فى سرد بعض أحاديثها ﴾ روى البخارى في باب ماجاء من التطوع مثنى مثنى من صحيحه عن جابر بن عبد الله . قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا الاستخارة في الامور كلها كما يعلمنا السورة من القرآن يقول اذا هم أحدكم بالامر فليركع ركعتين من غير الفريضة ثم ليقل اللهم انى أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم فانك تقدر ولاأقدر وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب اللهم ان كنت تعلم ان الامر خير لي فى دينى ومعاشى وعاقبة أمرى أو قال عاجل أمرى وآجله فاقدره لي ويسره لي . ثم بارك لي فيه وان كنت تعلم ان هذا الامر شر لي فى دينى ومعاشي وعاقبة أمرى أو قال فى عاجل أمرى وآجله فاصرفه عني واصرفنى عنه وأقدر لي الخير حيث كان ثم رضنى به قال ويسمى حاجته (وروي) فى كتاب الدعوات عن جابر أيضا . قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يعلمنا الاستخارة فى الامور كلها كسورة من القرآن اذا هم أحدكم بالامر فليركع ثم يقول . اللهم انى أستخيرك وساق الدعاء . وقال فى آخره أيضا ويسمي حاجته *

﴿ وروي ﴾ في كتاب التوحيد من الصحيح عنه ايضا قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلم أصحابه الاستخارة في الامور كلها كما يعلمهم السورة من القرآن يقول اذا هم أحدكم بالامر فليركع ركعتين من غير الفريضة ثم ليقل اللهم انى أستخيرك بعلمك الى قوله وأنت علام الغيوب ولم يقل العظيم اللهم فان كنت تعلم هذا الامر . ثم يسميه بعينه خيرا لي في عاجل أمرى وآجله قال أو في ديني ومعاشي وعاقبة أمرى فاقدره لى ويسره لى ثم بارك لى فيه . اللهم وان كنت تعلم انه شر لى في ديني ومعاشي وعاقبة أمرى أو قال في عاجل أمرى وآجله فاصرفني عنه واقدر لى الخير حيث كان ثم رضني به *

﴿ وروى ﴾ الطبراني في المعجم الصغير عن ابن مسعود قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا الاستخارة كما يعلمنا السورة من القرآن يقول اذا أراد أحدكم أمرا فليقل اللهم اني أستخيرك بعلمك واستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم فانك تقدر ولا اقدر وتعلم ولا اعلم وانت علام الغيوب . اللهم ان كان في هذا الامر خير في ديني ودنياي وعاقبة امرى فاقدره لى وان كان غير ذلك خيرا لى فسهل لى الخير حيث كان . واصرف عني الشر حيث كان ورضني بقضائك *

(وروى) في الكبير عنه أيضا قال علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الاستخارة فقال اذا أراد أحدكم أمراً فليقل اللهم انى أستخيرك بعلمك ولم يقل العظيم وقال فان كان هذا الذى أريد خيراً في ديني وعاقبة أمرى فيسره لى . وان كان غير ذلك خيرا فاقدر لى الخير حيث كان يقوم ثم يعزم *

(وروي) الحافظ نور الدين أبو الحسن على بن ابى بكر في كتابه موارد الظمآن . الى زوائد ابن حبان . عن ابى ايوب رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ا كتم الخطبة ثم توضأ فاحسن وضوءك ثم صل ما كتب الله لك . ثم احمد ربك ومجده . ثم قل اللهم انك تقدر ولا اقدر وتعلم ولا اعلم وانت علام الغيوب . فان رايت لى فلانة تسميها باسمها خيرا لى في ديني ودنياي وآخرتى فاقدرها . وان كانت غيرها خيرا لى منها في ديني ودنياي وآخرتى فاقضها لى ذلك *

(وروى فيه ايضا) عن ابى سعيد الخدري رضى الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله صلى الله

عليه وسلم يقول اذا اراد احدكم امرا فليقل اللهم انى استخيرك بعلمك واستقدرك بقدرتك واسألك من فضلك العظيم فانك تقدر ولا اقدر وتعلم ولا اعلم وانت علام الغيوب * اللهم ان كان كذا وكذا خير الى فى دينى ومعيشتي وعاقبة امرى فاقدره لى ويسره لى واعني عليه وان كان كذا وكذا الامر الذى تريد شرا لى فى ديني ومعيشتى وعاقبة امرى فاصرفه عنى. ثم اقدر لي الخير اينما كان ولا حول ولا قوة الا بالله *

(وروى فيه ايضا) عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اراد احدكم امرا فليقل اللهم انى استخيرك بعلمك . واستقدرك بقدرتك . واسألك من فضلك فانك تقدر ولا اقدر وتعلم ولا اعلم وانت علام الغيوب . اللهم ان كان كذا وكذا خيراً لى فى دينى وخيرا لى في معيشتى وخيرا لى فى عاقبة امرى فاقدره لى وبارك لى فيه . وان كان غير ذلك خيرا فاقدر لى الخير حيث كان ورضنى بقدرك *

(وروى الحافظ السخاوى) في كتاب الابتهاج . باذكار المسافر الحاج. ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لانس رضى الله عنه اذا هممت بامر فاستخر ربك فيه سبع مرات. ثم انظر الى الذي سبق الى قلبك فان الخيرة فيه . وعزاه السيوطي الى الديلمى فى مسند الفردوس *

(ومنها في بيان كيفية صلاتها) المذكور فى كثير من الكتب ان من اراد الاستخارة يصلى ركعتين من غير الفريضة . ثم يدعوه وهو المصرح به فى حديث جابر . وقال الحافظ بن حجر في فتح البارى . قال النووى فى الاذكار لو دعا بدعاء الاستخارة عقب راتبة الظهر مثلا أو غيرها من الراتبة والمطلقة سواء اقتصر على ركعتين أو أكثر أجزأ . كذا أطلق وفيه نظر . ويظهر ان يقال محله ان نوى تلك الصلاة بعينها وصلاة الاستخارة معا بخلاف ما اذا لم ينو وتفارق تحية المسجد لان المراد بها شغل البقعة بالصلاة . والمراد بصلاة الاستخارة ان يقع الدعاء عقبها الى آخر ماقال اه *

ثم ان ظاهر مافى حديث أبي ايوب ثم صل ما كتب الله لك ان الركعة الواحدة يحصل بها المقصود وكلام الفقهاء على هذه المسألة مفصل فى كتب الفقه *

(ومنها) اذا فرغ المستخير من الدعاء فليمض كما قال النووى لما انشرح له صدره

قال الهيثمى فان لم ينشرح صدره لشئ فالذى يظهر انه يكرر الاستخارة بصلاتها ودعائها حتى

ينشرح صدره لشيء وان زاد على السبع والتقييد بها في خبر أنس اذا هممت بامر فاستخر ربك فيه سبع مرات ثم انظر الي الذي سبق الى قلبك فان الخير فيه لعله جرى على الغالب اذ انشراح الصدر لا يتأخر عن السبع على ان الخبر اسناده غريب . ووقع للشافعي انه استخار في أمر سنة . والكلام في هذا الباب طويل . والمقصود ان السبكي ابتدع مالم يسبق اليه أحد وترك الامر المسنون وهو الاستخارة ان كان ماتصدى اليه من مواضعها *

﴿ الوجه الخامس ﴾ ان السبكي زعم انه حصل له الاذن بالرد على كتاب العقل والنقل وانه أمر بذلك أمراً معنويا كما استنبطه هو بفكره الثاقب ورأيه الصائب فلم لم يمتثله واين رده الذى رد به على هذا الكتاب وليته ألفه ليمزق بسهام الاقلام ويكون مثلة بين الانام فان الذى مبلغه من العلم ما سمعت كيف يرد على شيء لا يفهمه ولا يعرفه . ثم ان ولده تاج الدين ذكر في طبقاته ترجمة والده ونسب اليه كل فضيلة وعزا اليه كل منقبة جليلة وذكر مصنفاته واختياراته وكلماته وهذياناته ولم يذكر في كتبه هذا الرد فعلم انه بهتان مبين وانه لم يمتثل أمر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم على زعمه *

﴿ الوجه السادس ﴾ ان حديث عرض الاعمال في أيام مخصوصة على ما سبق بيانه في كلام شيخ الاسلام تقي الدين لا يقتضي كتابة شيء الى الرسول صلى الله عليه وسلم وهو في قبره بل ان أعمال أمته تعرض عليه فان رأى خيرا سره وان رأى غير ذلك احتسب ولم يقل أحد ان له قدرة على تغيير مالا يرضى الله تعالى ولا رسوله صلى الله عليه وسلم وحياته البرزخية ليست الحياة المتعارفة والا لاقتضت لوازمها وانى له ذلك فكيف يعرض عليه مثل تلك الامور وما ذلك الا عثرة من السبكي لاتقال ولا يصدر مثلها حتى عن ضعفاء العقول من الجهال فبطل كلامه وزال مقصده ومرامه *

﴿ الوجه السابع ﴾ ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يعلم عند النبهاني واسلافه الغلاة ما كان وما يكون بل يعلم خائنة الاعين وما تخفى الصدور فما فائدة أعلامه بما اعلمه به السبكي من انه رجل شافعي المذهب اشعري العقيده الى آخر ما هذى به فانه اذا علم ما كان وما يكون ومنه أعمال السبكي وأفعاله فلاجل أى شيء يخبره به لا يقال ان ذلك كاخبار امرأة عمران بما وضعت وهو الذى حكاه سبحانه بقوله (واذ قالت امرأة عمران رب انى نذرت لك ما في بطنى محررا

فتقبل مني انك أنت السميع العليم فلما وضعتها قالت رب اني وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالانثى واني سميتها مريم واني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم فتقبلها ربها بقبول حسن وانبتها نباتا حسنا وكفلها زكريا المحراب) الآية قالو ان الله عالم بما كان فلم أخبرته امرأة عمران بما أخبرته (أجابوا) ان الخبر تارة يقصد به افادة المخاطب الحكم اذا كان غير عارف به وتارة يقصد به افادة لازم من لوازمه المفصلة في علم المعاني ولازم خبر امرأة عمران هو التحزن والتحسر على خيبتها وانعكاس أملها . وحمل السبكي كلامه على ذلك مما لا وجه له *

﴿ وهذا الذي ذكرناه ﴾ من ان الغلاة يعتقدون في النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ما ذكرناه هو مما لم يمكنهم انكاره كيف والنبهاني على ما أسلفناه يقول ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم موجود في كل مكان وكل زمان . وقد تكلمت يوما مع أحد غلاة الرفاعية الزنادقة ومشركيهم اذ استغاث بالرفاعي قبل الشروع في ذكرهم فقلت له هل يسمع الآن نداءك الرفاعي وهو في قبره في أم عبيده ويمدك قال نعم قلت فاذا اتفق مثلك في بلاد كثيرة ومواضع متعددة الوف مؤلفة وان كانوا في أقطار شاسعة فهل يسمعهم أحمد الرفاعي ويمدهم ويغيثهم قال نعم قلت هذا هو الغلو الذي نهى الله عنه في كتابه الكريم قال ليس هذا من الغلو بل هو مقتضي الدين الم تسمع حديث الاولياء وهو قوله صلى الله عليه وسلم الذي رواه البخاري وما زال عبدي يتقرب اليه بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها الحديث فظن هذا الغبي الجاهل ان معناه ما يعتقده اخوانه أهل الزيغ والالحاد من أن العبد اذا لازم العبادة الظاهرة والباطنة حتي يصفى من الكدورات انه يصير في معنى الحق تعالى الله عن ذلك وانه يفني عن نفسه جملة حتى يشهد ان الله تعالى هو الذاكر لنفسه المحب لنفسه وان هذه الاسباب والرسوم تصير عدما صرفا في شهوده وان لم تعدم في الخارج *

﴿ أقول ﴾ قد زلت أقدام أقوام في معنى هذا الحديث واستشكل كيف يكون الباري جل وعلا سمع العبد وبصره ﴿ والجواب ﴾ على ماذكره العسقلاني في شرحه من أوجه ﴿ أحدها انه ورد على سبيل التمثيل والمعنى كنت سمعه وبصره في ايثاره أمري فهو يحب طاعتي ويؤثر

خدمتي كما يحب هذه الجوارح ﴿ ثانيها ﴾ ان المعنى كليته مشغولة بي فلا يصغي بسمعه الا الى ما يرضيني ولا يرى ببصره الا ما أمرته به ﴿ ثالثها ﴾ اجعل له مقاصده كانه ينالها بسمعه وبصره الخ ﴿ رابعها ﴾ كنت له في النصرة كسمعه وبصره ويده ورجله في المعاونة على عدوه ﴿ خامسها قال الفاكهاني وسبقه الى معناه ابن هبيرة هو فيما يظهر لي انه على حذف مضاف والتقدير كنت حافظ سمعه الذي يسمع به فلا يسمع الا ما يحل استماعه وحافظ بصره كذلك الخ ﴿ سادسها ﴾ قال الفاكهاني يحتمل معنى آخر أدق من الذي قبله وهو ان يكون معنى سمعه مسموعه لان المصدر قد جاء بمعنى المفعول مثل فلان أملي بمعنى مأمولي والمعنى أنه لا يسمع الا ذكرى ولا يلتذ الا بتلاوة كلامي ولا يأنس الا بمناجاتي ولا ينظر الا لعجائب ملكوتي ولا يمد يده الا فيما فيه رضاي ورجله كذلك انتهى * وقد ذكرت هذه المسألة في موضع آخر *

﴿ والمقصود ﴾ ان الغلاة يعتقدون ان الولي يعلم كما يعلم الله ويبصر كما يبصر الله ويسمع كما يسمع الله فكيف بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وهو سيد الاولياء والاصفياء . فلا بد انهم يعتقدون فوق اعتقادهم في الولي . فاذا كان الامر على ما ذكر فلا وجه لما كتبه الى النبي صلى الله عليه وسلم ﴿ وان كان السبكي ﴾ لا يعتقد ذلك الذي ذكرناه من الصفات التي لا تثبت الا للخالق دون المخلوق فما وجه كتابة تلك المقاله ونظم القصيدة وارسالها مع الشيخ نور الدين السخاوي فعلى كلا الوجهين ان السبكي قد أخطأ فيما فعله وأبان به جهله وغيه وضلاله *

﴿ هذا ﴾ حال السبكي الذي أعده النبهاني المسكين سلاحا في ميدان الطعن بشيخ الاسلام وجرحه . والحمد لله الذي جعل أعداء أهل الحق في كل عصر وزمان من اجهل الناس وأضلهم واغواهم . ومن العجائب ان السبكي مع هذه الاحوال التي سمعتها قد جعله ابن حجر المكي من المجتهدين الاجتهاد المطلق وانه مما لم يخالف أحد في وصوله الى هذه المرتبة وانه امام أهل التحقيق والتدقيق وانه ليس له نظير ولا قرين في كل فن الى غير ذلك من الاوصاف الجليلة فاذا جرى ذكر تقي الدين ابن تيمية وأصحابه من أهل الحديث الحفاظ المتقنين شتمهم بكل ما خطر له وذمهم بكل ما يقع في تصوره فانظر الى هذا التعصب وعدم الانصاف وهذا أحد الاسباب التي أوجبت انحطاط الاسلام الى ما نرى واعظمها تطاول السفهاء واناطة الامر الى غير أهله . وعنده يترقب الخراب العام *

﴿ وابن السبكي ﴾ الذي جرى مجري أبيه لم يدع منقبة من مناقب الاولين والآخرين الا وأثبتها لوالده ظنا منه ان الحقائق تخفى وما درى هذا المسكين ان الامر كما قيل *

ومهما تكن عند امرئ من خليقة * وان خالها تخفى على الناس تعلم

وفي المثل السائر كل فتاة بابيها معجبة . والمقصود ان قدح مثل السبكي بمثل الشيخ ابن تيمية كصر يرباب . وطنين ذباب . ولولا التقى لقلنا لا يضر السحاب . نبح الكلاب *

﴿ قال النبهاني ﴾ ومنهم الحافظ ابن حجر العسقلاني . وذكر من فضله وغزارة علمه ما هو غني عن البيان ونقل عنه عبارة ذكرها في فتح الباري عند الكلام على حديث لا تشد الرحال الخ وهي قوله في مسألة تحريم شد الرحل والسفر الى زيارة القبور . (وهي من أبشع المسائل المنقولة عن ابن تيمية الخ . ثم نقل عنه ما قاله في تقريظه على كتاب الرد الوافر مما ليس فيه مطعن ولا مغمز لثالب *

﴿ جوابه ﴾ ان الحافظ ابن حجر العسقلاني موالاته ومحبته للشيخ ابن تيمية مما لا ينكره الا جاهل . وقد تلقى العلم عن تلامذة الشيخ وأصحابه وانتفع بكتبه وقرا كثيرا منها درسا وهذا هو اللائق به وبامثاله من أهل الفضل والعلم . وقد قيل انما يعرف ذا الفضل ذووه — والعبارة التى نقلها النبهاني عنه وهو قوله عن منعه من سفر الزيارة وهي من ابشع المسائل المنقولة عن ابن تيمية الخ أي طعن فيها وقدح في عدالة ابن تيمية . ومن المعلوم ما كان من الردود على كل من الائمة ولم يخل ذلك بشرفهم ولا خفض من منزلتهم . وقد قال غير واحد من أهل العلم ان مسألة التزوج بالبنت من الزنا من أبشع المسائل المنقولة عن الشافعي وان مسألة تزوج المغربي بالمشرقي او بالعكس ثم ولدت الزوجة ولدا يلحق بالاب وان لم يجتمع الزوجان قط من أبشع المسائل المنقولة عن أبي حنيفة وان جواز التيمم بالثلج من أبشع المسائل المنقولة عن الامام مالك وهكذا الى ما لا يسعه المقام وأي امام من الائمة لم ينسب اليه أقوال شاذة — هذا اذا قلنا ان مسألة المنع من سفر الزيارة من الشواذ مع ان الامر ليس كما ذكروا كيف والادلة القطعية قائمة على ما قاله وقد سبقه اليه الائمة المقتدى بهم وقد سبق بيان ذلك مفصلا فيما نقلناه عن الشيخ من الكتابين وما نقله النبهاني من كلام الحافظ العسقلاني على الرد الوافر هو رد عليه لانه ليس فيه الا الثناء والمدح وتبرئته عما يوجب اللوم والقدح ولم ينقل العبارة بعينها لان ذلك مناقض

لغرضه الفاسد ومخالف لما يرومه من التلبيس والتدليس قاتله الله ما أجهله وها نحن ننقلها بنصها ليتبين ما ذكرناه انه كان من أخلص الناس مودة لشيخ الاسلام (قال) العلامة المحدث السيد صفى الدين الحنفى البخارى نزيل نابلس عليه الرحمة فى كتابه القول الجلى فى ترجمة الشيخ تقى الدين بن تيمية الحنبلى صورة تقريظ للامام الحافظ فى عصره بل حافظ الدنيا العلامة شهاب الدين ابو الفضل أحمد بن على بن حجر العسقلانى قدس الله سره على الرد الوافر لابن ناصر الدين الدمشقى الشافعى رحمه الله تعالى ولفظه *

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى . وقفت على هذا التأليف النافع . والمجموع الذى هو للمقاصد التى جمع لها جامع . فتحققت سعة اطلاع الامام الذى صنفه وتضلعه من العلوم النافعة بما عظمه بين العلماء وشرفه . وشهرة امامة الشيخ تقى الدين ابن تيمية أشهر من الشمس . وتلقيبه بشيخ الاسلام باق الى الآن على الالسنة الزكية ويستمر غدا كما كان بالامس . ولا ينكر ذلك الا من جهل مقداره وتجنب الانصاف . فما أكثر غلط من تعاطى ذلك وأكثر عثاره . فالله تعالى هو المسؤل ان يقينا شرور نفوسنا . وحصائد ألسنتنا بمنه وفضله *

(ولو لم يكن) من فضل هذا الرجل الا مانبه عليه الحافظ الشهير علم الدين البرزالى فى تاريخه انه لم يوجد في الاسلام من اجتمع فى جنازته لما مات ما اجتمع فى جنازة الشيخ تقى الدين لكفى . وأشار الى أن جنازة الامام أحمد كانت حافلة جدا شهدها مؤن الوف لكن لو كان بدمشق من الخلائق نظير ما كان ببغداد بل اضعاف ذلك لما تأخر أحد منهم من شهود جنازته . وأيضا فجميع من كان ببغداد الا الاقل كانوا يعتقدون امامة الامام أحمد وكان أمير بغداد وخليفة الوقت اذ ذاك فى غاية المحبة له والتعظيم بخلاف ابن تيمية وكان أمير البلد حين مات غائبا . وكان أكثر من فى البلد من الفقهاء قد تعصبوا عليه حتى مات محبوسا بالقلعة ومع هذا فلم يتخلف منهم عن حضور جنازته والترحم والتأسف عليه الا ثلاثة أنفس تأخروا خشية على أنفسهم من العامة . ومع حضور هذا الجمع العظيم فلم يكن لذلك باعث الا اعتقاد امامته وبركته لا بجمع سلطان ولا غيره . وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال أنتم شهداء الله في الارض . ولقد قام على الشيخ تقي الدين جماعة من العلماء مرارا بسبب أشياء أنكروها

عليه من الاصول والفروع وعقدت له بسبب ذلك عدة مجلس بالقاهرة ودمشق ولا يعلم عن أحد منهم انه أفتى بزندقته ولا حكم بسفك دمه مع شدة المتعصب عليه حينئذ من أهل الدولة حتى حبس بالقاهرة . ثم بالاسكندرية ومع ذلك فكلهم يعترف بسعة علمه وزهده ووصفه بالسخاء والشجاعة وغير ذلك من قيامه في نصرة الاسلام . والدعاء الى الله تعالى في السر والعلانية . فكيف لا ينكر على من أطلق انه كافر بل من أطلق على من سماه شيخ الاسلام الكفر . وليس في تسميته بذلك ما يقتضى ذلك فانه شيخ مشايخ الاسلام في عصره بلا ريب . والمسائل التى أنكرت عليه ما كان يقولها بالتشهى . ولا يصر على القول بها بعد قيام الدليل عليه عنادا ، وهذه تصانيفه طافحة بالرد على من يقول بالتجسيم والتبرى منه . ومع ذلك فهو بشر يخطئ ويصيب فالذى أصاب فيه وهو الا كثر يستفاد منه ويترحم عليه بسببه والذى أخطأ فيه لا يقلد فيه بل هو معذور لان علماء الشريعة شهدوا له بان أدوات الاجتهاد اجتمعت فيه حتي كان أشد المتعصبين عليه العاملين في ايصال الشر اليه . وهو الشيخ كمال الدين الزملكاني شهد له بذلك . وكذلك الشيخ صدر الدين بن الوكيل الذى لم يثبت لمناظرته غيره ومن أعجب العجب ان هذا الرجل كان من أعظم الناس قياما على أهل البدع من الروافض والحلولية والاتحادية . وتصانيفه في ذلك كثيرة شهيرة . وفتاويه فيهم لا تدخل تحت الحصر فياقرة أعينهم اذا سمعوا تكفيره . ويا سرورهم اذا رأوا من يكفره من أهل العلم . فالواجب على من تلبس بالعلم وكان له عقل ان يتأمل كلام الرجل من تصانيفه المشهورة أو من ألسنة من يوثق به من أهل النقل فيفرد من ذلك ما ينكر . فليحذر منه على قصد النصح ويثنى عليه بفضائله فيما أصاب من ذلك كدأب غيره من العلماء الانجاب *

ولو لم يكن للشيخ تقى الدين من المناقب الا تلميذه الشهير الشيخ شمس الدين بن قيم الجوزيه صاحب التصانيف النافعة السارّة التى انتفع بها الموافق والمخالف لكان غاية فى الدلالة على عظم منزلته فكيف وقد شهد له بالتقدم فى العلوم والتميز فى المنطوق والمفهوم أئمة عصره من الشافعية وغيرهم فضلا عن الحنابلة . فالذي يطلق عليه مع هذه الاشياء الكفر أو على من سماه شيخ الاسلام لا يلتفت اليه ولا يعول فى هذا المقام عليه بل يجب ردعه عن ذلك الى ان يراجع الحق ويذعن للصواب والله يقول الحق وهو يهدى السبيل وحسبنا الله ونعم الوكيل .

قال وكتبه أحمد بن على بن محمد بن حجر الشافعي عفا الله عنه وذلك في اليوم التاسع من شهر ربيع الاول عام خمسة وثلاثين وثمانمائة حامدا لله ومصليا على محمد ومسلما * هذا آخر كلامه *

﴿ فانظر أيها المنصف الى كلام هـذا الامام ﴾ في الذب عن شيخ الاسـلام هل تراه منتصرا له ام طاعنا عليه . وهل تجده مادحا له أم موجها سهام الذم بين يديه وانظر الى تحريف النبهاني الذى سبق به تحريف اسلافه اليهود فقد نقل منه ما ظن بزعمه انه ينفعه وترك ما هو شجي فى فمه كل ذلك لاجل ترويج ضلاله وهواه وباطله . فبالله عليك أيها الواقف على مثل هذه الاحوال هل يليق ان يولى هذا الرجل الحكم على أموال الناس واعراضهم ودمائهم . وهو يخون جهلا واتباعا لهواه هذه الخيانة التى لم تخف على أحد من طلبة العلم فضلا عن أكابر العلماء . ومحققى الفضلاء . فياخسارة لمن تولى الحكم عليه هذا الغبي الجاهل . وعبث كما أداه اليه هواه فى المحافل *

﴿ قال النبهانى ﴾ ومنهم السيد صفى الدين الحنفى البخاري نزيل نابلس الف كتابا مستقلا سماه القول الجلى . فى ترجمة الشيخ تقى الدين بن تيمية الحنبلى . ذكر فيـه مناقبه وكلام العلماء فى الثناء عليه . الى ان قال . قال صفى الدين في كتابه المذكور . قد نص على انه أى ابن تيمية بلغ رتبة الاجتهاد جمع من العلماء ولم يتفرد بمسألة منكرة قط . وان كان قد خالف الائمة الاربعة فى مسائل فقد وافق فيها بعض الصحابة أو التابعين . ومن أشنع ما وقع له مسألة تحريم السفر الى زيارة القبور . وقد قال به قبله أبو عبد الله بن بطة الحنبلى فى الابانة الصغرى . ثم قال صفى الدين في موضع آخر من كتابه (فان قلت) ما نقلته فى هذا الجزء يدل على براءة الشيخ مما نسب اليه . فما بال علىّ القارى والتقي الحصنى وابن حجر الهيتمى وغـيرهم ينسبونه الى أمور فظيعة (قلت) اعلم وفقك الله تعالى ان ابن تيمية رحمه الله تعالى كان رجلا مشهورا بالعلم والفضل وحفظ السنة . وكان مبالغا في مذهب الاثبات وكان يكره التأويل أشد الكراهة وكان يرد على الصوفية ما ذكروه فى كتبهم من وحدة الوجود وما شاكلها على عادة أهل الحديث والفقهاء والمتكلمين فرد على الشيخ محي الدين ابن العربى والشيخ عمر بن الفارض . وعبـد الحى بن سبعين واضرابهم . وكان قد خالف الائمة الاربعة فى بعض الفروع كمسألة الزيارة والطلاق وكان يناظر عليهما فقام عليه ناس وحسدوه وابغضوه وأشاعوا عنـه ما لم يقله من التشبية والتجسيم

وغير ذلك . فدخل ذلك على بعض أهل العلم من الحنفية والشافعية وغيرهم ولم يطلبوا تحقيق ذلك من كتبه المشهورة واعتمدوا على السماع فوقع منهم ما قد وقع وقد وقع مثل هـذا لغير واحد من أهل العلم والفضل (ثم قال) وقد أنكروا على الشيخ أشياء لا بأس بذكر الجواب عنها والاعتذار (فأقول) قالوا يقول بحرمة السفر الى زيارة القبور . وقد خالف في ذلك الاجماع قال صفي الدين قلت وهو مخطئ في ذلك أشد الخطأ ولكن لا يلزم من القول به التفسيق فضلا عن التكفير لانه صدر ذلك عن شبهة ولو كان ذلك الدليل خطأ عندنا . (انتهى) كلام صفي الدين البخاري ومثله العلماء الذين أثنوا على ابن تيمية ذكروا خطأه الفاحش في مسائله التي خالف فيها الاجماع . (انتهى) كلام النبهاني *

* (والجواب) * ان كلام النبهاني هـذا على نمط ما قبله فان السيد صفي الدين الحنفي عليه الرحمه الف كتابه القول (الجلي في ترجمة . الشيخ تقي الدين ابن تيمية الحنبلي) وذكر فيه أقوال أساطين العلماء الذين أثنوا عليه وذب عنه . وأجاب عما نسب اليه من الاختيارات بما لا مزيد عليه وقال في خطبة كتابه . (وبعد) فهذا جزء لطيف في ترجمة شيخ الاسلام . وبركة الانام علم الزهاد . واوحد العباد . سيد الحفاظ . وفارس المعاني والالفاظ . تقي الدين أبي العباس وذكر نسبه الى ان قال ابن تيمية الحراني نزيل دمشق رحمه الله لخصته مما اجتمع عندي من كلام الفقهاء والمحدثين رجاء للثواب ونفعا للاحباب *

* (فانظر أيها المنصف) * كيف ساغ للنبهاني الجهول ان يذكر السيد صفي الدين هذا من جملة من رد على الشيخ ابن تيمية وينقل عنه مايهدم بنيانه . وهل ذلك الا من جملة أحكام منصبه التي يحكم بها بغير ما أنزل الله قاتله الله تعالى . ما أشغفه بالباطل واتباع الهوى . والعبارة التي نقلها محرفة غير منقولة بتمامها وكتاب السيد صفي الدين بين الايدي فلا نتعب البنان بنقل كلامه في هذا المقام . وقد أسلفنا مرارا ان رد بعض العلماء على بعض لا يستوجب القدح على من رد عليه ولا تبديعه ولا تفسيقه بوجه * هذا فخر الدين الرازي قد حشي تفسيره من الرد على الامام أبي حنيفة رحمه الله وملأه من الهذيان عليه فاى قدح لحق الامام أبا حنيفة من ذلك . واعترض بعض علماء المالكية على الامام الشافعي بما لا مزيد عليه فأى نقص لحقه منه . وهكذا مما لا يسع المقام بيانه هذا لو سلمنا ان السيد صفي الدين قد رد على الشيخ فكيف والامر بخلاف ذلك

﴿ قال النبهاني ﴾ ومنهم الحافظ عماد الدين بن كثير الشافعي ثم نقل من كتاب السيد صفي الدين ماذكره من عبارته المشتملة على الثناء على الحافظ ابن القيم الى ان قال ثم أوذي بسبب قوله بقول الشيخ ابن تيمية في مسألة الطلاق ومع انه خالف الائمة الاربعة في ذلك فلم ينفرد به كما هو مبين في موضعه وهو وان كان خطأ فاحشا فلا يوجب التفسيق انتهى *

﴿ والجواب ﴾ ما حكيناه سابقا فان ما نقله من الكلام هو أيضا على نسق ما قبله فان النبهاني ينقل ماذكره السيد صفي الدين من أقوال العلماء الذابة عن الشيخ فيعكس النبهاني القضية ويجعل تلك الاقوال رادة عليه . ثم ذكر كلام البلقيني والامام السيوطي والكزبري والشيخ علي القاري والخفاجي وابن اسحق المالكي والزرقاني والصفدي والمناوي في الرد على الشيخ بزعمه مع ان غالب من ذكر كانوا من المثنين عليه والموالين له وكلامهم الذي نقله عنهم يشهد لما قلناه . ولو سلم ان في كلام بعضهم غض على الشيخ استوجبه التعصب والتقليد للاشياخ وعدم الانصاف فلا نتعب البنان بنقل عباراتهم والكلام عليها *

﴿ قال النبهاني ﴾ ومنهم صاحبنا العالم العامل الفاضل الكامل الشيخ مصطفى بن احمد الشطي الحنبلي الدمشقي قال الف حفظه الله رسالة مخصوصة سماها (النقول الشرعية * في الرد على الوهابية) وختمها بخاتمة في تأييد مذهب سادتنا الصوفية وطبعها ونشرها فما قاله في المقالة الاولى . منها التي تكلم فيها على الاجتهاد لاشك ان من ادعى ذلك في هذا الزمان عليه امارة البهتان كما يقع دعوى ذلك من فرقة شاذة نسبت نفسها للحنابلة الى ان قال وقد ينكرون دعوى الاجتهاد ويحتجون بعبارة شيخ الاسلام ابن تيمية فقط مع ان الامام المذكور قد خرج من مذهب الحنبلي في عدة مسائل تفرد بها وتهيأ بخصوصها للاجتهاد المطلق الا انها لم تدون على كونها مذهبا له كما دونت فروع مسائل المذاهب الاربعة *

(ثم ذكر) بعض تلك المسائل الى ان قال وذكر في المقالة الرابعة من هذه الرسالة جواز التوسل والاستغاثة والاستشفاع بالانبياء والاولياء والصالحين حال حياتهم وبعد مماتهم . وأقام الدليل على ذلك من الكتاب والسنة الى آخر قوله *

﴿ والجواب ﴾ ان النبهاني كالغريق يتشبث بالحشيش حيث استدل بكل قول سمعه ووافق هواه ولو كان صادرا من الاطفال والصبيان وقصده ان يعظم حجم كتابه ليهول به على أمثاله

من الجهلة * ومن الشيخ مصطفى هذا لذى ذكره حتى يحتج بقوله فى باب الجرح والتعديل ايظن انه بسبب انتمائه الى مذاهب الحنابلة يؤخذ بقوله ويوثق بنقله فهل يلزم ان من ينتمى الى الشافعى كلهم كالسبكى وابن حجر المكي ونحوهما من الغلاة لا والله بل فيهم أئمة هادون مهديون وأفاضل منصفون . وهكذا أصحاب كل مذهب والناس معادن *

* وما كل مخضوب البنان بثينة * ولا كل مصقول الحديد يمانى *

هذا مع ان ما نقله عن صاحبه فلا حجة فيه لما هو بصدده أما مسألة انقطاع الاجتهاد التى ذكرها فقد تكلمنا عليها أول الكتاب بما لا مزيد عليه * وأما ما نقله عن شيخ الاسلام فهو حق وقد شهد له بالاجتهاد المطلق اكابر العلماء . وأما قوله بالاستغاثة والتوسل فقد مر الكلام على بطلانها مفصلا . وأما ثناؤه على الصوفية فلم يبين الثناء منه كان على أى قسم منهم . فاما من كان منهم على منهج الجنيد واضرابه فهم أهل للثناء . وأما من كان يقول منهم بوحدة الوجود ويتكلم بما يصادم الشريعة فمدحهم والثناء عليهم مما يأباه العلماء الربانيون فما نقله عن صاحبه لا يفيده فيما هو بصدده من ذكر كلام الرادين على شيخ الاسلام . وقد ذكرنا انه ليس فى كلامه ما يرد عليه وكتاب النقول الشرعية قد رد عليه علماء أهل السنة فلا نناقشه على ماذكر من السقط *

(قال النبهانى) ومنهم الامام شهاب الدين احمد بن حجر الهيتمى المكى وهو أشدهم ردا على ابن تيمية محاماة عن الدين . وشفقة على المسلمين من ان يسرى اليهم شئ من غلطاته الفاحشة . ولا سيما فيما يتعلق بسيد المرسلين . صلى الله عليه وعلى آله وصحبه اجمعين . ومن نظر بعين الانصاف شهد لهذا الامام ابن حجر بالولاية وانه ربما يكون قد اطلعه الله على ما سيحصل فى المستقبل من الاضرار العظيمة التى ترتبت على أقوال ابن تيمية . من فرقته الوهابية . التى هو أصل اعتقادها وأساس فسادها ولا يخفى ماحصل منها من الاضرار العظيمة فى حق المسلمين والاسلام . ولا سيما فى الحرمين الشريفين وجزيرة العرب فمن المحتمل احتمالا قريبا ان يكون الحق سبحانه وتعالى قد اطلع الامام ابن حجر على ذلك على سبيل الكرامة وهو أهل لذلك فانه رضى الله عنه كان من أكابر العلماء العاملين والائمة الهادين المهديين وهذا علمه وكتبه النافعة التى خدم بها الامة المحمدية . خدمة لم يشاركه فيها سواه من عصره الى الآن قد ملأت الدنيا . وانتفع بها

الخاص والعام فى جميع بلاد الاسلام ومن كان كذلك لايستبعد عليه ان يكون الله تعالى قد أكرمه باطلاعه على بعض المغيبات . ومنها ماحدث من فرقة الوهابية اتباع ابن تيمية من المضار العظيمة على الشريعة المحمدية . والملة الاسلامية . ولذلك كان رضى الله عنه اشد ائمة المسلمين انكارا لبدع ابن تيمية وردا عليه باشد العبارات شفقة على المسلمين . ومحاماة عن هذا الدين المبين وله فى ذلك عبارات كثيرة فى كتبه ولاسيما في الفتاوى الحديثية . ولم ار حاجة الى نقلها هنا فمن شاءها فليراجعها *

﴿أقول﴾ انا قد أسلفنا عن النبهانى هذا المفترى على الله ورسوله صلى الله عليه وسلم انه قد اتصف بصفات الخزى والسوء وعدم الادب والحياء من الله ومن الناس فلايستحى من كذب ولا يبالى بخزى . وأما مساويه فهى كما قال القائل *

﴿مساو لو قسمن على الغوانى * لما أمهرن الا بالطلاق﴾

وهو والامر لله تعالى لايدرى ولا يدرى انه لايدرى فلا ينجع فيه كلام ولا يؤثر فيه سهام الملام . بل هو كما قال المتنبي *

﴿من يهن يسهل الهوان عليه * مالجرح بميت ايلام﴾

ولم يزل يبدى ويعيد بباطله . ويكرر كلامه مرة بعد أخرى . وينقل المسائل التي قد تكرر الرد عليها من العلماء الاعلام . ومزقوها بسهام الملام . ولم يؤثر فيه كل ذلك حتى كانه لم يسمع من عما قيل فيها وطعن عليها بل يعتقدها وحي منزل من الله عز وجل . فهو ممن قال الله تعالى فيه ثم قست قلوبهم من بعد ذلك فهى كالحجارة أو أشد قسوة وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وان منها لما يهبط من خشية الله *

﴿وقد ذكر﴾ فى هذا الكلام كلاما لابن حجر المكى عامله الله بعدله فى قدح ابن تيمية وسبه وشتمه . وقال انه كان أشدهم ردا عليه . والاحرى به ان يقول انه كان أشد الناس عداوة للذين آمنوا . فانه قد ملأ كتبه بشتم عباد الله الصالحين . أهل الحديث النبوي وخدام السنة المطهرة والشريعة الغراء . وقد انتدب للرد عليه بعض أهل العلم من عصرنا وقبله وبينوا اسقطاته . وغلطاته وكذبه . وافترائه . وخيانته فى النقل وتحريفه للكلم عن مواضعه وغير ذلك من الامور التى لايقدم عليها من يؤمن بالله واليوم الآخر ومزقوا بسهام أقلامهم جميع ما حاكه من نسج الاباطيل وزخرف

الاقاويل مما لامزيد عليه كما قدردوا على اسلافه الغلاة بمثل ذلك وكتبهم مشهورة متداولة بين الايدي . وفيها الكفاية لمن أخذت الهداية بيديه . ومن كان له قلب أو القى السمع وهو شهيد *

(وحيث ان النبهاني) ميت القلب بليد الطبع جامد القريحة . يرى كلام متبوعيه واسلافه كالشريعة المنزلة والدين المتبع ولا شك ان ذلك مما كان عليه أهل الجاهلية فنى شرح مسائل العلامة أبي عبد الله الشيخ محمد التي أبطلها الاسلام . ومنها الاقتداء بفسقة أهل العلم وجهالهم وعبادهم وقد حذرهم الله تعالى من ذلك بقوله *

(يا أيها الذين آمنوا ان كثيرا من الاحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله) وقال تعالى (يا أهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل) الى آيات اخر تنادى ببطلان الاقتداء بالفسقة وأهل الضلالة والغى . وذلك من سنن أهل الجاهلية . وطرائقهم المعوجة الردية

* قال ومنها الاحتجاج بما كان عليه القرون السالفة من غير تحكيم العقل والاخذ بالدليل الصحيح . وقد أبطل الله ذلك بقوله (قال فمن ربكما يا موسى قال ربنا الذى أعطى كل شيء خلقه ثم هدى . قال فما بال القرون الاولى قال علمها عند ربى فى كتاب لا يضل ربى ولا ينسى الذى جعل لكم الارض مهدا وسلك لكم فيها سبلا وأنزل من السماء ماء فاخرجنا به أزواجا من نبات شتى كلوا وارعوا أنعامكم) الآية *

وقال تعالى (فلما جاءهم موسى بآياتنا بينات قالوا ماهذا الا سحر مفترى . وما سمعنا بهذا في آبائنا الاولين) وقال موسى ربى اعلم بمن جاء بالهدى من عنده ومن يكون له عاقبة الدار انه لا يفلح الظالمون) *

وقال عز ذكره (ولقد أرسلنا نوحا الى قومه فقال ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره أفلا تتقون) فقال الملأ الذين كذبوا من قومه ماهذا الا بشر مثلكم يريد ان يتفضل عليكم ولو شاء الله لانزل ملائكة ماسمعنا بهذا فى آبائنا الاولين * انهو الا رجل به جنة فتربصوا به حتى حين *

وفى آية أخرى (وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم ان هذا لشيء يراد ماسمعنا بهذا في الملة الآخرة ان هذا الا اختلاق) *

فجعلوا مدار احتجاجهم على عدم قبول ماجاءت به الرسل انه لم يكن عليه اسلافهم ولا عرفوه منهم فانظر الى سوء مداركهم وجمود قرائحهم ولو كانت لهم أعين يبصرون بها وآذان يسمعون بها . لعرفوا الحق بدليله . وانقادوا لليقين من غير تمليله . وهكذا اخلافهم ووراثهم قد تشابهت قلوبهم اه *

(والنبهاني) من هؤلاء القوم الذين تكلم عليهم في شرح المسائل وهو مع جهله بكل علم الف كتابا ذكر فيه مباحث كانه لم يسمع بردها ولا علم بباطلها وملأه من الهذيان والزور والبهتان فكان ممن قالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير *

ومع ذلك فنحن نتكلم على مانقله هنا عن ابن حجر . ونجيب عنه بجوابين مجمل ومفصل *

(اما الجواب المجمل) فهو ان مانقل عن ابن حجر لا يضر شيخ الاسلام فانه عدو له ومن خصومه الالداء كما يدل على ذلك ما كان منه من الشتم والسب واللعن وغير ذلك مما لا ينبغي ان يذكر بعضه في حق أعداء الله كاليهود وغيرهم من أعداء الدين . وذلك خارج عن قوانين المناظرة المقصود منها اظهار الصواب . والحامل له على ذلك تعصبه للسبكي فان كثيرا من الشافعية لهم حظ وافر مما كان عليه أهل الجاهلية من انتصار بعضهم لبعض ولو ظلما — ولذلك قال صلى الله عليه وسلم من تعزى بعزاء الجاهلية فاعضوه بهن أبيه ولا تكنوا ﴿وفي شرح المسائل﴾ التي أبطلها الاسلام مانصه . ومن خصال الجاهلية انهم لا يقبلون من الحق الا ما تقول به طائفتهم . قال تعالى (واذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله قالوا نؤمن بما أنزل علينا ويكفرون بما وراءه وهو الحق مصدقا لما معهم قل فلم تقتلون أنبياء الله من قبل ان كنتم مؤمنين) *

﴿ ومعنى نؤمن بما أنزل علينا ﴾ اى نستمر على الايمان بالتوراة وما في حكمها مما انزل في تقرير حكمها ﴿ ومرادهم ﴾ بضمير المتكلم ﴿ اما انبياء ﴾ بني اسرائيل وهو الظاهر وفيه ايماء الى ان عدم ايمانهم بالقرآن كان بغيا وحسدا على نزوله على من ليس منهم . ﴿ واما انفسهم ﴾ ومعنى الانزال عليهم تكليفهم بما في المنزل من الاحكام وزموا على هذه المقالة لما فيها من التعريض بشأن القرآن ودسائس اليهود مشهورة اولانهم تأولوا الامر المطلق العام ونزلوه على خاص هو الايمان بما انزل عليهم كما هو ديدنهم في تأويل الكتاب بغير المراد منه . ﴿ ويكفرون بما وراءه وهو الحق ﴾ اي هم مقارنون لحقيقته أى عالمون بها ﴿ مصدقا لما معهم ﴾

لان كتب الله يصدق بعضها بعضا فالتصديق لازم لاينتقل. وقد قررت مضمون الخبر لانها كالاستدلال عليه . ولهذا تضمنت رد قولهم (نؤمن بما أنزل علينا) حيث ان من لم يصدق بما وافق التوراة لم يصدق بها (قل فلم تقتلون أنبياء الله من قبل ان كنتم مؤمنين) أمر للنبي صلى الله عليه وسلم ان يقول ذلك تسكيتا لهم حيث قتلوا الانبياء مع ادعاء الايمان بالتوراة وهي لا تسوغه

* قال ومنها التعصب للمذهب والاقرار بالحق للتوصل الى دفعه . قال تعالى وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم قل ان الهدى هدى الله أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم أو يحاجوكم به عند ربكم قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم *

﴿ قال ﴾ الحسن والسدى تواطأ اثنا عشر رجلا من أحبار يهود خيبر وقرى عرينة وقال بعضهم لبعض أدخلوا في دين محمد أول النهار باللسان دون الاعتقاد واكفروا آخر النهار وقولوا انا نظرنا في كتبنا وشاورنا علماءنا فوجدنا محمدا ليس بذاك وظهر لنا كذبه وبطلان دينه فاذا فعلتم ذلك شك أصحابه في دينهم . وقالوا انهم أهل كتاب وهم أعلم به فيرجعون عن دينهم الى دينكم انتهى *

وما كان عليه ابن حجر المكي من الغلو في القبور والقول باقوال المتصوفة الكاذبة وترويج بدعهم الملومة أمر لايسعه الانكار وكتبه طافحة بمثل هذه الاكاذيب وشيخ الاسلام قد بين أحكام الله تعالى في هذه الفئة الزائغة . وذكر ماوردت به الشريعة من القول الحق الذي يذعن له كل من يسمعه ويصغي اليه . وذلك من المسلم حتى لدى خصومه فمن جملة ما كتبه ابو الحسن السبكي الى الحافظ الذهبي أحد من أخذ على شيخ الاسلام في حق الشيخ تقي الدين مانصه *

واما قول سيدي في الشيخ فالمملوك متحقق كبر قدره وزخارة بحره وتوسعه في العلوم الشرعية والعقلية . وفرط ذكائه واجتهاده وبلوغه في كل من ذلك المبلغ الذى يتجاوز الوصف . والمملوك يقول ذلك دائما وقدره في نفسي أكبر من ذلك واجل مع ماجمع الله له من الورع والزهادة والديانة ونصرة الحق والقيام فيه لالغرض سواه وجريه على سنن السلف وأخذه من ذاك بالمأخذ الأوفى وغرابة مثله في هذا الزمان بل من أزمان انتهى *

﴿ والمقصود ﴾ ان كل مااعترض به ابن حجر على شيخ الاسلام مردود عليه فان منه ماهو افتراء ومنه ماهو مؤيد بالحجج والدلائل القطعية ، ومنه مالم ينفرد به بل قال بقوله جمع من المجتهدين وانما كان من تهور ابن حجر ليس من الدين فى شئ ، وانما لمزيد حبه وغيه واتباعه لهواه فكلامه الذى نقله الغبي النبهاني وغيره كله مردود عليه *

﴿ وأما الجواب المفصل فنقول ﴾ اما قول ابن حجر فيه ماقال فذلك قول النبهاني هو أشدهم ردا على ابن تيمية محاماة عن الدين وشفقة على المسلمين الخ . فقد صدق فى جملة من هاتين الجملتين وكذب فى الاخرى اما ماصدق فيها فقوله عن ابن حجر انه أشد الناس ردا عليه والأمر كما قال والسبب فى ذلك ماذكرناه سابقا من الحب للبدع والكراهة للسنن النبوية فان من نظر الى كتب الشيخ ابن تيمية ، وجدها دينا خالصا وكلاما أشبه شئ بالذهب المصطفى وعلم منها حرصه رحمه الله على السنة والمحاماة للشريعة والحط على أعداء الدين وخصماء السنة ومزيد حبه للرسول صلى الله عليه وسلم ومن راجع بعض فصول كتابه الصارم المسلول تبين له ماقلناه *

﴿ كل ذلك ﴾ بخلاف ما كان عليه ابن حجر فتراه فى كثير من كتبه يروج البدع ويدافع عنها ويذب عن أهلها ويخاصم اتباع السنن ويعادى أهل الحديث أشد العداوة . وينسب اليهم كل ما خطر على باله وجرى على لسان قلمه من الافك والزور والبهتان انظر الى ماذكره فى فتاواه الحديثية بل البدعية تجدها مشحونة من العدوان على ابن تيمية وقبل ان تنشر كتب شيخ الاسلام تقي الدين ربما كان يظن من يظن انه صادق فى منقوله فلما انتشرت وتداولتها الايدى تبين لكل ذى عينين ان ابن حجر كذب وافترى ولم يتوثق به أحد بعد ذلك وسقط من درجة الاعتبار بالكلية الا لدى من أعمي الله عين بصيرته من الاغبياء *

وبذلك يظهر كذب النبهانى فى الجملة الاخرى وهي ان انكاره كان شفقة على الدين الخ بل لو أنصف لقال ان انكاره كان من بغضه للدين فانه شوق الناس على البدع والاهواء وحذرهم من كتب السنة ومحبة أهلها والحامين لها ولذلك ترى من اغتر باقواله الكاسدة فى ظلمات من الجهل والغي والعمى لاينجع فيهم كلام ولا تمضى فيهم سهام الملام * وأما من طالع كتب السنة ولا سيما كتب شيخ الاسلام تراه قد انكشفت عن بصيرته غشاوة التعصب واتبع مااقتضاه

الدليل وهكذا الفرق بين المبتدع والسنى ترى المبتدعة يصرفون النصوص والدلائل الى ماتهواه أنفسهم وأهل السنة يذهبون الى مايقوده اليهم الدليل ويتركون له ماتهواه أنفسهم وهذا بحمد الله بين *

﴿ وأما قوله ومن نظر بعين الانصاف شهد لهذا الامام ابن حجر بالولاية وانه ربما يكون قد أطلعه الله ما يحصل فى المستقبل من الاضرار العظيمة فجوابه من وجوه (أما أولا) فيقال ان الولاية والكرامة انما تكون لصلحاء الامة أهل التقوى والورع والكرامة لاتكون لمثل ابن حجر من الكذابين المفترين المتناقضين فى أقوالهم المضطربين فى دينهم . وما أحسن مافى كتاب انباء الابناء باحسن الانباء . يابني من رايتموه يطير فى الهواء او يمشى على وجه الماء . وقد خالف شيئا من الشريعة الغراء . فذاك من أولياء الشيطان . لامن أولياء الرحمن فاياكم وإياه واشتغلوا عنه بتقوى الله . وقال شيخ الاسلام فى كتابه الفرقان . بين أولياء الرحمن . وأولياء الشيطان ومن حين بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم جعله الفارق بين أولياء الله وأعدائه فلا يكون ولى الله الا من آمن به واتبعه ظاهراً وباطنا ومن ادعى محبة الله وولايته وهو لم يتبعه فليس من أولياء الله بل من خالفه كان من أعداء الله واولياء الشيطان . وقال تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله . قال الحسن البصرى ادعى قوم انهم يحبون الله فانزل الله هذه الآية محنة لهم وقد بين الله فيها ان من اتبع الرسول فان الله يحبه ومن ادعى محبة الله ولم يتبع الرسول فليس من اولياء الله تعالى وان كان كثير من الناس يظنون فى انفسهم او غيرهم انهم من اولياء الله ولا يكونون من اولياء الله فان اليهود والنصارى يدعون انهم اولياء الله وانه لايدخل الجنة الا من كان منهم بل يدعون انهم أبناء الله واحباؤه الى قوله واليه المصير . وقال تعالى وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا أو نصارى قل أأنتم أعلم أم الله ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله وما الله بغافل عما تعملون وكان مشركوا العرب يدعون انهم أهل الله لسكناهم مكة ومجاورتهم البيت وكانوا يستكبرون به على غيرهم كما قال تعالى قد كانت آياتى تتلى عليكم الى قوله سامرا تهجرون . وقال تعالى واذ يمكر بك الذين كفروا الى قوله لايعلمون . فبين سبحانه وتعالى ان المشركين ليسوا أولياءه ولا أولياء بيته انما أولياؤه المتقون . وثبت فى الصحيحين عن عمرو بن العاص قال سمعت رسول

الله صلى الله عليه وسلم يقول جهارا غير سر ان آل أبي فلان ليسوا لى باولياء انما وليي الله وصالح المؤمنين وهذا موافق لقوله تعالى وان تظاهرا عليه الى قوله ظهيرا وصالحوا المؤمنين المتقون أولياء الله . ودخل فى ذلك أبو بكر وعمر وعثمان وعلى وسائر أهل بيعه الرضوان الذين بايعوا تحت الشجرة وكانوا ألفا وأربعمائة كلهم في الجنة كما ثبت فى الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لايدخل النار أحد بايع تحت الشجرة ومثل هذا الحديث الآخر ان أولى الناس بى المتقون من كانوا وحيث كانوا كما ان من الكفار من يدعي انه ولى الله وليس وليا لله بل عدوا له وكذلك من المنافقين الذين يظهرون الاسلام ويقرون فى الظاهر بشهادة أن لااله الا الله وأن محمدا رسول الله وانه مرسل الى جميع الانس بل الى الثقلين الانس والجن ويعتقدون فى البواطن ماينافض ذلك مثل ان لايقروا في الباطن انه رسول الله انما كان ملكا مطاعا ساس الناس برأيه من جنس غيره من الملوك أو يقول انه رسول الله الى الاميين دون أهل الكتاب كما يقول كثير من اليهود والنصارى أو يقول انه مرسل الى عامة الخلق وأن لله أولياء خاصة لم يرسل اليهم ولا يحتاجون اليه او ان لهم طريقا الى الله من غير جهته كما كان الخضر مع موسى أو انهم يأخذون عن الله كلما يحتاجون اليه وينفعون به من غير واسطة أو أنه مرسل بالشرائع الظاهرة وهم موافقون له فيها * وأما الحقائق الباطنية فلم يرسل بها ولم يكن يعرفها أوهم أعرف منه أو يعرفونها بمثل مايعرفها هو من غير طريقته . وقد يقول بعض هؤلاء ان أهل الصفة كانوا مستغنين عنه ولم يرسل اليهم الى آخر ماذكره من التفصيل الذى لاتجده فى غيره *

﴿ ومنه يعلم ان ابن حجر ﴾ المكي ليس منهم فى شئ . فانه كان ممن يجوز الالتجاء الى غير الله تعالى والاستغاثة بالانبياء والصالحين والاستعانة بهم والتوسل وغير ذلك مما أسلفنا حكمه وبينا اختلاف أهل العلم فى ايمانه واسلامه هذا ماعدا ماذكره في تضاعيف كلامه ولاسيما في كتابه الجوهر المنظم وما عدا ما اقترف من الاثم فى شتم خيار الامة وسبهم ولعنهم والافتراء عليهم فان هذه الامور متى اتصف بها شخص كان حكمه معلوما فكيف يجعل من الاولياء ويثبت له كرامات وخوارق . نعم انه يليق ان يكون لدى النبهانى من الاولياء . وان الشياطين بعضهم أولياء بعض *

﴿ وأما ثانيا ﴾ فلان الاضرار التى ادعاها الموافق ابن تيمية لم يبين انها ماهي . ونحن نعلم ان كل

مايخالف الكتاب والسنة فوجوده ضرر محض ومن وافق ابن تيمية فى أقواله انما نهى عن المنكرات التى كانت بين الناس مما لم يكن مثلها في الجاهلية الاولى وأمر بالمعروف الذى يحبه الله ورسوله كل ذلك معلوم لدى العنقاء فلم لم يطلع الله ابن حجر اذا كان وليا وصاحب كرامة على ما حدث فى الاسلام من الزيغ والاعوجاج والمنكرات الكثيرة فى أخص بلاد الاسلام وأشرفها وما صادم الدين المبين من القواعد والاحكام التى يعرفها النبهاني ولا يحتاج الى ان ينبه عليها فانها اختلطت بلحمه وعظمه وعليها مدار معاشه وانتعاشه أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وماكانوا مهتدين *

﴿وأما ثالثا﴾ فان قوله ان الاضرار التى ترتبت على أقوال ابن تيمية من فرقته الوهابية الخ ليس له محصل ولا حاصل فنحن نطالبه ببيان تلك الاضرار التى ادعاها انها ترتبت على اقوال ابن تيمية مع ان اقواله هي عن الكتاب والسنة . وما يترتب على الكتاب والسنة يترتب على الاقوال المأخوذة عنها . والله سبحانه هو الذى أمر بجهاد المشركين ومحوهم من الارض افيقال ان ذلك من المضار . (وفى الكتاب) والسنة من الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ماهو معلوم لدى كل ذى بصر . (افيقال) ان ما يترتب على ذلك هو ضرر (والكتاب) والسنة اوجبا ازالة البدع والاهواء وابطالها وان اضر باهلها افيقال ان ما يترتب على ذلك يعد من الضرر . (والكتاب) والسنة نهيا عن جميع الكبائر والمحرمات المفصلة في غير هذا الموضع فهل لو حظ ما يترتب على ذلك من الضرر على من يتعاطاه . فقول النبهانى هذا ساقط ليس له وجه *

﴿واما رابعا﴾ فان الذين اطلق عليهم اسم الوهابية اطلاقا غلطا هم أهل نجد وهم حنابلة من خيار أهل السنة وهم من اتباع الامام أحمد فى الفروع لا من اتباع ابن تيمية — واما فى العقائد والاصول فهم ليسوا بمقلدين لاحد فيها وهم لم يبتدعوا شيأ فى الدين يكونون به فرقة أخرى ولم يتخذوا مع الله آلهة أخرى كما اتخذه الغلاة *

﴿واما خامسا﴾ فاي مضار ترتبت على موافقي ابن تيمة وهم الذين فعلوا ما أمر به النبي صلى الله عليه وسلم وامتثلوا أمره فى الطاعة لولىّ الامر ويعتقدون ان مخالفته من خصال الجاهلية ففى شرح المسائل ان مخالفة ولى الامر وعدم الانقياد له من فضائل الجاهلية وبعضهم يجعله

دينا نخالفهم النبي صلى الله عليه وسلم فى ذلك وأمرهم بالصبر على جور الولاة والسمع والطاعة والنصيحة لهم وغلظ فى ذلك وابدى واعاد وهذه الثلاث هى التى ورد فيها ما في الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم يرضى لكم ثلاثا أن تعبدوه ولا تشركوا به شيأ وأن تعتصموا بحبل الله جميعا وان تناصحوا من ولاه الله أمركم . وروى البخارى عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم . قال من كره من أميره شيأ فليصبر فانه من خرج من السلطان شبرا مات ميتة جاهلية . وروى أيضا عن جنادة ابن ابي أمية . قال دخلنا على عبادة بن الصامت وهو مريض . فقلنا اصلحك الله حدث بحديث ينفعك الله به سمعته من النبي صلى الله عليه وسلم قال دعانا النبي صلى الله عليه وسلم فبايعنا . فقال فيما أخذ علينا ان بايعنا على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا واثرة علينا وان لا ننازع الامر أهله الا ان تروا كفرا بواحا عندكم من الله فيه برهان والاحاديث الصحيحة فى هذا الباب كثيرة ولم يقع خلل فى دين الناس او دنياهم الا من الاخلال بهذه الوصية انتهى *

وماكان من الحروب في نجد بين رؤسائهم أى ذنب لهم فيه وهم لم يبدؤا أحدا بحرب ولا ضرب حتى يبدأ الغير به فحينئذ يدافعون عن أنفسهم ودفع الصائل مأمور به فلم يحصل منهم ضرر على الشريعة بل هم اكثر المسلمين محاماة عليها كما سبق *

﴿ واما سادسا ﴾ ان ما ينقل عن أهل نجد مما فعلوه بالحرمين لا أصل له كما لا يخفى على من طالع كتب تواريخهم . وفى كتاب منهاج التأسيس فى الرد على ابن جرجيس وتتمته نبذة من ذلك وجزيرة العرب تشمل الحرمين بل هما الجزيرة بلسان الشرع فلا وجه لعطف الجزيرة على الحرمين *

﴿ واما قوله ﴾ ولذلك كان رضي الله عنه أشد أئمة المسلين انكارا لبدع ابن تيمية الخ فجوابه انا قد ذكرنا سابقا ان ماكان منه من التهور والتجاوز على ابن تيمية اتباعا لهواه وابن تيمية من أعظم الناس اتباعا للسنة واكثرهم ردا للبدع وقول النبهانى شبيه بقول اخوانه المشركين في كتاب شرح المسائل التى أبطلها الاسلام من خصال الجاهلية تسميتهم اتباع الاسلام شركا قال تعالى (ماكان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة . ثم يقول للناس كونوا عبادا لى من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون

ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا أيأمركم بالكفر بعد اذ أنتم مسلمون) أخرج ابن اسحق بسنده حين اجتمعت الاحبار من اليهود والنصارى من أهل نجران عند رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ودعاهم الى الاسلام قالوا أتريد يا محمد أن نعبدك كما تعبد النصارى عيسى ابن مريم. فقال رجل من أهل نجران نصرانى يقال له الرئيس او ذاك تريد منا يا محمد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذ الله أن نعبد غير الله أو نأمر بعبادة غيره ما بذلك بعثنى ولا بذلك أمرنى فانزل الله تعالى الآية انتهى *

وأظن ان النبهانى لا يفرق بين البدعة والسنة ولا ما يطلق عليه كل واحدة منهما بل لا يعرف الايمان من ضده ولذلك سمى ابن تيمية مبتدعا وسمى نفسه واضرابه مؤمنا ومن أهل السنة وقل له منشداً *

نزلوا بمكة فى قبائل هاشم ... ونزلت بالبيداء أبعد منزل

﴿ وقل له ﴾

أيها المدعي لسلمى انتسابا ... لست منها ولا قلامة ظفر

ولا بد من الكلام على البدعة حتى يعلم بعد معرفتها من المبتدع الذى أطلقه على شيخ الاسلام

﴿ كلام مفيد فى تعريف البدعة ﴾

﴿ اعلم ﴾ ان البدعة لغة المحدثة مطلقاً واصطلاحاً اذا قوبلت بالسنة يراد بها المحدثة فى الدين . اما بزيادة او نقصان وهى السيئة التى ليس لها أصل ظاهر من الكتاب والسنة او سند صحيح استنبطه علماء الامة . فاما ما كانت حسنة ناشئة عن هذه الاصول فهى قد تكون مباحة كالمواظبة على اكل لب الحنطة مثلا . وقد تكون مستحبة كبناء المنارة وتصنيف الكتب وقد تكون واجبة كنظم الدلائل لرد كيد الملاحدة وشبه الفرق الضالة وقد وقع من ذلك عن الصحابة شئ كثير كما وقع لابى بكر وعمر ولزيد بن ثابت فى جمع القرآن فان عمر أشار به على أبى بكر خوفا من اندراس القرآن بموت الصحابة رضوان الله عليهم لما كثر فيهم القتل يوم اليمامة وغيره فتوقف أبو بكر لكونه صورة بدعة . ثم شرح الله صدره لفعله لانه ظهر له أن يرجع الى الدين وانه غير خارج عنه ولما دعا زيد بن ثابت وأمره بالجمع قال له كيف تفعل شيأ لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال والله انه حق وكما وقع لعمر في جمع الناس لصلاة التراويح فى المسجد

مع تركه صلى الله عليه وسلم لذلك بعد ان كان فعله ليالى . وقال نعمت البدعة هى لانها وان سماها بدعة باعتبار معناها اللغوى فليس فيها رد لما مضى وزيادة في الدين بل هى من الدين لانه صلى الله عليه وسلم علل الترك بخشية الافتراض وقد زال بوفاته صلى الله عليه وسلم ومنشأ الذم ما قاد الى شئ من مخالفة السنة ودعا الى الضلالة *

ثم قال الفاضل السويدى والقول الفصل الموضح لما تقدم هو ان البدعة لها معنيان (أحدهما) لغوي وهو المحدث مطلقا سواء من العادات أو العبادات (وثانيهما) شرعي وهو الزيادة فى الدين أو النقصان منه من غير اذن من الشارع لا قولا ولا فعلا ولا صريحا ولا اشارة فالبدعة التى هي ضلالة كما فى الحديث هى بحسب معناها الشرعى فيقتصر بها على غير العادات من العبادات التى هي لاصول الشريعة من الكتاب والسنة والاذن من الشارع مخالفات . فالمنارة عون لاعلام وقت الصلاة . وتصنيف الكتب عون للتعليم . ونظم الدلائل لرد الشبه ذب عن الدين فكل ذلك مأذون فيه لان البدعة الحسنة مالم يحتج اليه الاوائل واحتاج اليه الاواخر وعند الاستقراء لاتوجد هذه البدعة فى العبادات البدنية المحضة كالصوم والصلاة والذكر والقراءة بل لاتكون البدعة فيها الا سيئة *

قال صاحب مجالس الابرار ماملخصه لان عدم وقوع الفعل فى الصدر الاول امالعدم الحاجة اليها أو لوجود مانع أو لعدم تنبه أو لتكاسل أو لكراهة أو لعدم مشروعية والاولان منتفيان في العبادات البدنية المحضة لان الحاجة فى التقرب الى الله تعالى لاتنقطع وبعد ظهور الاسلام لم يكن منها مانع ولا يظن بالنبى صلى الله عليه وسلم عدم التنبه أو التكاسل فذاك اسوء الظن المؤدى الى الكفر . فلم يبق الا كونها سيئة غير مشروعة *

وكذلك يقال لكل من أتى فى العبادات البدنية المحضة بصفة لم تكن فى زمن الصحابة اذ لو كان وصف العبادة فى الفعل المبتدع يقتضي كونه بدعة حسنة لما وجد في العبادات ماهو بدعة مكروهة . ولما جعل الفقهاء مثل صلاة الرغائب والجماعة فيها ومثل أنواع النغمات الواقعة فى الخطب وفى الاذان وقراءة القرآن فى الركوع مثلا والجهر بالذكر امام الجنازة من البدع المنكرة فمن قال بحسنها قيل له ماثبت حسنه بالادلة الشرعية فهو اما غير بدعة فيبقى عموم العام في حديث كل بدعة ضلالة . وحديث كل عمل ليس عليه أمرنا فهو رد على حاله . او يكون مخصوصا

من هذا العام . والعام المخصوص دليل فيما عدا ما خص منه فمن ادعى الخصوص فيما أحدث أيضا احتاج الى دليل يصلح للتخصيص من كتاب أو سنة أو اجماع مختص باهل الاجتهاد ولا نظر للعوام ولعادة اكثر البلاد فيه . فمن أحدث شيأ يتقرب به الى الله تعالى من قول أو فعل فقد شرع من الدين مالم يأذن به الله *

﴿ فعلم ﴾ ان كل بدعة في العبادات البدنية المحضه لاتكون الا سيئة (والحاصل) كل ما أحدث ينظر في سببه فان كان لداعي الحاجة بعد ان لم يكن كنظم الدلائل لرد الشبه التي لم تكن فى عصر الصحابة أو كان وقد ترك لعارض زال بموت النبي صلى الله عليه وسلم كجمع القرآن فان المانع منه كون الوحي لايزال ينزل فيغير الله مايشاء وقد زال كان حسنا والا فاحداثه بصرف العبادات البدنية القولية والفعلية تغيير لدين الله تعالى مثلا الاذان فى الجمعة سنة وقبل صلاة العيد بدعة ومع ذلك فانه يدخل في عموم قوله تعالى واذكروا الله ذكرا كثيرا وقوله تعالى ومن أحسن قولا ممن دعى الي الله فيقول القائل هذا زيادة عمل صالح لايضر لانه يقال له هكذا تتغير شرائع الرسل فان الزيادة لو جازت لجاز ان يصلى الفجر أربعا والظهر ستا . ويقال هذا عمل صالح زيادته لا تضر *

لكن أهل السنة يتبعون النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه فى الفعل والترك فان الله تعالى قد بين لنا الشرائع وأتم لنا الدين . فهذا هو من غير زيادة أو نقص فالزيادة عليه كالنقصان فنعبده بما شرع . ولا نعبده بالبدع . فعقولنا عن مثل ذلك قاصرة وآراؤنا اذا كاسدة خاسرة . والعقول لا تهتدى الى الاسرار الالهية . فيما شرعه من الاحكام الدينية . أوماترى كيف نوديت الى الصلاة دائما . ونهيت عنها فى الاوقات الخمسة . وذلك ينتهى الى قدر ثلث النهار فينبغى لك ان تكون حريصا على التفتيش عن أحوال الصحابة وأعمالهم فهم السواد الاعظم . ومنهم يعرف الحسن من القبيح والمرجوح من الرجيح . واذا وقع أمر ينظر فيه الى قواعد المجتهدين الذين هم السلف لمن خلف . فان وافق أصولهم قبله المتبع بقلبه . والا فلينبذه وراء ظهره وليتبصر فى جلية أمره . ولا تغرنك عوائد الناس فانها السموم القاتلة والداء العضال . وعين المشاقة المؤدية الى الضلال . وقد كان هشام بن عروة يقول لا تسألوا الناس اليوم عما أحدثوه فانهم قد أعدوا له جوابا . لكن سلوهم عن السنة فانهم لا يعرفونها واخرج

أبو داود عن حذيفة رضى الله عنه . قال كل عبادة لم تفعلها الصحابة فلا تفعلوها . واخرج البيهقي ان ابن عباس قال أبغض الامور الى الله تعالى البدع *

﴿ فمن البدع السيئة ﴾ وهي ما خالفت شيأ من ذلك صريحا أوالتزاما وقد ينتهى الى مايوجب التحريم تارة والكراهة أخرى . والى مايظن انه طاعة وقربة (فمن الاول) الانتماء الى جماعة يزعمون التصوف ويخالفون ما كان عليه مشائخ الطريق من الزهد والورع وسائر الكمالات المشهورة عنهم بل كثير من أولئك اباحية لا يحرمون حراما لتلبيس الشيطان عليهم أحوالهم القبيحه الشنيعة . فهم باسم الفسق أو الكفر أحق منهم باسم التصوف أو الفقر (ومنه) ماعمت به البلوى من تزيين الشيطان للعامة تخليق حائط أو عمود أو تعظيم نحو عين أو حجر أوشجرة لرجاء شفاء . أو قضاء حاجة . وقبائحهم في هذا ظاهرة غنية عن الايضاح والبيان . وقد صح ان الصحابة رضي الله تعالى عنهم مروا بشجرة سدر قبل حنين كان المشركون يعظمونها وينوطون بها أسلحتهم أى يعلقونها بها . فقالوا يارسول الله اجعل لنا ذوات أنواط كمالهم ذات أنواط فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله أكبر هذا كما قال قوم موسى لموسى اجعل لنا الها كمالهم آلهة . قال انكم قوم تجهلون لتركبن سنن من كان قبلكم . (ومن الثانى) ومنشاه ان الشارع يخص عبادة بزمن أو مكان أو شخص أو حال فيعممونها جهلا وظنا انها طاعة مطلقا نحو صوم يوم الشك أو التشريق والوصال . ومنه التعريف بغير عرفة . (ومنه) صلاة ليلة الرغائب أول جمعة فى رجب وليلة النصف من شعبان فهما بدعتان مذمومتان *

﴿ قال السويدى ﴾ ومن أعظم البدع الغلو في تعظيم القبور فلقد اتخذوها فى هذا الزمان معابد يعتقدون ان الصلاة عندها أفضل من الصلاة فى جميع بيوت الله وهم وان لم يصرحوا ولكن طبعت قلوبهم على ذلك فتراهم يقصدونها من الاماكن البعيدة وربما ان تكون بحذائهم مساجد مهجورة فيعطلونها . واذا لحقوا على الصلاة فيها ولو في أوقات الكراهة كانت أفضل عندهم من الصلاة فى الاوقات الفضيلة فى المساجد وتلك المساجد التى بحذاء القبور ليست مقصودة لكونها بيوتا لله بل لكونها حضرات لمن انتسبت اليه من أهل تلك القبور . يدلك على ذلك كله انهم لا يسمونها الا حضرات . فاذا قلت لاحدهم أين صليت قال لك صليت فى حضرة الشيخ فلان . وليس مقصودهم به الا التقرب به وبحضرته وكلما أكثر الرجل الترداد

الى القبور ولو كانت مشتملة على أنواع المنكرات من ستور الحرير والديباج والترصيع بالفضة والعقيان فضلا عن غيرها كان مشهورا بين الناس بالديانات . مغفور الزلات . مقربا عند أصحاب تلك الحضرات . ولقد امتلأت قلوب العوام من رجائهم ومخافتهم . فتراهم اذا عضلت عليهم الامور أوصى بعضهم بعضا بقصد أصحاب القبور — وكذلك اذا وقع على أحد يمين بالله حلف به من غير أدنى وجل أو حذر . واذا قيل له احلف بفلان عند قبره خصوصا اذا أمره بالغسل لهذا اليمين ليكون ذلك من أقوى العبادات . خاف خوفا يظهر على جميع جوارحه . فلو سلمنا انه أدخل الى قبره ارتعدت فرائصه وانحلت قواه . وربما ان أحدهم لكثرة أوهامه وشدة خوفه تبطل حواسه فيزدادون كفرا . وتضحك عليهم الشياطين جهراً وترى كثيرا منهم يعلقون مرضاهم عليهم فيأخذون المريض وهو في غاية شدته فيدخلونه على قبره والسعيد عندهم من يدخلونه داخل شباكه ويتعلق بستر قبره . والرذية العظمى انهم في حالتي السراء والضراء يتلاعب ابليس بهم . فان مات مريضهم قالوا ما قبلنا الشيخ فلان يعنون به صاحب القبر . وان صادف القدر فهو في سيما اذا وافق مطلوبهم ذلك الوقت فرحوا بما عندهم من الكفر فارسلوا القرابين ومعها شموع العسل موقدة من بيوتهم . اظهار القدرة صاحب القبر وتنبيها على فضيلته . وكثيرا ما ينشرون الرايات له على طريقة أهل الجهل من الاعراب من ان يفعل شيأ عظيما نشرت له راية بيضاء . وقد رأت من لم يفعل ذلك ولكنه ينصب راية بيضاء على سطح داره ثلاثة أيام يصيح كل يوم وقت المغرب باعلى صوته الراية البيضاء المبنية لفلان بيض الله وجهه (قال وبالجملة) فأكثر البدع الخبيثة نشأت من هنالك حتى انى رأيت بدمشق الشام أناسا ينذرون للشيخ عبدالقادر الجيلي قنديلا يعلقونه في رؤس المنابر ويستقبلون به جهة بغداد ويبقى موقدا الى الصباح وهم يعتقدون ان ذلك من أتم القربات اليه كانهم يقولون بلسان حالهم أينما توقدوا فثم عبد القادر *

فيالله العجب ما هذه الخرافات . وأين دين الله الذى قدمات . بال الشيطان في عقولهم وأضلهم عن سبيلهم . ولا ترى أحدا ينهى وينكر عن امثال ذلك . وأعظم مما هنالك (ومن أقبح المنكرات) ما يستعملها جميع الناس عند وضع الاناث ولا سيما في شدة الطلق فانهن يستغثن بعلى بن أبى طالب . وكلما اشتد الطلق صاحت النساء باعلى أصواتهن داعيات ومستغيثات به

ليفرج عنهن ما قد كربهن . ومن يسمعهن يتيقن اشراكهن . وقلما تسلم امرأةمنهن . في هذا الحال العظيم . والخطب الجسيم . وكثير منهن يزعمن انه الموكل بالارحام . والموكل اليه في هذه الاحوال العظام *

﴿ ومن البدع المنكرة ﴾ ان كثيرا من أهل الهند وأهل الاماكن القاصية يرسلون الهدايا العظيمة . والاموال الكثيرة اما لاجراء القنوات لاجل المجاورين عند قبورهم فانهم عندهم أفضل خلق الله . ومن جاور عندهم فكانما ابتاع منهم قطعة من الجنان . واما لعمل قبابهم بصفائح الذهب العقيان . وبعضهم يرسل هدايا عظيمة ليرسل له السدنة اعلاما ينشرونها على فلكهم اذا وقعوا في شدتهم فيكون اسمه المكتوب في تلك الاعلام المرسلة اليهم كشافا لكربتهم نفاعا لهم بانجاح بغيتهم . قال وأكثر نساء بغداد اذا قمن صحيحات من وضعهن يخبزن خبزا تسمينه عباس المستعجل يزعمن ان العباس بن علي ابن أبي طالب هو المتكفل بهذه الامور العظام *

﴿ ومن ذلك عند الناس شئ كثير ﴾ من أحجار وآبار . وصخور وأشجار . يزعمون منها شفاء الامراض وقضاء الحاجات . وتفريج الكربات . ولو بسطت الكلام في ذلك مما يستعمله الرجال والنساء . أو يختص بالنساء . من أشياء يعلقنها عليهن . ويبين خواصها وتأثيراتها في أزواجهن ويسمينها باسماء لو رجعت الجاهلية الاولى لعجزت عن أقل القليل من هذه الجهالات وسوء الاعتقادات لاحتمل مجلدات . والويل كل الويل لمن أنكر ذلك . أو تكلم بادنى شئ ينجي من تلكم المهالك *

﴿ ومن أسخف البدع ﴾ انك تسمع وقت خسوف القمر من الضرب بالطسوس والنحاس شيأ عظيما . ولا تكاد تسمع برجل دخل بيتا من بيوت الله للصلاة فيه أو صلى في بيته أو استغفر أو تاب أو تصدق . فبالله نستعين على زمان أميتت فيه السنن واستأنس بالبدع . اللهم واذا أردت بقوم فتنة فاقبضنا اليك غير مفتونين أمين *

﴿ ومن البدع المنكرة ﴾ ما يستعمله المتصوفة من اذكار اشتملت على الدفوف والطبلات والغناء وأنواع الرقص . ويسمونه حالا . وتراهم يعملون ذلك ومغنيهم ينشدهم من الشعر المشتمل على مالا يرضي الله تعالى ويحضره الفسقة والمرد والنساء فيحصل من ذلك ماتظهر به

شعائر الفسق والعصيان . وتري الشيخ لو حصلت له مواجهة الظامة وظفر بدراهمهم لعدها من أطيب المكاسب . وأقرب المراتب لا كثر الله من أمثالهم وأعظم الناس بلاء في هذا العصر على الدين والدولة . مبتدعة الرفاعية . فلا تجد بدعة الا ومنهم مصدرها وعنهم موردها ومأخذها . فذكرهم عبارة عن رقص وغناء والتجاء الى غير الله وعبادة مشائخهم . واعمالهم عبارة عن مسك الحيات والعقارب ونحو ذلك قال ابن خلدون في كتابه العبر قد كثر الزغل في أصحاب الشيخ أحمد وتجددت لهم أحوال شيطانية منذ أخذ التتار العراق من دخول النيران وركوب السباع واللعب بالحيات وهذا لا يعرفه الشيخ ولا صلحاء أصحابه فنعوذ بالله من الشيطان الرجيم انتهى *

(وشيخ الاسلام) ابن تيمية قد أطنب في بيان ضلالاتهم وجهالاتهم وحيلهم وما يخدعون به الجهال وغير ذلك من أفعالهم واعمالهم ولهم معه حوادث ومجالس فمن أراد الوقوف على ذلك فعليه بمراجعة كتابه الذى الفه في بيان أحوالهم وسماه كشف حال المشائخ الاحمديه وبيان أحوالهم الشيطانية . ولولا طول الكلام لاتحفنا القراء بذكر شئ منه *

(والحاصل) انه لو أراد الانسان ان يفصل منكرات القبور وتكيات الصوفية ومنكرات الحيطان والآبار والصخور والاحجار والتماثيل وكذا منكرات المساجد والحمامات والطرقات والاسواق والبوادى والامصار فضلا عن الدخول في منكرات المجالس والملابس والبيع والشراء وما ابتدعوه فيها وجعلوه كالسنة المأمور بها لضاق عنه نطاق التحرير وعجز عن ضبطه من تصدى للتسطير . وعسى الله سبحانه وتعالى ان يرسل في هذه الامة من يجدد لها أمر الدين . ويتبع سبيل المؤمنين *

﴿ والمقصود ﴾ ان النبهاني لم يعرف معنى البدعة ولا محل اطلاقها فلذلك جعل شيخ الاسلام مبتدعا وجعل نفسه متبعا مع قوله بوحدة الوجود ونداء غير الله في الحاجات والضرورات وصرف عمره باحكام العدلية وقوانينها واعتقاده بالوهية النبي صلى الله عليه وسلم الى غير ذلك من الامور التى لو اعتقد أحد أمراً واحداً منها كفى في اخراجه عن الدين المبين وزيغه عن اتباع غير سبيل المؤمنين . وما أحقه بقول القائل من الاكابر والاماثل *

﴿ مساو لو قسمن على الغوانى * لما أمهرن الا بالطلاق ﴾

وأما شيخ الاسلام وعلم الاعلام فقيامه بنصرة الدين أمر معلوم . وجهاده فى الله حق الجهاد لاينكره ذوو الفهوم . وقول النبهانى هذا كما حكي الله عن اخوانه الجاهليين في شرح المسائل من خصالهم الايمان بالجبت والطاغوت وتفضيل المشركين على المسلمين . قال تعالى ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا أهؤلاء أهدي من الذين آمنوا سبيلا *

قالوا نزلت هذه الآية فى حي بن أخطب . وكعب بن الاشرف فى جمع من يهود وذلك انهم خرجوا الى مكة بعد وقعة احد ليحالفوا قريشا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وينقضوا العهد الذى بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل كعب على أبي سفيان فاحسن مثواه ونزلت اليهود في دور قريش . فقال أهل مكة انكم أهل كتاب ومحمد صلى الله عليه وسلم صاحب كتاب فلا يؤمن هذا ان يكون مكرا منكم فان أردت ان نخرج معك فاسجد لهذين الصنمين وآمن بهما ففعل . ثم قال كعب يا أهل مكة ليجيء منكم ثلاثون ومنا ثلاثون فنلزق ا كبادنا بالكعبة فنعاهدرب البيت لنجهدن على قتال محمد ففعلوا ذلك فلما فرغوا قال أبو سفيان لكعب انك امرؤ تقرأ الكتاب وتعلم ونحن أميون لانعلم فأينا أهدى طريقا وأقرب الى الحق نحن أم محمد قال كعب اعرضوا على دينكم . فقال أبو سفيان نحن ننحر للحجر الكوماء ونسقيهم اللبن ونقرى الضيف ونفك العانى ونصل الرحم ونعمر بيت ربنا ونطوف به ونحن أهل الحرم . ومحمد فارق دين آبائه وقطع الرحم ودين القديم . ودين محمد الحديث . فقال كعب أنتم والله أهدى سبيلا مما عليه محمد فانزل الله فى ذلك الآية . والجبت فى الاصل اسم صنم فاستعمل في كل معبود غير الله والطاغوت يطلق على كل باطل من معبود او غيره ومعني الايمان بهما اما التصديق بانهما آلهة واشرا كهما بالعبادة مع الله تعالى واما طاعتهما وموافقتهما على ماهما عليه من الباطل وأما القدر المشترك بين المعنيين كالتعظيم مثلا . والمتبادر المعني الاول أي انهم يصدقون بالوهية هذين الباطلين ويشركونهما في العبادة مع الاله الحق ويسجدون لهما اه

﴿ قل النبهانى ﴾ فقد ثبت وتحقق وظهر ظهور الشمس فى رابعة النهار ان علماء المذاهب الاربعة قد اتفقوا على رد بدعة ابن تيمية . ومنهم من طعن بصحة نقله كما طعن بكمال عقله فضلا عن شدة تشنيعهم عليه فى خطئه الفاحش فى تلك المسائل التي شذ بها فى الدين وخالف بها اجماع

المسلمين . ولا سيما فيما يتعلق بسيد المرسلين *

﴿ الجواب عنه ﴾ انه قد ثبت وتحقق لدى كل منصف ان علماء المذاهب الاربعة أثنوا عليه واعترفوا بفضله والفوا في مناقبه كتبا مفصلة . ومن شذ منهم وطعن عليه القم الحجر ورد عليه كلامه وان اعتراضه كان لجهل أو غرض أو تعصب أو نحو ذلك . وتبين ان ابن تيمية لم يبتدع شيئا في الدين . وما اختار شيئا الا وأقام عليه الدلائل الصحيحة والبراهين . ومن طعن بصحة نقله فهو عدو له مبين . ولم يسلم أحد من لسان الخلق حتى رب العالمين وسيد الاولين والآخرين وغزارة علمه من سعة عقله . وكمال فضله . وما ذهب اليه من المسائل هو الحق الحقيق بالقبول وحديث الاجماع على خلافها كذب عند علماء المنقول والمعقول *

﴿ قال الحافظ ﴾ الذهبي مارأيت اشد استحضارا للمتون وعزوها منه . وكانت السنة بين عينيه وعلى طرف لسانه بعبارة رشيقة وعين مفتوحة . وقال حافظ الاسلام الحبر النبيل استاذ أئمة الجرح والتعديل شيخ المحدثين جمال الدين ابو الحجاج يوسف بن الزكي عبد الرحمن المزى الشافعي فى ابن تيمية مارأيت مثله ولا رأى هو مثل نفسه وما رأيت احدا أعلم بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ولا اتبع لهما منه وناهيك بهذا الكلام من الحافظين العدلين المستوعبين ابي الحجاج المزى وأبي عبد الله الذهبي (وقال الشيخ) لامام بقية المجتهدين تقى الدين بن دقيق العيد الشافعى لما اجتمع به وسمع كلامه كنت أظن ان الله تعالى مابقى يخلق مثلك (وقال أيضا) رأيت رجلا العلوم كلها بين عينيه يأخذ منها ما يريد ويدع ما يريد (وقال الحافظ) عماد الدين بن كثير الشافعى . وبالجملة كان رحمه الله تعالى من كبار العلماء وممن يخطئ ويصيب ولكن خطؤه بالنسبة الى صوابه كنقطة فى بحر لجى . وخطؤه أيضا مغفور له لما صح فى صحيح البخارى اذا اجتهد الحاكم فاصاب فله اجران . واذا اجتهد فاخطأ فله أجر *

﴿ قال السيد صفى الدين ﴾ الحنفي فى ترجمة ابن تيمية قد نص على انه بلغ رتبة الاجتهاد جمع من العلماء (منهم) الامام أبو عبد الله الذهبي والحافظ بن حجر والحافظ السيوطى فى طبقات الحفاظ (ولم يتفرد) بمسألة منكرة تعظ وان كان قد خالف الائمة الاربعة فى مسائل فقد وافق فيها بعض الصحابة او التابعين الخ انتهى *

﴿ وسنفرد له ﴾ ان شاء الله فصلا مفصلا في ذكر مناقبه . (وبهذا أيضا) تبين الحاد النبهاني

وزوره وكذبه واتباعه لهواه . وقد جادل بغير علم - وذلك كما كان عليه أهل الجاهلية (وفى شرح المسائل) الجدال بغير علم كما ترى كثيرا من أهل الجهل يجادلون أهل العلم عند نهيهم عما ألفوه من البدع والضلالات وهى خصلة جاهلية نهانا الله تعالى عن التخلق بها . قال تعالى يا أهل الكتاب لم تحاجون فى ابراهيم وما أنزلت التوراة والانجيل الا من بعده أفلا تعقلون . ها أنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم والله يعلم وأنتم لاتعلمون *

أخرج ابن اسحاق وابن جرير عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما . قال اجتمعت نصارى نجران واحبار يهود عند رسوله صلى الله عليه وسلم فتنازعو عنده . لت الاحبار ما كان ابراهيم الا يهوديا . وقالت النصارى ما كان ابراهيم الا نصرانيا فانزل الله تعالى فيهم هذه الآية المنادية على جهلهم وغباوتهم انتهى . فوازن بين النبهاني وبين اخوانه تجد الفريقين كما قال القائل

﴿ رضيعى لبان ثدى أم تقاسما * باسحم داج عوض لاتتفرق ﴾

﴿ وأما قوله ﴾ ولا سيما فيما يتعلق بسيد المرسلين الخ فانه يدل على ان ابن تيمية مخل بحقوق النبي صلى الله عليه وسلم وبه صرح مرارا حيث قال ان ابن تيمية حيث لم يجوز الاستغاثة بالنبي صلى الله عليه وسلم ولا دعاءه ولا الالتجاء اليه ولا شد الرحل الى زيارة قبره فاعلم ان حب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وتعظيمه باتباع شريعته وامتثال أوامره واجتناب نواهيه وحبه وتعظيمه بما ذكره الخصم هو من قبيل تعظيم النصارى لعيسى وغلوهم فى الانبياء والرسل عليهم السلام . قال تعالى يا أهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته القاها الى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيرا لكم انما الله اله واحد سبحانه ان يكون له ولد والغلو فى المخلوق هو أعظم أسباب عبادة الاصنام والصالحين كما كان في قوم نوح من عبادة نسر وسواع ويغوث ويعوق ونحوهم وكما كان من عبادة النصارى للمسيح عليه السلام وهذا هو القول على الله بغير الحق والمقصود ان مراعاة حقوق النبي صلى الله عليه وسلم انما تكون بالمحافظة على شريعته لا بما يقول النبهانى الغبي . ومن المعلوم ما كان عليه ابن تيمية من اتباع السنن والمحافظة على الشريعة الغراء ومزيد الادب مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حتي انه عقد فصلا فى كتابه الصارم المسلول لبذل الاموال وسفك الدماء فى تعزير رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوقيره .

وفصلا آخر فى فرض الله علينا تعزيره وتوقيره . وفصلا آخر في ان قيام المدحة والتعظيم والثناء عليه صلى الله عليه وسلم قيام الدين كله وفصلا آخر فى ان شاتم الرسول صلى الله عليه وسلم يتعين قتله . وفصلا آخر فى ان الله تعالى أوجب لنبيه صلى الله عليه وسلم حقوقا زائدة على القلب واللسان والجوارح وان سبه سب لجميع المسلمين . وطعن فى دينهم . وفصلا آخر في ان التعظيم والمحبة للرسول صلى الله عليه وسلم لازم للايمان . وفصلا آخر فى بيان حكم الطعن فى نسبه أو خلقه أو خلقه أو أمانته أو وفائه أو صدقه * وذكر فصولا أخرى مهمة كلها تدل على ماانطوى عليه من مزيد حبه وأدبه لرسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انه قال نقلا عن القاضي عياض جميع من سب النبي صلى الله عليه وسلم اوعابه أو الحق به نقصا في نفسه أو نسبه أو دينه أو خصلة من خصاله أو عرض به شبهة بشيء على طريق السب له والازراء عليه أو البغض منه والعيب له فهو ساب له . والحكم فيه حكم الساب يقتل ولا تستثن فصلا من فصول هذا الباب عن هذا المقصد ولا تمترفيه تصريحا كان أو تلويحا — وكذلك من لعنه أو تمنى مضرة له أو دعا عليه أو نسب اليه مالا يليق بمنصبه على طريق الذم أو عيبه فى جهة الغريزة بسخف من الكلام وهجر ومنكر من القول وزورا وغيره بشيء مما يجري من البلاء والمحنة عليه أو غمصه ببعض العوارض البشرية الجائزة والمعهود لديه . قال وهذا كله اجماع من العلماء وأئمة الفتوى من لدن أصحابه وهلم جرا . وقال ابن القاسم عن مالك من سب النبي صلى الله عليه وسلم قتل ولم يستتب قال ابن القاسم أو شتمه أو عابه أو تنقصه فانه يقتل كالزنديق وقد فرض الله توقيره . وكذلك قال مالك فى رواية المدنيين عنه من سب رسول الله صلى الله عليه وسلم أو شتمه أو عابه أو تنقصه قتل مسلما كان أو كافرا ولا يستتاب . وروى ابن وهب . عن . مالك من قال ان رداء النبي صلى الله عليه وسلم وسخ وأراد به عيبه قتل وروى بعض المالكية اجماع العلماء على من دعا على نبي من الانبياء بالويل أو بشيء من المكروه انه يقتل بلا استتابة * وذكر القاضي عياض أجوبة جماعة من فقهاء المالكية المشاهير بالقتل بلا استتابة فى قضايا متعددة أفتى فى كل قضية بعضهم وفصلها انتهى ماقصدنا نقله من كتاب الصارم المسلول . وهو كتاب جليل يدل دلالة صريحة على ما كان عليه مؤلفه من المحبة بلا اتباع وبه يسقط كل ماهذى به النبهانى من الباطل والزور *

﴿ قال النبهاني ﴾ ويقوي عدم اعتبار نقل ابن تيمية في بعض ماينقله ماقاله في حقه الحافظ العراقي الكبير . وها أنا أنقله تتميما للفائدة وتقوية للحجة وان لم يكن مما نحن فيه . فأقول قد اطلعت على جزء لطيف تأليف الحافظ العراقي شيخ الحافظ ابن حجر والامام العيني تكلم فيه أكل الدجاج والحبوب والتوسعة على العيال يوم عاشوراء رد به على الامام ابن تيمية في منعه ذلك * ثم أنه أورد الرسالة بتمامها *

﴿ جوابه ﴾ ان ماذكرناه سابقا بل ويأتي أيضاً من ثناء أهل العلم وأكابر المحدثين وعدهم له من أكابر الحفاظ يستوجب سقوط ما ذكره النبهاني من عدم اعتبار نقله وهو الثقة الصدوق شهد له بذلك أحباؤه وخصومه ولم يخالف في ذلك أحد حتى ان علماء الحديث قالوا كل حديث لا يعرفه ابن تيمية فهو ليس بحديث فانظر الى هذه المنزلة العظيمة والدرجة العليا من الصدق وما نقله عن العراقي ان صح نقله فهو دليل على جهله وعدم معرفته باحكام الدين فان تخصيص يوم عاشوراء بشئ من الامور الدينية والدنيوية مما لا أصل له كما هو عليه أئمة المذاهب وفقهاؤها . والاحاديث التي أوردها منها ماهو موضوع . ومنها مالا يدل على الغرض المقصود وتفصيل الكلام فيها يخرجنا عن موضوع الكتاب *

ولقد تكثر النبهاني من ذكر خصوم الشيخ والطاعنين فيه مع ان الاعتماد على الكثرة والسواد الاعظم والاحتجاج على بطلان الشئ بقلة أهله من الجهل بمكان قال تعالى وان تطع اكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله ان يتبعون الا الظن وانهم الا يخرصون ان ربك هو أعلم من يضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين . فالكثرة على خلاف الحق . لا تستوجب العدول عن أتباعه لمن كان له بصيرة وقلب . فالحق أحق بالاتباع وان قل أنصاره كما قال تعالى قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه وان كثيرا من الخلطاء ليبغي بعضهم على بعض الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ماهم . فأخبر الله عن أهل الحق انهم قليلون غير ان القلة لا تضرهم فان من له بصيرة نظر الى الدليل وأخذ بما اقتضاه البرهان وان قل العارفون به والمنقادون له . ومن أخذ بما عليه الاكثر وما ألفته العامة من غير نظر الى دليل فهو مخطئ سالك غير سواء السبيل وهو حسبنا ونعم الوكيل *

﴿ قال النبهاني ﴾ الكلام على بعض كتب ابن تيمية وتفليس ابليس لابن الجوزى *

﴿ قال فمن كتب ابن تيميه الجواب الصحيح . في الرد على من بدل دين المسيح ﴾ وهو أربعة مجلدات متوسطة وهو فى غاية النفاسة لو خلا من التعرض لبدعه التى انفرد بها وشذ عن المسلمين من منعه الاستغاثة به صلى الله عليه وسلم كسائر الانبياء والصالحين وكتعرضه لاكابر أولياء الله بالتكفير والتشنيع فضلا عن التبديع كسيدي محيي الدين ابن العربى وسيدي عمر ابن الفارض وغيرهما ممن ذكر بعضهم فى كتابه الفرقان . وشنع عليهم وكفرهم وجعلهم أولياء الشيطان وهذا دأبه عفا الله عنه في كتبه ولذلك قلل الله النفع بها كما جرت عادته تعالى فيمن يتعرض لاوليائه بالسوء اذ قد ورد في الحديث القدسى من آذى لي وليا فقد أذنته بالحرب وأي أذية اعظم من تكفيرهم واخراجهم من دائرة الاسلام بالكلية *

﴿ اقول جوابه ﴾ ان كتب شيخ الاسلام جميعها من الكتب التى انعم الله تعالى بها على الامة وهى على اختلاف انواعها وفنونها ليس لها نظير في بابها . وقد ذكرها الحافظ ابن القيم فى الكافية الشافية وحث على مطالعتها فقال *

فاقرأ تصانيف الامام حقيقة ... شيخ الوجود العالم الربانى
اعنى ابا العباس احمد ذاك الـ ... بحر المحيط بسائر الخلجان
واقرأ كتاب العقل والنقل الذي ... مافى الوجود له نظير ثان
وكذاك منهاج له فى رده ... قول الروافض شيعة الشيطان
وكذاك أهل الاعتزال فانه ... أرداهم فى حفرة الجبان
وكذلك التأسيس أصبح نقضه ... أعجوبة للعالم الرباني
وكذاك أجوبة له مصرية ... في ست أسفار كتبن سمان
وكذا جواب للنصارى فيه ما ... يشفى الصدور وانه سفران
وكذاك شرح عقيدة للاصبها ... نى شارح المحصول شرح بيان
فيها النبوات التى اثباتها ... فى غاية التقرير والتبيان
والله مالاولى الكلام نظيره ... أبداً وكتبهم بكل مكان
وكذا حدوث العالم العلوي والـ ... سفلى فيه فى أتم بيان
وكذا قواعد الاستقامة انها ... سفران فيما بيننا ضخمان

وقرأت أكثرها عليه فزادني والله في علم وفى ايمان
هـذا ولو حدثت نفسي انه قبلي يموت لكان غير الشان
وكذاك توحيد الفلاسفة الالى توحيدهم هو غاية الكفران
سفر لطيف فيه نقض أصولهم بحقيقة المعقول والبرهان
وكذاك تسعينية فيها له رد على من قال بالنفساني
تسعون وجهاً بينت بطلانه اعني كلام النفس ذا الوحدان
وكذا قواعدها الكبار فانها اوفى من المائتين في الحسبان
لم يتسع نظمى لها فأسوقها فأشرت بعض اشارة لبيان
وكذا رسائله الى البلدان والا أطراف والاصحاب والاخوان
هى في الورى مبثوثة معلومة تبتاع بالغالى من الاثمان
وكذا فتاواه فأخبرني الذى أضحى عليها دائم الطوفان
بلغ الذى الفاه منها عدة الا يام من شهر بلا نقصان
سفر يقابل كل يوم والذى قد فاتني منها بلا حسبان
هذا وليس يقصر التفسير عن عشر كبار ليس ذا نقصان
وكذا المفاريد التي في كل مسـ ـئلة فسفر واضح التبيان
ما بين عشر او تزيد بضعفها هى كالنجوم لسالك حيران
وله المقامات الشهيرة في الورى قد قامها لله غير جبان
نصر الاله ودينه وكتابه ورسوله بالسيف والبرهان
أبدى فضائحهم وبين جهلهم وأرى تناقضهم بكل زمان
واصارهم والله تحت نعال أهـ ـل الحق بعد ملابس التيجان
واصارهم تحت الحضيض وطالما كانوا هم الاعلام في البلدان
ومن العجائب أنه بسلاحهم ارداهم تحت الحضيض الداني
كانت نواصينا بايديهم فما منالهم الا أسير عان
فغدت نواصيهم بايدينا فلا يلوننا الا بحبل أمان

وغدت ملوكهم مماليكا لاذ ... صار الرسول بمنه الرحمن
وأتت جنودهم التي صالوا بها ... منقادة لعساكر الايمان
يدري بهذا من له خبر بما ... قد قاله في ربه الفئتان
والفدم يوحشنا وليس هنا كم ... فحضوره ومغيبه سيان

﴿ وقلت في شرح هذه الابيات ﴾ اعلم ان الناظم لم يذكر كتبه مرتبة أعني كتب كل فن على حدة لعدم مساعدة النظم على ذلك ونحن نشرحها حسبما ذكرها فنقول ﴿ قوله ﴾ واقرأ كتاب العقل والنقل الخ * هذا كتاب الفه في بيان ان الشريعة كافية بنصوصها ولا حاجة بها الى ما أحدث من القواعد الكلامية المأخوذة من الحكمة اليونانية وان الدليل النقلي يفيد اليقين وهذا الكتاب متداول بين الايدي ونسخه كثيرة في الهند وبلاد العرب والفرس وتوجد منه نسخة كاملة لا نقص فيها في خزانة كتب راغب باشا في دار السلطنة المحروسه *

﴿ قوله ﴾ وكذاك منهاج له في رده الخ . هذا الكتاب أيضا من كتب الشيخ المهمة وهو أحسن كتاب الف في الرد على الراوفض مشتمل على فنون كثيرة وعلم غزير نسخه أيضا كثيرة في البلاد وكثير من خزائن الكتب الاسلامية مشتملة عليه *

﴿ قوله ﴾ وكذلك التأسيس أصبح نقضه الخ . اشارة الى كتاب نقض اساس التأسيس وهو في الرد على اساس التأسيس للامام فخر الدين الرازي اشتمل في مسائل مهمة في علم الكلام ونسخته في خزانة كتب الملك العادل في دمشق الشام وهو في ست اسفار على ما نقل لي *

﴿ وقوله ﴾ (وكذاك اجوبة مصرية الخ) هي ايضا فتاوي مشتملة على مسائل مهمة في ست اسفار *

﴿ وقوله ﴾ (وكذا جواب للنصارى الخ) يريد به الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح . ولم يؤلف في الرد على النصارى كتاب مثله كتبت بعض المجلات المصرية ما نصه (الجواب الصحيح والدين الصريح) اذا اطلق الانسان حريته وجرده عن عوامل التقييدات ومحض فطرته وتأمل في جواهر الاديان ومد النظر في مجالي ماحدث به كل نبي عن ربه يرى ان الحقيقة واحدة والامنية لكل متحدة فلباب الشرائع الالهية واحد . ومقصد الشارعين متحد مصداقا لقوله تعالى وما امرنا الا

واحدة كلمح بالبصر وغير ذلك من الآيات الدالة على اتفاقهم في المقصد واتحادهم في الغرض وقد اتفقت كلمتهم على التوحيد والنهي عن التفرق والاختلاف كما قال تعالى شرع لكم من الدين ماوصى به نوحا والذي اوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسي ان أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ولكن أبى الانسان الناقص باصل فطرته القاصر عن فهم حكمة ربه البالغة الا أن يجعل ما هو أصلا في الاتفاق سببا في الافتراق . وما هو أصل السعادة سببا في الشقاء فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين لجمع الكلمة وتوحيد الامة فتغلبت قوة الشر وطبيعة النقص على هذا الخير المحض والكمال المطلق فمزقت هذه الجامعة الانسانية . والوحدة الدينية . فتعددت فيهم المذاهب والنحل والاراء والملل وقامت بينهم حروب الاقلام وتلتها معارك السنان . واشتغل كل فريق بالرد والاعتراض وانتصر لكل جماعات وافراد . وهكذا كثر القيل والقال . والمشاغبة والجدال وذهبت الحقيقة تحت استار المغالبة واحتجبت بحجاب المراء والمخاصمة وما أتى فريق لكشف تلك الشبهات بجلاء بل بعدوا عن الحقيقة بعد الارض من السماء الى ان انبرى في القرون الوسطى لنصرة الحق لذاته شيخ الاسلام وقدوة الانام تقي الدين احمد بن تيمية فكتب كتابه الموسوم بالجواب الصحيح سلك فيه مسلك العدل والانصاف وأظهر الحق وأبطل الباطل وترفع عن المجادلة والمشاغبة * وتنزه عن المشاتمة والمغالبة . فما نحى أحد منحاه . ولا سلك طريقته وهداه * وكان الباعث لتأليف هذا الكتاب الذى أوضح فيه الحقيقة لاولى الالباب . كتابا ورد من مدينة قبرص الفه ولص الراهب أسقف صيدا الانطاكي . جمع فيه جميع الاحتجاجات لدين النصاري التي يحتج بها علماؤهم وفضلاء ملتهم . وكان مافى ذلك الكتاب هو عمدتهم التى يعتمد عليها علماؤهم فى كل زمان ومكان . وهو محصور فى ستة مطالب هى دعائم الديانة المسيحية وأصول مذاهبهم الملية . وقد أجابهم على كل دعوى بما فيه لذوى البصيرة مقنع ثم ذكر مشتملات الكتاب . ثم قال فجاء هذا الامام الجليل واطرح الآراء المذهبية وترك التعصبات الدينية وأظهر الحقيقة في ذاتها وأبان كنهها لطالبها بما هياتها فأخذ أولا فى تفنيد تلك المطالب على طريقة أهل الجدل وقلب هذه الادلة الموهومة فجعلها منتجة ضد مطلوبها فكانت عليه لا له ثم استقام في الاستدلال ونهج منهج الاعتدال . وأرجع كل هذه الاختلافات الى الاتفاق والمخاصمات الى الوفاق وأبان ان أصل الاديان واحد . وان مايترائى من الاختلافات نشأ من حب

الرياسة والشهوات حسب الازمنة والامكنة وقد اطلع على هذا الكتاب بعض قسيسى المجمع العلمى المنعقد فى بعض البلاد الافرنجية فقدروه قدره واثنوا على مؤلفه خيرا *

وقالوا لو جمع مؤلفه كتابا آخر فى محاسن دين الاسلام لدخل الناس فيه أفواجا . وبالجملة فهذا الكتاب جدير بالمطالعة والاقتناء يحتاجه المسلم فى اسلامه والنصرانى لنصرانيته وكل معترف بدين أو كتاب الخ *

﴿ قوله ﴾ وكذلك شرح عقيدة للاصفانى الخ أى من جملة مصنفاته كتاب شرح عقيدة الاصفهانى وهو كتاب جليل القدر مشتمل على مطالب مهمة لاسيما مباحث النبوات وحدوث العالم العلوى والسفلى *

﴿ قوله ﴾ وكذا قواعد الاستقامه الخ * وهو من أفود كتبه وهو مفصل يبلغ سفرين توجد نسخة فى بلاد العرب ودمشق وفي بعض بلاد الهند *

﴿ قوله ﴾ وكذاك توحيد الفلاسفة الالى الخ يريد به الرد على الفلاسفة وهو عدة أسفار يقال ان من نسخه فى بعض خزائن كتب دار السلطنة لكن الناظم يقول هو سفر لطيف الخ وهو أدرى به من غيره *

﴿ قوله ﴾ وكذاك تسعينية الخ هذا الكتاب كثير وهو فى الرد على من يقول بالكلام النفسى من تسعين وجها . وهو بين الايدى *

﴿ قوله ﴾ وكذا قواعده الكبار الخ هى على منهج قواعد القرافى وغيره الا انها أكثر فائدة ونسخته فى البلاد العربية *

﴿ قوله ﴾ وكذا رسائله الى البلدان الخ وقوله وكذا فتاواه الخ أما رسائله المختصرة وكتبه فلا يحيط بها الاحصاء وفتاواه كما قال الناظم بلغت نحو ثلاثين سفرا *

﴿ قوله ﴾ هذا وليس يقصر التفسير عن الخ هو لم يفسر القرآن مرتبا ولكنه كتب على كثير من سوره ومواضعه المشكلة فله على الاستعاذة وعلى البسملة وكلامه فى الجهر بها وكتب على قوله تعالى اياك نعبد واياك نستعين . وكتب على قوله تعالى ومن الناس من يقول آمنا . وعلى قوله تعالى مثلهم كمثل الذى استوقد نارا . وعلى قوله تعالى يا أيها الناس اعبدوا ربكم وعلى قوله تعالى الا من سفه نفسه . وعلى آية الكرسى . وعلى قوله تعالى ليس كمثله شئ . وعلى قوله تعالى

شهد الله انه لااله الا هو الخ . وعلى قوله تعالى ما أصابك من حسنة فمن الله . وعلى سورة المائدة وعلى قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلاة الآية . وعلى قوله تعالى واذ أخذ ربك . وعلى سورة يوسف . وعلى سورة النور . وعلى سورة القلم . وانها أول سورة نزلت وعلى سورة لم يكن والكافرون وتبت والمعوذتين . وكتب على صورة الاخلاص وغير ذلك *

﴿ قوله وكذا المفاريد التى فى كل مسألة ﴾ الخ منها الاعتراضات المصرية . على الفتوى الحموية . وشرح بضعة عشر مسألة من الاربعين للرازى . وجواب ماأورده كمال الدين الشريشى وشرح كتاب الغزنوي في أصول الدين . والرد على المنطق . وكتاب الزواجر . وقاعدة فى القضايا الوهمية . وقاعدة فى قياس مالا يتناها وجواب الرسالة الصفدية وجوابه عن قول بعض الفلاسفة ان معجزات الانبياء عليهم السلام قوى نفسانيه . والرد على ابن سينا فى اثبات المعاد وشرح رسالة ابن عبدوس فى كلام الامام أحمد فى الاصول وثبوت النبوات عقلا ونقلا والمعجزات والكرامات . وقاعدة في الكليات . والرسالة القبرصية . ورسالته الى أهل طبرستان وجلان فى خلق الروح والنور . والرسالة البعلبكيه والرسالة الازهريه القادرية البغداديه . وأجوبة القرآن والنطق . وجواب من حلف بالطلاق الثلاث . ورسالة فى أن القرآن حرف وصوت وكتاب في اثبات الصفات والعلو والاستواء . المراكشية فى صفات الكمال والضابط . جواب فى الاستواء وابطال تأويله بالاستيلاء . جواب من قال لايمكن الجمع بين اثبات الصفات على ظاهرها مع نفى التشبيه . أجوبة كون جهة السموات كرية . رسالة فى سبب قصد القلوب العلو . جواب كون الشيء فى جهة العلو مع كونه ليس بجوهر ولا عرض هل هو معقول أومستحيل . جواب هل الاستواء والنزول حقيقة . وهل لازم المذهب مذهب . مسالة أهل الاربيليه . شرح حديث النزول . واختلافه باختلاف وقته . وباختلاف البلدان والمطالع . بيان حل أشكال ابن حزم الوارد على الحديث . قاعدة فى قرب الرب من عابديه . الكلام على نقض المرشد . المسائل الاسكندرانيه . فى الرد على الحلوليه والاتحاديه رسالة فيما تضمنه فصوص الحكم . جواب في لقاء الله عز وجل . جواب في رؤيا النساء ربهن فى الجنة . الرسالة المدنية . فى اثبات الصفات النقلية الهلاوونيه . جواب سؤال ورد على لسان ملك التتار . قواعد فى الرد على القدرية والجبرية . جواب فى خلق الله الخلق وانشاء الايام لعلة

أم لا شرح حديث فحج آدم موسى . تنبيه الرجل العاقل . على تمويه المجادل . تنافى الشدائد . فى اختلاف العقائد . كتاب الايمان . شرح حديث جبريل في الايمان والاسلام . رسالة فى عصمة الانبياء عليهم السلام فيما يبلغونه عن ربهم . مسألة في العقل والروح . مسألة فى المقربين هل يسألهم منكر ونكير أم لا . مسألة هل يعذب الجسد مع الروح فى القبر أم لا . الرد على أهل الكسروان وهم من الروافض . فضل أبى بكر وعمر رضى الله عنهما على غيرهما . رسالة فى معاوية ابن أبى سفيان تفضيل صالحي الناس . على سائر الاجناس . رسالة مختصرة فى كفر النصيرية . رسالة فى جواز قتال الرافضة . الرد على تقي الدين السبكى فى مسألة بقاء الجنة والنار وفي فنائهما . هذه كلها فى أصول الدين *

﴿ ومن مؤلفاته في أصول الفقه ﴾ . قاعدة غالبها أقوال الفقهاء . قاعدة كل حمد وذم من الاقوال والافعال لا يكون الا بالكتاب والسنة . رسالة في شمول النصوص للاحكام . قاعدة فى الاجماع وانه ثلاثة أقسام . جواب فى الاجماع والخبر المتواتر . قاعدة فى كيفية الاستدلال على الاحكام بالنص والاجماع . والرد على من قال ان الدلالة اللفظية لا تفيد اليقين . قاعدة فيما نص من تعارض النص والاجماع . مؤاخذة على ابن حزم في الاجماع . قاعدة فى تقرير القياس قاعدة فى الاجتهاد والتقليد في الاحكام . رفع الملام عن الائمة الاعلام . قاعدة في الاستحسان وفي وصف العموم والالحاق والاطلاق . قاعدة فى ان المخطى فى الاجتهاد لا يأثم . رسالة في انه هل القاضي يجب عليه تقليد مذهب معين . جواب فى ترك التقليد . رسالة فيمن يقول مذهبي مذهب النبي صلى الله عليه وسلم وليس أنا محتاج الى تقليد الاربعة . جواب من تفقه فى مذهب ووجد حديثا صحيحا هل يعمل به أم لا . جواب تقليد الحنفى الشافعي في المطر والوتر . رسالة فى الفتح على الامام فى الصلاة . تفضيل قواعد مالك وأهل المدينة تفضيل الائمة الاربعة وما امتاز به كل واحد منهم . قاعدة فى تفضيل الامام أحمد . جواب هل كان النبى صلى الله عليه وسلم قبل الرسالة نبيا . جواب هل كان النبى صلى الله عليه وسلم متعبدا بشرع من قبله . قواعد ان النهى يقتضى المضادة *

﴿ ومن مؤلفاته فى الفقه ﴾ شرح المحرر فى مذهب الامام أحمد شرح العمدة لموفق الدين جواب مسائل وردت من أصبهان . جواب مسائل وردت من الصلت . جواب مسائل

وردت من بغداد . جواب مسائل وردت من الزرع . جواب مسائل وردت من طرابلس . قاعدة فى المياه والمائعات وأحكامها . جواب أربعين مسئلة وردت من الوجنة . الدرة المضية فى فتاوى ابن تيمية المردانية الطرابلسية . قاعدة في حديث القلتين وعدم رفعه . قواعد فى الاستجمار وتطهير الارض بالشمس والريح . جواز الاستجمار مع وجود الماء . نواقض الوضوء . قواعد فى عدم نقضه بلمس النساء . رسالة فى ان التسمية على الوضوء خطأ . القول بجواز المسح على الخفين . جواز المسح على الخفين المتخرقين والجوربين واللفائف وفيمن لا يعطى أجرة الحمام تحريم دخول النساء بلا مئزر فى الحمام . والاغتسال وذم الوسواس . جواز طوائف الحائض تيسير العبادات لارباب الضرورات . بالتيمم والجمع بين الصلاتين للعذر . كراهية التلفظ بالنية وتحريم الجهر بها فى الاذكار . كراهية تقديم بسط السجادة للمصلى قبل مجيئه . الكلم الطيب فى الركعتين اللتين تصلى قبل الجمعة وفى الصلاة بعد أذان الجمعة . القنوت في الصبح والوتر . تارك المثانى وكفره . الجمع بين الصلاتين فى السفر والحضر . أهل البدع هل يصلى خلفهم صلاة بعض أهل المذاهب خلف بعض . الصلوات المبتدعة . تحريم السماع تحريم الشبابة . تحريم اللعب بالشطرنج . تحريم الحشيشة المغيبة والحد عليها وتنجيسها . النهي عن المشاركة فى أعياد النصارى واليهود و ايقاد النيران في الميلاد ونصف شعبان وما يفعل فى عاشوراء *

قاعدة فى مقدار الكفارة باليمين . وفى أن المطلقة ثلاثا لا تحل الا بنكاح زوج ثان . بيان الحلال والحرام فى الطلاق . جواب من حلف لا يفعل شيأ على المذاهب الاربعة ثم طلق ثلاثا فى الحيض . الفرق المبين بين الطلاق واليمين . لمة المختطف . فى الفرق بين الطلاق والحلف . كتاب التحقيق فى الفرق بين أهل الايمان والتطليق . الطلاق البدعى لا يقع . مسائل الفرق بين الطلاق البدعي ونحو ذلك . مناسك الحج فى حجة النبي صلى الله عليه وسلم فى العمرة المكية فى شراء السلاح بتبوك وشرب السويق بالعقبة واكل التمر بالروضة وما يلبس المحرم وزيارة الخليل عليه السلام عقب الحج وزيارة البيت المقدس مطلقا . جميع ايمان المسلمين مكفره . بيان الدليل . على ابطال التحليل . الرسالة التدمريه . جبل لبنان كامثاله من الجبال ليس فيه رجال الغيب والابدال *

* ومن كتبه فى أنواع شتى * الكلام على الفتوة المصطلحة وليس لها أصل متصل بعلى

رضى الله عنه . كشف حال الاحمدية . وبيان أحوالهم الشيطانية . ما يقوله أهل بيت الشيخ عدي . النجوم هل لها تأثير عند القران والمقابلة وهل يقبل قول المنجمين فيه ورؤية الاهله تحريم أقسام المغربين بالعزائم المعجمة وصرع الصحيح وصفة الخواتيم . ابطال الكيميا ولو صحت . كتاب السياسة الشرعية . كتاب التصوف . كتاب الاستقامة . كتاب تلبيس الجهمية فى تأسيس بدعهم الكلاميه . كتاب المحنة المصرية . كتاب الفرقان . بين أولياء الشيطان وأولياء الرحمن . الرد على الاخنائى فى مسألة الزيارة . طهارة بول ما يؤكل لحمه . الصارم المسلول على منتقص الرسول . كتاب اقتضاء الصراط المستقيم . جواب أهل الايمان . فى التفاضل بين آيات القرآن . الرد على البكرى فى مسألة الاستغاثة . التحرير فى مسألة حفير سفر في مسألة القسمة كتبها اعتراضا على النحوي فى حادثة حكم فيها . الفرقان بين الحق والبطلان كتاب الوسيلة . التحفة العراقية . في الاعمال القلبية . وله غير ذلك مما يطول ذكره . وجميعها مفصلة ما بين سفر وسفرين وا كثر مع سلاسة عبارة و ذكر دليل ودفع ايراد . وكل منها فريد فى بابه حرى بالتقريظ ولو تكلمنا على كل واحد منها بما يليق به من الثناء والمدح لاستوجب ذلك أفراد مؤلف مفصل *

﴿ وأما انتقاد النبهانى ﴾ (كتاب الجواب الصحيح ان الكتاب فى غاية النفاسة لو خلا من التعرض لبدعه التى انفرد بها عن المسلمين الخ) (فجوابه) ان ما انتقده هو من محاسن الكتاب وأجل فصوله فان الاستغاثة بالمخلوق والاستعانة به والالتجاء به هو الذى كان من غلو أهل الكتاب وهو مذهب النصارى فان عبادة المسيح وأمه عبارة عن ذلك فلو لم يبطل هذا القول لما ساغ له الرد عليهم . وكذلك الرد على القائلين بالحلول والاتحاد فانه لو لم يرد عليهم ويبطل دعواهم ويخرجهم عن الملة لما ساغ له ابطال قول النصارى في دعواهم حلول الاله فى المسيح او الاتحاد به او نحو ذلك . فان لقائل ان يقول حينئذ ان من المسلمين من يقول باشنع من هذا القول وهو دعوي الحلول والاتحاد التى أبطلها الشيخ وغيره من العلماء الربانيين المتبعين لما جاء به الشرع المبين . (ولعلنا) نبسط الكلام على ذلك فيما يناسب المقام . ونذكر كلام من رد عليهم وأبطل دعواهم ونفصل القول فيهم تفصيلا . هذا الذي نقمه النبهانى الزائغ وانتقد به كلام الشيخ من أوضح مايدل على زيغه واتباعه لهواه . وما نقموا منهم الا ان يؤمنوا بالله

العزيز الحميد . ومثل ماحكي الله عن اخوانه او كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق كلما أضاء لهم مشوا فيه واذا أظلم عليهم قاموا . ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم ان الله على كل شيء قدير . وما أحسن ما قال القائل *

ومن يك ذا فم مر مريض * يجد مرا به الماء الزلالا

وقال آخر

تعد ذنوبي عند قومى كثيرة * ولا ذنب لى الا العلا والفواضل

واذا لم يعرف النبهانى واضرابه من الغلاة قدر كتب شيخ الاسلام وتمنى عدم وجودها وفقدها من العالم لانها تبطل ماذهب اليه من الاقوال الفاسدة . وتهدم بنيان أشياخه قال تعالى ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم . ولئن اتبعت أهوائهم بعد الذى جاءك من العلم مالك من الله من ولى ولا نصير . وأهل الحق وذوو البصائر اذا ظفروا بكتاب من كتبه تراهم كانهم ظفروا بكنز من كنوز العلم . (وقد رأيت كتابا) كتب على ظهر ترجمة شيخ الاسلام وبيان مناقبه وهي الدرر البهيه . فى ترجمة شيخ الاسلام ابن تيمية للحافظ الشيخ شمس الدين بن عبد الهادى المقدسى . وذلك الكتاب أرسله بعض أفاضل العراق المعاصرين لشيخ الاسلام . وكان من أكابر الشافعية وهو العلامه الشيخ عبدالله بن حامد . (وكتابه هذا)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ من أصغر العباد عبد الله بن حامد . الى الشيخ الامام العالم العامل قدوة الافاضل والمحافل . المحامى عن دين الله . والذاب عن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم المعتصم بحبل الله . الشيخ المكرم المبجل . أبى عبد الله أسبغ الله عليه نعمه . وأيد باصابة الصواب لسانه وقلمه . وجمع له بين السعادتين . ورفع درجته فى الدارين بمنه ورحمته السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . (اما بعد) فانى أحمد اليك الله الذى لا اله الا هو ثم وافانى كتابك وانا اليك بالاشواق . ولم أزل سائلا ومستخبرا الصادر والوارد عن الانباء التى طاب مسموعها وسر مايسر منها . وما تأخر كتابي عنك هذه المدة مللا ولا خللا بالمودة ولا تهاونا بحقوق الاخاء . حاش لله ان يشوب الاخوة فى الله جفاء ولا ازال اتعلل بعد وفاة الشيخ الامام امام الدنيا رضى الله تعالى عنه بالاسترواح الى اخبار تلامذته واخوانه وأقاربه وعشيرته والخصيصين به لما فى نفسى من المحبة الضرورية التي لا يدفعها شئ على الخصوص لما أطلعت على مباحثه

واستدلالاته التى تزلزل أركان المبطلين ولا يثبت فى ميدانها سفسطة المتفلسفين ولا يقف فى حلباتها اقدام المبتدعين من المتكلمين *

﴿ وكنت ﴾ قبل وقوفى على مباحث امام الدنيا رحمه الله قد طالعت مصنفات المتقدمين ووقفت على مقالات المتأخرين من أهل الاسلام فرأيت فيها الزخارف والاباطيل والشكوك التى يأنف المسلم الضعيف فى الاسلام ان يخطر بباله فضلا عن القوى فى الدين فكان يتعب قلبي ويحزنني ما يصير اليه الا عاظم من المقالات السخيفة والاراء الضعيفة التى لا يعتقد جوازها آحاد الامة وكنت أفتش على السنة المحضة فى مصنفات المتكلمين من أصحاب الامام أحمد رحمه الله على الخصوص لاشتهارهم بمنصوصات امامهم فى أصول العقائد فلا أجد عندهم ما يكفى وكنت أراهم يتناقضون اذ يؤصلون أصولا يلزم فيها ضد ما يعتقدونه ويعتقدون خلاف مقتضى أدلتهم فاذا جمعت بين أقاويل المعتزلة والاشعرية وحنابلة بغداد وكرامية خراسان أرى ان اجماع هؤلاء المتكلمين فى المسألة الواحدة على ما يخالف الدليل العقلى والنقلى فيسوئنى ذلك وأظل أحزن حزنا لا يعلم كنهه الا الله حتى قاسيت من مكابدتى هذه الامور شيئا عظيما لا أستطيع شرح أيسره وكنت التجى الى الله سبحانه وتعالى واتضرع اليه وأهرب الى ظواهر النصوص وألقي المعقولات المتباينة والتأويلات المصنوعة لنبوة الفطرة عن قبولها ثم قد تشبثت فطرتى بالحق الصريح فى أمهات المسائل غير متجاسرة على التصريح بالمجاهرة قولا وتصحيحا للعقد حيث لا أراه مأثورا عن الائمة وقدماء السلف الى ان قدر الله سبحانه وقوع تصنيف الشيخ الامام امام الدنيا فى يدى قبيل واقعته الاخيرة بقليل فوجدت فيه ما بهرني فى موافقة فطرتى لما فيه من عزو الحق الى أئمة السنة وسلف الامة مع مطابقة المعقول والمنقول فبهت لذلك سروراً بالحق وفرحا بوجود الضالة التى ليس لفقدها عوض فصارت محبة هذا الرجل رحمه الله محبة ضرورية تقصر عن شرح أقلها العبارة ولو أطنبت *

﴿ ولما عزمت على المهاجرة ﴾ الى لقيه وصلنى خبر اعتقاله وأصابنى لذلك المقيم المقعد ولما حججت سنة ثمان وعشرين وسبعمائة صممت العزم على السفر الى دمشق لا توصل الى ملاقاته ببذل ما أمكن من النفس والمال للتفريج عنه فوافاني خبر وفاته رحمه الله تعالى مع الرجوع الي العراق قبيل وصولى الى الكوفة فوجدت عليه مالا يجده الاخ على شقيقه واستغفر الله

بل ولا الوالد الثاكل على ولده وما دخل على قلبي من الحزن لموت أحد من الولد والاقارب والاخوان كما وجدته عليه رحمه الله تعالى ولا تخيلته قط فى نفسى ولا تمثلته في قلبي الا ويتجدد لى حزن جديد كأنه محدث ووالله ما كتبتها الا وادمعى تتساقط عند ذكره أسفا على فراقه وعدم ملاقاته فانا لله وانا اليه راجعون ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم

﴿ وما شرحت هذه النبذة ﴾ من محبة الشيخ رحمه الله تعالى الا ليتحقق بعدى عن تلك الوهوم لكن لما سبق الوعد الكريم منكم بانفاذ فهرس مصنفات الشيخ رضى الله تعالى عنه وتأخر ذلك عني اعتقدت ان الاضراب عن ذلك نوع تقية أو لعذر لا يسعنى السؤال عنه فسكت عن الطلب خشية ان يلحق أحدا ضرر والعياذ بالله بسببي لما كان قد اشتهر من تلك الاحوال فان أنعمتم بشئ من مصنفات الشيخ رحمه الله تعالى كانت لكم الحسنة عند الله علينا بذلك . فما أشبه كلام هذا الرجل بالتبر الخالص المصفى وقد يقع فى كلام غيره من الغش والشبه المدلس بالتبر على مالا يخفى على طالب الحق بحرص وعدم هوى ولا أزال أتعجب من المنتسبين الى حب الانصاف فى البحث المبرزين على أهل التقليد ان المعقولات التى يزعمون ان مستندهم الاعظم الصريح منها كيف يتباينون ما اوضحه الحق وكشف عن قناعه *

وقد كان الواجب على الطلبة شد الرحال اليه من الافاق ليروا العجب وما اشبه حال المباينين له من المنتسبين للعلم الطالبين للحق الصريح الذى اعياهم وجد انه بحال قوم ذبحهم العطش والظمأ فى بعض المفازاة فحين أشرفوا على التلف لمع لهم شط كالفرات أو دجلة أو كالنيل . فعند معاينتهم لذلك اعتقدوه (شرابا لا سرابا) فتولوا عنه مدبرين فتقطعت أعناقهم عطشا وظمأ فالحكم لله العلى الكبير *

وما أرسلنا المقابلة من الطرفين ففيه تعسف وتمهدون العذر فى الاطناب . فهذا الذى ذكرته من حالى مع الشيخ كالقطرة من البحر . وان أنعمتم بالسلام على أصحاب الشيخ وأقاربه كبيرهم وصغيرهم كان ذلك مضافا الى سابق انعامكم . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وأنتم فى أمان الله تعالى ورعايته . والحمد لله وحده . وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم . (عبدالله بن حامد)

﴿ وأما قول النبهانى ﴾ (وهذا دأبه في كتبه ولذلك قلل الله النفع بها كما جرت عادته) فيمن يتعرض (لاوليائه بالسوء) الخ (فجوابه) ان من الواجب على العالم ان يظهر علمه والا ألجمه الله بلجام

من نار وقال تعالى والعصر ان الانسان لفى خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر . (قال الامام) الشافعى لو فكر الناس كلهم في هذه السورة لكفتهم وبيان ذلك ان المراتب أربعة وباستكمالها يحصل للشخص غاية كماله . (احداها) معرفة الحق (الثانية) عمله به . (الثالثة) تعليمه من لايحسنه . (الرابعة) صبره على تعلمه والعمل به وتعليمه فذكر تعالى المراتب الاربعة فى هذه السورة . وأقسم سبحانه في هذه السورة بالعصر ان كل أحد فى خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وهم الذين عرفوا الحق وصدقوا به فهذه مرتبة وعملوا الصالحات وهم الذين عملوا بما علموه من الحق فهذه مرتبة أخرى وتواصوا بالحق وصى به بعضهم بعضا تعليما وارشادا فهذه مرتبة ثالثة وتواصوا بالصبر صبروا على الحق ووصى بعضهم بعضا بالصبر عليه والثبات فهذه مرتبة رابعه وهذا نهاية الكمال فان الكمال ان يكون الشخص كاملا فى نفسه مكملا لغيره وكماله باصلاح قوتيه العلمية والعملية فصلاح القوة العلمية بالايمان وصلاح القوة العملية بعمل الصالحات وتكميله غيره بتعليمه اياه وصبره عليه وتوصيته بالصبر على العلم والعمل فهذه السورة على اختصارها هى من أجمع سور القرآن للخير بحذافيره والحمد لله الذي جعل كتابه كافيا عن كل ما سواه شافيا من كل داء هاديا الى كل خير اه *

فعلم أنه يجب على العالم أن يصدع بالحق وان كثر المخالفون له وقد رأى من الحق التنبيه على الفرق بين أولياء الشيطان وأولياء الرحمن وقد أطنب الكلام في ذلك ومما قال وقد ظن طائفة غالطة ان خاتم الاولياء يكون أفضل الاولياء قياسا على خاتم الانبياء ولم يتكلم أحد من المشايخ المتقدمين بخاتم الاولياء الا محمد بن حكيم الترمذى صنف فيه مصنفا غلط فيه فى مواضع ثم صار طائفة من المتأخرين يزعم كل منهم أنه خاتم الاولياء ومنهم من يدعي ان خاتم الاولياء أفضل من خاتم الانبياء من جهة العلم بالله وان الانبياء يستفيدون العلم بالله من جهته كما زعم ذلك ابن العربى صاحب كتاب الفتوحات فى كتاب الفصوص في لغوا الشرع والعقل مع مخالفة جميع أنبياء الله وأولياء الله كما يقال لمن قال فخر عليهم السقف من تحتهم لا عقل ولا قرآن وذلك لان الانبياء أسبق فى الزمان من أولياء هذه الامة والانبياء عليهم الصلاة والسلام أفضل من الاولياء فكيف يكون الانبياء كلهم والاولياء يستفيدون معرفة الله ممن ياتى بعدهم ويدعي أنه خاتم الاولياء وليس آخر الاولياء أفضلهم كما ان آخر الانبياء أفضلهم فان فضل محمد صلى

الله عليه وسلم على سائر الانبياء ثبت بالنصوص الدالة على ذلك كقوله صلى الله عليه وسلم أنا سيد ولد آدم ولا فخر وقوله آتى باب الجنة فاستفتح فيقول الخازن من أنت فيقول محمد فيقول بك أمرت ان لا أفتح لاحد قبلك وليلة المعراج رفع الله دوجته فوق الانبياء كلهم فكان أحقهم لقوله تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات الى غير ذلك من الدلائل والانبياء كلهم يأتيه الوحي من الله لاسيما محمد صلى الله عليه وسلم لم يكن فى نبوته محتاجا الى غيره فلم تحتج شريعته لا الى نبي سابق ولا الى لاحق بخلاف غيره فان المسيح أحالهم فى اكثر الشريعة على التوراة والشريعة التوراة . جاء المسيح بتكميلها ولهذا كان النصارى محتاجين الى النبوة المتقدمة على المسيح كالتوراه والزبور وتمام الاربع والعشرين نبوة وكان الامم قبلنا محتاجين الى المحدثين بخلاف أمة محمد صلى الله عليه وسلم فان الله أغناهم به فلم يحتاجوا معه لا الى نبي ولا الى محدث بل جمع له من الفضائل والمعارف والاعمال الصالحة مافرقه فى غيره من الانبياء فكان مافضله الله به من الله بما أنزل الله وأرسله اليه لا بتوسط بشر وهذا بخلاف الاولياء فان كل من بلغه رسالة محمد صلى الله عليه وسلم لايكون وليا الا باتباع محمد صلى الله عليه وسلم فكل ماحصل له من الهدى ودين الحق بتوسط محمد صلى الله عليه وسلم وكذلك من بلغته رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم لايكون وليا لله الا اذا اتبع ذلك الرسول الذى أرسله اليه ومن ادعى ان من أولياء الذين بلغتهم رسالة محمد صلى الله عليه وسلم من له طريق الى الله لا يحتاج فيه الى محمد فهو كافر ملحد واذا قال أنا محتاج الى محمد صلى الله عليه وسلم فى علم الظاهر دون الباطن أو فى الشريعة دون علم الحقيقة فهو أشر من اليهود والنصارى الذين قالوا ان محمدا رسول الى الاميين دون أهل الكتاب . فان أولئك آمنوا ببعض ماجاء به وكفروا ببعض فكانوا كفار بذلك وكذلك هذا الذى يقول ان محمدا بعث بعلم الظاهر دون الباطن آمن ببعض ماجاء به وكفر ببعض وهذا كافر أكفر من أولئك لان علم الباطن الذى هو علم ايمان القلوب ومعارفها وأحوالها هو علم بحقائق الايمان الباطنة وهذا أشرف من العلم بمجرد أعمال الاسلام الظاهرة فاذا ادعى المدعي ان محمدا انما علم هذه الامور الظاهرة دون حقائق الايمان وانه لا يأخذ الحقائق من الكتاب والسنة فقد ادعى ان بعض الذى آمن به مما جاء به الرسول دون البعض الآخر وهذا شر ممن يقول أومن ببعض وا كفر ببعض ولا يدعي ان هذا

البعض الذى آمن أولى القسمين وهؤلاء الملاحدة قد يدعون ان الولاية أفضل من النبوة ويلبسون على الناس ويقولون ان ولاية محمد صلى الله عليه وسلم أفضل من نبوته وينشدون *

مقام النبوة في برزخ فويق الرسول ودون الولي

ويقولون نحن شاركناه فى ولايته التي هي أعظم من رسالته وهذا من أعظم ضلالهم فان ولاية محمد صلى الله عليه وسلم لم يماثله فيها أحد لا ابراهيم ولا موسى فضلا عن ان يماثله فيها هؤلاء الملاحدة وكل رسول نبي وكل نبي ولى فالرسول نبي وولى ورسالته متضمنة للنبوة ونبوته متضمنة لولايته فكيف تكون ولايته المتضمنة فى نبوته افضل من نبوته الداخلة فى ولايته واذا قدروا مجرد انباء الله اياه بدون ولايته لله فهذا تقدير ممتنع فانه حال أنباء الله اياه بدون ولايته لله فهذا تقدير ممتنع فانه حال انباء الله اياه يمتنع ان لايكون وليا لله فلا تكون نبوة مجردة عن ولاية ولو قدرت مجردة لم يكن احد مماثلا للرسول في ولايته لله وهؤلاء قد يقولون كما يقول صاحب الفصوص ابن عربى انهم يأخذون من المعدن الذى يأخذ منه الملك الذى يوحى به الرسول وذلك انهم اعتقدوا عقيدة ملاحدة المتفلسفة ثم اخرجوها في قالب الكشف وذلك ان المتفلسفة الذين قالوا ان الافلاك قديمة ازلية لها علة شبيهة بها كما يقول ارسطو واتباعه اولها موجب بذاته كما يقوله متأخروهم كابن سينا وامثاله ولا يقولون ان الرب خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ولا خلق الاشياء بمشيئته وقدرته ولا يعلم الجزئيات بل اما ان ينكر واعلمه مطلقا كقول ارسطو او يقولون انما يعلم من الامور المتغيرة كلياتها كما يقوله ابن سينا . وحقيقة هذا القول انكار علمه بها فان كل موجود فى الخارج فهو معنى جزئى والافلاك كل منها معنى جزئى وكذلك جميع الاعيان وصفاتها وافعالها فمن لم يعلم الا الكليات لم يعلم شيئا من الموجودات والكليات انما توجد كليات فى الاذهان لا فى الاعيان والكلام على هؤلاء قد بسط فى موضع آخر فى بحث تعارض العقل والنقل وغيره فان كفر هؤلاء اعظم من كفر اليهود والنصارى بل ومشركي العرب اذ جميع هؤلاء يقولون ان الله خلق السموات والارض وانه خالق المخلوقات بمشيئته وقدرته وارسطو ونحوه من متفلسفة اليونان كانوا يعبدون الكواكب والاصنام وهم لا يعرفون الملائكة ولا الانبياء وليس فى كتب ارسطو ذكر شئ من ذلك . وانما غالب علم القوم الامور الطبيعية وأما الامور الالهية فكلامهم فيها قليل كثير

الخطأ . واليهود والنصارى بعد النسخ والتبديل اعلم بالالهيات منهم بكثير ولـكن متأخروهم كابن سينا أرادوا ان يلفقوا بين كلام أولئـك وبين ماجاءت به الرسـل فاخـذوا شيأ من بعض أصول الجهمية والمعتزلة وركبوا منه ومن قول أولئك مذهبا قد يعتزي اليه متفلسفة أهل الملل وفيه من الفساد والتناقض ماقد نبه على بعضه فى غير هذا الموضع . وهؤلاء لما رأوا ان أمر الرسل كموسى وعيسي ومحمد صلى الله عليه وسلم قد ظهر للعالم واعترفوا بان الناموس الذى بعث به محمد صلى الله عليه وسلم أعظم ناموس طرق العالم ووجدوا الانبياء قد ذكروا الملائكة والجن أرادوا ان يجمعوا بين ذلك وبين قول اسلافهم اليونان الذين هم من أبعـد الخلق عن معرفة الله وملائـكته وكتبه ورسله واوائلك قد اثبتوا عقولا عشرة يسمونها المجردات والمفارقات وأصل ذلك مأخوذ من مفارقة النفس للبدن فسموا تلك مفارقة لمفارقتها المادة ومجردا لتجردها عنها . واثبتوا للافلاك لـكل فلك نفسا واكثرهم جعلها اعراضا وبعضهم جعلها جواهر وهذه المجردات التى اثبتوها عنـد التحقيق الى أمور موجودة فى الاذهان لافي الاعيان كما اثبت أصحاب ارسطوا أعدادا مجردة وكما أثبت أفلاطون المثل الافلاطونية المجردة واثبتوا هيولى مجردة عن الصورة ومدة وخلاء مجردين . وقد اعترف حذاقهم بان ذلك انما يتحقق فى الاذهان لافى الاعيان فلما أراد هؤلاء المتأخرون منهم كابن سينا ان يثبت أمر النبوة على اصولهم الفاسدة زعموا ان النبوة لهـا خصائص ثلاثة من اتصف بها فهو نبي ان يكون له قوة علمية يسمونها القوة القدسية ينال بها العلم بلا تعلم وان يكون له قوة تخييلية تخيل مايعقله فى نفسه بحيث يرى فى نفسـه صورا ويسمع فى نفسه صوتا كما يراه النائم ويسمعه ولا يكون لها وجود فى الخارج وزعموا ان تلك الصور هى ملائـكة الله وتلك الاصوات هى كلام الله . وان يكون له قوة فعالة يؤثر بها فى هيولى العالم وجعلوا كرامات الاولياء ومعجزات الانبياء وخوارق السحرة من قوى النفس فاقروا من ذلك بما يوافق أصولهم دون قلب العصا حية ودون انشقاق القمر ونحو ذلك فانهم ينـكرون وجود هذا وقد بسطنا الكلام على هؤلاء فى مواضع وبينا ان كلامهم هذا من أفسد كلام وان هذا الذى جعلوه من خصائص النبي يحصل ماهو أعظم منه لآحاد العامة ولأقل اتباع الانبياء وان الملائكة التى اخبرت بها الرسل أحياء ناطقون أعظم مخلوقات الله وهم كثيرون ولا يعلم جنود ربك الا هو وليسوا عشرة وليسوا اعراضا لاسيما وهؤلاء

يزعمون ان الصادر الاول هو العقل الاول عنه صدر كل ماسواه فهو عندهم رب كل ماسوى الله *

وكذلك كل عقل رب كل مادونه والعقل الفعال العاشر رب كل ماتحت فلك القمر وهذا مما يعلم فساده بالاضطرار من دون الرب فليس أحد من الملائكة مبدعا لكل ماسوى الله وهؤلاء يزعمون ان العقل الاول هو العقل المذكور في حديث يروي ان أول ماخلق الله العقل فقال له اقبل فاقبل فقال له أدبر فادبر فقال وعزتي ماخلقت خلقا اكرم على منك فبك آخذ وبك أعطى وبك الثواب وعليك العقاب ويسمونه أيضا القلم لما رأوا انه قد روى ان أول ماخلق الله القلم والحديث الذي ذكروه فى العقل كذب موضوع عند أولى المعرفة بالحديث كما ذكر ذلك أبو حاتم البيهقى وأبو الحسن الدارقطنى وابن الجوزى وغيرهم وليس هو في شئ من دواوين الحديث التى يعتمد عليها ومع هذا فلفظه لو كان ثابتا لكان حجة عليهم فان لفظه أول ماخلق الله العقل قال له . ويروي لما خلق الله العقل قال له . وفى الحديث انه خاطبه فى أول أوقات خلقه ليس معناه انه أول المخلوقات وأول منصوب على الظرف كما فى اللفظ الآخر لما . وتمام الحديث ماخلقت خلقا أكرم على منك فهذا يقتضى انه خلق قبله غيره ثم قال فبك آخذ وبك أعطى وبك الثواب وعليك العذاب فذكر أربعة أنواع من الاعراض وعندهم ان جميع جواهر العلوى والسفلى صدر عن ذلك العقل فاين هذا من هذا *

وسبب غلطهم ان لفظ العقل فى لغة المسلمين ليس هو لفظ العقل فى لغة هؤلاء اليونانيين فان العقل في لغة المسلمين مصدر عقل يعقل عقلا كما في القرآن وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير وقوله تعالى ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون أفلم يسيروا فى الارض فتكون لهم قلوب يعقلون بها ويراد بالعقل الغريزة التى جعلها الله للانسان يعقل بها واما اولئك فالعقل عندهم جوهر قائم بنفسه كالعاقل وليس هذا مطابقا للغة الرسول صلى الله عليه وسلم والقرآن وعالم الخلق عندهم كما يذكره ابو حامد عالم الاجسام واما العقول والنفوس فيسميها عالم الامر وقد يسمى العقل عالم الجبروت والنفوس عالم الملكوت والاجسام عالم الملك ويظن من لا يعرف لغة الرسول ومعانى الكتاب والسنة ان في القرآن والسنة من ذلك الملك والملكوت والجبروت مايوافق هذا وليس الامر كذلك (وهؤلاء) يلبسون على المسلمين تلبيسا كثيرا كاطلاقهم ان

الفلك محدث أي معلول مع انه قديم عندهم والمحدث لايكون الا مسبوقا بالعدم ليس فى لغة العرب ولا فى لغة أحد انه يسمى القديم الازلى محدثا والله سبحانه قد أخبر انه خالق كل شئ وكل مخلوق فهو محدث وكل محدث كائن بعدان لم يكن ناظرتم أهل الكلام من الجهمية والمعتزله مناظرة قاصرة لم يعرفوا بها ما أخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم ولا حكموا فيها قضايا العقول . فلا للاسلام نصروا . ولا لاعدائه كسروا . وشاركوا اولئك فى بعض قضاياهم الفاسدة ونازعوهم في بعض المعقولات الصحيحة فصار قصور هؤلاء فى العلوم السمعية والعقلية من أسباب قوة ضلال أولئك كما بسط فى غير هذا الموضع *

وهؤلاء المتفلسفة قد يجعلون جبرائيل هو الخيال الذى يتشكل فى نفس النبي والخيال تابع للعقل . فجاء الملاحدة الصوفية الذين شاركوا هؤلاء المتفلسفة وزعموا انهم أولياء الله وان الولى أفضل من النبي وانهم يأخذون عن الله بلا واسطة كابن عربى صاحب الفتوحات والفصوص فقال انه يأخذ من المعدن الذى يأخذ منه الملك الذى يوحي به الى الرسول والمعدن عنده هو العقل والملك هو الخيال والخيال تابع للعقل وهو بزعمه يأخذ عن العقل الذى هو أصل الخيال والرسول يأخذ عن الخيال فلهذا صار عند نفسه فوق النبي ولو كان خاصة النبي ماذ كروه لم يكن هو من جنسه فضلا عن ان يكون فوقه فكيف وما ذكروه يحصل لآحاد المؤمنين والنبوة أمر وراء ذلك فان ابن عربى وأمثاله وان ادعوا انهم من الصوفية فهم من الصوفية الملاحدة الفلاسفة ليسوا من صوفية أهل الكلام فضلا عن ان يكونوا من مشائخ أهل الكتاب والسنة كالفضيل ابن عياض وابراهيم بن الادهم وابى سليمان الدارانى ومعروف الكرخى والجنيد بن محمد وسهل ابن عبد الله التسترى وأمثاله *

والله سبحانه قد وصف الملائكة فى كتابه بصفات تباين قول هؤلاء كقوله تعالى وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون لايسبقونه بالقول وهم بامره يعملون يعلم مابين أيديهم وما خلفهم الى قوله وهم من خشيته مشفقون . ومن يقل منهم انى اله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزى الظالمين . وقال تعالى وكم من ملك فى السموات لاتغنى شفاعتهم شيئا الى قوله ويرضى . وقال تعالى قل ادعوا الذين زعمتم من دونه لايملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض الى قوله ومالهم من ظهير ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له . وقال تعالى وله

من في السموات والارض ومن عنده لايستكبرون عن عبادته ولايستحسرون يسبحون الليل والنهار لايفترون . وقد أخبر ان الملائكة جاءت ابراهيم فى صورة البشر وان الملك تمثل لمريم بشراً سويا . وكان جبرائيل يأتى النبى صلى الله عليه وسلم فى صورة دحية الكلبي وفى صورة الاعرابي فرآهم الناس كذلك . وقد وصف جبرائيل بانه ذو قوة عند ذى العرش مكين مطاع ثم أمين . وان محمدا صلى الله عليه وسلم رآه بالافق المبين . ووصف بانه شديد القوى ذو مرة فاستوى وهو بالافق الاعلى ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى فاوحى الى عبده ماأوحى . الى قوله ولقد رأى من آياتنا الكبرى *

وقد ثبت فى الصحيحين عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه لم ير جبرائيل فى الصورة التى خلق عليها الا مرتين يعنى مرة فى الافق الاعلى والنزلة الاخرى عند سدرة المنتهى ووصف جبرائيل فى مواضع أخر بانه الروح الامين ووصفه بانه روح القدس الى غير ذلك من الصفات التى تبين منها انه من أعظم مخلوقات الله الاحياء العقلاء وانه جوهر قائم بنفسه ليس خيالا فى نفس النبي كما زعمه هؤلاء الملاحدة المتفلسفة المدعون ولاية الله وانهم أعلم من الانبياء وغاية تحقيق هؤلاء انكار أصول الايمان فان أصول الايمان ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وحقيقة أمرهم جحد الخالق فانهم جعلوا وجود المخلوق هو وجود الخالق وقالوا الوجود واحد ولم يميزوا بين الواحد بالعين والواحد بالنوع فان الموجودات اشتركت في مسمى الوجود كما يشترك الناس في مسمى الانسان والحيوانات فى مسمى الحيوان ولكن هذا المشترك الكلي لايكون مشتركا كليا الا في الذهن والا فالحيوانية القائمة بهذا الانسان ليست هى الحيوانية القائمة بالنفوس ووجود السموات ليس بعينه وجود الانسان فوجود الخالق جل جلاله مباين لوجود مخلوقاته وحقيقة قولهم قول فرعون الذى عطل الصانع فانه لم ينكر هذا الوجود المشهود لكن زعم انه موجود بنفسه لاصانع له وهؤلاء وافقوه فى ذلك ولكن زعموا انه هو الله فكانوا أضل منه وان كان هو أظهر فسادا منهم ولهذا جعلوا عباد الاصنام ماعبدوا الا الله وقالوا لما كان فرعون فى منصب التحكم صاحب السيف قال أنا ربكم الاعلى وان كان الكل أربابا بنسبة مافانا ربكم الاعلى بما أعطيته فى الظاهر من الحكم فيكم قالوا ولما علمت السحرة صدق فرعون فيما قال اقروا له بذلك وقالوا له اقض ما أنت قاض انما تقضي هذه الحياة الدنيا قالوا فصح قول

فرعون أنا ربكم الاعلى وان كان فرعون على غير الحق . ثم أنكروا حقيقة اليوم الآخر فجعلوا أهل النار يتنعمون كما يتنعم أهل الجنة فصاروا كافرين بالله وباليوم الآخر وبملائكته وكتبه ورسله مع دعواهم انهم خلاصة الخاصة من أهل الله وأنهم أفضل من الانبياء وان الانبياء انما يعرفون الله من مشكاتهم وليس هذا موضع بسط بيان الحاد هؤلاء ولكن لما كان الكلام في أولياء الله والفرق بين اولياء الرحمن وأولياء الشيطان وكان هؤلاء من أعظم الناس دعوى لولاية الله وهم من أعظم الناس ولاية للشيطان فنبهنا على ذلك . ولهذا عامة كلامهم انما هو في الخيالات الشيطانية ويقولون مايقول صاحب الفتوحات بان أرض الحقيقة ويقول هي أرض الخيال فيعترف بان الحقيقة التي يتكلم فيها هي خيال والخيال محل تصرف الشيطان فان الشيطان يخيل للانسان الامور بخلاف ماهي قال تعالى ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين وانهم ليصدونهم الى قوله فبئس القرين *

وقال تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا . الى قوله يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان الا غرورا *

وقال تعالى وقال الشيطان لما قضى الامر ان الله وعدكم وعد الحق الى قوله اني كفرت بما اشركتمون من قبل . وقال تعالى واذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم الى قوله اني أخاف الله والله شديد العقاب *

وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح انه رأى جبرائيل يزع الملائكة والشياطين اذا رأت ملائكته التي يؤيد بها عباده هربت منهم والله يؤيد عباده المؤمنين بملائكته قال تعالى اذ يوحي ربك الى الملائكة اني معكم فثبتوا الذين آمنوا . وقال تعالى يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءتكم جنود الى قوله وجنودا لم تروها وقال تعالى فانزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وانزل جنودا لم تروها . وقال تعالى اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا فانزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها . وقال تعالى اذ يقول للمؤمنين الن يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين وما جعله الله الا بشرى لكم ولتطمئن به قلوبكم وما النصر الا من عند الله *

﴿ وهؤلاء تأتيهم ﴾ أرواح فتخاطبهم وتتمثل لهم وهى جن وشياطين فيظن انها ملائكة كالارواح التي تخاطب من يعبد الكواكب والاصنام . وكان من أول من ظهر من هولاء فى الاسلام المختار بن عبيد الثقفى الذى أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم فى الحديث الصحيح الذى رواه مسلم في صحيحه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال سيكون في ثقيف كذاب ومبير فكان الكذاب المختار ابن عبيد الثقفى وكان المبير الحجاج بن يوسف . فقيل لابن عمر ان المختار يزعم انه ينزل عليه . فقال صدق قال تعالى هل انبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل أفاك أثيم . وقال الآخر وقيل له ان المختار يزعم انه يوحى اليه فقال قال الله تعالى وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم *

(ومن هذه الارواح) الشيطانية الروح الذى يزعم صاحب الفتوحات انه التى اليه ذلك الكتاب ولهذا يذكر أنواعا من الخلوات الطعام معني وحال معني وهذه مما تنتج سحابها الافضال بالجن والشياطين فيظنون ذلك من كرامات الاولياء وانما هو من الاحوال الشيطانية وأعرف من هؤلاء عددا . منهم من كان يحمل الى مكان بعيد ويعود . ومنهم من كان يؤتى بمال مسروق تسترقه الشياطين وتأتيه به . ومنهم من كانت تدله على السراق بحون بجعل[1] له من الناس أو تعطيهم له اذا دلهم على سرقاتهم ونحو ذلك *

(ولما كانت أحوال) هؤلاء شيطانية كانوا مناقضين للرسل صلوات الله عليهم كما يوجد من صاحب الفتوحات المكية والفصوص وأشباه ذلك انه يمدح الكفار مثل قوم نوح وهود وفرعون وغيرهم وينتقص بالانبياء بنوح وابراهيم وموسي وهارون وغيرهم ويذم شيوخ المسلمين كالجنيد بن محمد وسهل بن عبد الله التسترى وأمثالهما ويمدح المذمومين عند المسلمين كالحلاج ونحوه كما ذكرته فى التجليات الخيالية الشيطانية فان الجنيد قدس سره كان من أئمة الهدى . فسئل عن التوحيد فقال التوحيد افراد الحدوث عن القدم فبين ان التوحيد ان يميز بين القديم والمحدث أى الخالق والمخلوق وصاحب الفصوص أنكر هذا وقال في مخاطبة الخيالية الشيطانية له جنيد هل يميز بين المحدث والقديم الا من يكون غيرهما فخطأ الجنيد فى قوله افراد المحدث عن القديم لان قوله ان وجود المحدث هو عين وجود القديم (كما قال فى

---

(١) قوله بحون بجعل . هكذا بالاصل فليحرر

فصوصه) ومن أسمائه الحسنى العلى عن من وماثم الا هو وعماذا وما هو الا هو فعلوه لنفسه وهو عين الموجودات فالمسمى محدثات هى العليـة لذاتها وليست الا هو (الى) ان قال فهو عين ما بطن وهو عين ما ظهر وما ثم من يراه غيره وما ثم من ينطق عنه سواه وهو المسمى أبو سعيد الخراز وغير ذلك من أسماء المحدثات

﴿ فيقال لهذا الملحد ﴾ ليس من شرط المميز بين الشيئين بالعلم والقول ان يكون ثالثا غيرهما فان كل واحد من الناس يميز بين نفسه وبين غيره وليس هو ثالثا فالعبد يعرف انه عبد ويميز بين نفسه وبين خالقه والخالق جل جلاله يميز بين نفسه وبين مخلوقاته ويعلم انه ربهم وانهـم عباده كما نطق بذلك القرآن في غير موضع واستشهدنا بالقرآن عنـد المؤمنين الذين يقرون به باطنا وظاهرا وأما هؤلاء الملاحدة فيزعمون ما كان يزعمه التلمسانى منهم وهو أحذقهم فى الحادهم لما قرأ عليه الفصوص فقيل له القرآن يخالف قولـكم فقال القرآن كله شرك وانما التوحيد فى كلامنا فقيل له اذا كان الوجود واحدا فلم كانت الزوجة حلالا والاخت حراما قال الـكل عندنا حلال ولـكن هؤلاء المحجوبون قالوا حرام فقلنا حرام عليكم وهذا مع كفره العظيم تناقض ظاهر فان الوجود اذا كان واحدا فمن المحجوب ومن الحاجب ولهذا قال بعض شيوخهم لمريده من قال لك ان فى الـكون سوى الله فقد كذب فقال له مريده فمن هو الذى يكذب وقالوا لآخر هذه مظاهر فقال لهم المظاهر غير الظاهر أم هى هو فان كانت غيرها فقد قلتم بالثنية وان كانت هى اياها فلا فرق (وقد) بسطنا الـكلام على كشف اسرار هؤلاء فى موضع آخر وبينا حقيقة كل واحد منهم وان صاحب الفصوص يقول المعدوم شئ ووجود الحق فاض عليه فيفرق بين الوجود والثبوت . والمعتزلة الذين قالوا المعدوم شئ ثابت فى الخارج مع ضلالهم خير منه . فان أولئك قالوا ان الرب خلق لهذه الاشياء الثابتة فى العـدم وجودا ليس هو وجود الرب . وهذا زعم ان عين وجود الرب فاض عليها فليس عنده وجود مخلوق مباين لوجود الخالق . وصاحبه القونوى يفرق بين المطلق والمعين لانه كان أقرب الى الفلسفة فلم يقر بان المعدوم شئ . لـكن جعل الحق هو الوجود المطلق وصنف مفتاح غيب الجمع والوجود وهذا القول أدخل فى تعطيـل الخارج واعدم . فان المطلق بشرط الاطلاق وهو الـكلي العقلى لا يكون الا في الاذهان لا فى الاعيان . والمطلق لا بشرط شئ وهو الـكلى الطبيعى

وان قيل انه موجود فى الخارج فلا يوجد فى الخارج الا معينا . وهو جزء من المعين عندمن يقول بثبوته فى الخارج فيلزمه ان يكون وجود الرب اما متعينا فى الخارج واما ان يكون عين وجود المخلوقات . وهل يخلق الجزء الكل أم يخلق الشئ نفسه أم العدم يخلق الوجود أو يكون بعض الشئ خالقا لجميعه وهؤلاء يفرون من الحلول لانه يقتضى شيئين اتحد أحدهما بالآخر . وعندهم الوجود واحد . (ويقولون) ان النصارى انما كفروا لما خصصوا المسيح بانه هو الله ولو عمموا لما كفروا . وكذلك يقولون في عباد الاصنام انما أخطؤا لما اعتقدوا بعض المظاهر دون بعض فلو عبدوا الجميع لما أخطؤا عندهم . وهذا مع ما فيه من الكفر العظيم ففيه ما يلزمهم دائما من التناقض لانه يقال لهم فمن المخطى . لكنهم يقولون ان الرب هو الموصوف بجميع النقائص التي يوصف بها المخلوق ويقولون ان المخلوقات توصف بجميع الكمالات التي يوصف بها الخالق ويقولون ما قاله صاحب الفصوص فالعلي لنفسه هو الذى يكون له الكمال الذى يستوعب جميع النعوت الوجودية والنسب العدمية سواء كانت محمودة عرفا أو عقلا أو شرعا . أو مذمومة عرفا أو عقلا أو شرعا فليس ذلك الا لمسمى الله خاصة وهم مع هذا الكفر لا يندفع عنهم التناقض فانه معلوم بالحس والعقل ان هذا ليس هو ذلك وهؤلاء يقولون ما كان يقوله التلمسانى . مثبت عندنا بالكشف ما يناقض صريح العقل . ويقولون من أراد التحقيق يعنى تحقيقهم فليترك العقل والشرع . وقد قلت لمن خاطبت منهم معلوم ان كشف الانبياء أعظم وأتم من كشف غيرهم وخبرهم أصدق من خبر غيرهم . والانبياء صلوات الله عليهم يخبرون بما تعجز عقول الناس عن معرفته لا بما يعرف الناس بعقولهم انه ممتنع فيخبرون بمجازات العقول لا بمحالات العقول . ويمتنع ان يكون فى اخبار الرسول ما يناقض العقل الصريح ويمتنع ان يتعارض دليلان قطعيان سواء كانا عقليين أو سمعيين أو كان أحدهما سمعيا والآخر عقليا فكيف بمن ادعى كشفا يناقض الشرع والعقل . وهؤلاء قد لا يريدون الكذب لكن يخيل لهم أشياء تكون فى نفوسهم ويظنونها فى الخارج . وأشياء يرونها تكون موجودة فى الخارج لكن يظنونها من كرامات الصالحين . وتكون من تلبيسات الشياطين وهؤلاء الذين يقولون بالوحدة يقدمون الاولياء على الانبياء ويذكرون ان النبوة لم تنقطع كما يذكر عن ابن سبعين ونحوه . ويجعلون المراتب ثلاثة يقولون العبد يشهد أولا طاعة

ومعصية . ثم طاعة بلا معصية . ثم لا طاعة ولا معصية . والشهود الاول وهو الشهود الصحيح هو الفرق بين الطاعات والمعاصي . وأما الثاني فيريدون به شهود القدر كما ان بعض هؤلاء يقول انا كافر برب يعصى . وهذا يزعم ان المعصية مخالفة الارادة التي هي المشيئة والخلق كلهم داخلون تحت حكم المشيئة . ويقول شاعرهم *

أصبحت منفعلا لما تختاره * مني ففعلي كله طاعات

ومعلوم ان هذا خلاف ما أرسل الله به رسله وأنزل به كتبه فان المعصية التي يستحق صاحبها الذم والعقاب مخالفة أمر الله ورسوله كما قال تعالى تلك حدود الله ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك هو الفوز العظيم ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها . وسنذكر الارادة الكونية والدينية والامر الكوني والديني . وكانت هذه المسألة قد اشتبهت على طائفة من الصوفية فبينها الجنيد رحمه الله فمن اتبع الجنيد فيها كان على السداد ومن خالفه ضل فانهم تكلموا ان الامور كلها بمشيئة الله وقدرته وفي شهوده هذا التوحيد وهذا يسمونه الجمع الاول فبين لهم الجنيد انه لا بد من شهود الفرق الثاني وهو انه مع شهود كون الاشياء كلها مشتركة في مشيئته وقدرته وخلقه فيجب الفرق بين ما يأمر به ويحبه ويرضاه

وبين ما ينهى عنه ويكرهه ويسخطه ويفرق بين أوليائه وأعدائه كما قال تعالى (افنجعل المسلمين كالمجرمين ما لكم كيف تحكمون) وقال تعالى (ام نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون وقال تعالى (وما يستوى الاعمى والبصير والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء قليلا ما تتذكرون) ولهذا كان مذهب سلف الامة وأئمتها ان الله تعالى خالق كل شيء وربه ومليكه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن لا رب غيره وهو مع ذلك أمر بالطاعة ونهى عن المعصية وهو لا يحب الفساد ولا يرضي لعباده الكفر ولا يأمر بالفحشاء وان كانت واقعة بمشيئته فهو لا يحبها ولا يرضاها بل يبغضها ويذم أهلها ويعاقبهم والمرتبة الثالثة ان لا يشهد طاعة ولا معصية فانه يرى أن الوجود واحد وعندهم ان هذا هو غاية التحقيق والولاية لله وهو في الحقيقة غاية الحاد في اسماء الله تعالى وصفاته وغاية المعاداة لله فان صاحب هذا المشهد يتخذ اليهود والنصارى وسائر الكفار أولياء وقد قال الله تعالى (ومن يتوله منكم فانه منهم)

ولا يتبرأ من الشرك والاوثان فيخرج عن ملة ابراهيم الخليل وقال تعالى (قد كانت لكم أسوة حسنة فى ابراهيم) الى قوله (حتى تؤمنوا بالله وحده وقال الخليل لقومه المشركين (أفرأيتم ماتعبدون أنتم وآباؤكم الاقدمون) فانهم عدو لي الارب العالمين وقال تعالى لاتجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولوكانوا آباءهم او أبناءهم او اخوانهم اوعشيرتهم أولئك كتب فى قلوبهم الايمان وايدهم بروح منه وهؤلاء قد صنف بعضهم كتابا وقصائد على مذهبه مثل قصيدة ابن الفارض المساة بنظم السلوك ويقول فيها *

لها صلاتى بالمقام أقيمها وأشهد فيها أنها لي صلت
كلانا مصل واحد ساجد الى حقيقته بالجمع في كل سجدة
وماكان لى أصل سواى ولم تكن صلاتي لغيرى فى كل ركعة

الى أن قال

وما زلت اياى ولم تزل ولا فرق بل ذاتي لذاتى أحبت
الى رسولا كنت مني مرسلا وذاتى بآياتي على استدلت
فان دعيت كنت المجيب ولم اكن مناد أجبنا من دعانى ولبت

الى أمثال هذا الكلام ولهذا كان القائل عند الموت ينشد *

ان كان منزلتى فى الحب عندكم ما قد لقيت فقد ضيعت أيامى
أمنية ظفرت نفسى بها زمناً واليوم أحسبها أضغاث أحلامي

فانه كان يظن أنه هو الله فلما حضرت ملائكة الله لقبض روحه تبين له بطلان ما كان يظنه وهؤلاء ممن قل الله سبحانه فيهم (أفمن زين له سوء عمله فرآه حسناً) وقد قال تعالى (يسبح له ما فى السموات والارض وهو العزيز الحكيم) لجميع ما فى السموات وما فى الارض يسبح الله ثم قال تعالى (له ملك السموات والارض يحيي ويميت وهو على كل شئ قدير هو الاول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شىء عليم) وفي صحيح مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يقول فى دعائه اللهم رب السموات السبع ورب العرش العظيم ربنا ورب كل شىء خالق الحب والنوى منزل التوراة والانجيل والقرآن أعوذ بك من شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها أنت الاول فليس قبلك شىء وأنت الآخر فليس بعدك شيء وأنت الظاهر فليس فوقك شيء

وأنت الباطن فليس دونك شيء أقض عني الدين وأغنني من الفقر ثم قال تعالى (هو الذي خلق السموات والارض في ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم) فلفظ مع لاتقتضى فى لغة العرب أن يكون أحد الشيئين مختلطا بالآخر كقوله تعالى (اتقوا الله وكونوا مع الصادقين) وقوله تعالى (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم) وقوله تعالى (والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فاولئك منكم ولفظة مع جاءت فى القرآن عامة وخاصة فالعامة فى هذه الآية وفي آية المجادلة الم تر أن الله يعلم ما فى السموات وما فى الارض ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم الى قوله ان الله بكل شيء عليم فافتتح الكلام بالعلم وختمه بالعلم ولهذا قال ابن عباس والضحاك وسفيان الثورى والامام أحمد بن حنبل وغيرهم هو معهم بعلمه واما المعية الخاصة ففي قوله تعالى (ان الله مع الذين اتقو والذين هم محسنون) وقوله تعالى لموسي وهارون (انني معكما أسمع وأرى وقال تعالى عن النبي صلى الله عليه وسلم اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا يعنى النبي صلى الله عليه وسلم وابا بكر الصديق فهو مع موسى وهارون دون فرعون ومع محمد صلى الله عليه وسلم وصاحبه دون ابى جهل وغيره من أعدائه وهو مع الذين اتقوا وكانوا محسنين دون الظالمين المعتدين فلو كان معنى المعية انه بذاته فى كل مكان تناقض الخبر الخاص والخبر العام بل المعنى أنه مع هؤلاء بنصره وتأييده دون اولئك . وقوله تعالى (هو الذى في السماء اله وفى الارض اله أى هو اله من في السماء واله من فى الارض كما قال تعالى وله المثل الاعلى فى السموات والارض وكذلك قوله وهو الله فى السموات وفى الارض كما فرره أئمة العلم أنه المعبود فى السموات والارض وأجمع سلف الامة وأئمتها ان الرب تعالى بائن من مخلوقاته يوصف بما وصف نفسه وبما وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل فيوصف بصفات الكمال دون صفات النقص ويعلم أنه ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا فى شيء من صفات الكمال . قال الله تعالى (قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد) قال ابن عباس الصمد العليم الذي كمل فى علمه العظيم الذي كمل في عظمته . القدير الكامل فى قدرته . الحكيم الكامل فى حكمته السيد الكامل فى سودده وقال ابن مسعود وغيره الصمد الذي لاجوف له والاحد الذى لانظير له

فاسمه الصمد يتضمن اتصافه بصفات الكمال ونفى النقائص عنه واسمه الاحد يتضمن أنه لا مثل له ، وقد بسطنا الكلام على ذلك فى تفسير هذه السورة وكونها تعدل ثلث القرآن انتهى المقصود من نقله من كلام شيخ الاسلام قدس الله روحه *

﴿ وهذه نبذة مما يتعلق بأهل الحلول والاتحاد ﴾ وللشيخ على القاري والسعد التفتازانى والشيخ محمد البخارى والشيخ عبد الباري والعلامة عضد الملة والدين كتب مفردة فى الكلام عليهم وردهم ، ولعلنا ان شاء الله تعالى نفرد فى ذلك كتابا نذكر فيه جميع ما قاله العلماء الربانيون فيهم ونذكر بدع أهل الطرائق المبتدعة ، وما عندهم من المخالفات للشريعة *

﴿ والمقصود مما نقلناه كله ﴾ ان قول النبهانى عن أهل الحلول والاتحاد انهم أولياء الله كلام دل على جهله واتباعه لهواه وغيه ، وقد ذكر الشيخ على القارى فى الرد على النصوص من المنكرات والاوهام والغلطات ما تقشعر منها الجلود ، وقال في آخر كتابه وماسبق من المنكرات فى كلام ابن عربى لا سبيل الى صحة تأويلها فلا يستقيم اعتقاد انه من اولياء الله مع اعتقاد صدور هذه الكلمات منه الا باعتقاد أنها لم تصدر عنه او أنه رجع الى ما يعتقده أهل الاسلام فى ذلك ولم يجىء بذلك عنه خبر ولا روي عنه أثر فذمه جماعة من أعيان العلماء واكابر الاولياء لاجل كلامه المنكر *

﴿ واما قول النبهانى ﴾ عن كتب ابن تيمية أنه بسبب كلامه على القائلين بالحلول والاتحاد وغير ذلك مما يدل على البطلان والفساد قلل الله النفع بها الخ ﴿ فجوابه ﴾ ان الله تعالى لم يقلل الانتفاع بها بل لم يزل الناس يلتقطون منها درر الفوائد ويصححون بها أعمالهم والعقائد وهى كما قال الحافظ ابن القيم تشترى بالغالي من الاثمان فى كل عصر وزمان فاى عالم من العلماء انتفع الناس بكتبه كما انتفعوا بكتب شيخ الاسلام وذلك من المعلوم بين الخاص والعام ولكنّ الامر كما قيل *

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد ... وينكر الفم طعم الماء من سقم

وكتب المتأخرين من الحنابلة وغيرهم مشحونة بالنقل عن كتبه والمنقولات عنها زينة للكتب وغرة محاسنها . وقد أودع الله تعالى فيها خاصية التأثير فى القلوب فلا تجد أحدا يطالع فيها الا وفتح الله عليه أبواب العلوم . وأفاض عليه من زلال عذب منطوقها والمفهوم . الا من قسى

قلبه وكشف حجابه كما قال تعالى عن كتابه يضل به كثيراً ويهدى به كثيراً وما يضل به الا الفاسقين الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله ان يوصل ويفسدون فى الأرض أولئك هم الفاسقون *

﴿ قال النبهانى ﴾ ومن كتبه منهاج السنه فى الرد على الروافض وكتاب العقل والنقل فى الرد على المتكلمين من أهل السنة كالاشعرى والماتريدى وأصحابهما وهم معظم الامة المحمدية قال ومنهاج السنة وان كان مؤلفا فى الرد على الروافض الا أنه حشاه بالرد على أهل السنة والرد على ساداتنا الصوفية ومن يعتقد فيهم كقوله فى جواب قول الرافضي يجب في كل زمان امام معصوم بعد ان بين فساده وهل هذا الا أفسد مما يدعيه كثير من العامة فى القطب والغوث ونحو ذلك من أسماء يعظمون مسماها بما هو أعظم من مرتبة النبوة من غير تعيين لشخص معين يمكن ان ينتفع به الانتفاع المذكور فى مسمى هذه الاسماء (وكما يدعى) كثير منهم حياة الخضر مع انهم لم يستفيدوا بهذه الدعوى منفعة لافى دينهم ولا فى دنياهم وانما غاية من يدعي ذلك انه يدعي جريان بعض مايقدر الله على يدى مثل هؤلاء وهذا مع انهم لاحاجة لهم الى معرفته لم ينتفعوا بذلك لو كان حقا فكيف اذا كان مايدعونه باطلا . ومن هؤلاء من يتمثل له الجنى في صورة ويقول أنا الخضر ويكون كاذبا وكذلك الذين يذكرون رجال الغيب ورؤيتهم انما رأوا الجن وهم رجال غائبون وقد يظنون انهم انس . وهذا قد بيناه فى مواضع تطول حكايتها مما تواتر عندنا *

﴿ قال النبهانى في الاعتراض على الشيخ ﴾ وهكذا دأبه في انكار مالم يحط بعلمه وجعله فى درجة المستحيلات مع انه ثبت عند غيره من جماهير المسلمين من الاولياء العارفين والعلماء العاملين والعباد والصالحين وغيرهم ثبوتا لا يحتمل وقوع الشك في صحته . ثم انه استشهد على صحة دعواه بكلام اليافعي وابن حجر المكي ونجم الدين الاصفهانى واضرابهم من الغلاة *

﴿ أقول جوابه ﴾ من وجوه (الاول) انا تكلمنا سابقا عن جميع كتب الشيخ وذكرنا فى مدحها وتقريظها ماذكرنا وقلنا ان منهاج السنة من أجل كتب الشيخ وفيه من الفوائد الدينية ما يعز وجود نظيره فى غيره وما أحسن ما اقرظ به الاديب الفهامة الشيخ طه بن محمود رئيس التصحيح فى المطبعة الكبرى وهو *

باقوم منهاج أتى القوم أحمد ... فمالى لا أثني عليه وأحمد
امام حباه الله علما وحكمة ... وقلبا تقيا نوره يتوقد
فقام بأمر الحق في الناس صادعا ... باوضح برهان له العقل يشهد
وبدد أهواء تجمع شملها ... بها ضل قوم والضلال مبدد
أتاهم وهم شتى المذاهب مالهم ... من العقل هاد أو من الدين مرشد
أتاهم وليل الرفض والنصب حالك ... وقاعدة الطغيان فيهم توطد
أتى معشراً للغى أهدى من القطا ... ولم يبصروا طرق الرشاد فيهتدوا
أتى أمة بغض الصحابة دينهم ... وسب أبي بكر به قد تعبدوا
فانكر ماقد خالف الدين والتقى ... ومن ديننا انكار ماليس يحمد
وأفشى كتاب الله فيهم وانهم ... أباة عن الاذعان للحق شرد
وناضل عن صحب النبي وحزبه ... ومن لهم رأي وقول مسدد
فهل مثل هذا الحبر أولى بشكره ... على ماأتاه أم تراه يفند
ولكن أعداء الفضائل جمة ... وهل سادالا ذوالايادى المحسد
سأشكره دهرى عن الناس اذغدا ... عليهم جميعا لابن تيمية اليد
فلو كان تأليف الفتى مخلداً له ... لكان من المنهاج والله مخلد
ولو كان فى الدنيا جزاء لمحسن ... لكان له فيها النعيم المؤبد
فأسألك اللهم هتان رحمة ... على قبره مالاح فى الافق فرقد

فانتقاد النبهانى على هذا الكتاب . أشبه شيء بنبح الكلاب للسحاب . أبان للناس جهله وغباوته وضلاله . وعداوته للدين . وانحرافه عن سبيل المسلمين والمؤمنين *

﴿ الوجه الثانى ﴾ ان النبهانى انتقد كتاب المنهاج واعترض على مصنفه في انكاره الخضر والاقطاب والاوتاد ورجال الغيب وغيرهم مما ابتدعه المتصوفة والغلاة ترويجا لمقاصدهم وانتقاده هذا مما لاوجه له لان لرفضة لما أوجبوا اللاطف على الله ومراعاة الاصلح وان الائمة منحصرون بزعمهم فى اثنى عشر اماما وهم لايستوعبون الزمان الى قيام الساعة لزمهم القول بالمنتظر مع ان حجج الله لاتقوم بخفى مستور لايقع العالم له على خبر ولا ينتفعون به في

شيء أصلا فلا جاهل يتعلم منه ولا ضال يهتدى به ولا خائف يأمن به ولا ذليل يتعزز به فاى حجة لله قامت بمن لا يرى له شخص ولا يسمع منه كلمة ولا يعلم له مكان ولا سـيما على أصول القائلين به فان الذى دعاهم الى ذلك انهم قالوا لا بد منه فى اللطف بالمكلفين وانقطاع حجتهم عن الله فيالله العجب أى لطف حصل بهذا المعدوم لا المعصوم وأي حجة آتيتم للخلق على ربهم باصلكم الباطل فان هذا المعدوم اذا لم يكن لهم سبيل قط الى لقائه والاهتداء به فهل فى تكليف مالا يطاق أبلغ من هذا وهل فى العذر والحجة أبلغ من هذا فالذى فررتم منه وقعتم فى شر منه . وكنتم فى ذلك كما قيل *

المستجير بعمرو عند كربته * كالمستجير من الرمضاء بالنار

ولكن أبى الله الا أن يفضح من تنقص بالصحابة الاخيار . وبسادة هذه الامة الابرار . وان يرى الناس عورته ويغريه بكشفها ونعوذ بالله من الخذلان . ولقد أحسن القائل *

ما آن للسرداب ان يلد الذي * ثلثتموه بزعمكم ما آنا

فعلى عقولكم العفاء فانكم * ثلثتم العنقاء والغيلانا

ولقد بطلت حجج استودعها مثل هذا الغائب وضاعت أعظم ضياع . فهم أبطلوا حجج الله من حيث زعموا حفظها *

﴿ فلما رد الشيخ ﴾ على ابن المطهر الحلي القول بالمنتظر على أحسن وجه وأراد سد أبواب طرق مناظرتهم وحجاجهم ومعارضتهم على الخضر والاقطاب والاوتاد ونحوهم وأبطل القول بوجودهم وانه ليس من الدين في شيء . ولولا ذلك لامكن ان يقولوا ان القول بالمنتظر كالقول بالخضر والقطب والبدل والوتد وغيرهم لاسيما وحياة الخضر أطول بكثير والقائلون به اكثر فما هو جوابكم فهو جوابنا . فكان من الواجب على الشيخ بيان الحقيقة فى ذلك . واقامة الدليل على نفى وجودهم وكيف يمكن مخاصمة الروافض في المهدي المنتظر وانكاره مع القول بحياة الخضر واثبات الاقطاب ونحوهم فلا شك ان انتقاد النبهانى هنا فى غاية السقوط *

﴿ الوجه الثالث ﴾ اعتراض النبهانى على الشيخ فى تعرضه لبعض من يزعم انه من اهل السنة من الاشعرية والماتريدية وساداته الصوفية فنقول ان الشيخ تكلم على كل من ابتدع وأحدث فى الدين ماليس منه ولم يتخوف من الاسماء فمن خالف الكتاب والسنة واجماع الامة فهو ممن

اتبع غير سبيل المؤمنين فكيف لا يرد على المخالفين وكل آخذ يؤخذ منه ويرد عليه الا رسول الله صلى الله عليه وسلم كما قال ذلك امام دار الهجرة . وسنتكلم ان شاء الله تعالى على السنة وماهي ومن اهلها ليعلم ما في كلام النبهاني من الجهل والغلط *

﴿ الوجه الرابع ﴾ ان القول بوجود الخضر وحياته والاعتقاد برجال الغيب وأمثالهم ان كان من واجبات الشريعة وأركان الديانة كالايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ووجود الجن ونحو ذلك مما وردت نصوص الكتاب والسنة به فلم لم ينص عليها في القرآن ولم يرد فيها حديث صحيح فاذا سأل رب العالمين عبدا من عباده وقال له لم لم تؤمن بحياة الخضر الابدية وكذبت بالاقطاب والاوتاد والابدال ونحوهم مما قال به الصوفية . ثم أجابه بقوله يارب العالمين وياخالق السموات والارضين انك كلفت الناس ان يؤمنوا بك وان لم تدرك العيون ولم تحط بك الظنون ولكن نصبت لهم دلائل في الافاق والانفس على وجودك ماعدا ماورد من النصوص على لسان أنبيائك ورسلك واودعت في كل شيء آية تدل على انك الواحد بل كل ذرة من ذرات العوالم هي أعدل شاهد . ثم انك ملأت كتابك الكريم من ذكر الملائكة والرسل والجن وغير ذلك ومما لم نره . ثم ان نبيك صلى الله عليه وسلم وسائر الانبياء كلهم أخبروا بذلك فلذلك اعترفنا وصدقنا بما ذكر * واما الخضر ومن ذكر معه فلم نر في كتابك الكريم آية تدل على خلوده ولا وجوده ووجودهم * وأما ما رواه الكذابون عن نبيك صلى الله عليه وسلم من ذلك فقال المحققون من أهل العلم انها كذب لا اصل لها بل الوارد خلاف ذلك فكيف يا الهي أؤمن بامور موهومة واشخاص غير معلومة . وقد انعمت على بعقل أزن فيه الامور واجعله حكما عدلا ودليلا هاديا اذا اعضلت على المقاصد فاذا لم انتفع يا الهي بما انعمت على من نعمة العقل أكون اذا كالنبهاني الغبي اخبط خبط عشواء ولا أفرق بين السماء والماء *

﴿ ثم أقول الهي ﴾ مافائدة القول بوجود الخضر والاقطاب والابدال ونحوهم لا جاهل يستفيد منهم العلم بدينه ولا مظلوم يستصرخهم على دفع ظلمه . والشمس أنت تطلعها وتغيبها والفلك أنت تديره . والقمر أنت تنيره . والكواكب أنت جعلتها زينة للسماء وحفظا من كل شيطان مارد . والسحاب أنت تنشئه . والغيث أنت تغيث به عبادك . والمريض أنت تشفيه . والجائع أنت تطعمه . والعطشان أنت تسقيه . وقد أودعت كتابك كل علم وبيان كل حكم وأنزلت

اليوم اكملت لكم دينكم فالخضر وغيره حينئذ ماذا يفعلون اذا لم تكن لهم وظيفة وعمل . والله المستعان على مايصفون *

﴿ الوجه الخامس ﴾ ان النبهانى واضرابه استدلوا على وجود من ذكر بقول ابن حجر المكي ونحوه ومن المعلوم ان كلام أمثال هؤلاء لايفيد في هذا الباب شيئا وقد تقدم ان العمدة عند أهل العلم فى مسائل أصول الدين وفروعه على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم واجماع أهل العلم من هذه الامة ولا تذكر أقوال أهل العلم الا تبعا وبيانا لا انها المقصودة بالذات والاصالة . ثم المسائل التي لايلزم بها المجتهد غيره هى ماكان للاجتهاد فيه مساغ ولم تخالف كتابا ولا سنة صريحة ولا اجماعا وماخالف ذلك فهو مردود على قائله ويلزمه أهل العلم بصريح الكتاب والسنة واجماع الامة * قال امام دار الهجرة مالك بن أنس رحمه الله تعالى مامنا الا راد ومردود عليه الا صاحب هذا القبر يعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحسن منه قول الله تعالى فان تنازعتم فى شئ فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا ﴿ وقد قال النبي ﴾ صلى الله عليه وسلم لا الفين أحدكم متكئا على أريكته يأتيه الامر من أمرى فيقول بيننا وبينكم كتاب الله ألا وانى أوتيت الكتاب ومثله معه فاذا كان رد السنة محرما لايجوز ولو ردها ظانا ان القرآن لا يدل عليها فكيف رد الكتاب والسنة وعدم الالزام بهما لخلاف أحد من الناس كائنا من كان . والمقصود ان النبهانى واضرابه لم يوردوا على اثبات مقصدهم بدليل يليق ان يتلقى بالقبول . وابن حجر المكي ونحوه من الغلاة هم خصوم الحق وأعداؤه فكيف يسوغ ان نستدل بكلامهم على مالا يقول به أهل الحق *

﴿ الوجه السادس ﴾ ان ماذكره الشيخ لم يذكره الخصم بتمامه بل حرف فيه وغير وحذف منه مايجب ذكره . ونحن ننقل هنا ما وجدناه من كلامه فى مواضع متفرقة واذا جمعت في موضع واحد وتبين دليلها سلم المنصف كلامه وسقط عنده قول من أنكر عليه من الغلاة السالكين غير سبيل المؤمنين . ومن الله التوفيق *

(قال شيخ الاسلام) رحمه الله في اثناء جواب سؤال سأله بعضهم عن الاستغاثة باهل القبور والنذر لهم ونحو ذلك ﴿ وأما سؤال السائل ﴾ عن القطب الغوث الفرد الجامع *

﴿ فهذا ﴾ قد يقوله طوائف من الناس ويفسرونه بامور باطلة فى دين الاسلام مثل تفسير بعضهم

ان الغوث الذى يكون مدد الخلائق بواسطته فى نصرهم ورزقهم حتى قد يقولون ان مدد الملائكة وحيتان البحر بواسطته . فهذا من جنس قول النصارى فى المسيح والغالية فى على عليه السلام . وهذا كفر صريح يستتاب صاحبه فان تاب والا قتل فانه ليس من المخلوقات لا ملك ولا بشر يكون أمداد الخلائق بواسطته ولهذا كان مايقوله الفلاسفة في العقول العشرة التي قد يزعمون انها الملائكة . وما يقول النصارى فى المسيح . ونحو ذلك كفر صريح باتفاق المسلمين وكذلك ان عنى بالغوث مايقول بعضهم ان فى الارض ثلاثمائة وبضعة عشر رجلا . وقد يسميهم النجباء فيبقى منهم سبعون هم النقباء . ومنهم أربعون هم الابدال . ومنهم سبعة هم الاقطاب . ومنهم أربعة هم الاوتاد . ومنهم واحد هو الغوث وانه مقيم بمكة . وان أهل الارض اذا نابتهم نائبة في رزقهم ونصرهم فزعوا للثلاثمائة والبضع عشر رجلا وأولئك يفزعون الى السبعين . والسبعون الى الاربعين . والاربعون الى السبعة والسبعة الى الاربعة والاربعة الى الواحد *

(وبعضهم) قد يزيد فى هذا وينقص فى الاعداد والاسماء والمراتب . فان لهم فيها مقالات متعددة حتى يقول بعضهم انه ينزل من السماء على الكعبة ورقة خضراء باسم غوث الوقت واسم مصره على قول من يقول ان الخضر هو مرتبة وان لكل زمان خضرا فان لهم فى ذلك قولين *

﴿ وهذا كله ﴾ باطل لا أصل له لا فى كتاب الله ولا سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا قال أحد من سلف الامة ولا ائمتها ولا من الشيوخ الكبار المتقدمين الذين يصلحون للاقتداء بهم ومعلوم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر وعثمان وعليا كانوا خير الخلق فى زمنهم وكانوا بالمدينة ولم يكونوا بمكة . وقد روى بعضهم حديثا فى هلال غلام المغيرة ابن شعبة وانه أحد السبعين . والحديث كذب باتفاق أهل المعرفة . وان كان قد روى بعض هذه الاحاديث أبو نعيم في حلية الاولياء . (والشيخ) أبو عبد الرحمن السلمى فى بعض مصنفاته فلا تغتر بذلك فانه يروي الصحيح والحسن والضعيف والموضوع والكذب ولا خلاف بين العلماء فى انه كذب موضوع . وتارة يروونه على عادة أهل الحديث الذين يروون ماسمعوه ولا يميزون بين صحيحه من باطله . وكان أهل الحديث لا يروون مثل هذه الاحاديث لما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من حدث عنى بحديث هو يرى انه كذب فهو أحد الكذابين *

﴿ وبالجملة ﴾ فقد علم المسلمون كلهم ان ما ينزل بالمسلمين من النوازل الرغبة والرهبة مثل

دعائهم عند الـكسوف والاعتداء لدفع البلاء وأمثال ذلك انما يدعون فى مثل ذلك الله وحده لا يشركون به شيئا لم يكن للمسلمين ان يرجعوا بحوائجهم الى غـير الله بل كان المشركون في جاهليتهم يدعونه بلا واسطة فيجيبهم الله . افتراه بعد التوحيد والاسلام لا يجيب دعائهم الا بهذه الواسطة التى ما أنزل الله بها من سلطان قال تعالى واذا مس الانسان الضر دعانا لجنبه الآية . وقال واذا مسكم الضر فى البحر ضل من تدعون الا اياه الآية . وقال تعالى قل أرأيتكم ان أتاكم عذاب الله الآية . وقال تعالى ولقد أرسلنا الى أمم من قبلك الى قوله ما كانوا يعملون والنبي صلى الله عليه وسلم استسقى لاصحابه بصلاة الاستسقاء وبغير صلاة . وصلاتهم الاستسقاء صلاة الـكسوف وكان يقنت فى صلاته فيستنصر على المشركين كذلك خلفاؤه الراشدون بعده وكذلك أئمة الدين . ومشائخ المسلمين ما زالوا على هذه الطريقة ولهـذا ثلاثة أشياء مالها من أصل . باب النصارى ومنتظر الرافضة وغوث الجهال . فان النصارى تدعى فى الباب الذي لهم ما هو من هذا الجنس وانه الذى يقيم العالم . فذاك شخصه موجود لـكن دعوى النصارى فيه باطلة . وأما محمد بن الحسن المنتظر والغوث المقيم بمكة ونحو هذا فانه باطل ليس له أصل في الوجود ولا وجود . وكذلك ما يزعمه بعضهم من القطب الغوث الجامع بمد أولياء الله ويعرفهم كلهم ونحو هذا . فهذا باطل فأبو بكر وعمر رضي الله عنهما لم يكونا يعرفان جميع أولياء الله وعددهم . فكيف هؤلاء الضالين المفترين الـكذابين ورسول الله صلى الله عليه وسلم سيد ولد آدم . انما عرف الذين لم يكن يراهم بسيما الوضوء وهو الغرة والتحجيل . ومن هؤلاء من أولياء الله مالا يحصيه الا الله . وأنبياء الله الذين اماءهم وخطيبهم لم يكن يعرف أكثرهم بل قال الله تعالى له . ولقد أرسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك . وموسى لم يكن يعرف الخضر . والخضر لم يكن يعرف موسى . بل لما سلم عليه موسي قال له الخضر وانى بارضك السـلام فقال له . انا موسى قال موسى بنى اسرائيل . قال نعم . فكان قد بلغه اسمه وخبره ولم يكن يعرف عينه . ومن قال انه نقيب الاولياء وانه يعلمهم كلهم فقد قال الباطل *

* والصواب الذى عليه المحققون * انه ميت وانه لم يدرك الاسلام ولو كان موجودا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم لوجب عليه ان يؤمن به ويجاهد معه كما أوجب الله ذلك عليه وعلى غيره

ولكان يكون بمكة والمدينة . وكان يكون حضوره مع الصحابة رضى الله عنهم للجهاد معهم واعانتهم على الدين أولى له من حضوره عند قوم كفار ليرقع لهم سفينتهم ولم يكن عن خير أمة أخرجت للناس مختفيا . وهو قد كان بين المشركين ولم يحتجب عنهم *

ثم ليس للمسلمين به وبامثاله حاجة لافى دينهم ولا دنياهم فان دينهم أخذوه عن الرسول صلى الله عليه وسلم النبي الامي الذى علمهم الكتاب والحكمة وقال لهم نبيهم صلى الله عليه وسلم لو كان موسى حيا ثم اتبعتموه وتركتموني لضللتم وعيسى بن مريم اذا نزل من السماء انما يحكم فيهم بكتاب ربهم وسنة نبيهم فاى حاجة لهم مع هذا الى الخضر اوغيره والنبي صلى الله عليه وسلم قد أخبرهم بنزول عيسى من السماء وحضوره مع المسلمين وقال كيف تهلك أمة أنا فى أولها وعيسى فى آخرها فاذا كان هذان النبيان الكريمان اللذان هما مع ابراهيم وموسى ونوح أفضل الرسل ومحمد صلى الله عليه وسلم سيد ولد آدم ولم يحتجبوا عن هذه الامة لاعوامهم ولا خواصهم فكيف يحتجب عنهم من ليس مثلهم واذا كان الخضر حيا دائما فكيف لم يذكر النبي صلى الله عليه وسلم ذلك قط ولا أخبر به أمته ولا خلفاءه الراشدين وقول القائل أنه نقيب الاولياء . فيقال من ولاه النقابة وأفضل الاولياء أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وليس فيهم الخضر . وعامة ما يحكى فى هذا الباب من حكايات بعضها كذب وبعضها مبنى على ظن رجال مثل شخص رأى رجلا ظن أنه الخضر أو قال انه خضر كما أن الرافضة ترى شخصا تظن أنه الامام المنتظر المعصوم او تدعى ذلك . وروى عن الامام أحمد أنه قال وقد ذكر له الخضر . من أحالك على غائب فما انصفك وما القى هذا على السن الناس الا شيطان . وقد بسطنا الكلام على هذا فى غير هذا الموضع *

﴿ اما اذا قصد ﴾ القائل بقوله القطب الغوث الفرد الجامع أنه رجل يكون أفضل أهل زمانه فهذا ممكن لكن من الممكن ان يكون فى الزمان اثنان متساويان فى الفضل وثلاثة واربعة ولا يجزم بان لا يكون فى كل زمان أفضل الناس الا واحدا . وقد يكون جماعة بعضهم افضل من بعض من وجوه وتلك الوجوه اما متقاربة اومتساوية . ثم اذا كان فى الزمان رجل هو أفضل أهل الزمان فتسميته الغوث الفرد الجامع بدعة ما انزل الله بها من سلطان ولا تكلم بها احد من سلف الامة وأئمتها وما زال السلف يظنون في بعض أنه أفضل او من افضل أهل زمانه

ولا يطلقون عليه هذه الاسماء التي ما انزل الله بها من سلطان لا سيما من المنتحلين لهذا الاسم من يدعي ان اول هؤلاء الاقطاب هو الحسن بن على بن أبي طالب عليهما السلام ثم يتسلسل الامر الى مادونه الى بعض المشايخ المتأخرين وهذا لا على مذهب السنة ولا على مذهب الرافضة فاين ابو بكر وعمر وعثمان وعلى والسابقون من المهاجرين الانصار والحسن عند وفاة النبي صلى الله عليه وسلم قد كان قارب سنه الاحتلام وقد حكي عن بعض الاكابر من الشيوخ المنتحلين لهذا الاسم ان القطب الفرد الغوث الجامع ينطبق علمه على علم الله وقدرته على قدرة الله فيعلم ما يعلمه ويقدر على ما يقدر عليه الله وزعم ان النبي صلى الله عليه وسلم كان كذلك وان هذا انتقل منه الى الحسن فيتسلسل الى شيخه فبينت له ان هذا كفر صريح . وجهل قبيح . وان دعوى هذا فى رسول الله صلى الله عليه وسلم كفر دع من سواه وقد قال تعالى (قل لا اقول لكم عندى خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا اقول انى ملك) وقال تعالى (قل لا أملك لنفسى ضرا ولا نفعاً الا ما شاء الله) الآية وقال تعالى (يقولون لو كان لنا من الامر شئ ما قتلنا ههنا قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم) وقال تعالى (قل ان الامر كله لله) وقال تعالى (ليقطع طرفا من الذين كفروا او يكبتهم فينقلبوا خائبين) والآية بعدها وقال تعالى (انك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء) والله تعالى قد أمرنا ان نطيع رسوله وقد قال تعالى (من يطع الرسول فقد أطاع الله) وأمرنا أن نتبعه قال تعالى (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله) وأمرنا ان نعزره ونوقره وننصره وجعل له من الحقوق ما بينه في كتابه وسنة رسوله حتى أوجب علينا أن يكون أحب الينا من أنفسنا واهلنا فقال تعالى (النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم) وقال تعالي (قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم الى قوله الفاسقين وقال صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده لا يؤمن احدكم حتى أكون احب اليه من ولده ووالده والناس اجمعين وقال له عمر رضى الله عنه يا رسول الله والله لأنت احب الي من كل شيء الا من نفسى فقال يا عمر حتى أكون احب اليك من نفسك فقال فانت احب الى من نفسى قال الآن يا عمر وقال ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان من كان الله ورسوله احب اليه مما سواهما ومن كان يحب المرء لا يحبه الا لله ومن كان يكره أن يرجع فى الكفر بعد اذ أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف فى النار وقد بين في كتابه الحقوق التى لا تصلح

الاله وحقوق رسول الله صلى الله عليه وسلم وحقوق المؤمنين بعضهم على بعض كما قد بسطنا ذلك في غير هذا الموضع *

وذلك مثل قوله تعالى ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فأولئك هم الفائزون فالطاعة لله والرسول والخشية لله فالتقوى لله وحده . وقوله تعالى (ولو أنهم رضوا ماآتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا سيؤتينا الله من فضله ورسوله انا الى الله راغبون) فالايتاء لله وللرسول كقوله وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا الا ان الحلال ماحلله الله ورسوله والحرام ماحرمه الله ورسوله . واما التحسب فهو لله وحده كما قالوا حسبنا الله ولم يقولوا حسبنا الله ورسوله . قال تعالى يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين . أى يكفيك ويكفى من اتبعك من المؤمنين . وهذا هو المقطوع به فى معنى هذه الآية . ولهذا كانت كلمة ابرهيم ومحمد عليهما الصلاة والسلام حسبنا الله ونعم الوكيل *

﴿ الوجه السابع ﴾ في بيان حجج المنكرين لحياته ﴿ أعنى الخضر ﴾ اليوم . ودلائل خصومهم وبيان الحق الحقيق بالقبول من القولين * اعلم ان العلماء اختلفوا فى حياته اليوم كما اختلفوا فى نبوته فذهب جمع الى انه ليس بحي اليوم وسئل البخاري عنه وعن الياس عليهما السلام هل هما حيان فقال كيف يكون هذا . وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم . أى قبل وفاته بقليل لا يبقى على رأس المائة ممن هو اليوم على ظهر الارض أحد . والذى في صحيح مسلم عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل موته ما من نفس منفوسة يأتى عليها مائة سنة وهى يومئذ حية وهذا أبعد عن التأويل . وسئل عن ذلك غيره من الائمة فقرأ وماجعلنا لبشر من قبلك الخلد . وسئل عنه شيخ الاسلام ابن تيمية فقال لو كان الخضر حيا لوجب عليه ان يأتى الى النبي صلى الله عليه وسلم ويجاهد بين يديه ويتعلم منه . وقد قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يوم بدر اللهم ان تهلك هذه العصابة لا تعبد فى الارض فكانوا ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا معروفين باسمائهم وأسماء آبائهم وقبائلهم فاين كان الخضر حينئذ *

وسئل ابراهيم الحربى عن بقائه . فقال من أحال على غائب لم ينتصف منه . وما القى هذا بين الناس الا الشيطان . ونقل فى البحر عن شرف الدين أبي عبد الله محمد بن أبى الفضل المرسى القول بموته أيضا . ونقله ابن الجوزى عن على بن موسى الرضا رضى الله تعالى عنهما أيضا . وكذا

عن ابرهيم بن اسحق الحربى . وقال أيضا كان أبو الحسين بن المنادي يقبح قول من يقول انه حيّ . وحكى القاضى أبو يعلى موته عن بعض أصحاب محمد . وكيف يعقل وجود الخضر ولا يصلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الجمعة والجماعة . ولا يشهد معه الجهاد مع قوله عليه الصلاة والسلام والذى نفسي بيده لو كان موسى حيا ما وسعه الا ان يتبعني . وقوله عزوجل واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم اصرى قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين وثبوت ان عيسى عليه السلام اذا نزل الى الارض يصلى خلف امام هذه الامة ولا يتقدم عليه فى مبدأ الامر . وما أبعد فهم من يثبت وجود الخضر وينسى ما فى طى اثباته من الاعراض عن هذه الشريعة . ثم قال وعندنا من المعقول وجوه على عدم حياته *

﴿ أحدها ﴾ ان الذى قال بحياته قال انه ابن آدم عليه السلام لصلبه . وهذا فاسد لوجهين (الاول) انه يلزم ان يكون عمره اليوم ستة آلاف سنة أو أكثر . ومثل هذا بعيد فى العادات فى حق البشر . (والثانى) انه لو كان ولده لصلبه أو الرابع من أولاده كما زعموا انه وزير ذى القرنين لكان مهول الخلقة مفرط الطول والعرض ففى الصحيحين من حديث أبى هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال خلق آدم طوله ستون ذراعا فلم يزل الخلق ينقص بعده . وما ذكر أحد ممن يزعم رؤية الخضر انه رآه على خلقة عظيمة وهو من أقدم الناس *

﴿ والوجه الثانى ﴾ انه لو كان الخضر قبل نوح عليه السلام لركب معه فى السفينة ولم ينقل هذا أحد *

﴿ الثالث ﴾ ان العلماء اتفقوا على ان نوحا عليه السلام لما خرج من السفينة مات من معه ولم يبق غير نسله ودليل ذلك قوله سبحانه وجعلنا ذريته هم الباقين *

﴿ الرابع ﴾ انه لو صح بقاء بشر من لدن آدم الى قرب خراب الدنيا لكان ذلك من أعظم الآيات والعجائب وكان خبره فى القرآن مذكورا فى مواضع لانه من آيات الربوبية . وقد ذكر سبحانه عز وجل من استحياه الف سنة الا خمسين عاما وجعله آية . فكيف لا يذكر جل وعلا من استحياه أضعاف ذلك *

﴿ الخامس ﴾ ان القول بحيوة الخضر قول على الله تعالى بغير علم وهو حرام بنص القرآن . أما

المقدمة الثانية فظاهرة . وأما الاولى فلان حياته لو كانت ثابتة لدل عليها القرآن أو السنة أو اجماع الامة . فهذا كتاب الله تعالى فاين فيه حياة الخضر . وهذه سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاين مايدل على ذلك بوجه . وهؤلاء علماء الامة فمتى اجمعوا على حياته *

﴿ السادس ﴾ ان غاية مايتمسك به فى حياته حكايات منقولة يخبر الرجل بها انه رأى الخضر فيالله تعالى العجب . هل للخضر علامة يعرفه بها من رآه . وكثير من زاعمى رؤيته يغتر بقوله أنا الخضر ومعلوم انه لا يجوز تصديق قائل ذلك بلا برهان من الله تعالى فمن أين للرائي ان المخبر له صادق لا يكذب *

﴿ السابع ﴾ ان الخضر فارق موسي بن عمران كليم الرحمن ولم يصاحبه . وقال هذا فراق بينى وبينك فكيف يرضى لنفسه بمفارقة مثل موسى عليه السلام ثم يجتمع بجهلة العباد الخارجين عن الشريعة الذين لايحضرون جمعة ولا جماعة ولا مجلس علم . وكل منهم يقول قال لى الخضر جاءنى الخضر أوصاني الخضر . فياعجبا له يفارق الكليم . ويدور على صحبة جاهل لا يصحبه الا شيطان رجيم سبحانك هذا بهتان عظيم *

﴿ الثامن ﴾ ان الامة مجمعة على ان الذى يقول أنا الخضر لو قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كذا وكذا لم يلتفت الى قوله ولم يحتج به فى الدين ولا مخلص للقائل بحياته عن ذلك الا ان يقول انه لم يأت الى الرسول عليه الصلاة والسلام ولا بايعه . أو يقول انه لم يرسل اليه وفى هذا من الكفر مافيه *

﴿ التاسع ﴾ انه لو كان حيا لكان جهاده الكفار ورباطه فى سبيل الله تعالى ومقامه في الصف ساعة وحضوره الجمة والجماعة وارشاد جهلة الامة أفضل بكثير من سياحته بين الوحوش فى القفار والفلوات الى غير ذلك . وسيأتى ان شاء الله تعالى ماله وما عليه *

﴿ وشاع الاستدلال ﴾ بخبر لو كان الخضر حيا لزارنى وهو كما قال الحفاظ خبر موضوع لا اصل له ولو صح لاغنى عن القيل والقال . ولا نقطع به الخصام والجدال *

﴿ الذاهبون الى حياته ﴾

ومن الناس من قال بحياته وهو موجود بين أظهرنا وذلك متفق عليه عند الصوفية على ماقاله النووي . ونقل عن الثعلبي المفسر ان الخضر بنى معمر على جميع الاقوال محجوب عن أبصار

ا كثر الرجال . وقال ابن الصلاح هو حى اليوم . وانما ذهب الى انكار حياته بعض المحدثين واستدلوا على ذلك باخبار كثيرة منها مايروى عن ابن عباس انه قال الخضر ابن آدم لصلبه ونشئ له فى أجله حتى يكذب الدجال ..ومثله لايقال من قبل الرأى

ومنها ماأخرجه ابن عساكر عن ابن اسحق قال حدثنا أصحابنا ان آدم عليه السلام لما حضره الموت جمع بنيه فقال يابنى ان الله تعالى منزل على أهل الارض عذابا فليكن جسدى معكم في المغارة حتى اذا هبطتم فابعثوا بى وادفنونى بارض الشام فكان جسده معهم فلما بعث الله تعالى نوحا ضم ذلك الجسد وأرسل الله تعالى الطوفان على الارض فغرقت زمانا فجاء نوح حتى نزل بابل وأوصى بنيه الثلاثة ان يذهبوا بجسده الى المغار الذى أمرهم ان يدفنوه به فقالوا الارض وحشة لاأنيس بها ولا نهتدى الطريق ولكن كف حتى يامن الناس ويكثروا فقال لهم نوح ان آدم قد دعا الله تعالى ان يطيل عمر الذى يدفنه الى يوم القيامة فلم يزل جسد آدم حتى كان الخضر هو الذى تولى دفنه فانجز الله تعالى له ماوعده فهو يحيا الى ماشاء الله تعالى له ان يحيا وفى هذا سبب طول بقائه وكانه سبب بعيد والا فالمشهور فيه انه شرب من عين الحياة حين دخل الظلمة مع ذى القرنين وكان على مقدمته * ومنها ماأخرجه الخطيب وابن عساكر عن على رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما توفى وأخذنا فى جهازه خرج الناس وخلا الموضع فلما وضعته على المغتسل اذا بهاتف يهتف من زاوية البيت باعلى صوته لاتغسلوا محمداً فانه طاهر مطهر فوقع فى قلبي شئ من ذلك وقلت وتلك من أنت فان النبي صلى الله عليه وسلم بهذا أمرنا وهذه سنته واذا بهاتف آخر يهتف بى من زاوية البيت باعلى صوته غسلوا محمداً فان الهاتف الاول كان ابليس الملعون حسد محمدا صلى الله عليه وسلم ان يدخل قبره مغسلولا فقلت جزاك الله تعالى خيرا قد أخبرتني بأن ذلك ابليس فمن أنت قال أنا الخضر حضرت جنازة محمد صلى الله عليه وسلم وعن على كرم الله وجهه قال بينا انا اطوف بالبيت اذا رجل متعلق باستار الكعبة يقول يامن لايشغله سمع عن سمع ويامن لاتغلطه المسائل ويامن لايتبرم بالحاح الملحين اذقنى برد عفوك وحلاوة رحمتك قلت ياعبد الله اعد الكلام قال اسمعته قلت نعم قال والذى نفس الخضر بيده وكان هو الخضر لايقولهن عبد دبر الصلاة المكتوبة الا غفرت ذنوبه وان كانت مثل رمل عالج وعدد المطر وورق الشجر *

ومنها ماخرجه الحاكم فى المستدرك عن جابر قال لما توفى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم واجتمع الصحابة دخل رجل اشهب اللحية جسيم صبيح فتخطى رقابهم فبكى ثم التفت الى الصحابة فقال ان في الله تعالى عزاء من كل مصيبة وعوضا من كل فائت وخلفامن كل هالك قال الله تعالى فانيبوا واليه تعالى فارغبوا ونظره سبحانه اليكم فى البلاء. فانظروا فانما المصاب من لم يجبر. فقال ابو بكر وعلى رضى الله تعالى عنهما هذا الخضر عليه السلام الى غير ذلك مما لم يدل على حياته اليوم بل يدل على انه كان حيا في زمنه صلى الله تعالى عليه وسلم ولا يلزم من حياته اذ ذاك حياته اليوم والنافون اجابوا عن هذه الاحاديث وقالوا ان الاخبار التي ذكر فيها الخضر عليه السلام وحياته كلها كذب ولا يصح في حياته حديث واحد ومن ادعى الصحة فعليه البيان *

ثم ان المشايخ لم يتفقوا على القول بحياته فقد نقل الشيخ صدر الدين اسحق القونوى فى كتابه تبصرة المبتدى وتذكرة المنتهى ان وجود الخضر عليه السلام فى عالم المثال. وذهب عبد الرزاق الكاشى الى ان الخضر عبارة عن البسط والياس عن القبض . وذهب بعضهم الى ان الخضرية رتبة يتولاها بعض الصالحين على قدم الخضر الذي كان فى زمن موسى عليهما السلام الى غير ذلك من الاقوال المذكورة فى روح المعانى . وفيه ايضا ثم اعلم بعد كل حساب ان الاخبار الصحيحة النبوية والمقدمات الراجحة العقلية تساعد القائلين بوفاته اي مساعدة . وتعاضدهم على دعواهم اى معاضدة. ولا مقتضى للعدول عن تلك الاخبار الا مراعاة ظواهر الحكايات المروية والله اعلم بصحتها عن بعض الصالحين الاخيار . هذا ملخص مافى تفسير روح المعانى مما يرغم انف النبهانى . فتمسك بما قاله ائمة المحدثين . فهم اعلم الناس بشريعة سيد المرسلين صلى الله عليه وعلى آله وصحبه اجمعين *

﴿ الوجه الثامن ﴾ من الوجوه الدالة على فساد قول النبهاني ان ماتقله عن ابن حجر المكي وما وقع له مع شيخه وابى يحيي زكريا الانصارى قال الشيخ ابن حجر وكان منكرا للاقطاب والابدال هكذا ياشيخ محمد وكرر ذلك عليه حتى قال له الشيخ محمد يامولانا شيخ الاسلام آمنت بذلك وصدقت به وقد تبت فقال هذا هو الظن بك الخ لايقوم حجة على المنكرين اذ مدار الاستدلال على الكتاب والسنه لا بمثل قول ابي يحيي للشيخ محمد عند انكاره هكذا ياشيخ محمد مكررا ذلك

ومثل هذه الخرافات يأنف عن نقلها ارباب العقول السليمة فى روح المعاني عند الكلام على قوله تعالى ولقد اخذنا ميثاق بنى اسرائيل وبعثنامنهم اثنى عشر نقيبا بعد نقل عبارة الفتوحات فى النقباء من انواع الاولياء قال وقد عد الشيخ انواعا كثيرة والسلفيون ينكرون اكثر تلك الاسماء ففى بعض فتاوى ابن تيمية * وأما الاسماء الدائرة على السنة كثير من النساك والعامة مثل الغوث الذي بمكة والاوتاد الاربعة والاقطاب السبعة والابدال الاربعين والنجباء الثلاثمائة فهى ليست موجودة فى كتاب الله تعالى ولا هى مأثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم لا باسناد صحيح ولا ضعيف محتمل الا لفظ الابدال فقد روى فيهم حديث شامي منقطع الاسناد عن على كرم الله وجهه مرفوعا الى النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان فيهم يعنى أهل الابدال أربعين رجلا كلما مات رجل أبدل الله تعالى مكانه رجلا ولا توجد أيضا في كلام السلف انتهي غير انى رأيت فى موضع آخر من روح المعانى عند الكلام على قوله تعالى (ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة) مانصه . ولهم فى تعريفه عبارات شتى تقدم بعضها . وفى الفتوحات هو الذى تولاه الله تعالى فى مقام مجاهدته الاعداء الاربعة الهوى والنفس والشيطان والدنيا وفيها تقسيم الاولياء الى عدة أقسام . منها الاقطاب والاوتاد والابدال والنقباء والنجباء وقد ورد ذلك مرفوعا وموقوفا من حديث عمر بن الخطاب وعلى بن أبي طالب وأنس وحذيفة بن اليمان وعبادة بن الصامت وابن عباس وعبد الله بن عمر وابن مسعود وعوف بن مالك ومعاذ بن جبل وواثلة بن الاسقع وأبى سعيد الخدرى وأبى هريرة وأبى الدرداء وام سلمة . ومن مرسل الحسن وعطاء وبكر بن خنيس ومن الآثار عن التابعين ومن بعدهم مالا يحصى وقد ذكر ذلك الجلال السيوطي فى رسالة مستقلة له وشيد أركانه وأنكره كما قدمنا بعضهم والحق مع المثبتين وأنا والحمد لله تعالى منهم وان كنت لم أشيد قبل أركان ذلك والائمة والحواريون والرجبيون والختم والملامية والفقراء وسقيط الرفرف بن ساقط العرش والامناء والمحدثون الى غير ذلك . وفى موضع آخر من تفسير روح المعانى عند تفسير قوله تعالى (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) قال بعد كلام طويل ان الآية متضمنة الوعد منه عز وجل لاهل بيت نبيه صلى الله عليه وسلم بانهم ان ينتهوا عما ينهون عنه ويأتمروا بما يأمرهم به

يذهب عنهم لامحالة مبادئ ما يستهجن ويحليهم أجل تحلية بما يستحسن وفيه ايماء الى قبول أعمالهم . وترتب الآثار الجميلة عليها قطعا ويكون هذا خصوصية لهم ومزية على من عداهم من حيث ان أولئك الاغيار اذا انتهوا وائتمروا لايقطع لهم بحصول ذلك ولذا تجد عباد أهل البيت اتم حالا من سائر العباد المشاركين لهم في العبادة الظاهرة وأحسن أخلاقا وازكى نفسا واليهم تنتهي سلاسل الطرائق التى مبناها كما لا يخفى على سالكيها التخلية والتحلية اللتان هما جناحان للطيران الى حضائر القدس والوقوف على اركان الانس حتى ذهب قوم الى أن القطب فى كل عصر لا يكون الا منهم خلافا للاستاذ أبى العباس المرسى حيث ذهب كما نقل عنه تلميذه التاج بن عطاء الله الى أنه قد يكون من غيرهم . قال ورأيت فى مكتوبات الامام الفاروقي الرباني مجدد الالف الثانى ما حاصله ان القطبية لم تكن على سبيل الاصالة الا لائمة أهل البيت المشهورين ثم أنها صارت بعدهم لغيرهم على سبيل النيابة عنهم حتى انتهت النوبة الى السيد الشيخ عبد القادر الكيلاني فنال مرتبة القطبية على سبيل الاصالة فلما عرج بروحه القدسية الى أعلى عليين نال من نال بعده تلك الرتبة على سبيل النيابة عنه فاذا جاء المهدي ينالها اصالة كما نالها غيره من الائمة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين انتهى . ثم قال بعد ذلك واقول ان السيد الشيخ عبد القادر قد نال ما نال من القطبية بواسطة جده عليه الصلاة والسلام على اتم وجه واكمل حال فقد كان رضى الله تعالى عنه من أجلة أهل البيت حسنيا من جهة الاب حسينيا من جهة الام لم يصبه نقص لوان وعسى وليت ولا ينكر ذلك الا زنديق او رافض ينكر صحبة الصديق انتهت روح المعانى وأنت تعلم مما اسلفناه اليك ان هذا الكلام ساقط عن الاعتبار عند المحققين من الحفاظ وأئمة المحدثين اذ ليس لهم على ذلك دليل يعتمد عليه لا من الكتاب ولا من السنة النبوية الصحيحة ولا تنظر الى من قال وانظر الى ما قال وقد تحصل من جميع ما ذكرناه ان ماذهب اليه شيخ الاسلام هو الحق الذى اقتضاه الكتاب والسنة وما يخالفه ساقط لا يلتفت اليه والله ولى التوفيق *

﴿ قال النبهانى ﴾ وها انا ارجع الى الكلام على منهاج السنة للامام ابن تيمية فاقول لما كان كثير من طلبة العلم فى هذا الزمان فضلا عن العوام غير ماهرين فى علم الكلام ومعرفة ما يخالف او يوافق العقيدة الصحيحة من المباحث الدقيقة التى لا يهتدى لمعرفتها والتفريق بين

الحق والباطل منها الاكابر علماء الاسلام الذين قضوا زمنا طويلا من أعمارهم فى مباحث علم الـكلام كان من الواجب على علماء أهل السنة والجماعة من الاشعرية والماتريدية وهم أهـل المذاهب الثلاثة وبعض الحنابلة أيضا أن يحذروا العوام وضعاف الطلبة من مطالعة هذين الـكتابين لـكثرة ما فيهما من خلط الحق بالباطل والرد على أهل السنة والجماعة بحجج مزخرفات ربما لا يهتدى لدفعها القاصرون من طلبة العلم فضلا عن العوام قال وقد تقدم في كلام الامام السبكى أنه رد على كتابه العقل والنقل فرده هو لا شك من الجهات التى خالف بها أهل السنة ورد عليهم مثل الامام الاشعرى وغيره *

﴿ ثم انه نقل عن الزبيدي ﴾ ما يؤيد قوله من ان أهل السنة هم الاشاعرة ونحوهم وعن التاج السبكى ووالده مثل ذلك وانه لا فرق بين الاشاعرة وبين الماتريدية الا فى مسائل . ثم أنه نقل أيضا عن الزبيدى أيضا ان للسبكى شرحا على قصيدة ابن زفيل الحنبلى التى رد فيها على الاشاعرة واضرابهم . وهى التى يقول فيها *

ان كنت كاذبة الذى حدثتنى * فمليك اثم الـكاذب الفتان
جهم بن صفوان وشيعته الالى * جحدوا صفات الخالق الديان
بل عطلوا منه السموات العلى * والعرش أخلوه من الرحمن
والعبد عنـدهم فليس بفاعل * بل فعله كتحرك الرجفان

اعلم ان هذه الابيات من نونية ابن القيم رحمه الله تعالى وهي المسماة بالـكافية الشافية ولم نسمع ان أحد اسماه ابن زفيل وكلامه يوهم أنه شخص آخر وهكذا شأن الغلاة ديدنهم ودينهـم تحريف الـكلم عن مواضعه والسبكى ليس من رجال هذه المنظومة حتى يكتب عليها شيأ ومن ادعى غير ما ذكرناه فعليه البيان حتى نتكلم عليه بما يجب . ثم نقل من شرح السبكى على هذه الابيات ذم علم الـكلام وذم الشيخ ابن تيمية وأصحابه بسبب قولهم فى المسائل المختارة للشيخ وما افتراه عليهم خصومهم وبعـد ان فرغ من عبارة السبكي التى نقلها الزبيدي . قال النبهانى اذا علمت ذلك أيها المسلم الشافعى او الحنفى او المالـكى او الحنبـلى الصالح الموفق تعلم أنه يجب عليك الحذر التام من كتب الامام ابن تيمية وجماعته المتعلقة بالعقائد لئلا تهوى في مهواة الضلال ولا ينفعك الندم بعد ذلك بحال من الاحوال واياك ان تغتر بكلام السيد نعمان

أفندى الآلوسى البغدادى في كتابه جلاء العينين وتظن انه حنفى من أهل السنة والجماعة فهو بهذ الكتاب قد خرج عن حنفيته وسنيته وصار من جماعة ابن تيمية ناصرا لمذهبه مذهب الوهابية عفا الله عنه وعنهم أجمعين فانهم بلا شك من جملة المسلمين وان كانوا فيما خالفوا أهل السنة مبتدعين . وهم انما يغرون أهل الاسلام من ضعاف الطلبة والعوام بقولهم أنهم على مذهب السلف ثم نقل بعض العبارات عن كتاب المنهاج زعم ان فيها اثبات الجهة الى آخر هذيانه . (وحاصل كلامه) الطويل . السخيف العليل . أنه حذر طلبة العلم من مطالعة كتب ابن تيمية ولا سيما كتاب العقل والنقل والمنهاج ومن كتاب جلاء العينين فان تلك الكتب مخالفة لعقائد أهل السنة وان مؤلف جلاء العينين بسبب الذب عن ابن تيمية وابطال بهتان ابن حجر خرج عن حنفيته وسنيته وله الفضل حيث لم يخرجه أيضا عن حنيفيته . وان ابن تيمية قائل بالجهة . هذا حاصل جميع هذيانه فى هذا المقام . والله المستعان . وقد جعل الموافقين لابن تيمية مبتدعة . وقد ذكر ذلك الكلام مرارا . واعاده مرة بعد أخرى *

﴿أقول فى الجواب عن غلطه﴾ انا قد قدمنا الكلام على كتب الشيخ ابن تيمية مفصلا وذكرنا ما ذكرنا من تقاريظ أهل العلم عليها . وما قالوه من الثناء الذى لم يكن لغيرها وهى الكتب التي فتح الله بها عيونا عميا وآذانا صما . وقلوبا غلفا . وكانت من بعض آيات نبوة النبي صلى الله عليه وسلم ان كان فرد من افراد أمته بلغ ما بلغ من العلم بحمد الله وتوفيقه ويقال للنبهانى كما أنشدناه سابقا *

﴿قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد * وينكر الفم طعم الماء من سقم﴾

ويقال له أيضا من أين لك علم بعلم الكلام بل بعلم من العلوم فان كتابك هذا الذى نراه من أوضح الدلائل على جهلك وغباوتك *

﴿فان كنت لا تدرى فتلك مصيبة * وان كنت تدرى فالمصيبة أعظم﴾

ويقال له أيضا ان كان لك علم وفهم فلم لم تنصح نفسك وتردعها عن سلوك هذا المسلك الذى أنت متلوث به والنفس مقدمة على الغير . وما أحسن ما قيل *

﴿يا أيها الشيخ المعلم غيره * هلا لنفسك كان ذا التعليم﴾

ويقال له أيضا لم لم تنصح ان كان لك فهم وذوق عن مطالعة الكتب التى تصادم الشريعة الغراء

وتناقضه ككتب الشيخ محى لدين ابن العربى واضرابه من المتصوفة التى تقشعر من سماعها جلود المؤمنين . قال الشيخ محي الدين عند الكلام على تفسير قوله تعالى برواية أبي زرعة ان الذين كفروا الآية (ان الذين كفروا) ستروا محبتهم (سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم) استوى عندهم انذارك وعدم انذارك لما جعلنا عندهم (لا يؤمنون) بك ولا يأخذون عنك انما يأخذون عنا . (ختم الله على قلوبهم) فلا يعقلون الا عنه . (وعلى سمعهم) فلا يسمعون الا منه . (وعلى أبصارهم غشاوة) فلا يبصرون الا اليه . ولا يلتفتون اليك والى ما عندك بما جعلناه عندهم والقيناه اليهم (ولهم عذاب) من العذوبة (عظيم) انتهى . ولكن النبهانى واضرابه من الغلاة يذبون عن مثل هذه الكتب ويحثون على مطالعتها . ويلمزون كتب السنة الداعية الى توحيد الله وهكذا شأن علماء أهل الكتاب وأحبارهم . (فقد نقل الحافظ) ابن القيم فى كتابه هداية الحيارى عند رده على من طعن فى علم الصحابة رضى الله تعالى عنهم . ما نصه من كلام طويل . وما يدريكم معاشر المثلثة وعباد الصليب وأمة اللعنة والغضب بالفقه والعلم . ومسمى هذا الاسم حيث تسلبونه أصحاب محمد الذين هم وتلاميذهم كأنبياء بنى اسرائيل . وهل يميز بين العلماء والجهال ويعرف مقادير العلماء الا من هو من جملتهم . ومعدود فى زمرتهم . فاما طائفة شبه الله علماءها بالحمير التى تحمل الاسفار . وطائفة علماؤها يقولون فى الله مالا يرضاه أمة من الامم فيمن تعظمه وتجله وتأخذ دينها عن كل كاذب ومفتر على الله وعلى أنبيائه فمثلها كمثل عريان يحارب شاكي السلاح . ومن سقف بيته زجاج وهو يزاحم أصحاب القصور بالاحجار ولا يستكثر على من قال فى الله ورسوله ما قال ان يقول فى أعلم الحق انهم عوام *

﴿ فليهن أمة ﴾ الغضب علم التلموذ وما فيه من الكذب على الله وعلى كليمه موسي وما يحدثه لهم أحبارهم وعلماء السوء منهم كل وقت . وليهنهم علوم دلتهم على ان الله ندم على خلق البشر حتى شق عليه وبكى على الطوفان حتى رمد . وعادته الملائكة وغير ذلك . (وليهن أمة) الضلال علومهم التي فارقوا بها جميع شرائع الانبياء وخالفوا بها المسيح خلافا يتحققه علماؤهم فى كل أمره وعلومهم التى قالوا بها فى رب العالمين ما قالوا مما كادت السموات تنشق منه والارض تنفطر . والجبال تهد لولا ان أمسكها الحكيم المصور . وعلومهم التي دلتهم على التثليث وعبادة خشبة الصليب والصور المدهونة . ودلتكم على قول عالمكم ان اليد التى جبلت

طينة آدم هي التي عانت على الصلبوت . وان الشبر الذى ذرعت به السموات هو الذى سمر على الخشبة . وقول عالمكم الآخر من لم يقل ان مريم والدة الله فهو خارج عن ولاية الله انتهى ما قصدنا نقله وبقى منه كلام طويل من أراده فليرجع اليه *

﴿ سمعت أيها النبهانى ﴾ ما قال اخوانك وما قيل لهم . فوازن بين كلامهم وطعنهم على أهل الحق وعلومهم . وبين كلامك وقدحك في كتب السنة والدين الخالص . ووازن بين ما أجيبوا به وما أجبت به . ولقد تشابهت قلوبكم . وتوافقت مثالبكم وعيوبكم . كل ذلك أيها النبهاني من جهلك الذى أنت فيه . وهو الذى أوقعك فى مهواة البلاء وعجبك بنفسك . وتكبرك الذى دعاك الى ان ضربت بسهم مع الافاضل وأرباب التقوى مع انك كما قال القائل *

﴿ نزلوا بمكة فى قبائل هاشم   ونزلت في البيداء ابعد منزل ﴾

﴿ ثم نقول ﴾ ان ما ادعاه النبهانى تقليد لاسلافه ان الاشاعرة والماتريدية هم أهل السنة وان من كان على طريقة السلف كشيخ الاسلام ابن تيمية هم من المبتدعة كلام لا أظنه يصدر عن ذى فهم ولا معرفة . فلا بد من الكلام على تحقيق هذه المسألة وبيان المراد بالسنة والبدعة ليتبين الحق من الباطل . ويعلم به ان الاحق باسم المبتدع هو هذا الخصم الالد ومن على منهجه من اسلافه الغلاة قبحهم الله تعالى وخذلهم ﴿ اعلم ﴾ ان أهل السنة والجماعة هم أهل الاسلام والتوحيد المتمسكون بالسنن الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في العقائد والنحل والعبادات الباطنة والظاهرة الذين لم يشوبوها ببدع أهل الاهواء وأهل الكلام فى أبواب العلم والاعتقادات ولم يخرجوا عنها في باب العمل والارادات كما عليه جهال أهل الطرايق والعبادات فان السنة في الاصل تقع على ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وما سنه أوامر به من أصول الدين وفروعه حتى الهدى والسمت . ثم خصت فى بعض الاطلاقات بما كان عليه أهل السنة من اثبات الاسماء والصفات خلافا للجهمية المعطلة النفاة . وخصت باثبات القدر . ونفى الجبر خلافا للقدرية النفاة . وللقدرية الجبرية العصاة . وتطلق أيضا على ما كان عليه السلف الصالح فى مسائل الامامة والتفضيل . والكف عما شجر بين أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا من اطلاق الاسم على بعض مسمياته لانهم يريدون بمثل هذا الاطلاق التنبيه على ان المسمى ركن أعظم وشرط أكبر كقوله الحج عرفة . أو لانه الوصف الفارق بينهم وبين غيرهم .

ولذلك سمى العلماء كتبهم في هذه الاصول كتب السنة للالكائي . والسنة لابي بكر الاثرم والسنة للخلال . والسنة لابن خزيمة . والسنة لعبد الله بن أحمد . ومنهاج السنة لشيخ الاسلام ابن تيمية وغيرهم فما قاله النبهاني ان في كتب ابن تيمية التى ذكرها حكم على أهل السنة والجماعة بالتكفير والاشراك كذب ظاهر وبهت جلى ما قيل ولا صدر فضلا عن كونه عرف واشتهر وآحاد العامة فضلا عن الخاصة لا يخفى عليهم ان الشيخ وأصحابه كانوا من أكابر أهل السنة والجماعة . وانهم تصدوا للرد على المبطلين . والمشركين من اليهود والنصارى والصائبة والفلاسفة وعباد القبور والمشائخ . ولم يكفروا غير هذه الطوائف ومن ضاهاهم كغلاة الجهمية . والقدرية والرافضة . هذا يعرفه كثير من العوام ﴿ فما قاله النبهانى ﴾ من ان الشيخ ابن تيمية رد فى كتابه منهاج السنة وكتاب العقل والنقل على أهل السنة لا أصل له . بل انه رد على الغلاة من عبدة القبور . وتسمية هؤلاء أهل سنة وجماعة جهل عظيم بحدود ما أنزل الله على رسوله وقلب للمسميات الشرعية وما يراد من الاسلام والايمان والشرك والكفر . قال تعالى الاعراب أشد كفراً ونفاقا واجدر ان لا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله . (والنبهاني) وأمثاله أجدر من أولئك بالجهل وعدم العلم بالحدود لغربة الاسلام وبعد العهد بآثار النبوة كما أفاده العلامة الشيخ عبد اللطيف فى منهاجه . (وظن النبهانى) ان دعاء غير الله والعمل بغير الشريعة الاحمدية والقول بالحلول والاتحاد لا يخرجه عن جادة الحق مع الاتيان بالشهادتين مع انه لا يشترط فى ذلك ان يكفر المكلف بجميع ما جاء به الرسول . بل يكفي في الكفر . والردة والعياذ بالله تعالى ان يأتى بما يوجب ذلك ولو فى بعض الاصول . وهذا ذكره الفقهاء من كل مذهب وهو من عجيب جهل النبهاني وأمثاله من الغلاة . لانه يعرفه المبتدؤن في الفقه والعلم ومن أراد الوقوف على جزئيات . وفروع فى الكفر والردة فعليه بما صنف فى ذلك كالاعلام لابن حجر . وما عقده الفقهاء من أهل كل مذهب فى باب حكم المرتد *

﴿ قال شيخ الاسلام ابن تيمية في الرسالة السنية ﴾ لما ذكر حديث الخوارج ومروقهم من الدين وأمره النبي صلى الله عليه وسلم بقتالهم قال فاذا كان على عهد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وخلفائه ممن انتسب الى الاسلام من مرق منه مع عباداته العظيمة حتى أمر صلى الله عليه وسلم بقتاله . فليعلم ان المنتسب الى الاسلام والسنة فى هذه الازمان قد يمرق أيضا من الاسلام

وذلك باسباب منها الغلو الذي ذمه الله فى كتابه حيث قال يا أهل الكتاب لاتغلوا فى دينكم الآية وعلى رضى الله عنه حرق الغالية من الرافضة فامر باخاديد خدت لهم عند باب كندة فقذفوا فيها واتفق الصحابة على قتلهم لكن ابن عباس كان مذهبه أن يقتل بالسيف بلا تحريق وهو قول أكثر الصحابة وقصتهم معروفة عند العلماء وكذلك الغلو فى بعض المشايخ بل الغلو فى على ابن أبى طالب بل الغلو في المسيح ونحوه فكل من غلا فى نبى أو رجل صالح وجعل فيه نوعا من الالهية مثل أن يقول ياسيدى فلان أنصرنى أوأغثنى أوارزقنى أوأجرنى أو أنا في حسبك ونحو هذه الاقوال فكل هذا شرك وضلال يستتاب صاحبه فان تاب والا قتل فان الله تعالى انما أرسل الرسل وانزل الكتب ليعبد وحده لايجعل معه الها آخر والذين يدعون مع الله آلهة أخرى مثل المسيح والملائكة والاصنام لم يكونوا يعتقدون انها تخلق الخلائق وتنزل المطر وتنبت النبات انما كانوا يعبدونهم أو يعبدون قبورهم أوصورهم ويقولون مانعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عندالله فبعث الله رسوله ينهى ان يدعى أحد من دونه لادعاء عبادة ولا دعاء استغاثة . وقال تعالى قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب * ﴿ قال طائفة ﴾ من السلف كان أقوام يدعون المسيح وعزيرا والملائكة فانزل الله هذه الآية ثم ذكر آيات فى المعنى انتهى *

﴿ وقال شيخ الاسلام أيضا ﴾ فى الفرقان بين الحق والباطل وأهل الضلال الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا وهم كما قال مجاهد أهل البدع والشبهات يتمسكون بما هو بدعة فى الشرع ومشتبه فى العقل كما قال فيهم الامام أحمد قال هم مختلفون فى الكتاب مخالفون للكتاب متفقون على مخالفة الكتاب يحتجون بالمتشابه من الكلام ويضلون الناس بما يشبهون عليهم والموافقة من أهل الضلال تجعل لها دينا وأصول دين قد ابتدعوه برأيهم ثم يعرضون على ذلك القرآن والحديث فان وافقه احتجوا به اعتقادا لا اعتمادا وان خالفه فتارة يحرفون الكلم عن مواضعه ويتأولونه على غير تأويله وهذا فعل أئمتهم وتارة يعرضون عنه ويقولون نفوض معناه الى الله وهذا فعل عامتهم وعمدة الطائفتين فى الباطن غير ماجاء به الرسول يجعلون أقوالهم البدعية محكمة يجب اتباعها واعتقاد موجبها والمخالف اما كافر واما جاهل لايعرف هذا الباب وليس له

علم بالمعقول ولا بالاصول ويجعلون كلام الله ورسوله الذى يخالفها من المتشابه الذى لا يعرف معناه الا الله اولا يعرف معناه الا الراسخون فى العلم. والراسخون عندهم من كان موافقا لهم على ذلك القول وهؤلاء أضل ممن تمسك بما تشابه عليه من آيات الكتاب ويترك المحكم كالنصارى والخوارج وغيرهم اذ كان هؤلاء أخذوا بالمتشابه من كلام الله وجعلوه محكما وجعلوا المحكم متشابها وأما أولئك كنفاة الصفات من الجهمية ومن وافقهم من المعتزلة وغيرهم وكالفلاسفة فيجعلون ماابتدعوه هم برأيهم هو المحكم الذى يجب اتباعه وان لم يكن معهم من الانبياء والكتاب والسنة مايوافقه ويجعلون ماجاءت به الانبياء وان كان صريحا قد يعلم معناه بالضرورة يجعلون من المتشابه ولهذا كان هؤلاء أعظم مخالفة للانبياء من جميع أهل البدع حتى قال يوسف بن اسباط وعبد الله بن المبارك وغيرهما كطائفة من أصحاب احمد ان الجهمية نفاة الصفات خارجون عن الثنتين وسبعين فرقة *

قالوا وأصولها أربعة الشيعة والخوارج والمرجئة والقدرية . وقد ذكرنا فى غير هذا الموضع ان قوله تعالى منه آيات محكمات هن ام الكتاب وأخر متشابهات . في المتشابهات قولان أحدهما انها آيات بعينها تتشابه على كل الناس . والثانى وهو الصحيح أن التشابه امر نسبي فقد تشابه عند هذا مالا يتشابه عند غيره ولكن ثم آيات محكمات لا يتشابه فيها على أحد . وتلك المتشابهات اذا عرف معناها صارت غير متشابهة بل القول كله محكم كما قال أحكمت آياته ثم فصلت . وهذا كقوله الحلال بين والحرام بين وبين ذلك امور لا يعلمهن كثير من الناس وكذلك قولهم ان البقر تشابه علينا *

﴿ وقد صنف ﴾ أحمد كتابا فى الرد على الزنادقة والجهمية فيما شكت فيه من متشابه القرآن وتأولوه على غير تأويله وفسر تلك الآيات كلها وذمهم على أنهم تأولوا ذلك المتشابه على غير تأويله وعامتها آيات معروفة قد تكلم العلماء فى تفسيرها مثل الآيات التي سأل عنها نافع ابن الازرق لابن عباس قال الحسن البصرى ما أنزل الله آية الا وهو يحب ان يعلم فيم أنزلت وماذا عنى بها ومن قال من السلف ان المتشابه لا يعلم تأويله الا الله فقد اصاب أيضا ومراده بالتأويل مااستأثر الله بعلمه مثل وقت الساعة ومجيء اشراطها ومثل كيفية نفسه وما اعده في الجنة لاوليائه وكان من اسباب نزول الآية احتجاج النصارى بما تشابه عليهم كقوله

انا ونحن وهذا يعرف العلماء ان المراد به الواحد المعظم الذى له اعوان لم يرد به ان الالهة ثلاثة فتأويل هذا الذى هو تفسيره يعلمه الراسخون ويفرقون بين ما قيل فيه انا . وما قيل فيه انا بدخول الملائكة فيما يرسلهم فيه اذ كانوا رسله واما كونه هو المعبود الاله فهو له وحده ولهذا لا يقول فايانا فاعبدوا ولا ايانا فارهبوا بل متى جاء الامر بالعبادة والتقوى والخشية والتوكل ذكر نفسه وحده باسمه الخاص واذا ذكر الافعال التى يرسل فيها الملائكة قال (انا فتحنا لك فتحا مبينا) (فاذا قرأناه فاتبع قرآنه) نتلو عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق ونحو ذلك مع ان تأويل هذا وهو حقيقة مادل عليه من الملائكة وصفاتهم وكيفية ارسال الرب لهم لا يعلمه الا الله . كما قد بسط فى غير هذا الموضع *

﴿والمقصود﴾ هنا ان الواجب ان يجعل ما قاله الله ورسوله هو الاصل ويتدبر معناه ويعقل ويعرف برهانه ودليله . اما العقلي . واما الخبرى السمعى ويعرف دلالة القرآن على هذا وهذا ويجعل أقوال الناس التى قد توافقه وتخالفه متشابهة مجملة *

﴿فيقال﴾ لاصحاب هذه الالفاظ يحتمل كذا وكذا ويحتمل كذا وكذا فان ارادوا بها مايوافق خبر الرسول قبل وان أرادوا بها مايخالفه رد . وهذا مثل لفظ المركب والجسم والمتحيز والجوهر والجهة والعرض ونحو ذلك ولفظ الحيز ونحو ذلك فان هذه الالفاظ مالا يوجد فى الكتاب والسنة بالمعني الذى يريده أهل هذا الاصطلاح بل ولا فى اللغة أيضا بل هم يختصمون بالتعبير بها على معان لم يعبر غيرهم عن تلك المعاني بهذه الالفاظ فيفسر تلك المعانى بعبارات أخرى ويبطل ما دل عليه القرآن من الادلة العقلية والسمعية . واذا وقع الاستفسار والتفصيل تبين الحق من الباطل وعرف وجه الكلام على أدلتهم فانها ملفقة من مقدمات مشتركة ياخذون اللفظ المشترك فى احدى المقدمتين بمعنى وفى المقدمة الاخرى بمعنى آخر فهو فى صورة اللفظ دليل وفى المعنى ليس بدليل كمن يقول سهيل بعيد من الثريا لا يجوز ان يقترن بها ولا يتزوجها والذى قال *

ايها المنكح الثريا سهيلا * عمرك الله كيف يلتقيان

اراد امرأة اسمها الثريا ورجلا اسمه سهيل * ثم قال عمرك الله الخ

هى شامية اذا ما استقلت * وسهيل اذا استقل يمانى

وهذا لفظ مشترك فجعل تعجبه وانكاره من الظاهر من جهة اللفظ المشترك وقد بسط الكلام علي ادلتهم المفصلة فى غير موضع *

﴿ والاصل ﴾ الذي بنى عليه نفاة الصفات وعطلوا ماعطلوا حتى صار منتهاهم الى قول فرعون الذى جحد الخالق وكذب رسوله موسى فى ان الله كلمه هو استدلالهم على حدوث العالم بان الاجسام محدثة . واستدلالهم على ذلك بانها لا تخلوا من الحوادث ولم تسبقها ومالم يخل من الحوادث ولم يسبقها فهو محدث * وهذا أصل قول الجهميه الذين اطبق السلف والأئمة على ذمهم * واصل قول المتكلمين الذين اطبقوا على ذمهم * وقد صنف الناس مصنفات متعددة فيها أقوال السلف والائمة في ذم الجهمية وفى ذم هؤلاء المتكلمين والسلف لم يذموا جنس الكلام فان كل آدمى يتكلم ولا ذموا الاستدلال والنظر والجدل الذي أمر الله به رسوله والاستدلال بما بينه الله ورسوله بل ولاذموا كلاما هو حق بل ذموا الكلام الباطل وهو المخالف للكتاب والسنة وهو المخالف للعقل أيضا وهو الباطل *

﴿ فالكلام ﴾ الذى ذمه السلف هو الكلام الباطل وهو المخالف للشرع والعقل ولكن كثيرا من الناس خفى عليه بطلان هذا الكلام فنهم من اعتقده موافقا للشرع والعقل حتى اعتقد ان ابراهيم الخليل استدل به ومن هؤلاء من يجعله أصل الدين ولا يحصل الايمان اولا يتم الا به ولكن من عرف ماجاء به الرسول وماكان عليه الصحابة علم بالاضطرار ان الرسول والصحابة لم يكونوا يسلكون هذا المسلك فصار من عرف ذلك يعرف ان هذا بدعة وكثير منهم لايعرف أنه فاسد بل يظن مع ذلك أنه صحيح من جهة العقل لكنه طويل او تبعد المعرفة اوهو طريق مخيفة مخطر يخالف على سالكه فصاروا يعيبونه كما يعاب الطريق الطويل والطريق المخيف مع اعتقادهم انه يوصل الى المعرفة وانه صحيح فى نفسه واما الحذاق العارفون تحقيقه فعلموا انه باطل عقلا وشرعا وانه ليس بطريق موصل الى المعرفة بل انما يوصل لمن اعتقد صحته الى الجهل والضلال ومن تبين له تناقضه اوصله الى الحيرة والشك ولهذا صار حذاق سالكيه ينتهون الي الحيرة والشك اذ كان حقيقته ان كل موجود فهو حادث مسبوق بالعدم وليس فى الوجود قديم وهذا مكابرة فان الوجود مشهود وهو اما حادث واما قديم والحادث لا بد له من قديم فثبت وجود القديم على التقديرين *

وكذلك ماابتدعه في هذه الطريق ابن سينا وأتباعه من الاستدلال بالممكن على الواجب أبطل من ذلك كما قد بسط ذلك في غير هذا الموضع . وحقيقته ان كل موجود فهو ممكن ليس في الوجود موجود بنفسه مع انهم جعلوا هذا طريقا لاثبات الواجب بنفسه كما يجعل أولئك هذا طريقا لاثبات القديم . وكلاهما يناقض ثبوت القديم والواجب فليس في واحد منهما اثبات قديم ولا واجب بنفسه مع ان ثبوت موجود قديم وواجب بنفسه معلوم بالضرورة ولهذا صار حذاق هؤلاء الى ان الموجود الواجب والقديم هو العالم بنفسه وقالوا هو الله . وأنكروا ان لايكون للعالم رب مباين للعالم اذ كان ثبوت القديم الواجب بنفسه لابد منه على كل قول وفرعون ونحوه ممن انكر الصانع ما كان ينكر هذا الوجود المشهود . فلما كان حقيقة قول اولئك يستلزم انه ليس موجود قديم ولا واجب لكنهم لايعرفون ان هذا يلزمهم بل يظنون انهم أقاموا الدليل على اثبات القديم الواجب بنفسه ولكن وصفوه بصفات الممتنع فقالوا لاداخل العالم ولا خارجه ولا هو صفة ولا موصوف ولا يشار اليه ونحو ذلك من الصفات السلبية التي تستلزم عدمه . وكان هذا مما تنفر عنه العقول والفطر . ويعرف ان هذا صفة المعدوم الممتنع لاصفة الموجود *

فدليلهم في نفس الامر يستلزم انه ماثم قديم ولا واجب ولكن ظنوا انهم أثبتوا القديم والواجب . وهذا الذي أثبتوه هو ممتنع فما اثبتوا قديما ولا واجبا . فجاء آخرون من جهتهم فرأوا هذا مكابرة . ولا بد من اثبات القديم والواجب فقالوا هو هذا العالم فكان قدماء الجهمية يقولون انه بذاته في كل مكان . وهؤلاء قالوا هو غير الموجودات والموجود القديم الواجب هو نفس الوجود المحدث الممكن . والحلول هو الذي أظهرته الجهمية للناس حتى عرفه السلف والائمة وردوه . وأما حقيقة قولهم فهو النفي ان لاداخل العالم ولا خارجه ولكن هذا لم يسمعه الائمة ولم يعرفوا انه قولهم الا من باطنهم ولهذا كان الائمة يحكون عن الجهمية انه في كل مكان ويحكون عنهم وصفه بالصفات السلبية وشاع عند الناس ان الجهمية يصفونه بالسلوب حتى قال أبو تمام *

جهمية الاوصاف الا انها * قد حليت بمحاسن الاشياء

وهم لم يقصدوا نفي القديم والواجب فان هذا لايقصده أحد من العقلاء لا مسلم ولا كافر

اذ كان خلاف مايعلمه كل واحد ببديهة عقله فانه اذا قدر ان جميع الموجودات حادثة عن عدم لزم ان كل الموجودات حدثت بانفسها ومن المعلوم ببداهة العقول ان الحادث لايحدث بنفسه ولهذا قال تعالى أم خلقوا من غير شئ أم هم الخالقون . وقد قيل خلقوا من غير شي من غير رب خلقهم . وقيل من غير مادة . وقيل من غير عاقبة وجزاء والاول مراد قطعا فان كل ما خلق من مادة أو لغاية فلا بد له من خالق *

﴿ ثم ذكر الشيخ ﴾ رحمه الله معرفة الفطر . ثم ذكر قول الاشعرية والهشامية والكرامية وغيرهم ثم أبطله باوضح بيان . وأجلى برهان .

﴿ والمقصود ﴾ ان شيخ الاسلام لم يرد الا على من خالف الشريعة وصادمها بقواعده ولم يرد على أهل السنة وهم الذين كانوا على الصراط المستقيم ولم يخالفوا ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضى الله عنهم بل ذب عنهم وانتصر لاقوالهم غير ان النبهاني ظن ان ماهو عليه من الزيغ والالحاد هو مذهب أهل السنة وقد سبق فيما نقلناه من مجالس الشيخ الثلاثة ماينفع فى المقام بل كتبه طافحة بتفصيل ماقررناه فراجع أيّ كتاب شئت منها *

وبما قررناه علم أيضا ان مانقله الزبيدى من كلام السبكي عند كلامه على أبيات ابن زفيل ساقط عن درجة الاعتبار لانه من خصوم شيخ الاسلام وحسدته ماعدا ما كان عليه من الغلو والجهل والافتراء على أهل الحق . والظاهر انه ليس له من الكلام على قصيدة العلامة ابن زفيل سوى مانقله الزبيدى ان صح نقله . والا لذكره ولده التاج فيما عد من مؤلفاته فى الطبقات ولم يذكره مع انه أتى بجميع عجره وبجره *

(وأما مانسب النبهانى الى الشيخ) من القول بالجهة فهو من افتراآت السبكي وابن حجر المكى وغيرهما من أعدائه وخصومه . والنبهانى قلدهم فى هذا القول تقليد اعمى كما هو ديدنه وعادته وكتب الشيخ طافحة من تنزيه الله تعالى عن الجهة والجسمية . ومدار كلامه على ماثبت بالكتاب والسنه وأقوال السلف وأنشد فى كتاب الفرقان *

أيها المقتدى لتطلب علما * كل علم عبد لعلم الرسول
تطلب الفرع كى تصحح حكما * ثم أغفلت أصل أصل الاصول

ثم قال والله يهدينا وسائر اخواننا المؤمنين الى صراطه المستقيم صراط الذين أنعم الله عليهم

من النبيين والصدقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا قال وهذه الاصول ينبنى عليها مافى القلوب ويتفرع عليها . وقد ضرب الله مثل الكلمة الطيبة التى فى قلوب المؤمنين . ومثل الكلمة الخبيثة التى في قلوب الكافرين . ثم انه أطنب الكلام فى شرح الكلمتين . وأتى بما تقر به من المؤمن العين . كما هى عادته رحمة الله عليه وسنتكلم ان شاء الله على العلو والاستواء عند أبطال أقوال النبهانى التى هذى بها فى هذا الباب . ويتميز بحوله تعالى القشر من اللباب *

﴿ واما ما تكلم به النبهاني من الهذيان ﴾ فى شأن جلاء العينين ومصنفه وتحذير المسلمين من مطالعته . واخراج مصنفه عن حنفيته بل سنيته بسبب الذب عن ابن تيمية وانتصاره له فهو كلام من لا ينبغى ان يخاطب ولا يوجه اليه مقال فان الله تعالى قال الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه . وقال عز من قائل ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات . ومصنف جلاء العينين لم يذكر فيه الا أقوال الفريقين وبسط فيه دلائل الطرفين . ودعا الى الله وتوحيده . وبرهن على وجوب افراده سبحانه بالعبادة . وذب عن خلص عباد الله . وحكى ما كان وأظهر ما زوره الخصم من البهتان ومثل جلاء العينين ينبغي لكل مسلم ان يطالعه ويستفيد منه حقيقة دينه ثم يدعو لمؤلفه بالمغفرة والرحمة والرضوان وان يجزيه عن خلص عباده خير الجزاء *

ثم انا قد ذكرنا حقيقة السنة والبدعة . وما ذكر فيهما أهل العلم من البيان الشافى والكلام الوافى . فأى مسئلة ذكرت فى جلاء العينين تخالف ما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم وتستوجب التبديع . نعم ذكر فيه ضلالات أهل الالحاد . القائلين بالحلول والاتحاد وهى ليست بخفية على أحد من الناس . وكتب العلم طافحة بذكر ذلك الهذيان ورد هذا الوسواس . فقد ألف السعد التفتازانى كتابا رد فيه على الفصوص — وكذا العلامة الملا على القارى الحنفى . والفهامة الشيخ محمد البخارى الحنفى وغيرهم *

وذكر أيضا بدع القبوريين وأعمالهم الشركيه . وأظهر افتراء ابن حجر وخيانته فى النقل واتباعه لهواه . وخصومته للحق . وما كان من السبكى من العدوان والقول على الله بغير علم . وأى مذهب من مذاهب المسلمين يسوغ ما كان من ابن حجر والسبكي ونحوهما من التجاوز والقدح

فى علماء السنة النبوية وحفاظ الحديث بغير حق *
أيرضي الامام الشافعى وأكابر أصحابه والمنصفون من اتباعه بما كان من هؤلاء الغلاة أم هل يسوغ الامام أبو حنيفة ان يتلاعب أحد بالدين ويعرض عما ورد فى الكتاب والسنة ويسلم لابن حجر واضرابه كل ما هذى به أم هل يبيح امام دار الهجرة ان تباح اعراض ورثة الرسول صلى الله عليه وسلم وحفاظ حديثه ان يمزقها ابن حجر باظفاره وانيابه . وهكذا جميع أئمة الدين . وأكابر المجتهدين . وقد أوصي كل منهم باتباع الحق والاعراض عن الهوى ومجانبة التعصب رضوان الله تعالى عليهم أجمعين *

ثم يقال للنبهانى الخروج عن المذهب متى يكون . والتقليد بماذا كان هل في الفروع والاصول معا أم فى الفروع لا فى الاصول . أم بالعكس . ولا شك ان النبهانى جاهل بكل ذلك لا يفرق بين الاصول والفروع . بل لا يميز بين الكوع والكرسوع *
وأهل العلم ذكروا ان التقليد هو أخذ قول الغير من غير معرفة دليله من حيث افادته الحكم ان لم يتمكن من استفراغ الوسع لتحصيل ظن الحكم . والا فيحرم عليه كما يحرم التقليد فى العقائد . وقد رأيت كلاما مفيدا لبعض أكابر الشافعية فى بحث التقليد نذكره تتميما للفائدة قال ثم انى لم أزل متشبثا باذيال هذا الامام . متمسكا بعرى أقوال ذيالك الهمام مستغرقا النهار والليل فى استكشاف دقيق كلامه . مستنهضا الرجل والخيل لارتشاف رحيق مدامه . لم أعرج على غير حماه . ولم أعرج لسوى سماه *

أبعد سليمى مطلب ومرام * وغير هواها لوعة وغرام

وكذا شأنى مع أصحابه الكرام . وحالى مع اتباعه الفخام . لا الوى عناني الاعلى اطلالهم ولا استرشد بغير أقوالهم *

وما أنا الامن غزية ان غوت * غويت وان ترشد غزية أرشد

لا أميل الى تقليد أحد من الائمة . مع علمى بان اختلافهم في الفروع رحمه . بل ديدني رفاقهم انجدوا أم اتهموا . وديني وفاقهم أيمنوا أم أشأموا . الى ان خاصمنى مخاصم الانصاف فخصمنى وعارضنى معارض الاعتساف فالجمني . وتبين لى بمخالطة الانام . ان كثيرا من العقود لا تصح على مذهب الامام . وان تصحيحها كالمحال . وان ليس للشافعي في ذلك مجال فلم أر بدا فى

هذا الزمان • من تقليد امام الائمة أبي حنيفة النعمان • فقلدته في جميع معاملاتي ولولا ما في قلبي للشافعي لاتبعته في سائر دياناتي *

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى * ما الحب الا للحبيب الاول
كم منزل في الارض يألفه الفتى * وحنينه أبدا لاول منزل

﴿ ثم قال ﴾ فها أنا ذاك شافعي في عباداتي . حنفي في سائر معاملاتي . وهكذا سائر علماء الزمان في المعاملات على مذهب النعمان . قد طووا سنن الشافعي . ورفعوا اذكار النووي والرافعي

فلا ترى جاهلا يستفتي * ولا عالما في هاتيك المسائل يفتي
ما في الصحاب أخو وجد نطارحه * حديث نجد ولا خلا نجاريه

﴿ ويقال للنبهاني ﴾ اذا كان الرجل من اتباع الامام الشافعي قد قلد غيره في كثير من المسائل لايخرجه ذلك عن تقليد امامه فكيف حكم على من لم يتحقق لديه مخالفة أمامه ولا في مسألة واحدة بالخروج عن تقليده بل رأينا من أصحاب الأئمة من خالفه في مسائل كثيرة ولم يقل أحد بخروجهم في ذلك عن التقليد . (افيقال) ان الامام أبا يوسف بسبب مخالفته لامامه في مسائل كثيرة خرج عن كونه حنفيا . وكذلك محمد وكذلك زفر . وهكذا أصحاب كل امام فكيف يحكم النبهاني بهذا الحكم الفاسد . ويقول هذا القول الكاسد *

﴿ وللشيخ احمد الطيبي ﴾ منظومة فيما يحتاج الشافعي فيه الى تقليد الامام أبي حنيفة وهي هذه بعد البسملة *

الحمد لله الذي ما جعلا * من حرج في الدين لكن سهلا
لهذه الامة فضلا وكرم * سبيل رشدها وأسبغ النعم
ثم صلاة وسلام سرمدي * منه على خير الانام أحمد
نبينا الذي به نلنا الهدى * وآله وكل من به اهتدى
وبعد فاعلم ان من قد قلدا * من الانام عالما أو مجتهدا
فجائز له بان يقلدا * آخر الا أن يكون اعتقدا
بان من قلده في الاول * أعلم من ثانيه فالمنع جلي
فاذ عرفت الشرط واحتجت الى * تقليد غير الشافعي فافعلا

كان تقلد الامام الاعظما * أبا حنيفة الزكى المقدما
فى البيع والشرا بلا ايجاب * ولا قبول منك فى الخطاب
بل بالمعاطاة اذا ما كثرا * أو قل مابه المبيع والشرا
وفى النجاسات التى البليه * عمت بها مالم تكن كلبيه
من ذلك الغراء في الأثواب * وفى القباقيب وفى النشاب
وهو الغرا المعمول من غير السمك * أما الذى منه فليس فيه شك
كذا الغرا من نحو قط ونمر * وكل ما كول ولم يكن نحر
كذا الرماد من نجاسة حصل * فى مائع او ماقليل او محل
او شربة مع طينها قد عجنا * او طين أرض او جدار أو بنا
والعفو عن نجاسة قد كثفت * ووزنها الدرهم حين وزنت
كذاك عن رقيقة وبلغت * مقدار بسط الكف لما بسطت
كذاك في نقل زكاة الواجد * للمستحق ولشخص واحد
يدفعها ولو صبيا ان قبض * ان بلغ التميز ذاك المفترض
ودفعنا من ذهب عن فضة * وعكسه عند أبى حنيفه
يكفى كذاك كلما ينتفع * به الفقير كثياب تدفع
وقل زكوة الفطر مثل المال * فقس به فى سائر الاحوال
فتدفع القيمة عنها ان تشا * أين أردت أو سواها كنشا
كذاك فى الانثى اذا ما زوجت * لنفسها أو غيرها اذ وكلت
كذاك في التأجيل للصداق * الى المماة أو الى الطلاق
وان مايؤخذ من أموال * بقصد تعزير من الحلال
والقول فى تعلق الحرام * بذمة الجانى من الانام
لا يتعدى لسواها أصلا * قد رد حيث لم يلاق جهلا
نعم اذا غير من قد غصبا * مغصوبه يملكه وان ابى
لكنه يحرم الانتفاع به * حتى يؤدى للضمان فانتبه

ونية الصلاة حيث وجدت * ولم تكن من المصلى اقترنت
بلفظة التكبير للاحرام * فهي صحيحة لدى الامام
فمن يقلده به لا يمهل * الا بتطهير الديه يقبل
وسعينا بين الصفا والمروة * في حجنا وهكذا في العمرة
ماعده فرضا ولكن واجبا * فمن به أخل لن يطالبا
الا بفدية ونسكه يصح * وتلك شاة فادر فهو متضح
ولم يقل شرط الطواف الطهر * فان يضق بنفساء الامر
أو حائض وهجمت وطافت * فهو صحيح وفدت وتابت
فان يكن حجا فدت ببدنه * أو اعتمادا فبشاة بينه
وان تطاق ذات حيض وانقطع * الدم عنها لا لعلة تقع
فلتتربصن بسن اليأس * مالم تحض ثم بلا التباس
باشهر ثلاثة تعتد * هلال قال لا الشافعي الفرد
كذا أبو حنيفة وقالا * في ذاك مالك وأحمد لا
وانما سبيلها اذا مضت * تسع شهور بعد ماقدطلبت
تعتد بالثلاث الاشهر من * بعد وسن اليأس عندنا ابن
بانه اثنان وستون سنة * على الصحيح وحكي من بينه
عند الامام الاعظم النعمان * خمس وخمسون احتفظ بياني
وقس بما حوته ذى الصحيفة * مقلداً غير أبي حنيفة
فان تكن قلدت في الكلية * مالكا أفعل مامضى في النية
ففي الوضوء امسح جميع الرأس * لكي تتمة بلا التباس
والحمد لله الذي ما عسرا * على عباده ولكن يسرا

والكلام في هذا الباب طويل وكم أفرده بالتأليف فاضل جليل . وليس هذا مقام التفصيل

﴿ ثم نعود الى النبهاني ﴾ ونقول له ان كثيراً من المعتزلة قلدوا الامام أبا حنيفة وهم مع اعتقادهم الفاسد لم يقل أحد بخروجهم عن مذهب أبي حنيفة وهكذا في اتباع الشافعي وغيره من كان

على عقيدة الاعتزال حتى أن عد السبكي فى طبقاته جماعة واتهم الماوردي أيضا بذلك وكثير من الكرامية والمرجئة كانوا اتباع الامام أبى حنيفة وكثير من المجسمة كانوا اتباع الشافعي . وقد سبق ذكر شيء من ذلك في المجالس التى انعقدت لمناظرة شيخ الاسلام كل هؤلاء على سوء اعتقادهم لم يخرجوا عن مذهب من قلدوه . فكيف ساغ للنبهانى ان يخرج عن الحنفية والسنية مصنف جلاء العينين وذكر العلة في ذلك وقال بسبب انتصاره لابن تيمية والذب عنه وتبريته عما نسب اليه *

(فلينظر المنصفون) الى حال هذا الرجل وغلوه وجهله وضلاله واتباعه لهواه وعجبه لنفسه فكيف يسوغ ان يولى الحكم على بشر ويكون بيده زمام بعض الامور *

ما أنت بالحكم الترضى حكومته * ولا الاصيل ولا ذو الرأى والجدل

اللهم انا نشكوا اليك ما أصبح اليوم عليه العالم الاسلامي من البلاء المبين وتوسيد الامور الى غير أهلها واستفتاء من غوى وضل عن سبيلك وحيث ان هذا المبطل قد افرد فصلا من كتابه فى الكلام على جلاء العينين ومصنفه أخرنا تمام البحث الى أن نتكلم على ذلك الفصل ان شاء الله تعالى *

(قال النبهانى) بعد كلام له على الجهة وتكفير القائل بها ولما كانت كتبه يعنى ابن تيمية قد طبعت ونشرت وكان فيها مسائل فى العقائد مخالفة لعقائد أهل السنة والجماعة من الاشعرية والماتريدية كان من اللازم على اكابر العلماء فى هذا العصر أن يتصدوا لبيان تلك المسائل التي وقع فيها مخالفة أهل السنة والتنبيه عليها ليحذرها الناس خوفا عليهم من تشويش عقائدهم * ولما كان من أهم تلك المسائل القول باعتقاد الجهة وهو كما ترى وان تستر بعض الحنابلة بنفيه عنه وعدم اعتقاده اياه فهو مصرح باعتقاده . ثم قال فقد رأيت ان أجمع رسالة انقل فيها اقوال اكابر علماء المذاهب فى استحالة الجهة على الله قال فجمعتها على هذا الوجه وسميتها رفع الاشتباه فى استحالة الجهة على الله . ثم ذكر الرسالة بحذافيرها وركة عبارتها وزعم ان ما فيها اعتقاد جمهور علماء الامة وأوليائها واتباع المذاهب الاربع وجميع الصوفية وهم صفوة الصفوة من هذه الامة وخلاصة الخلاصة . من أهل الملة وخاصة الخاصة من المتبعين للكتاب والسنة . قال فقد اتفق جمهورهم على اختلاف مذاهبهم ومشاربهم فى جميع الاعصار والاقطار . وفي كل القرى والبوادي

والامصار على أن الله تعالى منزه عن الجهات . ونقل بزعمه ما يؤيد كلامه عن الغزالى والسيد مرتضى الزبيدى والفخر الرازى وشمس الدين محمد بن اللبان الشافعى واليافعى وابن حجر المكى وأمثال هؤلاء ثم ختم رسالته بقصيدة زعم أنه قارض بها القصيدتين فى الرد على ابيات السبكى هذا حاصل ما تكلم به فى هذا الباب وأتى بما قدر عليه *

﴿أقول فى الجواب عن كلام النبهانى هذا ومنه سبحانه التوفيق﴾ ان مسألة العلو والاستواء والنزول من غوامض المسائل والنزاع فيها قديما وحديثا من المشهور بين العلماء وقد الف فيها كتب مفصلة وفرغ أهل العلم منها نفيا واثباتا ومن المعلوم لدى كل منصف ان النبهانى ليس من رجال هذا الميدان ولا ممن يعد فى زمرة ذوى العرفان ولا ممن له نصيب فى فن من الفنون ولا ممن يلتفت اليه فى باب الجرح والتعديل ولا تنظر اليه العيون بل هو الحريّ بقول القائل *

أقول لمحرز لما التقينا * تنكب لا يقطرك الزحام

وقد رأيت فى طبقات ابن السبكى رسالة أخرى أشبه شئ بهذيان النبهانى نسبها ابن السبكى للشيخ شهاب الدين أحمد بن يحيي بن اسمعيل الكلابى الحلبي وحيث كانت فى الرد على ابن تيمية أدرجها ابن السبكى فى ترجمة مؤلفها بتمامها ظنا منه أنها تروى غليله وتشفى عليله وما دراها أنها سراب يحسبه الظمآن أعذب شراب وهى نحو اثنين وثلاثين صحيفة قد اشتملت على كل سخيفة وبناء على تعرض هؤلاء الغلاة لهذه المسألة وجب التصدي لرد افكهم ورفع شركهم ببيان ما يعارضهم من النصوص وما يناقضهم من البناء المرصوص فنقول ان النصوص القرآنيه والاحاديث النبوية الواردة فى هذا الباب مما لا يحصيها أولو الالباب منها قوله تعالى (وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير) وفى تفسير روح المعاني بعد ان ذكر كلام المؤلفين ان الداعى الى التزام ذلك كله ان ظاهر الآية يقتضى القول بالجهة والله تعالى منزه عنها لانها محدثة باحداث العالم واخراجه من العدم الى الوجود ويلزم أيضا من كونه سبحانه وتعالى في جهة مفاسد لا تخفى وأنت تعلم أن مذهب السلف اثبات الفوقية لله تعالى كما نص عليه الامام الطحاوى . وغيره واستدلوا لذلك بنحو الف دليل وقد روى الامام أحمد فى حديث الاوعال عن العباس رضى الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال والعرش فوق ذلك والله

تعالى فوق ذلك كله . وروى أبو داود عن جبير بن محمد بن جبير مطعم عن أبيه عن جده قوله صلى الله عليه وسلم للرجل الذي استشفع بالله تعالى عليه ويحك أتدرى ماالله ان الله فوق عرشه وعرشه فوق سماواته . وقال باصابعه مثل القبة وانه ليئط به أطيط الرحل الجديد بالراكب * ﴿ ومن حديث صحيح ﴾ أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لسعد يوم حكم فى بنى قريظة لقد حكمت فيه بحكم الملك من فوق سبع سموات . وفى حديث آخر قال بينا أهل الجنة في نعمهم اذ سطع لهم نور فرفعوا اليه رؤسهم فاذا الجبار جل جلاله قد أشرف عليهم من فوقهم وقال ياأهل الجنة سلام عليكم ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى (سلام قولا من رب رحيم) فينظر اليهم وينظرون اليه فلا يلتفتون الى شئ من النعيم ما داموا ينظرون اليه . وانشد عبد الله بن راحة بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم أبياته التى عرض بها عن القراء لامرأته حين اتهمته بجاريته *

شهدت بان وعد الله حق * وان النار مثوى الكافرينا
وان العرش فوق الماء طاف * وفوق العرش رب العالمينا
وتحمله ملائكة شداد * ملائكة الآله مسومينا

فاقره عليه الصلاة والسلام على ماقال وضحك منه وكذا أنشد حسان بن ثابت رضي الله عنه قوله

شهدت باذن الله ان محمدا * رسول الذى فوق السموات من عل
وانا أبا يحيي ويحيي كلاهما * له عمل من ربه متقبل
وان الذى عاد اليهود ابن مريم * رسول أتى من عندذى العرش مرسل
وان اخا الاحقاف اذ قام فيهم * يقوم بذات الله فيهم ويعدل

فقال النبي صلى الله عليه وسلم وانا أشهد * وعن ابن عباس فى قوله تعالى حكاية عن ابليس ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم انه قال لم يستطع أن يقول ومن فوقهم لانه قد علم ان الله تعالى من فوقهم والآيات والاخبار التي فيها التصريح بما يدل على الفوقية كقوله تعالى تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم واليه يصعد الكلم الطيب وقوله بل رفعه الله اليه وتعرج الملائكة والروح اليه . وقوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه مسلم وأنت الظاهر فليس فوقك شئ كثيرة جدا وكذا كلام السلف فى ذلك . (فمنه ماروى) شيخ الاسلام

أبو اسماعيل الانصارى فى كتابه الفاروق بسنده الى أبى مطيع البلخي انه سأل أباحنيفة رضى الله عنه عمن قال لا أعرف ربى سبحانه فى السماء أم في الارض فقال قد كفر لان الله تعالى يقول الرحمن على العرش استوى وعرشه فوق سبع سموات فقال قلت فان قال انه على العرش ولكن لا ادرى العرش فى السماء ام فى الارض . فقال رضى الله عنه هو كافر لانه أنكر آية فى السماء ومن أنكر آية فى السماء فقد كفر . وزاد غيره لان الله تعالى فى أعلى عليين فهو يدعى من أعلى لامن أسفل انتهى *

﴿ وايد القول بالفوقية أيضا ﴾ بان الله لما خلق الخلق لم يخلقهم فى ذاته المقدسة تعالي عن ذلك فانه الاحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد . فتعين انه خلقهم خارجا عن ذاته ولو لم يتصف سبحانه بفوقية الذات مع انه قائم بنفسه غير مخالط للعالم لكان متصفا بضد ذلك لان القابل للشئ لايخلو منه أو من ضده وضد الفوقية السفول وهو مذموم على الاطلاق . والقول بانا لانسلم انه قابل للفوقية حتى يلزم من نفيها ثبوت ضدها مدفوع بانه سبحانه لو لم يكن قابلا للعلو والفوقية لم يكن له حقيقة قائمة بنفسها . فمتى سلم بانه جل جلاله ذات قائم بنفسه غير مخالط للعالم وانه موجود في الخارج ليس وجوده ذهنيا فقط بل وجوده خارج الاذهان قطعا . وقد علم كل العقلاء بالضرورة ان ما كان وجوده كذلك فهو اما داخل العالم واما خارج عنه وانكار ذلك انكار ماهو أجلى البديهيات فلا يستدل بدليل على ذلك الا كان العلم بالمباينة أظهر منه واوضح . واذا كان صفة الفوقية صفة كمال لانقص فيها ولا يوجب القول بها مخالفة كتاب ولا سنة ولا اجماع كان نفيها عين الباطل لاسيما والطباع مفطورة على قصد جهة العلو عند التضرع الى الله تعالى *

﴿ وذكر ﴾ محمد بن طاهر المقدسى ان الشيخ ابا جعفر الهمدانى حضر مجلس أمام الحرمين وهو يتكلم فى نفى صفة العلو ويقول كان الله تعالى ولا عرش وهو الآن على ما كان . فقال الشيخ أبو جعفر اخبرنا يا أستاذ عن هذه الضرورة التي نجدها في قلوبنا فانه ماقال عارف قط ياالله الا وجد فى قلبه ضرورة بطلب العلو لايلتفت يمنة ولا يسرة فكيف تدفع هذه الضرورة عن أنفسنا قال فلطم الامام على رأسه ونزل . وأظنه قال وبكى . وقال حيرنى الهمدانى *

﴿ وبعضهم ﴾ تكلف الجواب عن هذا بان هذا التوجه الى فوق انما هو لكون السماء قبلة

الدعاء كما ان الكعبة قبلة الصلاة ثم هو أيضا منقوض بوضع الجبهة على الارض مع انه سبحانه ليس في جهة الارض ولا يخفى ان هذا باطل أما أولا فلان السماء قبلة للدعاء لم يقله أحد من سلف الامة ولا انزل الله تعالى به من سلطان والذى صح أن قبلة الدعاء هى قبلة الصلاة فقد صرحوا بانه يستحب للداعي أن يستقبل القبلة وقد استقبل النبي صلى الله عليه وسلم الكعبة فى دعائه في مواطن كثيرة فمن قال ان للدعاء قبلة غير قبلة الصلاة فقد ابتدع فى الدين وخالف جماعة المسلمين . واما ثانيا فلان القبلة مايستقبله الداعى بوجهه كما تستقبل الكعبة فى الصلاة وماحاذاه الانسان برأسه أو يديه مثلا لا يسمى قبلة أصلا فلو كانت السماء قبلة الدعاء لكان المشروع ان يوجه الداعى وجهه اليها ولم يثبت ذلك في شرع أصلا *

وأما النقض بوضع الجبهة فما أفسده من نقض فان واضع الجبهة انما قصده الخضوع لمن فوقه بالذل لا ان يميل اليه اذ هو تحته بل هذا لا يخطر فى قلب ساجد نعم سمع عن بشر المريسى انه يقول سبحان ربى الاسفل تعالى الله عما يقول الجاحدون والظالمون علوا كبيرا *

وتأول بعضهم كل نص فيه نسبة الفوقية اليه تعالى بان فوق فيه بمعني خير وأفضل كما يقال الامير فوق الوزير والدينار فوق الدرهم وأنت تعلم ان هذا مما تنفر منه العقول السليمة وتشمئز منه القلوب الصحيحة فان قول القائل ابتداء الله تعالى خير من عباده أو خير من عرشه من جنس قول الثلج بارد والنار حارة والشمس أضوء من السراج والسماء أعلى من سقف الدار ونحو ذلك وليس فى ذلك أيضا تمجيد ولا تعظيم لله تعالى بل هو من أرذل الكلام فكيف يليق حمل الكلام المجيد عليه وهو الذى لو اجتمع الانس والجن على ان يأتوا بمثله لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا على ان فى ذلك تنقيصا لله تعالى شأنه فى المثل السائر *

ألم تر ان السيف ينقص قدره * اذا قيل ان السيف خير من العصا

نعم اذا كان المقام يقتضى ذلك بان كان احتجاجا على مبطل كما في قول يوسف الصديق عليه السلام . أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار . وقوله تعالى آلله خير أم ما يشركون والله خير وأبقى . فهو أمر لا اعتراض عليه . ولا توجه سهام الطعن اليه . والفوقية بمعنى الفوقية فى الفضل مما يثبتها السلف لله تعالى أيضا وهي متحققة في ضمن الفوقية المطلقة وكذا يثبتون فوقية القهر والغلبة كما يثبتون فوقية الذات . ويؤمنون بجميع ذلك على الوجه اللائق

بجلال ذاته وكمال صفاته سبحانه وتعالى منزهين له سبحانه عما يلزم ذلك مما يستحيل عليه جل شأنه ولا يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض . ولا يعدلون عن الالفاظ الشرعية نفيا ولا اثباتا لئلا يثبتوا معنى فاسداً أو ينفوا معنى صحيحا . فهم يثبتون الفوقية كما أثبتها الله تعالى لنفسه *

﴿ وأما لفظ الجهة ﴾ فقد يراد به ما هو موجود . وقد يراد به ما هو معدوم . ومن المعلوم انه لا موجود الا الخالق والمخلوق فاذا أريد بالجهة أمر موجود غير الله تعالى كان مخلوقا والله تعالى لا يحصره شيء . ولا يحيط به شيء من المخلوقات تعالى عن ذلك . وان أريد بالجهة أمر عدمي وهو ما فوق العالم فليس هناك الا الله تعالى وحده . فاذا قيل انه تعالى في جهة بهذا الاعتبار فهو صحيح عندهم ومعنى ذلك انه فوق العالم حيث انتهت المخلوقات . ونفاة لفظ الجهة الذين يريدون بذلك نفي العلو يذكرون من أدلتهم ان الجهات كلها مخلوقة وانه سبحانه كان قبل الجهات وانه من قال انه تعالى في جهة يلزمه القول بقدم شيء من العالم وانه جل شأنه كان مستغنيا عن الجهة ثم صار فيها . وهذه الالفاظ ونحوها تنزل على انه عز اسمه ليس في شيء من المخلوقات سواء سمي جهه أم لم يسم وهو كلام حق . ولكن الجهة ليست أمرا وجوديا بل هي أمر اعتباري ولا محذور في ذلك *

﴿ وبالجملة ﴾ يجب تنزيه الله تعالى عن مشابهة المخلوقين وتفويض علم ما جاء به من المتشابهات اليه عز شأنه . والايمان بها على الوجه الذي جاءت عليه . والتأويل القريب الى الذهن الشائع نظيره في كلام العرب مما لا بأس به عندي على ان بعض الآيات مما أجمع على تأويلها السلف والخلف والله أعلم بمراده . انتهى ما ذكر في روح المعاني . وهو مما يزهق روح النبهاني . ويرد التأويل الذي تعلق به الشيخ أحمد الحلبي الكلابي *

﴿ وتفصيل الكلام في هذا المقام ﴾ يطلب من كتب شيخ الاسلام وتلامذته فانهم أحسن من صنف في هذه المسائل وفيها يجد المنشد ضالته . وقد ألف الشيخ الحافظ أبو بكر الشهير بابن القيم كتابه غزو الجيوش الاسلاميه . في الرد على الجهمية . وكتابه الصواعق المرسلة على الدهرية والمعطلة . في هذه المطالب العالية . وبسط كلامه فيها كل البسط كما هو شأن كرمهم وجودهم في سخاء نفوسهم ببذل كنوز العلم طيب الله تعالى ثراهم *

وقد تكلم ابن القيم في غزو الجيوش الاسلامية على مسألة العلو . فذكر أولا ما ورد من

النصوص فى الـكتاب والسنة وبين معانيها على أتم وجه . ثم ذكر فصلا فيما حفظ عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعين والائمة الاربعة وغيرهم . ولا يمكن هنا استيفاء ماذكروه كله بل نقتصر على ذكر أقوال الائمة الاربعة رحمهم الله تعالى *

﴿ قول الامام أبي حنيفة قدس الله روحه ﴾ قال البيهقى حدثنا أبو بكر ابن الحارث الفقيه قال حدثنا أبو حيان ان أحمد بن جعفر بن نصر قال حدثنا يحيي بن على سمعت نعيم بن حماد يقول يعلى سمعت نوح ابن أبي مريم أبا عصمة يقول كنا عند أبي حنيفة أول ما ظهر اذ جاءته امرأة من ترمذ كانت تجالس جهما فدخلت الـكوفة فقيل لها ان ههنا رجل قد نظر فى المعقول يقال له أبو حنيفة فأتيه فأتته فقالت أنت الذي تعلم الناس المسائل وقد تركت دينك أين الهك الذى تعبده . فسكت عنها . ثم سكت عنها سبعة أيام لا يجيبها . ثم خرج الينا وقد وضع كتابا . ان الله سبحانه وتعالى فى السماء دون الارض فقال له رجل أرأيت قول الله تعالى وهو معكم . قال هو كما تكتب للرجل انى معك وأنت غائب قال البيهقى لقد أصاب أبو حنيفة رحمه الله تعالى فيما نفى عن الله تعالى وتقدس من الـكون فى الارض وفيما ذكر من تأويل الآية . وتبع مطلق السمع فى قوله الله عز وجل في السماء *

قال شيخ الاسلام وفي كتاب الفقه المشهور عند أصحاب أبى حنيفة الذى رواه باسناد عن أبى مطيع البلخي . الحـكم بن عبد الله قال سألت أبا حنيفة عن الفقه الا كبر لا تكفر أحدا بذنب ولا تنفى أحدا من الايمان وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتعلم انما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطاك لم يكن ليصيبك ولا تبرأ من أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا توال أحداً دون أحد . وان ترد أمر عثمان وعلى رضى الله تعالى عنهما الى الله تعالى . قال أبو حنيفة الفقه الا كبر فى الدين خير من الفقه في العلم ولان يتفقه الرجل كيف يعبد ربه عز وجل خير من ان يجمع العلم الـكثير . قال أبو مطيع قلت فاخبرنى عن أفضل الفقه قال يتعلم الرجل الايمان والشرائع والسنن والحدود واختلاف الائمة . وذكر مسائل في الايمان . ثم ذكر مسائل فى القدر . ثم قال فقلت فما تقول فيمن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فيتبعه على ذلك ناس . أفيخرج عن الجماعة هل ترى ذلك قال لا قلت ولم وقد أمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بالامر بالمعروف والنهى عن المنكر وهو فريضة واجبة فقال كذلك لـكن

مايفسدون أكثر مما يصلحون من سفك الدماء واستحلال الحرام . وذكر الكلام في قتال الخوارج والبغاة . الى ان قال قال أبو حنيفة ومن قال لا أعرف ربي في السماء أم في الارض فقد كفر لان الله تعالى يقول الرحمن على العرش استوى . وعرشه فوق سبع سموات . قلت فان قال انه على العرش ولكنه يقول لا أدرى العرش في السماء أم في الارض قال هو كافر لانه أنكر ان يكون في السماء لانه تعالى في أعلى عليين . وانه يدعى من أعلى لا من أسفل وفي لفظ سألت أبا حنيفة عمن يقول لا أعرف ربي في السماء أو في الارض قال كفر لان الله تعالى يقول الرحمن على العرش استوى وعرشه فوق سبع سموات قال فانه يقول على العرش استوى . ولكنه لا يدري العرش في الارض أو في السماء قال اذا أنكر انه في السماء فقد كفر . روى هذا عن شيخ الاسلام أبي اسمعيل الانصاري في كتابه الفاروق باسناده . قال شيخ الاسلام أبو العباس رحمه الله تعالى . ففي هذا الكلام المشهور عن أبي حنيفة رحمه الله عند أصحابه انه كفر الواقف الذي يقول لا أعرف ربي في السماء أو في الارض فكيف يكون الجاحد النافي الذى يقول ليس في السماء ولا في الارض واحتج على كفره بقوله تعالى الرحمن على العرش استوى . قال وعرشه فوق سبع سموات . وبين بهذا ان قوله الرحمن على العرش استوى بين في ان الله عز وجل فوق السموات فوق العرش . وان الاستواء على العرش . دل على ان الله فوق العرش . ثم أردف ذلك بكفر من توقف في كون العرش في السماء أو في الارض قال لانه أنكر ان يكون في السماء وان الله في أعلى عليين . وان الله يدعى من أعلى لا من أسفل واحتج بان الله في أعلى عليين . وانه يدعى من اعلى لا من اسفل وكل من هاتين الحجتين فطرية عقلية فان القلوب مفطورة على الاقرار بان الله عز وجل في العلو وعلى انه يدعى من أعلى لا من أسفل . وكذلك أصحابه من بعده كابي يوسف وهشام بن عبد الله الرازى كما روى ابن أبي حاتم وشيخ الاسلام بأسانيدهما ان هشام بن عبيد الله الرازى صاحب محمد بن الحسن قاضي الري حبس رجلا في التجهم فتاب فجيء به الى هشام ليمتحنه فقال الحمد لله على التوبة فامتحنه هشام فقال أشهد ان الله على عرشه بائن من خلقه فقال أشهد ان الله على عرشه ولا أدرى ما بائن من خلقه قال ردوه الى الحبس فانه لم يتب وسيأتي قول الطحاوي عند أقوال أهل الحديث *

﴿ قال امام دار الهجرة مالك بن أنس رحمه الله تعالى ﴾ ذ كر أبو عمرو بن عبد البر في كتاب التمهيد بسنده قال قال مالك بن أنس الله في السماء، وعلمه فى كل مكان لا يخلو منه مكان . قال وقيل لمالك الرحمن على العرش استوى كيف استوى فقال رحمه الله تعالى استواؤه معقول وكيفيته مجهولة وسوالك عن هذا بدعة واراك رجل سوء *

﴿ وكذلك أئمة أصحاب مالك من بعده ﴾ قال يحيي بن ابراهيم الطليطلى فى كتاب سير الفقهاء وهو كتاب جليل غزير العلم بسنده كانوا يكرهون قول الرجل ياخيبة الدهر وكانوا يقولون الله هو الدهر وكانوا يكرهون قول الرجل رغم أنفى لله وانما يرغم أنف الكافر وكانوا يكرهون قول الرجل والله حيث كان أو ان الله بكل مكان قال أصبغ وهو مستو على عرشه وبكل مكان علمه واحاطته وأصبغ من أجل أصحاب مالك وافقههم *

﴿ ذكر قول أبي عمر الطلمنكي ﴾ قال فى كتابه فى الاصول أجمع المسلمون من أهل السنة على ان الله استوى على عرشه بذاته وقال فى هذا الكتاب أيضا أجمع أهل السنة على ان الله استوى على عرشه على الحقيقة لا على المجاز ثم ساق سنده عن مالك قوله الله في السماء وعلمه فى كل مكان ثم قال فى هذا الكتاب وأجمع المسلمون من أهل السنة على ان معنى قوله تعالى وهو معكم أينما كنتم ونحو ذلك من القرآن بان ذلك علمه وان الله فوق السموات بذاته مستقر على عرشه كيف شاء وهذه القصة فى كتابه *

﴿ قول الامام الحافظ ابى عمر بن عبد البر ﴾ امام السنة فى زمانه رحمه الله تعالى قال فى كتاب التمهيد فى شرح الحديث الثامن لابن شهاب عن أبى سلمة عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال ينزل ربنا كل ليلة الى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول من يدعوني فاستجيب له . من يسألني فاعطيه . من يستغفرنى فاغفر له . هذا حديث ثابت من جهة النقل صحيح الاسناد . لا يختلف أهل الحديث فى صحته . وفيه دليل على ان الله عز وجل في السماء على العرش من فوق سبع سموات كما قالت الجماعة . وهو حجتهم على المعتزلة والجهمية في قولهم ان الله فى كل مكان . وليس على العرش . والدليل على صحة ما قال أهل الحق فى ذلك قوله الرحمن على العرش استوى . وقوله تعالى ثم استوى على العرش مالكم من دونه من ولى ولا شفيع أفلا تتذكرون . وقوله تعالى ثم استوى الى السماء وهى دخان . وقوله تعالى

اذا لابتغوا الى ذى العرش سبيلا . وقوله تبارك اسمه اليـه يصعد الـكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه وقوله تعالى فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا وقوله تعالى أأمنتم من فى السماء ان يخسف بكم الارض . وقال تعالى سبح اسم ربك الاعلى وهذا من العلو . وكذلك قوله تعالى العلى العظيم والـكبير المتعال . ورفيع الدرجات ذو العرش . ويخافون ربهم من فوقهم والجهمى يقول انه أسفل . وقال تعالى يدبر الامر من السماء الى الارض ثم يعرج اليـه . وقوله تعالى تعرج الملائكة والروح اليه . والعروج هو الصعود . وقوله تعالى ياعيسى انى متوفيك ورافعك الى . وقوله تعالى بل رفعه الله اليه . وقل تعالى . والذين عند ربك يسبحون له . وقال تعالى ليس له دافع من الله ذى المعارج تعرج الملائكة والروح اليه هو الصعود . وأما قوله أأمنتم من فى السماء فمعناه من على السماء يعنى على العرش . وقد تكون فى بمعنى على الا ترى الى قوله فسيحوا فى الارض أى على الارض وكذلك قوله تعالى ولاصلبنكم فى جذوع النخل . وهذا كله يعضده قوله تعالى تعرج الملائكة والروح اليـه . وماكان مثله مما تلونا من الآيات فى هذا . وهـذه الآيات كلها واضحات فى ابطال قول المعتزلة . وأما ادعاؤهم المجاز فى الاستواء . وقولهم فى تأويل استوى استولى فلا معنى له لانه غير ظاهر فى اللغة . ومعنى الاستيلاء فى اللغة المغالبـة والله تعالى لايغالبه أحد وهو الواحد الصمد . ومن حق الـكلام ان يحمل على حقيقته حتى تتفق الامة انه أريد به المجاز . اذ لاسبيل الى اتباع ما أنزل الينا من ربنا تعالى الا على ذلك . وانما يوجه كلام الله على الاشهر والاظهر من وجوهه مالم يمنع من ذلك مايجب التسليم له ولو ساغ ادعاء المجاز لـكل مبتـدع ماثبت شئ من العبادات وجل الله ان يخاطب الا بما تفهمه العرب من معهود مخاطباتها مما يصح معناه عنـد السامعين . والاستواء معلوم وفى اللغـة مفهوم . وهو العلو والارتفاع على الشئ . والاستقرار والتمكن فيـه . قال أبو عبيدة فى قول تعالى الرحمن على العرش استوى قال علا . قال وتقول العرب استويت فوق الدابة واستويت فوق البيت . وقال غـيره استوى أى استقر . واحتج بقوله تعالى ولما بلغ أشـده واستوى انتهى شبابه واستقر فلم يكن مزيد قال ابن عبـد البر رحمه الله تعالى الاستواء الاستقرار في العلو . وبهذا خاطبنا الله تعالى فى كتابه فقال لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم اذا استويتم عليـه . وقال تعالى واستوت على الجودى . وقال تعالى فاذا استويت انت ومن معـك على الفلك .

قال الشاعر *

فاوردتهم ماء بفيفاء قفرة * وقدحلق النجم اليمانى فاستوى

وهـذا لايجوز ان يتأول فيه أحد استولى لان النجم لايستولى . وقد ذكر النضر ابن شميل وكان ثقة مأمونا جليلا فى علم الديانة واللغة . قال حدثنى الخليل وحسبك بالخليل قال اتيت أبا ربيعة الاعرابي وكان من أعلم مارأيت . فاذا هو على سطح فسلمنا فرد علينا السلام وقال استووا فبقينا متحيرين ولم ندر ماقال . فقال اعرابى الى جانبـه انه أمركم ان ترتفعوا فقـال الخليل هو من قول الله عز وجل ثم استوى الى السماء وهى دخان فصعدنا اليه قال وأما من نازع منهم بحديث يرويه عبـد الله بن داود الواسطي عن ابرهيم بن عبد الصمد عن عبد الله ابن مجاهد عن أبيه عن ابن عباس رضى الله عنهم فى قوله تعالى الرحمن على العرش استوى قال استولي على جميع بريته فلا يخلو منه مكان *

فالجواب ان هذا حديث منكر على ابن عباس رضى الله عنهما ونقاته مجهولة وضعفاء فاماعبد الله بن داود الواسطى وعبـد الوهاب بن مجاهـد فضعيفان . وابرهيم بن عبدالصمد مجهول لايعرف وهم لايقبلون أخبار الآحاد العدول فكيف يسوغ لهم الاحتجاج بمثل هذا الحديث لو عقلوا أو أنصفوا أما سمعوا الله سبحانه يقول فقال ياهامان ابن لى صرحا . لعلى أبلغ الاسباب أسباب السموات فاطلع الي اله موسى وانى لاظنه كاذبا وقال الشاعر *

فسبحان من لايقدر الخلق قدره * ومن هو فوق العرش فرد موحد

مليك على عرش السماء مهيمن * لعزته تعنوا الوجوه وتسجد

وهذا الشعر لامية بن الصلت وفيه يقول في وصف الملائكة *

وساجدهم لايرفع الدهر رأسه * يعظم ربا فوقه ويمجد

قال فان احتجوا بقوله تعالى وهو الذى فى السماء آله وفي الارض آله وبقوله تعالى وهو الله فى السموات وفى الارض وبقوله تعالى مايكون من نجوي ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسـة الا هو سادسهم وزعموا ان الله سبحانه وتعالى فى كل مكان بنفسه وذاته تبارك وتعالى جده قيل لاخلاف بيننا وبين سائر الامـة انه ليس فى الارض دون السماء بذاته فوجب حمل هذه الآيات على المعنى الصحيح المجمع عليه وذلك انه فى السماء اله معبود لاهل السماء وفى الارض

آله معبود لاهل الارض وكذا قال أهل العلم بالتفسير وظاهر هذا التنزيل يشهد انه على العرش فالاختلاف فى ذلك ساقط — وأسعد الناس به من ساعده الظاهر وأما قوله فى الآية الاخرى وفى الارض اله فالاجماع والاتفاق قد بين ان المراد بانه معبود أهل الارض وأهل السماء فتدبر هذا فانه قاطع *

ومن الحجة أيضا فى أنه عز وجل على العرش فوق السموات السبع ان الموحدين أجمعين من العرب والعجم اذا كربهم أمر ونزلت بهم شدة رفعوا وجوههم الى السماء ونصبوا ايديهم رافعين مشيرين بها الى السماء يستغيثون الله ربهم تبارك وتعالى وهذا اشهر وأعرف عند الخاصة والعامة من أن يحتاجوا فيه الى اكثر من حكايته لانه اضطرارى لم يوافقهم عليه أحد ولا انكره عليهم مسلم. وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم للامة التي أراد مولاها عتقها ان كانت مؤمنة فاختبرها النبي صلى الله عليه وسلم بان قال لها أين الله فاشارت الى السماء . ثم قال لها من أنا قالت أنت رسول الله قال اعتقها فانها مؤمنة فاكتفى رسول الله صلى الله عليه وسلم منها برفع رأسها الى السماء واستغنى بذلك عما سواه. قال واما احتجاجهم بقوله تعالى (مايكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم) فلا حجة لهم فى ظاهر هذه الآية لان علماء الصحابة والتابعين الذين حمل عنهم التأويل في القرآن قالوا فى تأويل هذه الآية هو على العرش وعلمه في كل مكان وما خالفهم في ذلك أحد يحتج بقوله. وذكر سنيد عن مقاتل بن حيان عن الضحاك بن مزاحم فى قوله تعالى (مايكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم) قال هو على عرشه وعلمه معهم أينما كانوا * قال وبلغنى عن سفيان الثورى مثله قال سنيد بسنده الى ابن مسعود قال الله فوق العرش لا يخفى عليه شئ من أعمالكم . ثم ساق من طريق يزيد بن هرون عن ابن مسعود رضى الله عنه قال مابين السماء الى الارض مسيرة خمسمائة عام وما بين كل سماء الى الاخرى خمسمائة عام وما بين السماء السابعة الى الكرسي مسيرة خمسمائة عام. وما بين الكرسى الى الماء مسيرة خمسمائة عام والعرش على الماء والله على العرش ويعلم أعمالكم . وذكر هذا الكلام او قريبا منه فى كتاب الاستذكار *

﴿ ذكر قول الامام مالك الصغير ﴾ أبى محمد عبد الله بن أبى زيد القيروانى قال فى خطبته برسالته المشهورة ما تنطق به الالسنة وتعتقده الافئدة من واجب أمور الديانات من ذلك

الايمان بالقلب والنطق باللسان ان الله اله واحد لااله غيره ولا شبيه له ولا نظير له ولا ولد له ولا والد له ولاصاحبة له ولا شريك له ليس لاوليته ابتداء. ولا لآخريته انقضاء. ولا يبلغ كنه صفته الواصفون. ولايحيط بامره المتفكرون يعتبر المتفكرون بآياته ولا يتفكرون في ماهية ذاته (ولا يحيطون بشئ من علمه الا بما شاء وسع كرسيه السموات والارض ولا يؤده حفظهما وهو العلى العظيم) وهو العليم الخبير المدبر القدير السميع البصير العلى الكبير. وانه فوق عرشه المجيد بذاته وهو بكل مكان بعلمه — وكذلك ذكر مثل هذا في نوادره وغيرها من كتبه — وذكر في كتابه المفرد في السنة تقرير العلو واستواء الرب تعالى على عرشه بذاته اتم تقرير فقال ما اجتمعت عليه الامة من أمور الديانة من السنن التى خلافها بدعة وضلالة ان الله سبحانه وتعالى له الاسماء الحسنى والصفات العلى لم يزل بجميع صفاته وهو سبحانه موصوف بان له علما وقدرة وارادة ومشيئة احاط علما بجميع ما بدا قبل كونه وفطر الاشياء بارادته وقوله انما أمره اذا أراد شيأ أن يقول له كن فيكون وان كلامه صفة من صفاته ليس بمخلوق فيبيد ولا صفة لمخلوق فينفد وان الله عز وجل كلم موسى عليه الصلوة والسلام بذاته واسمعه كلامه لا كلاما قام فى غيره وأنه يسمع ويرى ويقبض ويبسط وان يديه مبسوطتان والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه وان يديه غير نعمته في ذلك في قوله سبحانه مامنعك ان تسجد لما خلقت بيدى وانه يجئ يوم القيامة بعد ان لم يكن جائيا والملك صفا صفا لعرض الامم وحسابها وعقابها وثوابها فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء *

وانه يرضى ويحب التوابين ويسخط على من كفر به ويغضب ولا يقوم شئ بغضبه وانه فوق سماواته على عرشه دون أرضه وانه فى كل مكان بعلمه . وان لله سبحانه كرسيا كما قال عز وجل وسع كرسيه السموات والارض كما جاءت به الاحاديث ان الله سبحانه يضع كرسيه يوم القيامة لفصل القضاء وقال مجاهد كانوا يقولون ما السموات والارض فى الكرسى الا كحلقة ملقاة فى فلاة من الارض وان الله سبحانه يراه أولياؤه فى المعاد بابصارهم لا يضامون فى رؤيته كما قال عز وجل فى كتابه وعلى لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قول الله عز وجل للذين أحسنوا الحسنى وزيادة هو النظر الى وجه الكريم وانه يكلم عباده يوم القيامة ليس بينه وبينهم واسطة ولا ترجمان

وان الجنة والنار داران قد خلقتا أعدت الجنة للمؤمنين المتقين والنار للكافرين الجاحدين ولا يفنيان والايمان بالقدر خيره وشره وكل ذلك قد قدره ربنا سبحانه وتعالى وأحصاه علمه وان مقادير الامور بيده ومصدرها عن قضائه تفضل على من أطاع فوفقه وحبب الايمان اليه وزينه فى قلبه فيسره وشرح له صدره ونور قلبه فهداه ومن يهدى الله فما له من مضل وخذل من عصاه وكفر به فاسلمه وبسره لخجبه وأضله ومن يضلل الله فلن تجد له وليا مرشدا وكل ينتهى الى سابق علمه لاتخصيص لاحد عنه. وان الايمان قول باللسان واخلاص بالقلب وعمل بالجوارح يزيد ذلك بالطاعة وينقص بالمعصية نقصا عن حقائق الكمال لامحبط للايمان ولا قول الا بعمل ولا قول الا بنية ولا قول ولا عمل ولا نية الا بموافقة السنة وانه لا يكفر أحد من أهل القبلة بذنب وان كان كبيرا ولا يحبط الايمان غير الشرك بالله تعالى كما قال سبحانه لئن أشركت ليحبطن عملك . وقال تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء وان على العباد حفظة يكتبون أعمالهم كما قال تعالى وان عليكم لحافظين كراما كاتبين. وقال تعالى مايلفظ من قول الالديه رقيب عتيد وان ملك الموت يقبض الارواح كلها باذن الله تعالى متى شاء كما قال تعالى قل يتوفاكم ملك الموت الذى وكل بكم. وان الخلق ميتون باجالهم. فارواح أهل السعادة باقية منعمة الى يوم القيامة. وأرواح أهل الشقاء فى سجين معذبة الى يوم القيامة وان الشهداء أحياء عند ربهم يرزقون وان عذاب القبر حق . وان المؤمنين يفتنون فى قبورهم ويضغطون ويسألون. ويثبت الله منطق من أحب تثبيته وانه ينفخ في الصور فيصعق من فى السموات ومن فى الارض الا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فاذاهم قيام ينظرون كما بدأهم يعودون حفاة عراة غرلا وان الاجساد التى أطاعت أو عصت هى التى تبعث يوم القيامة لتجازى والجلود التي كانت فى الدنيا والالسنة والايدى والارجل التى تشهد عليهم يوم القيامة على من تشهد عليه منهم وينصب الموازين لوزن أعمال العباد فافلح من ثقلت موازينه وخاب وخسر من خفت موازينه ويؤتون صحائفهم فمن أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا ومن أوتى كتابه بشماله فسوف يدعوا ثبورا ويصلى سعيرا وان الصراط جسر مورود يجوزه العباد بقدر أعمالهم فناجون متفاوتون فى سرعة النجاة عليه من نار جهنم وقوم أبقتهم أعمالهم فيها يتساقطون وانه يخرج من النار من فى قلبه شئ من الايمان وان الشفاعة لاهل الكبائر من المؤمنين

ويخرج بشفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم قوم من النار من أمته بعد ان صاروا فحما يطرحون في نهر الحياة فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل والايمان بحوض رسول الله صلى الله عليه وسلم ترده أمته لا يظمأ من شرب منه ويذاد عنه من غير وبدل والايمان بما جاء من خبر الاسراء بالنبي صلى الله عليه وسلم الى السموات ما صحت به الروايات وانه صلى الله عليه وسلم رأي من آيات ربه الكبرى . وبما ثبت من خروج الدجال ونزول عيسى عليه السلام حكما عدلا وقتله الدجال وبالآيات التي بين يدي الساعة من طلوع الشمس من المغرب وخروج الدابة وغير ذلك مما صحت به الروايات ونصدق بما جاءنا عن الله في كتابه وثبت عن رسوله صلى الله عليه وسلم وأخباره فوجب العمل بحكمه . ونؤمن بمشكله ومتشابهه ونكل ماغاب عنا من حقيقة تفسيره الى الله تعالى . والله يعلم تأويل المتشابه من كتابه والراسخون في العلم يقولون آمنا به وكل ماغاب عنا من حقيقة تفسيره كل من عند ربنا . وقال بعض الناس الراسخون في العلم يعلمون مشكله ولكن الاول قول أهل المدينة وعليه يدل الكتاب وان أفضل القرون قرن الصحابة رضي الله عنهم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم كما قال النبي صلى الله عليه وسلم . وان أفضل الامة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر ثم علي . وقيل ثم عثمان وعلي ويكف عن التفضيل بينهما . روى ذلك عن مالك وقال ماأدركت أحدا اقتدى به يفضل أحدهما على صاحبه فرأى الكف عنهما وروى عنه القول الاول وهو قول اهل الحديث . ثم بقية العشرة ثم اهل بدر ومن المهاجرين ومن الانصار ومن جميع الصحابة على قدر الهجرة والسابقة والفضيلة وكل من صحبه ولو ساعة او رآه ولو مرة فهو بذلك افضل من التابعين . والكف عن اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الا بخير مايذكرون به وهم احق ان ننشر ذكر محاسنهم ونلتمس لهم افضل مخارجهم ونظن بهم احسن المذاهب . قال النبي صلى الله عليه وسلم لا تؤذوني في اصحابي فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا مابلغ مد أحدهم ولا نصيفه . وقال صلى الله عليه وسلم اذا ذكر أصحابي فامسكوا قال أهل العلم لا يذكرون الا باحسن ذكر والسمع والطاعة لائمة المسلمين . وكل من ولي أمر المسلمين عن رضى أو عن غلبة أو شدة وطاعته من بر اوفاجر فلا يخرج له عليه جار او عدل ونغزو معه العدو ونحج معه البيت ودفع الصدقات اليهم مجزية اذا طلبوها ونصل خلفهم الجمعة والعيدين . قاله غير واحد من العلماء . وقال مالك لا نصلي خلف المبتدع منهم

الا أن نخافه فنصلى خلفه . واختلف في الاعادة . ولا بأس بقتال من دافعك من الخوارج والنصوص من أهل المسلمين وأهل الذمة عن نفسك ومالك والتسليم للمسلمين لاتعارض برأى ولا تدافع بقياس وما تأوله منها السلف الصالح تأولناه . وماعملوا به عملناه . وماتركوه تركناه . ويسعنا ان نمسك عما أمسكوا عنه ونتبعهم فيما بينوا ونقتدى بهم فيما استنبطوه ورأوه في الحوادث . ولا نخرج من جماعاتهم فيما اختلفوا فيه وفى تأويله . وكل ماقدمنا ذكره فهو قول أهل السنة وأئمة الناس في الفقه والحديث على مابيناه . وكله قول مالك فمنه منصوص من قوله ومنه من مذهبه قال مالك قال عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه سن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولاة الامور سننا الاخذ بها تصديق لكتاب الله تعالى واستكمال لطاعته وقوة على دين الله تعالى ليس لاحد تبديلها ولا تغييرها . ولا النظر فيما خالفها من اهتدى بها هدى ومن استنصر بها نصر ومن تركها واتبع غير سبيل المؤمنين ولاه الله ما تولى وأصلاه جهنم وساءت مصيرا قال مالك أعجبنى عزم عمر رضي الله عنه فى ذلك وقال فى مختصر المدونة وانه تعالى فوق عرشه بذاته فوق سمواته دون أرضه رضى الله عنه *

﴿ قول الامام أبى بكر محمد بن وهب المالكي شارح رسالة ابن أبى زيد ومن المشهورين بالفقه والسنة رحمه الله تعالى ﴾ قال فى شرحه الرسالة ومعنى فوق وعلى واحد بين جميع العرب فى كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم تصديق ذلك قوله تعالى ثم استوى على العرش الرحمن وقال تعالى الرحمن على العرش استوى وقال تعالى فى وصف الملائكة يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون . وقال تعالى اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه ونحو ذلك كثير . وقال الرسول صلى الله عليه وسلم للاعجمية اين الله فأشارت الي السماء ووصف النبي صلى الله عليه وسلم انه عرج به من الارض الى السماء، ثم من سماء الي سماء الى سدرة المنتهى ثم الى مافوقها حتى لقد قال سمعت صريف الاقلام ولما فرضت الصلاة جعل كلما هبط من مكانه تلقاه موسى عليه السلام فى بعض السماوات . وامره بسؤال التخفيف عن امته فراجع صاعدا مرتفعا الى الله سبحانه وتعالى يسأله حتى انتهت الى خمس صلوات وسنذكره ان شاء الله تعالى عن قريب *

﴿ قول الامام ابي القاسم عبد الله بن خلف المقرى الاندلسى رحمه الله تعالى ﴾ قال فى الجزء

الاول من كتاب الاهتداء . لاهل الحق والاقتداء . من تصنيفه من شرح الملخص للشيخ ابي الحسن القابسي رحمه الله تعالى عن مالك بن شهاب عن ابي عبد الله الاغر وعن ابى سلمة ابن عبد الرحمن عن ابي هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ينزل ربنا كل ليلة الى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول من يدعونى فاستجيب له ومن يسألنى فاعطيه ومن يستغفرني فاغفر له *

في هذا الحديث دليل على انه تعالى فى السماء على العرش فوق سبع سموات من غير مماسة ولا تكييف كما قال اهل العلم . ودليل قولهم ايضا من القرآن قوله تعالى الرحمن على العرش استوى وقوله تعالى ثم استوى على العرش مالكم من دونه من ولى ولا شفيع وقوله تعالى اذا لا ابتغوا الى ذى العرش سبيلا . وقوله يدبر الامر من السماء الى الارض وقوله تعالى تعرج الملائكة والروح اليه . وقوله تعالى لعيسى عليه السلام انى متوفيك ورافعك الى . وقوله ليس له دافع من الله ذى المعارج تعرج الملائكة والروح اليه . والعروج هو الصعود . قال مالك ابن انس رحمه الله تعالى الله عز وجل في السماء وعلمه فى كل مكان لايخلو من علمه مكان . يريد والله اعلم بقوله فى السماء وعلى السماء كما قال تعالى ولاصلبنكم فى جذوع النخل وكما قال تعالى (أأمنتم من السماء أن يخسف بكم الارض) اى من علا السماء يعنى على العرش وكما قال تعالى فسيحوا فى الارض اي على الارض وقيل لمالك الرحمن على العرش استوى كيف استوى قال مالك رحمه الله لقائله استواؤه معقول وكيفيته مجهولة وسؤالك عن هذا بدعة وأراك رجل سوء (قال ابو حنيفة) فى قوله تعالى الرحمن على العرش استوى اي علا . قال ويقول العرب استويت فوق الدابة او فوق البيت وكلما قدمت دليل واضح فى ابطال قول من قال بالمجاز فى الاستواء وان استوى بمعنى استولى لان الاستيلاء فى اللغة المبالغة وانه لا يبالغه أحد وان من حق الكلام ان يحمل على حقيقته حتى تتفق الامة انه أريد به المجاز اذ لا سبيل الى اتباع ما أنزل الينا من ربنا سبحانه وتعالى الا على ذلك . وانما يوجه كلام الله تعالى الى الاشهر والاظهر من وجوهه ما لم يمتنع ذلك ما يوجب له التسليم . ولو ساغ ادعاء المجاز لكل مدع ما ثبت شئ من العبادات وجل الله تعالى أن يخاطب الا بما تفهمه العرب من معهود مخاطباتها مما يصح معناه عند السامعين . والاستواء معلوم في اللغة وهو العلو والارتفاع والتمكن .

(ومن الحجة أيضا) في أن الله سبحانه وتعالى على العرش فوق السموات السبع ان الموحدين اجمعين اذا كربهم أمر رفعوا وجوههم الى السماء يستغيثون الله ربهم وقوله صلى الله عليه وسلم للامـة التى أراد مولاها ان يعتقها اين الله فاشارت الى السماء . ثم قال لها من انا قالت انت رسول الله . قال اعتقها فانها مؤمنة فاكتفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم منها برفع رأسها الى السماء دل على ما قدمناه انه على العرش والعرش فوق السموات السبع . ودليل قولنا أيضا قول أمية ابن ابى الصلت في وصف الملائكة عليهم السلام *

وساجدهم لا يرفع الدهر رأسـه * يعظـم ربا فوقـه ويمجـد
فسبحان من لا يقدر الخلق قدره * ومن هو فوق العرش فرد موحد
مليك على عرش السماء مهيمن * لعزته تعنو الوجوه وتسجـد

وقوله تعالى (وقال فرعون يا هامان ابن لى صرحا لعلى ابلغ الاسباب أسباب السموات فاطلع الى اله موسى . فدل على أن موسى عليه السلام كان يقول الهى فى السماء وفرعون يظنه كاذبا (فان احتج) أحد علينا فيما قدمناه وقال لو كان كذلك لا شبه المخلوقات لان ما احاطت به الامكنة واحتوته فهو مخلوق . فشئ لا يلزم ولا معنى له لانه تعالى ليس كمثله شئ من خلقه ولا يقاس بشئ من بريته ولا يدرك بقياس . ولا يقاس بالناس . كان قبل الامكنـة ثم يكون بعدها لا اله الا هو خالق كل شئ لا شريك له وقد اتفق المسلمون وكل ذى لب انه لا يعقل كائن الا فى مكان ما وما ليس في مكان فهو عدم . وقد صح فى العقول وثبت بالدلائل انه كان فى الازل لا فى مكان وليس بمعدوم فـكيف يقاس على شئ من خلقه او يجرى بينهم وبينه تمثيل او تشبيه . تعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا .

﴿ فان قال قائل ﴾ اذا وصفنا ربنا تعالى انه كان فى الازل لا فى مكان ثم خلق الاماكن فصار فى مكان ففي ذلك اقرار منافيه بالتغيير والانتقال اذا زالت عن صفته فى الازل وصار فى مكان دون مكان *

﴿ قيل له ﴾ وكذلك زعمت أنت انه كان لا فى مكان ثم صار فى كل مكان فنقل صفته من الـكون لا فى مكان الى صفة هي الـكون في كل مكان فقد تغير عندك معبودك وانتقل من لا مكان الى كل مكان . فان قال انه كان فى الازل فى كل مكان وكما هو الآن فقد وجب الامكان

والاشياء معه في أزليته وهذا فاسد *
* فان قال * فهل يجوز عندك ان ينتقل من مكان في الازل الى مكان (قيل له) اما الانتقال وتغير الحال فلا سبيل الى اطلاق ذلك عليه لان كونه فى الازل لا يوجب مكانا وكذلك نقلته توجب مكانا وليس في ذلك كالخلق لان كونه يوجب مكانا من الخلق ونقلته توجب مكانا ويصير منتقلا من مكان الى مكان والله تعالى ليس كذلك ولكن نقول استوى من لا مكان الى مكان ولا نقول انتقل وان كان المعنى في ذلك واحدا كما نقول له عرش ولا نقول له سرير ونقول هو الحكيم ولا نقول هو العاقل ونقول خليل ابراهيم ولا نقول صديق ابراهيم عليه السلام وان كان المعنى فى ذلك واحدا لانا لا نسميه ولا نصفه ولا نطلق عليه الا ما سمى به نفسه على ما تقدم ولا ندفع ما وصف به نفسه لانه دفع للقرآن وقد قال الله تعالى (وجاء ربك والملك صفا صفا) وليس مجيئه حركة ولا زوالا ولا ابتدالا لان ذلك انما يكون اذا كان الجائي جسما او جوهرا فلما ثبت انه ليس بجسم ولا جوهر ولا عرض لم يجب أن يكون مجيئه حركة ولا انتقالا ولو اعتبرت ذلك بقولهم جاءت فلانا قيامته وجاءه الموت وجاءه المرض وشبه ذلك مما هو وجود نازل به لا مجيء لبان ذلك وبالله العصمة والتوفيق *
* فان قال انه لا يكون * مستويا على مكان الا مقرونا بالتكييف (قيل له) قد يكون الاستواء واجبا والتكييف مرتفع وليس رفع التكييف يوجب رفع الاستواء ولو لزم هذا لزم التكييف فى الازل ولا يكون كائنا فى الامكان ولا مقرونا بالتكييف *
* فان قال * انه كان ولا مكان وهو غير مقرون بالتكييف وقد عقلنا وادركنا بحواسنا ان لنا أرواحا في ابداننا ولا نعلم كيفية ذلك وليس جهلنا بكيفية الارواح يوجب ان ليس لنا أرواح وكذلك ليس جهلنا بكيفيته على عرشه يوجب ان ليس على عرشه وقد روى عن ابي زيد العقيلى قال قلت يا رسول الله اين كان ربنا تبارك وتعالى قبل ان يخلق السماء والارض قال كان فى عماء ما فوقه هواء وما تحته هواء. قال ابو القاسم العماء ممدود وهو السحاب والعمى مقصور وهو الظلمة وقد روى الحديث بالمد والقصر فمن رواه بالمد فهو عنده كان في عماء سحاب ما تحته هواء وما فوقه هواء والهاء راجعة الى العماء . ومن رواه بالقصر فمعناه عنده كان فى عمى عن خلقه لانه من عمى عن الشيء فقد أظلم عنه وعن مجاهد قال ان بين العرش وبين الملائكة لسبعين حجابا

من نور وحجابا من ظلمة وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال ما بين السماء الى الارض مسيرة خمسمائة عام وما بين السابعة الى الكرسي مسيرة خمسمائة عام والعرش على الماء والله تعالى على العرش ويعلم اعمالكم وقال ابن مسعود رضى الله تعالى عنه أيضا أنه فوق العرش لا يخفى عليه شيء من أعمالكم قال ابو القاسم يريد فوق العرش لان العرش آخر المخلوقات ليس فوقه مخلوق والله تعالى اعلى المخلوقات دون تكييف ولا مماسة ولا اعلم في هذا الباب حديثا مرفوعا الا حديث عبد الله بن عميرة عن الاحنف عن العباس ابن عبد المطلب رضى الله عنه ان رسول الله صلى عليه وسلم نظر الى سحابة فقال ما تسمون هذه قالوا السحاب قال والمزن قالوا والمزن قال والعنان قالوا والعنان قال كم ترون بينكم وبين السماء قالوا لا ندرى قال بينكم وبينها اما واحد او اثنان او ثلاث وسبعون سنة والسماء فوقها كذلك بينهما مثل ذلك حتى عد سبع سموات ثم فوق السماء السابعة بحر بين أعلاه وأسفله كما بين سماء الى سماء ثم فوق ذلك ثمانية او عال بين اظلافهم وركبهم مثل ما بين سماء الى سماء ثم الله فوق ذلك هذا حديث صحيح أخرجه أبو داود *

﴿ قول الامام ابى عبد الله محمد ابن أبى نعيس المالكى المشهور رحمه الله تعالى ﴾ قال في كتابه الذى صنفه فى أصول السنة (باب الايمان بالعرش) ومن قول أهل السنة ان الله عز وجل خلق العرش واختصه بالعلو والارتفاع فوق جميع ما خلق ثم استوى عليه كيف شاء كما أخبر عن نفسه فى قوله عز وجل الرحمن على العرش استوى وفى قوله تعالى ثم استوى على العرش يعلم ما يلج فى الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها . وذكر حديث أبى رزين العقيلى قلت يارسول الله اين كان ربنا قبل ان يخلق السموات والارض قال كان فى عماء مافوقه هواء وما تحته هواء ثم خلق عرشه على الماء ثم ذكر الاثار فى ذلك الى أن قال باب الايمان بالحجب . قال ومن قول أهل السنة ان الله تعالى بائن من خلقه محتجب عنهم بالحجب تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا كبرت كلمة تخرج من أفواههم ان يقولون الا كذبا الى ان قال باب الايمان بالنزول . قال ومن قول أهل السنة ان الله ينزل الى سماء الدنيا . وذكر حديث النزول ثم قال وهذا الحديث يبين ان الله تعالى على عرشه فى السماء دون الارض وهو أيضا بين فى كتاب الله تعالى ويقدس فى غير ما حديث عن رسول الله صلى عليه وسلم

قال الله يدبر الامر من السماء الى الارض ثم يعرج اليه وساق الآيات فى العلو . وذكر من طريق مالك قول النبي صلى الله عليه وسلم اين الله ثم قال والحديث فى مثل هذا كثير *

﴿ قول القاضي عبد الوهاب امام المالكية بالعراق ومن كبار أهل السنة رحمه الله تعالى ﴾ صرح بان الله استوى على عرشه بذاته نقله شيخ الاسلام رحمه الله تعالى وقدس روحه فى غير موضع من كتبه ونقله عنه القرطبي فى شرح الاسماء الحسنى *

﴿ ذكر قول الامام محمد بن ادريس رضى الله عنه وقدس روحه ﴾

قال الامام ابن الامام عبدالرحمن ابن ابي حاتم الرازى حدثنا ابو شعيب وابو ثور عن ابى عبد الله محمد ابن ادريس الشافعي رحمه الله تعالي قال القول فى السنة التى انا عليها ورأيت اصحابنا عليها اهل الحديث الذى رأيتهم وأخذت عنهم مثل سفيان ومالك وغيرهما الاقرار بشهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وان الله على عرشه فى سمائه يقرب من خلقه كيف شاء وان الله تعالي ينزل الى سماء الدنيا كيف شاء قال عبد الرحمن وحدثنا يونس بن عبد الاعلى قال سمعت اباعبد الله محمد ابن ادريس الشافعي يقول وقد سئل عن صفات الله وما يؤمن به فقال لله اسماء وصفات جاء بها كتابه واخبر بها نبيه أمته لايسع احدا من خلق الله قامت عليه الحجة ردها لان القرآن نزل بها وصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم القول بها فيما روى عنه العدل فان خالف ذلك بعد ثبوت الحجة عليه فهو كافر أما قبل ثبوت الحجة فمعذور بالجهل لان علم ذلك لايدرك بالعقل ولا بروية الفكر ولا يكفر بالجهل بها أحد الا بعد انتهاء الخبر اليه بها وتثبت هذه الصفات وتنفى عنها التشبيه كما نفى التشبيه عن نفسه فقال ليس كمثله شئ وهو السميع البصير . وصح عن الشافعي انه قال خلافة ابى بكر الصديق رضي الله عنه حق قضاها الله فى سمائه وجمع عليها قلوب عباده ومعلوم ان المقضى في الارض والقضاء فعله سبحانه وتعالى المتضمن لمشيئته وقدرته *

﴿ وقال فى خطبة ﴾ رسالته . الحمد لله الذى هو كما وصف به نفسه . وفوق مايصفه به خلقه فجعل صفاته سبحانه انما تتلقى بالسمع . وقال يونس بن عبد الا على قال لى محمد ابن ادريس الشافعى رضى الله عنه الاصل قرآن وسنة فان لم يكن فقياس عليهما واذا اتصل الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وصح الاسناد منه فهو سنة والاجماع أكبر من

الخبر الفرد والحديث على ظاهره واذا احتمل المعانى فما أشبه منها ظاهره فهو اولاها به

﴿ ثم ذكر قول صاحبه ﴾ امام الشافعية في وقته أبي ابراهيم اسمعيل بن يحيي المزنى في رسالته في السنة التى رواها أبو طاهر السلفى عنه باسناده وساقها كلها (وقول امام) الشافعية فى وقته أبي العباس بن شريح رحمه الله تعالى وساق كلامه أيضا . (وقول الامام) حجة الاسلام أحمد بن الحسين الشافعى المعروف بابن الحداد ثم ساق كلامه . (وقول الامام) اسمعيل بن محمد بن الفضل التيمى صاحب كتاب الترهيب والترغيب وكتاب الحجة فى بيان المحجة . ومذهب أهل السنة وكان امام الشافعية فى وقته رحمه الله تعالى . ونقل فصلا من كتاب الحجة في بيان استواء الله تعالى على عرشه وساقه كله . (ثم ذكر قول الامام) أبي عمرو وعثمان ابن أبي الحسن بن الحسين السهروردى الفقيه المحدث من أئمة أصحاب الشافعي من اقران البيهقى وأبي عثمان الصابونى وطبقتهما له كتاب فى أصول الدين . وساق كلامه وفيه . ومن صفاته تبارك وتعالى فوقيته واستواؤه على عرشه بذاته كما وصف نفسه في كتابه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم بلا كيف الخ . (ثم ذكر قول امام) الشافعية فى وقته الامام أبي بكر محمد بن محمود بن سورة التيمى فقيه نيسابور رحمه الله تعالى . ثم ساق كلامه ومنه ان أردت ان تكون لك درجة الائمة فى الدنيا والآخرة فعليك بمذهب السلف الصالح وإياك ان تداهن في ثلاث مسائل مسألة القرآن . ومسألة النبوة . ومسألة استواء الرحمن على العرش باستدلال النص من القرآن والسنة المأثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم . حكاه الحافظ أبو منصور فى كتاب العلو له الخ *

﴿ ثم ذكر قول أبي الحسن ﴾ العمرانى صاحب البيان فقيه الشافعية ببلاد اليمن رحمه الله تعالى وساق كلامه فى كتابه الذى ألفه في السنة على مذهب أهل الحديث *

﴿ ثم ذكر أقوال جماعة من اتباع الائمة الاربعة ممن يقتدى باقوالهم سوى ما تقدم ﴾ منهم أبو بكر محمد بن وهب المالكي شارح رسالة ابن أبي زيد عليهما الرحمة وساق كلامه الذى فى شرحه بنصه

﴿ ومنهم ﴾ امام الشافعية فى وقته بل هو الشافعي الثانى أبو حامد الاسفرائينى رحمه الله وكان من كبار أئمة السنة المثبتين للصفات فقد قال مذهبي ومذهب الشافعى وجميع علماء الامصار القرآن كلام الله ليس بمخلوق ومن قال مخلوق فهو كافر الى آخر كلامه . وفيه اثبات صفة العلو لله

﴿ ومنهم ﴾ امام الشافعية فى وقته سعد بن على الزنجانى صرح بالفوقية بالذات فقال هو فوق عرشه بوجود ذاته هذا لفظه وهو امام فى السنة له قصيدة فيها معروفة ، أولها ، تمسك بحبل الله واتبع الاثرا ، وقد شرحها *

﴿ ومنهم ﴾ الامام أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى الامام في الفقه والتفسير والحديث والتاريخ واللغة والنحو والقرآن ، ثم ساق عبارته فى كتابه صريح السنة وفيه اثبات العلو لله تعالى ، وعبارته من تفسيره عند الكلام على قوله تعالى الرحمن على العرش استوى علا وارتفع ، وساق جميع عباراته التى ذكرها في هذا الباب *

﴿ ومنهم ﴾ الامام أبو القاسم الطبرى اللالكائى أحد أئمة أصحاب الشافعى رحمه الله تعالى وساق كلامه فى كتاب السنة وهو مشتمل على مثل ما سبق *

﴿ ومنهم ﴾ الامام محي السنة الحسين بن مسعود البغوى وساق كلامه الذى هو شجي فى طوق الجهمية والمعطلة فى سورة الاعراف فى قوله تعالى ثم استوى على العرش *

﴿ ثم ذكر أقوال الامام أحمد بن حنبل ﴾ وجماعة من أصحابه وكلها مصرحة باثبات صفة العلو والفوقية لله تعالى ومثلهم أئمة الحديث المشهورون . ثم ذكر أقوال أئمة التفسير . ثم ذكر أقوال أئمة اللغة والعربية الذين يحتج بقولهم فيها . كابى عبيدة معمر ابن المثنى . ويحي بن زياد الفراء امام أهل الكوفة وأبى العباس ثعلب وغيرهم مما يطول ذكرهم *

﴿ ثم ذكر أقوال الزهاد ﴾ أهل الاتباع وسلفهم مثل ثابت البنانى وسليمان التيمي وشريح بن عبيد وعبيد بن عمير والفضيل بن عياض وعطاء السلمى وأبو عبيدة الخواص وبشر الحافى وذى النون المصرى والحارث بن أسد المحاسبي والامام العارف أبى عبدالله محمد بن عثمان المكى امام الصوفية فى وقته ، وأبى جعفر الهمدانى الصوفى ، والامام العارف معمر بن أحمد الاصبهانى شيخ الصوفية في أواخر المائة الرابعة . والشيخ عبد القادر الجيلى . وأبى عبد الله بن خفيف الشيرازى امام الصوفية في وقته . وشيخ الاسلام أبى اسمعيل الانصاري صاحب كتاب منازل السائرين والفاروق وذم الكلام وغيره . وشيخ الصوفية والمحدثين أبي نعيم صاحب كتاب حلية الاولياء . والامام يحيي بن عمار السنجرى شيخ أبي اسمعيل الانصارى امام الصوفية *

﴿ وكل من ﴾ هؤلاء الابرار ، والزهاد الاخيار ، صرح باثبات العلو والفوقية لله تعالى

وذكر الشيخ ابن القيم نص عباراتهم فى كتابه غزو الجيوش الاسلامية . ولولا خوف طول الكلام وملل السامعين لنقلناها . والكتاب متداول بين الناس *

﴿ ثم ذكر أقوال الشارحين لاسماء الله الحسنى ﴾ كالقرطبي فى شرحه قال وقد كان الصدر الاول لا ينفون الجهة بل نطقوا هم والكافة باثباتهالله تعالى كمانطق كتابه واخبر رسوله صلى الله عليه وسلم ولم ينكر أحد من السلف الصالح انه استوى على العرش حقيقة وخص بذلك دون غيره لانه أعظم مخلوقات الله وانما جهلوا كيفية الاستواء فانه لا تعلم حقيقته كما قال مالك الاستواء معلوم والكيف مجهول والسؤال عن الكيف بدعة الى آخر ماقال *

﴿ ثم ذكر أقوال أهل الكلام من أهل الاثبات ﴾ المخالفين للجهمية والمعتزلة والمعطلة . فذكر قول الامام أبي محمد عبد الله بن سعيد بن كلاب امام الطائفة الكلابية . وقال كان من أعظم أهل الاثبات للصفات الفوقية وعلو الله تعالى على عرشه وذكر له كلاما طويلا فى هذا الباب من أحب الوقوف عليه فليرجع الي كتابه غزو الجيوش *

﴿ ثم ذكر ﴾ قول أبى الحسن على بن اسمعيل الاشعرى امام الطائفة الاشعرية قال ان كلامه فيما وقفنا عليه من كتبه كالموجز . والابانة والمقالات وما نقله أعظم الناس انتصاراً له . وهو الحافظ أبو القاسم ابن عساكر فى الكتاب الذى سماه تبيين كذب المفترى . فيما نسب الى أبى الحسن الاشعرى . هو مثل كلام السلف ثم نقل ما قاله ابن عساكر وما قاله الاشعرى فى الابانة

﴿ ثم ذكر ﴾ قول الحسين بن أحمد الاشعرى المتكلم من متكلمى أهل الحديث صاحب الجامع الكبير والصغير في أصول الدين ونقل كلامه فى جامعه الصغير المصرح بصفة الفوقية لله والعلو على العرش حقيقة *

﴿ ثم ذكر ﴾ قول الامام فخر الدين الرازي فى آخر كتبه وهو كتاب أقسام اللذات وبين أنها ثلاثة الحسية كالاكل والشرب والنكاح واللباس واللذة الخالية الوهمية كلذة الرياسة والامر والنهى والترفع ونحوها واللذة العقلية كلذة العلوم والمعارف وتكلم على كل واحد من هذه الاقسام الى أن قال . واما اللذة العقلية فلاسبيل الى الوصول اليها والتعلق بها فلهذا السبب نقول يا ليتنا بقينا على العدم الاول . يا ليتنا ما شهدنا هذا العالم وليت النفس لم تتعلق بهذا البدن وفي المعنى قلت *

نهاية أقـدام العقول عقال * واكثرسعى العالمين ضلال
وارواحنافى وحشةمن جسومنا * وحاصل دنيانا اذى ووبال
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا * سوى ان جمعنافيه قيل وقالوا
وكم قد رأينا من رجال ودولة * فبادواجميعامسرعين وزالوا
وكم من جبال قد علت شرفاتها * رجال فزالواوالجبال جبال

واعلم ان بعد التوغل فى هذه المضائق . والتعمق في الاستكشاف عن اسرار هذه الحقائق . رأيت الاصوب الاصلح فى هذا الباب طريقة القرآن العظيم . والفرقان الكريم . وهو ترك التعمق والاستدلال باقسام أجسام السموات والاراضين . على وجود رب العالمين . ثم المبالغة في التعظيم من غير خوض في التفاصيل . فاقرأ فى التنزيه قوله تعالى والله الغنى وأنتم الفقراء وقوله تعالى ليس كمثله شيء . وقوله تعالى (قل هو الله أحد) واقرأ في الاثبات الرحمن على العرش استوى . وقوله تعالى يخافون ربهم من فوقهم . وقوله تعالى اليه يصعد الكلم الطيب . وقوله تعالى قل كل من عند الله . وفى تنزيهه عما ينبغي قوله تعالي ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك . وعلى هذا القانون فقس وختم الكتاب *

﴿ ثم ذكر ﴾ قول متكلم السنة امام الصوفية في وقته أبي العباس أحمد بن محمد المظفرى المختان الرازى صاحب كتاب قرع الصفات في تقريع نفاة الصفات وهو على صغر حجمه كتاب جليل غزير العلم قال فيه بعد حكاية مذاهب الناس . وقالت الحنابلة وأصحاب الظواهر والسلف من أهل الحديث ان الله على العرش . ثم قال أما حجة المثبتين فمن حيث الكتاب والسنة واجماع الصحابة والمعقول . ثم ذكر حجج القرآن والسنة . ثم حكى كلام الصحابة . الى ان قال ثم ان الصحابة رضى الله عنهم اختلفوا فى النبي صلى الله عليه وسلم هل رأى ربه ليلة المعراج أم لا واختلافهم فى الرؤية تلك الليلة اختلاف منهم على ان الله على العرش لان المخالفين لا يفرقون بين الارض والسماء بالنسبة الى ذاته وهم فرقوا حيث اختلفوا فى أحدهما دون الآخر . قلت مراده انما اختلفوا فى رؤيته لربه ليلة الاسراء به الى عنده فجاوز السبع الطباق ولولا انه على العرش لكان لا فرق فى الرؤية نفيا واثباتا من تلك الليلة وغيرها . ثم قال واما المعقول فمنه وجوه . احدها اطباق الناس كافة واجماع الخلق عامة من الماضين والغابرين والمؤمنين والكافرين على رفع الايدى عند

السؤال والدعاء بخلاف السجود فانه تواضع متعارف . وبخلاف التوجه الى الكعبة فانه تعبد غير معقول . اما رفع الايدى بالسؤال نحو المسؤل فامر معقول متعارف . قال ومن نظر في قصص الانبياء . واخبار الاوائل القدماء . وانباء الامم الماضية والقرون الخالية . اتضحت له هذه المعانى واستحكمت له هذه المبانى . ثم قرر العلو وساق شبه النفاة ونقضها نقض من لم يقلع عروشها كل القلع رحمه الله تعالى *

﴿ ثم ذكر قول شعراء الاسلام ﴾ منهم حسان بن ثابت شاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد أنشد النبي صلى الله عليه وسلم قوله

شهدت باذن الله ان محمداً * رسول الذى فوق السموات من عل
وان أبا يحيي ويحيي كلاهما * له عمل من ربه متقبل
وان أخا الاحقاف اذ قام فيهم * يقول بذات الله فيهم ويعدل

فقال النبي صلي الله عليه وسلم وأنا أشهد * وقال حسان أيضا فى قصيدته الدالية *

ألم تر ان الله ارسل عبده * ببرهانه والله أعلى وأمجد
وضم الاله اسم النبي الى اسمه * اذا قال فى الخمس المؤذن اشهد
وشق له من اسمه ليجله * فذو العرش محمود وهذا محمد
اعز عليه للنبوة خاتم * من الله ميمون يلوح ويشهد

﴿ ومنهم ﴾ عبد الله بن رواحة فانه أنشد شعرا فى قصة له مع امرأته . وهو قوله

شهدت بان وعد الله حق * وان النار مثوى الكافرينا
وان العرش فوق الماء طاف * وفوق العرش رب العالمينا
وتحمله ملائكة شداد * ملائكة الاله مسومينا

﴿ ومنهم ﴾ العباس بن مرداس السلمى قال عوانة بن الحكم لما استخلف عمر بن عبد العزيز وفد اليه الشعراء فقاموا ببابه أياما لا يؤذن لهم فبينما هم كذلك مر بهم على بن ارطاة فدخل على عمر فقال الشعراء ببابك يا أمير المؤمنين فقال ويحك مالى وللشعراء قال فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد امتدح فاعطي . مدحه العباس بن مرداس السلمي فاعطاه حلة قال اوتروي من شعره شيئا قال نعم فانشده على بن ارطاة قوله للنبي صلى الله عليه وسلم

﴿ رأيتك ياخير البرية كلها * نشرت كتاباجاء بالحق معلما ﴾
﴿شرعت لنادين الهدى بعد جورنا * عن الحق لما أصبح الحق مظلما﴾
﴿ تعالى علوا فوق سبع الهنا * وكان مكان الله أعلى واعظما ﴾

﴿ ومنهم ﴾ لبيد بن ربيعة بن عامر بن مالك العامرى أحد شعراء الجاهلية والاسلام. أسلم وصحب النبي صلى الله عليه وسلم ومن شعره *

﴿ لله نافلة الاجل الافضل * وله العلى واثيل كل مؤثل ﴾
﴿لا يستطيع الناس محو كتابه * أنى وليس قضاؤه بمبدل ﴾
﴿سوى فاعلى دون عالي عرشه * سبعا طباقا دون فرع المغفل﴾
﴿والارض تحتهم مهادا راسيا * ثبتت جوانبها بصم الجندل﴾

﴿ ذكر ما انشد للنبي صلى الله عليه وسلم من شعر امية بن ابي الصلت ﴾

﴿ مجدوا الله فهو للمجد اهل * ربنا فى السماء امسى كبيرا ﴾
﴿بالبنا الاعلى الذى سبق الخلق * وسوى فوق السماء سريرا ﴾
﴿ شرجعا ماينالهبصر العين * ترى دونه الملائك صورا ﴾

ومن شعره قوله فى داليته المشهورة

﴿لك الحمد والنعماء والملك ربنا * فلا شيء أعلى منه جد وامجد ﴾
﴿مليك على عرش السماء مهيمن * لعزته تعنوا الوجوه وتسجد ﴾
﴿عليه حجاب النور والنور حوله * وانهار نور حوله تتوقد ﴾
﴿ فلا بشر يسمو اليه بطرفه * ودون حجاب النور خلق مؤيد﴾

وفيها وصف الملائكة فقال

﴿ وساجدهم لا يرفع الدهر راسه * يعظم ربا فوقه ويمجد ﴾

﴿ ذكر القصيدة ﴾ التى انشدها اسماعيل ابن الترمذى للامام احمد فى حبسه قال ابراهيم بن اسحق العبلى اخدت هذه القصة من ابى بكر المروزى وذكر ان اسماعيل بن خلان قالها وانشدها احمد بن حنبل فى السجن *

تبارك من لا يعلم الغيب غيره * ومن لم يزل يثنى عليه ويذكر

علا في السموات العلى فوق عرشه * الى خلقه في البر والبحر ينظر

سميع بصير لا نشك مدبر * ومن دونه عبد ذليل مدبر

يدا ربنا مبسوطتان كلاهما * تسحان والايدى من الخلق تقتر

وساق القصيدة وهى أحسن القصائد ولم ينكرها احد من أهل الحديث بل اثنوا عليها

وقال يحيي بن يوسف بن يحيي بن يوسف الصرصري الانصاري اللغوى الفقيه

تواضع لرب العرش علك ترفع * فقد فاز عبد للمهيمن يخضع

فداوي بذكر الله قلبك انه * لاعلى دواء للقلوب وانفع

وخذ من تقي الرحمن امنا وعدة * ليوم به غير التقى مروع

الى ان قال

سميع بصير ماله في صفاته * شبيه يرى من فوق سبع ويسمع

قضى خلقه ثم استوي فوق عرشه * ومن علمه لم يخل في الارض موضع

﴿ وقال في لاميته ﴾

ويوم ينادى العالمين فيسمع الا * قصى كدان في المقال المطول

انا الملك الديان والنقل ثابت * فهل ههنا ينساغ تأويل جهل

وينظره أهل البصائر في غد * بابصارهم لا ريب فيه لمجتل

كما ينظرون الشمس ماحال دونها * سحاب الا بعدا لاهل التعزل

توحد نحو العرش والخلق دونه * واحكم ما سواه إحكام مكمل

﴿ وقال أيضا ﴾

أسير وقلبي في هواك أسير * فهل لى من جور الفراق مجير

واستجلب السلوى وفى القلب حسرة * فيرتد عنك الطرف وهو حسير

وما ذاك الا ان فيك لناظري * مدى غصن غض النبات نضير

اذا ما تجلى سافرا فجبا له * الى القلب من جيش الغرام سفير

اذا ما اجتمعنا وانتفى الشمل فالتقى * رقيب علينا والعقاب غفور

يؤكد عقد الود بيني وبينه اعـ * ـتقاد عليه للهداية نور

كلانا محب للامام ابن حنبل * لاسيافنا في شانئيه هبير
نقربان الله جل ثناؤه * سميع لاقوال العباد بصير
ويطوى السموات العلى بيمينه * وذلك في وصف القوي يسير
وخاطب موسى بالكلام مكلما * فخر صريعا اذ تقطع طور
وخط له التوراة فيها مواعظ * فلاحت على الالواح منه زبور
وان قلوب الخلق بين أصابع الـ * اله فمنها ثابت ونفور
ونثبت في الاخرى لرؤية ربنا * حديثا رواه في الصحيح جرير
وأى نعيم في الجنان لاهلها * وانى لهم لو لم يروه سرور
ونؤمن ان العرش من فوق سبعة * تطوف به أملاكه وتدور
قضى خلقه ثم استوى فوق عرشه * تقدس كرسىّ له وسرير
هو الله ربي في السماء محجب * وليس كمخلوق حوته قصور
اليه تعالى طيب القول صاعد * وينزل منه بالقضاء أمور
لقد صح اسلام الجويرية التي * باصبعها نحو السماء تشير

وقال رحمه الله تعالي في قصيدته المنامية التي يقول فيها

رأيت رسول الله في النوم مرة * فقبلت فاه مثل تقبيل مشتاق
ولو أنني أوتيت رشدى قائما * لقبلت ممشاه الكريم بآماق
فبشرنى منه بازكى شهادة * بهاجبر كسرى يوم فقري واملاقي
لموت سعيد في كتاب وسنة * فلانت لبشراه شراسة اخلاق
فها أنا ذا والحمد لله وحده * مقر لبشراه بأثبت مصداقي
باني على حسن اعتقاد بن حنبل * مقيم وان قام العدالي على ساق
أقر بان الله من فوق عرشه * يقدر آجالا ويقضي بارزاق
سميع بصير ليس شئ كمثله * قديم الصفات الواحد الاحد الباقي
امر أحاديث الصفات كما أتت * أتابع فيها كل ازهر سباق
ولست الى التشبيه يوما بجانح * ولا قائل تأويل اشدق مهاق

وقال رحمه الله تعالى في قصيدته اللامية التي نظم فيها اعتقاد الشافعي رضى الله عنه أولها

أيشعر حزب الجهم ذاك المضلل * بأنى حرب للعدا غير أفكل
أشن عليهم غيرتي وحميتى * لدين الهدى غارات أشرس مقتل
لوقع قريض في صميم قلوبهم * أشد عليهم من سنان ومنصل
أفوق منه حين أنظر نحوهم * مقاتل تصمى منهم كل مقتل
هم انحرفوا عن منهج الحق سالكي * مهالك من تحريفهم والتأول
لقد برئ الحبر ابن ادريس منهم * براءة موسي من يهود مجول

﴿ وقال فيها ﴾

ويعقد عند الشافعي يمين من * غدا حالفا بالمصحف المتقبل
فهذا دليل منه اذ كان لا يرى اذ * مقادا بمخلوق لخلق مؤثل
ومذهبه في الاستواء كمالك * وكالسلف الابرار أهل التفضل
وقل مستو بالذات من فوق عرشه * ولا تقل استولى فمن قال أبطل
فذلك زنديق لقائل قسوة * لذي خطل راو لغث واعطل
وقد بان منه خلقه وهو بائن * من الخلق محض للخفى وللجلى
واقرب من حبل الوريد مفسر * وما كان معناه بعلم فاعقل
علا في سماء الله فوق عباده * دليلك في القرآن غير مقلل
واثبات ايمان الجويرية اتخذ * دليلا عليه مسندا غير مرسل

وقال رحمه الله تعالى يهجو ابن خنفر الجهمى الخبيث أولها *

اطع الهدى لا ما يقول العذل * فالحب ذو امر يجور ويعدل
واتبع لسلمى ما استطعت مسلما * فالحسن ينصرها وصبرك يخذل
بيضاء دون مرامها لمحبها * بيض الصوارم والرماح الذبل
تخفي فيعرفها الوشاة بعرفها * وتضيء والاظلام ستر مرسل
تضحى الدماء لهجرها هدرا وهل * يخفى قصاص القتل طرف اكحل
كيف البقاء لعاشق اودى به * سهم اللحاظ وقد أصيب المقتل

﴿ ومنها ﴾

نبذ الكتاب وراء ظهر واغتدى * شيخ الضلالة للصفات يعطل
وعقيدة الملعون ان المصحف ال * مكتوب منبوذ تطاه الارجل
ما قالت الكفار مثل مقاله * وكذا اليهود ولا النصارى الضلل
آل الجحود به الى وادى لظى * للغاية السلفى فبئس الموئل
وزعمت ان الحنبلى مجسم * حاشا لمثل الحنبلى يمثل
بل يورد الاخبار اذ كانت تصح * حها الرواة عن الثقاة وتنقل
ان المهيمن ليس تمضى ليلة * الا وفى الاسحار فيها ينزل
قد قالها خير الورى فى سادة * لم ينكروا هذا ولم يتأولوا
وتقبلوها مع غزارة علمهم * أفأنت ام تلك العصابة أعقل

﴿ وقال رحمه الله تعالى ﴾

واها لفرط حرارة لا تبرد * ولواعج بين الحشى تتردد
فى كل يوم سنة مدروسة * بين الانام وبدعة تتجدد
صدق النبي ولم يزل متسربلا * بالصدق اذ يعد الجميل ويوعد
اذ قال يفترق الضلال ثلاثة * زيدت على السبعين قولا يسند
وقضى باسباب النجاة لفرقة * تسعي بسنته اليه وتحفد
فان ابتغيت الى النجاة وسيلة * فاقبل مقالة ناصح يتقلد
اياك والبدع المضلة انها * تهدى الى نار الجحيم وتورد
وعليك بالسنن المنيرة فاقفها * فهى المحجة والطريق الاقصد
فالا كثرون بمبدعات عقولهم * نبذوا الهدى فتنصروا وتهودوا
منهم أناس في الضلال تجمعوا * وبسب أصحاب النبي تفردوا
قد فارقوا جمع الهدى وجماعة ال * سلام ثم تزندقوا وتمردوا
بالله يا أنصار دين محمد * نوحوا على الدين الحنيف وعددوا
لعبت بدينكم الروافض جهرة * وتألفوا فى دحضه وتحشدوا

نصبوا حبائلهم بكل بلية * وتغلغلوا فى المعضلات وشددوا
ورموا اخيار الخلق بالكذب الذي * هم أهله لامن رموه وأفسد
نقضوا مراتب هن أشرف منصب * في الفخر من فاق السماء وأمجد
لمراتب الصديق جف لسانهم * يبغون وهى من التناول أبعد
أو ماهو السباق في غزو العدا * ولقد زكى من قبل منه المحتد
ولقد أشاد بذكره رب العلى * فبناؤه فى المكرمات مسدد
نطق الكتاب بمجده الاعلى ففى * أي الحديد مناقب لاتنفد
لايستوى منكم وفيها مقنع * والليل يثبت فضله ويؤكد
وبراءة تثنى لصحبته وهل * يهوى رفيع علاه الاملد
أوما هو الاتقى الذي استولى على ا * اخلاص طارف ماله والمتلد
لما مضى لسبيله خير الورى * وحوى شمائله صفيح ملحد
منع الاعاريب الزكاة لفقده * وارتد منهم حائر متردد
وتوقدت نار الضلال وخالطت * ابليس اطماع كوامن رصد
هذا أبو بكر بصدق عزيمة * وثبات ايمان ورأى يحمد
فتمزقت عصب الضلال وأشرقت * شمس الهدي وتقوم المتأود
أم رتبة الفاروق فى اظهاره * للدين تلك فضيلة لاتجحد
وهو الموفق للصواب كانما * ملك يصوب قوله ويسدد
بوفاقه آي الكتاب تنزلت * وبفضله نطق المشفع أحمد
لو كان من بعدي نبيا كنته * خبرا صحيحا فى الرواية مسند
وبعدله الامثال تضرب فى الورى * وفتوحه في كل قطر يوجد
وتمام فضلهما جوار المصطفى * فى تربة فيها الملائك تحشد
وتعمقوا فى سب عثمان الذى * ألفاه كفوا لابنتيه محمد
ولبيعة الرضوان مد شماله * عوض اليمين وهى منه أوكد
وحباه في بدر بسهم مجاهد * اذ فاته بالعذر ذاك المشهد

من هذه من بعض غر صفاته * ماضره ما قال فيه الحسد
ثم ادعوا حب الامام المرتضي * هيهات مطلبهم عليه يبعد
انى وقد جحدوا الذين بفضلهم * أثنى أبو الحسن الامام السيد
مافي علاه مقالة لمخالف * فمسائل الاجماع فيه تعقد
ولنحن أولى بالامام وحبه * عقد ندين به الاله مؤكد
وولاؤه لا يستقيم ببغضهم * واضرب لهم مثلا يغيض ويكمد
مثل الذي جحد ابن مريم وادعى * حب الكليم وتلك دعوى تفسد
وبقذف عائشة الطهور تجشموا * أمرا تظل له الفرائص ترعد
تنزيهها في سبع عشرة آية * والرافضى بضد ذلك يشهد
لو ان أمر المسلمين اليهم * لم يبق فى هذى البسيطة مسجد
ولو استطاعوا ماسعت بمرامهم * قدم ولا امتدت بكفهم يد
لم يبق للاسلام مابين الورى * علم يشير ولا لواء يعقد
علقوا بحبل الكفر واعتصموا به * والعالقون بحبله لم يسعدوا
وأشدهم كفرا جهول يدعى * علم الاصول وفاسق متزهد
فهما وان وهنا أشد مضرة * فى الدين من فار السفين وأفسد
واذا سألت فقيهم عن مذهب * فإلى اعتزال في الشريعة يلحد
كالخائض الرمضاء أقلقه لظي * منها ففر الى جحيم يوقد
ان المقال بالاعتزال لحظة * عمياء حل بها الغواة المرد
هجموا على سبل الهدى بعقولهم * ليلا فماثوا فى الديار وأفسدوا
صم اذا ذكر الحديث لديهم * نفروا كان لم يسمعوه وغردوا
واضرب لهم مثل الحمير اذارأت * أسد العرين فهن منه شرد
والجاحد الجهمى أسوأ منهما * حالا وأخبث فى القياس وأفسد
أمسى لرب العرش قال منزها * من ان يكون عليه رب يعبد
ونفى القران برأيه والمصحف الـ * اعلى المطهر عنده يتوسد

واذا ذكرت له على العرش استوى * فالى هو استولى يحيد ويخلد
فالى من الايدى تمد تضرعا * وبأى شئ فى الدجى يتهجد
ومن الذى هو للقضاء منزل * واليه أعمال البرية تصعد
وبما تنزل جبرئيل مصدقا * ولاي معجزة الخصوم تبلد
ومن الذى استولى عليه بقهره * ان كان فوق العرش ضد أيد
جلت صفات الحق عن تأويلهم * وتقدست عما يقول الملحد
لما بغوا تنزيهم بقياسهم * ضلوا وفاتهم الطريق الارشد
ويقول لا سمع ولا بصر ولا * وجه لربك ذى الجلال ولا يد
من كان هذا وصفه لالهه * فاراه للاصنام سوا يسجد
الحق اثبتها بنص كتابه * ورسوله وغدا المنافق يجحد
فمن الذى أولى باخذ كلامه * جهم او الرحمن قولوا وارشدوا
والصحب لم يتأولوا لسماعها * فهم الى التأويل ام هو أرشد
هو مشرك ويظن جهلا انه * في نفي أوصاف الاله موحد
يدعو من اتبع الحديث مشبها * هيهات ليس مشبها من يسند
لكنه يروى الحديث كما أتى * من غير تأويل ولا يتأود
واذا العقائد بالضلال تخالفت * فعقيدة المهدي أحمد أحمد
هى حجة الله المنيرة فاعتصم * بحبالها لا يلهينك مفسد
ان ابن حنبل اهتدى لما اقتدى * ومخالفوه لزيغهم لم يهتدوا
مازال أحمد يقتفى أثر الهدى * ويروم أسباب النجاة ويجهد
حتى ارتقى في الدين اشرف ذروة * مافوقها لاخي التقي من يصعد
نصر الهدى اذ لم يقل مالم يقل * فى فتنة نيرانها تتوقد
ماصده ضرب السياط ولا ثنى * عزماته ماضى الغرار مهند
لهواه حبا ليس فيه تعصب * لكن محبة مخلص يتودد
وودادنا للشافعي ومالك * وابى حنيفة ليس فيه تردد

أقول سيأتي في الكلام على ماستدل به النبهاني في باب الاستغاثة من شعر الصرصري ان مثله لايجوز ان يكون مستندا في العقائد الدينية فكيف يورد كلامه للاستدلال به في هذا المقام * فالجواب ان يقال قد علم ان كلام الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وسائر أنبيائه وأصحابهم والتابعين لهم باحسان هو الحجة والبرهان فذكر أقوال أهل العلم وشعر بعض الشعراء لاللاحتجاج بها بل لبيان ان جميع العقلاء على ماذكرنا وليعلم الخصم ان أهل الاثبات اولى بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين وأهل الاسلام وطبقات أهل العلم والدين من الجهمية والمعطلة وليعرف جنود الاسلام والسنة وامراؤها وحزب البدع والتجهم ليتحيز المقاتل الى الطائفتين على بصيرة من أمره ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حي عن بينة ولهذا قال الحافظ بن القيم بعد ماورد ماذكرناه * وهذا باب واسع جدا لايتسع لذكره مجلد كبير ويكفي ان شعراء الجاهلية مقرة به على فطرتهم الاولى كما قال عنترة في قصيدته

﴿ ياعبل اين من المنية مهرب * ان كان ربي في السماء قضاها ﴾

﴿ثم ذكر قول﴾ الفلاسفة المتقدمين والحكماء الاولين فانهم كانوا مثبتين لمسألة العلو والفوقية مخالفين لارسطوا وشيعته واتى بنصهم لاجل ماذكرنا لاللاستدلال ثم ان من المعلوم انه لايلزم من مدح شخص وحمده من جهة ان يكون ممدوحا محمودا من كل جهة بل لايلزم من الحكم عليه بالاسلام أو الايمان ان لايحكم عليه بما يوجب نقص ايمانه وخلل اسلامه ويقتضي تأثيمه ببعض السيئات وعقابه عليها *

﴿ والمقصود ﴾ ان ماذكره النبهاني واضرابه من الجهلة وما هذى به الشيخ شهاب الدين الحلبي مخالف للكتاب والسنة وأقوال الصحابة والتابعين وتابعي التابعين والمجتهدين وأئمة المسلمين ومشاهير اتباعهم والعقلاء واتباع من سبق من الانبياء والشعراء وائمة اللغة والفلاسفة الاولى وجاهلية العرب . ويكفي ذلك بطلانا لقولهم وافكهم وخزيا لهم بين أهل العقول . (ولو أخذنا) نتكلم على ما اشتمل عليه كلامهم من المفاسد لطال الكلام جدا . وما ذكرناه كاف لمن أخذت العناية بيديه . ومن لم يجعل الله له نورا فماله من نور . (نسأله) تعالى ان يبصرنا في أمورنا انه ذو الفضل العميم . والمن الجسيم . وهو المعطي قبل السؤال . والعالم بالاحوال

﴿ قال النبهاني ﴾ ولنرجع الى الكلام على كتب ابن تيمية قال فنها الكتب الاربعة المذكورة

سابقا وهي الجواب الصحيح في الرد على من بدل دين المسيح . ومنها كتاب منهاج السنة . ومنها كتاب العقل والنقل وقد رد به على أهل السنة والجماعة من المسلمين الاشاعرة والماتريدية وغيرهم من الفرق الاخرى . ومنها كتاب الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان وقد رد به على خلاصة المسلمين من الاولياء والعارفين *

اذا علمت ذلك تعلم أنه مثل ابن حزم لم يسلم من قلمه أحد . وقد رد عليه الامام السبكي فيما رد به على كتبه بابيات مدح فيها كتابه منهاج السنة واعترض عليه ببعض بدعه فتصدي للتشنيع على السبكي بذلك والرد عليه بعض الحشوية ممن هو على عقيدة ابن تيمية أحدها حنبلي والآخر فيما زعم شافعي الى أن قال نظم كل منهما في ذلك قصيدة طويلة في اكثر من مائة بيت فيها العجر والبجر والتحامل على الامام السبكي بما لا ينبغي أن يصدر من مسلم فضلا عن عالم . وقد رأيت ان انتصف منهما وأقابلهما بعملهما جاعلا محط نظري اثبات الحق ودحض الباطل وبيان المذاهب الصحيح من المذهب العاطل فنظمت هذه القصيدة من البحر والقافية وقد أثبت فيها استحالة الجهة على الله تعالى بدلائل ظاهرة باهرة وتعرضت لجواز الاستغاثة والشد للرحل لزيارته صلى الله عليه وسلم بما لا يأباه عقل ولا يمنعه نقل رادا على من يخالف ذلك ثم ذكر القصيدة وهي نحو مائة وثلاثة وخمسين بيتا قال في أولها *

الحمد لله حمدا استمد به * لنصرة الحق كي احظى بمطلبه
بك استعنت الهي عاجزا فاعن * ابغي رضاك فاسعفني باطيبه
واني عالم ضعفي ولا عمل * عندي يفيد ولا علم أصول به

وكلها على هذا المنوال من الشعر الركيك ولولا الحرص على نفيس العمر أن يذهب سدى لنقلناها في هذا المقام . ولكنا نزهنا القلم من نقلها وصنا وجه القرطاس عن تلك الاوهام وقد ذكرهو ما اشتملت عليه قصيدته *

﴿ يقال للنبهاني أولا ﴾ قد تكلمنا سابقا على ما يتعلق بكتب الشيخ كلاما يكتفي به اللبيب والذكي الاديب وقوله عن كتاب العقل والنقل أنه رد به على أهل السنة الخ * كلام لا معنى له فانه لم يرد على أهل السنة بل رد عنهم كما هو شأنه في كل كتاب من كتبه انما رد على من استدل على حدوث العالم بحدوث الاجسام واثبت حدوث الاجسام بدليل الاعراض والحركة

والسكون والاجسام مستلزمة لذلك لاتنفك عنه وما لا يسبق الحوادث فهو حادث وبنى ذلك على حوادث لا أول لها ولم يكن أحد فى الصحابة والتابعين من استدل بهذا الدليل بل أول ما ظهر هذا الكلام فى الاسلام بعد المائة الاولى من جهة الجعد بن درهم والجهم بن صفوان ثم صار الى عمرو بن عبيد كابي الهذيل العلاف وأمثاله وعمرو بن عبيد وواصل بن عطاء انما كانا يظهران الكلام فى انفاذ الوعيد وان النار لا يخرج منها من دخلها وفى التكذيب بالقدر هؤلاء ومن وافقهم على اعتقادهم رد عليهم شيخ الاسلام . واما الاشعرى فلاريب عنه انه كان تلميذا لأبى على الجبائي لكنه فارقه ورجع عن جمل مذهبه وان كان قد بقى عليه شىء من أصول مذهبه لكنه خالفه فى نفى الصفات وسلك فيها طريقة ابن كلاب وخالفهم فى القدر ومسائل الايمان والاسماء والاحكام وناقضهم فى ذلك أكثر من مناقضة حسين النجار وضرار بن عمرو ونحوهما ممن هو متوسط فى هذا الباب كجمهور الفقهاء وجمهور أهل الحديث حتى مال فى ذلك الى قول جهم وخالفهم فى الوعيد وقال بمذهب الجماعة وانتسب الى مذهب أهل الحديث والسنة كاحمد بن حنبل وأمثاله وبهذا اشتهر عند الناس فالقدر الذى يحمد من مذهبه هو ما وافق فيه أهل السنة والحديث كالجمل الجامعة . واما القدر الذى يذم من مذهبه فهو ما وافق فيه بعض المخالفين للسنة والحديث من المعتزله والمرجئة والجهمية والقدرية ونحو ذلك وأخذ مذهب أهل الحديث عن زكريا بن يحيي الساجى بالبصرة وعن طائفة ببغداد من أصحاب أحمد وغيرهم وذكر فى المقالات ما اعتقد أنه مذهب أهل السنة والحديث وقال بكل ما ذكرنا من قولهم نقول واليه نذهب . وهذا المذهب هو من أبعد المذاهب عن مذهب الجبرية والقدرية . وآخر ما صنف من الكتب كتاب الابانة وقد ذكر فيه أنه على مذهب أهل الحديث واعتقادهم . وقد خالفه كثير من الاشعرية فى كثير من المسائل *

* والمقصود * ان الشيخ انما رد فى كتاب العقل والنقل بل وفى سائر كتبه على من خالف أهل السنة الذين تمسكوا بالكتاب وكلام الرسول صلى الله عليه وسلم . وموضوع كتاب العقل والنقل ان الشريعة الغراء كاملة مكملة لاحاجة لها الى ما استحدثوه من القواعد المناقضة للشريعة وان نصوص الشريعة تفيد اليقين وأنها مقدمة على تلك القواعد وان النصوص لا تؤول لتلك القواعد اذا خالفتها واستدل على ذلك بنحو تسعة عشر دليلا . والنبهانى ليس ممن يحسن قراءة

عبارتها فضلا عن فهم معانيها . وادرك ما فيها . فلذلك اعترض بما اعترض *

﴿ ويقال ثانيا ﴾ ان النبهانى ذكر عن كتاب الفرقان أنه قد رد به على خلاصة المسلمين من الاولياء والصالحين وهو كلام من لم يعرف الولاية ولا درى معنى الايمان والاسلام والشيخ قدس الله روحه قد فرق فى هذا الكتاب بين أولياء الرحمن واولياء الشيطان فرقا واضحا يعرفه من له أدنى المام بالعلم ومداره على الاتباع والابتداع فمن اتبع فى أقواله وأفعاله ما جاءت به الشريعة فذاك من أولياء الرحمن . ومن خالف فى ذلك فهو من اولياء الشيطان . وان طار فى الهواء او مشى على وجه الماء . واما ابن عربى صاحب فصوص الحكم والفتوحات المكية فقد سلك مسلك القرامطة والباطنية الذين زاغوا عن الشريعة ولهذا ادعى أنه يأخذ من المعدن الذى يأخذ منه الملك الذى يوحى به الى الانبياء والنبي عنده يأخذ من الملك الذى يوحى به الى الرسل لان النبي عنده يأخذ من الخيالات التى تمثلت فى نفسه لما صورت له المعانى العقلية فى الصورية الخيالية وتلك الصورة عنده هى الملائكة وهى بزعمه تأخذ عن عقله المجرد قبل ان تصير خيالا ولهذا يفضل الولاية على النبوة ويقول *

مقام النبوة فى برزخ * فويق الرسول ودون الولى

والولى على أصله الفاسد يأخذ عن الله بلا واسطة لانه يأخذ عن عقله وهذا عندهم هو الآخذ عن الله بلا واسطة اذ ليس عندهم ملائكة منفصلة تنزل الوحي والرب عندهم ليس هو موجودا مباينا للمخلوقات بل هو وجود مطلق أو مشروط بنفى الامور الثبوتية عن الله . أو نفى الامور الثبوتية والسلبية . وقد يقولون هو وجود المخلوقات أو حال فيها أولا هذا ولا هذا . فهذا عندهم غاية كل رسول ومبنى النبوة عندهم الاخذ عن القوة المتخيلة التى صورت المعانى العقلية فى المثل الخيالية ويسمونها القوة القدسية . فلهذا جعلوا الولاية فوق النبوة . وهؤلاء من جنس القرامطة الباطنية الملاحدة . لكن هؤلاء ظهروا فى قالب التصوف والتنسك ودعوى التحقيق وأمثال ذلك وأولئك ظهروا فى قالب التشيع والموالاة . فأولئك يعظمون شيوخهم حتى يجعلوهم أفضل من الانبياء . وقد يعظمون الولاية حتى يجعلوها أفضل من النبوة وهؤلاء يعظمون أمر الامامة حتى قد يجعلون الائمة أعظم من الانبياء . والامام أعظم من النبى كما يقوله الاسمعيلية وكلاهما يباطنان الفلاسفة الذين يجعلون النبي فيلسوفا . ويقولون انه يختص بقوة قدسية . ثم منهم من يفضل النبى على الفيلسوف

ومنهم من يفضل الفيلسوف على النبي ويزعمون أن النبوة مكتسبة . ويقولون ان النبوة عبارة عن ثلاث صفات من حصلت له فهو نبي . ان يكون له قوة قدسية حدسية ينال بها العلم بلا تعلم . وان تكون نفسه قوية لها تأثير في هيولى العالم وان يكون له قوة يتخيل بها مايعقله ومرئيا في نفسه ومسموعا في نفسه . هذا كلام ابن سينا وأمثاله في النبوة وعنه أخذ ذلك الغزالي في كتبه المضنون بها على غير أهلها وهذا القدر الذي ذكروه يحصل لخلق كثير من آحاد الناس ومن المؤمنين وليس هو من أفضل عموم المؤمنين فضلا عن كونه نبيا . وهؤلاء قالوا هذا لما احتاجوا في الكلام في النبوة على أصول سلفهم الدهرية القائلين بان الافلاك قديمة أزلية لا مفعولة لفاعل بقدرته واختياره وأنكروا علمه بالجزئيات ونحو ذلك من أصولهم الفاسدة فتكلم هؤلاء في النبوة على أصول اولئك . وأما القدماء ارسطو وأمثاله فليس لهم في النبوة كلام محصل . فالواحد من هؤلاء يطلب ان يصير نبيا كما كان السهروردي المقتول يطلب ان يصير نبيا وكان قد جمع بين النظر والتأله وسلك نحوا من مسلك الباطنية وجمع بين فلسفة الفرس واليونان وعظم أمر الانوار * وقرب دين المجوس الاول وهي نسخة الباطنية الاسمعيلية وكان له يد في السحر والسيمياء فقتله المسلمون على الزندقة بحلب في زمان صلاح الدين — وكذلك ابن سبعين الذي جاء من المغرب الى مكة وكان يطلب ان يصير نبيا . وجدد غار حراء الذي نزل فيها الوحي على النبي صلى الله عليه وسلم ابتداء . وحكى عنه انه كان يقول لقد رددت ابن آمنة حيث قال لا نبي بعدي وكان بارعا في الفلسفة وفي تصوف المتفلسفة وما يتعلق بذلك . وهو وابن عربي وأمثالهما كالصدر القونوي وابن الفارض والتلمساني منتهى أمرهم القول بوحدة الوجود الواجب القديم الخالق هو الوجود الممكن المحدث المخلوق ماثم لاغير ولا سوي *

لكن لما رأوا تعدد المخلوقات صاروا تارة يقولون مظاهر ومجالي فاذا قيل لهم فان كانت المظاهر أمرا وجوديا تعدد الوجود والا لم يكن لها حينئذ حقيقة وما هو نحو هذا الكلام الذي يبين ان الوجود نوعان خالق ومخلوق *

قالوا نحن ثبت عندنا في الكشف ماينافض صريح العقل . ومن أراد ان يكون محققا مثلنا فلا بد ان يلتزم الجمع بين النقيضين وان الجسم الواحد يكون في وقت واحد في موضعين وهؤلاء الاصناف قد بسط الكلام عليهم شيخ الاسلام في غير موضع . فان هؤلاء يكثرون في الدول

الجاهلة وعامتهم تميل الى التشيع كما عليه ابن عربي وابن سبعين وأمثالهما فاحتاج الناس الى كشف حقائق هؤلاء وبيان أمورهم على الوجه الذى يعرف به الحق من الباطل . فان هؤلاء يدعون فى أنفسهم انهم أفضل أهل الارض وان الناس لايفهمون حقيقة اشاراتهم قال شيخ الاسلام رحمه الله فلما يسر الله اني بينت لهم حقائقهم وكتبت فى ذلك من المصنفات ماعلموا به ان هذا هو تحقيق قولهم وتبين لهم بطلانه بالعقل الصريح والنقل الصحيح والكشف المطابق رجع عن ذلك من علمائهم وفضلائهم من رجع وأخذ هؤلاء يثبتون للناس تناقضهم وبراءتهم من الحق . وكان من أصول ضلالهم ظن ان الوجود المطلق يوجد في الخارج فان الذى يوجد فى الخارج مقيدا معينا هو مطلق في الذهن مقيد فى الخارج . وأما من زعم ان في الذهن شيئاً مطلقا وهو مطلق حال تحققه فى الخارج فهو غالط غلطا ضل فيه كثير من أهل المنطق والفلسفة . وأما المطلق بشرط الاطلاق فهو الوجود المقيد بسلب جميع الامور الثبوتية والسلبية كما يوجد الانسان مجرداً عن كل قيد . فاذا قلت موجود أو معدوم أو واحد أو كثير أو فى الذهن أو في الخارج كان ذلك قيدا زائدا على الحقيقة المطلقة بشرط الاطلاق . وهكذا الوجود تأخذه مجردا عن كل قيد ثبوتى وسلبي فلا تصفه لابالصفات الثبوتية ولا السلبية . وهكذا واجب الوجود عند أئمة الباطنية كابي يعقوب السجستانى صاحب الاقاليد الملكوتية وغيره . لكن من هؤلاء من لايعرف برفع النقيضين فيقول لاموجود ولا معدوم ومنهم من يقول بل امسك عن اثبات أحد النقيضين فلا أقول موجود ولا معدوم كابي يعقوب وهو منتهى تجريد هؤلاء القائلين بوحدة الوجود . وابن سينا وأتباعه يقولون الوجود الواجب هو الوجود المقيد بسلب الامور الثبوتية دون السلبية . وهذا أبعد عن الوجود في الخارج من المقيد بسلب الوجود والعدم وان كان ذلك ممتنعا فى الموجود والمعدوم * قال فقلت لاولئك المدعين للتحقيق أنتم بنيتم أمركم على القوانين المنطقية وهذا الوجود المطلق بشرط الاطلاق المفيد بسلب النقيضين عنه لا يوجد فى الخارج باتفاق العقلاء . وانما يقدر فى الذهن تقديرا . والا فاذا قدرنا انسانا مطلقا واشترطنا فيه ان لايكون موجودا ولا معدوما ولا واحدا ولا كثيرا لم يوجد فى الخارج بل نفرض في الذهن كما نفرض الجمع بين النقيضين ففرض رفع النقيضين كفرض الجمع بين النقيضين ولهذا كان هؤلاء تارة يصفونه بالجمع بين النقيضين أو الامساك

عنهما كما يفعل ابن عربي وغيره كثيرا وتارة يجمعون بين هذا وهذا كما يوجد أيضا في كلام أصحاب البطاقة وغيرهم . فاذا قالوا مع ذلك انه مبدع العالم وشرطوا فيه ان لا يوصف بثبوت ولا انتفاء كان تناقضا فان كونه مبدعا لا يخرج عن هذا وهذا . وكذلك اذا قالوا موجود واجب وشرطوا فيه التجريد عن النقيضين كان تناقضا . وحقيقة قولهم موجود لا موجود . وواجب لا واجب . وهذا منتهى أمرهم وهو الجمع بين النقيضين أو رفع النقيضين ولهذا يصيرون الى الحيرة ويعظمونها وهي عندهم منتهى معرفة الانبياء والاولياء والائمة والفلاسفة *

﴿ ومن أصول ضلالهم ﴾ ظنهم ان هذا تنزيه عن التشبيه وانهم متى وصفوا بصفة اثبات أو نفي كان فيه تشبيه بذلك ولم يعلموا ان التشبيه المنفي عن الله هو ما كان وصفه بشيء من خصائص المخلوقين أو ان يجعل شيء من صفاته مثل صفات المخلوقين بحيث يجوز عليه ما يجوز عليهم أو يجب له ما يجب لهم أو يمتنع عليه ما يمتنع عليهم مطلقا فان هذا هو التمثيل الممتنع المنفي بالعقل مع الشرع فيمتنع وصفه بشيء من النقائص ويمتنع مماثلة غيره له في شيء من صفات الكمال . فهذان جماع لما ينزه الرب تعالى عنه وعلى هذا وهذا دل قوله تعالى قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد *

﴿ فأما الموافقة ﴾ في الاسم كحي وحي وموجود وموجود وعليم وعليم فهذا لا بد منه . ويلزم من هذا التعطيل المحض فان كل موجودين قائمين بانفسهما فحينئذ لا بد ان يجمعهما اسم عام لكن المعنى القائم لا يوجد عاما الا في الذهن لا في الخارج فاذا قيل هذا الموجود وهذا الموجود مشتركان في مسمى الوجود كان ما اشتركا فيه لا يوجد مشتركا الا في الذهن لا في الخارج وكل موجود فهو يختص بنفسه وصفات نفسه لا يشركه غيره في شيء من ذلك في الخارج وانما الاشتراك هو نوع من التشابه والاتفاق . والمشترك فيه الكلي لا يوجد كذلك الا في الذهن فاذا وجد في الخارج لم يوجد الا متميزا عن نظيره لا يكون هو اياه ولا هما في الخارج مشتركان في شيء في الخارج فاسم الخالق اذا وافق اسم المخلوق كالموجود والحي وقيل ان هذا الاسم عام كلي وهو من الاسماء المتواطئة او المشككة لم يلزم من ذلك ان يكون ما يتصف به الرب من مسمى هذا الاسم قد شاركه فيه المخلوق . بل ولا يكون ما يتصف به أحد المخلوقين من مسمى هذا الاسم قد شاركه فيه مخلوق آخر بل وجود هذا يخصه ووجود هذا يخصه لكن ما يتصف به المخلوق قد يماثل ما يتصف

به المخلوق ويجوز على أحد المثلين مايجوز على الآخر *

وأما الرب سبحانه وتعالى فلا يماثله شيء من الاشياء في شيء من صفاته بل التباين الذى بينه وبين كل واحد من خلقه في صفاته أعظم من التباين الذى بين اعظم المخلوقات واحقرها . واما المعنى الكلي العام المشترك فيه فذاك كما ذكرنا لايوجد كليا الا في الذهن *

واذا كان المتصفان به بينهما نوع موافقة ومشاركة ومشابهة من هذا الوجه فذلك لامحذور فيه فان مايلزم ذلك القدر المشترك من وجوب وجواز وامتناع فان الله متصف به فالموجود من حيث هو موجود أو العليم أو الحي مهما قيل انه يلزمه من وجوب وامتناع وجواز فالله موصوف به بخلاف وجود المخلوق وحياته وعلمه فان الله لايوصف بما يختص به المخلوق من وجوب وجواز واستحالة كما ان المخلوق لايوصف بما يختص به الرب من وجوب وجواز واستحالة فمن فهم هذا انحلت عنه اشكالات كثيرة يعثر فيها كثير من الاذكياء الناظرين في العلوم الكلية . والمعارف الالهية . (ثم ذكر) القول الثانى من أقوالهم في الوجود الواجب وهو قول ابن سينا وأتباعه وهو انه الوجود المقيد بان لايعرض له شيء من الماهيات وأطال الكلام في بيانه وما يرد عليه وليس لنا غرض بذكره . والمقصود هو القول الاول الذي ذكرناه وهو المطلق بشرط الاطلاق عن النفي والاثبات وهو أكملها في التعطيل والالحاد وهو الذى قال به محيي الدين واضرابه وذكره في فصوصه مع أقوال اخر غاية في البشاعة . وهل يجوز لمتشرع ان يجعل من قال بقول القرامطة من الاولياء ويعترض على من اعترض عليه ويبدعه *

وقد نظم العلامة قاضي اليمن شرف الدين الشيخ اسمعيل بن أبى بكر المعروف بابن المقري الشافعي قصيدة غراء في أحوال من قال بوحدة الوجود وكتبهم فقال *

الا يارسول الله غارة ثائر * غيور على حرماته والشعائر
يحاط بها الاسلام ممن يكيده * ويرميه من تلبيسه بالبواتر
فقد حدثت في المسلمين حوادث * كبار المعاصى عندها كالصغائر
حوتهن كتب حارب الله ربها * وغربها من غربين الحواضر
تجاسر فيها ابن العرابى واجترا * على الله فيما قال كل التجاسر

فقال بان الرب والعبد واحد * فربي مربوب بغير تغاير

﴿ الى ان قال ﴾

كما ضل في التهليل جهرا بنفسه * واثباته مستجهلا للمغاير
وقال الذي ينفيه عين الذي أتى * به مثبتا لاغير عند التحاور
فافسد معنى مابه الناس أسلموا * والغاه الغاء بينات التهاتر
فسبحان رب العرش عما يقوله * أعاذبه من أمثال هذى الكبائر
فقال عذاب الله عذب وربنا * ينعم في نيرانه كل فاجر
وقال بان الله لم يعص في الورى * فما ثم محتاج لعاف وغافر
وقال مراد الله وفق لامره * فما كافر الا مطيع الاوامر
وكل امرىء عند المهيمن مرتضي * سعيد فما عاص لديه بخاسر
وقال يموت الكافرون جميعهم * وقد آمنوا غير المفاجي المبادر
وماخص بالايمان فرعون وحده * لدى موته بل عم كل الكوافر
فكذبه ياهذا تكن خير مؤمن * والا فصدقه تكن شر كافر
واثنى على من لم يجب نوحا اذ دعا * الى ترك ود أو سواع وناسر
وسمى جهولا من يطاوع أمره * على تركها قول الكفور المجاهر
ولم ير بالطوفان أغراق قومه * ورد على من قال رد المناكر
وقال بلى قد أغرقوا في معارف * من العلم والبارى لهم خير ناصر
كما قال فازت عاد بالقرب واللقا * من الله في الدنيا وفي اليوم الآخر
وقد اخبر البارى بلعنته لهم * وابعادهم فاعجب له من مكابر
وصدق فرعون وصحح قوله * انا الرب الاعلى وارتضى كل ساحر
واثنى على فرعون بالعلم والزكا * وقال بموسى عجلة المتبادر
وقال خليل الله في الذبح واهم * ورؤيا ابنه يحتاج تعبير عابر
يعظم أهل الكفر والانبياء لا * يعاملهم الا بحط المقادر
ويثنى على الاصنام خيرا ولا يرى * لها عابدا ممن عصى امر آمر

وكم من جرآآت على الله قالها * وتحريف آيات بسوء تفاسر
ولم يبق كفر لم يلابسه عامدا * ولم يتورط فيه غير محاذر
وقال سيأتينا من الصين خاتم * من الاولياء للاولياء الاكابر
له رتبة فوق النبي ورتبة * له دونه فاعجب لهذا التنافر
فرتبته العليا يقول لاخذه * عن الله وحيا لا بتوسيط آخر
ورتبته الدنيا يقول لانه * من التابعين للامور الظواهر
وقال اتباع المصطفى ليس واضعا * لمقداره الاعلى وليس بحاقر
فان يدن منه لاتباع فانه * يرى منه أعلى من وجوه افاجر
يرى حال نقصان له فى اتباعه * لاحمد حتى جا بهذى المعاذر
فلا قدس الله شخصا يحبه * على ما يرى من فتح هذي المخابر
وقال بان الانبياء جميعهم * بمشكوة هذا تستضى فى الدياجر
وقال فقال الله لى بعد مدة * بانك أنت الختم رب المفاخر
اتاني ابتداء بيض اسطر ربنا * بانفاذه فى العالمين أوامرى
وقال ولا تشغلك عنى ولاية * وكن كل شهر طول عمرك زائرى
فرفدك اجزلنا وقصدك لم يخب * لدينا فهل أبصرت يا ابن الاحافر
باكذب من هذا وا كفر في الورى * واجرا على غشيان هذى الفواظر
فلا يدعى من صدقوه ولاية * وقد ختمت فليأخذوا بالاقادر
فيا لعباد الله ماثم ذو حجى * له بعض تمييز بقلب وناظر
اذا كان ذو كفر مطيعا كمؤمن * فلا فرق فينا بين بر وفاجر
كما قال هذا ان كل أوامر * من الله جاءت فهى وفق المقادر
فلم تبعث رسل وسنت شرائع * وانزل قرآن بهذى الزواجر
أيخلع منكم ربقة الدين عاقل * بقول غريق فى الضلالة جائر
ويترك ماجاءت به رسل الهدى * لاقوال هذا الفيلسوف المعاذر
فيا محسنى ظنا بما فى فصوصه * ومافى فتوحات الشرور الدوائر

عليكم بدين الله لا تصحبوا غدا * مساعر نار قبحت من مساعر
فليس عذاب الله عذبا كمثل ما * يمنيكم بعض الشيوخ المدابر
ولكن اليم مثل ما قال ربنا * به الجلدان ينضج يبدل بآخر
غدا تعلمون الصادق القول منهما * اذا لم تتوبوا اليوم علم مباشر
ويبدو لكم غير الذى يعدونكم * بأن عذاب الله ليس بضائر
ويحكم رب العرش بين محمد * ومن سن علم الباطل المتهاتر
ومن جابدين مفترى غير دينه * فاهلك اغمارا به كالاباقر
فلا يخدعن المسلمين عن الهدى * وما للنبي المصطفى من مآثر
ولا يؤثروا غير النبي على النبي * فليس كنور الصبح ظلما الدياجر
دعوا كل ذى قول لقول محمد * فما آمن في دينه بمخاطر
واما رجالات الفصوص فانهم * يقومون فى بحر من الكفر ظاهر
اذا راح بالربح المتابع أحمدا * على هذه راحوا بصفقة خاسر
سيحكي لهم فرعون في دار خلده * باسلامه المقبول عند التحاور
ويا أيها الصوفى خف من فصوصه * خواتم سوء غيرها في الخناصر
وخذ نهج سهل والجنيد وصالح * وقوم مضوا مثل النجوم الزواجر
على الشرع كانوا ليس فيهم لوحدة * ولا لحلول الحق ذكر لذاكر
رجال رأوا ما الدار دار اقامة * لقوم ولكن بلغة للمسافر
فاحيوا لياليهم صلاة وبينوا * بها خوف رب العرش صوم البواكر
مخافة يوم مستطير بشره * عبوس المحيا قمطرير الظواهر
فقد نحلت أجسادهم واذابها * قيام لياليهم وصوم الهواجر
أولئك أهل الله فالزم طريقهم * وعد عن دواعى الابتداع الكوافر

وكثير من أهل العلم ردوا على الشيخ محيي الدين وبينو خطأه فيما قال فى الفصوص والفتوحات وسائر كتبه من المسائل المناقضة للشريعة وسيأتى بعض ذلك ان شاء الله عند ما يكرر النبهانى كلامه كما هى عادته . والله ينتقم منه فهو الذى تسبب الى الخوض في هذه المباحث المفروغ عنها

وأسأله تعالى ان يغفر لنا ولكافة المسلمين . وتشبيه النبهاني لشيخ الاسلام بابن حزم يفهم منه انه لم يرتض ابن حزم وهو الشيخ الجليل الشان اوحد عصره فى العلم والزهد صاحب التصانيف الفائقة المفيدة وماكان ذنبه سوى بيان مفاسد الاشاعرة واضرابهم وكلامه على من خالف السنة . وربما صدر منه بعض الخطأ اجتهادا *

ومن ذا الذى ترضى سجاياه كلها * كفى المرء نبلا ان تعد معائبه

ولا ينبغى من مثل النبهانى من الجهلة أن يتجاسر على من يبارى امامه في العلم والزهد ولكنه قد اتخذ الوقاحة ديدنا قاتله الله ما أجهله وما أحمقه *

﴿ويقال للنبهانى ثالثا﴾ اذ تصدى لمعارضة القصيدتين الفريدتين (احداهما) للشيخ الامام العالم العلامة الحافظ ذي الفنون البديعة والمصنفات النافعة ابو المظفر يوسف بن محمد بن مسعود بن محمد بن على ابن ابراهيم العبادي ثم العقيلى السرمرى نزيل دمشق الحنبلى وقد عارض بها الابيات التى كتبها السبكى التى أنشدها لما وقع نظره على كتاب منهاج السنة واستعرت فى قلبه نيران الحسد ﴿ والاخرى ﴾ للشيخ الامام العلامة أبي عبد الله محمد بن جمال الدين يوسف الشافعى اليمنى رد فيها على السبكى فيما قاله في ابياته تلك من الرد على شيخ الاسلام ابن تيمية وكلا القصيدتين قد اشتملا من الفصاحة والبلاغة على منتهاهما مع ما فيهما من الرد الوافي على السبكي فلو رآهما لبقى مدة عمره يبكى . والقصيدتان طبعتا مع كتاب منهاج السنة فلا حاجة لنا في ذكرهما مع كون كثير من طلبة العلم يحفظونهما *

ما دخولك أيها النبهاني بين الفرسان . وأنت لا تقاوم لمزيد جهلك الصبيان . قد عارضت بزعمك القصيدتين . وأتيت بما لم يتكلم به ابن يومين . اين السمك من السماك . واين الحصى من درر الاسلاك . واين نار الحباحب من بدور الافلاك . قد مثلت ولكن كما مثل النجوم الماء . وكما انعكس فى الغدير لون السماء . لقد حكيت ولكن فاتك الشنب . وفى الخمر معنى ليس يدركه من العنب *

﴿ واعلم أيها الناظر ﴾ ان الشعراء علي اربع طبقات جمعها بعض أهل الادب من العلماء في قوله

* الشعراء فاعلمن اربعه * فشاعر لا ترتجى لمنفعه

وشاعر ينشد وسط المجمعه * وشاعر يقال خمر فى دعه

وشاعر آخر لا يجرى معه

وقد قيل لا يزال المرء مستورا وفى مندوحة ما لم يصنع شعرا او يؤلف كتابا لان شعره ترجمان علمه وتأليفه عنوان عقله ، وقال حسان بن ثابت رضى الله تعالى عنه *

وان أشعر بيت أنت قائله * بيت يقال اذا أنشدته صدقا
وانما الشعر لب المرء يعرضه * على المجالس ان كيسا وان حمقا

وقال محمد بن مناذر وكان اماما في الفضل والادب *

لا تقل شعرا ولا تهمم به * فاذا ما قلت شعرا فاجد

وقال دعبل الخزاعى

سأقضي ببيت يحمد الناس أمره * ويكثر من أهل الرواية حامله
يموت ردىء الشعر من قبل أهله * وجيده يبقى وان مات قائله

وقالوا أيضا الشعراء اربعة فشاعر خنذيذ وهو الذى يجمع الى جودة شعره رواية الجيد من شعر غيره . وشاعر مفلق وهو الذى لا رواية له الا انه مجود كالخنذيذ فى شعره . وشاعر فقط وهو فوق الردئ بدرجة وشعرور وهو لا شئ وقيل بل هم شاعر مفلق وشاعر مطلق وشويعر وشعرور والمفلق هو الذى يأتى في شعره بالفلق وهو العجب وقيل الفلق الداهية قال الاصمعى فالشويعر مثل محمد بن حمران بن أبى حمران سماه بذلك امرؤ القيس . وقال بعضهم شاعر وشويعر وشعرور . وقال العبدي فى شاعر يدعى الشويعر من بنى ضبة ثم من بني حميس

الا تنهى سراة بنى حميس * شويعرها فويلية الافاعى

فسماه شويعرا وفاليـة الافاعى دويبة فوق الخنفساء فصغرها أيضا تحقيرا له وزعم الحاتمى ان النابغة سئل من اشعر الناس فقال من استجيد جيده واضحك رديه وهذا كلام يستحيل مثله عن النابغة لانه اذا أضحك رديه كان من سفلة الشعراء *

الا ان يكون في الهجاء خاصة * وقال الحطيئة يصف صعوبة الشعر

الشعر صعب وطويل سلمه * اذا ارتقى فيه الذى لا يعلمه
زلت به الى الحضيض قدمه * يريد ان يعربه فيعجمه

وانما سمى الشاعر شاعرا لانه يشعر بما لا يشعر له غيره واذا لم يكن عند الشاعر توليد معنى

ولا اختراعه ولا استطراف لفظ وابتداعه ولا زيادة فيما اجحف به غيره من المعانى او نقص مما اطاله سواه من الالفاظ او صرف معنى الى وجه عن وجه آخر كان اسم الشاعر عليه مجازا لا حقيقة ولم يكن له الا فضل الوزن وليس هو بفضل مع التقصير ولقي رجل آخر فقال له ان الشعراء ثلاثة شاعر وشويعر وماص بظرامه فايهم أنت قال أما انا فشويعر واختصم أنت وامرؤ القيس في الباقى . وقال بعضهم الشعر شعران جيد محكك وردي مضحك ولا شيء اثقل من الشعر الوسط والغناء الوسط . ويقال ان الشعر كالبحر اهون مايكون على الجاهل اهول مايكون على العالم واتعب أصحابه قلبا من عرفه حق معرفته وأهل صناعة الشعر ابصر بها من العلماء بآلته من نحو وغريب ومثل وخبر وما اشبه ذلك ولو كانوا دونهم بدرجات فكيف ان قاربوهم او كانوا منهم بسبب وقيل للمفضل الضبي لم لاتقول الشعر وأنت أعلم الناس به قال علمي هو الذى يمنعني من قوله وانشد *

وقد يعرض الشعر البكى لسانه * وتعيي القوافى المرء وهو لبيب

والشعر منزلة العقول وذلك ان احدا ماصنعه فكتمه ولو كان رديا وانما ذلك لسروره به واكباره اياه وهذه زيادة فى فضل الشعر وتنبيه على قدره وحسن موقعه . من كل نفس . ومن نظر لشعر النبهاني ممن له ذوق وسليقة علم ان الرجل ليس بشاعر ولا شويعر ولا ولا لانه مفلس من كل فضيلة وتبين له من نظمه انه لايعلمه . وانه قد زلت به الى الحضيض قدمه . من ذلك قوله فى أول قصيدته وهو أحد المواضع التى يجب التأنق فيها والاعتناء بشأنها

فان تمن ثعلبا يسطو على أسد * أو تخذل الليث لا يقوى لثعلبه

فانظر الى قوله فان تمن ثعلبا . ماأقبح وقعه فى هذا المقام . وقد خاطب الملك العلام وقد رضي ان ينزل هو بمنزلة الثعلب وهو كلب من الكلاب . ويكفيه ذلك سخافة لعقله وفضيحة بين أولى الالباب ولو أخذنا نناقشه بمثل هذه الكلمات لطال الكلام فى هذا المقام وضاع المقصود وفات . وللشعر صناعة وثقافة يعرفها أهل العلم والصناعات منها ماتثقفه العين ومنها ماتثقفه الاذن ومنها ماتثقفه اليد ومنها مايثقفه اللسان من ذلك اللؤلؤ والياقوت لايعرف بصفة ولا وزن دون المعاينة ممن يبصره . ومن ذلك الجهبذة بالدينار والدرهم لاتعرف جودتهما بلون ولا مس . لاطراءة ولا دنس . ويعرفه الناقد عند المعاينة فيعرف بهرجها وزائفها وستوقها ومفرغها

ومنه البصر بانواع المتاع وضروبه وصنوفه مع تشابه لونه ومسه وذرعه واختلاف بلاده حتى يرد كل صنف منها الى بلده الذى خرج منه. وكذلك بصر الرقيق فتوصف الجارية فيقال ناصعة اللون جيدة الشطب نقية الثغر حسنه العين والانف لطيفة النهدين ظريفة اللسان واردة الشعر فتكون بهذه الصفة بمائة دينار وبمائتى دينار وتكون أخرى بالف دينار وبالفى دينار ولكن لايجد واصفها مزيدا على هذه الصفة . وتوصف الدابة فيقال خفيف العنان لين الظهر شديد الحافر فتى السن نقى من العيوب فيكون بخمسين دينارا أو نحوها . وتكون أخرى بمائتي دينارا او اكثر وتكون هذه صفتها أيضا . ويقال للرجل والمرأة فى القراءة والغناء انه لندى الحلق طويل الصوت طويل النفس مصيب اللحن . ويوصف الآخر أو الاخرى بهذه الصفة وبينهما بون بعيد . يعرف ذلك أهل العلم به عند المعاينة والاستماع بلا صفة ينتهى اليها . ولا علم يوقف عليه . وان كثرة المداسة لتعين على العلم به . وكذلك الشعر يعلمه أهل العلم به . وقال بعض الحذاق ليس للجودة فى الشعر صفة انما هى شئ يقع في النفس عند المميز كالفرند فى السيف والملاحة فى الوجه . والمقصود ان قصيدة النبهانى التى زعم أنه عارض بها القصيدتين ليست من الشعر فى شئ انما هي ألفاظ خالية من المعاني . وقد ذكرنا لك بيت قصيده وهو قوله *

فان تعن ثعلبا البيت . وهو كلام ليس عليه طلاوة . ولا يدرك له حلاوة . ومعناه معنى مغسول بل كله حشو وفضول . فقبحه الله وقبح شعره *

وما تضمنته قصيدته من انكار صفة العلو لله تعالى وادعاء جواز الاستغاثة بغير الله تعالى . سبق البحث عنه والكلام فيه بما لامزيد عليه . وسيأتى أيضا تتمة للكلام عن الاستغاثة ان شاء الله تعالى *

﴿ قال النبهانى ﴾ ومن كتب الامام ابن تيمية كتاب العرش * قال فى كشف الظنون ذكر فيه ان الله سبحانه وتعالى يجلس على العرش وقد اخلى مكانا يقعد معه فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم كما ذكر ذلك ابو حيان فى النهر عند الكلام على قوله تعالى وسع كرسيه السموات والارض وقال قرأت فى كتاب العرش لاحمد ابن تيمية ماصورته بخطه انتهت عبارة كشف الظنون . ثم نقل عن الزبيدى انه قال فى شرح الاحياء عند قول الامام الغزالي في عقيدته قواعد العقائد . الاصل الثامن العلم بان الله تعالى مستو على العرش قال قال تقى الدين السبكى وكتاب

العرش من أقبح كتب ابن تيمية الخ * ثم نقل نص جلاء العينين في تبرية الحنابلة عن القول بالجسمية . وما نقله عن العلامة الكوراني فى ذلك . ثم اعترض النبهانى على ذلك بما كشف به عن حقيقة جهله وانه لم يعرف من العلم شيئاً . ثم هذى هذيانا فى هذا الباب كرره عدة مرات *

﴿ والجواب أن يقال للنبهانى ﴾ هذا المطلب من المطالب العالية وقد أشبعنا الكلام عليه سابقا عند الكلام على رسالته التى زعم أنه رد بها على من يقول بصفة العلو وان النبهانى ليس من رجال هذا الميدان وانه ضالع ولا يدرك الضالع شأو الضليع وفى جلاء العينين كلام أيضا مفصل في هذا الباب يكتفى بمثله الفطن اللبيب وفيه نبذة من كلام شيخ الاسلام فى كتاب العرش وهو الكتاب الذى لم يؤلف مثله فى هذا الموضوع . وفى ذلك ما يكذب ما نقله النبهانى عن الزبيدى وغيره والسبكى حاله فى النقل معلوم . وهذه كتب شيخ الاسلام فى كل فن بين الايدى والحمد لله . ففى أى كتاب قال ان الله يجلس على العرش وانه قد اخلى مكانا يقعد معه فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى أى كتاب رآه أبو حيان من كتب الشيخ . والحاصل ان مثل هذا النقل يجب على الناقل تصحيحه كما هو مقتضى قوانين المناظرة وبعد التصحيح تتكلم عليه وكيف يمكن تصحيحه وكتب الشيخ مصرحة بخلافه كما لا يخفى على من تتبع كتبه واقواله . قال شيخ الاسلام روح الله روحه ما أخبر به الرسول عن ربه فانه يجب الايمان به سواء عرفنا معناه او لم نعرف لانه الصادق المصدوق فما جاء فى الكتاب والسنة وجب على كل مؤمن الايمان به وان لم يفهم معناه — وكذلك ما ثبت باتفاق سلف الامه وأئمتها مع أن هذا الباب يوجد عامته منصوصا فى الكتاب والسنة متفقا عليه بين سلف الامة وما تنازع فيه المتاخرون نفيا واثباتا فليس على أحد بل ولا له أن يوافق أحدا على اثبات لفظ اونفيه حتى يعرف مراده فان أراد حقا قبل وان أراد باطلا رد وان اشتمل كلامه على حق وباطل لم يقبل مطلقا ولم يرد جميع معناه بل يوقف اللفظ ويفسر المعنى قال كما تنازع الناس فى الجهة فلفظ الجهة قد يراد به شئ موجود غير الله فيكون مخلوقا كما اذا أريد بالجهة نفس العرش او نفس السموات . وقد يراد به ما ليس بموجود غير الله تعالى كما اذا أريد بالجهة ما فوق العالم ومعلوم أنه ليس فى النص اثبات لفظ الجهة ولا نفيه كما فيه اثبات العلو والاستواء والفوقية والعروج اليه ونحو ذلك . وقد علم أنه

ما ثم موجود الا الخالق والمخلوق والخالق مباين للمخلوق سبحانه وتعالى ليس فى مخلوقاته شيء من ذاته ولا فى ذاته شيء من مخلوقاته فيقال لمن نفى أتريد بالجهة أنها شيء موجود مخلوق فالله ليس داخلا فى المخلوقات أم تريد بالجهة ما وراء العالم فلا ريب ان الله فوق العالم بائن من المخلوقات وكذلك يقال لمن قال الله فى جهة أتريد بذلك ان الله فوق العالم او تريد ان الله داخل فى شيء من المخلوقات. فان أردت الاول فهو حق . وان أردت الثانى فهو باطل وكذلك لفظ المتحيز ان أراد به ان الله تحوزه المخلوقات فالله أعظم وا كبر قد وسع كرسيه السموات والارض. وقد قال تعالى (وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه) وقد ثبت في الصحاح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال يقبض الله الارض ويطوى السموات بيمينه . ثم يقول انا الملك أين ملوك الارض وفى حديث ابن عباس رضى الله عنه ما السموات السبع والارضون السبع وما فيهن في يد الرحمن الا كخردلة في يد أحدكم. وفى حديث آخر وانه ليدحوها كما يدحوا الصبيان بالكرة قل وان أراد به أنه منحاز عن المخلوقات أي مباين لها ومنفصل عنها ليس حالا فيها فهو سبحانه كما قال أئمة السنة فوق سمواته على عرشه بائن من خلقه كما ذكره فى التدمرية *

وقال شيخ الاسلام فى التدمرية أيضا أما علوه تعالى ومباينته للمخلوقات فيعلم بالعقل . واما الاستواء على العرش فطريق العلم به هو السمع وليس فى الكتاب والسنة وصف له بانه لا داخل العالم ولا خارجه ولا مباينه ولا مداخله فيظن المتوهم انه اذا وصف بالاستواء على العرش كان استواؤه كاستواء الانسان على ظهور الفلك والانعام كقوله (وسخر لكم من الفلك والانعام ما تركبون) لتستووا على ظهوره فيتخيل أنه اذا كان مستويا على العرش كان محتاجا اليه كحاجة المستوى على الفلك والانعام فتعالى الله وتقدس فهذا خطأ وفى مفهوم استوائه تعالى على العرش حيث ظن أنه مثل استواء الانسان فانه ليس فى اللفظ ما يدل على ذلك لانه تعالى أضاف الاستواء الى نفسه الكريمة كما أضاف اليه سائر أفعاله وصفاته. فذكر أنه خلق ثم استوى كما ذكر أنه قدر فهدى فلم يذكر استواء مطلقا يصلح للمخلوق ولا عاما يتناول المخلوق كما لم يذكر مثل ذلك في سائر صفاته. وقد علم أنه تعالى الغنى عن الخلق وأنه الخالق للعرش ولغيره وأن كل ما سواه مفتقر اليه وهو الغني عن كل ما سواه فكيف يجوز أن يتوهم أنه تعالى اذا كان مستويا

على العرش كان محتاجا اليه تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا هل هـذا الا جهل محض وضلال ممن فهم ذلك وتوهمه او ظنه ظاهر اللفظ او جوزه على رب العالمين الغنى عن الخلق المجيد المتعال انتهى *

﴿ وقد ذكر ﴾ فى تفسير آية الـكرسي وهو مجلد كبير مثل ذلك وهكذا فى كثير من كتبه ولم نر فى شيء من كتبه ما نقله النبهانى الافاك انه قال ان الله يجلس على العرش وانه قد أخلى مكانا يقعد معه فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم بل ولا ذكره أحـد ممن ينتمى اليه من تلامذته وأصحابه كالحافظ ابن القيم وكتبه ها هي بين الايدى . وكالحافظ الذهبي . وكتبه فى البـلاد والاقطار منتشرة وكالحافظ الامام ابن قدامه . وكالحافظ ابن كثير وغيرهم ممن لا يحصون كثرة . والعجب ممن لا يلتفت الى صريح كلامه ونص عبارته . ويعتبر ما يسمعه من أفواه خصومه واعدائه كابن حجر المكي والسبكي والزبيدى ونحوهم من الغلاة وترى هؤلاء يدافعون عن بعض المتصوفة وقد تكلموا بكلمات الكفر فيجهدون كل الجهد فى تأويلها ويتعسفون فى تصحيحها ويحتجون على ذلك بانهم تكلموا أحيانا بما يوافق الحق . حتى انى تكلمت يوما مع بعض الغلاة فيما قاله صاحب الفصوص والفتوحات من الـكلمات المصرحة بالحلول والاتحاد وذكرت له ما قاله فيها العلامة السعد التفتازاني والشيخ على القارى . والشيخ محمد البخارى وغيرهم . فقال ان هؤلاء لم ينصفوا فان صاحب الفصوص قد صرح بعقيدة الإسلام في كثير من كتبه فمن الواجب ان نصرف ما نسمع من كلامه المخالف للحق الى ما يوافقه . ونحمله على محمل حسن كما اولوا قوله سبحان من أظهر الاشياء وهو عينها أى عين وجودها الماسك لها ونحو ذلك صيانة لهؤلاء الـكمل من الوقيعة فيهم . فقلت فما قولك في مسلم يصلى ويصوم ويزكى ويحج البيت وقد تكلم بالـكفر هل تؤل كلامه وتصرف عنه موجب الكفر أم تقول بما قاله الفقهاء في كتاب الردة . ثم انكم لم تذبوا عن ابن تيمية وتعتذروا عنه بمثل ما اعتذرتم عن شيخكم . وقدملأ الـكتب من الايمان بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم وتتشبثون بالقدح فيه بما زوره عليه أئمتكم مما لا وجود له في كتبه ولا كتب أصحابه فكان من الواجب عليكم انه اذا ثبت عنه شيء مذكور في كتبه ان تجتهدوا فى حمله على محمل حسن ولم تشتموه كما شتمه أئمتكم واسلافكم . فلم يجب بشيء واعرضت عن مكالمته *

﴿ ثم ان الذي نقلناه عنه ﴾ مما هو مذكور في كتاب العرش وتفسير آية الكرسي والتدمرية وغير ذلك من كتبه قد قال به السلف وصرح به كثير من المتأخرين أيضا قال الامام أبو العباس عماد الدين أحمد الواسطي الصوفي المحقق العارف تلميذ شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله سرهما وهو الذي قال فيه شيخ الاسلام انه جنيد زمانه في رسالته نصيحة الاخوان ماحاصله ان الله عز وجل كان ولا مكان ولا عرش ولا ماء . ولا فضاء ولا هواء . ولا خلاء ولا ملاء . وانه كان منفردا في قدمه وأزليته متوحدا في فردانيته لا يوصف بانه فوق كذا اذ لا شيء غيره . وهو تعالى سابق التحت والفوق اللذين هما جهتا العالم وهو لازمان له تعالى . وهو تعالى في تلك الفردانية منزه عن لوازم الحدث وصفاته . فلما اقتضت الارادة المقدسة خلق الاكوان المحدثة المخلوقة المحدودة ذات الجهات اقتضت الارادة ان يكون الكون له جهات من العلو والسفل وهو سبحانه منزه عن صفات الحدث فكون الاكوان وجعل جهتي العلو والسفل واقتضت الحكمة الالهية ان يكون الكون في جهة التحت لكونه مربوبا مخلوقا . واقتضت العظمة الربانية ان يكون هو تعالى فوق الكون باعتبار الكون لا باعتبار فردانيته اذ لا فوق فيها ولا تحت *

والرب سبحانه وتعالى كما كان في قدمه وازليته وفردانيته لم يحدث له في ذاته ولا في صفاته مالم يكن له في قدمه وأزليته وفردانيته لم يحدث له في ذاته ولا في صفاته مالم يكن له في قدمه وأزليته فهو الآن كما كان لما أحدث المربوب المخلوق ذا الجهات والحدود والخلا والملا . ذا الفوقية والتحتية . كان مقتضى حكم العظمة والربوبية ان يكون فوق ملكه وان تكون المملكة تحته باعتبار الحدوث من الكون لا باعتبار القدم من المكون فاذا أشير اليه بشيء يستحيل ان يشار اليه من جهة التحتية أو من جهة اليمنة أو من جهة اليسرة بل لا يليق ان يشار اليه الا من جهة العلو والفوقية . ثم الاشارة هي بحسب الكون وحدوثه وأسفله . فالاشارة تقع على أعلى جزء من الكون حقيقة وتقع على عظمة الله تعالى كما يليق به . لا كما يقع على الحقيقة المحسوسة عندنا في أعلى جزء من الكون فانها اشارة الى جسم . وتلك اشارة الى اثبات اذا علم ذلك فالاستواء صفة كانت له سبحانه وتعالى في قدمه لكن لم يظهر حكمها الا بعد خلق العرش . كما ان الحساب صفة قديمة لا يظهر حكمها الا في الآخرة . وكذلك التجلي

فى الآخرة لا يظهر حكمه الا فى محله *
قال فاذا علم ذلك فالامر الذى تهرب المتأولة منه حيث اولوا الفوقية بفوقية المرتبة والاستواء بالاستيلاء فنحن أشد الناس هربا من ذلك وتنزيها للبارى تعالى عن الحد الذى لا يحصره فلا يحد بحـد يحصره بل بحد تتميز به عظمة ذاته عن مخلوقاته والاشارة الى الجهة انما هو بحسب الكون وأسفله . اذ لا تمكن الاشارة اليـه الا هكذا . وهو فى قدسه سبحانه منزه عن صفات الحدث وليس فى القدم فوقية ولا تحتية وانما من هو محصور فى التحت لا يمكنه معرفة باريه الا من فوقه فتقع الاشارة الى العرش حقيقة اشارة معقولة وتنتهى الجهات عند العرش ويبقى ما وراءه لا يدركه العقل ولا يكفيه الوهم فتقع الاشارة عليه كما يليق به مجملا مثبتا لا مكيفا ممثلا . قال فاذا علمنا ذلك واعتقدناه تخلصنا من شبهة التأويل وعماءة التعطيل . وحماقة التشبيه والتمثيل . وأثبتنا علو ربنا وفوقيته واستواءه على عرشه كما يليق بجلاله وعظمته والحق واضح فى ذلك والصدر ينشرح له . فان التحريف تأباه العقول الصحيحة . مثل تحريف الاستواء بالاستيلاء وغيره والوقوف في ذلك جهل وغى . مع كون الرب وصف نفسه بهذه الصفات لنعرفه بها فوقوفنا عن اثباتها ونفيها عدول عن المقصود منه فى تعريفنا اياها فما وصف لنا نفسه بها لنثبت ما وصف به نفسه لنا ولا نقف فى ذلك . قال وكذلك التشبيه والتمثيل حماقة وجهالة فمن وفقه الله للاثبات فلا تحريف ولا تكييف ولا وقوف فقد وقع على الامر المطلوب منه ان شاء الله تعالى والله أعلم انتهى *

﴿ وذكر شيخ الاسلام ﴾ فى كتابه فى العرش كلاما مفيدا أحببنا نقله في هذا المقام اكمالا للفائدة ما حاصله اختلف فى العرش هل هو كري كالافلاك فيكون محيطا بها . واما ان يكون فوقها وليس هو كريا . فان كان الاول فمن المعلوم باتفاق من يعلم ان الافلاك مستديرة كرية الشكل ان الجهة العليا هي جهة المحيط وهو المحدد . وان الجهـة السفلى هي المركز . وليس للافلاك الا جهتان العلو والسفل فقط . وأما الجهات الست فهى للحيوان وليس لها في نفسها صفة لازمة بل هى بحسب الاضافة فيكون يمين هذا ما يكون يسار هذا . ويكون امام هذا ما يكون خلف هذا . ويكون فوق هذا ما يكون تحت هذا لـكن جهة العلو والسفل للافلاك لا يتغير . فالمحيط هو العلو والمركز هو السفل مع ان وجه الارض التي وضعها الله للانام وارساها

بالجبال هو الذى عليه الناس والبهائم والشجر والنبات والجبال والانهار الجارية . فاما الناحية الاخرى من الارض فالبحر محيط بها وليس هناك شئ من الادميين وما يتبعهم ولو قدر ان هناك أحدا لكان على ظهر الارض ولم يكن من في هذه الجهة تحت من فى هذه الجهة ولا من فى هذه تحت من فى هذه كما ان الافلاك محيطة بالمركز وليس أحد جانبي الفلك تحت الآخر ولا القطب الشمالى تحت القطب الجنوبى ولا بالعكس *

وان كان الشمالى هو الظاهر لنا فوق الارض وارتفاعه بحسب بعد الناس عن خط الاستواء فما كان بعده عن خط الاستواء ثلاثين درجة مثلا كان ارتفاع القطب عنده ثلاثون درجة وهو الذى يسمي عرض البلد *

فاذا قدر ان العرش مستدير محيط بالمخلوقات كان هو أعلاها وسقفها وهو فوقها مطلقا فلا يتوجه اليه والى مافوقه الانسان الا من العلو من جهاته الباقية ومن توجه الى الفلك التاسع او الثامن او غيره من غير جهة العلو كان جاهلا باتفاق العقلاء فكيف بالتوجه الى العرش او الى مافوقه وغاية مايقدر ان يكون كرى الشكل والله تعالى محيط بالمخلوقات كلها احاطة تليق بجلاله فان السموات السبع والارض في يده اصغر من الحمصة فى يد أحدنا *

قال ابن عباس رضى الله عنهما ما السموات السبع وما فيهن وما بينهن فى يد الرحمن الا كخردلة فى يد أحدكم . وهذا الاثر وامثاله معروف فى كتب الحديث *

﴿ قال شيخ الاسلام ﴾ ومن المعلوم ان الواحد منا ولله المثل الاعلى اذا كان عنده خردلة ان شاء قبضها فاحاطت بها قبضته وان شاء لم يقبضها بل جعلها تحته فهو في الحالين مباين لها والعرش سواء كان هذا الفلك التاسع الذى هو الفلك الاطلس عند الفلاسفة ويسمونه الفلك الاعظم وفلك الافلاك او كان جسما محيطا بالفلك التاسع او كان فوقه من جهة وجه الارض غير محيط به

فيجب على كل حال ان يعلم ان العالم العلو والسفلى بالنسبة الى الخالق فى غاية الصغر كما قال تعالى وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه وفى ذلك من الاحاديث ماسيأتي ذكر بعضها . وسواء قدر ان العرش محيط بالمخلوقات كاحاطة الكرة بما فيها او قيل انه فوقها وليس محيطا بها كوجه الارض الذى نحن عليه بالنسبة الى جوفها وكالقبة بالنسبة الى ماتحتها اوغير ذلك فعلى التقديرين يكون العرش فوق المخلوقات

والخالق سبحانه وتعالى فوقه والعبد فى توجهه الى الله يقصد العلو دون التحت *

﴿ ثم قال شيخ الاسلام ﴾ فى آخر كتاب العرش قد تبين انه سبحانه وتعالى اعظم وا كبر من ان تكون المخلوقات عنده بمنزلة داخل الفلك فى الفلك وانها أصغر عنده من الحمصة او الفلفلة ونحو ذلك في يد أحدنا. فاذا كانت الحمصة او الفلفلة بل الدرهم والدينار والكرة التى يلعب بها الصبيان ونحو ذلك فى يد انسان او تحته اونحو ذلك هل يتصور عاقل اذا استشعر علو الانسان على ذلك واحاطته به ان يكون الانسان كالفلك فالله تعالى وله المثل الاعلى اعظم من ان يظن ذلك به وانما يظنه الذين لم يقدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون انتهى *

﴿ وقد تبين ﴾ من هذه النقول ان البحث دقيق فلهذا لم يفهمه كثير من أهل العلم فضلا عن النبهانى فكلامه الذى اقتضى اعادة القول فاللوم عليه لا علينا والله الموفق *

هذا آخر الجزء الاول . من كتاب غاية الامانى . فى الرد على
النبهاني . ونسأله تعالى التوفيق لا كماله . وصلى
الله على سيدنا محمد وآله *

﴿ وكان الفراغ منه على يد مؤلفه من رمضان سنة ١٣٢٥ ﴾

(تم المجلد الاول ويليه المجلد الثانى وأوله الرد على ماانتقده الخصم على كتاب اغاثة اللهفان الخ)

فهرست المجلد الاول لغاية الامانى

صحيفة

صحيفة

﴿ تم فهرس الجزء الاول من غاية الاماني ويليه الثاني ﴾

المجلد الثاني من كتاب غاية الاماني

في الرد على النبهاني . للامام الهمام . علم الاعلام . الشيخ

أبي المعالي الحسيني السلامي الشافعي . فسح الله

تعالى في مدته وأيامه . ووفقه لتأليف

أمثاله . وخدمة توحيده (آمين)



حمدا لك اللهم مكان كل نعمة لك علينا * وعلى جميع عبادك الماضين والباقين * عدد ما أحاط به علمك من جميع الاشياء * ومكان كل واحدة منها عددها اضعافا مضاعفة أبدا سرمدا الى يوم القيامة . حمدا لا منتهى لحده . ولا حساب لعده . ولا مبلغ لغايته . لنتوسل به الى طاعتك وعفوك . ونتسبب به الى رضوانك . ونتخذه ذريعة الى مغفرتك . وطريقا الى جنتك . وخفيرا من نقمتك . وامنا من غضبك . وظهيرا على طاعتك . وحاجزا عن معصيتك . وعونا على تأدية حقك . اللهم واوصل صلة صلواتك . ونوامى بركاتك الى من أرسلته رحمة للعالمين . ونقمة على الزائغين . حتي ظهر أمرك وعلت كلمتك . ولو كره المشركون . اللهم واوصل مثل ذلك الى آله الكرام والاصحاب . والجند والاحزاب . ومن اتبعهم باحسان الى يوم الدين .

﴿ أما بعد ﴾ فلما من الله تعالى بفضله وتوفيقه الى اكمال النصف الاول من كتاب غاية الاماني بادرنا بعد الاستعانة به سبحانه الى الشروع فى النصف الثانى . وهو الكلام على الباب الخامس فما بعده الى آخر الابواب . التى ذكرها الخصم فى كتابه ولم يراقب فيها موقفه يوم الحساب وقد سلكنا في هذا المقام نحو ما سلكناه أولا من الانصاف . ولم نخرج وله سبحانه الحمد عن سواء السبيل حسبما عودنا عليه من الالطاف . ومنه سبحانه الهداية *

﴿ قال النبهانى ﴾ فى الباب الخامس من كتابه وهو الباب الذى عقده فى الكلام على كتاب اغاثة اللهفان لابن القيم والصارم المنكي فى الرد على السبكى وجلاء العينين فى المحاكمة بين الاحمدين . وعقد للكلام على كل من هذه الثلاثة فصلا . وقدم الكلام على اغاثة اللهفان .

ونقل عبارته التى ذكرها فى الزيارة المبتدعة وما يفعله القبوريون من الاعمال الشركية التى ماأنزل الله بها من سلطان . وبعد ختام عبارته نقل عبارة القسطلانى المتعلقة بالاغراء على الزيارة المبتدعة ليستدل بها على غلوه وبعد ان نقلها قال هذا ما أردت نقله هنا من كلام هذا الامام قال وذكر رحمه الله أحاديث وفوائد نفيسه تتعلق بزيارته صلى الله عليه وسلم والاستغاثة به وفضل المدينة المنورة فليراجعها من شاءها . (ثم قال فانظر) رحمك الله الى هذا النور وهذا الهدى . وهذا الحق الظاهر المشرق الجلى . تعلم شدة الظلام المستولى على أولئك المبتدعين وأنت اذا قابلت بين كلام القسطلانى وكلام ابن القيم يظهر لك كمال الفرق بين الباطل والحق الخ

﴿أقول فى جوابه﴾ ان حاصل انتقاده هذا على كتاب اغاثة اللهفان ان مافيه من الكلام على الزيارة المبتدعة . والمنع منها مخالف لما نقله عن القسطلانى وكفى بذلك دليلا على الفساد . وأنت تعلم مما قدمناه ان مدار الاستدلال انما هو على الكتاب والسنة لا باقوال الغلاة . وقد استوفينا الكلام على أقسام الزيارة فيما نقلناه سابقا عن أئمة أهل العلم والدين وان النبهانى لامتلاء قلبه من ظلمات البدع والاهواء لم يزل يكرر مايهواه كما هو شأن من أحب شيئا فانه يلهج بذكره وعليه قول القائل *

أريد لانسى ذكرها فكأنما * تمثل لى ليلى بكل طريق

ولما استولت على قلبه محبة الاشراك بالله تعالى والغلو بالصالحين تراه يسرح فى أودية الضلال وكلما رأى ما يوافق هواه بادر الى نقله . أو رأى ما يوافق الحق ويقتضيه الدين المبين بادر الى شتم قائله . وتضليله بل وتكفيره . وعلى ذلك بنى بنيانه . وأقام برهانه وألف كتابه . وفصل خطابه . وكلما وجهت اليه لوما ازداد بباطله غراما *

وذى سفه يواجهنى بجهل * فأكره ان أكون له مجيبا
يزيد سفاهة فأزيد حلما * كعود زاده الاحراق طيبا

وحاله هذا حال اخوانه وسلفه اذ حكى الله تعالى عنهم ما حكى فى كتابه الكريم قال عز من قائل (ولن ترضى عنك اليهود ولا النصاري حتى تتبع ملتهم . ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذى جاءك من العلم مالك من الله من ولي ولا نصير) . ولنضرب عن كلامه هنا صفحا اكتفاء بما سبق منا . (وكتاب اغاثة اللهفان) . فى مصائد الشيطان . هو كتاب مشهور من كتب السنة

أودعه مؤلفه رحمه الله مهمات المطالب . وابطل به حبائل الشيطان . ومصائده . ودسائسه ومكائده . فلا بدع ان نفرت منه جنوده واضطربت منه اعوانه وأولياؤه . والله لا يصلح عمل المفسدين *

﴿ قال النبهانى ﴾ فى فصل ذكره بعد كلامه السابق وليت ابن القيم زاد فى كتابه المذكور فصلا قال فيه . ومن مصائده انه يسول الى بعض العلماء الغلو فى الدين ويحسن تضليل المسلمين بالاستغاثة والزيارة لقبور الانبياء والصالحين . ويدخل عليهم بحيله الشيطانية . ان فى ذلك شركا لرب العالمين . والامر على خلاف ما أوحاه اليهم هذا اللعين . فقد أضر بهم ضررا فاحشا فى الدين . الى آخر هذيانه *

﴿ جوابه ان يقال من قبل من يوحد الله ولا يشرك بعبادته أحدا ﴾ أخسأ يا عدو الله ان الله لا يأمر بالفحشاء والمنكر والبغي والذى أضر بالمسلمين عبادتهم للقبور وتلاعبهم بما يعملون في المشاهد . والزوايا من المنكرات . واعراضهم عما استوجبته شريعتهم من اكتساب ما يستوجب السعادتين . فيا أيها الداعي لعبادة غير الله تعالى كلامك هذا دل عليك انك من جند ابليس . بل قد ارتقى بك الحال حتى صار ابليس من جندك كما قيل في أخيك . ومن يشابهك ويضاهيك *

وكان فتى من جند ابليس فارتقى * به الحال حتى صار ابليس من جنده

فنحن بحمد الله لم نزل ممتثلين لما ورد من الاوامر فى الشريعة الغراء منتهون عما نهى الله عنه ورسوله وسائر الانبياء . لا ندعو غير الله . ولا نسأل فى المهمات سواه ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين فنحن عند المهمات نقول اللهم يا من تحل به عقد المكاره . ويامن يسكن به حد الشدائد . ويامن يلتمس منه المخرج الى روح الفرج . ذلت لقدرتك الصعاب . وتسببت بلطفك الاسباب وجرى بقدرتك القضاء . ومضت على ارادتك الاشياء . فهى بمشيئتك دون قولك مؤتمرة . وبارادتك دون نهيك منزجره . أنت المدعو للمهمات وأنت المفزع فى الملمات . لا يندفع منها الا ما دفعت ولا ينكشف منها الا ما كشفت فلا مصدر لما أوردت ولا صارف لما وجهت . ولا فاتح لما أغلقت ولا مغلق لما فتحت ولا ميسر لما عسرت . ولا ناصر لمن خذلت *

وحيث أن ما ذكره النبهاني هو وحي شيطاني قال تعالى (وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم زخرف القول غرورا) وجب أن نستعيذ منه فان شياطين الانس أشد ضررا من شياطين الجن فنقول اللهم انا نعوذ بك من نزغات الشيطان الرجيم ومكائده ومن الثقة بامانيه ومواعيده وغروره ومصائده وان يطمع نفسه فى اضلالنا عن طاعتك وامتهاننا بمعصيتك * وان يحسن عندنا ما حسن لنا وان يثقل علينا ما كره الينا * اللهم اخسأه عنا بعبادتك واكبته بجدنا فى محبتك واجعل بيننا وبينه سترا لا يهتكه * وردما مصمتا لا يفتقه * اللهم أشغله عنا ببعض أعدائك واعصمنا منه بحسن رعايتك * واكفنا خطره * وولنا ظهره * واقطع عنا أثره * اللهم ومتعنا من الهدى بمثل ضلالته * وزودنا من التقوى ضد غوايته * واسلك بنا من التقى خلاف سبيله من الردى * اللهم لا تجعل له فى قلوبنا مدخلا * ولا توطن له فيما لدينا منزلا * اللهم وماسول لنا من باطل فعرفناه * واذا عرفتناه فقناه وبصرنا ما نكايده به * والهمنا ما نعده له وايقظنا عن سنة الغفلة بالركون اليه * وأحسن بتوفيقك عوننا عليه * اللهم واشرب قلوبنا انكار علمه * والطف لنا فى نقض حيله * وحول سلطانه عنا * واقطع رجاءه منا . واذرأه عن الولوع بنا * واجعلنا منه في حرز حارز . وحصن حافظ . وكهف مانع . والبسنا منه جننا واقية * واعطهم عليه اسلحة ماضية * اللهم واعمم بذلك من شهد لك بالربوبية * واخلص لك بالوحدانية * وعاداه لك بحقيقة العبودية * واستظهر بك عليه فى معرفة العلوم الربانية * اللهم احلل ماعقد * وافتق مارتق * وافسخ مادبر وثبطه اذاعزم . وانقض ما ابرم * اللهم واهزم جنده . وابطل كيده . واهدم كهفه * وارغم أنفه * اللهم اجعلنا فى نظم أعدائه * واعزلنا عن عداد أوليائه * لانطيع له اذا استهوانا * ولا نستجيب له اذا دعانا * نأمر بمناواته من اطاع أمرنا * ونعظ بمتابعته من اتبع زجرنا * اللهم واعذنا مما استعذنا منه وأجرنا مما استجرنا بك من خوفه واسمع لنا ما دعونا به واعطنا ما اغفلناه * واحفظ لنا ما نسيناه * وصيرنا بذلك فى درجات الصالحين ومراتب المؤمنين . آمين يارب العالمين . ثم ان ما نسب الى الاولياء مما يحبه ويهواه من الباطل والضلال سنتكلم عليه ان شاء الله ونبطل دعواه فيه ولا سيما ما نسب للشيخ عبد القادر . وسنذكر من كلامه ما يدل على أنه كان أحرص الناس على التوحيد * وتعبيره عن المسلمين الذين أخلصوا وجوههم لله بالالقاب المستكرهة هو من خصال أهل الجاهلية من المشركين والكتابيين فلقب أهل الهدى تارة بالوهابية وأخرى

بالحشوية . ومرة بالمجسمة كما كان اسلافه يسمون من خرج عن دينهم بالصابي وسموا رسول الله صلى الله عليه وسلم صابئيا كما ورد ذلك في عدة أحاديث صحيحة تنفيرا للناس عن اتباع غير سبيلهم وهكذا تجد كثيرا من هذه الامة يطلقون على من خالفهم في بدعهم وأهوائهم أسماء يكرهها الناس ويستبشعها العوام . وجميع ما ذكر النبهاني في هـذا المقام مما يتعلق بالسفر الى الزيارة والاستغاثة بغير الله قدمر الكلام على ابطاله *

* قال النبهاني * في الرد على ما منعه ابن القيم من ضرب المثل بالملك وقضاء حاجات المستشفعين له بوزرائه وخواصه . لله تعالى في قضاء حاجات المستشفعين له بانبيائه وعباده الصالحين وبعد نقل منعه (قال النبهاني) ومنعه ممنوع لان ذلك من قبيل التشبيه وهو واقع في القرآن بقوله تعالى (مثل نوره كمشكاة فيها مصباح) . الى أن قال وانما حمل ابن القيم على منعه والاطالة في تهجينه كون ذلك يفيد جواز الاستغاثة بخواص عبيده المقربين . من الانبياء والصالحين . ثم نقل لابن القيم عبارة ذكرها في جلاء الافهام في الصلاة على خير الانام . في الفائدة التاسعة والثلاثين من فوائده مما يفيد بزعمه تشبيه الخالق بالمخلوق . ونقل عن القسطلاني والشعراني وعلى الخواص وغيرهم ما يفيد أيضا جواز قياس الخالق على المخلوق وتشبيهه بخلقه *

* جوابه * ان النبهاني هذا قد لبس في هـذه المسألة وحرف واوهم فلزم نقل عبارة ابن القيم اولا وما يوافقها . ثم الكلام على باطل النبهاني وجهله * فنقول قال الحافظ ابن القيم في كتابه اغاثة اللهفان في فصل الفرق بين زيارة الموحدين للقبور وزيارة المشركين * اما زيارة الموحدين فمقصودها ثلاثة أشياء (أحدها) تذكير الآخرة والاعتبار والاتعاظ وقد أشار عليه السلام الى ذلك بقوله زوروا القبور فانها تذكركم الآخرة . (الثاني) الاحسان الى الميت وان لا يطول عهده به فيهجره ويتناساه كما اذا ترك زيارة الحي مدة طويلة تناساه فاذا زار الحي فرح بزيارته وسر بذلك فالميت اولى لانه قد صار في دار قد هجر أهلها اخوانهم وأهلهم ومعارفهم فاذا زاره وأهدى اليه هدية من دعاء او صدقة او اهداء قربة ازداد بذلك سروره وفرحه كما يسر الحي بمن يزوره ويهدى له . ولهذا شرع النبي صلى الله عليه وسلم للزائر أن يدعو لهم ولا يدعو بهم ولا يصلى عندهم . (الثالث) احسان الزائر الى نفسه باتباع السنة والوقوف عند ما شرعه الرسول عليه السلام فيحسن الى نفسه والى المزور *

﴿ واما الزيارة الشركية ﴾ فاصلها مأخوذ من عباد الاصنام قالوا الميت المعظم الذى لروحه قرب ومنزلة ومزية عند الله تعالى لا يزال تأتيه الالطاف من الله تعالى ويفيض على روحه الخيرات فاذا علق الزائر روحه به وأدناها منه فاض من روح المزور على روح الزائر من تلك الالطاف بواسطتها كما ينعكس الشعاع من المرآة الصافية والماء ونحوه على الجسم المقابل له * قالوا فتمام الزيارة أن يتوجه الزائر بروحه وقلبه الى الميت ويعكف بهمته عليه ويوجه قصده كله واقباله عليه بحيث لا يبقى فيه التفات الى غيره . وكلما كان جمع الهمة والقلب عليه أعظم كان أقرب الى انتفاعه به . وقد ذكر هذه الزيارة على هذا الوجه ابن سينا والفارابى وغيرهما وصرح بها عباد الكواكب فى عبادتها . وقالوا اذا تعلقت النفس الناطقة بالارواح العلوية فاض عليها منها النور وبهذا السر عبدت الكواكب واتخذت لها الهياكل وصنفت لها الدعوات . واتخذت الاصنام المجسدة لها * (وهذا بعينه) هو الذي أوجب لعباد القبور اتخاذها أعيادا وتعليق الستور عليها وايقاد السرج عليها وبناء المساجد عليها . وهو الذى قصد رسول الله صلى الله عليه وسلم ابطاله ومحوه بالكلية وسد الذرائع المفضية اليه . فوقف المشركون فى طريقه . وناقضوه فى قصده . وكان صلى الله عليه وسلم فى شق . وهؤلاء فى شق . وهذا الذي ذكره هؤلاء المشركون في زيارة القبور هو الشفاعة التى ظنوا أن آلهتهم تنفعهم بها وتشفع لهم عند الله تعالى *

قالوا فان العبد اذا تعلقت روحه بروح الوجه المقرب عند الله وتوجه بهمته اليه وعكف بقلبه صار بينه وبينه اتصال يفيض به عليه منه نصيب مما يحصل له من الله *

﴿ وشبهوا ﴾ ذلك بمن يخدم ذا جاه وحظوة وقرب من السلطان فهو شديد التعلق به فما يحصل لذلك من السلطان من الانعام والافضال ينال ذلك المتعلق به بحسب تعلقه به . فهذا سر عبادة الاصنام وهو الذى بعث الله رسله وأنزل كتبه بابطاله وتكفير أصحابه ولعنهم وأباح دماءهم وأموالهم وسبي ذراريهم . وأوجب لهم النار والقرآن من أوله الى آخره مملوء من الرد على أهله وابطال مذهبهم . ثم سرد عدة آيات ونصوص من ذلك وتبين منها ان المشركين انما عبدوا من عبدوا بسبب اتخاذ من سوى الله وسائط بينهم وبينه . فاذا أشرك بهم المشرك واتخذهم شفعاء من دونه ظنا منه انه اذا فعل ذلك تقدموا وشفعوا له عند الله فهو من أجهل الناس بحق الرب ومايجب له ومايمتنع عليه . فان هذا ممتنع اذ كيف يقاس الرب تعالى على

الملوك والكبراء حيث يتخذ الرجل من خواصهم وأوليائهم من يشفع له عندهم فى الحوائج وبهذا القياس الفاسد عبدت الاصنام . واتخذ المشركون من دون الله الشفيع والولى والفرق بينهما هو الفرق بين المخلوق والخالق . والرب والعبد . والمالك والمملوك . والغنى والفقير . والذى لاحاجة به الى أحد قط . والمحتاج من كل وجه الى غيره . فالشفعاء عند المخلوقين هم شركاؤهم فان قيام مصالحهم بهم وهم اعوانهم وأنصارهم الذين قيام الملوك والكبراء بهم ولولاهم لما انبسطت أيديهم وألسنتهم فى الناس فلحاجتهم اليهم يحتاجون الى قبول شفاعتهم وان لم يأذنوا فيها ولم يرضوا عن الشافع لانهم يخافون ان يردوا شفاعتهم فتنقص طاعتهم لهم ويذهبون الى غيرهم فلا يجدون بدا من قبول شفاعتهم على الكره والرضى . فأما الغنى الذى غناه من لوازم ذاته وكل ما سواه فقير اليه بذاته وكل من فى السموات والارض عبيد له مقهورون بقهره مصرفون بمشيئته لو أهلكهم جميعا لم ينقص من عزه وسلطانه وملكه وربوبيته وآلهيته مثقال ذرة . ثم ذكر الدلائل القرآنية على ذلك مما يطول ذكره فراجع كتابه وهو بين الايدى *

﴿ فتبين مما نقلناه ﴾ من عبارته مالبس به النبهانى وحذف ليروج غرضه الفاسد وهو اتخاذ الوسائط بينه وبين الله بناء على ماجوزه من قياس الخالق على المخلوق . وعلى كلامه الفاسد ينبغي ان تجوز كل عبادة لله ان تجعل لغيره . ويقال انه واسطة كما ان الوزير واسطة بين الناس وبين الملك *

﴿ وهذا الذى ذكره ابن القيم ﴾ قد سبقه به شيخه وذكر مثله فى مواضع منها ماقاله فى رسالة الواسطة حيث نص فيها ان من أراد بالواسطة أنه لابد من واسطة فى جلب المنافع ودفع المضار مثل ان يكون واسطة في رزق العباد ونصرهم وهداهم يسألونه ذلك ويرجعون اليه فيه . فهذا من أعظم الشرك الذى كفر الله به المشركين حيث اتخذوا من دون الله أولياء وشفعاء يجتلبون بهم المنافع ويدفعون بهم المضار لكن الشفاعة لمن يأذن الله له فيها حق . قال تعالى (الله الذى خلق السموات والارض فى ستة أيام ثم استوى على العرش مالكم من دونه من ولي ولا شفيع أفلا تتذكرون) وذكر نصوصا أخر الى ان قال ومثل هذا كثير فى القرآن ومن سوى الانبياء من مشايخ العلم والدين من أثبتهم وسائط بين الرسول وأمته يبلغونهم ويعلمونهم ويؤدبونهم ويقتدون بهم فقد أصاب فى ذلك . وهؤلاء اذا أجمعوا . فاجماعهم حجة قاطعة لايجتمعون على ضلالة . وان تنازعوا فى شيء ردوه الى الله والرسول اذ الواحد منهم ليس بمعصوم على الاطلاق بل

كل واحد من الناس يؤخذ من كلامه ويترك الا رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقد قال عليه الصلاة والسلام العلماء ورثة الانبياء . فان الانبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما وانما ورثوا العلم فمن أخذه فقد أخذ بحظ وافر . وان أثبتهم وسائط بين الله وبين خلقه كالحجاب الذين بين الملك ورعيته بحيث يكونون هم يرفعون الى الله حوائج خلقه فالله انما يهدى عباده ويرزقهم بتوسطهم فالخلق يسألونهم وهم يسئلون الله كما ان الوسائط عند الملوك يسألون الملوك الحوائج للناس لقربهم منه والناس يسألونهم أدبا منهم ان يباشروا سؤال الملك . أو لان طلبهم من الوسائط أنفع لهم من طلبهم من الملك لكونهم أقرب من الطالب للحوائج . فمن أثبتهم وسائط على هذا الوجه فهو كافر مشرك يجب ان يستتاب فان تاب والا قتل *

﴿ وهؤلاء ﴾ مشبهون لله شبهوا المخلوق بالخالق وجعلوا لله أندادا قال وفى القرآن من الرد على هؤلاء مالم تتسع له هذه الفتوى . فان الوسائط التى بين الملوك وبين الناس يكونون على أحد وجوه ثلاثة اما لاخبارهم من أحوال الناس بما لا يعرفونه . ومن قال ان الله تعالى لا يعلم أحوال عباده حتى يخبره بها بعض الملائكة أو الانبياء أو غيرهم فهو كافر بل هو سبحانه يعلم السر وأخفى ولا تخفى عليه خافية فى الارض ولا فى السماء وهو السميع البصير يسمع ضجيج الاصوات . باختلاف اللغات على تفنن الحاجات لا يشغله سمع عن سمع ولا تغلطه المسائل . ولا يتبرم بالحاح الملحين *

﴿ والوجه الثانى ﴾ ان يكون الملك عاجزا عن تدبير رعيته ودفع اعدائه الا باعوان يعينونه . فلا بد له من أنصار وأعوان لذله وعجزه . والله سبحانه ليس له ظهير ولا ولى من الذل قال تعالى (قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة فى السموات ولا فى الارض ومالهم فيهما من شرك وماله منهم من ظهير) . وقال تعالى (الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك فى الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيرا) وكل مافى الوجود من الاسباب فهو خالقه وربه ومليكه . فهو الغني عن كل ماسواه وكل ماسواه فقير اليه بخلاف الملوك المحتاجين الى ظهرائهم وهم فى الحقيقة الى ظهرائهم وهم في الحقيقة شركاؤهم فى الملك والله تعالى ليس له شريك فى الملك بل لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير *

﴿ والوجه الثالث ﴾ ان يكون الملك ليس مريدا لنفع رعيته والاحسان اليهم ورحمتهم الا

بحرك يحركه من خارج فاذا خاطب الملك من ينصحه ويعظه أو من يدل عليه بحيث يكون يرجوه ويخافه تحركت ارادة الملك وهمته فى قضاء حوائج رعيته اما لما حصل في قلبه من كلام الناصح الواعظ المشير واما لما يحصل له من الرغبة والرهبة من كلام المدل عليه والله تعالى هو رب كل شيء ومليكه وهو أرحم بعباده من الوالدة بولدها وكل الاشياء انما تكون بمشيئته فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن وهو اذا أجرى نفع العباد بعضهم على بعض فجعل هذا يحسن الي هذا او يدعو اله ويشفع فيه ونحو ذلك فهو الذى خلق ذلك كله وهو الذى خلق في قلب هذا المحسن الداعي الشافع من ارادة الدعاء والاحسان والشفاعة ولا يجوزأن يكون فى الوجود من يكرهه على خلاف مراده او يعلمه مالم يكن يعلم او من يرجوه الرب ويخافه . ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يقولن أحدكم اللهم اغفرلي ان شئت اللهم ارحمني انشئت ولكن ليجزم المسأله فان الله لا مكره له والشفعاء الذين يشفعون عنده لا يشفعون الا باذنه وذكر الآيات الدالة على ذلك الى ان قال فبين ان كل من دعى من دونه ليس له نصيب ولا شرك فى الملك ولا هو ظهير وان شفاعتهم لا تنفع الا لمن أذن له وهذا بخلاف الملوك فان الشافع عندهم قد يكون له ملك وقد يكون شريكا لهم فى الملك وقد يكون مظاهرا لهم معاونا لهم على ملكهم وهؤلاء يشفعون عند الملوك بغيراذن الملوكهم وغيرهم والملك يقبل شفاعتهم تارة لحاجته اليهم . وتارة لخوفه منهم . وتارة لجزاء احسانهم اليه ومكافاتهم لايفائهم عليه حتى أنه يقبل شفاعة ولده وزوجته لذلك فانه محتاج الى الزوجة والى الولد حتى لو انه أعرض عنه زوجته وولده لتضرر بذلك . ويقبل شفاعة مملوكه فانه اذا لم يقبل شفاعته خاف ان لا يطيعه او أن يسعى فى ضرره وشفاعة العباد بعضهم عند بعض كلها من هذا الجنس فلا يقبل أحد شفاعة أحد الا لرغبته او رهبته . فالله تعالى لا يرجو أحدا ولا يخافه ولا يحتاج الى أحد بل هو الغنى واستشهد بنصوص كثيرة على ذلك واطنب فى الكلام *

﴿ فتبين ﴾ مما نقلناه ان قياس الخالق على المخلوق فى غاية الفساد بل هو قياس مع الفارق من وجوه كثيرة ومنه يعلم سقوط كلام النبهاني الغبي وانه لا يعلم من فن الاصول شيئا اصلا ولا عرف باب القياس ولا دراه *

﴿ واما قوله ﴾ بعد ذكره منع ابن القيم ومنعه ممنوع الخ فهى عبارة تدل على أنه لم يمارس

شيئا من العلوم ولا قرأ مايقرؤه المبتدؤن فى طلب العلم وهو علم آداب البحث والمناظرة اذ لو شم رائحته لعلم ان المنع لايمنع اذ من قواعده ان منع المنع ومنع ما يؤيده لا يفيد ولولا ان هذه القاعدة من أشهر مسائل هذا الفن لتكلمنا عليها بكلام اكثر من ذلك *

فالحمد لله جعل أعداء الحق وخصماء السنة من أجهل الناس بما يوجب السعادة وأضلهم عن سواءالسبيل *

﴿ وأما مانقله ﴾ من الفائدةعن كتاب جلاء الافهام • وزعم انها تناقض ماذكره ابن القيم فى اغاثته من الرد على من قاس الخالق على المخلوق • فنقول ليس الامر كما زعم ولامخالفة بين العبارتين ومن نقل الفائدة بنصها يتبين ماقلناه من ان النبهانى غالط فى كلامه • فقد قال ابن القيم فى الكتاب المذكور بعد ان عد تسع وثلاثين فائدة . مانصه *

﴿ الاربعون ﴾ ان الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم من العبد هى دعاء ودعاء العبدوسؤاله من ربه نوعان (أحدهما) سؤاله حوائجه ومهماته وما ينوبه فى الليل والنهار فهذا دعاء وسؤال وايثار لمحبوب العبد ومطلوبه (والثانى) سؤاله ان يثنى على خليله وحبيبه ويزيد فى تشريفه وتكريمه واشارة ذكره ورفعه . ولا ريب ان الله تعالى يحب ذلك ورسوله وآثر ذلك على طلبه حوائجه ومحابه هو • بل كان هذا المطلوب من أحب الامور اليه وآثرها عنده • فقد آثر مايحبه الله ورسوله صلى الله عليه وسلم على مايحبه هو *

فقد آثر الله ومحابه على ماسواه • والجزاءمن جنس العمل • فمن آثر الله على غيره آثره الله على غيره واعتبر هذا بما تجد الناس يعتمدونه عند ملوكهم ورؤسائهم اذا أرادوا التقرب اليهم والمنزلة عندهم فانهم يسألون المطاع أن ينعم على من يعلمونه أحب رعيته اليه . وكلما سألوه ان يزيد فى حبائه واكرامه وتشريفه علت منزلتهم عنده وازداد قربهم منه وحظوتهم لانهم يعلمون منه ارادة الانعام والتشريف والتكريم لمحبوبه فاحبهم اليه أشدهم له سؤلا ورغبته ان يتم عليه انعامه واحسانه • هذا أمر مشاهد بالحس ولا يكون منزلة هؤلاء ومنزلة من يسأل المطاع حوائجه هو وهو فارغ من سؤاله تشريف محبوبه والانعام عليه واحدة فكيف باعظم محب وأجله لا كرم محبوب وأحقه بمحبة ربه له • ولو لم يكن من فوائدالصلاة عليه الاهذاالمطلوب وحده لكفى المؤمن به شرفا الخ *

﴿ هذه هى عبارة جلاء الافهام ﴾ وهي الفائدة الاربعون لا التاسعة والثلاثون كما وهم النبهانى وأنت تعلم ان ما أسقطه ولم ينقله شيء كثير والذى حذفه هو الذى يوضح المسألة وهكذا شأنه يحذف ماعليه وينقل مالا فائدة له فيه . وابن القيم رحمه الله أجل من ان يتكلم بما يخالف الكتاب والسنة وماكان عليه السلف وكلامه يصدق بعضه بعضا ويبين بعضه بعضا . فما ذكره فى اغاثته من منع اتخاذ الوسائط فى الالتجاء اليه تعالى والعبادة والتوكل والنذر وغير ذلك لم يتكلم بخلافه فى كتاب من كتبه . فلا يجوز ان يطلب الرزق من مخلوق ويقصد جعله واسطة فى حصول رزقه ولا ان يطلب كشف الضر أو تحويله من ملك أو بشر بقصد ان يكونوا وسائط عند الله فى هذا المرام كما يستشفع بالوسائط عند الملوك والا كابر لما سبق ان هذا قياس مع الفارق وان اتخاذ الوسائط الى الله فيما لا يقدر عليه الا الله . هو شرك المشركين . وهو الذى أرسل الله لمحوه الانبياء والمرسلين وما ذكره فى جلاء الافهام من ان سؤال الرب سبحانه ان يثنى على رسوله ويشرفه ويتعطف عليه هو آثر عنده من ان يطلب السائل شيئا لنفسه . ثم لتوضيح المسألة قال واعتبر ذلك بما تجد الناس يعتمدونه عند ملوكهم الخ أى قس سؤال الله ان يتفضل على خليله وحبيبه وانه آثر من السؤال ان يتفضل على السائل . بسؤال الرعايا للملك ان يتفضل بالطافه على من يعلمون ان الملك يحبه من أمير أو وزير أو أحد الرعايا . اذا قسته تجد الامر كما وصف من ان الملك يؤثر لديه هذا السؤال . وكذلك يقال اذا كان لاب واحد عدة بنين ومنهم من هو أحب اليه من غيره . فلا شك ان أحد الابناء اذا سأل أباه ان يخص الابن الذى هو أحب أبنائه باحسان وعطية كان ذلك آثر لدى الاب من ان يسأله أحد الابناء شيئا لنفسه * وهذا من باب ضرب المثل وتوضيح المسألة . ومن اين هنا اتخاذ الوسائط والالتجاء الى غير الله وههنا القياس صحيح والجامع موجود . فان الله سبحانه يؤثر لديه سؤال العبد ماهو مرغوب له تعالى على سؤال العبد ماتعود مصلحته اليه كما ان المحسوس كذلك *

فانظر الى غباوة هذا الملحد الزائغ حيث لم يفرق بين ماذكر فى الاغاثة وبين ماذكر فى جلاء الافهام . مع ان الفرق كما بين النور والظلام *

ثم ان مانقله عن الشيخ محيي الدين من انه استعمل هذا القياس فى الفتوحات المكية وهو قوله لما كان الحق تعالى هو السلطان الاعظم ولا بد للسلطان من مكان يكون فيه حتى يقصد

بالحاجات مع أنه تعالى لا يقبل المكان اقتضت المرتبة ان يخلق عرشا ثم ذكر انه استوى عليه حتي يقصد بالدعاء وطلب الحوائج منه كل ذلك رحمة بعباده وتنزلا لعقولهم انتهى لا يدل على مقصده بل على نقيضه فان النبهانى قصد من صحة القياس اتخاذ الوسائط ليقربوه الى الله زلفى وهو عين معتقد أهل الشرك * والشيخ محيي الدين بين سبب خلق العرش وان الله استوى عليه حتى يقصد بالدعاء وطلب الحوائج والفرق جلي بين المقامين ولا مناسبة بين الكلامين . وما نقله عن مسالك الحنفاء للقسطلانى مما يؤيد اتخاذ الوسائط قياسا على ملوك الدنيا . مردود على قائله والقسطلانى أيضا كان من الغلاة وكلامه ليس بحجة على المسلمين ومدار الاستدلال الكتاب والسنة ومفاسد سوء الفهم اكثر من أن تحصى *

﴿ قال النبهاني ﴾ ثم بعد كتابي هذا رأيت عبارة للامام أحمد هي من اقوى الادلة المقنعة لابن القيم وغيره فى جواز هذا التشبيه وهى مذكورة في كتاب منهاج السنة وهى ان الامام أحمد قال قالت الجهمية لما وصفنا الله تعالى بهذه الصفات اذ زعمتم ان الله ونوره والله وقدرته والله وعظمته فقد قلتم بقول النصارى حين زعمتم ان الله لم يزل ونوره ولم يزل وقدرته . قلنا لا نقول ان الله لم يزل وقدرته ولم يزل ونوره لكن نقول لم يزل الله بقدرته ونوره لا متى قدر ولا كيف قدر فقال لا تكونون موحدين ابدا حتى تقولوا كان الله ولا شيء * فقلنا نحن نقول قد كان الله ولا شيء ولكن اذا قلنا ان الله لم يزل بصفاته كلها أليس انما نصف الهاً واحدا بجميع صفاته وضربنا لهم فى ذلك مثلا * فقلنا اخبرونا عن هذه النخلة أليس لها جذع وكرب وليف وسعف وخوص وجمار واسمها اسم واحد وسميت نخلة بجميع صفاتها فكذلك الله تعالى وله المثل الاعلى بجميع صفاته اله واحد لا نقول انه قد كان فى وقت من الاوقات لا يقدر حتى خلق قدرة والذى ليس له قدرة هو عاجز ولا نقول قد كان فى وقت من الاوقات لا يعلم حتى خلق لنفسه علما والذى لا يعلم هو جاهل ولكن نقول لم يزل الله عالما قادرا مالكا لا متى ولا كيف . وقد سمى الله رجلا كافرا اسمه الوليد بن المغيرة المخزومى فقال ذرنى ومن خلقت وحيدا وقد كان هذا الذي سماه الله وحيدا وله عينان وأذنان ولسان وشفتان ويدان ورجلان وجوارح كثيرة فقد سماه الله وحيدا بجميع صفاته فكذلك الله تعالى وله المثل الاعلى هو بجميع صفاته اله واحد (قال) النبهانى انتهى كلام الامام أحمد بحروفه فانت تراه لم يجعل التشبيه الذى شبهه

بقوله فكذلك الله تعالى بملك له وزراء وانما جعل ذلك التشبيه بجماد وهو النخلة وكافر وهو الوليد بن المغيرة فاذا جاز ضرب الجماد والكافر مثلا لله تعالى وصفاته العلية افلا يجوز ضرب المثل لله تعالى وأنبيائه وعباده الصالحين بملوك الدنيا ووزوائهم وخواصهم ولعمرى ان جواز ذلك اوضح من أن يتردد فيه مثل ابن القيم مع وفرة فهمه ودقة علمه ولكن هواه فى نصرة تلك البدعة كان حجابا له عن ذلك الخ *

﴿ اقول جوابه ﴾ ان هذا النقل عن الامام صحيح وهو من كتابه فى الرد على الجهمية وهم أصحاب جهم بن صفوان الذى كان يقول بنفى الصفات عن الله تبارك وتعالى والامام أحمد رد عليه وعلى أصحابه برسالة مختصرة وهى متداولة بين الايدى وقد طبعت فى الهند وليس فيما نقله النبهانى ما يمس مطلبه والاستدلال بمثل ذلك على جواز اتخاذ الوسائل بين العبد وبين الله فى الالتجاء اليه والاستعانة به وغير ذلك ويكفى هذا الفهم دليلا على جهل النبهاني وغباوته وافلاسه من كل فضيلة ومن العجب انى رأيت كل من كان على هذا المسلك المعوج ذا غباوة وجهل وحجاب على بصيرته وذلك قوله تعالى (ان الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة ولهم عذاب اليم) وقوله سبحانه (وقالوا لو كنا نسمع او نعقل ما كنا فى اصحاب السعير فاعترفوا بذنبهم فسحقا لاصحاب السعير) ان الامام أحمد قدس الله روحه كان من أجل مشايخ الموحدين كيف يقول بجواز اتخاذ الوسائط . والوسائل . وهو مذهب المشركين . ولكنه تناظر مع الجهمية فيما خالفوا به أهل السنة ومن جملة ما ناظرهم به مسألة الصفات وقبل هذه العبارة التى نقلها النبهانى عن الشيخ عبارة أخرى وبها يتضح المراد . قال الامام . وقلنا للجهمية من القائل يوم القيامة ياعيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين من دون الله قال سبحانك أليس الله هو القائل قالوا يكوّن الله شيئا يعبر عن الله كما كون شيئا فعبر لموسى . (فقلنا) فمن القائل فلنسألن الذين أرسل اليهم ولنسألن المرسلين . فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين . أليس الله هو الذى يسأل . (قالوا) هذا كله انما يكوّن شيئا يعبر عن الله فقلنا لهم قد أعظمتم على الله الفرية حين زعمتم انه لا يتكلم فشبهتموه بالاصنام التى تعبد من دون الله لان الاصنام لا تتكلم ولا تنطق ولا تحرك ولا تزول من مكان الى مكان . فلما ظهرت عليه الحجة قال ان الله قد تكلم لكن

كلامه مخلوق . (فقلنا) وكذلك بنو آدم كلامه مخلوق فشبهتم الله بخلقه حين زعمتم ان كلامه مخلوق ففي مذهبكم ان الله قد كان في وقت من الاوقات لا يتكلم حتى خلق التكلم . وكذلك بنو آدم كانوا لا يتكلمون حتى خلق لهم كلاما فجمعتم بين كفر وتشبيه . فتعالى الله عن هذه الصفة علوا كبيرا . بل نقول ان الله لم يزل متكلما اذا شاء ولا نقول انه قد كان لا يتكلم حتى خلق كلاما ولا نقول انه قد كان لا يعلم حتى خلق علما فعلم . (ولا) نقول انه قد كان ولا قدرة حتى خلق لنفسه قدرة . ولا نقول انه قد كان ولا نور حتى خلق لنفسه نورا . ولا نقول انه قد كان ولا عظمة حتى خلق لنفسه عظمة . فقالت الجهمية لنا لما وصفنا عن الله هذه الصفات ان زعمتم ان الله ونوره والله وعظمته والله وقدرته فقد قلتم بقول النصارى حين زعمتم ان الله لم يزل ونوره الى آخر ما سبق نقله . انتهى *

فالمقصود من كلام الامام أحمد من ضرب النخلة والوحيد مثلا . ان الذات المتصفة بصفات تتصف بالوحدانية لان الصفات لا تستقل بنفسها ولا يمكن انفكاكها عن الذات الا في الذهن واعتراض الجهمية والمعتزلة لا يرد على أهل السنة . ومذهب النصارى لا يصلح نقضا فانهم أثبتوا الاقانيم الثلاثة وكل منها مستقل فالتعدد متحقق . وأما المثبتون للصفات فعندهم ان الذات لا تنفك عنها أصلا . والتعدد منتف وتفصيل ذلك في كتب الكلام . والامام مثل لصحة اطلاق الواحد على الذات المتصفة بالصفات بما هو أبلغ منه وهو اطلاق اسم النخلة على ما تركب من جذوع وكرب وليف وسعف وخوص وجمار . وسمى الوليد بن المغيرة المخزومى وحيدا مع ماله من الاعضاء والاجزاء المحسوسة . وهكذا الحائط والمركب والسرير . والكتاب الى مالا يحصى من الاشياء التي استحقت اطلاق لفظ الواحد مع تعدد ما تركبت منه . فكيف لا يتحد ولا يطلق الواحد على المتصف بالصفات *

فالامام أحمد لم يشبه رب العالمين بالنخلة ولا بالوليد ولا بغيرهما من المخلوقات تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا . انما شبه اطلاق الواحد على الله . باطلاقه على أشياء تركبت من أمور كثيرة كان ينبغي ان لا يطلق عليه ذلك فاطلاقه على الذات المتصفة بالصفات أولى بالجواز والصحة *

فانظر الى سوء فهم النبهاني كيف فهم من عبارة الامام ما فهم وأوقعه جهله في مهواة من الضلال حتى زعم ان الامام شبه اله العالمين بالنخلة ونحوها . كل ذلك غرامامنه باتخاذ الواسطة

وعبادة غير الله تعالى قاتله الله . ما أضله وأكفره *

ثم ان من مزيد جهله جعل النخلة من الجماد . ولا يصلح ذلك لغة ولا عرفا ولا حقيقة ولا مجازا . بل النخلة هى من الشجر وبذلك ورد الحديث الصحيح حيث شبهها بالمؤمن والحمد لله الذي جعل اعداء السنة والحق من الذين لا يفرقون بين النبات والجماد وشبهوا الخالق بالمخلوق وخبطوا في أعمالهم وعقائدهم خبط عشواء *

والكلام على استدلال النبهاني بقوله تعالى مثل نوره كمشكاة كالكلام على ما سبق على ان فى المراد بالنور أقوالا ليس هذا موضع ذكرها *

﴿ قال النبهانى ﴾ وقد قال ابن القيم نفسه فى كتابه طريق الهجرتين فى فصل مراتب المكلفين فى الدار الآخرة وطبقاتهم فيها وهم ثمان عشرة طبقة الطبقة الاولى وهى العليا على الاطلاق مرتبة الرسالة . فأكرم الخلق على الله وأخصهم بالزلفى لديه رسله وهم المصطفون من عباده . الى أن قال ويكفى فى فضلهم وشرفهم ان الله سبحانه اختصهم لوحيه وجعلهم أمناء على رسالته وواسطة بينه وبين عباده وخصهم بانواع كراماته . فمنهم من اتخذه خليلا . ومنهم من كلمه تكليما . ومنهم من رفعه مكانا عليا على سائرهم درجات . ولم يجعل لعباده وصولا الا من طريقهم ولا دخولا الى جنة الا خلفهم . ولم يكرم أحدا بكرامة الا على أيديهم . فهم أقرب الخلق اليه وسيلة . وأرفعهم عنده درجة وأحبهم اليه وأكرمهم عليه (وبالجملة) فخير الدنيا والآخرة انما ناله العباد على أيديهم وبهم عرف الله . وبهم عبد وأطيع . وبهم حصلت محابه تعالى في الارض . واعلاهم منزلة أولوا العزم منهم المذكورون في قوله تعالى شرع لكم من الدين ماوصى به نوحا والذى أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى وهؤلاء هم الطبقة العليا من الخلائق وعليهم تدور الشفاعة حتى يردوها الى خاتمهم وأفضلهم *

﴿ قال النبهانى ﴾ انتهت عبارته رحمه الله فاذا كان هو بنفسه يصفهم بهذه الاوصاف الجميلة التى هم أهلها ومحلها وقد صرح فيها بانهم واسطة بينه تعالى وبين عباده وانهم أقرب الخلق اليه تعالى وسيلة وان خير الدنيا والآخرة انما ناله العباد على أيديهم فما الذى جرى له بعد ذلك حتى تبع شيخه ابن تيمية فى منع الاستغاثة بهم الى الله تعالى وجعلهم واسطة بين العباد وبينه عزوجل . ووسيلة الى قضاء حوائجهم الدنيوية والاخروية أفلا يعد هذا من ابن القيم تناقضا انتهى *

﴿أقول في الجواب﴾ ان ابن القيم رحمه الله وكذلك شيخه ومن على منهاجهم من اكثر الناس حبا للانبياء والرسل عليهم السلام وكتبهم طافحة ببيان مايجب لهم من التوقير والاحترام وفى كتاب مفتاح دار السعادة بحث ،فصل فى بيان حاجة الناس اليهم ومايجب من العمل بهديهم حتى قال ان العالم لو خلا من هديهم فسد وخرج عن نظامه الى آخر ماتكلم به ومن مزيد محبتهم له وتوقيرهم اياه حافظوا على هديهم وسننهم وماجاؤا به من عند الله ومن هديهم تخصيص الله تعالى بالعبادة والالتجاء اليه والنذر له والتوكل عليه وندائه فى المهات والاستعانة به فى طلب الحاجات الى غير ذلك من تخصيصه بخصائص الربوبية والالوهية . ومانقله النبهانى عن ابن القيم هو معتقد كل مسلم حنيف يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر . فضلا عن شيخ الاسلام . ومن كان على سننه من الائمة الاعلام ولا شك ان رسل الله هم الوسائط العظمى بين الله وبين المكلفين من عباده فى تبليغ شرائعه ومايريده سبحانه من عباده وبيان أسباب السعادة الدنيوية والاخروية لا انهم وسائط بالمعنى الذى فهمه الغبي النبهانى حتى زعم ان ذلك مراد ابن القيم وأخذ يوبخه بقوله فما الذى جرى له بعد ذلك حتى تبع شيخه ابن تيمية في منع الاستغاثة بهم الى الله الخ بل المراد بالوسائط في كلامه بالمعنى الذى ذكرناه .وعليه أئمة الدين . واكابر الموحدين *

﴿قال شيخ الاسلام قدس الله روحه﴾ في الجواب عن سؤال فيه ان رجلين تناظرا ،فقال احدهما لابد لنا من واسطة بيننا وبين الله فانا لانقدر ان نصل اليه بغير ذلك . الحمد لله رب العالمين ان اراد بذلك انه لابد من واسطة يبلغنا امر الله فهذا حق فان الخلق لايعلمون مايحبه الله ويرضاه وما امر به ومانهى عنه . وما اعده لاوليائه من كرامته وما وعد به اعداءه من عذابه ولا يعرفون مايستحقه الله من اسمائه الحسنى وصفاته العليا التى تعجز العقول عن معرفتها وامثال ذلك الا بالرسل الذين ارسلهم الله تعالى الي عباده فالمؤمنون بالرسل المتبعون لهم هم المهتدون الذين يقربهم لديه زلفى ويرفع درجاتهم ويكرمهم فى الدنيا والآخرة *

وأما المخالفون للرسل فانهم ملعونون وهم عن ربهم ضالون محجوبون قال الله تعالى يابنى آدم إما يأتينكم رسل منكم يقصون عليكم آياتى فمن اتقى وأصلح فلا خوف عليهم ولاهم يحزنون والذين كذبوا بآياتنا . واستكبروا عنها أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون وقال تعالى فاما يأتينكم

منى هدى فمن تبع هداى فلا يضل ولا يشقى ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى . قال رب لم حشرتنى أعمى وقد كنت بصيرا . قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى *

قال ابن عباس تكفل الله تعالى لمن قرأ القرآن وعمل بما فيه ان لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة . وقال تعالى عن أهل النار كلما ألقى فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شئ ان أنتم الا فى ضلال كبير . وقال تعالى وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا حتى اذا جاؤها فتحت أبوابها وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين *

وقال تعالى وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين فمن آمن وأصلح فلا خوف عليهم ولاهم يحزنون . والذين كذبوا بآياتنا يمسهم العذاب بما كانوا يفسقون . وقال تعالى انا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والذين من بعده وأوحينا الى ابراهيم واسمعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وعيسى وأيوب ويونس وهرون وسليمان وآتينا داود زبورا . ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ومثل هذا فى القرآن كثير *

وهذا مما أجمع عليه أهل الملل من المسلمين واليهود والنصارى فانهم يثبتون الوسائط بين الله وبين عباده وهم الرسل الذين بلغوا عن الله تعالى أمره وخبره *

قال تعالى الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس . ومن أنكر هذه الوسائط فهو كافر باجماع أهل الملل * والسور التي أنزلها الله تعالى بمكة مثل الانعام والاعراف وذوات الر . وحم وطس . ونحو ذلك هى متضمنة لاصول الدين كالايمان بالله ورسله واليوم الآخر . وقد قص الله تعالى قصص الكفار . الذين كذبوا الرسل . وكيف أهلكهم ونصر رسله والذين آمنوا . قال تعالى ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون . وقال انا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد *

فهذه الوسائط تطاع وتتبع ويقتدى بها كما قال . وما أرسلنا من رسول الا ليطاع باذن

الله . وقال تعالى ومن يطع الرسول فقد أطاع الله . وقال تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله . وقال فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون . وقال تعالى لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر *

﴿ قال وان أراد بالواسطة ﴾ انه لابد من واسطة فى جلب المنافع ودفع المضار مثل ان يكون واسطة فى رزق العباد . ونصرهم وهداهم يسألونه ذلك ويرجعون اليه فيه فهذا من أعظم الشرك الذى كفر الله به المشركين حيث اتخذوا من دون الله أولياء وشفعاء يجتلبون بهم المنافع ويدفعون بهم المضار . الى آخر ماقلناه سابقا من كلام شيخ الاسلام عليه الرحمة *

وبه علم أن النبهانى مخطئ فيافهم من كلام ابن القيم ومعناه الصحيح (ماذكره) شيخ الاسلام وجمهور أهل الايمان . وان كان بعيدا عن فهم النبهانى وسائر الغلاة *

﴿ قال النبهاني ﴾ ومثل تناقضه هذا تناقضه الواقع فى عبارته السابقة الشنيعة عن القبر المزار بالوثن وأوصاف الزائرين التى ذكرها هى أوصاف زواره صلى الله عليه وسلم وقد اتبع الحق بقصيدته النونية فذكر فيها ان الله تعالى قد استجاب دعاء نبيه صلى الله عليه وسلم وهو قوله اللهم لا تجعل قبرى وثنا يعبد فاستجاب الله دعائه . وهذه أبيات ابن القيم

ولقد نهانا ان نصير قبره * عيدا حذار الشرك بالديان
ودعا بان لا يجعل القبر الذى * قد ضمه وثنا من الاوثان
فاجاب رب العالمين دعاءه * وأحاطه بثلاثة الجدران
حتى اغتدت ارجاؤه بدعائه * فى عزة وحماية وصيان

وجميع الاوصاف الجميلة التى ذكرها فى عبارته السابقة للانبياء عليهم السلام لا شك انها تؤهلهم لمرتبة الاستغاثة بهم الى الله لقضاء حوائج المستغيثين الى آخر كلامه *

﴿ أقول جوابه ﴾ ان ماذكره هذا المعترض من النقل والتصرف فيه مماهو من شأن القبوريين والغلاة كافة ويزيد عليهم هذا بما فى كلامه وتصرفه فى كلام غيره من الخطأ والتلبيس والقصور في الفهم والتقصير فى النظر كفهمه من كلام العلماء مالم يريدوه . ومخالفته لهم فيما قصدوه والزامه لهم مالم يعتقدوه . وحكمه عليهم بالظن الكاذب وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم اياكم والظن

فان الظن أكذب الحديث بل دأب هـذا الضال كاسلافه التمسك بالامور المتشابهة الخفية . والاعراض عن الاشياء المحكمة الواضحة كما ان عادته الاعتماد على حديث ضعيف أومكذوب أو خبر متشابه لا يدل على المطلوب . وليس هذا طريق العلماء القاصدين لايضاح الدين . وارشاد المسلمين . نعوذ بالله من اتباع الهوى *

﴿ زعم هنا النبهاني ﴾ ان الشيخ ابن القيم تناقض كلامه فى كتابين حيث ذكر فى اغاثته ان الاستغاثة بغير الله شرك ودعاء غير الله ضلال . وبرهن على ذلك بما هو معلوم لاهل العلم والنظر ففهم منه ان من استغاث بالنبي صلى الله عليه وسلم عند قبره فقد عبده من دون الله فلزم ان يكون قبره وثنا . (وفى النونية) وهى منظومته المسماة بالكافية الشافية يقول مامعناه ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم دعا الله ان لا يجعل قبره وثنا يعبد . وان الله تعالى استجاب دعاءه . ولم يجعل قبره وثنا يعبد . (ففهم) من كلامه ان الله استجاب دعاءه . ان ما يفعله الزائرون من الاستغاثة والتوسل وسائر الاعمال ليس كما يزعمه المانعون من انها شرك هـذا حاصل ماتوهمه النبهانى فى كلام ابن القيم من التناقض والمخالفة *

وهذا هو اللائق بفهم النبهاني ومن ختم الله على قلبه وجعل على سمعهم وأبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم . وقد مر الجواب عما فهمه هذا الغبي فيما نقلناه من كلام شيخ الاسلام المتعلق بزيارة القبور . ومنه قوله ان لفظ زيارة قبره صلى الله عليه وسلم ليس المراد بها نظير المراد بزيارة قبر غيره يوصل اليه ويجلس عنده ويتمكن الزائر مما يفعله الزائرون للقبور عندها من سنة وبدعة واما هو صلى الله عليه وسلم فلا سبيل لاحد ان يصل الا الى مسجده لا يدخل أحد بيته ولا يصل الى قبره . بل دفنوه فى بيته بخلاف غيره فانهم دفنوه فى الصحراء كما فى الصحيحين عن عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال في مرض موته لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد يحذر ما فعلوا . قالت عائشة ولولا ذلك لابرز قبره ولكن كره ان يتخذ مسجدا فدفن فى بيته لئلا يتخذ قبره مسجدا ولا وثنا ولا عيدا . فان في سنن أبي داود من حديث أحمد بن صالح عن عبد الله بن نافع أخبرنى ابن أبى ذئب عن سعيد المقبري عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تجعلوا بيوتكم قبورا ولا تجعلوا قبرى عيدا وصلوا علىّ فانّ صلاتكم تبلغني حيث كنتم . وفى الموطأ وغيره عنه انه قال اللهم لا تجعل قبرى

وثنا يعبد . اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد وفى صحيح مسلم عنه انه قال
قبل ان يموت بخمس ان من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد الا فلا تتخذوا القبور
مساجد . فاني أنهاكم عن ذلك . فلما لعن من يتخذ القبور مساجد تحذيرا لامته من ذلك
ونهاهم عن ذلك . ونهاهم ان يتخذوا قبره عيدا دفن في حجرته لئلا يتمكن أحد من ذلك .
وكانت عائشة ساكنة فيها فلم يكن فى حياتها أحد يدخل لذلك انما يدخلون اليها هى . ولما
توفيت لم يبق بها أحد . ثم لما أدخلت فى المسجد سدت وبنى الجدار البرانى عليها فما بقى أحد
يتمكن من زيارة قبره كالزيارة المعروفة عند قبر غيره سواء كانت سنية أو بدعية بل انما يصل
الناس الى مسجده ولم يكن السلف يطلقون على هذا زيارة لقبره ولا يعرف عن أحد من
الصحابة لفظ زيارة قبره البتة ولم يتكلموا بذلك . وكذلك عامة التابعين لا يعرف هذا فى
كلامهم فان هذا المعنى ممتنع عندهم فلا يعبروا عن وجوده . وقد نهى عن اتخاذ بيته وقبره عيدا
وسأل الله تعالى ان لا يجعله وثنا . ونهى عن اتخاذ القبور مساجد . فقال النبي صلى الله عليه
وسلم اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد . ولهذا كره مالك وغيره ان يقال
زرنا قبر النبي صلى الله عليه وسلم . ولو كان السلف ينطقون بهذا لم يكرهه مالك . وقد باشر
التابعين بالمدينة وهم أعلم الناس بمثل ذلك . ولو كان فى هذا حديث معروف عن النبي صلى
الله عليه وسلم لعرفه هؤلاء . ولم يكرهه مالك وأمثاله من علماء المدينة الاخيار بلفظ تكلم به
الرسول صلى الله عليه وسلم فقد كان رضى الله عنه يتحرى ألفاظ الرسول فى الحديث فكيف
يكره النطق بلفظه لكن طائفة من العلماء سموا هذا زيارة لقبره وهم لا يخالفون مالكا ومن
معه فى المعنى بل الذى يستحبه أولئك من الصلاة والسلام وطلب الوسيلة ونحو ذلك في
مسجده يستحبه هؤلاء لكن هؤلاء سموا هذا زيارة لقبره وأولئك كرهوا ان يسموا هذا
زيارة لقبره . وقد حدث من بعض المتأخرين فى ذلك بدع لم يستحبها أحد من الائمة الاربعة
كسؤا له الاستغفار وزاد بعض الجهال ماهو محرم أو كفر باجماع المسلمين كالسجود للحجرة
والطواف بها وأمثال ذلك مما ليس هذا موضعه الى آخر ما قدمناه من الكلام النفيس *

﴿ وبما نقلناه ﴾ تبين انه لا تناقض ولا مخالفة فى كلام الشيخ ابن القيم . وان ما هذى
النبهانى به سقط من أصله وكان من أوضح الدلائل على ضلاله وجهله *

﴿ قال النبهاني ﴾ فى فصله الثانى فى الكلام على كتاب الصارم المنكي في الرد على السبكى للحافظ أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الهادي الحنبلي المقدسى ألفه فى الرد على كتاب شفاء السقام فى زيارة خير الانام . منتصرا لشيخه ابن تيمية فى بدعته ومنعه الاغاثة والسفر لزيارته صلى الله عليه وسلم . قال وقلت حين ابتدأت بمطالعته تعجبت من شدة جراءته على هذا الامام بل على سيد الانام عليه الصلاة والسلام اذ رأيته قد بذل اقصى مافى وسعه ليثبت ان سيد الوجود صلى الله عليه وسلم لامزية له بعد موته وانه مثل آحاد الناس . وكل حديث أو أثرا وقول عالم ورد بعكس عقيدته يجتهد فى تأويله أو اثبات انه موضوع كان السبكى اثبت بتلك الاحاديث والآثار مناقب أحد أعدائه فهو يبذل جهده فى تزييفها ويتكلف فى كثير منها بحيث يظهر لكل من طالع كتابه انه شديد التكلف والتعصب والتعسف انه رجل متهور مراده المحاماة عن بدعة شيخه بحق أو باطل ومع ذلك لم يخطر لى ان اكتب شيئا فى هذا الشان . مع ظهور اساءته فى ذلك واحسان السبكى كل الاحسان لان التحكك بالبدعة يزيدها اشتهارا وذكرها ولو للرد عليها يزيدها انتشارا وقلت كفى المحسن احسانه والمسيء اساءته . الى آخر ماقال *

﴿ هذا نقد ﴾ النبهانى على كتاب الصارم المنكي وهو لايستحق الجواب عن كلامه هذا لفساد مبناه ومعناه . وعبارته ركيكة جدا ليست بعبارة تصدر عن طلبة العلم فضلا عمن يدعى دعواه وهذا الرجل كما بينا سابقا جهله عند بيان سقطاته وغلطاته عار عن كل فضيلة . لاعلم ولاأدب ولا فضل ولا حسب . ولا حياء ولا ايمان . ولا تقوى ولا عرفان . ونحن نبين ذلك ان شاء الله كما بيناه سابقا بالبرهان *

﴿ أما مصنف كتاب الصارم المنكي ﴾ فهو الفقيه الحنبلى المقرى المحدث الحافظ الناقد النحوي المتفنن الجبل الراسخ عليه الرحمة والرضوان قال المؤرخون . ومنهم صاحب الشذرات ولد فى رجب سنة أربع أو خمسين أو ست وسبعمائة وتوفى سنة أربع وأربعين فى جمادى الاخرة وعمره أربعون سنة أو أقل وسمع من خلق كثير . منهم الحجار وعى بالحديث وفنونه وبرع فى ذلك وأفتى ودرس ولازم شيخ الاسلام ابن تيمية مدة وأخذ عن الذهبي وغيره . وقد ذكره فى طبقات الحفاظ قال وصنف التصانيف الكثيرة بعضها كمل وبعضها لم يكمل لهجوم المنية عليه

وله توسع فى العلوم والفقه والاصلين وذهن سيال وعدة محفوظات وعدله ابن رجب فى طبقاته مايزيد على سبعين مصنفا ودفن بسفح جبل قاسيون انتهى ملخصا *

ومن أعدل الشواهد على فضله وكمال اطلاعه ومزيد انصافه كتاب الصارم المنكى فى الرد على السبكى . فقد أجاد فيه وأفاد . وميز الحق من الالحاد . ولو لم تكن له حسنة سوى هذا الكتاب لكفاه ثوابا يوم الحساب . وبه ظهر زيف السبكى وما بهرج به من الباطل وتبين انه كان من أجهل الناس بعلم الحديث ممارياً معجباً برأيه متبعاً لهواه . ذاهبا في كثير مما يعتقده الى الاقوال الشاذة والآراء الساقطة *

ومن طالع كتاب الصارم وكان من أهل الفضل والانصاف علم ان مافلناه هو غيض من فيض وقطرة من بحر . فالله تعالى المسؤل ان يجزيه عن كتابه الصارم المنكى خير الجزاء وينفع به المسلمين فى كافة الاقطار والانحاء *

ولا بدع من النبهانى الضليل . اذ صدر منه ماصدر فى حق هذا الفاضل الجليل وما أحسن ماقيل *

واذا أتتك مذمتى من ناقص * فهى الشهادة لى بانى كامل

وفى هذا المعنى قول الآخر *

لقد زادنى حبا لنفسى انني * بغيض الى كل امرئ غير طائل
وانى شقى باللئام ولا أرى * شقيا لهم الاكريم الشمائل
وكل امرئ الفى أباه مقصرا * عدو لاهل المكرمات الافاضل

﴿ وقال آخر ﴾

اذا مانالت السفهاء عرضى * ولم يخشوا من العقلاء لوما
كسوت من السكوت فمى لثاما * وقلت نذرت للرحمن صوما

ومما يحسن ان ينشد على لسان الفاضل صاحب الرد على السبكي من تطاول مثل هذا المخذول

لقد صبرت على المكروه أسمعه * من معشر فيك لولا أنت مانطقوا
وفيك داريت قوما لاخلاق لهم * لولاك ما كنت أدرى انهم خلقوا

﴿ أيها النبهانى ﴾ قد سمعت ماسمعت من خطابي وبيانى *

ولقد أقول لمن تحرش بالهدى * عرضت نفسك للبلا فاستهدف

أما سمعت قول الامام الشافعي رضي الله عنه حيث قال *

اذا رمت ان تحيا سعيدا من الاذى * وحظك موفور وعرضك صين

لسانك لا تذكر به عورة امرىء * فكلك عورات وللناس السن

وعينك ان رأتك يوما نقيصة * لناس فقل ياعين للناس أعين

وعاشر بمعروف وسامح من اعتدى * وفارق ولكن بالتي هي أحسن

كان الاليق بحالك . ان لا تسلك هذه المسالك . فما أنت وهؤلاء القوم . وهم المشهورون بالفضل من عصرهم الى اليوم *

وللحروب رجال يعرفون بها * وللدواوين حساب وكتاب

أما سمعت قول القائل *

أضحى يسد فم الافعى باصبعه * يكفيه ماذا يلاقى منه أصبعه

لقد فات مافات وهيهات تدارك ذلك وهيهات *

اذا ما أراد الله ذل قبيلة * رماها بتشتيت الهوى والتخاذل

وأول خبث الماء خبث ترابه * وأول لؤم القوم لؤم الحلائل

ثم ان النبهاني ذكر عبارة القسطلاني عن كتاب شفاء السقام للسبكي ان مصنفه شفى به صدور المؤمنين . ونقل عن ابن حجر ماقاله في كتابه الجوهر المنظم من التلويح بذم الصارم المنكي . فنقول له ان هذا ليس بمستغرب فالكل عن مشرب واحد ولقد تشابهت قلوبهم وهذا بعض ماتكن صدورهم . قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم اكبر . وقد حكى الله سبحانه عن اخوانهم ماهو من هذا القبيل قال سبحانه ان الله لا يستحى ان يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها فاما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلا يضل به كثيرا ويهدى به كثيرا وما يضل به الا الفاسقين *

(ثمّ ذكر حاصل) مااشتمل عليه الكتاب وان الاحاديث التي ضعفها كلها صحيحة . وانما فعل ذلك ترويجا لبدعة شيخه ابن تيمية فنقول قد سبق الجواب عن كل ذلك وذكرنا معنى السنة والبدعة ومن الاحق ان يسمى مبتدعا من يوحد الله ولا يشرك بعبادة ربه أحدا أم من

أعرض عن الله وعبادته والتجأ الى أهل القبور الذين لايملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا ولا حيوة ولا نشورا *

﴿ قال النبهاني ﴾ وما مثل من رد على الامام السبكي لاسيما فى مثل هذا المقام الا

كناطح صخرة يوما ليوهنها * فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل

ومع ذلك فقد رأيت الصواب فى مثله الاهمال . وعدم التعرض له بحال من الاحوال . الى ان قال ثم رأيت له عبارة لايجوز السكوت عليها لانتشار كتابه وطبعه قد رد بها على الامام السبكي فى عبارة بين فيها وجوب تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم فرأيت من اللازم ذكر العبارتين وبيان مافى عبارته من الخطأ والمين . ثم انه أورد أولا عبارة السبكى فقال

﴿ عبارة الامام السبكي ﴾ قال والقرآن كله والاجماع المعلوم من الدين بالضرورة وسير الصحابة والتابعين وجميع علماء المسلمين والسلف الصالحين على وجوب تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم والمبالغة فى ذلك ومن تأمل القرآن وما تضمنه من التصريح والايماء الى وجوب المبالغة فى تعظيمه وتوقيره والادب معه صلى الله عليه وسلم وما كان الصحابة يعاملونه به من ذلك امتلأ قلبه ايمانا (ثم أورد) النبهانى العبارة الاخرى فقال *

﴿ عبارة ابن عبد الهادى ﴾ وقوله يعنى السبكي ان المبالغة فى تعظيمه واجبة . أيريد بها المبالغة بحسب مايراه كل أحد تعظيما حتى الحج الى قبره والسجود له والطواف به واعتقاد انه يعلم الغيب وانه يعطى ويمنع ويملك لمن استغاث به من دون الله الضر والنفع وانه يقضى حوائج السائلين ويفرج كربات المكروبين . وانه يشفع فيمن يشاء ويدخل الجنة من يشاء فدعوى وجوب المبالغة فى هذا التعظيم مبالغة فى الشرك وانسلاخ من جملة الدين . انتهت عباته .

﴿ ثم قال النبهانى معترضا عليه ﴾ انه قد كذب فى بعض عبارته على أهل السنة وهو في بعضها من أقبح المكابرين اما ماكذب به فقوله حتى الحج الى قبره والسجود له والطواف به فهذا من أشنع الكذب الظاهر . والاختلاق الفاحش فانه لم يقل احد بجواز شئ من ذلك من أهل السنة والجماعة القائلين بان السفر لزيارته صلى الله عليه وسلم من أجل القربات واعظم الطاعات . فكيف جاز له التعبير بتلك العبارات . ومعلوم بان أجهل المسلمين يفرق بين حج البيت الحرام . وزيارة خير الانام . بان الحج فرض والزيارة سنة ـ وكذلك لا يعتقد أحد مشروعية الطواف به

كالطواف بالبيت الحرام ـ وكذلك السجود له لم يجوزه أحد . ثم أطال الكلام . وحاصل ماذكر انه صلى الله عليه وسلم قد أطلعه الله على غيوب كثيرة وذكر بعض أكاذيب منها ان شيخه اخبره بالغيب الى ان قال وأما كونه صلى الله عليه وسلم يعطى ويمنع ويقضى حوائج السائلين الخ . فهو لاشك فيه ولا يتردد بصحته ووقوعه الا كل من تراكم على قلبه الجهل والظلام . قال ومن يشك انه صلى الله عليه وسلم يعطي بالله ويمنع بالله ويقضى حوائج السائلين بالله ويفرج كربات المكروبين بالله ويشفع فيمن يشاء ويدخل الجنة من يشاء بتشفيع الله له فيهم ولم يعتقد فيه صلى الله عليه وسلم احد من المسلمين انه يفعل من ذلك شيئا بنفسه ثم ذكر وقوع ذلك في حياته صلى الله عليه وسلم وبعد وفاته ونقل فى ذلك عدة حكايات من كتاب مصباح الظلام في المستغيثين بخير الانام لابى عبدالله محمد بن النعمان المغربى التلمسانى المالكى . وكتاب بغية الاحلام للشيخ نور الدين على الحلبي صاحب السيره . وأورد حديث حياتى خير لكم . وحديث الشفاعة الى آخر كلامه *

﴿ ونحن نجيب ﴾ بتوفيق الله تعالى واعانته فنقول الجواب عما اعترض به من وجوه *

﴿ اما أولا ﴾ فان السبكى جعل السفر لزيارة القبر واعمال المطى لها والاستغاثة به صلى الله عليه وسلم من باب تعظيمه وتوقيره وابن قدامة رحمه الله تعالى رد عليه وقال ماحاصله انه ليس كل تعظيم مشروعا فالسجود فيه تعظيم مع انه لغير الله تعالى كفر . والطواف بالقبر تعظيم وهو أيضا منهى عنه واعتقاد انه يعلم الغيب فيه تعظيم وهو من خواص الالوهية وهكذا جميع ماهو من خواص الاله سبحانه فيها تعظيم وتوقير ولا يجوز اثباتها لغير الله تعالى لا لملك مقرب ولا لنبي ولا لرسول . وما ذكره السبكى من هذا القبيل وليس مراده ان القائلين به يفعلون هذه الامور المنكرة حتى يرد ماذكره النبهانى انه قد كذب على أهل السنة في بعض عبارته وهو فى بعضها من أقبح المكابرين الخ *

﴿ وكم من عائب قولا صحيحا * وآفته من الفهم السقيم ﴾

والحاصل ان مانهى الله عنه وزجر عنه رسوله صلى الله عليه وسلم لايجوز فعله وان كان من الافعال التعظيمية وامتثال أمره صلى الله عليه وسلم والانتهاء عما نهى عنه هو تعظيمه وفيه توقيره وهو المستوجب لسعادة الدارين والظفر بما يكون سببا لقرة العين وأما الاعمال المضادة

لما جاء صلى الله عليه وسلم به وان قصد فاعلها التعظيم بها فهي موجبة لغضب الرب والحرمان من محبة الرسول . قال تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم *

﴿ وأما ثانيا ﴾ فان الحافظ ابن قدامه لم ينسب ماذكر من الاعمال المنكرة لاهل السنة بل لو نسبها لنسبها الى الغلاة الخارجين عن الدين المارقين عن سبيل المؤمنين فان الدعاء مخ العبادة فمن دعا غير الله والتجأ اليه وتوكل عليه واستعاذ به واستعان به فيما لا يقدر عليه الا الله وغير ذلك فقد عبده ومن عبد غيره تعالى فليس هو من الدين فى شيء . وأهل السنة فى عرف النبهانى واضرابه من الغلاة هم الذين على منواله وليس الامر كما زعم بل هم الذين يعملون بما ورد فى الكتاب والسنة وكانوا على ما كان به النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه ولم يغيروا ولم يبدلوا وقد ذكرنا ذلك غير مرة *

﴿ وأما ثالثا ﴾ فقول النبهانى اما ماكذب به فقوله حتى الحج الى قبره والسجود له والطواف به فهذا من أشنع الكذب الظاهر هو دعوى ليس عليها برهان بل يكذبها العيان

﴿ وليس يصح فى الاعيان شيء * اذا احتاج النهار الى دليل ﴾

هذه المشاهد المشهودة اليوم قد اتخذها الغلاة أعيادا للصلاة اليها والطواف بها وتقبيلها واستلامه وتعفير الخدود على ترابها وعبادة أصحابها والاستغاثة بهم وسؤالهم النصر والرزق والعافية وقضاء الديون وتفريج الكربات . واغاثة اللهفات . وغير ذلك من أنواع الطلبات . التي كان عباد الاوثان يسألونها أوثانهم ومن لم يصدق ذلك فليحضر مشهدا من مشاهد العراق حتى يرى الغلاة وقد نزلوا عن الاكوار والدواب اذا راوها من مكان بعيد فوضعوا لها الجباه وقبلوا الارض وكشفوا الرؤس وارتفعت أصواتهم بالضجيج وتباكوا حتى تسمع لهم النشيج ورأوا انهم قد اربوا في الربح على الحجيج فاستغاثوا بمن لا يبدى ولا يعيد ونادوا ولكن من مكان بعيد حتى اذا دنوا منها صلوا عند القبر ركعتين ورأوا انهم قد أحرزوا من الاجر ولا اجر من صلى الى القبلتين . فتراهم حول القبر ركعا سجدا يبتغون فضلا من الميت ورضوانا وقد ملؤا اكفهم خيبة وخسرانا فلغير الله بل للشيطان مايراق هناك من العبرات . ويرتفع من الاصوات . ويطلب من الميت من الحاجات . ويسأل من تفريج الكربات . واغناء ذوى الفاقات . ومعافاة اولى العاهات والبليات . ثم انثنوا بعد ذلك حول القبر طائفين تشبيها له بالبيت الحرام الذى جعله الله مباركا وهدى

للعالمين . ثم أخذوا فى التقبيل والاستلام ارأيت الحجر الاسود وما يفعل به وفد البيت الحرام ثم عفروا لديه تلك الجباه والخدود التي يعلم الله انها لم تعفر كذلك بين يديه فى السجود . ثم كملوا مناسك حج القبر بالتقصير هناك والحلاق واستمعوا بخلاقهم من ذلك الوثن اذ لم يكن لهم عند الله من خلاق وقربوا لذلك الوثن القرابين . وكانت صلاتهم ونسكهم وقربانهم لغير الله رب العالمين *

قال ابن القيم بعد ان حكى ماذكرناه ولم نتجاوز فيما حكينا عنهم ولا استقصينا جميع بدعتهم وضلالهم . اذ هى فوق مايخطر بالبال او يدور فى الخيال *

قال أبو الوفاء ابن عقيل رحمه الله تعالى لما صعبت التكاليف على الجهال والطغام عدلوا عن أوضاع الشرع الى تعظيم أوضاع وضعوها لانفسهم فسهلت عليهم اذ لم يدخلوا بها تحت أمر غيرهم . قال وهم عندى كفار مثل تعظيم القبور والزامها بما نهى عنه الشرع من ايقاد النيران وتقبيلها وتخليقها وخطاب الموتى بالحوائج وكتب الرقاع فيها يامولاي افعل بى كذا وكذا . واخذ تربتها تبركا وافاضة الطيب على القبور وشد الرحال اليها والقاء الخرق على الشجر اقتداء بمن عبد اللات والعزى والويل عندهم لمن لم يقبل مشهد الكف . ولم يتمسح باجرة مسجد الملموسة يوم الاربعاء ولم يقل الحمالون على جنازته الصديق ابو بكر او محمد وعلى . او لم يعقد على قبر ابيه ازجا بالجص والاجر . ولم يخرق ثيابه الى الذيل ولم يرق ماء الورد على القبر انتهى *

والنبهاني ذكر فى فصل مالا ينبغي فعله للزائر مانقله عن المرزوقي مما هو من قبيل هذه البدع بل افضع فكيف يقول ان ابن عبد الهادى كذب فى ذلك . وقد صان الله أهل الحديث وحفاظ السنة من الكذب والحمد لله . نعم ان المتصوفة والمتشيخين هم بيت الكذب ومعدنه ونقل النبهانى عن ابن حجر انه قال ويكره أيضا الانحناء للقبر الشريف واقبح منه تقبيل الارض ذكره ابن جماعة ولفظه قال بعض العلماء ان ذلك من البدع اى القبيحة ويظن من لا علم له انه من شعار التعظيم واقبح منه تقبيل الارض له صلى الله عليه وسلم لانه لم يفعله السلف الصالح والخير كله فى اتباعهم . ومن خطر بباله ان تقبيل الارض ابلغ فى البركة فهو من جهالته وغفلته لان البركة انما هي فيما وافق الشرع واقوال السلف وعملهم وليس عجبي ممن جهل ذلك فارتكبه بل عجبي ممن أفتى بتحسينه مع علمه بقبحه ومخالفته لعمل السلف واستشهد لذلك بالشعر . قال

السيد السمهودى ولقدشاهدت بعض جهال القضاة فعل ذلك بحضرة الملا وزاد بوضع الجبهة كهيئة الساجد . (قال ابن حجر) ووقع من بعض الصالحين نظير ذلك في بعض قبور الاولياء بحضرتي لكن الظاهر انه كان في حال أخرجه عن شعوره . ومن تحقق منه الوصول لذلك لايعترض عليه الخ انتهى *

﴿ فانظر أيها المنصف ﴾ الى معاندة النبهاني واتباعه لهواه فانه هو الذى نقل ذلك فى كتابه عمن يعتقد فى امامته . ثم ينكر وقوع ذلك ويكذب حفاظ الحديث الصادقين قاتله الله ماأقسى قلبه وابعده عن قبول الحق نسأله تعالى ان يقلل في المسلمين أمثاله ويطهر منهم الارض ويكفى المسلمين شرهم *

*﴿ واما رابعا ﴾ فما قاله النبهانى فى مسألة علم الغيب فليس موافقا للصواب جميع ماذكره وفي المسألة تفصيل .وقال وقيل . والحق ماذكره في هذا المقام مما دل عليه الكتاب والسنة وأفاده الائمة الاعلام . (اعلم) أن الغيب قسمان قسم استأثر الله تعالي به فلا يعلمه ملك مقرب ولا نبي ولا رسول ولا صفى ولا ولي ولا منجم ولا كاهن ولا عراف ولا غيرهم . وهو المذكور فى قوله تعالى ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم مافى الارحام . وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدى نفس باى أرض تموت . فكل من هذه الامور لم يطلع الله عليه أحدا من أنبيائه واصفيائه.والكلام على هذه الآية مفصل فى كتب التفاسير ولا مجال لنا لذكره فى هذا المقام (وأما القسم الثانى) فهو الذى يجوز ان يعرفه غير الله ويطلع عليه وهو ماعدا الخمسة السابقة وله أسباب كثيرة منها الوحى والكهانة والطرق والزجر ونحو ذلك وقد تكلم ابن خلدون فى المقدمة على المدارك الغيبية وأتي بما تستلذه الاسماع والافواه . ومن ذلك قوله ان للنفس الانسانية استعدادا للانسلاخ عن البشرية الى الروحانيةالتى فوقها ويحصل من ذلك لمحة للبشر من صنف الانقياء بما فطروا عليه من ذلك ولا يحتاجون فيه الى اكتساب ولا استعانة بشئ من المدارك ولا من التصورات ولا من الافعال البدنية كلاما أو حركة ولا بامر من الامور ويعطي التقسيم العقلى ان ههنا صنفا آخر من البشر ناقصا عن رتبة هذا الصنف نقصان الضد عن ضده الكامل وهو صنف من البشر مفطور على ان تتحرك قوته العقلية حركتها الفكرية بالارادة عند مايتبعها النزوع لذلك وهي ناقصة عنه فيتشبث لاعمال الحيلة بامور جزئية محسوسة

أو متخيلة كالاجسام الشفافة وعظام الحيوان وسجع الكلام وما سنح من طير أو حيوان ويديم ذلك الاحساس والتخيل ، ستعينا به في ذلك الانسلاخ الذى يقصده ويكون كالمشيع له وهذه القوة التى هى مبدأ فى هذا الصنف لذلك الادرك هى الكهانة ولكون هذه النفوس مفطورة عن النقص والقصور عن الكمال كان ادراكها الجزئيات اكثر من ادراكها الكليات وتكون مشتغلة بها غافلة عن الكليات ولذلك كثيرا ما تكون المتخيلة فيهم فى غاية القوة وتكون الجزئيات عندها حاضرة عتيدة . وهى لها كالمرآت تنظر فيها دائما ولا يقوى الكاهن على الكمال فى ادراك المعقولات لان نقصانه فطرى ووحيه شيطاني وارفع أحول هذا الصنف ان يستعين بالكلام الذى فيه السجع والموازنة ليشتغل به عن الحواس ويقوى فى الجملة على ذلك الانسلاخ الناقص فيهجس فى قلبه من تلك الحركة والذى يشيعها من ذلك الاجنبي مايقذف على لسانه وربما صدق ووافق الحق وربما كذب لانه يتمم أمر نقصه باجنبي عن ذات المدارك ومباين لها غير ملائم فيعرض له الصدق والكذب جميعا ويكون غير موثوق به وربما يفزع الى الظنون والتخمينات حرصا على الظفر بالادراك بزعمه وتمويها على السائلين ولما كان انسلاخ النبى عن البشرية واتصاله بالملا الاعلى من غير مشيع ولا استعانة باجنبي كان صادقا فى جميع مايأتى به وكان الصدق من خواص النبوة ولهذا قال صلى الله عليه وسلم لابن الصياد حين سأله كاشفا عن حاله بقوله كيف يأتيك هذا الامر فقال يأتينى صادق وكاذب . خلط عليك الامر يريد نفى النبوة عنه بالاشارة إلى أنها مما لا يعتبر فيه الكذب بحال *

وانما قيل ارفع أحوال هذا الصنف السجع لان معين السجع أخف من سائر المعينات من المرئيات والمسموعات وتدل خفة المعين على قرب ذلك الانسلاخ والاتصال والبعد فيه عن العجز فى الجملة . ولا انحصار لعلوم الكهان فيما يكون من الشياطين بل كما تكون من الشياطين تكون من انفسهم بانسلاخها انسلاخا غير تام واتصالها في الجملة بواسطة بعض الاسباب بعالم لاتحجب عنه الحوادث المستقبله وغيرها . فانقطاع خبر السماء بعد البعثة عن الشياطين بالرجم ان سلم لايدل على انقطاع الكهانة . ثم ان هؤلاء الكهان اذا عاصروا زمن النبوة فانهم عارفون بصدق النبي ودلالة معجزته لان لهم بعض الوجدان من أمر النبوة ولا يصدهم عن الايمان ويدعوهم الى العناد الا وسواس المطامع بحصول النبوة لهم كما وقع لامية بن أبى الصلت فانه كان يطمع

ان يكون نبيا . وكذا وقع لابن الصياد ومسيلمة وغيرهما . وربما تنقطع تلك الامانى فيؤمنون أحسن ايمان كما وقع لطليحة الاسدى وسواد بن قارب وكان لهما فى الفتوحات الاسلامية من الآثار مايشهد بحسن الايمان وذكر فى بيان استعداد بعض الاشخاص أعم من ان يكونوا كهانا أو غيرهم للاخبار بالامور الغيبية قبل ظهورها كلاما طويلا حاصله ان النفس الانسانية ذات روحانية ولها بذاتها الادراك من غير واسطة لكنها محجوبة عنه بالانغماس فى البدن والحواس وشواغلها لان الحواس أبدا جاذبة لها الى الظاهر بما فطرت عليه من الادراك الجسمانى وربما تنغمس عن الظاهر الي الباطن فيرتفع حجاب البدن لحظة إما بالخاصة التى هي للانسان على الاطلاق مثل النوم أو بالخاصة الموجودة في بعض الاشخاص كالكهنة أهل السجع وأهل الطرق بالحصى والنوى والناظرين فى الاجسام الشفافة من المرايا والمياه وقلوب الحيوانات وأكبادها وعظامها وقد يلحق بهم المجانين . أو بالرياضة الدينية مثل أهل الكشف من الصوفية أو السحرية مثل أهل الكشف من الجوكية فتلفت حينئذ الى الذوات التي فوقها من الملأ الاعلى لما بين افقها وأفقهم من الاتصال فى الوجود وتلك الذوات ادراك محض وعقول بالفعل وفيها صور الموجودات وحقائقها كما قرر فى محله فيتجلى فيها شئ من تلك الصور وتقتبس منها علما . وربما وقعت تلك الصور المدركة الى الخيال فيصرفها فى القوالب المعتادة ثم تراجع الحس بما أدركت إما مجردا أوفى قوالبه فتخبر به انتهى ولا يخفى ان فيه ذهابا الى مايقوله الفلاسفة فى الملأ الاعلى وكثيرا مايسمونه عالم المجردات وقد يسمونه عالم العقول وهي محصورة في المشهور عنهم فى عشرة ولا دليل لهم على هذا الحصر ولذا قال بعض متأخريهم بانها لا تكاد تحصى وللمتكلمين والمحققين من السلف فى ذلك كلام لا يتسع هذا الموضع لذكره *

﴿ وبالجملة ﴾ علم الغيب لله سبحانه فلا يقال لغيره عالم الغيب . ومن اطلع على شئ منه بواسطة وحي أو غيره يقال أطلعه الله . وما من أحد من المسلمين الا ويعرف غيوبا كثيرة كالاخبار التى وردت فى أحوال البرزخ والحساب والجنة والنار . ولا يقال لاحد منهم عالم الغيب . وكثير من المتصوفة يدعون ان مشائخهم يعلمون الغيب . وهذا تعبير شنيع وربما قالوا بالكشف وكل ذلك مما لا أصل له فان صح منه شئ فلعله بمثل ماذكره ابن خلدون أو بواسطة قرينة من القرائن والا فالكشف مما لا أصل له *

هـذا رسول الله صلى الله عليـه وسلم قال لا أدرى ما يفعل بي ولا بكم . وما أخبر به من الغيوب فبوحى من الله . وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى . وهكذا الانبياء والرسل *
هذا نوح لما أمره الله تعالى ان يصنع الفلك لم يعلم السبب في صنعها . وموسي لم يدر قبل لقى فرعون ماذا يكون من أمره حتى قال ولهم على ذنب فأخاف ان يقتلون وابراهـيم أعلمه الله وأوحى اليه ان يذبح اسمعيل فبادر الى ذلك فلم يعلم هو ولا اسمعيل ان الله ينسخ هذا الحـكم ويعقوب بقى يبكى على ولده يوسف حتى ابيضت عيناه من الحزن ولم يعلم بحال يوسف . وداود لم يعلم بحقيقة من تسور المحراب . وقالوا خصمان بغي بعضنا على بعض القصة . وما حكم به في مسألة الحرث . وتفهيم سليمان لها دونه . وما كان من ضيف لوط وقومه ولم يعلم بحقيقتهم حتي قال هؤلاء ضيفي فلا تخزون . وما كان من قصة يونس حتي ذهب مغاضبا . فكان من أمره ما كان . ولو كان له اطلاع على العاقبة وكشف على الحقيقة لما ذهب حتي ألقي فى البحر . وساهم وكان من المدحضين . ولو استوعبنا ذلك لطال الـكلام . انظر الى القرآن الـكريم وما أخبر فيه سبحانه عن أنبيائه ورسله تجد الامر واضحا . قال تعالى عفا الله عنك لم أذنت لهم يا أيها النبي لم تحرم ما أحـل الله لك تبتغي مرضاة أزواجك . ما كان لنبي ان يكون له اسري حتى يثخن فى الارض الى غير ذلك من الآيات الناصة على عدم علم الانبياء بما لم يعلمهم الله به *
وفى كتاب الحيوان للجاحظ . قال الله عز وجل (وتفقد الطير فقال مالي لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين لاعذبنه عذابا شديداً أولا ذبحنه أو ليأتيني بسلطان مبين) ثم قال (فمكث غير بعيد) . يعني الهدهد . فقال سليمان المتوعد له بالذبح عقوبة له . والعقوبة لا تكون الا على المعصية لبشرى آدمي لم تكن عقوبته الذبح . فدل ذلك على ان المعصية انما كانت له ولا تكون المعصية لله الا ممن يعرف الله . أو ممن كان يمكنه ان يعرف الله تعالى فترك مايجب عليـه من المعرفة . وفى قوله لسليمان (أحطت بما لم تحط به وجئتـك من سبأ بنبأ يقين انى وجـدت امرأة تملـكهم وأوتيت من كل شئ ولها عرش عظيم) ثم قال بعـد ان عرف فضل ما بين الملوك والسوقة وما بين النساء والرجال . وعرف عظيم عرشها وكثرة ما أوتيت فى ملـكها قال (وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشـيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون) فعرف السجود للشمس وأنكر المعاصى ثم قال (أن لا يسجدوا لله الذى

يخرج الخبء في السموات والارض ويعلم ما تخفون) . ويتعجب من سجودهم لغير الله . ثم علم ان الله يعلم غيب السموات والارض ويعلم السر والعلانية . ثم قال (الله لا اله الا هو رب العرش العظيم) . وهذا يدل على انه أعلم من ناس كثير من المميزين المستدلين الناظرين . قال سليمان (سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين) ثم قال (اذهب بكتابى هذا فألقه اليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون قالت ياأيها الملأ انى ألقى الى كتاب كريم انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم . ان لاتعلوا علىّ وأتوني مسلمين) (فلما جاء سليمان قال أتمدوننى بمال فما آتانى الله خير مما آتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون) وذلك انها (قالت ان الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون واني مرسلة اليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون) . قال سليمان للهدهد (ارجع اليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون قال ياأيها الملأ أيكم يأتينى بعرشها قبل ان يأتونى مسلمين . قال عفريت من الجن انا آتيك به قبل ان تقوم من مقامك وانى عليه لقوى أمين قال الذى عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك . فلما رآه مستقراً عنده قال هذا من فضل ربى ليبلونى أأشكر أم أكفر ومن شكر فانما يشكر لنفسه ومن كفر فان ربي غنى كريم *

وأطال الجاحظ الكلام على هذه الآيات . الى ان قال . ثم طعن فى ملك سليمان ناس من الدهرية وقال زعمتم ان سليمان سأل ربه رب هب لى ملكا لا ينبغى لاحد من بعدى . وان الله تعالى أعطاه ذلك فملكه على الجن فضلا عن الانس وعلمه منطق الطير . وسخر له الريح . فكانت الجن له خولا . والرياح له مسخرة ثم زعمتم وهواما بالشام . واما بسواد العراق انه لا يعرف باليمن ملكة هذه صفتها . وملوكنا اليوم دون سليمان فى القدرة لا يخفى عليهم صاحب الخزر . ولا صاحب الروم ولا صاحب الترك ولا صاحب النوبة . وكيف يجهل سليمان موضع هذه الملكة مع قرب دارها . واتصال بلادها . وليس دونها بحار ولا أوعار والطريق نهج الخف والحافر والقدم . فكيف والجن والانس طوع يمينه ولو كان حين خبره الهدهد بمكانها أضرب عنها صفحا لكان لقائل ان يقول ما أتاه الهدهد الا بأمر يعرفه . فهذا وما أشبهه دليل على فساد أخباركم *

﴿ فأجاب الجاحظ بقوله ﴾ قلنا ان الدنيا اذا خلاها الله وتدبير أهلها ومجاري أمورها وعاداتها

كان لعمرى كما تقولون ونحن نزعم ان يعقوب بن اسحق بن ابراهيم كان انبه أهل زمانه لانه بنى ابن بنى وكان يوسف وزير ملك مصر ومن النباهة بالموضع الذى لا يدفع وله البرد واليه يرجع جواب الاخبار . ثم لم يعرف يعقوب مكان يوسف ولا يوسف مكان يعقوب دهرا من الدهور مع النباهة والقدرة واتصال الدار . وكذلك القول في موسى بن عمران ومن كان معه فى التيه . فقد كانوا أمة من الامم يكسعون أربعين عاما فى مقدار فراسخ يسيرة . ولا يهتدون الى المخرج . وما كانت بلاد التيه الا من ملاعبهم ومتنزهاتهم ولا يعدم مثل العسكر الادلاء والجمالين والمكارين والفيوح والرسل والتجار * ولكن الله صرف أوهامهم ورفع ذلك القصد من صدورهم . وكذلك القول في الشياطين الذين يسترقون السمع في كل ليلة فتقول انهم لو كان كلما أراد مريد منهم ان يصعد ذكر انه قد رجم أو رجم صاحبه . وانه كذلك منذ كان لم يصل معه أحد الي استراق السمع كان محالا ان يروم ذلك أحد منهم مع الذكر والعيان الى آخر ما قال *

﴿ والكلام ﴾ فى هذه المسائل طويل الذيل وما ذكرناه كاف فى المرام وما نقله عن مشايخه من الكشف لا أصل له . نعم ورد اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله . وما عدا ذلك فوسواس الشياطين . (وللجاهلية) العرب فى هذا الباب اخبار ممتعة مبسوطة فى غير هذا الموضع

﴿ واما خامسا ﴾ فما ذكره فى بيان كونه صلى الله تعالى عليه وسلم يعطى ويمنع ويقضى حوائج السائلين الخ فهو مردود . وذلك لان الآيات القرآنية والاحاديث الصحيحة النبوية قد وردت بخلافه قال تعالى . قل ادعو الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا . أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه ان عذاب ربك كان محذورا * وقال تعالى قل ادعو الذين زعمتم من دون الله . لا يملكون مثقال ذرة فى السموات ولا في الارض . وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير . ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له *

وقال طائفة من السلف كان أقوام يدعون المسيح والعزير والملائكة فبين الله تعالى لهم ان الانبياء والملائكة لا يملكون كشف الضر عنهم ولا تحويلا وانهم يتقربون الى الله ويرجون رحمته ويخافون عذابه * وقال تعالى ما كان لبشر ان يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول

للناس كونوا عبادا لى من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون ولا يأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا أيأمركم بالكفر بعد اذ انتم مسلمون * فبين سبحانه ان اتخاذ الملائكة والنبيين أربابا كفر فمن جعل الملائكة والانبياء وسائط يدعوهم ويتوكل عليهم ويسألهم جلب المنافع ودفع المضار مثل ان يسألهم غفران الذنوب وهداية القلوب وتفريج الكروب وسد الفاقات فهو كافر باجماع المسلمين * وقال تعالى مايفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده . وقال قل ارأيتم ماتدعون من دون الله ان ارادنى الله بضر هل هن كاشفات ضره او ارادنى برحمة هل هن ممسكات رحمته قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون * وقال تعالى قل لا املك لنفسى نفعا ولا ضرا الا ماشاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير ومامسنى السوء ان انا الا نذير وبشير لقوم يؤمنون . وقال تعالى وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله الى غير ذلك من الآيات الدالة على انه يعطى ويمنع ويقضى حوائج السائلين . ويفرج كربات المكروبين . وانه الذي يشفع فيمن يشاء ويدخل الجنة من يشاء وكذلك الاحاديث الصحيحة الواردة فى هذا المعنى كحديث ابن عباس الذى فيه . واعلم ان الامة لو اجتمعت ان يضروك لم يضروك الا بشئ قد كتبه الله عليك وكذلك النفع وحديث البخارى الذى فيه يافاطمة بنت محمد لا اغني عنك من الله شيئا وغير ذلك فالآيات والاحاديث وأقوال السلف تدل على أن الله تعالى هو المتفرد بملك الضر والنفع والنبهانى يقول أن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يعطي ويمنع ويضر وينفع وهكذا الانبياء والرسل وهكذا صالحوا أممهم . (واستدل) على ذلك بمنامات وخرافات وباقوال أمثاله من الغلاة . فبقى الخلاف بين الله وبين النبهانى . ان الله تعالي يقول لا يملك الضر والنفع غيره سواء كان ملكا او نبيا او رسولا او صفيا . والنبهاني قاتله الله يقول لا ليس الامر كما قاله الله ورسوله بل ان النبي او الولى يستغاث به ويرجى ويطلب منه كل مايطلب من الله . وها نحن نحيل المحاكمة بين النبهانى وبين الله تعالى الى ذوى الانصاف والفهم . ولا شك ان أصدق الكلام كلام الله وخير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم *

﴿ وأما ﴾ أقوال النبهانى . وآراء كل مبتدع شيطانى . فردودة عليه . وملقاة بين يديه . والكلام فى الاستغاثة مر مفصلا وسيأتى له تتمه ان شاء الله *

﴿ قال النبهانى ﴾ ذكر فى بعض النسخ ان الصارم المنكى هو الميم والنون وهو غير صحيح لان انكى الرباعى غير وارد ولا وجود له فى كتب اللغة والوارد هو نكا الثلاثى بالهمز والتسهيل يقال نكا العدو ونكاه نكاية اصاب منه قال اذا علمت ذلك تعلم ان اشتهار الكتاب بلفظ المنكى هو خطأ لان المؤلف من أكابر العلماء الذين لايخفي عليهم مثل هذه اللفظة فلا يحمل الخطأ عليه بل على النساخ واسم الكتاب الذى سماه به مؤلفه هو المبكى بالباء كما ذكره فى كشف الظنون * ولقائل ان يقول انه لامانع من ان يكون ابن عبد الهادى مع تبحره في علم الحديث ضعيفا فى علم العربية فجز عليه الخطأ بهذا اللفظ لاسيما والتعبير بالنكاية هو الذى يناسب رده على عدوه او انه يكون ماهرا فى علم العربية أيضا ولكن الله تعالى قد طمس على بصيرته فى تسمية هذا الكتاب كما طمس على بصيرته فى مسماه ليحصل الخطأ فى الاسم والمسمى جميعا والدليل على جواز هذا الاحتمال ان خطاه فى المسمي وهو نفس الكتاب أفحش واظهر من خطئه فى الاسم ولكنى تبعت بتسميته بالمبكى كشف الظنون وهو الصواب والله أعلم

﴿ هذا كله كلام النبهانى ﴾ وسبحان من انطقه بكل باطل واظهر حاله للعالمين وانه من كل خير عاطل وكشف حقيقته لاولى الفضائل وابان افلاسه من كل العلوم فلم يبق في جهله قول لقائل . صغار الطلبة يعلمون ماخفى على هذا الجاهل . والمبتدؤن فى العربية لم يخف عليهم ماخفى على النبهانى الغافل . ولا بد من الكلام على هذيانه والتنبيه على خطئه فنقول *

﴿ الجواب ﴾ عن اعتراضه من وجوه (الوجه الاول) ان العلم كما حققه علماء الوضع من قسم الموضوع بالوضع الخاص لموضع له كذلك والمقصود من الوضع تعيين المسمى بحيث لايشاركه غيره فى هذا الوضع فلا يرد الاعلام المشتركة لان كلا منها لايشاركه آخر فى الوضع له فاذا كان الغرض تعيين المسمى وتمييزه عما عداه يحصل بكل لفظ طابق الاصول ام لا فاذا سمي شخص باسم ليس له في اللغة العربيه نظير ولا معنى جاز وعليه انقسام العلم الى قسمين منقول ومرتجل كما فى الخلاصة *

﴿ ومنه منقول كفضل واسد * وذو ارتجال كسعاد وادد ﴾

فما هذى به النبهاني ساقط من أصله ولا يحتاج بيان خطئه الى جواب آخر ولكنا نزيد المقام وضوحا تتميما للفائدة *

﴿ الوجه الثاني ﴾ ان العلم المنقول لايبقى منه المعنى الاصلى بعد وضعه علما ولذلك جعلوا عبد الله علما مفردا . وهو مالا يدل جزءه على جزء معناه . ولو بقى على معناه الاصلى لعد مركبا اضافيا فان جزء اللفظ يدل على جزء المعنى الاضافى . وما نحن فيه من هذا القبيل فانه بعد وضعه اسما للكتاب خرج عن كونه مركبا تقييديا وصار من قسم المفردات فلا يلاحظ فى الجزء منه دلالة على المعنى حال العلمية ولم يقصد المعنى الاصلى الا لاجل الكناية كما ذكروه فى ابى جهل وابى لهب على مافصل فى كتب المعاني و كذلك الالقاب المشعرة بمدح او ذم . وهكذا الاسماء المنقولة عن صفات وافعال لايراد منها بعد العلمية معانيها الاصلية . نعم قد تدخل اللام على بعض الاعلام المنقولة عن المشتقات للمح الصفة كالفضل والحادث والنعمان ونحو ذلك فبطل كلام المعترض

﴿ الوجه الثالث ﴾ وهو من أحسن الاجوبة انى وجدت لذلك فائدة فى كتاب الضرائر وما يسوغ للناظم دون الناثر . وقلت المسألة العاشرة مايلحق بالضرائر الشعرية . ثم قلت أعلم ان الائمة الحقوا بالضرائر الشعرية ما فى معناها وهو الحاجة الى تحسين النثر بالازدواج فلا يقاس على ماورد منه لذلك في السعة كما لايقاس على الضرائر الشعرية فى متسع الكلام وتقلت مايناسب المقام عن درة الغواص للحريرى فقلت ويقولون قد حدث أمر . فيضمون الدال من حدث مقايسة على ضمها فى قولهم أخذه ماحدث وما قدم فيحرفون بنية الكلمة المقولة ويخطئون فى المقايسة المعقولة لان أصل بنية هذه الكلمة حدث على وزن فعل بفتح العين كما انشدنى بعض أدباء خراسان لابي الفتح البستى رحمه الله *

﴿ جزعت من أمر فظيع قد حدث * ابو تميم هو شيخ لاحدث ﴾
قد حبس الاصلع فى بيت الحدث

وانما ضمت الدال من حدث حين قرن بقدم لاجل المجاورة والمحافظة على الموازنة فاذا افردت لفظة حدث زال السبب الذى اوجب ضم دالها فى الازدواج فوجب ان ترد الى أصل حركتها وأولية صيغتها *

ثم قال الحريري وقد نطقت العرب بعدة الفاظ غيرت مبانيها لاجل الازدواج واعادتها الى اصولها عند الانفراد (فقالوا) الغدايا والعشايا اذا قرنوا بينهما فان أفردوا الغدايا ردوها الى اصلها فقالوا الغدوات (وقالوا) هنأني الشيء ومرأني فان أفردوا مرأني قالوا امرأني (وقالوا)

فملت به ماساءه وناءه فان افردوا قالوا أناءه (وقالوا) أيضا هو رجس نجس فان أفردوا لفظة نجس ردوها الى أصلها وقالوا نجس كما قال تعالى انما المشركون نجس (وكذلك قالوا) للشجاع الذى لايزايل مكانه اهيس اليس والاصل فى الاهيس الاهوس لاشتقاقه من هاس يهوس اذا دق فعدلوا به الى الياء ليوافق لفظة اليس *

﴿ وقد نقل ﴾ عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ألفاظ راعى فيها حكم الموازنة . وتعديل المقارنة فروى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال للنساء المتبرزات في العيد ارجعن مأزورات غير مأجورات . وقال فى عوذته للحسن والحسين عليهما السلام . أعيذكما بكلمات الله التامة من كل عين لامه . ومن كل شيطان وهامه . والاصل في مأزورات موزورات لاشتقاقها من الوزر . كما ان الاصل فى لامة ملمة لانها فاعل من الم . الا انه عليه الصلاة والسلام . قصد ان يعادل بلفظ مأزورات لفظ مأجورات . وان يوازن بلفظ لامة لفظتى تامة وهامة . ومثله قوله عليه الصلاة والسلام من حفنا أو رفنا فليقتصر أى من خدمنا أو أطعمنا . وكان الاصل أتحفنا فاتبع حفنا رفنا . ويروى في قضايا عليّ انه قضى فى القارصة . والقامصة والواقصة بالدية اثلاثا . وتفسيره ان ثلاث جوار ركبت احداهن الاخرى فقرصت الثالثة المركوبة فقمصت فسقطت الراكبة ووقصت فقضى للتي وقصت أي اندق عنقها بثلثي الدية على صاحبتيها . وأسقط الثلث باشتراك فعلها فيما أفضى الى وقصها . والواقصة هنا بمعنى الموقوصة . وانشد الفراء فى هذا النوع *

هتاك أخبية ولاج أبوبة * يخلط بالجد منه البر واللينا

فجمع الباب على أبوبة ليزاوج لفظة أخبية . انتهى مانقل عن الحريرى . وفي الخلاصة *

وفى اضطرار وتناسب صرف * ذو المنع والمصروف قدلا ينصرف

﴿ وفى الكافية ﴾

ولاضطرار وتناسب صرف * مايستحق حكم غير المنصرف

ورأى أهل الكوفة الاخفش فى * اجازة العكس اضطرارا يقتفى

وبعضهم أجازه اختيارا * وليس بدعا فدع الانكارا

ومثل الشراح للمصروف للتناسب سلاسلا وأغلالا وسعيرا . قواريرا قواريرا . على قراءة

نافع والكسائى . ولا يغوثا ويعوقا ونسرا على قراءة الاعمش وابن مهران وقسموا التناسب الى قسمين تناسب لكلمات منصرفة انضم اليها غير منصرف نحو سلاسلا وأغلالا . وتناسب لرؤس الآى كقوارير الاول فانه رأس آية . فنون ليناسب بقية رؤس الآى في التنوين أو بدله وهو الالف في الوقف . واما قوارير الثانى فنون ليشا كل قوارير الاول . والفرق فى ذلك بين الضرورة والتناسب ان الصرف واجب فى الضرورة . وجائز في التناسب . وقد علمت ان التناسب غير التشاكل للازدواج هذا ما كتبته من مسائل كتاب الضرائر . وبه علم ان اسم الصارم المنكي في الرد على السبكى بعد الميم نون كما هو المتواتر عن المصنف هو الصواب (غير ان) النبهانى قد تعود على التحريف والتبديل فاراد ان يحرف الاسماء كما حرف نصوص القرآن والسنة الغراء وقد فضحه الله تعالى بالجهل فى سائر الاقطار والانحاء . والحمد لله الذى نصرنا على الاعداء *

« الوجه الرابع » ان التسمية بالصارم المبكى بباء بعد الميم تسمية لا معنى لها اذا لحنا الى الاصل المنقول عنه . فان الصارم انما يوصف في كلام العرب بالنكاية لا بانه يبكى فان العصا أيضا تبكى المضروب بها . بخلاف الصارم فانه اذا ضرب به أحدا هلك وفنى وهى النهاية فى النكاية . ولكن النبهانى مقصوده تسويد القراطيس . كما سود الله وجهه باتباعه لوساوس ابليس *

« وبالجملة » فكل ما اعترض به على كتاب الصارم المنكى فهو اعتراض مردود عليه . وكل ما انتقده فهو مدفوع عنه . وكان ما اعترض به عليه . من شواهد جهله وآيات حرمانه *

تعيرنا البانها ولحومها * وتلك شكاة ظاهر عنك عارها

فكتاب الصارم المنكي للامام الذى لايجاذب رداء فضله . ولا تدور العين بين أصحابه على مثله علامة المعقول والمنقول . وفهامة الفروع والاصول . البحر الزاخر ونخر الاوائل والاواخر . قدوة الفضلاء . وخاتمة الاجلاء . شيخ الاسلام ومن اتفق على جلالته الخاص والعام . الحافظ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الهادى المقدسى الحنبلى . طيب الله تعالى ثراه . وجعل فى أعلى عليين مقره ومثواه . كتاب تشد اليه الرواحل . وتطوى دون لقياه المنازل . ليس فى بابه ما يدانيه . ولا ما يماثله ويضاهيه . جمع فأوعى . وأوجز فأعجز وما ترك لساع من مسعى بلغ الغاية فى حسن الجمعية وكمال الاختصار وادرك النهاية في قلة المؤنة ولياقة الحفظ والتكرار

كلم كان الشهد من ألفاظها * جار وان الطيب منها سائر

قد أرى السبكى قدره . وأدى اليه الكيل صاعا بصاع ولم يهمله بالمره . حتى أرغم الله به أنوف المعتدين . وشفى به صدور قوم مؤمنين . وما كان من ذم بعض الغلاة والانتقاد عليه . فلما أصابهم منه من الويل والثبور . لم يقدروا ان يقابلوه ولا يقفوا بين يديه فجزاه الله عن المسلمين خير الجزاء . حيث ذب عن الدين المبين ما كاده به الخصوم والاعداء *

﴿ قال النبهانى ﴾ الفصل الثالث في الكلام على جلاء العينين فى محاكمة الاحمدين وبيان ان مؤلفه حكم لابن تيمية بالميل . وعلى ابن حجر بالمين . وقد جاوز به الحد فى تعصبه الشديد ضد جماعة من أئمة الاسلام وافراد العلماء الاعلام . لاسيما ابن حجر الهيتمى والتقى السبكى وابنه تاج الدين . مؤيدا ماشذ به ابن تيمية . فى مسائله التي خالف بها الامة المحمدية . وكانت أصلا لمذهب الوهابيه . ومقته لاجلها جمهور أئمة الدين من أهل المذاهب الاربعة السنية . قال وهذا الكتاب من أضر الكتب على من اطلع عليه من عوام المسلمين والطلبة القاصرين فيجب عليهم ان يعاملوه معاملة الكتب المخالفة لمذاهبهم المكدرة لمشاربهم بالاعراض التام عنه وعدم مطالعة شيء منه لئلا تضر شكوكه بيقينهم ويوقع الخلل فى أمور دينهم . اما العلماء فلا يخشى عليهم منه ذلك الضرر . لتمييزهم بين خطأ ابن تيمية . وطائفة الوهابية وصواب السبكي وابن حجر . وجمهور الامة المحمديه . وتفريقهم بين ماخلط فيه مؤلفه من الحق والباطل . والحلى والعاطل . فلا ينخدعون بما جمعه فيه من زخارف الكلام . وبهارج الاوهام . التى زعم بها ان زلات ابن تيمية هى ما كان عليه السلف الصالح من أئمة الاسلام . ومع ذلك فالاولى بل الصواب للعلماء أيضا الاعراض عنه . وعدم مطالعة شيء منه الا للرد عليه . وبيان ماحواه من الخطأ الفاحش والتعصب الشديد ضد العلماء العاملين هداة الامة . ومصابيح الملة كالائمة الثلاثة ابن حجر والسبكى وابنه تاج الدين . وترجيحه لكثير مما يخالف عقائد جمهور المسلمين كمسالة الاستغاثة والزيارة . والقول بالجهة وغير ذلك مما خلط فيه ولا يقدر على تمييزه الا العلماء الاعلام . ويخشى من مطالعته وقوع الخلل فى عقائد الطلبة القاصرين والعوام *

﴿ قال ﴾ وانا والله فى حيرة من أمره ان قلت ان ذلك اعتقاده يعارضنى اني أعرفه انه حنفى المذهب من عائلة علم وسيادة فى بغداد كلهم من أهل السنة والجماعة وان ما اعتمده فى هذا

الكتاب مما أيد به زلات ابن تيمية هو مذهب الوهابية لا مذهب الحنفية . ولا مذهب آبائه واجداده السادات الشافعية . وان قلت ان ذلك ليس اعتقاده الحقيقي وانما تظاهر به خدمة لصديق حسن خان الوهابي الشهير ملك بهو بال فى الهند صاحب التآليف المشهورة . فهذا لا يليق بمثله . وان كان هو الظاهر من محرراته ومراسلاته . ألا ترى ان كتابه المسمى بغالية المواعظ لما ألفه بعد جلاء العينين تجده قد زينه بالنقل عن كتب العلامة ابن حجر كالزواجر والصواعق ونحوهما ولم ينقل الا نادرا عن ابن تيمية والله أعلم بحاله فى هذا الكتاب من القصد والنية . ولست اعترض عليه باجابته عنه ان بعض الاقوال التى نقلها ابن حجر واعترض عليها لم تصح نسبتها اليه واستشهد على ذلك بعبارات صحيحة أو غير صحيحة . فهذا لا مانع منه وهو حسن ولكنه لم يقتصر على ذلك بل شنع على ابن حجر بالفاظ لا يحسن استعمالها فى حق بعض طلبة العلم فضلا عن امام كبير من أئمة الدين . وكذلك عامل هذا الصنيع من قبيح التشنيع والتقريع . الامام تقى الدين السبكي حتى انه لم يعبر عنه بلفظ الامام ولا بلفظ شيخ الاسلام بل اما ان يقول قال السبكى . أو القاضي السبكى وهو فى الحقيقة المستحق للقب شيخ الاسلام لانه كان قاضى قضاة الشام . مع كونه من أئمة العلماء الاعلام ولقب شيخ الاسلام انما كانوا يلقبون به قاضى القضاة . فابن تيمية بحسب هذا الاصطلاح لا يستحق لقب شيخ الاسلام وان كان من أكابر شيوخ المسلمين وأئمة العلماء الاعلام . وهو رجل مطعون فى عقيدته باعتقاد الجهة فضلا عن بدعته المتعلقة بالزيارة والاستغاثة والسبكي هو بالاتفاق من أئمة أهل السنة والجماعة ومن أفضل أئمة الاسلام * وابنه تاج الدين هو الامام ابن الامام باتفاق العلماء الاعلام فما الذى حمل مصنف جلاء العينين على معاملتهما أسوأ المعاملة والميل كل الميل مع ابن تيمية * وذلك دليل على انه من أهل البدعة لا من أهل السنة . والارواح جنود مجندة فروحه هى من أجناد روح ابن تيمية فلا تأتلف مع أرواح هؤلاء الأئمة الاعلام ولذلك كان منه فى حقهم ما كان مع كونهم فى جانب تعظيم جده الاعظم صلى الله عليه وسلم وامامه ابن تيمية بعكس ذلك . ولكن الشرف والحسب لا يغنى عن العلم والادب الى ان قال ومصنف جلاء العينين لم يحكم لابن تيمية فقط بل حكم لجميع الوهابية وليس حكمه على ابن حجر فقط والسبكى وابنه بل على جميع أهل السنة والجماعة من الشافعية والحنفية والمالكية وجمهور الحنابلة أيضا

ومن طالع كتابه هذا بانصاف يعلم يقينا انه أخطأ فيه أفحش الخطأ في حق نفسه وأبيه والمسلمين عموما وسيد المرسلين خصوصا . وانه لوث نفسه باقذار البدع الوهابية التى لا يغسلها عنه بحار الدنيا الى يوم القيامة وكما آذى نفسه بذلك أشد الاذى آذي كل من اطلع على كتابه من المسلمين من أهل المذاهب الاربعة حتى المنصفين من الحنابلة بذمهم اياه وخوضهم فى عرضه مابقيت الدنيا وبقى فيها هذا الكتاب *

ثم انه هذى بما هذى ثم قال ويا ليت شعرى كيف اختار لنفسه ولأبيه بمقتضى مانقل عن تفسيره روح المعانى منابذة جمهور الامة المحمدية . وما اتفق عليه أئمتها وعلماؤها فى جميع هذه الاعصار المتطاولة من أمر الزيارة والاستغاثة حتى صار من الامور المعلومة بالضرورة مع كونه هو الذى يليق بما يجب للنبي صلى الله عليه وسلم من التعظيم والتوقير ولا عبرة بما قاله ابن تيمية . وطائفته الوهابية . ومن شاكلهم من شذاذ المذاهب من منع ذلك لما توهموه وتخيلوه من المحاذير التى لا تخطر عند الزيارة والاستغاثة ببال أجهل الجاهلين فضلا عما فوقه من اعتقاد الالوهية فيمن يزورونه أو يستغيثون به مع ان بدعة هؤلاء فيها من سوء الادب فى جانبه صلى الله عليه وسلم مالا يخفى على من في قلبه أدنى نور . هذا لعمرى مما لا يختاره عاقل لاخيه فضلا عن نفسه وأبيه وقد لعمرى آذى أباه وعقه بتلك النقول التى كان الناس عنها فى غفلة لانها مفرقة في تفسيره فجمعها فى هذه المسائل في كتابه هذا مفتخرا بها ومثبتا عند السيد صديق حسن خان وطائفته ان أباه كان أيضا على مذهبهم ومشربهم فى ذلك *

(وقد سمعت) بسبب هذا من بعض علماء مكة المشرفة كلاما فظيعا فى حقه وحق أبيه ولما كان قد أظهر تحامله فى كتابه هذا على أهل السنة ومذهبهم ولا سيما الامام السبكى وابنه وابن حجر وبالغ فى التعصب بمدح ابن تيمية ومذهبه وكل من كان على شاكلته رأيت ان أذكر هنا الفرق بين ابن تيمية وابن حجر ليظهر لكل أحد انه حكم لابن تيمية بالباطل . انتهى كلام النبهانى فيما قاله فى شأن جلاء العينين . وقد نقلته كله وان كان فى نقله تضييع للقرطاس والمداد لان القصد مناقشته في جميع كلماته . وبيان ما اشتمل عليه من عواره وغلطاته *

﴿ اعلم ﴾ ان جميع ماذكره النبهانى فى هذا الفصل قد تكرر غير مرة غير انه لما كان خاليا عن الفهم فارغا عن العلم والفضل . وأراد ان يتطفل على المؤلفين بتأليف كتاب

وكان مبلغ علمه ومنتهى كمالاته المباحث المتعلقة بزيارة القبور والشعر المشتمل على الغلو والالتجاء الى غير الله مما يحفظه العوام الذين هم كالانعام ولا يدرون مافيه مما يصادم دين الاسلام وينشده المنشدون فى المجامع وقراءة مولد خير الانام وكان عنوان مايعتقده ويدين الله به ان الاستغاثة بغير الله هى ركن الدين. ومدار توحيد المسلمين. وشتم ابن تيمية وتبديعه وتضليله وتضليل من قال بقوله ومن انتصر له ومن تعرض للرد على أقوال السبكى وابن حجر وسائر الغلاة

* وقد حشى كتابه من أوله الى آخره بمثل هذا الهذيان. والزور والبهتان. وابدى وأعاد فى ذلك ليعظم حجم كتابه . وتطول مندرجات فصوله وابوابه . ليتبجح به على أمثاله من العوام ويفتخر على الجهلة الطغام. وقد تبين لى حاله من كتابه هذا وانه رجل ممار عنود معجب بنفسه منطو على حب البدع مصر على تقليد الآراء الفاسدة . والاقوال الكاسده . وانه لايفيد فيه كل كلام. ولا تؤثر فيه سهام الملام. وارقام الاقلام. وان جهله جهل مركب مع رعونة ونقصان عقل ودين وقلة ايمان وعدم حياء. فهو لاينتهى عن غيه. ولا يرتدع عن بغيه. ولا ينتهى عن جهله. ولسان حاله يقول *

*﴿لا انتهى لاانثنى لا ارعوى * مادمت في قيد الحياة ولا اذا﴾*

ومن اليقين عندى ان الكلام معه سدى. والرد عليه يغريه على سلوك جادة الردي. والميل الى الصد عن الهدى. ورأيته مع ماهو عليه من العجب ومزيد الجهل والغباوة مملوء الاهاب من الحسد من فرقه الى قدمه . وهكذا كان شأن اليهود مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كفروا به حسدا من عند أنفسهم والضالون قد تشابهت قلوبهم ولولا حسده وجهله لم يتطاول على جلاء العينين ومصنفه ذلك التطاول الشنيع ويهذى بما هذى به من الكلام الفظيع والا فما الباعث لكلامه هذا على مصنف جلاء العينين ووالده وعلى الشيخ ابن تيمية وأصحابه . ومن اليقين انه لم يتهور هذا التهور على من طوى بساط الاسلام . وهد ركن الدين . وهدم بنيان قواعد المسلمين بل ابدى له العذر وحمل ذلك على المقاصد الحسنة الخيرية *

وكل أحد يعلم ان المسائل العلمية لم تزل معترك انظار العلماء . ومثار فرسان الفضلاء . ولو كان هذا الزائغ من أهل الفطنة والعرفان . ومن فرسان رجال ذلك الميدان. لاورد المسائل التى فى جلاء العينين واحدة بعد أخرى واورد عليها ما يراه واردا بحسب نظره الفاسد . وفهمه

الكاسد . وسلك مسلك المتناظرين لاجل اظهار الصواب كما هو شأن الخلافيين الذين انتصروا لمذاهبهم كما وقع من ذلك بين أصحاب المذاهب الاربعة واتباعهم أولى الالباب *

﴿ثم ان ماذكره﴾ في مقالته هذه في شأن جلاء العينين ومصنفه وما أورده فيها قد سبق الكلام عليها مرارا . وابطلنا أقواله الكاسدة بحمد الله جهارا . وتكرر معه الكلام في غير هذا المقام ولكن الامر كما قال القائل وهو المتنبي *

﴿ من يهن يسهل الهوان عليه * ما لجرح بميت ايلام ﴾

وها أنا مع ذلك اذكر مايرد عليها من المواخذات . وبيان مافيها من الخطأ والغلطات . ليظهر جهله وفساد أقواله للناظرين . ولا عدوان الا على الظالمين *

﴿ فاقول ﴾ من أقواله التي هي مواقع للنظر وهدفا لرمي سهام الفكر ومحلا للايراد وموقعا للفساد ﴿ قوله ان مؤلف جلاء العينين حكم لابن تيمية بالميل . وعلى ابن حجر بالمين الخ ﴾

﴿ جوابه ﴾ ان الامر ليس كما قال بل ان مصنف جلاء العينين اورد فيه أولا تراجم الشيخ وبعض اسلافه الكرام . ثم ذكر بعض من ابتلي واوذي من العلماء ثم ذكر ماقاله ابن حجر في الفتاوى الحديثيه مما زوره على الشيخ وافتراه . ثم ذكر تراجم بعض المنكرين عليه من خصومه وحسدته . ثم افرد مقصدا في تراجم بعض المثنين عليه من تلامذته وغيرهم . ثم ذكر تراجم من قال ابن حجر عن الشيخ انه تبعهم من المتصوفة . ثم اورد فصلا في الكلام على مانقله الشيخ بن حجر من عبارة شيخ الاسلام واورد عدة تراجم لاصحاب الاقوال ثم ذكر اختيارات الشيخ وما لها وما عليها وفصل الكلام في تحقيق الكلام النفسي وما ذهب اليه الحنابلة والاشاعرة واطنب في مباحث الصفات وما ذهب اليه السلف . ثم ذكر مااختاره من التوسط بين القولين ثم ذكر الاستغاثة والتوسل وعقد فصلا لادلة المجوزين وفصلا آخر في المانعين ثم ذكر الاجوبة عمانقله ابن رجب من اختيارات الشيخ وبها ختم الكتاب واليه المرجع والمآب *

هـذا ما كان في جلاء العينين واحال الحكم وترجيح الحق من الباطل الى القارئين من أهل الفضل والانصاف لامن أهل الجور والاعتساف على انه لو كان الامر كما زعم وانه حكم بما حكم فماذا عليه بعد ان راى في حكمه ما ادى اليه لدليل أليس ان الله تعالى قال واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه وفي الحديث الصحيح من علمه الله علما

فكتمه الجمه الله بلجام من نار . وقد سبق ماأوردناه من كلام الامام الشافعي في تفسير سورة العصر وان من جملة مراتب الكمال الاربع التى اشتملت عليه السورة التواصى بالحق بان يعلم بعض الناس بعضا حقائق الامور وما هى عليه فى نفس الامر وان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر مما استوجب خيرية الامة المحمدية على كل أمة أخرجت للناس . وابن حجر ومن كان على منهاجه كلهم ظلموا الشيخ ابن تيمية ولم يقصدوا فى تهورهم عليه وجه الله بل لم يكن منهم ما كان الا تشفيا به وقضاء لحق أهوائهم والا فمن المعلوم ما كان من الروافض والنواصب والخوارج والمعتزلة والزيدية وغيرهم من الفرق الاسلامية . وممن كان قبل الاسلام ومع ذلك فلم يلتزم ابن حجر ما التزمه فى ابن تيمية . وهكذا السبكى قبله . وهكذا الغلاة في كل عصر *

﴿ ماذكره ابن حجر المكي ﴾ فى فتاواه عن الشيخ . منه ما هو كذب وزور وبهتان منه عليه كنسبة القول بالجسمية والجهة وعدم تحريف التوراة والانجيل ونحو ذاك وكتب الشيخ المثبوتة فى العلم كلها تصرح بضد ذلك وجميع كتبه مصرحة بنفى الجهة والجسمية وشطر من كتابه (الجواب الصحيح) فى اثبات تحريف الكتابيين لكتبهم فاى ذى دين وانصاف لم يكذب ابن حجر فى قوله ويحكم عليه بانه من الكاذبين . وان الشيخ كان من المحققين والمسائل الاخرى التي ادعى ابن حجر على الشيخ انه خرق بها الاجماع كلها مما قال به السلف وقام عليها الدليل الصحيح والف فى اختيار انه كتب مفصلة . فاى زور اكبر من هذا . واى بهتان فوق هذا البهتان أيليق بمن يدعي العلم ان يسلك هذا المسلك الذى لو سلكه عامى من العوام لعيب به فكيف يسوغ للمنصف ان لايحكم للشيخ بالميل . وعلى ابن حجر بالمين . وهل بقى في مين ابن حجر . شك لذى نظر *

﴿ ومنها انه قال ﴾ وقد جاوز به الحد فى تعصبه الشديد ضد جماعة من أئمة الاسلام وافراد العلماء الاعلام لاسيما ابن حجر الهيتمى والتقى السبكى وابنه مويدا ما شذ به ابن يتمية فى مسألته المعلومه الخ ﴿ فيقال له ﴾ هذا هو الكلام السابق بعينه والرد على ذاك رد على هذا ومن يتبع الدليل ويجرى على مقتضى البرهان لايقال فيه انه قد تجاوز الحد بل ان من ينحرف عن الشريعة هو الذى تجاوز الحد . والحق أحق بالقبول والاذعان له عين الانصاف والميل عن الجور والاعتساف . والمخالف في ذلك مكابر . بل ليس من ذوى الالباب والبصائر .

وكل منصف ذى فهم يعلم ان ماقاله ابن حجر والسبكى واضرابهما هو محض اتباع هوى ومكابرة وعناء . واذا كان ما اختاره الشيخ أيده الدليل والبرهان وان أقواله هى قول الله ورسوله وسلف الامة وأكابر الائمة كما أسلفنا جميع ذلك فكيف يقال ان تلك الاقوال مما شذ به ابن تيمية . وهل هذا الكلام الا من الغباوة والمكابرة . وانكار للضرورة وتقليد للآراء . ثم ان علماء المذاهب الاربعة ممن يعتد بعلمه لم يعقتوا الشيخ وكتب المنصفين منهم طافحة بالثناء عليه . الا ماكان من بعض خصومه وحسدته كالسبكي واضرابه ومن قلدهم فى غيهم وضلالتهم من الغلاة كما سنذكر تفصيل ذلك فى الكلام على مناقبه ان شاء الله *

﴿ ومنها انه قال ﴾ وهذا الكتاب من أضر الكتب على من اطلع عليه من عوام المسلمين والطلبة القاصرين فيجب ان يعاملوه معاملة الكتب المخالفة لمذاهبهم المكدرة لمشاربهم الخ *

﴿ فيقال له ﴾ هذا كلام فاسد قد بعثه عليه حسده وحبه لهواه وضلاله وغيه . فان كتاب جلاء العينين جلاء عيون الموحدين . وبهجة قلوب المؤمنين كم من منشد وجد به ضالته . وكم من حيران انس به هدايته . وكم من مسلم قد انتفع به . وكم من منصف عرف الحق بسببه فهو الكتاب الذى راق لفظه ومعناه . وفاق ماسواه بمفهومه وفحواه اذا أمعن ناقد النظر فيه شاهد منه حديقة يانعة تفوح فوائح ثراها كالمسك الاذفر . كانها جونة عطار . وتخيله روضة رائقة تتأرج بروائح الند والعنبر كانها لطائم تجار . فاجتنى من بدائع معانيه زهر المروج وأنوار الربيع . واجتلى من روائع مبانيه زهر البروج وازهار المرابيع . رائق ألفاظه أرق بل وأروق من مروقات السلاف . وروائق تعبيراته تروح الارواح وتهز الاعطاف . كالشهد ريقه . والنسيم رقه واللطف على الحقيقة *

رق لفظا فقيل خمر حرام * راق معنى فقيل سحر حلال

فجزى الله مؤلفه أحسن الجزاء . مما أعده لاهل طاعته المتبعين لشريعته من الاصفياء حيث لم يأل جهدا في تأليف هذا الكتاب . المشتمل على فصل الخطاب لدى ذوى الالباب ولم يقصر نصحا فى ترصيف أبواب . تبهر المتقدم والمتأخر من ذوى الكمالات والاداب وأودعه نكتا لطيفة تفوق بسناها على بدر التمام . ورصعه بفرائد تزهو في الاتساق وتروق في الانتظام

فى بطن قرطاس رخيص ضمنت * احشاؤه درر الكلام العالى

* فلله در مؤلفه من عالم أبدع . وفاضل أعلن بالحق وصدع . وهذب فهذب وبوب فرتب أخذه ذهبا فغدا يتوقد لهبا . وتناوله قبسا فتجلى فى طور البلاغة شهبا . وزاد في حسن سبكه فهزت اعطاف ناظريه طربا الى آخر ماوصفه به بعض الافاضل حين قرظه أكابر الاماثل *

وقدأثنى على كتاب جلاءالعينين وقرظه جماعة من أعيان المذاهب الاربعة المعاصرين للمصنف رحمهم الله تعالى ولا بأس ان نذكر من كلام بعضهم نبذا يتحلى بها وبنفائس دررها جيد هذا الكتاب فاقول ومن الله استمد التوفيق والاعانة *

ممن أثنى على كتاب جلاء العينين علامة المنقول والمعقول وفهامة الفروع والاصول خاتمة الادباء . وتذكرة فحول الشعراء . فريد عصره . ووحيد دهره . الذى طار صيت مجده فى الآفاق وأشرقت شمس فضله فى الحجاز والعراق . أحمد باشا الفاروقي الموصلى طيب الله تعالى ثراه بعطر رضوانه الجلى . وقد قرظ جلاء العينين بتقريظ هو لدى الادباء قرة عين وهو تقريظ نفيس يفعل بالالباب ولا فعل الخندريس . وذلك قوله لازال فى بحبوحة الجنان مسكنه ومحله *

بجلاء العينين كحلت عينى * وأجلت الافكار فى الاحمدين
فرأيت الصواب ماقد حكاه * نص هذا الكتاب من غير مين
قد حوى فى اصدافه خيردر * فتراءت أوراقه من لجين
وكذاك الاشياء يظهر فيها * رونق الحسن جامع الضدين
أوضح الحق لدى كل راء * وجلا عن عيونه كل غين
وخصوصا قد باعد البحث منه * بين من يدعى الضلال وبينى
فلنا بالنعمان خير اتباع * ثابت الاصل محكم الطرفين
كم جلا الشك عن جليلين كانا * في سماء العلوم كالنيرين
خدمة ساقها لاجل رضى الل * ه ونفى الظنون عن هذين
نسج الفكر منه حسن ثياب * لبستها مناكب الشيخين
حاكها بالافكار علما فليست * وشى صنعا يحوكها باليدين
بنقود النصوص وفى حقوقا * وسواه قضى الديون بدين

ذكرتني وما نسيت قضايا * سبقت مثل قصة الحكمين
عرفت جده الاحابيش لما * كشف الحرب عن قناع حنين
عن أبيه تورث العلم حتى * صار بالفضل مجمع البحرين
فهو للدين ساعد وعماد * ولصدر الاسلام قرة عين
كم له من فضائل كشموس * أشرقت في مطالع المشرقين
وبدور من التآليف غر * طلعت من منازل القمرين
اشعرى المقام علما وحكما * سلفى الطراز فى الاثنين
علوى نجاره من قريش * هاشمي الآباء والجدين
كالانابيب بعضها فوق بعض * من على وجعفر وحسين
نسب في الحطيم قد ضاع مسكا * فاح منه الشذى لدى المشعرين
فهم قدوة الورى وملاذ الـ * ناس طرا فى حالة النشأتين

﴿ ترجمة هذا الفاضل ﴾

هو من قوم كرام وأماجد أعلام ينتهى نسبه الى سيدنا الى عمر الفاروق رضى الله تعالي عنه ونسبه معلوم مشهور . وفى كتب الانساب مذكور . وهؤلاء القوم كما قال قائلهم فيهم*

بنو فاروق تيجان المفارق * وأعيان المغارب والمشارق
فكم من برجهم طلعت بدور * وكم من أفقهم قد ذر شارق
وكم من عيلم فى العلم منهم * يطم اذا طمى شم الشواهق
ما ترهم نجوم سما معال * لها عقدوا ميازرهم مناطق
فلو مدوا الى العيوق باعا * لجاوزه وليس هناك عائق
محابرهم بحور زاخرات * سل الاقلام عنها والمهارق
فهم والمعالى منذ كانوا * وكانت غير معشوق وعاشق
وهم نحوى حقيقة كل شئ * وهم عنوان ديوان الحقائق
وهم خلعوا على أم المعالى * وهم فى المهد من مجد قراطق
وهم سنوا المعالي بالعوالى * وبيض الهند والخيل السوابق

وهم من تعرف البطحا أيامهم * وتعرف جدهم للحق فارق
وهم من مهدوا للدين طرقا * يداس بهـا على قمم الطرائق
وهم أسـد لهم يعلو زئير * اذاهدرت بيوم وعى شقاشق
وان خفقت لهم رايات بطش * فؤاد الخافقين تراه خافق
تحدثهم فراستهم بما قـد * طواه بين جنبيه المنافق
وهل من قائل يوما سواهم * ليوم تفاخر فى المجـد لائق
يسوقون الـكماة الى المنايا * وليس لهم سوى الاقدام سائق

قال المترجم رحمه الله في كتابه العقود الجوهرية بعد ان ذكر نسبه من الابوين . واما ولادتى فكانت فى الموصل أواخر سنة أربع وأربعين ومائتين وألف من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل التحية . قال ولما بلغت من العمر أربع سنين ابتدأت بقراءة القرآن الـكريم . وختمته سنة سبع من عمرى وحفظت طرفا منه . ورويت قراءة حفص على استاذى في النحو الملا عبد الرزاق الجبورى . وفى سنة أربع وخمسين طلبني عمي الشهير بالفضل . عبد الباقي الفاروقى . وكان اذ ذاك ساكنا بغداد . وبقيت عنده نحو ستة أشهر . وقد أكملت شرح الالفية للسيوطى على الشيخ أسعد أفندى الموصلى المدرس فى مدرسة جامع الآصفية . ثم عـدت الى الموصل فقرأت أصول الفقه وعلم الحساب وطرفا من علم الوضع على العالم الفاضل الشيخ عبد الرحمن الـكلاك وجمعت الجمع الصغير والجمع الـكبير في القراآت السبع على ولده الشيخ عبد اللطيف وقرأت بعض المتون المنطقية على العابد الزاهد . والعالم الفاضل . الشيخ محمـد أمين بن الملا عبيده وقرأت علم البديع وطرفا من علم المعانى والبيان على رئيس العلماء المشهود له بالعلم والورع الشيخ عبد الله الفاروقى قدس الله روحه . ثم ان عمي رحمه الله طلبنى سنة احدى وستين ومائتين وألف من والدى مرة ثانية لاجل الاقامة عنده . فتوجهت الى بغداد . وكانت اذ ذاك غاصة بالفضلاء والعلماء والادباء فتخرجت عليه فى فنون الشعر وعـلم الادب وطرت بجناح فضله . واستسقيت من هطال وبله . وفى غضون ذلك قرأت تبركا شرح الشمسية للقطب وابن عقيل على خاتمة المفسرين . وعلامة العلماء المحققين أبي الثناء . شهاب الدين السيد محمود الآلوسى . مفتي الزوراء . ومرجع الفضلاء . قدس الله روحه . وتغمده برحمته ورضوانه . وقرأت أيضا كتاب

تشريح الافلاك على الفاضل الشيخ أحمد السنندجي نزيل بغداد . واتقنت اللغـة الفارسية على ولده الفاضل الشيخ طه أفندي . ولم أزل عند العم فى بغـداد الى السنة التاسعة والستين بعـد المائتين والالف وفيها دخلت مسلك خدمة لدولة العلية العثمانية . ولم أزل متقلبا في البلاد بمناصب مختلفة حتى أصعدنى أمير المؤمنين . وخليفة رب العالمين . السلطان عبد الحميد خان الى رتبـة ميرميران . وها أنا اليوم فى الاسـتانة ضيف حضيرته . ونزيل سدته . داعيا له بالدوام . على مدى الايام . انتهى كلامه *

وقلت فى كتاب بدائع الانشاء . فيما كان من مكاتبتي مع مشاهير الادباء . من كلام فى ترجمة هذا الاديب الفاضل . وفى شهر رمضان السنة . . . . بعد الثلاثة والالف من الهجرة النبوية . نعاه لنا الناعى من اسلامبول دار السلطنة العثمانية . وان روحه الشريفة انتقلت الى الجنان . ودار الرحمة والرضوان . فى أواسط ذلك الشهر مهبط الغفران . وارخ وفاته بعض الادباء بقوله من أبيات . ادخلوه الجنان أحمد عزت . فهناك لوت ساعد عزمى يد نيران اللهف . وفلّ أركان صبرى ماقاسيته من الاسى والاسف . ونفذ من قضاء الله تعالى فيه ما أمض قلبي . وارض لبي . وقطع نياط فؤادى وطرد لذيذ رقادى . واحدث لي حزنا ملازما . وهما مداوما . الى ان قلت وقد كان المشار اليه . لا زالت سحب الرحمة والمغفرة منهلة عليه . رجل الدنيا وواحدها وعضدها . وساعدها . وسيدها وماجدها *

وما كان أبهى منه في الناس منظراً * ولا كان أذكى منه فى الناس مخبرا
تفقدت منـه وابل القطر ممطرا * وفارقت منه طلعة البدر نيرا
لئن غيبوه فى الـتراب وأظلمت * معالم كانت تفضح الصبح مسفرا
فما أغمدوا فى الترب الا مهندا * ولا حملوا فى النعش الا غضنفرا

ثم ذكرت كلاما طويلا فى الثناء عليه وعقبته بقولى . وقد كان رحمـه الله تعالى حسنة الزمان وعين الاعيان . وركن الادب العالى على الاركان . كمالاته كثيرة . وفضائله شهيرة . له ديوان شعر رائق . ومقالات من النثر الفائق *

له الـكلمات الجامعات تخالها * نجوما بآفاق البلاغة طلعا
وان كتبت اقلامه فخواتم * تبث الى السمع الـكلام المسجعا

وكتب لدين الله أضحت مطالعا * كما كانت الافلاك للشمس مطلعا
اذا ضلت الافهام عن فهم مشكل * هدى وعليه فى الحقيقة أطلعا
وان قال قول فهو لا شك فاعل * قؤل من الامجاد ان قال أبدعا
كلام ترى الاقلام فى الطرس سجدا * له وترى أهل الفصاحة ركعا
يحير أرباب الرجال كأنما * أتانا باعجاز من القول مصقعا

وكان عليه الرحمة حنفي المذهب سلفي العقيده . افعاله واعماله كلها سديده . وبقي كلام طويل . وثناء جميل . أعرضنا عن نقله * وتركناه لاهله *

﴿ وممن قرظ الكتاب وأثنى عليه ﴾ خاتمة بني الاداب ومن انقذ برشأ تقريراته من جب العويصات هالكى الطلاب . تذكرة الاصمعي وابن دريد . وسيبويه الثانى وأبو عبيد . المفتى فى المذهب الحنفى فى البصرة . أحمد بك الشاوى الشافعي الحميرى تغمده الله تعالى برحمته وأسكنه بحبوحة جنته . وذلك قوله . دام فضله *

قل لقوم بزعمهم خطؤا الشيـ * ـخ بلا حجة ولا برهان
واستدلوا بما رواه فلان * عنه من غير صحة عن فلان
ثم قووا ورجحوا واهن القو * ل بلا قوة ولا رجحان
غير ما قد تقولوه عليه * شططا من وساوس الشيطان
من أقاويل لم يكن أنزل الله * بها ذو الجلال من سلطان
ان أردتم ان تعرفوا الحق حقا * مثلما ينبغى لذى عرفان
وتروا منهج الهدى مستنير الـ * ـوجه كالشمس في وضوح البيان
فعليكم بما روى الثبت نعما * ن سمي ابن ثابت النعمان
الفقيه النبيه والعالم العا * مل فيما به رضا الرحمن
والمجلى فيصل الحكم بالعد * ل دجي الاختلاف والامتحان
لو رأى الاحمد ان ما قد رأينا * منه سرا بما رأى الاحمدان
ولو ان الزمان صور شخصا * كان انسان عين هذا الزمان
كم له من مؤلفات علوم * آلفت بين نافرات معاني

أوقفتنا على مشاعر علم * لم يكن حام حولها الشعراني
وحرى اذا العلوم استخفت * علمه ان يميل بالميزان
قدجلا من غياهب الشك عينا * بجلاء العينين للاذهان
يالله من مصنف فيه قرت * عين أهل التوحيد والايمان
دمغ الباطل المزخرف بالحق * واودى بالأفك والبهتان
وحوى من معنمنات أحادي * ث على شرط ماروي الشيخان
فهو ان عدت التصانيف أضحى * مفردا ماله اذا عد ثان
فاجهدوا ياهدا كم الله فى ان * تقتفو أثره بدون توان
انه ما علمتم خير هاد * ودليل الى بلوغ الامانى

﴿ ترجمة هذا الفاضل ﴾

قد أفردت له ترجمة فى كتاب بدائع الانشاء . فيما جرى من المكاتبة بينى وبين المعاصرين من الادباء . وذكرت له فيها كثيرا من شعره الفصيح . وكلامه البليغ الرجيح . وها أنا اذكر ملخص ذلك فى هذا المقام . والله ولى التوفيق والانعام . فمن ذلك انى قلت هو أحمد بك بن عبد الحميد بك بن سليمان بك . وينتهى نسبه الى تبع الاكبر أحد من كان فى اليمن من تبابعة حمير . وهو من سلالة قوم من الاخيار . واناس سموا بعلو هممهم الى اوج الفخار *

هم القوم يروون المكارم عن أب * وجد عريق سيدا بعد سيد
تسودهم نفس هناك أبية * فكانوا اذا مابين نسر وفرقد
وهزتهم يوم الندى أريحية * كأن شربوا من كأس صهباء صرخد
تطربهم سجع الصوارم والقنا * بيوم الوغى لاما ترى أم معبد
اذا وعدوا الطاغين بالباس ارهبوا * وان أحسنوا الحسنى فمن غير موعد
كرام اذا استمطرت وبل أكفهم * اراقته وبلا من لجين وعسجد
يقال لمن يروي أحاديث فضلهم * اعد واستعد ذكر الكرام وردد

ولد رحمه الله تعالى سنة اربع واربعين ومائتين والف من هجرة من لم تبلغ كعب علاه بردة كل مدح ووصف . وقد ذكر لى ذلك عند سؤالى له عما هنالك ولم يزل يحتسى در الفضائل ويشتغل

على علماء عصر الاماثل . حتى ازهر به روض الادب بعد يبسه . واقمر به فلك الفضل بعد افول شمسه واثمرت به أغصان . دوحة حديقة العرفان . وابهرت انوار حقائق دقائق النطق والبيان . وشدت به ابكار الافكار نطاقها ومدت عليه اسرار انظار خرائد المعانى رواقها يروى من الحديث اتقنه ومن الشعر ارصنه . ومن كل علم أحسنه ومن كل ادب ازينه . كان اذا تكلم يود السامع لو ان كله السن ولا يبقى فيه جارحة الا تمنت انها أذن صحبته كريمة . وعشرته جميلة . ودعابته لطيفة ومحاضرته شريفة . وقريحته سديدة . وعارضته شديدة . ومعانيه رقيقة . ومبانيه وثيقة . يتناثر الدر من فلق فيه وكان هذه الابيات قد انشدت فيه *

حكم على أهل العقول يبثها * متقونة الاوضاع والاحكام
ويريك في الفاظه وكلامه * سحر العقول وحيرة الافهام
كم اعربت الفاظه عن حاله * يوما فاعجب منطق الاعجام

او كانه هو المقول فيه حيث كان رحمه الله يشبهه ويضاهيه *

احاديثه مثل زهر الرياض * فهل كان اذ ذاك روضا جميا
لطيف رقيق حواشى الطباع * فلو جسمت لاستحالت نسيما

ومما قلت أيضا فى ترجمته مع قوة حافظة وفصاحة لهجة . تظنه لولا ما هو عليه من الفضل والادب انه قد ربى فى البوادى مع خلص العرب يحفظ من نوادر الجاهلين وما كان لهم من الايام والاخبار مالو جمع فى سفر لكان من اعظم الاسفار . واما معرفته باللغة وغريبها وفصيح تراكيبها واساليبها فذاك الذى اعترف له به الاكابر . واذعن له الاصاغر والاكابر . هذا مع تواضع ولين جانب . للاقارب الادنون والاجانب . وقد ضم مع ذلك من الاخلاق اكرمها والطفها ومن الاوصاف افضلها واشرفها *

من لى بانسان اذا اغضبته * ورضيت كان الحلم رجع جوابه
واذا اصر على الذنوب جليسه * وسطا يكون العفو من عقابه
واذا ظمئت الى الشراب رويت من * الفاظه وسكرت من آدابه
وتراه يصغى للحديث بقلبه * وبسمعه ولعله ادرى به
واذا تفاخرت الرجال بماجد * فاقت شمائله على اترابه

ولم يزل يتقلب في المناصب . ويتنقل في منازل المراتب . حتى ادت به خاتمة المطاف . وفاتحة النعم والالطاف . الى ان تقلد افتاء البصرة الفيحاء . ونشر الاحكام الشرعية في هاتيك الانحاء . الى ان قلت وقد عاقته العوائق . ومنعته الشواغل والعلائق ان يتصدى لتأليف كتاب وتصنيف فصل او باب نعم ان له من الشعر الرائق . والنثر اللطيف الفائق . ما لو جمعا لكان كل منهما اعظم ديوان . وفاق ما نسب لحسان ونابغة بنى ذبيان . وكم جرت بيني وبينه مكاتبات هي لعمرى ارق من مدامع صب صبها على مافات وهى مذكورة في ترجمته من كتاب بدائع الانشاء . فليراجعها من شاء . ولم يزل يصدع بالحق ويفتى باصح الاقوال . حتى انتقل الى رحمة الله المتعال . وذلك سنة تسع عشر وثلاثمائة والف من الهجرة . وقد اسف على فقده من كان عارفا بقدره . ودفن بجوار الزبير رضى الله عنه . وقد رثاه صاحبه وخلفه في الافتاء الشيخ طه أفندي الشهير بآل الشواف . منحه الله تعالى بالنعم والالطاف . فقال *

لا تبعدن ابا عبد الحميد وقد * بعدت عنى فروى تربك المطر
اذا رثيتك بالشعر البديع فمن * من بعد شخصك يدرى منه ما الخبر
فاذهب عليك سلام الله فى دعة * فسوف ترثيك منى أعين غزر

وكان رحمه الله تعالى شافعى المذهب . لا يميل الى غير مذهبه ولا يذهب . غير انه لا يستحسن رأى الغلاة من الشافعية وكان يختار كامامه الآراء السلفية . والله يتولى الصالحين *

﴿ ومنهم شبل ذلك الاسد ﴾ والفاضل الذى لم يطاوله في الفضل من اقرانه أحد . تذكرة أهل الادب . ومجمع فضائل العرب عبد الحميد بك الشاوى البغدادى تغمده الله بالرحمة والرضوان واسكنه فراديس الجنان وذلك قوله *

ابا ثابت يهنيك انك ثابت * عن الحق اذ زلت عن الحق ارجل
جلوت العمى والشك عن كل مؤمن * بقول يميط الهزل حقا ويفصل
فهذا جلا العينين يعجز آخرا * مداه ولم يبلغه قبلك اول
فياطالب الاخرى ويامبتغى الهدى * ليسعد عند الله فى يوم يسأل
لعمري لهذا الحق يعلوا مناره * عليك به ان الاباطيل تسفل

ترجمة هذا الاديب الاريب

قد كتبت لهذا الفاضل ترجمة مفصلة فى كتاب بدائع الانشاء . حيث انه ممن جرت بيني وبينه مكاتبة من الادباء . ومجمل ماقلت فيها انهـذا الاديب كان على جانب عظيم من علو الهمة وشرف النفس ولين الجانب . ومعرفة الادب . ورقـة النثر . وجزالة الشعر . وذكاء الطبع وسخاء الغريزة . وسرعة الفهم . وسرعة الذهن . وبعد النظر . وغور الفكر *

متيقظ الافـكار يدرك رأيه * مالم يكن بالظن والتخمين
من اسرة رغموا الانوف وأصبحوا * من انف هذا المجد كالعرنين
قوم يصان من الخطوب نزيلهم * ونوالهم بالبر غـير مصون
اللابسون من الفخار ملابسا * ومن الوقار سكينة بسكون

له خلق أرق من النسيم . وأعـذب من التسنيم . لطيف المؤانسـة . طيب المفاكهة لايمـله جليسه . ولا يرغب عنه أنيسه *

ورأيت من أخلاقه بوجوده * ما أبدع الخلاق بالتـكوين
ولـكم تجلى بالمسرة فانجلى * صدأ الهموم بقلبي المحزون
حيث السعادة والرياسة والعلى * تبدو بطلعة وجهه الميمون

وكانت له اليد الطولى باللغة العربية كما كان سباق غايات بين فرسان اللغة التركية *

أقلامه افتخرت على سمر القنا * فرأيت كل الفخر للاقـلام
خط يسر الناظرين ولم يزل * فى العين أحسن من عذار غلام
وكانما نظم النجوم قلائدا * في الـكتب مشرقة لدى الايام

وله من الشـعر نظم كثير . وبحر غزير . ومن شعره الرائق . ونظمـه الفائق . هـذه القصيدة الغراء . بل الغادة الحوراء . قالها متحمسا بحسبه . وشرف نسبه وأدبه . ذاكرا غدر أعيان وطنه به . وذلك قبيل وفاته بعدة أيام . وهي نفثة مصدور . وانه مقهور . قد أضر به السقام ولم يرو من غليله الاوام *

أرقت وهل يهجع المقصد * وليس لليـل المعنى غـد
وبت اراقب سير النجوم * كاني بها ساهرا أرصـد

بقلب قريح له لوعة * تشب ضراما فما تخمد
وعين كعين تفيض الدموع * تسح درا كا فما تجمد
ولي زفرات تذيب الحشا * وتوهي الاضالع لاتنفد
لذكر زمان هوي قدمضى * وخلف نار جوى توقد
وعهد صبا سلبته الخطوب * وأعقبه زمن انكد
واظعان حى حدتها النوي * وأعرق بي البين اذا نجد
وقد كان لى فيهم مألف * وعيش بساحتهم أرغد
وكم لى هنالك من مجلس * جليسى به الرشأ الاغيد
غرير يصيد اسود الشرى * ويعنوله الاشوس الاصيد
أسامره بغرامي به * وفوق الحسام الجراز اليد
واخوان ضراء فارقتهم * وكنت بصحبتهم أسعد
قضيت بهم والمنى غضة * ولم يك فى الدهرماينكد
ليالى أفدى لها جانبا * من العمر لو انها عود
ناوا فظللت كئيبا لهم * وهيهات مثلهم يوجد
لقد كان شملى بهم جامعا * واني من بعدهم مفرد
غريب اقاسى العناوالاسى * ومالى خل ولا مسعد
مقيم اعانى ضروب الضنا * وقد ملنى الاهل والعود
فسقيا لعيش بهم كان لى * فماالعيش من بعدهم يحمد
فلولا عواد عدت جمة * لقلت وان كنت لا أقصد
سقى الله بغداد صوب الحيا * وطالعها الطالع الاسعد
وان لم يكن لى فى شطها * وان لج بي ظما مورد
ولكن تركت بها معشرا * لهم طارف المجد والاتلد
هم الناس ان عد أهل العلى * وان ذكر الاصل والمحتد
وما منهم غير قرم عليه * خناصر أهل النهى تعقد

فيارا كبا زعلبا جسرة * على مابها من وجي تستئد
اذا جئت بغداد فاحبس بها * ففيها لاهل الهوى معهد
وفي الكرخ لي كبد غودرت * وقلب أضيع فما ينشد
لقيت من الدهر مابعضه * يذوب له الحجر الجلمد
ولست لاحداثه ضارعا * ولا أنا مكتئب مكمد
ولكنني أنا جار على * مدي همة شأوها أبعد
ولى سيف عزم اذ النائبات * تفاقمن صمم لايغمد
ولست أبالى اذا الحادثات * عظمن الى أيها أعمد
وقومي الالى الصيد سادوا الورى * وشادوا من المجد مايخلد
سموا فى سماء العلى رتبة * دنى دونها النجم والفرقد
على ان نخرى بنفسى اذا * بنو الدهر أجدادهم عددوا
وحسبي نخرا اذا مانخرت * وكان لاهل العلى مشهد
مقالى انى عبد الحميد * وان أبي المجتبي أحمد
همام اذا رقد الغافلون * عن الخير والمجد لايرقد
هو الحلو طعما لاحبابه * وللشانىء الارقم العربد
فتعسا لدهر أخوه اللئيم * واكبر أعدائه الامجد
انا العلم الفرد فى رتبتى * اذا شئت قلت فمن يجحد
تكنفني من كلا جانبي * صدق النجابة والسودد
على رغم كلب عوى حاسدا * وهل يخفض السودد الحسد
عجبت لنذل يناوي الكرام * وهمته عنهم تفقد
يسامى رعان جبال سمت * وموضعه الغائط الاوهد
يري الفخر والفضل من جهله * دراهم فى كفه تنقد
يخال السفاهة رأس العلى * فليس الى غيرها يخلد
فلولا الترفع عن مثله * لكان له عندنا موعد

على انه حسبه خزيه * بما فيه أفعاله تشهد

وقد عرض في هذه الابيات الاخيره بنقيب بغداد . فانه عدو لاهل الكمالات والامجاد .
وكان رحمه الله له مشاركة في كثير من العلوم واشتغل مدة مديدة في المنطوق منها والمفهوم وله محبة ومزيد ميل الي آثار السلف ولم يزل يسخف رأى الغلاة الذين هم بئس الخلف ولم يبلغ من العمر الا نحو خمسة وأربعين سنة الا واخترمته المنية ووجد عليه والده أعظم وجد حتى لحقه بعد مدة جزئيه . وقد كنت كتبت له أعزيه بهذه الفاجعة المؤلمة وهذه الحادثة الملمة فاجابني بقوله *

بالله المستعان وعليه التكلان وبه أستعين وهو في كل شدة نعم المعين لا ملجأ الا اليه . ولا معول الا عليه وله الحمد على كل حال واليه المرجع والمآل لقد صرت للحوادث غرضا منصوبا وللنوائب جملا ركوبا تنتضل في ماضيات نصالها وتحمل عليّ مثقلات احمالها فلله قلبي ماأصبره وأقساه وجسمي ماأصلبه وأقواه فلو كان قلبي حديدا لذاب أو كان وجودي صخرا لتصدع من عظم المصاب ولعمرى لقد فل المنون شباتي وأفسد على حياتي واثكلني لذاتي فما هو الاقمص الصبر أتدرعها وغصص الموت أتجرعها وتأبى زفرات الحزن الا تصعدا وجمرات الوجد الا توقدا ولكن ماالحيلة وقد حل البلاء وفرض العزاء وكتب الرضاء والتسليم عند حلول الامر الجسيم فلا تسخط لقدر الله وهو عدل ولا تكره لقضائه وهو فصل فانا لله وانا اليه راجعون تسليما لما أمضاه ورضى بما قضاه . ولقد تشرفت بكتابكم الشريف فتناولته بكف التكريم وأنامل التبجيل والتعظيم وفضضته من خط تسكب منه العبرات ولفظ تتجاذب من خلاله الحسرات يشهد بمشاركة مولاى أطال الله تعالى بقاءه في هذه المصيبة مشاركة من لايتميز عنه في محنه ولا منحه وسروره وحزنه فأبقاك الله للعلم تعمر مدارسه وتجدد دارسه وللاخوان تكون لهم عونا في حوادث الزمان . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .
في (٥) ربيع الآخر سنة ست عشرة وثلاثمائة وألف للهجرة

﴿ الداعى مفتى البصرة أحمد بن عبد الحميد الشاوي ﴾

وقد توفي أيضا في البصرة ودفن في مقبرة الزبير رضى الله عنه *

وقد بقى أفاضل كثيرون ممن قرظ جلاء العينين وأثنى عليه بما هو مطبوع مع الكتاب وبما ورد بعد الطبع . ولو استقصينا جميع ذلك مع تراجم المقرظين لاحتمل ان يكون سفرا كبيرا

وما ذكرناه كاف في المقصود . وهو ابطال قول النبهانى المخذول فى شأن كتاب جلاء العينين وتبين انه كذب وافترى فيما ذكره فى كتابه . وأما قوله فيجب ان يعاملوه معاملة الكتب المخالفة لمذهبهم الخ . فقد ذكرنا سابقا ان ما اشتمل عليه جلاء العينين هو عين مذهب الائمة سوء كان فى الاصول أم فى الفروع وقد ذكرنا نصوصهم فى مسألة العلو وغير ذلك بما لا مزيد عليه وأما قوله وترجيحه كثيرا مما يخالف عقائد جمهور المسلمين أهل السنة والجماعة الخ فهذا دليل على جهله حيث لم يفرق بين الايمان والشرك وأقوال أهل الحق من أهل الباطل وظن ان أهل السنة والجماعة هم الذين على مسلكه وعلى باطله وضلاله . وقد ذكرنا غير مرة حقيقة حالهم وان الفرقة الناجية هم التابعون لما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام وأما القول بالجهة فقد قلنا ان كتب الشيخ كلها ناطقة بخلاف ذلك ومسألة العلو والاستواء قد سبق الكلام عليها . وذكرنا أقوال من قال بها من الائمة وغيرهم *

﴿ ومنها انه قال ﴾ وأنا و لله فى حيرة من أمره ان قلت ان ذلك اعتقاده يعارضنى انى أعرفه حنفى المذهب من عائلة علم وسيادة كلهم من أهل السنة والجماعة وان ما اعتمده في هذا الكتاب مما أيد به زلات ابن تيمية هو مذهب الوهابية لا مذهب الحنفية الخ *

﴿ فيقال لهذا المخذول ﴾ لم تتحير فى أمرك وأنت لست بمعزول عن غيرك . وكل امرئ بما كسب رهين وبما عمل مجازى بيقين هلا نظرت الى نفسك قبل حلول رمسك . قد قضيت عمرك بالضلال وفاسد الاعمال والحكم بالطاغوت والاعراض بما شرعه ذو الجلال تارة تزعم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى زمان وفى كل مكان . وأخرى تدعى ان كل من لم يدع المخلوق ولا استغاث به فهو من المبتدعين وان الاسلام هو دعاء غير الله والغلو فى الصالحين وأخرى تقول بالحلول والاتحاد وتعتقد ما يعتقده أهل الالحاد ومع ذلك لم تتحير فى أمرك بل تحيرت فى أمر غيرك وما دخولك بين العلماء وأنت من أضل الجهلاء *

اقرأ كتابك واعتبره قريبا * وكفى بنفسك لى عليك حسيبا
ومن الفصيح كلام اخوان الصفا * ان خاطبوا اجملوا الخطاب خطوبا
ما كان عذرك لو أتيت بمثله * او كنت فيما تشتهيه مجيبا

﴿ وما أحسن ما يقول القائل ﴾

مناضلة الدنى مع الاديب * بلا داع من العجب العجيب
أيأمر بالمكارم من بعيد * ويجنح للدنية من قريب
وينهى عن طباع السوء صبحا * ويأتي بالاساءة في الغروب
يعلم غيره طرق المعالى * وتجذبه النقيصة للعيوب
وان يأتى الفتى ماعنه ينهى * فذاك النهى وعظ من كذوب
سكوت الحر حتم عن سفاه * وصون العرض يقضى بالوجوب
وماذا النفع فى اتعاب فكر * يقوم بنصرة الطبع الغضوب
لثلم العرض فى كلمات سوء * تطير بهن عاصفة الهبوب

﴿ وما اليق ما يقول القائل بحال النبهانى أيضا ﴾

معارضة الغريب الى القريب * بلا حق من السفه العجيب
واذراء الغبي على ذكى * حرى ان يعد من النعيب
فهلاّ أيها الناهي برأى * سخيف ليس بالرأى المصيب
اتحسب لا حسبت بان شتما * محاورة الاديب مع الاديب
مساجلة الكرام بكل فن * متى كانت تعد من الذنوب
وتنقص كاملا وتذم شهما * رويدك جئت بالامر الغريب
وانت فما دخولك بين قوم * من العلماء بالوعظ الكذوب
وان تجادل العلماء يوما * بما علموه من حسب حسيب
ليعرف كامل الفضلاء منهم * اذا عرضوا على فطن لبيب
وتلك الحالة فيها لاهل ال * ذكا والفضل تبصرة القلوب
فاى تطاول فيه افتخار * اذا لم يبد من شهم نجيب
الا ان التطاول فى كمال * به يمتاز ذو الباع الرحيب
متى كانت بنبهان كرام * يقون العرض من ذم مريب
واى نقيبة لهم استبانت * قديما اوحديثا من نقيب
فربع كمالهم قدما جديب * ولم نعهد بالربع الخصيب

ايجتنب الكريمة طبع حر * لامر فيه اغضاب الرقيب
فهل غير المسرة للقريب * وهل غير الاساءة للجنيب
فكيف اللوم ياذا اللوم واحذر * يروعك صولة الاسد المهيب
وحاذر ان يصيبك ذو كمال * بشفرة مقول منه ذريب

﴿ثم ما الموجب﴾ لهذه الحيرة . وقد صرح الصبح لذي عينين . وقد قلنا ان جميع ما اشتمل عليه جلاء العينين هو مذهب الائمة . وأساطين الامة . لا سيما مذهب الامام أبي حنيفة عليه الرحمة والرضوان . فكتب مذهبه طافحة برد بدع الغلاة . ومثل ذلك كتب الشافعية والمالكية وغيرهم . ومن مشهور مذهب أهل المدينة . سد الذرائع والبدع . وقد ذكر علماء السادة الحنفية في مسالة الاقسام على الله بمخلوق ما تقربه عين الموحد فان شأن الله أعظم من ان يقسم عليه أو يسأل باحد من خلقه . وقد أنكر أئمة الاسلام ذلك فقال أبو الحسين القدوري فى شرح كتاب الكرخي قال بشر بن الوليد سمعت أبا يوسف يقول قال أبو حنيفة لا ينبغي لاحد ان يدعو الله الا به قال وأكره ان يقول بحق فلان وبحق أنبيائك ورسلك وبحق البيت الحرام واكره ان يقول أسألك بمقعد العز من عرشك . قال أبو الحسن اما المسألة بغير الله فمنكرة فى قولهم لانه لاحق لغير الله عليه . وانما الحق لله على خلقه . واما قوله بمقعد العز من عرشك فكرهه أبو حنيفة ورخص فيه أبو يوسف قال وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم دعا بذلك قال ولان مقعد العز من العرش انما يراد به القدرة التى خلق الله بها العرش مع عظمته فكانه سأله باوصافه *

وقال ابن بلدجي فى شرح المختار ويكره ان يدعو الله تعالى الا به فلا يقول أسألك بفلان أو بملائكتك أو بأنبيائك ونحو ذلك لانه لاحق للمخلوق على خالقه أو يقول فى دعائه أسألك بمقعد العز من عرشك وعن أبي يوسف جوازه وما يقول فيه أبو حنيفة وأصحابه أكره كذا هو عند محمد حرام . وعند أبي حنيفة وأبي يوسف هو الى الحرام أقرب . وجانب التحريم عليه أغلب *

وفى فتاوى أبي محمد بن عبد السلام انه لايجوز سؤال الله سبحانه بشيء من مخلوقاته لا الانبياء ولا غيرهم وتوقف في نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم لاعتقاده ان ذلك جاء فى حديث وانه لم

يعرف صحة الحديث *
فاذا قرر الشيطان عنده ان الاقسام على الله به والدعاء به أبلغ فى تعظيمه واحترامه وانجع في قضاء حاجته نقله درجة أخرى الى دعائه نفسه من دون الله . ثم ينقله بعد ذلك درجة أخرى الى ان يتخذ قبره وثنا يعكف عليه . ويوقد عليه القناديل . وتعلق عليه الستور . ويبنى عليه المسجد ويعبده بالسجود له والطواف به وتقبيله واستلامه والحج اليه والذبح عنده *
ثم ينقله درجة أخرى الى دعاء الناس الى عبادته واتخاذه عيدا ومنسكا وان ذلك أنفع لهم فى دنياهم وآخرتهم وأبعد المراتب المبتدعة عند القبور عن الشرع ان يسأل الميت حاجة ويستغيث به فيها كما يفعله كثير من الناس وهم من جنس عبدة الاصنام . ولهذا قد يتمثل لهم الشيطان كما يتمثل لعباد الاصنام . وهذا يحصل للكفار من المشركين وأهل الكتاب يدعو أحدهم من يعظمه فيتمثل له الشيطان أحيانا وقد يخاطبهم ببعض الامور الغائبة — وكذا السجود للقبر والتمسح به . وفى كتاب الطريقة المحمدية للامام محمد البركوى وكان من أكابر علماء الحنفية الاتراك شيء كثير من هذا القبيل وكذلك فيما ذكره فى رسالته المؤلفة فى زيارة القبور فانها تشفى العليل وتروي الغليل — وتحق الحق وتبطل الاباطيل *
وفى كتاب الفتاوى البزازية وهو من أجل كتب الحنفية قدس الله أرواحهم الزكية من قال ان أرواح المشايخ حاضرة تعلم يكفر . وقال الشيخ صنع الله الحلبي الحنفى فى كتاب الرد على من ادعي ان للاولياء تصرفات فى الحياة وبعد المماة على سبيل الكرامة هذا وانه قد ظهر الآن فيما بين المسلمين جماعات يدعون ان للاولياء تصرفات فى حياتهم وبعد مماتهم ويستغاث بهم فى الشدائد والبليات وبهممهم تكشف المهمات فيأتون قبورهم وينادونهم فى قضاء الحاجات مستدلين على ان ذلك منهم كرامات وقالوا منهم ابدال ونقباء واوتاد ونجباء وسبعون وسبعة وأربعون وأربعة والقطب هو الغوث للناس وعليه المدار بلا التباس وجوزوا لهم الذبائح والنذور وأثبتوا لهم فيهما الاجور قال وهذا الكلام فيه تفريط وافراط بل فيه الهلاك الابدى والعذاب السرمدى لما فيه من روائح الشرك المحقق ومصادرة الكتاب العزيز المصدق ومخالف لعقائد الائمة وما أجمعت عليه الامة وفي التنزيل ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا ثم قال فاما قولهم

ان للاولياء تصرفات فى حياتهم وبعد مماتهم فيرده قوله تعالى أإله مع الله الا له الخلق والامر لله ملك السموات والارض ونحو ذلك من الايآت الدالات على انه المنفرد بالخلق والتدبير والتصرف والتقدير ولا شيء لغيره في شيء بوجه من الوجوه فالكل تحت ملكه وقهره تصرفا وملكا وأحياء واماتة وخلقا وقد تمدح الرب تعالى بملكه فى آيات من كتابه كقوله تعالى هل من خالق غير الله والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير وذكر آيات كثيرة فى هذا المعنى . ثم قال فقوله فى الآيات كلها من دونه أى من غيره فانه عام يدخل فيه من اعتقده من ولى وشيطان يستمده فان لم يقدر على نصر نفسه كيف يمد غيره الى ان قال ن هذا القول وخيم وشرك عظيم . الى ان قال . واما القول بالتصرف بعد المماة فهو أشنع وأبدع من القول بالتصرف فى الحياة قال جل ذكره (انك ميت وانهم ميتون) وقوله (الله يتوفى الانفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها فيمسك التي قضى عليها ويرسل الاخرى الى أجل مسمى) وقوله كل نفس ذائقة الموت وكل نفس بما كسبت رهينة . وفى الحديث اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث الحديث . وجميع ذلك وما هو نحوه دال على انقطاع الحس والحركة من الميت وان أرواحهم ممسكة وان أعمالهم منقطعة عن زيادة ونقصان . فدل على انه ليس للميت تصرف فى ذاته فضلا عن غيره . فاذا عجز عن حركة نفسه فكيف يتصرف فى غيره فانه سبحانه يخبر ان الارواح عنده وهؤلاء الملحدون يقولون ان الارواح مطلقة متصرفة قل أأنتم أعلم أم الله . قال واما اعتقادهم ان هذه التصرفات من الكرامات فهو من أعظم المغالطة لان الكرامات شيء من الله تعالى يكرم بها أولياءه وأهل طاعته لا قصد لهم فيه ولا تحدى ولا قدرة ولا علم كما فى قصة مريم ابنة عمران . واسيد بن حضير وأبى مسلم الخولانى . وقال واما قولهم فيستغاث بهم فى الشدائد فهذا أقبح مما قبله وأبدع لمصادرة قوله أم من يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الارض أإله مع الله قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر . وذكر الآيات فى هذا المعنى . ثم قال فانه جل ذكره كرر انه الكاشف للضر لا غيره وانه المنفرد باجابة المضطر وانه المستغاث به لذلك كله وانه القادر على رفع الضر القادر على ايصال الخير فهو المتفرد بذلك فاذا تعين هو جل ذكره خرج غيره من ملك ونبى وولى . قال والاستغاثة تجوز فى الاسباب الظاهرة العادية من الامور الحسية فى قتال أو ادراك عدو أو سبع ونحوه كقولهم . يا لزيد

باللمسلمين بحسب الافعال الظاهرة بالفعل . واما الاستغاثة بالقوة أو التأثير أو في الامور المعنوية من الشدائد كالمرض وخوف الغرق والضيق والفقر وطلب الرزق ونحوه فمن خصائص الله تعالى لا يطلب فيها غيره *

قال واما كونهم معتقدين التأثير منهم في قضاء حاجاتهم كما تفعله جاهلية العرب والصوفية الجهال وينادونهم ويستنجدون بهم فهذا من المنكرات فمن اعتقد ان لغير الله من نبي وولي أو روح أو غير ذلك في كشف كربة أو قضاء حاجة تأثيرا فقد وقع في وادي جهل خطر . فهو على شفا جرف من السعير *

وأما كونهم مستدلين على ان ذلك منهم كرامات فحاشا لله ان تكون أولياء الله تعالى بهذه المثابة فهذا ظن أهل الاوثان كما أخبر الرحمن . ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى . أأتخذ من دونه آلهة ان يردني الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم شيئا ولاهم ينقذون . فان ذكر ماليس من شأنه النفع ولا دفع الضر من نبي أو ولي أو غيره على وجه الامداد منهم شرك مع الله تعالى اذ لا قادر على الدفع غيره . ولا خير الاخيره *

قال واما ماقالوه ان منهم ابدالا ونقباء واوتادا ونجباء وسبعين وسبعة . واربعين واربعة . والقطب هو الغوث للناس . فهذا من موضوعات افكهم كما ذكره القاضي المحدث ابن العربي في سراج المريدين وابن الجوزي وابن تيمية انتهى باختصار ومثل ذلك كثير في كتب الحنفية وغيرهم من المذاهب فرحم الله علماء السنة فلقد كفونا مؤنة كشف ما اورده الخصوم من شبهات المبطلين فلله الحمد والمنة على عظيم النعمة *

﴿ فانظر ايها النبهاني ﴾ ما نقلناه اليك من اقوال الحنفية وغيرهم فهل خالفت ما اشتمل عليه جلاء العينين وما ذهب اليه المحققون من الفريقين فلم أخذتك الحيرة واعترتك الوساوس الكثيرة

واعجب من ذلك قولك وان ما اعتمده في هذا الكتاب مما ايد به زلات ابن تيمية هو مذهب الوهابية لا مذهب الحنفية ولا مذهب آبائه وأجداده السادة الشافعية حيث لم يعرف النبهاني المسكين النحل ولا المذاهب فبقي يخبط خبط عشواء ويبدي ويعيد ويكرر قوله البعيد حتى زعم انما ذهب اليه ابن تيمية وموافقوه ليس مذهب أهل السنة بل هو مذهب المبتدعين وبينا خطأه سابقا اوضح بيان وأقمنا على ما قلناه الحجة والبرهان وان مذهب أهل السنة هو

ماعليه أهل الحديث وذكرناسابقاان ماعليه أهل نجد ليس مخالفا لما عليه الائمة الاربعة بل ماهم ماعليه هو الذى جاءبه الدين المبين واطلاق الخصوم عليهم اسم الوهابية مع كونه غلطا هو من باب التنابز بالالقاب وبينا ان مثل ذلك من المشركين في شأن المسلمين اذ كانوا يسمونه صابئة (سنة الله التى قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تحويلا) .

﴿ وأهل نجد على ﴾ ماكان عليه مذهبهم الامام أحمد بن حنبل نضر الله وجهه وقد رأيت رسالة مختصرة يحفظها صبيانهم وشبانهم فى العقائد من تصانيف أبى عبد الله العلامة الشيخ محمد رحمه الله وليس فيها مايصادم الكتاب والسنة وما عليه أئمة الاسلام وهى هذه *

(بسم الله الرحمن الرحيم) اعلم رحمك الله أن طلب العلم فريضة وانه شفاء القلوب المريضة وهو من اهم ماوجب عليك . والعمل به سبب لدخول الجنة . والجهل به واضاعته سبب لدخول النار . وانه يجب عليك اربع مسائل *

﴿ الاولى ﴾ معرفة الله تعالى ومعرفة نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم ومعرفة دين الاسلام بالادلة (الثانية) العمل به (الثالثة) الدعوة اليه (الرابعة) الصبر على الاذى فيه . والدليل قوله تعالى (والعصر ان الانسان لفى خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر) قال الامام الشافعي رحمه الله تعالى لو لم ينزل الله على خلقه حجة الا هذه السورة لكفتهم قال الامام البخارى . باب العلم قبل القول والعمل . والدليل قوله تعالى (فاعلم أنه لااله الا الله واستغفرى لذنبك الآية *

﴿ واعلم ﴾ رحمك الله ان الله أوجب على كل مسلم ومسلمة تعلم هذه المسائل الثلاث والعمل بهن *

﴿ الاولى ﴾ ان الله خلقنا لعبادته ولم يتركنا هملا . وأرسل الينا رسولا فمن اطاعه دخل الجنة ومن عصاه دخل النار . والدليل قوله تعالى (انا أرسلنا اليكم رسولا شاهدا عليكم) الآية *

﴿ الثانية ﴾ ان الله لا يرضى أن يشرك فى عبادته أحدا لا ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا والدليل قوله تعالى وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا *

﴿ الثالثة ﴾ من اطاع الرسول ووحدالله فلا يجوز له موالاة من حاد الله ورسوله ولو كان أقرب قريب . والدليل قوله تعالى (لا تجدقوما يؤمنون بالله واليوم الاخر يوادون من حاد الله ورسوله) *

﴿ واعلم أرشدك الله لطاعته ﴾ أن الحنفية ملة ابراهيم عليه السلام أن تعبد الله مخلصا له الدين كما قال الله تعالى (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون . ومعنى يعبدون يوحدونى وأعظم ما أمر الله به التوحيد وهو انفراد الله تعالى بالعبودية وأعظم ما نهى عنه الشرك وهو دعاء غير الله تعالى معه . والدليل قوله تعالى(واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا الآية

فاذا قيل لك مالاصول الثلاثة التي يجب على الانسان معرفتها فقل الاصل الاول معرفة العبد ربه ودينه ونبيه صلى الله تعالى عليه وسلم فاذا قيل لك من ربك فقل ربى الله الذى رباني بنعمته ورب جميع العالمين وهو معبودى ليس لى معبود سواه . والدليل قوله تعالى الحمد لله رب العالمين وكل ما سوى الله عالم وانا واحد من ذلك العالم *

واذا قيل لك بم عرفت ربك فقل بآياته ومخلوقاته فمن آياته الليل والنهار والشمس والقمر ومن مخلوقاته السموات السبع ومن فيهن وما بينهما والارضون السبع ومن فيهن وما بينهما . والدليل قوله تعالى (لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس) الآية وقوله تعالى (ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر) الاية وقوله تعالى (ربكم الله الذى خلق السموات والارض ثم استوى على العرش) الآية والرب هو المعبود والدليل قوله تعالى (يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون) الآيتين *

قال ابن كثير رحمه الله تعالى الخالق لهذه الاشياء هو المستحق للعبادة وأنواع العبادة التى أمر الله تعالى بها مثل الاسلام والايمان والاحسان ومنها الدعاء والرجاء والخوف والتوكل والرغبة والرهبة والخشوع والخشية والانابة والاستعانة والاستغاثة والاستعاذة والذبح والنذر وغير ذلك من أنواع العبادة التي أمر الله بها كلها لله تعالى . والدليل قوله تعالى(وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا)فمن صرف شيأ من هذه لغير وجه الله فهو . مشرك كافر والدليل قوله تعالى (ومن يدع مع الله الها آخر لا برهان له به فانما حسابه عند ربه انه لا يفلح الكافرون) والحديث . الدعاء مخ العبادة . والدليل على الدعاء قوله تعالى (وقال ربكم ادعوني استجب لكم الآية ودليل الخوف قوله تعالى(فلا تخافوهم وخافوني ان كنتم مؤمنين) ودليل الرجاء قوله تعالى (قل ياعبادى الذين أسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا . ودليل الخشية قوله تعالى (فلا تخشوهم واخشوني أن كنتم مؤمنين *

﴿ ودليل ﴾ الانابة قوله تعالي وانيبوا الي ربكم واسلموا له الآية (ودليل) الاستعانة قوله تعالى اياك نعبد واياك نستعين . وفى الحديث اذا استعنت فاستعن بالله *

﴿ ودليل ﴾ الاستغاثة قوله تعالى اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم الآية *

﴿ ودليل ﴾ الذبح قوله تعالى قل ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لاشريك له وبذلك أمرت وانا أول المسلمين . (والدليل) من السنة قوله صلى الله تعالى عليه وسلم لعن الله من ذبح لغير الله *

﴿ ودليل ﴾ النذر قوله تعالى يوفون بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطيرا *

﴿ الاصل الثانى ﴾ معرفة دين الاسلام بالادلة وهو الاسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والخلوص من الشرك وهو ثلاث مراتب الاسلام والايمان والاحسان وكل رتبة لها أركان

﴿ أما أركان الاسلام فخمسة ﴾ (والدليل) من السنة حديث ابن عمر رضي تعالى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (بنى الاسلام على خمس) شهادة ان لااله الا الله وان محمدا رسول الله واقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت الحرام فدليل الشهادة قوله تعالى (شهد الله انه لااله الا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط لااله الا هو العزيز الحكيم) (ومعناه) لامعبود بحق فى الوجود الا الله وحده لاشريك له (النفى) نافيا جميع مايعبد من دون الله (الا الله) مثبتا العبادة لله وحده لاشريك له فى عبادته كما انه لاشريك له فى ملكه . وتفسيرها الذى يوضحها قوله تعالى (واذ قال ابراهيم لابيه وقومه انني برآء مما تعبدون الا الذي فطرني) الآية (ودليل) ان محمدا رسول الله قوله تعالى والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم الآية وقوله تعالى ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين *

﴿ ودليل الصلاة ﴾ والزكاة وتفسير التوحيد قوله تعالى وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة) *

﴿ ودليل الصيام ﴾ قوله تعالى يا يها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون (ودليل الحج) قوله تعالى (ولله حج البيت من استطاع اليه سبيلا *

﴿ المرتبة الثانية ﴾ الايمان وهو سبع وسبعون شعبة اعلاها قول لااله الا الله وادناها أماطة الاذى عن الطريق والحياء شعبة من الايمان (وأركانه ستة) ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه

ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره من الله (والدليل) قوله تعالى آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله *

﴿ ودليل الركن السادس ﴾. قوله تعالى انا كل شيء خلقناه بقدر *.

﴿ المرتبة الثالثة ﴾ الاحسان وهو ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك . وهو ركن واحد (والدليل) قوله تعالى ومن يسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه . وقوله تعالى ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون *

﴿ والدليل من السنة ﴾ حديث جبريل عليه السلام المشهور عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال بينما نحن جلوس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد حتى جلس الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فاسند ركبتيه الى ركبتيه . ووضع كفيه على فخذيه (وقال) يا محمد أخبرني عن الاسلام قال ان تشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله . وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت ان استطعت اليه سبيلا . قال صدقت فعجبنا له يسأله ويصدقه . قال اخبرني عن الايمان قال ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر وبالقدر . قال صدقت . قال اخبرني عن الاحسان قال ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك قال صدقت . قال اخبرنى عن الساعة قال ما المسؤل عنها باعلم من السائل . قال اخبرنى عن أماراتها . قال ان تلد الامة ربتها وان ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان . (فمضى) فلبث مليا . فقال صلى الله تعالى عليه وسلم يا عمر أتدرى من السائل . قلنا الله ورسوله اعلم . قال هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم *

﴿ الاصل الثالث ﴾ معرفة نبيكم محمد صلى الله تعالى عليه وسلم بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم من قريش . وقريش من العرب . والعرب من ذرية اسمعيل بن ابراهيم الخليل عليهما السلام توفى وله من العمر ثلاث وستون سنة (منها) أربعون قبل النبوة وثلاث وعشرون نبيا ورسولا . نبيء باقرأ . وأرسل بالمدثر وبلده مكة بعثه الله بالانذار عن الشرك والدعوة الى التوحيد *

والدليل يا أيها المدثر قم فانذر . وربك فكبر . وثيابك فطهر . والرجز فاهجر . ولا تمنن تستكثر .

ولربك فاصبر (ومعنى) قم فانذر يعنى انذر عن الشرك وادع الى التوحيد وربك فكبر عظمه بالتوحيد. وثيابك فطهر أي طهر أعمالك من الشرك والرجز فاهجر. الرجز الاصنام وهجرها تركها والبراءة منها وأهلها وفراقها وأهلها وعداوتها وأهلها أخذ على هذا عشر سنين وبعد العشر عرج به الى السماء وفرض عليه الصلوات الخمس وبقي بمكة ثلاث سنين وبعدها أمر بالهجرة والهجرة الانتقال من بلد الشرك وهي باقية الى ان تقوم الساعة. والدليل قوله تعالى ان الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين فى الارض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها وكان الله عفوا غفورا. وقوله ياعبادى الذين آمنوا ان أرضى واسعة الآية والدليل على الهجرة من السنة قوله صلى الله عليه وسلم لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها *

فلما استقر فى المدينة أمر ببقية الشرائع الاسلام مثل الزكوة والصيام والحج والجهاد والامر بالمعروف والنهى عن المنكر أخذ على ذلك عشر سنين *

وتوفى صلوات الله وسلامه عليه ودينه باق. وهذا دينه لاخير الا دل الامة عليه ولا شر الا حذرها عنه. والخير الذى دل عليه التوحيد وما يحبه الله ويرضاه والشر الذى حذر عنه الشرك وما يكرهه الله ويأباه بعثه الله الى الناس كافة وافترض طاعته على جميع الخلق (الجن والانس) والدليل قوله تعالى يا أيها الناس اني رسول الله اليكم جميعا وا كمل الله له الدين والدليل قوله تعالى اليوم اكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا *

(والدليل على موته) صلى الله عليه وسلم قوله تعالى انك ميت وانهم ميتون ثم انكم الى ربكم ترجعون *

﴿ والناس اذا ماتوا يبعثون ﴾ والدليل قوله تعالى منها خلقنا كم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة اخرى. وقوله تعالى والله أنبتكم من الارض نباتا ثم يعيدكم فيها ويخرجكم اخراجا وبعد البعث يحاسبون ومجزيون باعمالهم. والدليل قوله تعالى ليجزى الذين اساؤا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى ومن كذب بالبعث كفر. والدليل قوله تعالى زعم الذين كفروا ان لن يبعثوا قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم. وذلك على الله يسير *

﴿ وأرسل الله جميع الرسل ﴾ مبشرين منذرين لئلا يكون على الله حجة بعد الرسل *

وأولهم نوح عليه السلام وآخرهم محمد صلى الله عليه وسلم وهو خاتم النبيين لا نبي بعده (والدليل) على ان نوحا أول الرسل قوله تعالى انا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده الآية . وكل امة بعث الله اليها رسولا من بعد نوح الى محمد عليهما السلام يأمرهم لعبادة الله وحده لا شريك له وينهاهم عن عبادة الطاغوت *

(والدليل) قوله تعالى ولقد بعثنا فى كل امة ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت * وافترض الله على جميع العباد الكفر بالطاغوت والايمان بالله . قال ابن القيم رحمه الله معنى الطاغوت ماتجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع *

والطواغيت كثيرة ورأسهم خمسة ابليس لعنه الله . ومن عبد وهو راض ومن ادعى شيئا من علم الغيب ومن دعا الي عبادة نفسه . ومن حكم بغير ما أنزل الله *

(والدليل) قوله تعالى لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغي . فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقي لا انفصام لها والله سميع عليم . وهذا معنى لا اله الا الله . وفى الحديث رأس الامر الاسلام وعموده الصلاة وزروة سنامه الجهاد في سبيل الله . والله أعلم *

﴿ هذا آخر رسالة الشيخ أبى عبد الله فى العقائد ﴾ فانظر أيها النبهانى اليها واقرأها من أولها الى آخرها فهل الذى يعتقد هذا الاعتقاد يعد من المبتدعين السالكين غير سبيل الرشاد أم المبتدع هو الذى غير وبدل . وحرف وأول . واتبع غير سبيل المؤمنين . وليس عليه دليل فى دين المسلمين . كما ابتدعت أيها الزائغ من الغلو العظيم فى حق النبي الكريم عليه أفضل الصلاة واكمل التسليم . ثم عملت بغير شريعته . وسلكت غير سنن سنته *

(فيا أيها النبهاني) . والشيخ الشيطاني . من الاحق ان يكون من المبتدعين . أأنت ومن على شا كلتك من الغواة الضالين . أم حزب الرسول الذين سمت عقيدتهم فى الدين المبين (واقسم) بالله العلى الشأن . ان النبهاني ليس له معرفة بدينه كمرفة اولئك الصبيان وليته جدد ايمانه على يد واحد من حزب الرسول . وقرأ عنده تلك العقائد من الاصول ليخرج عن جادة ضلاله ذلك الزائغ الجهول *

﴿ وأما قول النبهانى ﴾ وان قلت ان ذلك ليس اعتقاده الحقيقى الخ (فيقال له) ان هذا من

بعض الظن الذي قال الله تعالى فيه يأيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم على ما بينه المفسرون واطنبوا فيه فان مصنف جلاء العينين انما صنفه قبل ان تكون بينه وبين السيد صديق حسن نواب بهوبال معارفة ومكاتبة * ومصنف جلاء العينين لما سافر الى مكة المكرمة شرفها الله تعالى سنة . . . وتسعين ومائتين وألف من الهجرة اجتمع ببعض أصحاب ذلك الامام الهمام بل ملك العلماء الاعلام ذكر له عن أحواله وبيان منزلته من معرفة الحديث وسائر علوم الدين فوسطه فى أخذ اجازة منه بما صح لديه وبعد عود الهندي الى الهند اجتمع بالنواب . وذكر له عن مصنف جلاء العينين ماشاهده من فضله . وطلب منه ان يرسل اليه الاجازة فكتب اليه اجازة مفصلة وأرسلها اليه بعد عوده الى وطنه . وطلب منه ان يرسل اليه نسخة من من جلاء العينين فارسلها اليه والتمس منه طبع الكتاب ان كان قد وقع لديه موقع القبول فبهره حسن وضعه ولطافة ترتيبه وما استودعه فيه من المطالب العالية فارسله الى مصر وطبعه والنواب رحمه الله لم يكن له حاجة لمعاونة أحد ولا خدمته وفضله أشهر من ان ينبه عليه ولم يكن على مذهب الوهابية فانه ليس للوهابية مذهب يخصهم بل هم حنابلة كما سبق . والنواب رحمه الله كان من المحدثين فكان يتبع ماصح لديه من الحديث كما هو شأن أهل الحديث والاثر واتباع سيد البشر ومثله كثيرون فى البلاد الهندية قبل عصره وبعده *

﴿ ومنها انه قال ﴾ ولست اعترض عليه بجوابه عن ابن تيمية ان بعض أقوال ابن تيمية التى نقلها ابن حجر واعترض عليها لم تصح نسبتها اليه الى قوله منذ مئات من السنين *

﴿ جوابه ﴾ ان مصنف جلاء العينين أحسن العبارة فى ابن حجر كل الاحسان ونوه به فى ترجمته حيث قال هو واحد العصر ثاني القطر علامة المنقول . فهامة المعقول . شهاب الدين أحمد ابن محمد بن على بن حجر نسبة على ما قيل الى جد من أجداده كان ملازما للصمت تشبيها له بالحجر الهيتمى السعدى الانصارى الشافعى . وذكر مولده ووفاته وتصانيفه ومن أخذ عنه فلم يترك من فضائله شيئا الا وذكرها ومن حق المترجم ان يذكر لمترجمه ماله وما عليه ولم يبين ماذكره أهل العلم فيه من تعصبه فى مذهبه والحط على المخالفين وافترائه على أئمة المسلمين واضطرابه في أقواله . وعدم ثباته على قول ومن يراجع أقواله فى الزواجر والقواطع . ثم يوازن بينها وبين أقواله فى الجوهر المنظم والفتاوى الحديثية يجد ما قيل فيه واضحا صريحا ولم يذكر

أيضا جهله بالحديث الصحيح وعدم خبرته بفنه حتى شحن كتاب الصواعق وكتاب تطهير الجنان في الذب عن معاوية بن أبي سفيان وغيرهما بالاحاديث الموضوعة والخرافات المكذوبة ولا ذكر أيضا انتحاله لكتب آخرين فنسبها لنفسه ولاعجبه بنفسه ورأيه كل ذلك قد أهمله مصنف جلاء العينين عفا الله عنه ولم نعلم سبب ذلك فهل تاقى غلاة الشافعيه ام لم يقف على ماذكرناه مع شهرته . نعم سمعت انه كتب ردا على كتاب تطهير الجنان وبين ما اشتمل عليه من مواقع النظر وسمى ما كتبه بصادق الفجرين في الجواب عن سؤال أهل البحرين وبلغني أن هذا الكتاب متداول في الانحاء العراقية وأما الصواعق فقد رد عليها غير واحد . والمقصود ان كلام النبهاني هذا لا ورود له أصلا بل هو محض عدوان اقتضاه منه عدم الايمان واما ما اورده في تضاعيف كتابه من عدم تصحيح بعض نقوله فهو من مقتضيات قوانين المناظرة كما لا يخفى على الخبير بها العالم باقسامها وضروبها *

﴿ ومنها قوله ﴾ وكذلك بسوء هذا الصنيع . من قبيح التشنيع والتقريع . الامام تقي الدين السبكي حتى أنه لم يعبر عنه بلفظ الامام ولا بلفظ شيخ الاسلام . بل اما أن يقول السبكي او القاضي السبكي وهو في الحقيقة المستحق للفظ شيخ الاسلام لانه كان قاضي قضاة الشام . مع كونه من أئمة العلماء الاعلام . ولقب شيخ الاسلام انما كانوا يلقبون به قاضي القضاة . فابن تيمية بحسب هذا الاصطلاح لا يستحق لقب شيخ الاسلام . وان كان من اكابر شيوخ المسلمين وأئمة العلماء الاعلام *

﴿ فيقال له اما أولا ﴾ فهذا الكلام مخالف للحقيقة فان مصنف جلاء العينين قال لما ذكر ترجمته وهو على ما في كتاب الشذرات وغيره الامام العلامة شيخ الاسلام علم الاعلام تقي الدين على ابن عبد الكافي السبكي الشافعي الاصولي اللغوي البياني الجدلي الخلافي النظار ثم نقل عن الامام السيوطي تاريخ مولده ومن قرأ عليه وقوله وتخرج به خلق في أنواع العلوم وأقر له الفضلاء وولي قضاء الشام بعد الجلال القزويني وصنف الكتب المطولة والمختصرة ونقل بعض الابيات من شعره وذكر تاريخ وفاته وسؤاله أن يولي القضاء مكانه ولده تاج الدين وانه أجيب الى ذلك وترحم عليهما . فماذا يقول بعد ذلك القول فلم يبق الا أن يقول وكان يوحى اليه اوان ملائكة السماء كانت تقرأ عليه وتأخذ عنه العلوم او ان الخضر كان يتلقى عنه العلم اللدني كما

ادعى ذلك لغيره ونحو ذلك من القول الباطل والهذيان العاطل والغلو الذى اعتاده من لا خلاق له حتى يرضى الشيخ النبهانى والهيكل الصمدانى حيث لم يكتف بهذه المبالغات واستقل تلك العبارات فى السبكي وابن حجر حتى قال عنها هناك أنه شنع على ابن حجر بالفاظ لايحسن استعمالها فى حق بعض طلبة العلم . وهنا وكذلك عامل بسوء هذا الصنيع الخ مع احسانه العبارة في الاثنين ومعاملته لهما بما لا يستحقانه عند الفريقين فأي عبارة استعملها وهى لاتليق بهما مع أن الله تعالى قال فى كتابه الكريم (لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب) فليراجع تفسير هذه الآية *

﴿ واما ثانيا ﴾ فيقال له انا لو سلمنا انه لم يكن مبجلا لهما كما يحب النبهانى فى عباراته ولا أعطاهما حقهما فى تعبيراته فهو ليس بملام على ذلك لانه بصدد مؤاخذتهما فيما افترياه على الشيخ ورد ما اعترضا عليه وان كلامهما فيه مما لا يقبل لانهما كانا من ألد خصمائه فليس المقام مقام مدحهما والاطراء عليهما . كما لا يخفى على من له أدنى الملم بفن البلاغة *

﴿ واما ثالثا ﴾ فيقال ان عدم تعبيره مرة أو مرتين بشيخ الاسلام فى السبكى لا يستوجب سجود السهو لاعند الحنفية ولاعند الشافعية ولا المالكية ولا الحنابلة ولاالظاهرية ولاولا بل ولا أظن ان عليه شيأ في قانون الجزاء الذى حكم بمواده شطرا من عمره فى بيت الله المقدس النبهانى الخبيث بل ليس ذلك من الواجبات الدينية ولا المشروعات الاسلامية بل لو قال قائل قال أبو بكر او قال عمر او قال عثمان او قال على او روى أبو هريرة او حدثنا ابن شعبة وهكذا جميع الصحابة او قال روى عن أبي حنيفة او مالك او الاوزاعى او غيرهم من المجتهدين او ذكر نحو هؤلاء من الأئمة فقط ولم يزد لفظ شيخ الاسلام فماذا يجب عليه من اللوم . نعم قال بعضهم من المستحسن الترضي عند ذكر أحد من الصحابة والترحم على العلماء وصلحاء الامة ونحو ذلك على ما قرره الشهاب فى شرحه على الشفاء . ونسأل الشيخ النبهانى هل ورد شئ فى الكتاب اوالسنة في وجوب التعبير عن السبكى بنحو الامام او شيخ الاسلام فان تركهما أحد وجب تعزيره بل لابد أن يكون أحدهما جزأ من هذا العلم . اما يستحى النبهاني من التكلم بمثل هذا الكلام . اما يخجل أن يهذى بهذا الهذيان بين الانام . نعم ورد فى الحديث الصحيح ان مما ادرك الناس من كلام النبوة الاولى اذا لم تستح فاصنع ما شئت

فمياذا بك اللهم من عدم الحياء *

﴿ واما رابعا ﴾ فليت شعرى باى فضيلة استحق السبكى أن يعبر عنه بشيخ الاسلام هل باغرائه العوام على عبادة غير الله والمغالاة في الدين او بنيابته فى الشام بعد أن تقلدها بالرشوة حتى احرص عليها وعض عليها بالنواجذ وطلب أن تكون لولده من بعده او بشتمه خيار عباد الله او بجهله بما ورد فى الكتاب والسنة كما نبه عليه ابن عبد الهادى الحافظ الشهير على ما سبق . وهو فى كل ذلك لايستحق هذا التعبير فلا أرى اللائق به الا أن يلقب بشيخ الغلاة ومصنف جلاء العينين عفا الله عنه لم يمط خصوم الشيخ واعداء الحق حقهم من سوء التعبير اللائق بضلالهم ففى الحديث اذا مدح الفاسق غضب الربّ *

(١) ومن العجيب قول هذا الزائغ العنيد . النبهانى البليد . ان لقب شيخ الاسلام انما كانوا يلقبون به قاضى القضاة فابن تيمية بحسب هذا الاصطلاح لايستحق لقب شيخ الاسلام الخ فانه قدذم امامه من حيث لايشعر . حيث كان هذا اللفظ فارغا من المعنى وادعى اسما بلا مسمى كما هو شأنه اليوم فى أمثاله فانا نسمع ان لهذا العصر مشايخ للاسلام كثيرين ولا مسمى لهم ونراهم يقولون فلان صاحب الفضيلة وفلان صاحب السماحة . وفلان صاحب السعادة . وفلان صاحب العزة . وهلمجرا . ولا فضيلة ولا سماحة ولا سعادة ولا عزة لمن قيل له ذلك كما هو معلوم لدى كل ذى فهم . ويتحرجون من اطلاق تلك الالفاظ على من اتصف بتلك المعانى حقيقة حيث يصدهم عنه اصطلاح العصر وهذا كما اصطلح أهل اللغة فى عرفهم على تسمية الفلاة مفازة والاعمى بصيرا واللديغ سليما ونحو ذلك مما هو مذكور فى موضعه *

وذكر العلامة ابن خلدون في الفصل الثانى والثلاثين من مقدمته فى بيان التلقيب بامير المؤمنين وانه من سمات الخلافة وانه محدث من عهد الخلفاء . قال فاما ملوك المشرق من العجم فكان الخلفاء يخصونهم بالقاب تشريفية حتى يستشعر منها انقيادهم وطاعتهم وحسن ولايتهم مثل شرف الدولة وعضد الدولة وركن الدولة ومعز الدولة ونصير الدولة ونظام الملك . وبهاء الدولة وذخيرة الملك وأمثال هذه . وكان العبيديون أيضا يخصون بها أمراء صنهاجه فلما استبدوا على الخلافة قنعوا بهذه الالقاب وتجافوا . عن ألقاب الخلافة أدبامعها وعدولا عن سماتها المختصة بها

---

(١) ابتدأت بتأليف هذا الكتاب أوائل رمضان يعنى اليوم الاول منه وانتهيت الى هنا فى آخر ليلة منه وهي ليلة الخميس وهى ليلة العيد جعله الله تعالى مباركا على المسلمين منه

شأن المتغلبين المستبدين . ونزع المتأخرون أعاجم المشرق حين قوي استبدادهم على الملك وعلا كعبهم فى الدولة والسلطان وتلاشت عصبية الخلافة واضمحلت بالجملة الى انتحال الالقاب الخاصة بالملك . مثل الناصر والمنصور وزيادة على ألقاب يخصون بها قبل هذا الانتحال مشعرة بالخروج عن ربقة الولاء والاصطناع بما أضافوها الى الدين فقط فيقولون صلاح الدين أسد الدين نور الدين قل وأما ملوك الطوائف بالاندلس فاقتسموا ألقاب الخلافة وتوزعوها لقوة استبدادهم عليها بما كانوا من قبيلها وعصبيتها فتلقبوا بالناصر والمنصور والمعتمد والمظفر وأمثالها كما قال ابن أبي شرف ينعي عليهم *

مما يزهدني فى أرض أندلس * أسماء معتمد فيها ومعتضد
ألقاب مملكة في غير موضعها * كالهر يحكي انتفاخا صورة الاسد

ثم أطال فى الكلام ابن خلدون . فالشيخ النبهاني قصد هذا المعنى وجعل امامه باطلاق هذا اللقب عليه اصطلاحا . كالهر يحكي انتفاخا صورة الاسد . فلله دره ما أدق فكره . وأبعد نظره . ونقول له اذا كان الامر كما ذكر فنحن لا نلقب ابن تيمية بشيخ الاسلام اصطلاحا فارغا عن معناه بل نطلقه عليه لغة وشرعا لا اصطلاحا وهو بحمد الله فى غني عن التعبيرات الاصطلاحية الفارغة عن المعانى . على ان آثار ابن تيمية وفضائله التي أقر بها المخالف والموافق تغنيه عن اطلاق مثل هذه الالفاظ * وفى كتاب الرد الوافر الذى ألفه العلامة الحافظ الامام ناصر الدين الشافعي فى بيان من أثنى على الشيخ ابن تيمية من أكابر الائمة وأطلق عليه شيخ الاسلام ما يرغم أنف هذا المخذول *

﴿ ومنها ماقاله ﴾ فى شأن الشيخ ابن تيمية وهو رجل مطعون فى عقيدته الخ . وقد مر الكلام على مثل هذا الكلام مرارا فلا نتعب الاسماع باعادة الجواب عنه . ولله در من قال وهو الشيخ ابو العلى المعرى فى قصيدته المشهورة *

وقال السهى للشمس ضوءك حائل
وطاولت الارض السماء سفاهة * وعير قسا بالفهاهة باقل

﴿ ويقول ابن سند ﴾

وما على العنبر الفواح من حرج * ان مات من شمه الزبال والجعل

او هل على الاسد الكرار من ضرر * ان ينهق العير مربوطا او البغل
او هل على الانجم الخضراء منقصة * ان عابها من حصى الخضراء منجدل

﴿ ومنها انه ﴾ قال فما الذى حمل صاحب جلاء العينين على معاملتهما اسوء المعاملة والميل كل الميل مع ابن تيمية وهو يدعي انه من أهل السنة والجماعة لا والله بل هو من أهل البدعة والارواح جنود مجندة فروحه هى من أجناد روح ابن يتمية فلا تأتلف مع هؤلاء الائمة الاعلام ولذلك كان منه فى حقهم ما كان الى قوله بل حكم لجميع الوهابية (جوابه) من وجوه (الوجه الاول) يقال للنبهانى الزائغ نسألك ماحمل ابن حجر والسبكى وكل منهما كان منه ما كان فى حق الشيخ ابن تيمية واصحابه وجماعة من حفاظ الحديث من شتمهم اقبح شتم وسبهم ولعنهم بما هو مشهور في كتبهم حتى ان ابن حجر لم يكتف بذلك في كتاب واحد من كتبه بل ذكر ذلك فى تحفته وفي فتاواه الفقهية وفي فتاواه الحديثية وفى غيرهما حتى قال فى كتابه الجوهر المنظم . فى زيارة القبر المعظم . من جملة كلام . ان ابن تيمية عبد أضله الله واغواه والبسه رداء الخزى وارداه وبوأه من قوة الافتراء والكذب ما أعقبه الهوان . وأوجب له الحرمان . ثم قال ولقد تصدى شيخ الاسلام . وعالم الانام . المجمع على جلالته واجتهاده وصلاحه وامامته . التقي السبكى قدس الله روحه ونور ضريحه . للرد فى تصنيف مستقل افاد فيه وأجاد واصاب واوضح بباهر حججه طريق الصواب فشكر الله مسعاه وادام عليه شآبيب رحمته ورضاه . قال ومن عجائب الوجود ما تجاسر عليه بعض السدجى من الحنابلة فغير فى وجوه مخدراته الحسان . التى لم يطمثهن انس من قبله ولا جان . واتى بما دل على جهله واظهر عوار غباوته وعدم فضله فليته اذ جهل استحيا من ربه . وعساه اذا افرط رجع الى لبه ولكن اذا غلبت الشقاوة استحكمت الغباوة فعياذا بك اللهم من ذلك وضراعة اليك ان تديم لنا سلوك أوضح المسالك هذا ماوقع من ابن تيمية مما ذكر وان كان عثرة لا تقال ابدا ومصيبة يستمر عليه شومها دواما وسرمدا ليس بعجب فانه سولت له نفسه وهواه وشيطانه انه ضرب مع المجتهدين بسهم صائب وما درى المحروم انه اتى باقبح المعائب اذ خالف اجماعهم فى مسائل كثيرة وتدارك على أئمتهم سيما الخلفاء الراشدين باعتراضات سخيفة شهيرة واتى من نحو هذه الخرافات بما تمجه الاسماع وتنفر عنه الطباع حتى تجاوز الى الجناب الاقدس المنزه عن كل نقص والمستحق لكل كمال انفس فنسب اليه العظائم والكبائر وخرق سياج

عظمته وكبرياء جلالته بما أظهر للعامة على المنابر من دعوى الجهة والتجسيم وتضليل من لم يعتقد ذلك من المتقدمين والمتأخرين حتى قام عليه علماء عصره والزموا السلطان بقتله او بحبسه وقهره فحبسه الى ان مات فخمدت تلك البدع وزالت تلك الظلمات ثم انتصر له اتباع لم يرفع الله لهم رأسا ولم يظهر لهم جاها ولا بأسا بل ضربت عليهم الذلة والمسكنة وباؤا بغضب من الله وذلك بما عصوا وكانوا يعتدون *

(انتهى كلام ابن حجر) ومثل ذلك كثير فى كتبه وقد ادينا له حقه فيما كتبناه عليه صاعا بصاع وبينا مازوره وافتراه وأقمنا عليه الحجج والبراهين في هدم مابناه *

﴿ والمقصود ﴾ ان يقال للنبهانى ماحمل ابن حجر ان يتهور ذلك التهور والغل الذي أبداه للذين آمنوا ومن سبقه بالايمان فبأى جواب يجيب عن ابن حجر أجبناه عن مصنف جلاء العينين بمثله مع علمه انه لم يلعن ابن حجر ولم يشتمه ولم يقل فيه وفى اضرابه من الغلاة ماقاله الله فى اليهود ضربت عليهم الذلة والمسكنة وباؤا بغضب من الله مع ان ابن تيمية وأصحابه دعوا الى الله وعملوا صالحا وذبوا عن دينه وجاهدوا فى الله وعظموا رسوله صلى الله عليه وسلم كمال التعظيم وهدموا أركان البدع والضلال والكفر ــ وهذه كتبهم التى تتداولها الايدى تشهد بذلك وتكذب ابن حجر وتسود وجهه بسواد لا يبيض أهكذا جزاء الاحسان اهكذا يقال فى حفظة السنة والقرآن. (والنبهانى) ان كان يحسن قراءة العبارة يعلم ان مصنف جلاء العينين لم يقصر فى حسن التعبير والتبجيل الذى ذكره فى ابن حجر مع ان كل منصف يعلم انه ليس أهلا لذلك *

﴿ الوجه الثانى ﴾ يقال للنبهاني ان صدر من مصنف جلاء العينين شئ من ذلك فالذى حمله عليه انصافه ومزيد اطلاعه على أقوال الائمة وما ورد فى الكتاب والسنة والامتثال لقوله تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وما ورد في الحديث من قول النبي صلى الله عليه وسلم (من علمه الله علما فكتمه الجمه الله بلجام من نار) وهو لم يمل الا الى الحق كما هو شأن أهل السنة فانهم يتبعون ماورد ولا يصرفون النصوص الى ماتهواه انفسهم بل يردون المتشابه الى المحكم منها وهذا من علائم اهل الحق الناجين يوم القيامة وقد سبق بيان معنى السنة والبدعة وذكرنا هناك من الاحق بالاتباع ومن المستحق ان يكون من اهل

الابتداع ومصنف جلاء العينين كان ممن يعتقد ان الله واحد أحد فرد صمد لايغيره الابد ليس له والد ولا ولد وانه سميع بصير بديع قدير حكيم خبير على كبير ولى نصير قوى مجير ليس له شبه ولا نظير ولا عون ولا ظهير ولا شريك ولا وزير ولا ند ولا مشير سبق الاشياء فهو قديم بقدمها وعلم كون وجودها فى نهاية عدمها لم تملكه الخواطر فتكيفه ولم تدركه الابصار فتصفه ولم يخل من علمه مكان فيقع به التباين . ولم يعدمه زمان فينطلق عليه التاوين ولم يتقدمه دهر ولا حين ولا كان قبله كون ولا تكوين ولا تجري ماهيته في مقال ولا تخطر كيفيته ببال ولا يدخل فى لامثال والاشكال صفاته كذاته ليس بجسم فى صفاته جل ان يشبه بمبتدعاته . أو يضاف الى مصنوعاته ليس كمثله شيء وهو السميع البصير . أراد ما العالم فاعلوه ولو عصمهم لما خالفوه ولو شاء ان يطيعوه جميعا لاطاعوه . خلق الخلائق وأفعالهم وقدر ارزاقهم وآجالهم لاسمى له فى أرضه وسماواته . على العرش استوى . وعلى الملك احتوى . وعلمه محيط بالاشياء . والقرآن كلام الله تعالى وصفة من صفات ذاته غير محدث ولا مخلوق كلام رب العالمين . فى صدور الحافظين . وعلى ألسن الناطقين . وفى اسماع السامعين وبا كف الكاتبين وبملاحظة الناظرين برهانه ظاهر وحكمه قاهر ومعجزه باهر وان الله تعالى كلم موسى تكليما وتجلى للجبل فجعله دكا هشيما وانه خلق النفوس وسواها والهمها فجورها وتقواها والايمان بالقدر خيره وشره وحلوه ومره وان مع كل عبد رقيبا وعتيدا . وحفيظا وشهيدا يكتبان حسناته . ويحصيان سيئاته . وان كل مؤمن وكافر . وبر وفاجر . يعاين عمله عند حضور منيته . ويعلم مصيره قبل ميتته وان منكرا ونكيرا الى كل أحد ينزلان سوى النبيين . فيسألان ويمتحنان . عما يعتقده العبد من الايمان . وان المؤمن يحبر فى قبره بالنعيم . والكافر يعذب بالعذاب الاليم . وانه لا محيص لمخلوق من القدر المقدور . ولن يتجاوز ما خط فى اللوح المسطور . وان الساعة آتية لا ريب فيها . وان الله يبعث من فى القبور . وان الله جل اسمه يعيد خلقه كما بداهم . ويحشرهم كما ابتداهم . من صفائح القبور وبطون الحيتان في تخوم البحور . واجواف السباع وحواصل الطيور . وان الله تعالى يتجلى فى القيامة لعباده الابرار . فيرونه بالعيون والابصار . وانه يخرج اقواما من النار فيسكنهم دار القرار . وانه يقبل شفاعة محمد المختار . فى أهل الكبائر والاوزار . وان الصراط حق يجوزه الابرار . وان حوض رسول الله صلى الله عليه وسلم حق يرده المؤمنون ويذاد

عنه الكفار . وان الايمان . وهو قول باللسان واخلاص بالجنان . وعمل بالاركان . يزيد بالطاعة وينقص بالاوزار . وان محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم خاتم النبيين . وأفضل المرسلين . وامته خير الامم أجمعين . وأفضلهم القرن الذين شاهدوه . وآمنوا به وصدقوه . وأفضل القرن الذين صحبوه . أربع عشرة مائة بيعة الرضوان بايعوه . وأفضلهم أهل بدر نصروه . وأفضلهم أربعون في الدار كنفوه وأفضلهم عشرة عزروه ووقروه . شهد لهم بالجنة وقبض وهو عنهم راض وأفضل هؤلاء العشرة الابرار . الخلفاء الراشدون المهديون الاربعة الاخيار وأفضل الاربعة أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم على عليهم الرضوان . وأفضل القرون بعدهم القرن الذين يلونهم . ثم الذين يلونهم . ثم الذين يتبعونهم . وان نتوالى أصحاب محمد صلى الله تعالى عليه وسلم باسرهم ولا نبحث عن اختلافهم فى أمرهم . ونمسك عن الخوض فى ذكرهم الا باحسن الذكر لهم ولا ندخل فيما شجر بينهم . اتباعا لقوله تعالى . والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رؤف رحيم . ثبتنا الله تعالي على ذلك . وأدامنا على السلوك فى أقوم المسالك *

هذا مما كان يعتقده مصنف جلاء العينين منذ ميز بين اليمين والشمال وعرف الحرام من الحلال الى ان وضع فى لحده . وهى بعض من عقيدة صنفها والده صاحب التفسير الشهير رحمه الله تعالى فما الذى سوغ للنبهانى وأحل له ان يجعل من يعتقد هذه القعيدة من المبتدعة . ثم ما كفاه ذلك حتى حلف يمينا . وقال ان صاحب جلاء العينين ليس من أهل السنة بل هو والله من أهل البدعة بسبب انتصاره لابن تيمية وعدم تجويزه الاستغاثة بغير الله ودعاء المخلوقين وقد حنث في يمينه ووجب عليه الكفارة ان كان من أهل الايمان والأيمان . مع ان ما هو عليه من الضلال البعيد . والغى الذى ليس عليه من مزيد . وما دل عليه شمره من غلوه والحاده . ومسلكه الذى هو سالك فيه مدة حياته وعليه يموت . ينادى كل ذلك بافصح لسان على انه قد خرج عن ربقة الايمان . ومع ما هو عليه قد فتح فاه في ثلب أهل التوحيد كالكلب عند التثاوب وشتم خيار عباد الله . فسبحان اله الخالق ما أحلمه . وما أجل شأنه وأعظمه *

﴿ الوجه الثالث ﴾ ان من سلف من اخوانه كانوا يقولون مثل مقالته ويعتقدون ان ماهم عليه هو الحق قال تعالى وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على

شيء وهم يتلون الكتاب الآية . وقال ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل ان هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذى جاءك من العلم مالك من الله من ولى ولا نصير . أخبر سبحانه في الآية الاولى ان كلا من اليهود والنصارى يزعمون انهم على الحق دون غيرهم من غير دليل ولا تحكيم للعقل تقليدا لاسلافهم . وهم يتلون الكتاب وفيه ان الحق ما قام عليه الدليل . واقتضاه البرهان . لا انه بالدعاوى الكاذبة . وهكذا النبهانى واضرابه من الغلاة يعتقدون ان الحق ما تلقوه عن اسلافهم وما ورثوه عن مشايخهم . وان قام الدليل على خلافه . والآية الاخرى دلت على ان اليهود والنصارى لا يرضون عن الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ومن آمن به حتى يتبعون ضلالهم وغيهم الذى قامت الحجة على فساده . ودل البرهان على بطلانه . وهم لا ينظرون الى ما يدل عليه الدليل بل قلدوا فيما هم عليه آباءهم . فاخبر الله رسوله صلى الله عليه وسلم انه ان اتبع أهواءهم بعد ما حصل له من العلم واليقين بان ماهو عليه هو الحق . وما عليه المخالفون هو الباطل . لم يكن له معين ولا ناصر ولا ملجأ ولا وزير يدفع عنه مايستحقه المعرضون عن الحق والزائغون عن الصراط المستقيم — وهكذا النبهانى لا يرضى عن كل من خالف باطله وضلاله . واتبع الحق الصريح الذى دل عليه كلام الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم من وجوه كثيرة . حتى يتبع الحاده وزيغه الذي دل على فساده ما يزيد على ألف دليل . مع ان الحق أحق بالاتباع . ورضى الله ورسوله مقدم على رضى اعدائه وخصوم دينه . فلا بدع اذا شتم النبهاني أهل الحق وعبر عنهم بالعبارات الفظيعة . فان له سلفا بذلك . ولله در من قال *

اذا رضيت عنى كرام عشيرتى * فلا زال غضبانا علىّ لئامها

﴿ الوجه الرابع ﴾ انه قال والارواح جنود مجندة فروحه هى من أجناد روح ابن تيمية فلا تأتلف مع أرواح هؤلاء الائمة الاعلام . ولذلك كان منه فى حقهم ما كان مع كونهم فى جانب تعظيم جده الاعظم صلى الله عليه وسلم . وامامه ابن تيمية بعكس ذلك . ولكن الشرف والحسب لا يغنى عن العلم والادب الى آخر عبارته التى لا يتكلم بمثلها صغار الطلبة *

﴿ فنقول ﴾ ان ماذكره فى هذا المقام كلمة حق أريد بها باطل . وذلك ان الله تعالى قال ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين

وحسن أولئك رفيقا ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليما *

ومعنى الآية على مافى التفسير ومن يطع الله بالانقياد لامره ونهيه والرسول المبلغ ما أوحى اليه منه باتباع شريعته والرضا بحكمه فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم بما تقصر العبارة عن تفصيله وبيانه من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين – وفى الحديث جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله انك لأحب الي من نفسي وانك لاحب الي من ولدى وانى لا كون فى البيت فاذكرك فما أصبر حتى آتي فانظر اليك. واذا ذكرت موتى وموتك عرفت انك اذا دخلت الجنة رفعت مع النبيين وانى اذا دخلت الجنة خشيت ان لا اراك فلم يرد عليه النبي صلى الله عليه وسلم شيئا حتى نزل جبريل بهذه الآية ومعنى الصديق والشهيد والصالح مفصل في التفسير وفى الآية فضل ترغيب فى الطاعة ومزيد تشويق اليها ببيان ان نتيجتها اقصى ما تنتهى اليه همم الامم. وارفع ما تمتد اليه اعناق أمانيهم وتشرأب اليه أعين عزائمهم من مجاورة أعظم الخلائق مقدارا. وارفعهم منارا. وليس المراد بالمعية اتحاد الدرجة. ولا مطلق الاشتراك فى دخول الجنة بل كونهم فيها بحيث يتمكن كل واحد منهم من رؤية الآخر وزيارته متى أراد وان بعدت المسافة بينهما. ومنهم من قال لا مانع من ان يرفع الادنى الي منزلة الاعلى متى شاء تكرمة له. ثم يعود ولا يرى انه أرغد منه عيشا. ولا أكمل لذة لئلا يكون ذلك حسرة فى قلبه وكذا لا مانع من ان ينحدر الاعلى الى منزلة الادنى ثم يعود من غير ان يرى ذلك نقصا فى ملكه أو حطا من قدره وقد ثبت فى غير ما حديث ان اهل الجنة يتزاورون والشيخ ابن تيمية قدس الله روحه من أكثر الناس طاعة لله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم كما دلت عليه كتبه ككتاب الصارم المسلول وغيره حتى انه كابد ما كابد من خصومه فى الله سبحانه هذا مع ما كان عليه من التقوى والزهد والورع الذي شهد له به خصومه وهكذا أصحابه وتلامذته رضى الله تعالى عنهم. وقد شهد له كبراء الامة انه كان من أكابر المجتهدين. ومن أئمة الدين. ومن أخيار المسلمين. وخواص المؤمنين على ما سنذكر ذلك فى مناقبه. وفي الحديث أنتم شهداء الله فى أرضه. فمن المرجو من لطف الله تعالى وفضله ان يكون مع الذين أنعم الله عليهم. وكذلك حديث الجنازة التى مرت فاثنوا عليها خيرا فقال صلى الله تعالى عليه وسلم وجبت يؤكد هذا الرجاء. فمصنف جلاء العينين يرجى له ان تكون

روحه مع روح هذا الرجل الذى أطاع الله ورسوله صلى الله عليه وسلم فانه أيضا كان ممن أطاع الله وذب عن دينه ، وعن سنة رسوله صلى الله عليه وسلم واوذى حيا وميتا من أعداء الدين وخصوم الموحدين ، ومنهم هذا النبهانى عدو الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ودينه القويم (والحديث الذى ذكره) رواه البخاري في صحيحه عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف

﴿ قال الخطابي ﴾ في بيان معنى هذا الحديث على ما ذكر فى فتح البارى يحتمل ان يكون اشارة الى معنى التشاكل فى الخير والشر والصلاح والفساد وان الخير من الناس يحن الى شكله والشرير نظير ذلك يميل الى نظيره ، فتعارف الارواح يقع بحسب الطباع التى جبلت عليها من خير وشر فاذا اتفقت تعارفت . واذا اختلفت تناكرت . (قال) ويحتمل ان يراد الاخبار عن بدء الخلق في حال الغيب على ما جاء ان الارواح خلقت قبل الاجسام وكانت تلتقى فتتشام فلما حلت بالاجسام تعارفت بالامر الاول فصار تعارفها وتناكرها على ما سبق من العهد المتقدم قلت القول بتقدم خلق الارواح على الاجساد غير مرضى عند السلفيين فلا التفات لهذا الاحتمال وقال غيره المراد ان الارواح أول ما خلقت خلقت على قسمين . ومعنى تقابلها ان الاجساد التى فيها الارواح اذا التقت فى الدنيا ائتلفت أو اختلفت حسبما خلقت عليه الارواح فى الدنيا قال الحافظ العسقلانى ولا يعكر عليه ان بعض المتنافرين ربما ائتلفا لانه محمول على مبدأ التلاقى فانه يتعلق باصل الخلقة بغير سبب . واما فى ثانى الحال فيكون مكتسبا لتجدد وصف يقتضى الالفة بعد النفرة كايمان الكافر واحسان المسيء وقوله جنود مجندة أي اجناس مجنسة أو جموع مجمعة *

قال ابن الجوزى ويستفاد من هذا الحديث ان الانسان اذا وجد من نفسه نفرة ممن له فضيلة أو صلاح فينبغي ان يبحث عن المقتضى لذلك ليسعى في ازالته حتى يتخلص من الوصف المذموم وكذلك القول في عكسه *

﴿ وقال القرطبي ﴾ الارواح وان اتفقت في كونها ارواحا لكنها تتمايز بامور مختلفة تتنوع بها فتتشاكل اشخاص النوع الواحد . وتتناسب بسبب ما اجتمعت فيه من المعنى الخاص لذلك النوع للمناسبة . ولذلك تشاهد أشخاص كل نوع تألف نوعها وتنفر من مخالفها ثم انا نجد بعض

أشخاص النوع الواحد يتألف وبعضها يتنافر . وذلك بحسب الامور التى يحصل الاتفاق والانفراد بسببها . انتهى *

﴿ فتبين ﴾ مما ذكر في معنى الحديث . ان روح النبهانى الخبيث . لم تتعارف مع أرواح اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم وحفاظ الحديث المتبعين للسنن المعادين للبدع والاهواء المعرضين عن الدنيا وزخرفها الطالبين وجه الله ورضاه وهم أهل الارواح الطيبة الطاهرة فكانت مما تناكر فلذلك خالفهم وعاداهم وشحن كتابه بثلبهم وسبهم وكيف تتعارف روحه الخبيثة مع تلك الارواح الطيبة . وقد صرف عمره فى الاحكام الطاغوتية وترويج الامور الشيطانية . والميل الى الظلمة والمجرمين . ومعادات المسلمين . والله تعالى يقول حكاية عن بعض اصفيائه رب بما أنعمت علىّ فلن اكون ظهيرا للمجرمين . (وقد قال بعض) أهل الفضل والتقوى على العالم أن يتصف بالحلم والزهد والقناعة بالقليل وترك الدنيا لان ذلك سيرة الانبياء وهو اللائق بحال العلماء . فان كثيرا من النصوص مشتملة على ذم الدنيا وطلبها . فطلبها للعالم زيادة على الكفاية جمع بين المتنافيين واغراء للعامه على الانهماك فيها . وان يقتصر في حاجته على قاضى الحوائج المعطى على التحقيق الذى بيده مقاليد السموات والارض كيف وقد تكفل بالرزق قال تعالى (ومامن دابة في الارض الا على الله رزقها) وقال تعالى (ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب . ومن يتوكل على الله فهو حسبه) وأن يكون بعيدا من ولاة الامور داعيا لهم بالنصر والتأييد والعدل والتوفيق . وبعيدا من الظلمة لان قرب العالم منهم والتردد اليهم لاجل السحت وتحسينه لهم ماهم عليه فتنة له ولهم ولغيره ولما خالط الزهرى ولاة الامور كتب اليه صديق له من العلماء يقول عافانا الله واياك من الفتن ونجانا واياك من المحن . فقد اصبحت بحال ينبغى لمن عرفك أن يدعو لك ويرحمك اصبحت شيخا كبيرا وقد اثقلتك نعم الله لما فهمك من كتابه . وعلمك من سنة نبيه واعلم أن ايسر ما ارتكبت واخف ما احتملت . انك آنست وحشة الظالم . وسهلت سبيل الغى بدنوك ممن لم يود حقا . ولم يترك باطلا . حتى قربك وادناك واكرمك وواساك . اتخذوك قطبا تدور عليك رحى باطلهم . وجسرا يعبرون عليك الى بلائهم . وسلما يتوصلون بك الى ضلالتهم يدخلون الشك بك على العلماء ويصطادون بك قلوب الجهلاء فما ايسر ماعمروا منك فى جنب ما خربوا عليك وما

ادنى ما اصلحوا منك فى جنب ما افسدوا عليك من دينك فما يشك أن تكون ممن قال الله تعالى فيهم (فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات) فانك تعامل من لا يهمل ويحفظ عليك من لا يغفل فداو دينك فقد دخله سقم شديد وهئ زادك فقد حضر السفر البعيد (ولا يخفى على الله من شئ وهو الحفيظ المجيد) انتهى . والنبهانى الضليل ليس من أولئك القبيل . بل خسته مشهورة . ودناءته مذكورة . مع ما ضم الى ذلك الضلال من العقائد الفاسدة فى الاله عز اسمه حيث أنه ممن قلد القائلين بالحلول والاتحاد والغلو فى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم حتى اعتقد فيه أنه موجود فى كل زمان ومكان والاغراء على دعاء غير الله والالتجاء الى ما سواه وكل ذلك من متفرعات القول بوحدة الوجود فان القائلين بها لم يخطئوا عبدة الاصنام فى عبادتها . وكل كلام الله تعالى ينطبق على كلام غيره . فعندهم ان ما تكلم به الانسان نظما او نثرا فهو كلامه . وعليه قول الشيخ محيي الدين *

وكل كلام فى الوجود كلامه * سواء علينا نثره ونظامه

فلا شك ان روح النبهانى الخبيثة من جنود هذه الارواح وقد تعارفت مع ارواح الغلاة فأتلفت وتناكرت مع ارواح الاصفياء الطاهرة المقدسة فاختلفت فالحديث كما يصدق على خصمه فهو صادق عليه *

أفلا يستحى من هذا حاله ووصفه . واعتقاده . وجهله وضلاله أن يخاصم أهل الحق وفرسان العلم وأئمة الاسلام . وبحور الفضل وورثة الانبياء . وهو ليس من قبيل هؤلاء الرجال . بل ولا ممن يعد فى صف النعال . وقد حمله شيطانه على القاء نفسه فى هذه المهالك . وقاده الى هذه المعارك . وما أحسن ما قال القائل *

ولقد أقول لمن تحرش للهوى * عرضت نفسك للبلا فاستهدف

﴿ وقال آخر ﴾

أقول لمحرز لما التقينا * تنكب لا يقطرك الزحام

﴿ ثم ان قوله ﴾ مع كونهم فى جانب تعظيم جده الخ (جوابه) ان تعظيم جده انما يكون بالذب عن شريعته والمحافظة على سنته . لا بمخالفته فيما أمر به ونهى عنه فهذا هو العصيان وعدم المحبة قال الله تعالى (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم)

وتعظيمه وتوقيره انما يكون بالاتباع لا بالابتداع ولا بمخالفة ماجاء به هو وغيره من الانبيا والرسل عليهم السلام من المحافظة على التوحيد وعدم اثبات خصائص الالوهية لغيره . الا ترى ان الفاطميين من العبيديين كانوا يزعمون انهم من العترة فلما أحدثوا ما أحدثوا وابتدعوا ما ابتدعوا خرجوا عن دينه وصاروا من أعدائه بسبب الاعراض عن شريعته على أن الحق يقبل من أي شخص كان فالنظر الى ما قاله القائل لا الى القائل . ومما ينسب الى الامام على كرم الله وجهه لا تنظر الى من قال . وانظر الى ما قال . والله عز اسمه يقول (يا أيها الناس انا خلقنا كم من ذكر وأنثى وجعلنا كم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله أتقاكم)

فالبيت الذى أورده هو صادق عليه لا على مصنف جلاء العينين فقد كان رحمه الله هاشميا علما وعملا وقولا وفعلا والبيت هو هذا *

لا تنفع الانساب من هاشم * ان كانت الانفس من باهله

وباهلة من قيس عيلان وهو في الاصل اسم امرأة من همدان كانت تحت معن بن أعصر بن سعد بن قيس عيلان فنسب ولده اليها وقولهم باهلة بن أعصر انما هو كقولهم تميم بنت مر فالتذكير للحى والتأنيث للقبيلة سواء كان الاسم فى الاصل لرجل أو لامرأة وفى كتب الحنفية وقريش بعضهم ا كفاء بعض ولا تفاضل فيما بينهم من الهاشمي والنوفلي والتيمى والعدوى وغيرهم وبقية العرب بعضهم ا كفاء بعض فالباهلى كفو للتميمية والطائية والقيسية وغير ذلك * فالنبهانى المخذول ان كان منتسبا لنبهان بن جرم بن عمر بن الغوث وبنو نبهان بطن من طي فليس لقبيلته فضل على بنى باهلة بل هم سواء فى نظر الشرع ولا العقل هذا ان سلم له دعوى هذا النسب وان قلنا انه نبطي من أنباط الشام أو من الجرامقة كما هو الظاهر وان النسبة الى نبهان جبل مشرف على حق عبد الله بن عامر بن كريز ويتصل به جبل رنقاء الى حائط عوف فلا خفاء فى كونه حينئذ أخس بنى ادم فضلا من ان يكون أخس العرب *

والمقصود ان النبهانى على كلا النسبتين فلا رجحان لقومه على بنى باهلة ومن جعل بنى باهلة أخس العرب وانهم ليسوا كفوا للعرب فهو غالط فان النص الذى ورد عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لا تفصيل فيه مع انه صلى الله عليه وسلم كان أعلم بقبائل العرب وأخلاقهم وقد أطلق ومن جعلهم أخس العرب قال لانهم كانوا يأ كلون بقية الطعام مرة ثانية وكانوا يأخذون

عظام الميتة يطبخونها ويأخذون رسوماتها ولذا قيل *

اذا قيل للكلب ياباهلى * عوى الكلب من شؤم هذا النسب

وما رموا به ان صح عنهم فليس بعيب شرعي كما ان التعبير بشرب البان الابل وا كل لحومها كذلك كما قال شاعرهم *

تعيرنا البانها ولحومها * وذلك عار يا ابن ريطة زائل

وكما كانت تعير قريش بالسخينة وهو طعام كانوا يتخذونه ايام الجدب وكل ذلك بسبب ما كانوا عليه من الجاهلية والا فالعيب هو الذى يجعله الشرع عيبا كالعيوب التى كانت فى بنى نبهان منها عبادتهم للفلس وهو صنم لهم كان بنجد قريبا من فيد وكان سدنته بنى بولان وهم وبنو نبهان ابناء عم وكانوا يعبدونه ويهدون اليه ويعترون عنده عتائرهم ولا يأتيه خائف الا أمن ولا يطرد أحد طريدة فيلجأ بها اليه الا تركت ولم تخفر حويته وبولان ابن عم نبهان هو الذى بدا بعبادته فلم يزل الفلس يعبد حتي ظهرت دعوة النبي صلى الله عليه وسلم فبعث اليه على بن أبى طالب فهدمه وأخذ سيفين كان الحارث بن أبي شمر الغسانى ملك غسان قلده اياها يقال لهما مخذم ورسوب وهما اللذان ذكرهما علقمة ابن عبدة فقدم بهما الى النبي صلى الله عليه وسلم فتقلد أحدهما ثم دفعه الى على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه فهو سيفه الذى كان يتقلده ولهم أصنام اخرى ليس هذا المقام موضع ذكرها . والمقصود ان بنى نبهان وبنى باهلة كانوا على منهج واحد . فما يذم به أحدهما يذم به الآخر . بل ربما كان فى بنى باهلة رجال أكابر تعقد عند ذكرهم الخناصر فى العلم والدين والشجاعة والفروسية وغير ذلك من الشيم والسخاء والكرم . ولم يكونوا فى الجاهلية جميعا معروفون بالخساسة بل فيهم الاجواد رفيعوا العماد وكون فصيلة منهم أو بطن صعاليك فعلوا ذلك لا يسرى في حق الكل فتعيير القبيلة بعيب صدر عن واحد منهم من خصال الجاهلية كما عيروا بنى فزارة بما فعل واحد منهم فعلا منكرا فقال قائلهم *

لا تأمنن فزاريا خلوت به * على قلوصك واربطها باسيار

هذا كله ان قلنا بصحة النسب الى نبهان الطائى وصدقنا دعواه الكاذبة وان قلنا انه نبطى منسوب الى ذلك فبنو باهلة أفضل منه وأشرف في الحسب والنسب بل فى الدين والادب

والبيت له رواية كما ذكرناها ورواية اخرى هكذا *

ولا تنفع الانساب من هاشم * اذا كانت النفس من باهله

﴿ ومنها ماقاله ﴾ فى صاحب جلاء العينين أيضا وليس حكمه على ابن حجر فقط والسبكى وابنه بل على جميع أهل السنة والجماعة من الشافعية والحنفية والمالكية وجمهور الحنابلة أيضا وما طالع كتابه هذا بانصاف يعلم يقينا انه أخطأ فيه فى حق نفسه وحق أبيه وحق المسلمين عموما وسيد المرسلين خصوصا وانه لوث نفسه باقذار البدع الوهابية التى لا يغسلها عنه بحار الدنيا الى يوم القيامة وكما آذى نفسه بذلك أشد الاذى آذى كل من اطلع على كتابه من المسلمين أهل المذاهب الاربعة حتى المنصفين من الحنابلة بذمهم اياه وخوضهم في عرضه مابقيت الدنيا وبقى فيها هذا الكتاب ثم قد استعاض ذلك برضا صديق حسن عنه وطائفته الوهابية فهذا هو ربحه من تلبيسه على المسلمين بهذا الكتاب وتوهيمهم ان ماعليه ابن تيمية وطائفته من البدعة الشنيعة فى مسألة الزيارة والاستغاثة وغيرهما مما خالفوا به أهل السنة هو الحق وتطاوله على أئمة المسلمين مثل السبكى وابنه وابن حجر الى قوله هذا لعمرى مما لا يختاره عاقل لاخيه فضلا عن نفسه وأبيه *

﴿ فيقال للنبهانى ﴾ هذا مبلغ علمك . دأبك تكرير هذياناك وقد أجبنا عن ذلك كله فى غير موضع من هذا الكتاب مع كونه صرير باب أو طنين ذباب بل انه أشبه شئ بنبح الكلاب وقلنا انه لم يحكم على من ذكرهم بحكم بل نقل ماكان بين الفريقين وما ذكره أهل العلم الاكابر وأئمة المسلمين في المسائل التى تنازعوا فيها ولو لم يصنف صاحب جلاء العينين كتابه هل كانت تبقى تلك المسائل مجهولة لاهل العلم والافاضل المدققين ألم تكن هذه المسائل مفصلة فى الكتب ومذكورة فيها على أتم وجه هذا كتاب القول الجلى الذى صنفه السيد صفى الدين قبل ان يخلق صاحب جلاء العينين بمدة من السنين قد اشتمل على جميع مااشتمل عليه جلاء العينين اجمالا — وكذلك الدرة المضية وكذلك الرد الوافر للحافظ ابن ناصر الدين الشافعى وكذلك افاضة العلام من مصنفات الشيخ ابراهيم الكوراني ومسلك السداد له الى غير ذلك من الكتب المصنفة فى هذا الباب قديما وحديثا فلم لم يذكر النبهاني تلك الكتب ومصنفيها وماالذى حمله ان يتخذ جلاء العينين ومصنفه سبابة المتندم واكثر عليه الهياط والمياط حتى

يتخيل للناظر فى كلامه هذا ان السماء انفطرت وان الكواكب قد انتثرت وان القبور بعثرت وان الوحوش حشرت فما هذه المسائل التى ذكرها مصنف جلاء العينين وقد قامت على النبهاني منها قيامته الكبرى . وما أهمية زيارة القبور والاستغاثة بالموتى حتى يقام لها ويقعد . ويهاج ويعربد . وماأرى ذلك الا من مزيد الحسد . ولله در الحسد ماأعدله بدأ بصاحبه فقتله ومن الحرى ان ينشد على لسان صاحب جلاء العينين *

ان يحسدونى فانى غير لائمهم * قبلى من الناس أهل الفضل قد حسدوا
فدام لى ولهم مابى وما بهم * ومات اكثرنا غيضا بما يجد

ثم ان قوله ومن طالع كتابه هذا بانصاف يعلم يقينا انه أخطأ فيه الخ مردود فقد طالعه كثير من أهل الفضل المنصفين فاستصوبوه . وأثنوا عليه وعرفوا الحق الذي فيه وحسنوا ظنهم بائمة المسلمين . وخيار المؤمنين ودعوا له ولوالديه ولمن نشر كتابه . واستفادوا الفوائد التى لم يكونوا عارفين بها ولا واقفين عليها . وعدوا ذلك خدمة للمسلمين عموما ولسيد المرسلين صلى الله عليه وسلم خصوصا حيث ذب عن دينه وشريعته الغراء . ماكدر صفوها . وأماط الاذى عنها . وقالوا كما قال الامام أحمد نضر الله وجهه . الحمد لله الذى جعل في كل زمان فترة من الرسل بقايا من أهل العلم يدعون من ضل الى الهدى . ويصبرون منهم على الاذى . يحيون بكتاب الله عزوجل الموتى . ويبصرون بنور الله أهل العمى. فكم من قتيل لابليس قد أحيوه . وكم من ضال تائه قد هدوه فما أحسن أثرهم على الناس وأقبح أثر الناس عليهم ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين الذين عقدوا ألوية البدعة وأطلقوا اعنان الفتنة فهم مختلفون فى الكتاب مخالفون للكتاب مجمعون على مفارقة الكتاب يقولون على الله وفى الله وفى كتاب الله بغير علم يتكلمون بالمتشابه من الكلام ويخدعون جهال الناس بما يشبهون عليهم فنعوذ بالله من فتن المضلين انتهى *

﴿ فانظر أيها المنصف ﴾ الى وصف الجاهلين الذي في هذه الخطبة وطبقه على مايقوله النبهانى تجد الامام نضر الله وجهه كانه قد عناه وقصده بلفظه ومعناه وفى الحديث اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله وانى قد طالعت كثيرا من كتب هؤلاء الغلاة الجهلة ولم أر فيها كالهذيان الذى هذى به هذا الزائغ ومع ذلك رددتها بتوفيق الله وشفيت منها صدور المؤمنين

وكلام هذا الزائغ ظلمات بعضها فوق بعض فكل ما كتبته عليه من الرد أراني قد أتيت بقليل من كثير ما استوجب فالله المستعان عليه *

* وقد تذكرت * عند وصولي الى هذا المقام ما كان يقوله سلف النبهاني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فأحببت ذكره هنا وادراجه في الكتاب ليعلم الناظر البصير ان أعداء الحق في كل عصر على وتيرة واحدة . وقلوبهم متشابهة فيما يرد عليها من الخواطر والشؤن *

الا انما الايام أبناء واحد * وهذي الليالي كلها أخوات

فلا تطلبن من عند يوم ولا غد * خلاف الذي مرت به السنوات

روى الامام أحمد من حديث محمد بن اسحق قال حدثني يحيي بن عروة عن أبيه عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قلت له ما اكثر ما رأيت قريشا أصابت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما كانت تظهر من عداوته قال حضرتهم وقد اجتمع اشرافهم يوما في الحجر فذكروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ما رأينا مثل ما صبرنا عليه من أمر هذا الرجل قط قد سفه أحلامنا . وشتم آباءنا . وعاب ديننا وفرق جماعاتنا . وسب آلهتنا . لقد صبرنا منه على أمر عظيم أو كما قالوا فبينما هم في ذلك اذ طلع عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقبل يمشي حتى استلم الركن . ثم مر بهم طائفا بالبيت فلما ان مر بهم غمزوه ببعض ما يقول قال فعرفت ذلك في وجهه ثم مضى فلما مر الثانية غمزوه بمثلها فعرفت ذلك في وجهه ثم مضى فمر بهم الثالثة فغمزوه بمثلها فقال تسمعون يامعشر قريش أما والذي نفس محمد بيده لقد جئتكم بالذبح فاخذت القوم كلمته حتى ما منهم رجل الا كانما على رأسه طائر واقع حتى ان أشدهم فيه وصاة قبل ذلك ليرفأه باحسن ما يجد من القول حتى انه ليقول انصرف انصرف يا أبا القاسم انصرف راشدا فوالله ما كنت جهولا فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا كان من الغد اجتمعوا في الحجر وأنا معهم فقال بعضهم لبعض ذكرتم ما بلغ منكم وما بلغكم حتى اذا بادأكم بما تكرهون تركتموه فبيناهم في ذلك طلع رسول الله صلى الله عليه وسلم فوثبوا اليه وثبة رجل واحد فاحاطوا به يقولون له أنت الذي يقول كذا وكذا لما كان يبلغهم عنه من عيب آلهتهم ودينهم قال فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم انا الذي أقول ذلك قال فلقد رأيت رجلا منهم أخذ بمجمع ردائه وقام أبو بكر الصديق دونه يقول وهو يبكي اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله ثم انصرفوا عنه *

﴿ وعن الربيع ﴾ بن انس رضى الله تعالى عنه قال اراد صاحب اليمن ان يأوى النبي صلى الله عليه وسلم فاتاه الوليد فزعم ان محمدا ساحر واتاه العاص بن وائل فاخبره ان محمدا تعلم اساطير الاولين واتاه آخر فزعم انه كاهن وآخر انه شاعر وآخر زعم انه مجنون فاهلكهم الله كل منهم أصابه عذاب سوى عذاب صاحبه . وذكر تفصيل عذابهم *

والكلام على ما كابد رسول الله صلى الله عليه وسلم من قريش وغيرهم من مشركي العرب مذكور فى غير هذا الموضع وقد نصره الله عليهم وانتقم منهم كما ينتقم من اعداء ورثته والعاملين بسنته ويهلك خصومهم كالنبهانى وغيره من الغلاة الذين هم على طريقة اسلافهم عبدة الاصنام وعلى مسلكهم المذموم وفى كتب السير قد بين مااصاب اعداء الرسول من البلاء المبين قال الشيخ فى كتابه (الجواب الصحيح) ويدخل فى هذا الباب مالم يزل الناس يرونه ويسمعونه من انتقام الله ممن يسبه ويذمه ويذم دينه بانواع من العقوبات . وفي ذلك من القصص الكثيرة مايضيق هذا الموضع عن بسطه وقد رأينا وسمعنا من ذلك مايطول وصفه من انتقام الله ممن يؤذيه بانواع من العقوبات العجيبة التى تبين كلاءة الله لعرضه وقيامه بنصره وتعظيمه لقدره ورفعه لذكره وما من طائفة من الناس الا وعندهم من هذا الباب مافيه عبرة لاولى الالباب قال ومن المعروف المشهور المجرب عند عساكر المسلمين بالشام اذا حاصروا بعض حصون أهل الكتاب انه يتعسر عليهم فتح الحصن ويطول الحصار الى ان يسب العدو رسول الله صلى الله عليه وسلم فحينئذ يستبشر المسلمون بفتح الحصن وانتقام الله من العدو فانه يكون ذلك قريبا كما قد جربه المسلمون غير مرة تحقيقا لقوله تعالى ان شانئك هو الابتر ولما مزق كسرى كتابه مزق الله ملك الاكاسرة كل ممزق . ولما اكرم هرقل والمقوقس كتابه بقي لهم ملكهم انتهى فها نحن ننتظر انتقام الله تعالى من النبهانى واضرابه الغلاة . فقد عادوا اهل الحق وورثة نبيهم صلى الله عليه وسلم وحفاظ دينه وان يعاملهم بعدله فقد أساؤا القول فيهم وافتروا عليهم ورموهم بالعظائم ولا باعث لذلك سوى الدعوة الى الله وتوحيده وافراده بالعبادة . والنبهانى منهم يقول ان كل ذلك ليس من خصائص الاله مع كونه من أعداء الله ورسوله حيث خالف الشريعة الغراء وصرف شطرا من عمره فى حكمه بالقوانين المخالفة لما شرعه الله تعالى مع مااتصف به من المساوى والمنكرات *

﴿ ومنها انه قال ﴾ وقد لعمرى آذى أباه وعقه بتلك النقول التى كان الناس عنها فى غفلة لانها مفرقة فى تفسيره فجمعها فى كتابه مفتخرا بها ومثبتا عند(صديق حسن) وطائفته ان أباه هو أيضا على مذهبهم ومشربهم فى ذلك . وقد سمعت بسبب هذا من بعض علماء مكة كلاما فظيعا في حقه وحق أبيه الى آخر ماقاله في هذا الباب *

﴿ فيقال له ﴾ ان ماذكر فى روح المعانى من المسائل التى خالف فيها الغلاة أهل الحق كمسألة دعاء غير الله والالتجاء الى ماسواه والحلف بغيره والنذر لغيره ونحو ذلك من خصائص الاله المعبود هى مذكورة صريحا فى القرآن العظيم وكتب الحديث الصحيحة ومصنفات الائمة طافحة بها — وكذلك مسألة الكلام والعلو وسائر ماورد من الصفات فيها كتب كثيرة ومصنفات شهيره على ماسبق بيانه ومضى دليله وبرهانه فصاحب جلاء العينين ذكر منها نبذة يسيره والمسائل التي فاتته منها كثيرة وروح المعانى ليس منفردا بذكر ماقام على صحته الحجج القطعية والبراهين العقلية والنقلية ومن طالع البيضاوى والكشاف وتفسير ابن جرير وغير ذلك يجد الامر واضحا كفلق الصباح ولولا ان يطول الكتاب لنقلنا كل ذلك غير ان هذه التفاسير تتداولها الايدى والمنصفون من أهل البصائر يعلمون ذلك فمصنف جلاء العينين لم يعق والده بل نشر فضله وسعى فى انتفاع الناس به وانه سلك مسالكه فى حب انتفاع اخوانه المسلمين ونصيحتهم

بابه اقتدى عدى فى الكرم * ومن يشابه ابه فما ظلم

وقد كان صاحب روح المعانى رحمه الله تعالى سلفى الاعتقاد . مشارا اليه بالبنان في العلم والعمل من بين علماء الاقطار والبلاد . (وقد) رأيت له رسالة بخطه الفها فى بيان عقيدته ومذهبه وكيفية اشتغاله واجازاته فى العلوم العقلية والنقلية وتراجم من أخذ عنهم العلم وترجمة مذهبه الامام الشافعى والامام الاشعرى رحمهما الله تعالى . وبين فيها بعد ان ذكر عقيدته التى تلقاها من الكتاب والسنة وادعى انها عين اعتقاد الامام الاشعرى ان اعتقاد الامام الاشعرى لاتخالف ماعليه الامام أحمد رحمه الله . ونص عبارته *

﴿ فان قلت ﴾ ليس جميع ماذكرته مذهب الامام الاشعري كما يفصح بذلك تتبع الكتب . بل هو مذهب الامام احمد بن حنبل ﴿قلت﴾ مذهب الامام الاشعرى عند المحققين والعلماء المنصفين هو مذهب الامام كما يبين ذلك كتابه الابانه فى أصول الديانه وهو آخر كتاب صنفه

وعليه تعتمد أصحابه في الذب عنه عند من يطعن عليه *

قال فيه فصل في أبانة قول أهل الحق والسنة . فان قال قائل قد انكرتم قول المعتزلة والقدرية والجهمية والحرورية والرافضة والمرجئة فعرفونا قولكم الذى به تقولون ودياتكم التي بها تدينون قيل له قولنا الذى نقول به وديانتنا التى ندين بها التمسك بكلام ربنا وسنة نبينا وما روي عن الصحابة والتابعين وأئمة الحديث . ونحن بذلك معتصمون وبما كانوا يقول ابو عبدالله احمد بن حنبل نضر الله وجهه ورفع درجته قائلون ولما خالف قوله مخالفون لانه الامام الفاضل والرئيس الكامل الذى ابان الله تعالى به الحق ورفع به الضلال واوضح به المنهاج وقمع به بدع المبتدعين وزيغ الزائغين وشك الشاكين فرحمة الله تعالى عليه من امام مقدم وجليل معظم وكبير مفخم وجملة قولنا . انا نقر بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله وبما جاء من عند الله تعالى وبما رواه الثقات عن رسول الله صلى الله تعالي عليه وسلم لا نرد من ذلك شيئا وانه واحد لااله الا هو فرد صمد لم يتخذ صاحبة ولا ولدا وان محمدا عبده ورسوله ارسله بالهدى ودين الحق وان الجنة حق وان النار حق وان الساعة آتية لاريب فيها وان الله يبعث من فى القبور . وان الله مستو على عرشه كما قال . الرحمن على العرش استوى وان له وجها كما قال ويبقي وجه ربك ذو الجلال والاكرام وان له يدين بلا كيف كما قال بل يداه مبسوطتان وان له عينين بلا كيف كما قال تجرى باعيننا وان من زعم ان اسماء الله تعالى غيره كان ضالا وندين بان الله تعالى يقلب القلب بين أصبعين من أصابع الله عز وجل يضع السموات على أصبع والارضين على أصبع كما جاءت الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وان الايمان قول وعمل يزيد وينقص ونسلم الروايات الصحيحة عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم التى رواها الثقات عدلا عن عدل ونصدق بجميع الروايات التى رواها واثبتها أهل النقل من النزول الى السماء الدنيا وان الرب عز وجل يقول هل من سائل هل من مستغفر وسائر ما نقلوه واثبتوه خلافا لاهل الزيغ والتضليل . ونقول ان الله تعالي يجيء يوم القيامة كما قال وجاء ربك والملك صفا صفا . وان الله تعالى يقرب من عباده كيف شاء كما قال ونحن أقرب اليه من حبل الوريد . وكما قال ثم دنى فتدلى فكان قاب قوسين او ادنى . انتهى ملخصا *

﴿ قال صاحب تفسير روح المعاني ﴾ رحمه الله وقد ذكر ابن عساكر فى كتابه تبيين كذب

المفترى . فيما نسب للامام الاشعرى . ما يقرب من ذلك وان لم يكن بلفظه . ثم قال عقبه هذا ماعليه امامنا الاشعري ومتقدموا أصحابه لكن كثرت المقالة بين متأخرى الاشاعرة والحنابلة حتى أدى ذلك الى تضليل كل من الفريقين صاحبه . وذلك فى مسائل تمسكت فيها الحنابلة بظواهر الكتاب والسنة كالاستواء والنزول والقدم والوجه والعينين وغير ذلك من أحاديث الصفات . قال ولقد أجاد ولى الله بلا نزاع . وحامل لواء الشريعة والحقيقة بلا دفاع . الملا ابراهيم ابن حسن بن شهاب الدين الكورانى الشهرانى الشهر زورى الكردى نزيل المدينة الشافعى بالفحص عن كل ما ينسب الى الحنابلة فجمع رسائل عديدة وكتبا مفيدة وطالعها ودقق النظر فيها ثم ألف رسالة فى ذلك . وقال فيها لما امعنت النظر فى رسائل القوم ومصنفاتهم وجدتهم براء من كثير مما رمتهم أصحابنا الشافعية من التجسيم والتشبيه وانما القوم متمسكون بمذهب كبراء المحدثين كما هو المعروف من حال امامهم رضى الله تعالى عنه من ابقاء الآيات والاحاديث على ظواهرها والايمان بها كذلك مفوضين فيما اشكل معناه . وهذا لا يذمه أحد من الاشعرية بيد ان الحنابلة مشددون فى رد التأويل فى كل ذلك مجهلون من يذهب اليه فيقولون الله تعالى ورسوله وسلف الامة ادرى بمعانى الآيات والاحاديث من هؤلاء المؤولين وما ورد عنهم انهم أولوا شيأ من ذلك فاما أن يكون ذلك لان معناه خفى عليهم فكيف ظهر لهؤلاء ما خفى على أولئك . واما لانها على ما يظهر من معناها لان الشرع جاء بلغة العرب فمراد الله تعالى بهذه الالفاظ هى المعاني التي تريدها منها العرب فى لغتهم وتطلق بحسب ما يليق به فالمراد بالاستواء والفوق والنزول معانيها المقصودة فى كلام العرب . فاذا قلت زيد فوق السرير فمعناه مستقر عليه متمكن منه مستعل . ولما علمنا ان زيدا جرم من الاجرام والسرير كذلك تحقق لنا ان الفوقية فى حقه واستقراره فوق السرير يوجب مماسته له وتحيزه فى جهة من جهاته وغير ذلك من الاوصاف التى توجب استقرار جرم على جرم . واما المولى جل جلاله فماهيته ذاته غير مدركة لاحد من الخلق فكيف يقال بان استقراره فوق العرش يوجب مماسته له وتحيزه فى جهة لان ذلك استقرار الجسم . واما استقرار من ليس بجسم فلا نحكم بانه يوجب كذا وكذا حتى نعلم ماهيته والماهية غير معلومة فنثبت له استقرارا حقيقيا فوق كل عرشه لانه أثبته لنفسه فى كتابه وعلى لسان رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم على وجه يليق بذاته

ويقتضيه كمال صفاته . وكذلك يقولون فى النزول ونظائره *

﴿ قال ﴾ وقد بالغ ابن القيم عفى الله تعالى عنه ورحمه فى الرد على أئمتنا الاشعرية في مثل هذا وأتى بعبارة سوء حتى قال لام الاشعرية كنون اليهودية ولقد أساء سامحه الله تعالى فى الخطاب وتنكب بمحض العصبية عن الصواب . لان الاشعرية لم يجحدوا استوى بل به يقرؤن والى الله عز وجل يتقربون ولكن بعضهم اول المعنى لما رأى الظاهر منه محالا على الله تعالى . فقال معنى استوى استولى لورود اللفظين معا فى لغة العرب . وأمثال هذه التعصبات الفاسدة هى التى اوقعت الفريقين فيما وقعوا فيه . والا فالكل على هدى ان شاء الله تعالى لان المفوض مسلم لمراد الله تعالى تارك لما لم يكلف بعلمه . والمتأول متبع لما علم صحته وثبوته من الكتاب والسنة حامل عليه مالم يتضح معناه حتى تكون العقيدة كلها على نسق واحد ولا يسوغ الى فهم القاصر معنى لا يليق بالرب فيثبته له فالتأويل لاجل هذا حسن حراسة عن اعتقاد مالا يجوز اعتقاده . فاذا سمع قاصر الفهم استوى لم يتبادر الى فهمه الا المعنى المستحيل . فاذا سمع قول العالم معناه استولى عليه بالقهر والغلبة زالت تلك الشبهة من قلبه . وهذا الذي أولنا به الاستواء وان لم يكن هو مراد الله تعالى ورسوله صلى الله تعالى عليه وسلم فهو لا شك معنى ثابت لله متصف به لا ينافى ما هو معناه عند الله تعالى فلا كبير ضرر فى ذلك ولا تحكم اذ لم نقل ليس له معنى الا هذا بل نقول يحتمل أن يكون معناه هذا وهذا صدق لانه محتمل كما لا يخفى *

﴿ وقال أيضا ﴾ ولقد اطلعت على رسالة للشيخ ابن تيمية وهى معتبرة عند الحنابلة وطالعتها كلها فلم أر فيها شيئا مما ينبذ ويرمي به فى العقائد سوى ما ذكرنا من تشديده فى رد التاويل وتمسكه بالظواهر مع التفويض والمبالغة فى التنزيه مبالغة يقطع معها بانه لا يعتقد تجسيما ولا تشبيها بل يصرح بذلك تصريحا لا خفاء فيه . والعجب ممن يترك صريح لفظه بنفى التشبيه والتجسيم ويأخذ بلازم قوله الذي لا يقول به ولا يسلم لزومه . وعلى كل حال فهو كما قال كثير من المشائخ فى الشيخ محيي الدين . قال سيدنا العلامة الشيخ عبد الله بن محمد العياشي وكثيرا ما كنت أسمع من شيخنا العلامة سيدى عبد القادر رضى الله تعالى عنه يقول محكم كلامه يقضى على متشابهه . ومطلقه يرد الى مقيده ومجمله الي مبينه . ومبهمه الى صريحه كما هو شأن كل كلام ظهرت عدالة صاحبه *

فالحنابلة مبرؤن مما نسب اليهم . وكذا الاشعرية أيضا منزهون مما يرمون به من التعطيل والتحريف لكلام الله تعالى عن مواضعه والكل على هدى يدينون دين الحق . والمخالفون شرزمة قليلة لا يعبأ بهم كما قال الشيخ تاج الدين السبكي في كتابه معيد النعم . ومبيد النقم . ثم نقل كلامه الى آخره انتهى كلام الكوراني * وقال بعد ان فرغ من نقله . وأقول من أراد أن يشرح صدره ويتبين له تبينا لا مراء فيه صحة مذهب الاشعرية . وانه مذهب أهل السنة والجماعة فليطالع كتاب الامام أبي القاسم ابن عساكر المسمى بتبيين كذب المفترى . فيما نسب الى ابى الحسن الاشعري فقد اتى فيه من أدلة الكتاب والسنة وأقاويل السلف والخلف ما لا يمترى معه عاقل خال من التعصب انه امام السنة ورئيس الجماعة المضمون لها العصمة من الله تعالى *

﴿ ثم نقل ﴾ صاحب روح المعاني في رسالته كلام الكوراني في الثناء على عقائد الاشعري وانه على ما عليه السلف واطال الكلام في ذلك الى أن قال ولولا خوف السآمة وحذر الملامة لاتيت في هذا المقام بما يبرئ الكلام ويروي الاوام ولكن ما كل ما يعلم يقال ولكل زمان دولة ورجال . بل لعمري فيما ذكرنا كفاية للمسترشدين . وهداية للمستهدين . واما الذين هووا في مهاوى الجهل . وعقلوا بعقال الحسد والتعصب عن التمسك بزمام العقل * واشتغلوا بالاغراض واغتروا بالاعراض . فلا ينفعهم اختصار ولا أطناب . ولا كتاب . ولا خطاب . فليس لدائهم من دواء . الا السيف والدعاء *

الحمد لله هذى العين لا الاثر * فما الذي باتباع الحق ينتظر
وقت يفوت واشغال معوقة * وضعف عزم ودار شأنها الغير
والناس ركضى الى مهوى مصارعهم * وليس عندهم من ركضهم خبر
تسعى بها خادعات من سلامتهم * فيبلغون الى المهوى وماشعروا
والجهل أصل فساد الناس كلهم * والجهل أصل عليه يخلق البشر
وانما العلم عن ذى الرشد يطرحه * كما عن الطفل يوما تطرح السرر
وأصعب الداء داء لا يحس به * كالدق يضعف حسا وهو يستتر
وانما لم تحس النفس موبقها * لان أجزاءه قد عمه الضرر

﴿ هذا مانقلناه ﴾ من رسالة صاحب تفسير روح المعانى . وبه يرغم أنف الزائغ النبهانى

حيث تبين به ان الامام الاشعرى على ماعليه السلف . وان من خالفه من المنتسبين اليه فقد غير وحرف . فمصنف جلاء العينين ان وافق والده فى تلك العقيدة السالمة من وصمة البدع فقد وافق الحق الحقيق بالقبول واتبع غير ان النبهاني لجهله وافلاسه من كل فضل يري ان الحق لم يعده وان ما عليه هو الفصل والعدل *

﴿ وأما قوله ﴾ وقد سمعت بسبب هذا من بعض علماء مكة كلاما فظيعا فى حقه الخ

(فيقال له) عنه وعن والده هذا الكلام مردود من وجوه *

﴿ الوجه الاول ﴾ انا نستفسر من النبهانى هذا ونسأله على فرض صدق كلامه وصحة نقله ونقول له من سلم من لسان الورى ومن أمن معرة كلام الناس ومن الذى اتفق على محبته وموالاته جميع الانام هذا اله العالمين وخالق السموات والارضين قد حكى فى كتابه الكريم عن أعدائه وماتقولوا به فى شأنه مما لايخفى على من له بصيرة (من ذلك ماكان من اليهود) مما هو مذكور فى توراتهم وماهو مذكور فى القرآن من افترائهم على الله تعالى وعلى رسله صلوات الله وسلامه عليهم فقد جعلوا داود النبي ولد زنا كما جعلوا المسيح ولد زنا ولم يكفهم ذلك حتى نسبوا ذلك الى التوراة كما جعلوا ولدى لوط ولدى زنا ثم نسبوا داود وغيره من أنبيائهم الى ذينك الولدين وقالوا ان الله استراح فى اليوم السابع من خلق السموات والارض فأنزل الله تعالى على رسوله تكذيبهم بقوله ومامسنا من لغوب أي تعب وقالوا ان الله فقير وقد حكاه سبحانه عنهم فى كتابه الكريم بقوله لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء سنكتب ماقالوا وقتلهم الانبياء بغير حق ونقول ذوقوا عذاب الحريق ذلك بما قدمت أيديكم وان الله ليس بظلام للعبيد أنزل الله تعالى هذه الآية لما قالوا مابنا الى الله تعالى من فقر وانه الينا لفقير ومانتضرع اليه كما يضرع الينا وانا عنه لاغنياء ولو كان غنيا عنا مااستقرض منا ولما كان هذا القول منهم فى غاية العظم والهول قال سنكتب ماقالوا الخ أي لن يفوتنا أبدا تدوينه واثباته *

وقالوا ان الله بخيل ليس بجواد ولا كريم . قال تعالى وقالت اليهود يد الله مغلولة فرد عليهم بقوله غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا . بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء . وقالوا ان العزير كان ابن الله وانهم أبناء الله وأحباؤه . قال تعالى . وقالت اليهود عزير ابن الله . وقالت النصارى

المسيح ابن الله . وقال تعالى . وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه . قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممن خلق . وقالوا ان الله عهد الينا ان لا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار . فرد الله عليهم بقوله قل قد جاءكم رسل من قبلى بالبينات وبالذى قلتم فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين . وقالوا لن تمسنا النار الا أياما معدودة . وقالوا ان الله تعالى بكى على الطوفان حتى رمدت عيناه وعادته الملائكة . وقالوا ان الله ندم على خلق بنى آدم . وادخلوا هذه الفرية فى التوراة . وقالوا عن لوط انه وطئ ابنتيه . واولدهما ولدين نسبوا اليهما جماعة من الانبياء وقالوا فى بعض دعاء صلاتهم انتبه كم تنام يا رب استيقظ من رقدتك فتجرؤا على رب العالمين بهذه المناجاة القبيحة كأنهم ينخونه بذلك لينتخى لهم ويحتمى كأنهم يخبرونه انه قد اختار الخمول لنفسه واحبائه فيهزونه بهذا الخطاب للنباهة واشتهار الصيت *

﴿ وما كان منهم ﴾ مع موسى عليه السلام فأمر مشهور . وبالجملة ففريتهم على الله ورسله وأنبيائه ورميهم لرب العالمين ورسله بالعظائم فكثير جدا . وقد ذكر نبذة منه العلامة ابن حزم فى كتابه الملل والنحل . والحافظ ابن القيم فى كتابه هداية الحيارى *

﴿ وأما ما كان من النصارى ﴾ فهو انهم اعتقدوا ان رب السموات والارض تبارك وتعالى نزل عن كرسى عظمته وعرشه . ودخل فى فرج امرأة تأكل وتشرب وتبول وتتغوط فالتحم ببطنها وأقام هناك تسعة أشهر يتلبط بين نجو وبول ودم وطمث . ثم خرج الى القماط والسرير كلما بكي ألقمته أمه ثديها . ثم انتقل الى المكتب بين الصبيان . ثم آل أمره الى لطم اليهود خديه وصفعهم قفاه وبصقهم فى وجهه . ووضعهم تاجا من الشوك على رأسه . والقصبة فى يده استخفافا به وانتهاكا لحرمته . ثم قربوه من مركب خص بالبلاء راكبه فشدوه عليه وربطوه بالحبال وسمروا يديه ورجليه . وهو يصيح ويبكي ويستغيث من حر الحديد وألم الصليب هذا وهو بزعمهم الذى خلق السموات والارض . وقسم الارزاق والآجال ولكن اقتضت حكمته ورحمته ان مكن اعداءه من نفسه . لينالوا منه ما نالوا فيستحقوا بذلك العذاب والسجن في الجحيم . ويفدى أنبيائه ورسله وأولياءه بنفسه فيخرجهم من سجن ابليس فان روح آدم وابراهيم ونوح وسائر النبيين عندهم كانت فى سجن ابليس فى النار حتي خلصها من سجنه بتمكينه اعداءه من صلبه *

فهذا بعض كفرهم وشركهم برب العالمين ومسبتهم له . ولهذا قيل انهم سبوا الله ورسوله مسبة ما سبه اياها أحد من البشر . وقد أخبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عن ربه في الحديث الصحيح انه قال شتمني ابن آدم ولم يكن له ذلك . وكذبني ابن آدم . ولم يكن له ذلك . اما شتمه اياي فقوله اتخذ الله ولدا . وأنا الاحد الصمد . الذى لم ألد ولم أولد . ولم يكن لي كفوا أحد . واما تكذيبه اياى فقوله لن يعيدنى كما بدأنى . وليس ذلك باهون عليّ من اعادته *

وقال تعالى الا انهم من أفكهم ليقولون ولد الله . وانهم لكاذبون . وقال لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم . الى غير ذلك من الآيات المشتملة على سوء اعتقادهم فى الله *

﴿ واما ما كان من مشركي العرب ﴾ فقد قال تعالى عنهم . وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون بديع السموات والارض انى يكون له ولد . ولم يكن له صاحبة وخلق كل شئ وهو بكل شئ عليم *

وقال وقل الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك فى الملك ولم يكن له ولى من الذل . وقال تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا الذى له ملك السموات والارض ولم يتخذ ولدا . ولم يكن له شريك فى الملك . وخلق كل شئ فقدره تقديرا . وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم . ولا يشفعون الا لمن ارتضى . وهم من خشيته مشفقون ومن يقل منهم اني اله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزى الظالمين *

﴿ وقال ﴾ وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين انما هو اله واحد فاياى فارهبون وله ما في السموات وما فى الارض وله الدين واصبا . الى قوله ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون .

﴿ وقال ﴾ ولا تجعل مع الله الها آخر فتلقى فى جهنم ملوما مدحورا فأصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة أناثا . انكم لتقولون قولا عظيما . ولقد صرفنا فى هذا القرآن ليذكروا وما يزيدهم الا نفورا . قل لو كان معه آلهة كما يقولون اذا لابتغوا الى ذى العرش سبيلا

﴿ وقال ﴾ فاستفتهم ألربك البنات ولهم البنون أم خلقنا الملائكة اناثا وهم شاهدون ألا انهم من إفكهم ليقولون ولد الله . وانهم لكاذبون اصطفى البنات على البنين مالكم كيف تحكمون أفلا تذكرون . أم لكم سلطان مبين فأتوا بكتابكم ان كنتم صادقين . وجعلوا بينه وبين الجنة

نسبا ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون سبحان الله عما يصفون الا عباد الله منهم المخلصين فانكم وما تعبدون ما أنتم عليه بفاتنين الا من هو صال الجحيم *

﴿ وقال ﴾ أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى . ألكم الذكر وله الانثى . تلك اذا قسمة ضيزى . ان هى الا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان ان يتبعون الا الظن وما تهوى الانفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى . الى قوله ان الذين لا يؤمنون بالآخرة ليسمون الملائكة تسمية الانثى *

وقال تعالى وجعلوا لله من عباده جزأ . أى نصيبا وبعضا . أو جعلوا لله نصيبا من الولد . تعالى الله عن ذلك فان الولد جزء من الوالد . قال صلى الله عليه وسلم . انما فاطمة بضعة مني *

وقوله وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم قال الكلبي نزلت فى الزنادقة . قالوا ان الله وابليس شريكان فالله خالق النور والناس والدواب والانعام . وابليس خالق الظلمة والسباع والحيات والعقارب *

واما قوله وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا فقيل هو قولهم الملائكة بنات الله وسمى الملائكة جنا لاجتنانهم عن الابصار . ومن الناس من قال حى من الملائكة يقال لهم الجن . ومنهم ابليس وهم بنات الله . وقال الكلبي قالوا لعنهم الله بل بذور تخرج منها الملائكة . وقوله وخرقوا له بنين وبنات بغير علم قال الثعلبي . هم كفار العرب قالوا الملائكة والاصنام بنات الله واليهود قالوا عزير بن الله . الى غير ذلك من المقالات التي سبوا بها فاطر السموات . ولنا كتاب سميناه اراء بنى آدم فى اله العالم . لم يكمل بعد . وفيه ترى ما تكلم الناس فى الههم ومعبودهم عز اسمه *

﴿ واما ما كان من الامم ﴾ مع أنبيائهم وما صدر منهم فى شأنهم من الاذى والشتم والسخرية وغير ذلك مما حكاه الله فى كتابه فذلك لا يستوعبه المقام . وما كان من العرب الجاهليين ولا سيما قريش فى حق خاتمهم صلى الله تعالى عليه وسلم مما تشيب منه لمم المداد . قد فصل فى كتب السير والتواريخ . (وقد ذكر شيخ الاسلام) فى كتابه الصارم المسلول فصولا مهمة فى ذلك فذكر قصة الاعمي الذى قتل أم ولد له كانت تشتم النبي صلى الله عليه وسلم . وقصة كعب ابن الاشرف اليهودى . وقصة قتل العصماء بنت مروان من بنى خطمة التى هجت

النبي صلى الله عليه وسلم . وقصة قتل أبي عفك اليهودى لهجائه أيضا . وقصة ابن أبى سرح وقصة ابن زنيم الديلمي لهجائه أيضا . وحديث القينتين اللتين كانتا تغنيان بهجائه وحكاية قتل ابن خطل . والامر بقتل من كان يهجوه ويؤذيه من شعراء قريش . وقصة قتل أبى رافع اليهودى لاجل اذى رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقصة هلاك المستهزئين . وحديث الاعرابي الذى قال للنبي صلى الله عليه وسلم عند تقسيمه المغانم ما أحسنت ولا أجملت . وغير ذلك مما أذوه به صلى الله عليه وسلم مما حكى فى القرآن كرميه تارة بانه شاعر . وأخرى بانه كاهن ومرة بانه مجنون ونحوها مما مر بيانه فانتقم الله تعالى منهم وشفى الله بهم صدور المؤمنين *

وفى كتاب اعلام النبوة للماوردى . فان قيل مجيء الانبياء موضوع لمصالح العالم وهم مأمورون بالرأفة والرحمة ومحمد جاء بالسيف وسفك الدماء وقتل النفوس فصار منافيا لما جاء به موسى وعيسى عليهما السلام فزال عن حكمها فى النبوة لمخالفتهما فى السيرة . قال والجواب ان السيف اذا كان لطلب الحق كان خيرا . واللطف اذا كان مع اقرار الباطل كان شرا لان الشرع موضوع لاقرار الفضائل الالهية . والحقوق الدينية ولذلك جاء الشرع بالقتل والحدود ليستقر به الخير . وينتفى به الشر لان النفوس الاشرة لا يكفها الا الرهبة فكان القهر لها أبلغ فى انقيادها من الرغبة . وكانت العرب أكثر الناس شرا وعتوا لكثرة عددهم وقوة شجاعتهم فلذلك كان السيف فيهم أعظم من اللطف وأنفع منه *

ويجاب أيضا انه لم يكن في جهاده بدعا من الرسل فقبله ابراهيم عليه السلام جاهد الملوك الاربعة الذين ساروا الي بلاد الجزيرة للغارة على أهلها وحاربهم حتى هزمهم باحزابه وأتباعه . وهذا يوشع بن نون قتل نيفا وثلاثين ملكا من ملوك الشام وأباد من مدنها مالم يبق له أثر . ولا من أهله صافر . من غير ان يدعوهم الى دين أو يطلب منهم اتاوة وساق الغنائم وغزا داود من بلاد الشام مالم يدع فيها رجلا ولا امرأة الا قتلهم وهو موجود فى كتبهم . ومحمد صلى الله عليه وسلم بدأ بالاستدعاء وحارب بعد الاباء . ثم تكلم بكلام يتعلق بهذا المعنى الى ان قال وانما تطلبت الملحدة بمثل هذا الاعتراض القدح فى النبوات فانهم لم يعفوا نبيا من القدح في معجزته والطعن على سيرته . حتى قال منهم فى عصرنا ماطعن به على موسى وعيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم بشعر نظمه فقال *

وفاق البحر لم يفاق جوانبه * اذ ضاع فيه ضياع الحر في السفل
ومدع يدعى الاشياء خلقته * ماباله زال والاشياء لم تزل
وآخر يدعى بالسيف حجته * هل حجة السيف الاحجة البطل

قال لخضر حين وردت هذه الابيات الى بعض أهل العلم فاجاب عنها بقوله *

قل للذى جاء بالتكذيب للرسل * ورد معجزهم بالزيغ والدغل
وقال في ذلك أبياتا مزخرفة * ليوقع الناس فى شك من الملل
ضياع موسى دليل من أدلته * من بعد ماصار فرق البحر كالجبل
ليعلم الناس ان الله فالقه * وان موسى ضعيف تاه فى السبل
ومعجز الخلق فى فلق المياه له * وجعله البر مايحتاط بالحيل
وابن البتول فان الله نزهه * عماذ كرت من الدعوى على الجمل
ما كان منه سوى طير يقدره * طينا وربي أحياه ولم يزل
وقال انى باذن الله فاعله * واذن ربي يحيي الخلق لاعملى
وصاحب السيف كان السيف حجته * بعد البيان عن الاعجاز والمثل
وجاء مبتدئا بالنصح مجتهدا * بمعجزات لما صارت أولو النحل
منها كتاب مبين نظمه عجب * فيه من الغيب ماأوحي الى الرسل
فالجم الشعراء المفلقين به * لما تحداهم بالرفق فى مهل
وأنبع الماء عذبا من أنامله * من غير ماصخرة كانت ولا وشل
وشارف القوم وافاه وكلمه * وقال اني من قتلى على وجل
والذئب قد أخبر الراعى بمبعثه * فجاء يشهد بالاسلام فى عجل
والجدع حين اليه حين فارقه * حنين ذات حوار ساعة الهبل
وأخبر الناس عما في ضمائرهم * مفصلا بجواب غير محتمل
ونبأ الروم عن نصر يكون لها * من بعد سبعة أعوام على جدل
والفرس أخبرها عن قتل صاحبها * برويز ذا جاه فيروز فى شعل
وان تقصيت ماجاء النبي به * طال النشيد ولم آمن من الملل

انتهى ماذكره الامام الماوردي وقصص الانبياء عليهم السلام فيما كابدوه من اممهم مذكورة في كتب التواريخ والتفاسير والسير بما لامزيد عليه *

(فنقول) للنبهاني ألم يكن لصاحب جلاء العينين ووالده في ذلك اسوة حسنة وهل ينقصهم بغض الخصوم شيئاً مما هم عليه من الشرف . كلا *

من كان فوق محل الشمس رتبته * فليس يرفعه شئ ولا يضعه

وقد علمت أيها النبهاني ما كان من عاقبة أعداء الله وخصوم رسوله صلى الله عليه وسلم كيف فرق جمعهم وشتت شملهم . ومحا ذكرهم . وأذل قدرهم . فاذا كان الله ورسله عليهم السلام كما ذكرنا فليس من الغريب ان يصادف ورثة رسله ماصادفوا . وما أحسن قول القائل *

قيل ان الاله ذو ولد * قيل ان الرسول قد كهنا

ما نجا الله والرسول معا * من لسان الورى فكيف أنا

﴿ويقال للنبهاني أيضا﴾ أما سمعت ماقال الروافض في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وما طعنوا به فيهم هل لحق الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين مما قالوه وافتروه نقص كلا بل رفع الله تعالى درجتهم بسبب بغض الروافض لهم وطعنهم عليهم وزاد الروافض بذلك بعدا عن الله ومقتا وباؤا بغضب منه . وهكذا أعداء أهل الحق في كل عصر *

واذا أراد الله نشر فضيلة * طويت أتاح لها لسان كل حسود

واعلم ان ماينقله الروافض عن الصحابة من المثالب نوعان (أحدهما) ماهو كذب اما كذب كله وأما محرف قد دخله من الزيادة والنقصان ما أخرجه الى الذم والطعن . وأكثر المنقول من المطاعن الصريحة هو من هذا الباب يرويها الكذابون المعروفون بالكذب . مثل أبي مخنف لوط بن يحيي . ومثل هشام بن محمد السائب الكلبي وأمثالهما من الكذابين (النوع الثاني) ماهو صدق وأكثر هذه الامور لهم فيها معاذير تخرجها عن ان تكون ذنوبا . وتجعلها من موارد الاجتهاد التي ان أصاب المجتهد فيها فله أجران وان أخطأ فله أجر . وعامة المنقول الثابت عن الخلفاء الراشدين من هذا الباب وما قدر من هذه الامور ذنبا محققا فان ذلك لايقدح فيما علم من فضائلهم وسوابقهم وكونهم من أهل الجنة لان الذنب المحقق يرتفع عقابه في الآخرة باسباب متعددة . ذكر ذلك الشيخ في المنهاج . وبين الاسباب المزيلة للذنوب . وذكر اصولا

جامعة نافعة فى هذا الباب . وما ذكره صادق على أعداء علماء لدين وحفاظ الموحدين * فان النبهانى واضرابه الغلاة لم يزالوا يتكلمون بكلام موافق لكلام الروافض — وهكذا الكلام في النواصب والخوارج وما كان منهم من التجاوز على أمير المؤمنين على كرم الله وجهه ولم ينتقص به من قدر الامير شئ ولا لحقه وهن من ذلك . وما تكلم به النبهانى واضرابه فى شأن خصومهم بالنسبة الى ماتكلم به أعداء الصحابة وخصومهم كنغبة من داماء . وجرعة من بحر ماء . فهو لايورث طعنا الا لجاهل منقوص . ولا يؤثر فى البنيان المرصوص *

﴿ الوجه الثانى ﴾ ان يقال للنبهانى ان ما كان من الطعن والبغض لمصنف جلاء العينين ووالده فهو لاشك من القبوريين الغلاة بسبب مالحقهم من هدم بنيانهم وابطال برهانهم لا لذنب صدر ولا لجناية لاتغفر . بل اذا كان الذنب متعلقا بالله ورسوله فهو حق محض لله فيجب على الانسان ان يكون في هذا الباب قاصدا لوجه الله متبعا لرسوله ليكون عمله خالصا صوابا قال تعالى وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى تلك أمانيهم قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون وقال تعالى ومن أحسن دينا ممن أسلم لله وهو محسن واتبع ملة ابراهيم حنيفا واتخذ الله ابراهيم خليلا . قال المفسرون وأهل اللغة معنى الآية اخلص دينه وعمله لله وهو محسن فى عمله وقال الفراء فى قوله تعالى فقل اسلمت وجهى لله اخلصت عملى وهذا المعنى يدور عليه القرآن . فان الله تعالى أمر أن لا يعبد الا اياه وعبادته فعل ماأمر وترك ماحظر (والاول) هو اخلاص الدين والعمل لله (والثانى) هو الاحسان وهو العمل الصالح ولهذا كان عمر يقول فى دعائه اللهم اجعل عملي كله صالحا واجعله لوجهك خالصا ولا تجعل لاحد فيه شيئا وهذا هو الخالص الصواب كما قال الفضيل بن عياض فى قوله ليبلوكم أيكم أحسن عملا قال أخلصه وأصوبه قالوا ياابا علي ماأخلصه وأصوبه قال ان العمل اذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم يقبل واذا كان صوابا ولم يكن خالصا لم يقبل حتى يكون خالصا صوابا والخالص ان يكون لله والصواب ان يكون على السنة والامر بالسنة والنهى عن البدعة هما أمر بمعروف ونهى عن منكر وهو من أفضل الاعمال الصالحة فيجب ان يبتغى به وجه الله وان يكون مطابقا للامر وفى الحديث من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر فينبغي ان يكون عالما بما يأمر به عالما بما ينهى عنه رفيقا بما يأمر به رفيقا بما ينهي عنه

حليما فيما يأمر به حليما فيما ينهى عنه • فالعلم قبل الامر . والرفق مع الامر . والحلم مع الامر . فان لم يكن عالما لم يكن له ان يقفو ما ليس له به علم وان كان عالما ولم يكن رفيقا كان كالطبيب الذى لارفق فيه فيغلظ على المريض فلا يقبل منه وكالمؤدب الغليظ الذى لايقبل منه الولد . وقد قال تعالى لموسى وهرون فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى . ثم اذا أمر ونهى فلا بد أن يؤذى فى العادة فعليه ان يصبر ويحلم كما قال تعالى وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك ان ذلك من عزم الامور . وقد أمر الله نبيه بالصبر على أذى المشركين فى غير موضع وهو امام الآمرين بالمعروف الناهين عن المنكر فان الانسان عليه أولا ان يكون أمره لله وقصده طاعة الله فيما أمر به وهو يحب صلاح المأمور او اقامة الحجة عليه . فان فعل ذلك لطلب الرياسة لنفسه ولطائفته وتنقيص غيره كان ذلك خطيئة لايقبله الله . وكذلك اذا فعل ذلك لطلب السمعة والرياء كان عمله حابطا . ثم اذا رد عليه ذلك أو أوذى أو نسب الى انه مخطئ وغرضه فاسد طلبت نفسه الانتصار لنفسه وأتاه الشيطان فكان مبدأ عمله لله . ثم صار له هوى يطلب به ان ينتصر على من آذاه وربما اعتدى على ذلك المؤذى وهكذا يصيب أصحاب المقالات المختلفة اذا كان كل منهم يعتقد ان الحق معه وانه على السنة فان أكثرهم قد صار لهم فى ذلك هوى ان ينتصر جاههم أو رياستهم وما نسب اليهم لايقصدون ان تكون كلمة الله هى العليا . وان يكون الدين كله لله بل يغضبون على من خالفهم وان كان مجتهدا معذورا لايغضب الله عليه ويرضون عمن كان يوافقهم وان كان جاهلا سيئ القصد ليس له علم ولا حسن قصد فيفضى هذا الى ان يحمدوا من لم يحمده الله ورسوله ويذموا من لم يذمه الله ورسوله وتصير موالاتهم ومعاداتهم على اهواء أنفسهم لا على دين الله ورسوله وهذا حال الكفار الذين لايطلبون الا أهواءهم ويقولون هذا صديقنا وهذا عدونا لاينظرون الى موالاة الله ورسوله ومعاداة الله ورسوله . ومن هنا تنشأ الفتن بين الناس . قال الله تعالى وقاتلوهم حتى لاتكون فتنة ويكون الدين كله لله . فاذا لم يكن الدين كله لله كانت فتنة . اذا عرفت ذلك كله عرفت منشأ الذم والبغضاء من الغلاة لخصومهم فى كل عصر فحينئذ يسقط كل ماذكره النبهانى فى هذا الباب *

﴿ الوجه الثالث ﴾ وهو موضح للوجه الذي قبله وتتمة له . ان أصل الدين ان يكون الحب لله

والبغض لله . والموالاة لله والعبادة لله والمعاداة لله . والاستعانة بالله . والخوف من الله . والرجاء لله . والاعطاء لله . والمنع لله . وهذا انما يكون بمتابعة رسول الله الذى أمره أمر الله ونهيه نهى الله ومعاداته معاداة الله . وطاعته طاعة الله . ومعصيته معصية الله . وصاحب الهوى يعميه الهوى ويصمه فلا يستحضر ما لله ورسوله فى ذلك ولا يطلبه ولا يرضى لرضى الله ورسوله ولا يغضب لغضب الله ورسوله بل يرضى اذا حصل مايرضاه بهواه ويغضب اذا حصل مايغضب له بهواه ويكون مع ذلك معه شبهة دين ان الذي يرضى له ويغضب له هو السنة وهو الحق وهو الدين فاذا قدر ان الذى معه هو الحق المحض دين الاسلام ولم يكن قصده ان يكون الدين كله لله وان تكون كلمة الله هى العليا بل قصد الحمية لنفسه وطائفته أو الرياء ليعظم هو ويثنى عليه . أو فعل ذلك شجاعة وطبعا أو لغرض من الدنيا لم يكن لله ولم يكن مجاهدا في سبيل الله . فكيف اذا كان الذى يدعى الحق والسنة هو كنظيره معه حق وباطل وسنة وبدعة . ومع خصمه حق وباطل وسنة وبدعة . وهذا حال المختلفين الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا وكفر بعضهم بعضا . وفسق بعضهم بعضا . ولهذا قال الله تعالى فيهم . وما تفرق الذين أوتوا الكتاب الامن بعد ماجاءتهم البينة وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة * وقال تعالى كان الناس امة واحدة يعنى فاختلفوا كما فى سورة يونس — وكذلك في قراءة بعض الصحابة وهذا على قراءة الجمهور من الصحابة والتابعين انهم كانوا على دين الاسلام . وفى تفسير ابن عطية عن ابن عباس انهم كانوا على الكفر . وهذا ليس بشيء وتفسير ابن عطية عن ابن عباس ليس بثابت عن ابن عباس بل قد ثبت عنه انه قال كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الاسلام . وقد قال في سورة يونس وما كان الناس الا امة واحدة فاختلفوا . فذمهم على الاختلاف بعد ان كانوا علي دين واحد فعلم انه كان حقا . والاختلاف فى كتاب الله على وجهين . (أحدهما) ان يكون كله مذموما كقوله وان الذين اختلفوا فى الكتاب لفى شقاق بعيد . (والثانى) ان يكون بعضهم على الحق وبعضهم على الباطل كقوله تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات وآتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد ماجاءتهم البينات ولكن اختلفوا

فمنهم من آمن ومنهم من كفر ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد . لكن اذا اطلق الاختلاف فالجميع مذموم كقوله ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم . وقال النبي صلى الله عليه وسلم انما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم ولهذا فسروا الاختلاف فى هذا الموضع بأنه كله مذموم . قال الفراء فى اختلافهم وجهان (أحدهما) كفر بعضهم بكتاب بعض (والثانى) تبديل ما بدلوا . وهو كما قال فان المختلفين كل منهم يكون معه حق وباطل فيكفر بالحق الذى مع الآخر ويصدق بالباطل الذى معه . وهو تبديل ما بدل فالاختلاف لابد ان يجمع النوعين . (ولهذا) ذكر كل من السلف أنواعا من هذا (أحدها) الاختلاف فى اليوم الذى يكون فيه الاجتماع . فاليوم الذى أمروا به يوم الجمعة فعدلت عنه الطائفتان فهذه أخذت السبت وهذه أخذت الاحد . وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال نحن الآخرون السابقون يوم القيامة بيدانهم أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم فهذا اليوم الذى اختلفوا فيه فهدانا الله له . الناس لنا فيه تبع اليوم لنا وغدا لليهود وبعد غد للنصارى وهذا الحديث يطابق قوله تعالى (فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه) وفي صحيح مسلم عن عائشة رضى الله تعالى عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا قام من الليل يصلى يقول اللهم رب جبريل وميكائيل واسرافيل فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدنى لما اختلفوا فيه من الحق باذنك انك تهدى من تشاء الى صراط مستقيم *

والحديث الاول يبين ان الله تعالى هدى المؤمنين لغير ما كان فيه المختلفون فلا كانوا مع هؤلاء ولا مع هؤلاء . وهو مما يبين ان الاختلاف كله مذموم *

﴿ والنوع الثاني القبلة ﴾ فنهم من يصلى الى المشرق . ومنهم من يصلى الى المغرب وكلاهما مذموم لم يشرعه الله تعالى *

﴿ والثالث ابراهيم ﴾ قالت اليهود كان يهوديا . وقالت النصارى كان نصرانيا . وكلاهما كان من الاختلاف المذموم . ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين *

﴿ والرابع عيسى ﴾ جعلته اليهود لعبة . وجعلته النصارى الها . تعالى الله عن افكهم علوا كبيرا

﴿ والخامس الكتب المنزلة ﴾ آمن هؤلاء ببعض . وهؤلاء ببعض *
﴿ والسادس الدين ﴾ أخذ هؤلاء بدين وهؤلاء بدين *

﴿ ومن هذا الباب ﴾ قوله تعالى (وقالت اليهود ليست النصارى على شيء . وقالت النصارى ليست اليهود على شيء) وقد روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنه قال اختصمت يهود المدينة ونصارى نجران عند النبي صلى الله عليه وسلم فقالت اليهود ليست النصارى على شيء ولا يدخل الجنة الا من كان يهوديا وكفروا بالانجيل وعيسى وقالت النصارى ليست اليهود على شيء وكفروا بالتوراة وموسى فانزل الله تعالى هذه الآية والتى قبلها *

واختلاف أهل البدع هو من هذا النمط . فالخارجي يقول ليس الشيعي على شيء . والشيعي يقول ليس الخارجي على شيء . والقدري النافى يقول ليس المثبت على شيء . والقدري الجبري المثبت يقول ليس النافى على شيء . والوعيدية تقول ليست المرجئة على شيء . والمرجئة تقول ليست الوعيدية على شيء . بل ويوجد شيء من هذا بين أهل المذاهب الاصولية والفروعية المنتسبين الى السنة فالكلابي يقول ليس الكرامى على شيء . والكرامى يقول ليس الكلابى على شيء . والاشعرى يقول ليس السالمي على شيء . والسالمي يقول ليس الاشعرى على شيء وصنف السالمى كابى على الاهوازى كتابا فى مثالب الاشعرى . وصنف الاشعري كابن عساكر كتابا يناقض ذلك من كل وجه وذكر فيه مثالب السالمية . وكذلك أهل المذاهب الاربعة وغيرها لا سيما وكثير منهم قد تلبس ببعض المقالات الاصولية وخلط هذا بهذا . فالحنبلى والشافعى والمالكى يخلط بمذهب الشافعي والمالكى وأحمد شيأ من أصول الاشعرية والسالمية وغير ذلك ويضيفه الى مذهب مالك والشافعى وأحمد وكذلك الحنفي يخلط بمذهب أبي حنيفة شيأ من أصول المعتزلة والكرامية والكلابية ويضيفه الى مذهب أبي حنيفة . وهذا من جنس الرفض والتشيع لكنه تشيع فى تفضيل بعض الطوائف والعلماء لا تشيع فى تفضيل بعض الصحابة *

والواجب على كل مسلم يشهد أن لا إله الا الله وأن محمدا رسول الله أن يكون أصل قصده توحيد الله بعبادته وحده لا شريك له . وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم يدور معه على ذلك ويتبعه اين وجده . ذكر ذلك كله الشيخ . ثم انه اطال الكلام واتى بما تلتذ به المسامع والافهام

فما ذكره النبهانى ونقله عن دعواه من بعض المكيين هو من هذا القبيل فان كل أحد يتعصب لما تمذهب به ويتشيع لاقوال أئمته ومتبوعيهم فلا شك ان الغلاة القبوريين هم اعدى الناس لمن تصدى لابطال اقوالهم ورد مذهبهم . ومن المعلوم أن مصنف جلاء العينين وسلفه انهم داروا على الحق وتبعوه حيث قصدهم توحيد الله بعبادته وحده لا شريك له وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم . ولم يلتفتوا الى ماخاض به الخصوم قال تعالى (قل الله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون

ومن ظن ممن يلاقى الحروب * أن لا يصاب فقد ظن عجزا

وما كان قصده رضى الله عنه والفوز بثوابه والخلود بنعيمه لم يلتفت الى أقوال الناس فقد سبق لك ما كان من الفرق الاسلامية وغير الاسلامية بل واتباع المذاهب بعضهم مع بعض ولولا ضيق المقام لذكرنا بعض اقاويلهم فى مخالفيهم . وما أحسن قول القائل *

فياليت ما بينى وبينك عامر * وبينى وبين العالمين خراب
اذا صح منك الود فالكل هين * وكل الذى فوق التراب تراب

﴿ الوجه الرابع ﴾ ان النبهانى لم يصرح بما سمعه من الطعن والقدح حتى نتكلم عليه والظاهر ان ذلك ما يقوله بعض غلاة العراقيين كابن جرجيس واتباعه من انه كان على طريقة الوهابيين وسبب ذلك ان ابن جرجيس هذا كان من غلاة الشافعية فاعترض على عبارة فى كتاب الطراز المذهب لوالد مصنف جلاء العينين وافرد للاعتراض رسالة هذا فيها بما تمجه الاسماع مما يتعلق بالاستغاثة والاستعانة ودعاء غير الله فرآها صاحب جلاء العينين بعد وفاة والده وهو اذ ذاك شاب فكتب على تلك الرسالة ردا القمه به حجر السكوت وسماه شقائق النعمان . على شقاشق ابن سليمان . يعنى به داود بن جرجيس بن سليمان العاني وكان من الجهل على جانب عظيم ومن التجاسر على التحريف والتدليس . ما يعجز عن مثله ابليس . وقد فضحه الله تعالى بهذا الرد وقد قرظ عليه العلماء منهم الفاروقى شاعر عصره بقوله *

شقاشق ابن سليمان أضحت لها * سمعا فاسمعنى تعبيرها القججا
ومن شقائق نعمان عليه بها * مامنه اظهر عن افصاحه البججا

﴿ وقال أيضا ﴾

مزامير داود النبي لنا بها غنى * عن سماع فى شقاشق داود

فدع عنك يانعمان رد اعتراضه * ولا ترمه اذ جاء يعوى بجلمود

﴿ وقال أيضا ﴾

شقاشق لابن سليمان قد حكت * غداة الطعن يوم الكفاح
كتيبة خضراء مهزومة * شقائق النعمان فيها جراح

وداود هـذا هو الذى قال فى كتابه صلح الاخوان او غيره بعد ان ذكر عدة شبه من شبهه على جواز التوسل بسائر الحيوانات واثبات الجاه الكثير لجملة من الجمادات واعظم من ذلك واوضح دلالة ماذكره الفقهاء في باب الاستسقاء للتوسل بها الى الله تعالى. وقال أيضا لايخفى عليك مما قدمنا ان التوسل بالجمادات والحيوانات قد وقع فى الاحاديث الصحيحة والآثار الصريحة عن الصحابة والتابعين. والسلف الصالحين. مما يضيق عنه نطاق الحصر انتهى *
وكان لم يزل يهذي بمثل هذا الهذيان الى ان أهلكه الله. ومصنف جلاء العينين كان سيفا في عنقه كم قد بحث معه فلقمه حجر السكوت فكان هذا لزائغ وشيعته لم يزالوا يذكرونه بالالقاب المنكرة فيقولون انه وهابي ومنكر ونحو ذلك *
وكان من المنقمين عليه الحاسدين له من أهل بلده آل جميل وهم كلهم جهلة لايميزون بين يمينهم وشمالهم لادين لهم ولا يصلون ولا يصومون ولا يزكون ولا يؤدون فرضا من فرائض الله وكان دأبهم السعى على المسلمين والتزوير والافتراء والدعاوى الكاذبة. ومع ذلك كانوا يتزيون بزي العلماء. وهم أجهل الناس وكانوا من أعظم الخصوم لمصنف جلاء العينين وأشد الناس عداوة للذين آمنوا ولم يزالوا يسعون به الى الحكومة ويفترون عليه أمورا لم تخطر ببال أحد حتى ابادهم الله واهلكهم ولم يبق منهم اليوم على ماعلم الا بعض أطفال وسفهاء أحلام ولا شك ان الله تعالى ينتقم من أعداء رسله وورثة انبيائه ولولا ضيق المقام لبسطنا الكلام فى أحوال هذه العائلة الخبيثة. فانى قد بلغنى مفصل أحوالهم وما قال فيهم شعراء بلدهم وهم أيضا من أهل عانات. ثم سكنوا بغداد وقبل سنين ادعوا النسب القادري فكذبهم أهل بغداد فى مجلس انعقد فى حضور والى البلد ورأوا يومئذ من الخزى ماهم أهل له ومن جملة من شهد عليهم بذلك مصنف جلاء العينين وغيره من أكابر البلد وعلمائها فعادوا كل من شهد عليهم *
والحاصل ان اعداء أهل الحق كثيرون وازهد الناس بالعالم جيرانه وأهل بيته كما ورد فى ذلك

الخبر الصحيح . ولعل المكي الذي تكلم بما تكلم في شأن مصنف جلاء العينين ووالده كان ابن دحلان او بعض شيمته . فقد كان ايضا من أعظم الناس غلوا في دعاء المخلوقين . وقد تكلم في كتابه على والد مصنف جلاء العينين في نقله عن القدوري في مسألة سؤال الله باحد من خلقه وكذب نقله حسدا من عنده او جهلا منه والافمن له ادنى المام بالعلم يعرف صحة ذلك النقل وهو مذكور في كتابه بعبارة صحيحة على ما سبق والعالم الجليل لايخلو من حاسد وخليل بل ترى كثيرا من الناس اخلاء . وهم في الحقيقة خلاء . واجلاء . وهم عند التامل لاخلاء ولاملاء . يظهرون الصلاح والوداد ويخفون اخفاهم الله تعالى العداوة والفساد فلا فرج الله عنهم هما ولا حمد لهم بين الانام اسما . ولا حسن لهم حالا . ولا أصلح لهم مآلا

كل خليل كنت خاللته * لا ترك الله له واضحه
كلهم أروغ من ثعلب * ما اشبه الليلة بالبارحه

حسدوا فذموا ومن يغب عن أبصارهم غابوا ونموا ولا بدع . فالكريم اذا غاب غيب . واذا هاب هيب على ان في ذمهم شهادة بالكمال . واثبات لمزيد الفضل والافضال فزادهم الله تعالى حسدا . واماتهم كدرا ونكدا . وما أحسن ماقال القائل *

أيها الحاسد المعد لذمي * ذم ماشئت رب ذم كحمد
لافقدت الحسود مدة عمري * ان فقد الحسود اخبث فقد
كيف لاادثر الحسود بشكري * وهو عنوان نعمة الله عندي

هذا وشرح الكلام لايسعه أمثال هذا المقام . وبالجملة ان من ذمه الله ورسوله فهو المذموم ومن رضيا عنه فهو المرضي ومن حكما بعدالته فهو العدل . قال الشيخ ابن تيمية رحمه الله تعالى في اثناء كلام له ان الكفر والفسق أحكام شرعية ليس ذلك من الاحكام التي يستقل بها العقل . فالكافر من جعله الله ورسوله كافرا والفاسق من جعله الله ورسوله فاسقا كما ان المؤمن والمسلم جعله الله ورسوله مؤمنا ومسلما والعدل من جعله الله ورسوله عدلا والمعصوم الدم من جعله الله ورسوله معصوم الدم والسعيد في الآخرة من أخبر الله ورسوله عنه انه سعيد في الآخرة والشقي فيها من أخبر الله ورسوله عنه انه شقي فيها والواجب من الصلاة والصيام والصدقة والحج ما أوجبه الله ورسوله والمستحقون لميراث الميت من جعلهم الله

ورسوله وارثين والذى يقتل حداأو قصاصا من جعله الله ورسوله مباح الدم بذلك والمستحق للفيء والخمس من جعله الله ورسوله مستحقا لذلك والمستحق للموالاة والمعاداة من جعله الله ورسوله مستحقا للموالاة والمعادات والحلال ماأحله الله ورسوله والحرام ماحرمه الله ورسوله والدين ماشرعه الله ورسوله فهذه الامور كلها ثابتة بالشرع انتهى فما قاله النبهانى ان صدق فيه فهو مما لايلتفت اليه وقد ذكرنا ما كان عليه مصنف جلاء العينين وو لده من صحة العقيدة وصدق النية واتباع السنن والعمل بماشرعه الله من الاحكام والسيرة السلفية والذب عن الدين ومخاصمة أعدائه والرد على خصومه وكل ذلك مما جعله الله ورسوله من أدلة النجاة وقبول العمل والتزكية لديه والعدالة المرضية عنده واقوى برهان على الرضوان والفوز بالجنان والنجاة من النيران * ثم بعد هذا يقال وقد راعى القائل مقتضي الحال *

قل للذى يذكرنى * بين الملا من البشر

من قال خيرا يلقه * ومن يقل شرا فشر

ثم ان النبهانى ابهم جرحه واخفى قدحه ليهول به على السامعين ويعظمه على المطالعين ومن شدة الظهور الخفاء كما هو شأن الشمس فى وسط السماء وقد قيل لابد للود والبغضاء من سبب كما هو المعلوم لذوى الادب وذلك هو الذي لم يزل يكرره في كلامه الا وهو الانتصار لابن تيمية في اختياراته وفى مسألة منعه من أعمال المطى لزيارة القبور الذى دل عليه الحديث الصحيح . وهذا هو الذنب الذى لا يغفر . والعيب الذى لايستر عند النبهانى واضرابه . والقائل به مجروح . والمنتصر له مقدوح . ومن المعلوم لدى المنصفين . الواقفين على مقاصد الشرع المبين . ان ذلك لا يستوجب الكلام الفظيع . والقدح الشنيع . بعد ان تبين ان هذه المسائل هى أعلى مقاصد الدين . وانها ثابتة بالنصوص القرآنية وسنة سيد المرسلين . وقد علمت ان مدار المدح والقدح على الشريعة الغراء فنسأله سبحانه الرضوان والعفو يوم الجزاء .

﴿ الوجه الخامس ﴾ قد صح في الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال انتم شهداء الله في الارض وقال يوشك ان تعلموا أهل الجنة من أهل النار قالوا بم يارسول الله قال بالثناء الحسن والثناء السيء فاخبر ان ذلك مما يعلم به أهل الجنة وأهل النار وكان أبو ثور يقول أشهد ان أحمد بن حنبل فى الجنة ويحتج بهذا وهذا على قول من يقول يشهد بالجنة لمن شهد له المؤمنون

ولـكل مؤمن جاء فيه نص ومنهم من لا يشهد بالجنة لاحد الا للانبياء—وهذا قول محمد بن الحنفية والاوزاعي ومنهم من يقول يشهد بالجنة لـكل مؤمن جاء فيه نص—وهذا قول كثير من أهل الحديث فهذه ثلاثة أقوال لهم فى الشهادة بالجنة والـكلام عليها مفصل فى غير هذا الموضع والقول الاول هو المشهور وعليه قول جماعة من الجمهور فاذا كان الثناء الحسن والحمد والمـدح مما يعلم به عدالة من اثنى عليه وحمد ومـدح وان ذلك دليـل على القبول عند الله والفوز برضوان الله تعـالى والفوز بجنانه علمنا بذلك ان مصـنف جلاء العينين ووالده كانا ولله الحمد من خيار عباد الله الصالحين والعلماء العاملين فقد رأيت كتابا بمجلدين ضخمين الفه بعض فقهاء شافعية بغداد فى مناقب العلامة المفسر الشهير صاحب تفسير روح المعانى قدس الله روحه سماه مؤلفه حديقة الورود فى مدائح ابى الثناء شهاب الدين السيد محمود ذكر فيه مؤلفه نسب المترجم وما حصله من الفنون والعلوم وما جرى له من المباحث والمناظرات مع علماء عصره وما وردته من دقائق المسائل وما أجاب به عنها وما ورد له من الـكتب والرسائل من الاقطار والبلاد وما قالته الشعراء فيه من المدائح وما صادفه مدة عمره من التبجيل والاحترام من أهل السنة ومشاهير اتباع المذاهب ومارثاه به العلماء والادباء والشعراء المفلقون نظما ونثرا مما لم يصادف مثله فى هذه العصور وذكر مشائخه ومن أخذ عنهم من المشائخ ومن أخذ عنه وما له من المصنفات وبدائع المحررات وما كان عليـه من التقوى والورع والجد فى العبادة والمجاهدة فى الدين والذب عنه وغير ذلك مما يدل دلالة صريحة على انه كان من أكابر العلماء العاملين وعباد الله الصالحين رحمه الله تعالي ورضي عنه وعن كافة علماء المسلمين *

وقد قرظ هـذا الـكتاب أعنى حديقة الورود جمع من أدباء العصر ومشاهير الشعراء منهـم الشاعر الشهير ومن عزله النظير الاديب الفاروقى عليه الرحمة بقوله *

وغادة قد أكسبت عادة * مهما تقل فانها صادقه
وانهـا مثل حذام بما * تقوله اولو النهى واثقه
فصيحة مستعذب لفظها * أشـعارها جزيلة رائقه
ابو الثنا مفتى الوري كفوها * ليست لحبر غيره لائقة
وكم له من شيمة أصبحت * شمس السنا لحسنها عاشقة

وفيك يامحمود قد أرخوا * (ترجمة أحبب بها فائقة)

وقد أرخها أيضا الاديب الاريب الشيخ عبد الحميد الاطرقجي احد شعراء العراق بقوله

حديقة قد صدحت أطيارها * باسم الشريف السيد المحمود
ومن يداه سفحت أنهارها * اذ هى قاموس الندى والجود
ومن نداه لقحت أشجارها * واثمرت باللؤلؤ المنضود
ومن شذاه نفحت أزهارها * طيبا كانفاس اريج العود
ومن سناه لحت أقمارها * نورا سرى فى سائر الوجود
ابدتها مفتى الورى حتى غدت * بالحسن تحكى جنة الخلود
واقتبست من طبعه فارخوا * طبعا زهت حديقة الورود

وارخها أيضا واحد الشعراء الاديب الفاضل السيد شهاب الموصلى عليه الرحمه بقوله

طلعت فى أوج مجد طلعة * فارتنى الشمس منها مغرمه
فتنتنى والذى صورها * من جمال منه روحى هائمه
علمتنى بكلام لين * ينعش ويحيى رممه
واشارت وسناها ساطع * فى شهاب الدين اسنى ترجمه
هى أم للاغانى صيرت * نزهة الدنيا لديها كالأمه
روضة غناء يزهو زهرها * من معان في علاه عائمه
لربيع الفضل فيها بهجة * تشرح الصدر وتبرى سقمه
أنبتت من كل مدح رائق * قد سقاه بالعطايا الدائمه
حاتمي الجود وكفا كفه * راح يروى عن عطاه عكرمه
حيدر والده ان ينتمي * أمه الزهراء حقا فاطمه
خصه الله بمعنى جاذب * لقلوب الناس حبا الزمه
خف روحا ورجيح فضله * لايوازى الشعر قدرا قيمه
وافق الغيب سدادا رأيه * يحسم الخطب ويمحو ظلمه
والفتاوى وجدت أحكامها * منذ شدت فى عراه المحكمه

قد أعز الدين علما وتقى * واذل الجهل حتى أعدمه
عالم الدنيا اليـه يلتجى * كل علم حيث أضحى علمه
والصـدور العلما قد أرخوا * اصدر المحمود نعم الترجمه

الى غير ذلك من تقاريظ أكابر العلماء وافاضل العصر مما لو جمع لكان سفرا كبيرا *

﴿ ولما كان ﴾ كتاب حديقة الورود مطنبا مفصلا جدا لخصه اجل تلامذة المترجم واحد العلماء الاعلام شيخ الكل فى الكل الشيخ عبد السلام أحد أكابر الشافعية فى بغداد درس نحو خمسين سنة فى المدرسة القادرية . وكان جنيد زمانه صلاحا وعفة وديانة . وعمر مايزيد على ثمانين سنة وله التصانيف المفيده . وسمى رحمه الله تعالى ما لخصه اريج الند والعود . فى ترجمة شيخنا العلامة ابى عبد الله شهاب الدين السيد محمود . وهذه خطبة كتابه *

بسم الله الرحمن الرحيم * الحمد لله المحمود بكل لسان . الموصوف جل شأنه بفنون المحامد وصنوف الاحسان . والصلاة والسلام على أكمل الخليقة ومن غدا شريف مدحه مجازا للوصول الى عين الحقيقة وعلى آله وأصحابه المترجين بالسنة سيوفهم عن الحق المبين والمتادبين بادابه (أما بعد) فيقول العبد المفتقر الى خفي الالطاف مدرس الحضرة القادرية عبد السلام المنتمي الى الشواف ان كتاب حديقة الورود . فى ترجمة حضرة شيخنا العلامة ابى الثناء شهاب الدين محمود . وان تضمن من ازهار مدائحه قدست روحه كل منقبة عالية . وتكفل من نشر اريج فضائله بكل فضيلة غاليه . قد انتظمت فى سلكه الدرارى والدرر . وازهرت في رياضه ورود البلاغة ولازهر الخمائل غب المطر من نظم رق وراق . ونثر سما وفاق . قد اعتصر من عناقيد الابداع فلم يتفق مثله فى عصر ومصر من حقائق الاختراع فانتشى به عقل الدهر غير انه لطوله لايقف الناظر فيه على مجمل خصال الممدوح . ولا يتضح للواقف انموذج شمائل المترجم كمال الوضوح . فاحببت ان أحرر شريف ترجمته على سياق التراجم المعتادة فى كتب التواريخ على سبيل الاجمال وأكتب فى هذه الاوراق ملخص فضائله على طرز بيان فضائل الفضلاء بموجز من المقال ولعمري انى لااقدر ان أودي ما يليق بشانه والحرى بعلو قدره وعرفانه *

ولو ان ثوبا حيك من نسج تسعة * وعشرين حرفا فى علاه قصير

﴿ فنظمت ﴾ هذه العقود . وقلت غير مكترث بحسود . متوكلا على ذى الكرم والجود . ان

شيخنا طيب الله ثراه . وجعل الفردوس الاعلى مستقره ومثواه . هو المولى الحبر ذو الفضل الممدود. ابو الثناء شهاب الدين السيد محمود . نجل الفاضل النقى . والزاهد التقي . الحليم الاواه مولانا السيد الحاج عبد الله . نجل الطيبين الطاهرين بلا اشتباه . حتى تنتهى سلسلة نسبه الشريف الى حضرة جده الاعلى سيد العالمين صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين الى يوم الدين . وقد كان عليه الرحمة آية من آيات الله في جميع العلوم . وأعجوبة من عجائب الدهر فى المنطوق منها والمفهوم . علامة دهره فى المعقول والمنقول . وفهامة عصره فى الفروع والاصول . (الى آخر ماقال) . من العبارات المزرية بعقود اللئال . وهى رسالة مفيدة . حوت على اختصارها المسائل الفريده . وقد ترجمه كثير من الفضلاء . واثنوا عليه باحسن الثناء *

﴿ وأما ولده مصنف جلاء العينين ﴾ رحمه الله تعالى ففضله مشهور وعلم عامه على كاهل الاعلام منشور . وفى الاقطار والبلاد مذكور . ومن المعلوم لدى كل أحد ان ماء الورد من الورد والشبل فى المخبر مثل الاسد . وقد ترجمه كثير من الافاضل والادباء واثنوا عليه خيرا وبلغنى انه قد جمع ما ورده من المدائح الشعريه والمقالات النثريه وما كان من ثناء افاضل عصره من أهل مصره وغير مصره في مجموع مفرد ليس له ثان فى العدد ولو كنت ظفرت به لنقلت منه ما تتحلى به المسامع والافواه وتلتذ بذكره الالسنة والشفاه وذلك ما عدا ماقرظوا به كتبه كتقاريظ الشقائق وجلاء العينين وغالية المواعظ والقول الفسيح فى الرد على عبد المسيح مجلدين ضخمين في الرد على النصارى وغير ذلك من المآثر الحميدة والمناقب السديدة مما يضيق عنه نطاق البيان وتكل من نقله البنان *

وبالجملة فما كان من ثناء العدول الثقاة على مصنف جلاء العينين وولده أوضح دليل على انهما كانا من المقبولين عند الله تعالى وانهما من العدول الاخيار وقد نفع الله بكتبهم الامة وانتشرت فى جميع بلاد المسلمين كما هو مشاهد ومحسوس لدى كل منصف مع انا فى عصر ركدت فيه ريح الفضل وانصرفت افكار كثير من الناس عن الفضائل الدينية والكمالات الايمانيه بل ان من أنصف اعترف ان ليس فى العراق من بيوتات العلم غير بيتهم فابناء هذا البيت اليوم قد قام على مآثرهم فسطاط الدين فى العراق كما يدلك على ذلك ما انتشر من مصنفاتهم وآثارهم الجيدة نعم نرى فى العراق كثيرا من أهل العمائم غير انهم اعظم بلاء على الدين المبين وما أحسن

ما قال القائل من افاضل الاماثل *

لا تغرنك اللحى ولا الصور * تسعة أعشار من ترى بقر
فى شجر السرو منهم شبه * له رواء وما له ثمر

وليس فى بلدهم من يطاولهم فى فن من الفنون وكلهم مكبون على تحصيل العلم ونشره معرضون عن الدنيا وزخارفها ليسوا بمنهمكين عليها كغيرهم من المنتسبين الى العالم (والحاصل) انهم واسلافهم ممن يفتخر بمثلهم أهل الانصاف من فضلاء المسلمين ٠

﴿ قال الفاروقى ﴾ رحمه الله تعالي في كتابه العقود الجوهرية بعد ان ذكر ترجمة بعض أفاضلهم اعلم ان هذا البيت لا تجرى فيه سفن لو ان وعسى وليت *

بيت من المجد شادوه على كرم * وبالمجرة مدوه على طنب

أما والده يعنى المفسر الشهير صاحب روح المعاني رحمه الله . فكان فى الزوراء واسطة عقد الفضلاء والبلغاء . وناديه مجتمع العلماء والادباء . حيث كانت له صلابة فى الدين . وحزم فى لين وايمان فى يقين . وحرص فى علم . وعمل فى حلم . وقصد فى غنى . وخشوع في عبادة . وتجمل في فهم . وصبر في شدة . وطلب فى حلال . ونشاط فى هدى . وتحرج عن طمع . قرأت عليه بعضا من المنطق والنحو وغير ذلك ومدحته بعدة قصائد . هى لجيد الزمان قلائد . وكاتبنى وكاتبته . لما كان في بلدة فروق . مكاتبة الشائق الى المشوق . وذكر جملة ذلك فى رحلته نشوة الشمول . فى السفر الى اسلامبول . وكتاب نزهة الالباب . في الذهاب والاقامة والاياب . وذكرها الغير فى كتاب حديقة الورود . فى مناقب أبى الثناء شهاب الدين محمود . فكم قطفت من شقائق نعمانها . ما يفوق من الرياض على ريحانها . واما ابناؤه فرحم الله الماضى منهم ووفق الباقين . الى ما فيه صلاح الدنيا والدين . فانهم بحمد الله كالحلقة المفرغة لا يدرى أين طرفاها . وكمز الى السماء لا تميز منها فاها *

ايا لقيت تقل لاقيت سيدهم * مثل النجوم التى يسرى بها السارى

وانى كنت معهم فى حياة والدهم رحمه الله وبعد وفاته خلا وفيا . وحبيبا صفيا . آنس بهم كما يأنسون بى . واسر بقربهم مثل ما يسترون بقربى . استنشق من محادثتهم ريح الكمال . واقرط آذانى بما تنثر اقلامهم من الدرارى وشفاههم من الاقوال . ولا زلت اجتمع بهم فى

بغداد . وأفرج برؤيتهم غمتى فى ذلك الناد . كما ان المترجم اليوم فى القسطنطينية . تهزه لعلو المقام هاتيك الاريحيه . ولا برحت هنا أيضا انزه ناظرى بتلك الطلعة الزكيه . والغرة الهاشمية لا زال قطبا تدور عليه رحى افاضل العصر . واكابر كل مصر . انتهى .

﴿ فهل سمعت أيها الشيخ النبهانى ﴾ ما تلوناه عليك . وقدمناه بين يديك . فاين بقى قولك الباطل . وكلامك العاطل . فما أنت والعلماء الاخيار . وما أنت والسادة الابرار . اما بلغك ما قيل رحم الله امرأ عرف قدره . ولم يتعد طوره . اما سمعت من حملة العلوم . ان لحم العلماء مسموم . فما جوابك اذا قال قائلهم .

الى حكم اشكو ظلامة معتد * هو العدل لم اردى ظلوما وجندلا

ثم ان الذى اوجب تطاول النبهاني انحطاط العالم الاسلامى والامر لله تعالى الى ماتراه العيون مما كنا نظن ان لا يكون . فتنة بعد فتنة بعدأخرى وبلاء بمثله مقرون . وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنه في تفسير قوله تعالى قل هو القادر على ان يبعث عليكم عذابا من فوقكم او من تحت أرجلكم او يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض انظر كيف نصرف الآيات لعلهم يفقهون . ان المراد بفوقكم اي الامراء السوء وبقوله او من تحت أرجلكم اى من قبل سفلتكم فتطاول السفلة والسفهاء على اخيار العلماء هو من علامات غضب الله على عباده فلهذا كان من النبهانى ما كان مع ماهو عليه من الغرور والجهل وظنه انه قد خلاله الجو *

﴿ واذا ماخلا الجبان بارض * طلب الطعن وحده والنزالا ﴾

وقد جرت عادة الله تعالى بمثل معادات النبهاني واضرابه لاهل الحق ولذلك أنزل الله تعالى في تسلية رسوله صلى الله عليه وسلم قوله عز اسمه — وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا شياطين الانس والجن يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا ولو شاء ربك مافعلوه فذرهم ومايفترون وقد شاهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من عداوة قريش وما بنوا عليه من الاقاويل والافاعيل ماهو مذكور فى غير هذا الموضع وزخرف القول هو المزوق من الكلام الباطل والعدو بمعنى اعداء كما في قوله *

اذا انا لم أنفع صديق بوده * فان عدوى لم يضرهم بغضى

وتمام الكلام على الآية فى موضعه . (وقد فرغنا من الكلام) على ما قاله النبهانى فى كتب

الشيخ ابن تيمية وابن القيم وابن عبد الهادى وجلاء العينين وما انتقد به عليها . وبقى كلام طويل اعرضنا عن ذكره في هذا المقام . طلبا لاختصار الكلام .

ولو كان هذا موضع لاشتفى * غليلى ولكن للمقل مواضع

﴿ ذكر من الف فى مناقب شيخ الاسلام ابن تيمية ﴾

اعلم انما كان من النبهانى وغيره ممن هو على شاكلته من القدح والاعتراض على أولئك العلماء الاجلة بسبب انتصارهم لشيخ الاسلام تقى الدين ابن تيمية رحمه الله وتوجيههم لكلامه ورد اعتراضات الخصوم والذب عنه ظنا منهم ان المنتصرين للحق وأهله هم الذين عرفوهم من أناس معدودين . وليس الامر كما زعموا بل ان فى كل عصر أناس يعرفون الحق وبه يعدلون تصديقا لقوله صلى الله عليه وسلم لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم . وهؤلاء هم حفظة الدين . وخصوم المبتدعين . ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين . وانتحال المبطلين . وتأويل الجاهلين . الذين عقدوا الوية البدعة واطلقوا عنان الفتنة فهم مختلفون فى الكتاب مخالفون للكتاب مجمعون على مفارقة الكتاب . يقولون على الله وفى الله . وفي كتاب الله بغير علم . يتكلمون بالمتشابه من الكلام ويخدعون جهال الناس بما يشبهون عليهم فنعوذ بالله من فتن المضلين *

﴿ ثم ان ﴾ المنصفين من أهل العلم فى كل عصر لا يحيط بهم نطاق الحصر . ونحن نذكر منهم بعض من وقفنا على قوله فى شيخ لاسلام . وما رآه فيه من الاحكام . ليعلم المنصف ان مصنف جلاء العينين ليس بدعا فيما صنفه حتي صار غرضا لسهام ملام النبهانى وأمثاله من الغلاة . وفتحوا عليه أفواها كأفواه الكلاب عند التثاوب . بل كم قد سبقه من امام همام . وعلماء اعلام وها نحن ذاكرون بحوله تعالى منهم بعض الاكابر . الذين تعقد عند ذكرهم الخناصر . ليتحلى عاطل جيد هذا الكتاب بدرر مالهم من المناقب والمآثر . وغرر ما كانوا عليه من المفاخر . فنقول

﴿ منهم قاضى القضاة نور الدين محمود بن أحمد العينى الحنفى رحمه الله ﴾

وهو الامام العالم العلامة الحافظ المتقن شيخ العصر . أستاذ الدهر . محدث زمانه ، المتفرد بالرواية والدراية . حجة الله على المعاندين وآيته الكبرى على المبتدعين شرح صحيح الامام البخارى بشرح لم يسبق له نظير فى شروحه مع ما كان له من المصنفات المفيدة والآثار

السديدة تولى القضاء في مصر وبنى مدرسة عظيمة بالقرب من جامع الازهر وانشأ فيها خزانة كتب وضع فيها كتبا نفيسة في فنون مختلفة وكان مشغولا بالتأليف والتدريس وكانت وفاته سنة اثنتين وستين وسبعمائة للهجرة وله غير شرح البخارى شروح على بعض المتون المشهورة وله كتاب الطبقات في علماء الحنفية وهو كتاب جامع لاحوالهم وتراجمهم واختصر تاريخ دمشق للحافظ ابن عساكر وله أيضا تاريخ مفيد *

﴿ وبالجملة ﴾ كان رحمه الله من مشاهير عصره علما وزهداً وورعاً وممن له اليد الطولى في الفقه والحديث وقد أسف المسلمون على فقده وهو الحرى بقول القائل *

وانى لمعذور اذا ما بكيته * با كثر من قطر الغمام واغزر
ولي عبرة لم ترق عند ادكاره * كمالى فيه عبرة المتفكر
وقد كان لم يحجب سناه بحاجب * ولم تستر اضواءه بستر
فوا أسفي ان كان يغنى تأسفي * وواحذرى ان كان يغنى تحذرى
وكنت أرانى فى النوائب صابرا * فاعدمنى صبرى فأين تصبرى
واني لمقبول المعاذير في الاسى * ومن يعتذر مثلي الى الصبر يعذر

﴿ وكان رحمه الله ﴾ تعالى محبا لعلماء الحديث وحفاظ السنة النبوية لا سيما لشيخ الاسلام تقى الدين أحمد بن تيمية فقد أثنى عليه الثناء الجميل وذكر له مناقب جليلة وذب عنه وخاصم من بغى عليه واعتدى وله تقريظ بديع على كتاب الرد الوافر اثنى فيه على الشيخ بما يليق بجلالة قدره ويكفى دليلا على جلالة قدر الشيخ وانه من أكابر أئمة أهل السنة شهادة مثل هذا الامام ونظراؤه من حفاظ الانام رحمة الله عليهم أجمعين وقد أثنى على الشيخ ابن تيمية ثناء لامزيد عليه ونوه بشأنه وأطنب فى بيان مناقبه ومن ذلك ما كتبه على كتاب الرد الوافر في مناقب الشيخ أيضا وهذا نصه *

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ ان أضوع زهر تفتق عنه اكمام السن الانام وابدع ذكر يعبق منه طيب الافهام حمد من أجرى ماء التبيان فى عود اللسان لحمل ثمار المعانى والبيان وكشف ضياء الاوهام بشمس الحقائق وابان ما في القلوب باقمار الدقائق واشرع السنة الخواطر والافكار بايدى أنوار البصائر والابصار الى ثغر العلوم والاخبار واقلع عنا بنسائم الطائفه عجاجة

الظنون والشكوك ووتع لنا مناشير الصدق في السلوك واراحنا فى ركوب اعناق الكلام من العثرات والملام وازاحنا عن الوقوع فى تيار العبرات انه ولى الانعام وعصمنا من سلوك مسالك لا يؤمن فيها العثار. ومحالات تستحيل فيها الاعذار . والصلاة والسلام على من ختمت به النبوة والرسالة المخلوق من طينة الفصاحة والبسالة الذى أصعدته ذروة الملكوت واعطيته الكتاب . وقرنت بطاعته ومعصيته الثواب والعقاب محمد المصطفى المستأثر بالشفاعة يوم الحساب وعلى آله الذين استأسدوا فى رياض نبوته وأصحابه الذين تقلدوا بسيوف النصرة فى دعوته وعلى علماء الامة الذين استظهروا على صدمات الدهر وصولته بنزع ألسنتهم من تفويق سهام الطعن الى اغراض العصبية واقلاع أسنة خوضهم فى اعراض الانفس الابية فلذلك صاروا أنجما للاهتداء وبدورا للاقتداء فاجدر بهم ان يفوه لهم بمشايخ الاسلام وأنصار شرائع خير الانام وبعد فان مؤلف كتاب الرد الوافر قد جد فى هذا التصنيف البديع الزاهر وجلا بمنطقه السحار الرد على من تفوه بالاكفار على علماء الاسلام والائمة الاساطين الاعلام الذين تبوؤا الدار فى رياض النعيم واستنشقوا رياح الرحمة من رب كريم فمن طعن فى واحد منهم أو نقل نقلا غير صحيح قيل عنهم فكانما نفخ فى الرماد او اجتنى من خرط القتاد وكيف يحل لمن يتسم بالاسلام أو يتسم نسمة من علم أو فهم أو افهام ان يكفر من قلبه عن ذلك سليم بهيج واعتقاده لا يكاد الى ذلك يهيج ولكن من لم يوازنه طبعه فى القريض لم يزل يجد العذب مرا كالمريض والعائب لجهله شيئا يبدى صفحة معاداته ويتخبط خبط العشواء فى محاوراته وليس هو الا كالجعل باشتمام الورد يموت حتف أنفه وكالخفاش يتأذى ببهور سنى الضوء لسوء بصره وضعفه وليس لهم سجية نقاده ولا روية وقاده وماهم الا صلقع بلقع سلقع والمكفر منهم صلمعة بن قلمعة وهيان بن بيان وهي بن بى وضل بن ضل وضلال بن التلال ومن الشائع المستفيض ان الشيخ الامام العالم العلامة تقى الدين ابن تيمية من شم عرانين الافاضل ومن جم براهين الاماثل الذى كان له من الادب مآدب تغذى الارواح ومن نخب الكلام له سلافة تهز الاعطاف المراح ومن يانع ثمار أفكار ذوي اليراعة طبعه المعلق في الصناعة الخالية عن وصمة الفجاجة والبشاعة وهو الكاشف عن وجوه مخدرات المعاني حجاب نقابها والمفترع عرائس المباني بكشف جلبابها وهو الذاب عن الدين ظن الزنادقة والملحدين والناقد

للمرويات عن النبي سيد المرسلين وللمأثورات عن الصحابة والتابعين فمن قال هو كافر فهو كافر حقيق ومن نسبه الى الزندقة فهو زنديق وكيف يكون ذلك وقد سارت تصانيفه الى الآفاق وليس فيها شيء مما يدل على الزيغ والشقاق ولم يكن بحثه فيما صدر عنه في مسألة الزيارة والطلاق الا عن اجتهاد سائغ بالاتفاق والمجتهد فى الحالين مأجور مثاب وليس فيه شيء مما يلام أو يعاب ولكن حملهم على ذلك حسدهم الظاهر وكيدهم الباهر وكفى للحاسد ذما آخر سورة الفلق فى احتراقاته بالقلق ومن طعن فى واحد ممن قضى نحبه منهم أو نقل غير ماصدر عنهم فكانما أتى بالمحال واستحق به سوء النكال وهو الامام الفاضل البارع التقي النقي الورع الفارس فى علمى الحديث والتفسير والفقه والاصولين بالتقرير والتحرير والسيف الصارم على المبتدعين والحبر القائم بامور الدين والآمر بالمعروف والناهي عن المنكر ذو همة وشجاعة واقدام فيما يروع ويزجر كثير الذكر والصوم والصلاة والعبادة خشن العيش ذو القناعة من دون طلب الزيادة وكانت له المواعيد الحسنة السنية والاوقات الطيبة البهية مع كفه عن حطام الدنيا الدنية وله المصنفات المشهورة المقبولة والفتاوى القاطعة غير المعلولة .

وقد كتب على بعض مصنفاته قاضي القضاة كمال الدين بن الزملكانى رحمه الله تعالى *

ماذا يقول الواصفون له * وصفاته جلت عن الحصر

هو حجة لله قاهرة * هو بيننا أعجوبة الدهر

ثم ذكر ترجمة الزملكانى . ثم قال أفلا تكفى شهادة هذا الحبر . لهذا الامام حيث أطلق عليه حجة الله فى الاسلام ودعواه ان صفاته الحميدة لا يمكن حصرها ويعجز الواصفون عن عدها وزبرها — فاذا كان كذلك فكيف لايجوز اطلاق شيخ الاسلام عليه أو التوجه بذكره اليه وكيف يسوغ انكار المعاند الماكر الحاسد وليت شعرى مامتمسك هذا المكابر المجازف الجاهل المجاهر وقد علم ان لفظة الشيخ لها معنيان لغوي واصطلاحي فمعناه اللغوى ان الشيخ من استبان فيه الكبر ومعناه الاصطلاحي من يصلح ان يتلمذ له وكلا المعنيين موجود فى الامام المذكور ولا ريب انه كان شيخا لجماعة من علماء الاسلام ولتلامذة من فقهاء الانام فاذا كان كذلك كيف لايطلق عليه شيخ الاسلام لان من كان شيخ المسلمين يكون شيخا للاسلام وقد صرح باطلاق ذلك قضاة القضاة الاعلام والعلماء الافاضل أركان الاسلام

وهم الذين ذكرهم مؤلف هذا الكتاب الرد الوافر فى رسالته التى أبدع فيها بالوجه الظاهر
وقد استغنينا بذكره عن اعادته فالواقف عليه يتأمله والناظر فيه يتقبله وأما ماجريات هذا
الامام فكثيرة فى مجالس عديدة فلم يظهر فى ذلك لمعانديه فيما ادعى به عليه برهان غير
تنكيدات رسخت فى القلوب من ثمرات الشنآن وقصارى ذلك انه حبس وقيد وقد حبس
الامام أبو حنيفة رضي الله تعالى عنه ومات في الحبس فهل قال أحد من العلماء انه حبس
حقا وحبس الامام أحمد رضي الله عنه وقيد لما قال قولا صدقا والامام مالك رضى الله عنه
ضرب ضربا شديدا مؤلما بالسياط . والامام الشافعي رضي الله عنه حمل من اليمن الى بغداد
بالقيد والاحتياط . وليس ببدع ان يجرى على هذا الامام ماجرى على هؤلاء الائمة الاعلام .
وكان آخر حبسه بقلعة دمشق . وتوفى فيها فى الثلث الاخير من ليلة الاثنين المسفر صاحبها
عن عشرين من ذى القعدة سنة ثمان وعشرين وسبعمائة . وكان مرضه سبعة عشر يوما .
وصلى عليه بباب القلعة الشيخ محمد بن تمام ثم صلوا عليه فى الجامع الاموى . ثم دفن فى مقابر
الصوفية الى جنب أخيه الشيخ شرف الدين ومولده فى عاشر ربيع الاول سنة احدى وستين
وستمائة بحران وقدم مع والده الى دمشق . وقد امتلأ الجامع وقت الصلاة عليه اكثر من يوم
الجمعة . وحضر الامراء والحجاب . وحملوه على رؤسهم وخرجوا به من باب الفرج وامتد الخلق
الى مقابر الصوفية وختموا على قبره ختمات وبات أصحابه على قبره ليالى عديدة . ثم ذكر شعر
بعض من رثاه . ونبذة من شعر بعض من مدحه واثنى عليه كالامام زين الدين عمر بن الوردى
واثير الدين ابى حيان . وذكر ترجمة ابن الوردى وبعد ان أورد شعر أبى حيان قال *

ومثل الامام أبى حيان اذا شهد له بانه ناصر الشريعة ومظهر الحق ومخمد الشر وانه الامام الذى
كانوا ينتظرون مجيئه فكفاه مدحا وتزكية فاذا كان هذا الامام بهذا الوصف بشهادة هذا
الامام وبشهادة غيره من العلماء الكبار فماذا يترتب على من يطلق عليه الكفر او ينبزه بالزندقة
ولا يصدر هذا الا عن جاهل او مجنون كامل . فالاول يعزر بغاية التعزير ويشهر فى المجالس
بغاية التشهير . بل يؤيد فى الحبس الا ان يحدث التوبة او يرجع عن ذلك بان يحسن الاوبة
(والثانى) يداوى بالسلاسل والاصفاد . والضرب الشديد بلا أعداد . وهذا كله من فساد
هذا الزمان . وتوانى ولاة الامور عن اظهار العدل والاحسان . وقطع دابر المفسدين .

واستئصال شأفة المدبرين . حيث يتعدى جاهل يزعم انه عالم يثلب أعراض المسلمين • ولا سيما الذين مضوا الى الحق بالحق وبه كانوا عاملين • وهذا الامام مع جلالة قدره فى العلوم • نقلت عنه على لسان جم غفير من الناس . كرامات ظهرت منه بلا التباس • وأجوبة قاطعة عند السؤال منه من المعضلات . من غير توقف منه بحالة من الحالات *

﴿ ومن جملة ﴾ ماسئل عنه وهو على كرسيه يعظ الناس . والمجلس غاص باهله فى رجل يقول ليس الا الله . ويقول الله فى كل مكان . هل هو كفر ام ايمان *

﴿ فاجاب على الفور ﴾ من قال ان الله بذاته فى كل مكان فهو مخالف للكتاب والسنة واجماع المسلمين بل هو مخالف للملل الثلاث بل الخالق سبحانه وتعالى بائن من المخلوقات ليس في مخلوقاته شئ من ذاته ولا فى ذاته شئ من مخلوقاته بل هو الغنى عنها البائن بنفسه منها • وقد اتفق الائمة من الصحابة والتابعين والائمة الاربعة وسائر أئمة الدين ان قوله تعالى وهو معكم اينما كنتم والله بما تعملون بصير ليس معناه انه مختلط بالمخلوقات وحال فيها ولا انه بذاته فى كل مكان بل هو سبحانه وتعالى مع العبد أينما كان يسمع كلامه ويرى أفعاله ويعلم سره وخفاه رقيب عليهم مهيمن عليهم بل السموات والارض وما بينهما كل ذلك مخلوق الله ليس الله بحال في شئ منه سبحانه ليس كمثله شئ وهو السميع البصير لا فى ذاته ولا فى صفاته ولا فى أفعاله بل يوصف الله بما وصف به نفسه . وبما وصفه به رسوله من غير تكييف ولا تمثيل ولا تحريف ولا تعطيل فلا تمثل صفاته بصفات خلقه • ومذهب السلف اثبات بلا تشبيه وتنزيه بلا تعطيل وقد سئل الامام مالك رضى الله تعالى عنه عن قوله تعالى الرحمن على العرش استوى فقال الاستواء معلوم • والكيف مجهول . والايمان به واجب والسؤال عنه بدعة . (فهذا الامام) كما رأيت عقيدته وكاشفت سريرته فمن كان على هذه العقيدة كيف ينسب الى الحلول والاتحاد والتجسيم اومايذهب اليه أهل الالحاد أعاذنا الله واياكم من الزيغ والضلال والفساد وهدانا الى سبيل الخير والرشاد انه على ذلك قدير وبالاجابة جدير *

حرره منمقا فقير رحمة ربه العلى الغنى ابو محمد محمد بن احمد العينى عامله الله بلطفه الخفى والجلى بتاريخ الثامن عشر من شهر ربيع الاول سنة خمس وثلاثين وثمانمائة بالقاهرة المحروسة *

﴿ ومنهم الامام الحافظ محمد ابن ابى بكر بن ناصر الدين الدمشقى الشافعى رحمه الله ﴾

وكان رحمه الله تعالى من أعلم العلماء العاملين والحفاظ المتقنين قد بلغ بشامخ فضله عنان السماء وافاد المستفيدين فوائد جلت عن الاحصاء وكان ذا رسوخ وتمكين واعتقاد رصين ذا اخلاق سنيه وصفات مرضيه وكان له ذهن وقاد وفطنة أدرك بها مرتبة الاجتهاد وعلم ماخفي على غيره من العباد اليه تنتهي الحقائق وعنه تروى لدقائق له التصانيف المفيده والكتب الفريده وكان ذا تواضع وانصاف وديانة وعفاف يحب الانتصار للحق وأهله ويذعن لما يدل عليه البرهان من غير قدحه ولا تمليله وقد أثنوا عليه بما يليق بمقامه الرفيع وترجمه جماعة من الافاضل واتفق على فضله الجميع وممن ترجمه العلامة الحافظ قطب الدين الخضيرى الدمشقي عليه الرحمة فى كتابه الذى الفه فى طبقات الشافعية وذكر نبذة من أوصافه الحميدة ومزاياه المرضية وكان من الموالين لشيخ الاسلام والعارفين بقدر ذلك الامام لم يزل يجادل عنه خصومه ويذب عنه اعتراضاتهم الموهومة وقد ألف بعض الزائغين السالكين مسلك السبكى من غلاة الشافعية الناكبين عن المحجة البيضاء والسنة النبوية كتابا ذكر فيه تكفير من يطلق على ابن تيمية شيخ الاسلام بسبب منعه الاستغاثة بغير الله وقوله بما اختاره من الاحكام فرد عليه الحافظ الدمشقي هذا ردا شفى به صدور المؤمنين وذكر فى رده من مناقب الشيخ وعلومه ومن أثنى عليه من أكابر الائمة ماتقر به عيون المسلمين وسمى كتابه هذا الرد الوافر على من زعم ان من أطلق على ابن تيمية شيخ الاسلام كافر والكتاب مفصل وفيه مسائل مهمة قرظ مشاهير علماء عصر مصنفه واكابر أئمة المذاهب الاربعة كالحافظ ابن حجر العسقلاني وقاضي القضاة الامام نور الدين العينى وقد سبق ذكر ماقالاه والامام البلقيني الشافعى والامام قاضي القضاة عبد الرحمن التفهنى الحنفى والامام شمس الدين محمد ابن احمد البساطى المالكى وغيرهم وسنذكر تقاريظهم ان شاء الله والكتاب نادر الوجود ومنه نسخة جيدة فى خزانة كتب ولى الدين في جامع السلطان بايزيد فى دار السلطنة العثمانية المحروسة موسومة بعدد تسع وأربعين واربعمائة والف نسأله تعالى ان يوفق نشر هذا الكتاب وينعم على المسلمين بمعرفة فوائده *

﴿ ماقاله الامام العلامة قاضى القضاة شيخ الاسلام صالح بن عمر البلقينى الشافعى عليه الرحمة ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم * الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات اللهم صل على سيدنا محمد سيد السادات من أهل الارضين والسموات وعلى آله وأصحابه واتباعه ويسر والطف واختم بخير آمين

(وبعد) فقد وقفت على هذا التصنيف الجامع والمنتقى البديع المطرب للمسامع وعملت بشروط الواقفين من استيفاء النظر فوجدته عقدا منظما بالدرر يفوق عقود الجمان ويزرى بقلائد العقيان ويضوع مسك الثناء على جامعه مدى الزمان وقال لسان الحال فى حقه ليس الخبر كالعيان وكيف لا وهو مشتمل على مناقب عالم زمانه والفائق على اقرانه والذاب عن شريعة المصطفى باللسان والقلم والمناضل عن الدين الحنيفي وكم أبدي الحكم صاحب المصنفات المشهورة والمؤلفات المأثورة الناطقة بالرد على أهل البدع والالحاد القائلين بالحلول والاتحاد ومن هذا شأنه كيف لا يلقب بشيخ الاسلام وينوه بذكره بين العلماء الاعلام ولا عبرة بمن يرميه بما ليس فيه اوينسبه بمجرد الاهواء لقول غير وجيه فلم يضره قول الحاسد والباغي والطاعن والجاحد

وما ضر نور الشمس ان كان ناظرا * اليها عيون لم تزل دهرها غمضا

غير ان الحسد يحمل صاحبه على اتباع هواه . وان يتكلم فيمن يحسده بما يلقاه . لله در الحسد ما اعدله . بدأ بصاحبه فقتله . وما أحق هذا العالم بقول القائل *

حسدوا الفتى اذ لم ينالوا علمه * فالقوم أعداء له وخصوم

وقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اياكم والحسد فان الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب . أو قال العشب اعاذنا الله من حسد يسد باب الانصاف ويصد عن جميل الاوصاف وكيف يجوز ان يكفر من لقب هذا العالم شيخ الاسلام ومذهبنا ان من كفر أخاه المسلم بغير تأويل فقد كفر لانه سمى الاسلام كفرا

ولقد افتخر قاضى القضاة تاج الدين ابن السبكي فى ترجمة أبيه الشيخ تقى الدين السبكى فى ثناء الائمة عليه بان الحافظ المزى لم يكتب بخطه لفظة شيخ الاسلام الا لابيه وللشيخ تقي الدين ابن تيمية وللشيخ شمس لدين ابن أبي عمر فلولا ان ابن تيمية فى غاية العلو فى العلم والعمل ما قرن ابن السبكى أباه معه في هذه المنقبة التي نقلها ولو كان ابن تيمية مبتدعا أو زنديقا ما رضى ان يكون أباه قرينا له *

نعم نسب الشيخ تقى الدين الى اشياء انكرها عليه معاصروه وانتصب الرد عليه الشيخ تقى الدين السبكى فى مسألتى الزيارة والطلاق وافرد كل منهما بتصنيف وليس فى ذلك ما يقتضي كفره ولا زندقته اصلا وكل أحد يؤخذ من قوله ويترك الا صاحب هذا القبر . يعنى النبي

صلى الله تعالى عليه وسلم والسعيد من عدت غلطاته وانحصرت سقطاته ثم ان الظن بالشيخ تقي الدين انه لم يصدر منه ذلك تهورا وعدوانا حاش لله بل لعله لرأى رآه واقام عليه برهانا ولم نقف الى الآن بعد الفحص والتتبع على شيء من كلامه يقتضي كفره ولا زندقته وانما نقف على رده على أهل البدع والاهواء وغير ذلك مما يظن به براءة لرجل وعلو مرتبته في العلم والدين وتوقير العلماء والكبار وأهل الفضل متعين قال الله تعالى (قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون) وصح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويعرف شرف كبيرنا وفي رواية حق كبيرنا وكيف يجوز ان يقدم على رمى عالم بالفسق أو الكفر ولم يكن فيه ذلك وقد صح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يرمي رجل رجلا بالفسق او الكفر الا ارتدت عليه ان لم يكن صاحبه كذلك . ثم كيف يجوز الاقدام على سب الاموات بغير حق وهو محرم قد صح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاتسبوا الاموات فانهم قد أفضوا الى ماقدموا وكيف يجوز أذى المؤمن بغير حق والله تعالى يقول والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا وصح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده) والمهاجر من هجر مانهى الله عنه *

﴿ فالواجب ﴾ على من أقدم على رمى هذا العالم بما ليس فيه الرجوع الى الله تعالى والاقلاع عما صدر منه ليحوز الاجر الجزيل بالقصد الجميل . وان اطلع على أمر يحتمل التأويل فلا يقطع بما يخالف ذلك التأويل بغير دليل . وان صح عنده أمر جازم عنه يقتضي انكاره فينكره قاصدا للنصيحة ولا يهضم مقام الرجل مع شهرته بالعلم والفضل والتصانيف والفتاوى التي سارت بها الركبان . والله تعالى يحفظنا من الخطأ والخطل . ويحمينا من الزيغ والزلل . والحمد لله رب العالمين

﴿ وكتب ﴾ في اليوم الموافق ليوم ولادة النبي صلى الله عليه وسلم . يوم الاثنين ثاني عشر شهر ربيع الاول سنة ٨٣٥ *

﴿ ومنهم الامام العلامة قاضي القضاة عبد الرحمن التفهني الحنفي عليه الرحمة ﴾

كان علامة عصره وفهامة مصره اتقن علوم الدين وعلم حقائق اليقين حتى كان تذكرة الامام . وعليه مدار أصحاب مذهبه في الاحكام . له التصانيف التي لم يسبقه اليها غيره من الافاضل

والفوائد التى هى واسطة عقد الفضائل وكان على منهج السلف الصالح ويعد مخالفتهم من أفضح الفضائح ولم يزل يثنى على المحدثين ويصوب ارائهم فى عقائد الدين وافرد المصنفون له تراجم مفصله . واثنوا عليه بعباراتهم المطوله . وذكروا انه كتب فى مناقب شيخ الاسلام مايليق بشأنه من الكلام وقد قرظ كتاب الرد الوافر . وذكر من مناقب نحو ما ذكره الاكابر . وهذا نصه *

بسم الله الرحمن الرحيم * الحمد لله الذى جعل قلوب العلماء كنوز لطائف الحكم والسنتهم مكفوفة عما فيه نقص او جرح أو الم واسماعهم عن سماع قول الفحش فى صمم وخصهم بين الانام بجلائل النعم وجعلهم محفوظين عن الخوض في الاعراض متجانبين عما يؤدى الى ظهور الاغراض وصلى الله على سيدنا محمد المبعوث للعرب والعجم وعلى آله وأصحابه ذوي الكرم والهمم *

(وبعد) فان صاحب هذا التأليف قد أمعن النظر وأجاد وبين واتقن وأفاد فيما هو المقصود والمراد من الرد على من أكفر علماء الاسلام وهم الأئمة الاعلام بنسبتهم الشيخ العالم الناسك تقى الدين ابن تيمية الى كونه شيخ الاسلام *

فنقول وبالله التوفيق * ان الشيخ تقى الدين ابن تيمية كان على ما نقل الينا من الذين عاشروه وما اطلعنا عليه من كلام تلميذه الشيخ شمس الدين بن قيم الجوزية الذي سارت تصانيفه فى الآفاق كان عالما متقنا متفننا متقللا من الدنيا معرضا عنها متمكنا من اقامة الدليل على الخصوص حافظا للسنة عارفا بطريقها عالما بالاصلين اصول الدين وأصول الفقه قادرا على الاستنباط لاستخراج المعانى لايلويه فى الحق لومة لائم قائم على أهل البدع المجسمة والحلولية والمعتزلة والروافض وغيرهم والانسان اذا لم يخالط ولم يباشر يستدل على أحواله وأوصافه باثاره الا ان ما اتصف به تلميذه ابن القيم من العلم يكفى ذلك . دليلا على ماقلناه وما نقل الينا مما اجتمع فى جنازته من الخلائق التي لا تحصى حتى شبهت جنازته بجنازة الامام أحمد رضى الله عنه عبرة لمن اعتبر وما نقل الينا من تسلطه على الجان المردة عبرة أيضا *

قال تلميذه ابن القيم الجوزية عند كلامه على الصرع فى الطب النبوي واختياره ان الصرع على قسمين صرع يتعلق بالاخلاط . وصرع يتعلق بالارواح الخبيثة كان شيخنا ابن تيمية يأتى الى

المصروع ويتكلم فى أذنه بكلماته فيخرج ولا يعود اليه بعد ذلك وحكايته مع الذى اختطفت زوجته معروفة ومع الذى كان يرتفع الى السقف معروفة أيضا فمن كان متصفا بهذه الاوصاف كيف لا يلقب شيخ الاسلام باى معنى أريد منه وكيف يحل ان ينسب مثل هذا الشيخ او واحد من المشايخ المذكورين فى هذا التأليف او واحد من المتصفين بالاسلام ولو في الظاهر الى الكفر مع ما عليه أهل السنة والجماعة من أن مقترف الكبيرة عمدا لا يخرج من الايمان ولا يدخل فى الكفر وانه ان مات ولم يتب كان في مشيئة الله تعالى ان شاء عذبه بقدر ذنبه وان شاء غفر له وعفا عنه وانه لا يجوز تكفير أحد من أهل القبلة اعم من ان يكون سنيا أو بدعيا أو معتزليا أو شيعيا أو من الخوارج وهو المروى عن أبى حنيفة فانه سئل عن طائفة من الخوارج معينين . فقال هم أخبث الخوارج فقيل هل تكفرهم فقال لا وهكذا المروى عن الشافعى والاشعري وأبى بكر الرازى رضى الله تعالى عنهم أجمعين وهذه المسألة مشهورة فى موضعها *

ومما يدل على هذا ما قاله الفقهاء حيث قالوا وتقبل شهادة أهل الاهواء الا الخطابيه وانما تقبل شهادتهم لاسلامهم واستثنوا الخطابية لانهم يعتقدون جواز الكذب فى الشهادة فاذا كان الحكم فيما ذكرناه هكذا فكيف بمسلم متصف بالاوصاف الحسنة المتقدمة

وقد أخبرنى من حضر مجلس هذا المكفر فقال ان ابن تيمية كافر مجوسى . النصارى واليهود خير منه . فان النصارى واليهود لهم كتاب وابن تيمية لا كتاب له *

فنعوذ بالله من هذه النزغة الشيطانية المفظعة القبيحة مع انه لم ينقل عن ابن تيمية كلام يقتضى كفراً ولا فسقا ولا ما يشينه في دينه . وقد كتبت فى زمنه محاضر لجماعة من العلماء العدول اطلعنا عليها بانه لم يقع منه شئ مما يشينه فى دينه ووصفوه في تلك المحاضر باعظم مما قلناه من أوصافه المتقدمة . وانما قام عليه بعض العلماء فى مسألتى الزيارة والطلاق . وقضية من قام عليه مشهورة . والمسألتان المذكورتان ليستا من أصول الاديان وانما هما من أصول الشريعة التى أجمع العلماء على ان المخطئ فيها مجتهد مثاب لا يكفر ولا يفسق . والشيخ كان يتكلم فى المسألتين بطريق الاجتهاد . وقد ناظر من أنكر عليه فيهما مناظرة مشهورة بادلة يحتاج من عارضه فيها الى التأويل . وهذا ليس بعيب فان المجتهد تارة يخطئ وتارة يصيب وهو مثاب على اجتهاده وان كان

مخطئا . ولو اشتغل هذا المكفر بالله وبما يجب عليه من طاعته وصان لسانه ومنع نفسه من الاشتغال بما لا يعنيه . وحمل أحوال المسلمين على الصلاح . واقتدى بقول رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهل يكب الناس فى النار على وجوههم الا حصائد ألسنتهم . وبقول عيسى عليه السلام حين عارضه خنزير فى بعض الطرق . فقال اذهب يا مبارك فقيل له فى ذلك . فقال اني أعود لسانى الخير . وبقول عمر رضى الله عنه لا تظنن بكلمة خرجت من أخيك سوءا وأنت تجد لها من الخير محملا *

واعلم انه اذا نقل الينا كلام أحد وثبت انه كلامه بالطريق الصحيح الشرعى ونظرنا في ذلك الكلام فلم نجد له وجه صحة وانما وجدناه مصادما للشريعة من كل وجه . فان كان المنقول عنه ذلك الكلام ميتا ولم يثبت عندنا رجوعه نسبناه الى ما يقتضي كلامه . وان كان حيا قمنا عليه فان تاب والا رتبنا عليه ما تقتضي الشريعة المحمدية . لما أكفر واحداً من أهل القبلة كما فى هذه القضية وكما وقع له مثل ذلك فى حق شخص ممن اجتمع الناس على علمه وخيره ودينه وتبحره فى العلوم وهو الشيخ شمس الدين البساطى قاضي قضاة المالكية . فى الديار المصرية . فنسأل الله تعالى ان يتوب عليه . وان يصون لسانه عن الزلل وان يجعل ما نحن فيه خالصا لله تعالى . وان يدخلنا الجنة بمنه وكرمه *

﴿ قال ذلك ﴾ عبد الرحمن التفهنى . عامله الله بلطفه الخفى فى رابع عشر ربيع الاول سنة خمس وثلاثين وثمانمائة *

﴿ ومنهم الامام العلامة قاضى القضاة شمس الدين محمد بن أحمد البساطي المالكي عليه الرحمة ﴾

وكان من أكابر رجال المالكية وفقهائهم . وأجل مشايخهم وعلمائهم أخذ العلم عن أئمة لهم لسان صدق فى الامة . وأخذ عنه جماعة من علماء عصره واجلاء مصره وكان لا تأخذه فى الله لومة لائم . وهو فى جميع شؤنه بصير حازم . مع تواضع ولين جانب . وفكاهة هى من أعجب العجائب . وله مصنفات فى فنون مختلفة . هى فريدة في بابها من بين الكتب المصنفة وقد حسده أيضا جماعة من أهل عصره . ورموه بالعظائم كما فعلوه مع أهل الفضل غيره . وكان ممن عرف قدر شيخ الاسلام وكتب فى مناقبه ما تلتذ به المسامع والافهام وقد عثرنا على تقريظ له على كتاب الرد الوافر ومنه يعلم ما كان عليه من الفضائل والمآثر . وهو قوله *

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ . الحمد لله رب العالمين . وصلاته وسلامه على سيد المرسلين محمد وآله وصحبه أجمعين (وبعد) فقد نظرت فى هذا الكتاب الدال على ان مصنفه من الحفاظ المطلعين وانه قد وفى بما قصد اليه اما صراحة واما اشارة مع ان الامامة للشيخ تقي الدين ابن تيمية فى العلم مما لا يحتاج الى الاستدلال عليه لحصول العلم الضرورى عن الاخبار المتواترة بذلك . وأما قول من قال انه كافر . وانه من قال فى حقه انه شيخ الاسلام فهو كافر . فهذه مقالة تقشعر منها الجلود . وتذوب لسماعها القلوب ويضحك ابليس اللعين عجبا بها ويشمت وينشرح لها أفئدة المخالفين وتثبت . ثم يقال له لو فرضنا انك اطلعت على مايقتضى هذا فى حقه فما مستندك فى الكلام الثانى . وكيف تصح لك هذه الكلية المتناولة لمن سبقك ولمن هو آت بعدك الى يوم القيامة . وهل يمكنك ان تدعي ان الكل أطلعوا على ما أطلعت عليه . وهل هذا الا استخفاف بالاحكام . وعدم مبالاة لبنى الايام . والواجب ان يطلب هذا القائل ويقال له لم قلت وما وجه ذلك فان أتى بوجه يخرج به شرعا من العهدة فيها . والا برح تبريحا يردع أمثاله عن الاقدام على اعراض المسلمين *

وكتبه محمد بن أحمد البساطى المالكى عفا الله عنه . والحمد لله وحده . وذلك سنة خمس وثلاثين وثمانمائة من الهجرة *

﴿ ومنهم الامام الحافظ سراج الدين أبى حفص عمر بن علي البزار عليه الرحمه ﴾

وهو أحد الائمة الذين تبوا قنة الجوزاء . وبلغت شهرتهم فى علو الدرجة الى السماء . فضله السلسبيل والبحر الطويل والاصيل ابن الاصيل الذى ترك عبد الحميد فى ابيجاد والحريرى في حومة الاولاد وابن العميد ساقط العماد الجامع بين الرقة واللطافة والنزاهة والظرافة وبدائع الافكار ودقائق الانظار والمعانى الرائقه والنكات الفائقه مع فصاحة تخرس لها الالسن طوع القلم وسبح طويل ببحر القرطاس تقف بساحله الامم وبلاغة يتحلى بها جيد الدهر ويتمنطق بها خصر العصر وكان له من المصنفات ما تجاوز العد وفات جمعت حسن السبك وسهولة العبارة والفوائد العجيبة وهى فى فنون مختلفة ومنها كتاب أفرده فى مناقب شيخ الاسلام . وعلم الاعلام أبى العباس تقي الدين ابن تيمية أودع فيه من مناقب ذلك الامام ومزاياه وما آثره مالم يجتمع في كتاب وأتى فيه بالعجب العجاب بل بفصل الخطاب وذلك من آيات انصافه

واذعانه للحق وقلما يتفق ذلك لاهل العلم وغالبهم من تحمله عصبية رجال مذهبه على الميل عن الحق والاضراب عنه كما كان من السبكي وابنه وابن حجر غير ان الله سبحانه وتعالى خص هذه الامة بخصائص منها انها لا تجتمع على ضلالة وذلك مما استوجبت به ان تكون خير أمة أخرجت للناس . وقد لخص بعض أبواب هذا الكتاب الشيخ مرعى الحنبلي فى كتاب مناقب شيخ الاسلام وسنذكره ان شاء الله تعالى *

﴿ ومنهم أوحد الادباء وشيخ الفضلاء شهاب الدين أحمد العمرى الشافعى عليه الرحمه ﴾

كان فائقا فى عصره على الاقران . بما حواه من الادب والعرفان . بل هو ملك أنس تكونت ذاته من نور . وفلك فضل على قطب الكمال يدور . تألقت في سماء المعالى كواكبه وزاحمت العيوق من غير عائق مناكبه . وتناولت عنقود الثريا سواعده . وتأسست فوق المجرة قواعده فرفع من العلوم منارها وقدح زند فكره بصوانة البلاغة فاورى نارها ونزع قمر كماله من فلك الفصاحة ونبع غصن نجابته من دوحة الكرم والسماحة ودأب فى طلب العلوم فاحرز منها ما احرز ووشى حواشى مطول فضله بمعاني بديع بيانه وطرز وغاص فكره بقاموس العلوم فاستخرج من عباب المنطوق والمفهوم اصداف فوائد ملئت بصحاح الجواهر وقلدها في نحور الطالبين فالخم بمعجز البراهين كل مباحث ومناظر *

هو تحفة للناظرين وروضة . للطالبين وغنية للمبتدى *

وهو الفقيه الذي ليس له اشباه ولا نظائر والبليغ الذي يشهد المسامر انه الزاخر تقر له بالاعجاز الصدور والاعجاز فتحريره الروض الرائق . وفكره كنز الدقائق . وتقريره الدر المختار وتعبيره تنوير الابصار وحكاياته ربيع الابرار والمحدث الذى الحق الاحفاد بالاجداد وأتى من فنون الاسناد ماسلسل به الرواية فملأ بروايته الوراد قام على اقدام التحقيق وابرز عرائس المخدرات من خدور التدقيق *

بدا والعلم ليس له عيون * فاجراها ونورها أناسى
وابدع فى مباحثه فنونا * وايناهن واضحة القياس

فهو الذى رفأ خرقه واشع فى سحابه برقه واصدح على افنانه ورقه فنار الايمان بهدايته فى ايضاح ومشكوة الرواية فى رأيه ذات مصباح وليالي المحابر مشرقة من شمس معارفه بصباح

واعناق المشكلات بصوارم ذهنه مجزومة وكتائب المعضلات بسمر اقلام كتبه مهزومه ورياض العلوم به زاهرة وافلاك الفهوم على تقريره دائره ونجب التوجيه بامثال نوادره سائره وخدود الطروس عن غرر ابداعه سافره ووجوه البيان كاشفة النقاب عن محاسن تحبير جده الحالى بها هذا الكتاب وهو من بيت فضل ومجد ودرايه وسلفنا أهل علم وعمل وروايه نسبه بابن الخطاب متصل وحسبه من كل جرثومة مجد منفصل *

قوم لهم بين الانام مناقب * كالشمس فى العليا على التحقيق
مافيهم الا نجيب كامل * ذاعت فضائله بكل طريق
ناهيك من شرف ترى انسابهم * موصولة فى حضرة الفاروقي

وكان هذا الفاضل مقتفى أثر سننهم وآخذ بفروضهم وسننهم يلوح من فرقه سيماجده الامام الفاروقى ويرشح من قلبه السليم بعقارب الاقارب رشحات الترياق الفاروقي وهو منذ انيطت عنه التمائم ولاحت له من أثر اسلافه العلائم اشتغل بقراءة الفقه والحديث والتفسير والاصول وشرع فى طلب العلوم من المعقول والمنقول الى ان صار العلم المفرد ولم يسبقه من أهل عصره أحد

وفى تاريخ أبي الفدا ما نصه في ذى الحجة سنة تسع وأربعين وسبعمائة بلغنا وفاة القاضى شهاب الدين أحمد بن فضل الله العمرى بدمشق بالطاعون ومنزلته في الانشاء معروفة وفضيلته فى النظم والنثر موصوفة كتب السر للسلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون بالقاهرة بعد أبيه محى الدين ثم عزل باخيه القاضى علاء الدين وكتب السر بدمشق . ثم عزل وتفرغ للتأليف والتصنيف حتى مات عن نعمة وافرة قال أبو الفدا دخل رحمه الله قبل وفاته بمدة معرة النعمان فنزل في المدرسة التى أنشأتها ففرح لى بها وانشد فيها بيتين أرسلها لى بخطه وهما *

وفى بلد المعرة دار علم * بنى الوردى منها كل مجد
هى الوردية الحلواء حسنا * حمدت الله اذ بك تم مجدى

﴿ فأجبته بقولى ﴾

أمولانا شهاب الدين أنى * حمدت الله اذ بك تم مجدى
جميع الناس عندكم نزول * وانت جبرتنى ونزلت عندى

انتهى ما قاله . وله مصنفات كثيرة ليس هذا موضع استيفائها . ومن أجلها قدرا كتابه

المسمى بمسالك الابصار . فى الممالك والامصار . وهو كتاب مفصل لم يؤلف نظيره فى بابه فى بضع وعشرين مجلدا . اودعه أحوال البلاد والدول بتحقيق وتدقيق وتفاصيل لم يشتمل عليها غيره . ومن ذلك تراجم أفاضل عصره . وافرد فصلا طويلا فى مناقب شيخ الاسلام . واثنى عليه بما يليق به من الثناء الجميل وذكر ما كان له من المزايا والفضائل ومنزلته فى العلم والاجتهاد . ولو اطلع عليها الزائغ النبهانى واضرابه الغلاة عبدة غير الله لغصوا بريقهم . وقد ذكر منها نبذا مفيدة العلامة الشيخ مرعى الحنبلي فيما الفه من مناقب الشيخ على ما سنذكره .

﴿ ومنهم الحافظ الامام شمس الدين صاحب الصارم المنكي عليه الرحمه ﴾

وقد سبق بيان نبذة من احواله وفضائله عند الرد على كلامه على كتاب الصارم المنكى وقد ترجمه جميع من صنف من المترجمين المنصفين . وله ذكر جميل فى طبقات ابن رجب والشذرات . وهو من أجل تلامذة شيخ الاسلام . وصنف كتابا كبيرا في مناقب شيخه سماه الدرة المضية فى مناقب الامام ابن تيمية . وقد نقل عنه الشيخ مرعي أيضا في مناقبه على ما سيجيء ان شاء الله تعالى *

﴿ ومنهم الحافظ الامام الاجل الشهير بابن قيم الجوزيه عليه الرحمة والرضوان ﴾

وهو ابو عبد الله محمد ابن ابي بكر بن ايوب شمس الدين قيم الجوزيه الحنبلي رضى الله عنه كان واسع العلم عارف بالخلاف ومذاهب السلف . وله من التصانيف مالا يعد كثرة (منها أعلام الموقعين) وبدائع الفوائد . وجلاء الافهام . فى الصلاة على خير الانام ورفع اليدين . وتحفة المورود فى أحكام المولود . والفتح المكي . والفتح القدسي وغير ذلك وهو طويل النفس في مؤلفاته وجرت له محن مع القضاة منها سبب فتواه بجواز الرجوع بغير محلل فانكروا عليه وآل الامر الى ان رجع عنه . كذا فى الدرر الكامنة من المائة الثامنة اقتصارا . وفضله اشهر من أن ينبه عليه واظهر من ان يشار اليه . وكتبه المنتشرة اليوم اعدل شاهد على علو شأنه وطول باعه فى كل علم وقد الف في مناقب الشيخ ما تقر به عين المؤمن . وينشرح له صدر كل مسلم وذكر أيضا نبذة مفيدة من احواله فى كثير من كتبه لا سيما فى كتابه مدارج السالكين شرح منازل السائرين . ووفق بين احواله وأحوال اكابر عباد الله الصالحين وعرف منزلته ومقامه . وقد كان من اجل تلامذة الشيخ وأصحابه وادرى من غيره بشؤنه وأحواله ودرجته من علم اليقين وبلوغه مقام المجتهدين الاعلام وبالجملة ان ابن القيم نفسه كان حسنة من حسنات ابن تيمية

وهو ذلك العالم لذى سارت بذكر فضائله الركبان وهو كما قل القائل *

بزعم الاعادى نال ماهو نائل * فاجدع آناف العداة وارغما
ولو رام ان يرقى الى النجم لارتقى * ويوشك رب الفضل أن يبلغ السما
ولا غرو ان يعلوها وها هو قدعلا * ولا بدع ان يسموا وها هو قد سما
عزائمه كالمشرفية والظبا * وأراؤه مازلن في الخطب انجما
يصيب بها الاغراض مما يرومه * ولا يخطئ المرمى البعيد اذا رمى

﴿ ومنهم العلامة المحدث السيد صفي الدين الحنفي البخارى نزيل نابلس عليه الرحمه ﴾

وكان آية فى علم الحديث والتفسير والاصلين والتصوف واحوال الرجال كما كان مشهورا بالانصاف من بين علماء مصره . ومن اوضح الدلائل على انصافه كتابه الذى صنفه فى مناقب شيخ الاسلام ابن تيمية على مالا يخفى على من طالع كتابه هذا وقد رد على المنكرين عليه وذب عنه ماهو برئ منه وذكر دلائل ما اختاره من الاقوال وسمى ذلك الكتاب القول الجلى . فى ترجمة الشيخ تقي الدين ابن تيمية الحنبلي . وقد تلقى كتابه هذا علماء عصره بالقبول وقرظوه واثنوا عليه بالثناء الجميل وذكروا ان ما فيه هو الحق الذى قام عليه البرهان والدليل وممن قرظه الامام العلامة الشيخ عبد الرحمن الشافعى الدمشقى الشهير بالكزبرى عليه الرحمة فقال بعد الخطبة (اما بعد) فقد اطلعت على هذا الجزء الشريف . وسرحت طرفى فى رياض روضه المنيف . فرأيته بديعا جامعا لفصل القول وخطابه معرفا بسناء مقام الشيخ شيخ الاسلام أحد سلاطين المحدثين الاعلام من ازعن لغزارة علمه الموافق والمخالف واعترف بتحقيقه وسعة اطلاعه من هو على مؤلفاته واقف الامام ابن تيمية أحمد تقى الدين وانه ممن دان بسيرة السلف الصالحين منزه عن سوء الاعتقاد وزيغ العقيدة سالكا طريقة السلف الحميدة وان ما يعزى اليه من بعض المخالفات فى الاصول والابتداع هو منه برىء كما يصرح به النقل من كلامه فى مشهور مؤلفاته الدال على انه بموافقة أهل السنة حرى وما يعزي اليه من المخالفات فى بعض الفروع والطعن فى السادة الصوفية اولى الشأن العلى فذلك مما لا نوافقه عليه ولا نسلم شيأ من ذلك اليه كما حقق جميع ذلك وحرره سيدنا مؤلف القول الجلى والله يقول الحق وهو يهدى السبيل وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم *

وكتبه تراب أقدام أهل الحديث الشريف النبوي عبد الرحمن الشافعي الدمشقي الشهير بالكزبري عفا الله عنه وختم له بالحسنى سنة ثلاث وعشرين ومائتين والف من الهجرة *

﴿ وممن قرظه أيضا ﴾ الامام العلامة الشيخ محمد التافلاني مفتي الحنفية بالقدس الشريف رحمه الله قال بعد خطبته البليغة (وبعد) فقد وقفت على هذا القول الجلي في ترجمة تقي الدين ابن تيمية الحنبلي فوجدته قولا جليا وصراطا سويا قد نبذ مؤلفه التعصب ظهريا فمن يهز نخلاته تساقط عليه رطبا جنيا ومن ضرب عنه كشحا يقول لمؤلفه لقد جئت شيأ فريا *

كلا لقد سلك مولانا صفي الدين ما يستعذ به العارفون ومحجته بيضاء نقية لا يعقلها الا العالمون والخطأ في ابن تيمية معلوم ولا ينجو منه الا معصوم وقد اعترف له بطول الباع في العلوم الشرعية وغيرها الموافق والمخالف ولا ينكر ذلك الا غبي او جاهل او حسود او متعصب على حجر جمود واقف وقد اثنى عليه جمهور معاصريه وجمهور من تأخر عنه . وكانوا خير مناصريه وهم ثقات صيارفة حفاظ عريفهم في النقد دونه عريف عكاظ وطعن فيه بعض معاصريه بسبب أمور اشاعها مشيع لحظ نفسه او لاجل المعاصرة التي لا ينجو من سمها الا من قد كمل في قدسه فخلف من بعدهم مقلدهم في الطعن فتجاوز فيه الحد ورماه بعظائم موجبة للتعزير او الحد ولو قال هذا المقلد كقول بعض السلف حين سئل عما جرى بين الامام علي ومعاوية فقالوا تلك دماء طهر الله منها سيوفنا أفلا نطهر منها السنتنا لنجا من هذا العناء وقول الآخر لما سئل عن ذلك فاجاب (تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يفعلون)

وهذا الامام تصانيفه قد ملأت طباق الثرى . واطلع عليها القاصي والداني من علماء الورى . فما وجدوا فيها عقيدة زائغة . ولا عن الحق رائغة وكم سل السيوف الصوارم على فرق الضلال . وكم رماهم بصواعق محرقة كالجبال . تنادي صحائفه البيضاء بعقيدة السلف . ولا ينكر صحتها وأفضليتها من خالف منا ومن سلف شهد له الاقران بالاجتهاد . ومن منعه له فقد خرط بكفه شوك القتاد . وما سوى العقائد نسبت اليه مسائل جزئية رأى فيها باجتهاده رأى بعض السلف . لدليل واضح قام عنده فكيف يحل الطعن فيه بسهام الهدف . وهذا محمد بن اسحق قال فيه امام دار الهجرة ذاك رجال من الدجاجلة . ومع ذلك وفقه تلميذه الامام المجتهد

محمد بن ادريس وروى عنه حديث القلتين . ووصفه بالدجاجلة لم يبق من الذم شيئا ولم يره أحد بكفر ولا زندقة ولا فسق . وأمثال هذه القضية جرت فى الاعصر الاول وبعدها مرارا وأشنع ما نسب اليه منع الزيارة لقبور الانبياء . فهذه ان صحت عنه فلعله انما منع شد الرحال اليها قصدا وأما الزيارة لتلك القبور المقدسة تبعا فلا يصح نسبة المنع اليه كيف وهو مصرح باستحباب زيارة قبور آحاد المؤمنين . ولله در الامام حافظ الشام ابن ناصر . حيث ألف فى الذب عنه رسالة هى أمضى من السيف الباتر . ولله در أمير المؤمنين الحافظ ابن حجر والحافظ الاسيوطي واضرابهم من الاسود الكواسر . قد شنوا الغارة على من طعن فيه فباؤا بالاجر الوافر . أولئك الذين هداهم الله فبهداهم اقتده . وثمة أشياء آخرا شيعت عنه وهي أكاذيب وفرية وما فيها مرية . وهي سنة الله فى أحبابه . وأما طعنه على بعض المشهورين من الصوفية فهو ليس بفريد فى ذلك بل سلفه مثله وأعلى منه فى تلك المسالك . وماقصده مع أمثاله الا الذب عن ظاهر الشريعة . خوفا على ضعفاء الامة من اعتقاد أمور شنيعة . ومن كان هذا قصده يمدح ويثاب ولا يلام . فكيف يزعم زاعم خروجه بذلك عن الاسلام . هذا وفصل الخطاب . عند أولى الالباب . ان معتقد طريق السلف . على غاية الصواب . ومن أداه اجتهاده لدليل قام عنده فى فرع فقهى بعد تبحره فى العلم لا يلام عرضه ولا يعاب وان خالف المذاهب الاربعة أو المذاهب المنقرضة الغير المتبعة * والمقلد اذا التزم مذهبا لا يجوز له الطعن فى رجل برع ونال رتبة الاجتهاد لينفق ذو سعة من سعته وليس الرافل فى حلل المجد فى غرف القصور كخادم الباب ورسالة مولانا صفى الدين هذه صاحبة القدح المعلى وهى قبلة أرباب التحقيق والمصلى هى من الضنائن الاعلى جواهرها ثمينة لا يخطبها الا رجل كفولها ولمثلها ولقد كشفت نقاب حسنها في زمان لا تخطب الخطاب مثلها ولا يرشفون نهلها وعلها اذا تليت عليهم آياتها حاضوا كحيض الحمر وشنوا الغارة على عرج الحمير وقالوا ما سمعنا بهذا فى آبائنا الاولين واتخذوها هجرا وصمموا على النكير وماذاك الا أصحاب الهمم الا النادر . وقليل ما هم فى هذا الزمان الداثر . والحمد لله وحده . وصلى الله على سيدنا محمد الذي لا نبي بعده وعلى آله وأصحابه أرباب النجده .

﴿ وممن صنف فى مناقبه أيضاً الشيخ مرعى الحنبلى العلامة الشهير رحمه الله ﴾ وهو على ما فى كتاب خلاصة الاثر للعلامة المحبي مرعى بن يوسف بن أبي بكر بن أحمد الكرمي

نسبة لطور كرم قرية بقرب نابلس ثم المقرى أحـد اكابر العلماء من حنابلة مصر كان اماما محدثا فقيها ذا اطلاع واسع على نقول الفقه ودقائق الحديث ومعرفة تامة بالعلوم المتداولة أخذ عن الشيخ محمد المرداوى . وعن القاضى يحيى الحجاوى . ودخل مصر وتوطنها وأخذ بها عن الشيخ الامام محمـد الحجاوى الواعظ . والمحقق أحمـد الغنيمى وكثير من المشائخ المصريين وأجازه شيخه فتصدر للاقراء والتدريس في جامع الازهر ثم تولى المشيخة فى جامع السلطان حسن ثم أخذها منه عصريه العلامة ابراهيم الميمونى . ووقع بينهما من المعارضات ما يقع بين الاقران . وألف كل منهما في الآخر رسائل . وكان منهمكا على العـلوم انهما كا كليا فقطع زمانه بالافتاء والتدريس والتحقيق والتصنيف . فسارت بتا ليفه الركبان . ومع كثرة اضداده وأعدائه ما أمكن ان يطعن فيها أحد . ولا نظر بعين الازراء اليها . ثم ان المترجم عدله من المصنفات نحو سبعين كتابا فى فنون شتى . قال وله غـير ذلك من فتاوى ومسائل نافعـة يتدوالها الناس وكان فى فن النظم والنثر آية وكتابه بديـع الانشاء والصفات فى المـكاتبات والمراسلات يشهد له بطول باعه فى ذلك وله ديوان شعر منه قوله

يا ساحر الطرف يامن مهجتى سحرا * كم ذا تنام وكم اسهرتنى سحرا
لو كنت تعـلم ما القاه منك لما * اتعبت يا منيتى قلبا اليك سرا
هـذا المحب لقد ساءت صبابتـه * بالروح والنفس قوما بالوصال سرا
يا ناظرى ناظرى بالدمع جاد وما * ابقيت فى مقلتى يا مقلتى نظرا
يا مالـكى قصتى جاءت ملطخـة * بالدمع يا شافعي كذبتهـا نظرا
عساك بالحنفي يسعى على عجـل * بالوصـل للحنبلى يامن بدا قمرا
يا من جفـا للغـير بوعـده * يامن ويامن عقلنا قمرا
الله منصفنا بالوصـل منك على * غيظ الرقيب بمن قد حج واعتمرا

وكانت وفاته بمصر فى شهر ربيع الاول سنة ثـلاث وثلاثين والف رحمة الله عليه ومن جمـلة ما عدله من الـكتب الـكواكب الدريه فى مناقب الامام المجتهد ابن تيميه . وقد اطلعت على هذا الـكتاب فرأيته من أحسن الـكتب المؤلفة فى هذا الباب لا سيما وقد اشتملت على غرر مناقب ذلك الامام ودرر مزاياه التى هى للدهر ابتسام فما هى الا روضة فوحاء فيحاء

وحديقة مزهرة غناء مكللة بغرر المعانى والاقوال مرصعة بدرر الشواهد والامثال تجذب السرور الى الصدور بامراس السطور مشتملة على الرقة والانسجام فى النثر والنظام فما هى الا لآلئ ويواقيت ما بين نضيد وشتيت من رآها من الافاضل وأهل الكمال قال هكذا هكذا فليكن المقال

اكرم بترجمة يضوع عبيرها * تعزى الى المشهور فى الآفاق
اللوذعى اللسن الذى اضحت افا * ضل عصره بانامل الاحداق
تجنى ثمار فنونه الغرر التى * ببراعة حرثت على الاوراق

فلله در ذلك المؤلف الاديب والمصنف الاريب لقد أتى بتأليف هوا بهى من انسان العين فى عين الانسان واشهى من زلال العين الى عين الظمآن ولمثل مصنفه يقال اذ لكل مقام مقال *

مصنف لو رآه منصف فطن * لقال ما الروض الا بعض نزهته
تظن كل اديب حين يسمعه * صبا وذا وعد من يهوى بزورته
فاين لطف الصبا مما حواه ولم * الم اذا قلت فى تشبيه رقته

ولعمرى ليست نغمات الطيور فى الاسحار على شرفات القصور والاشجار بارق منها فى الاسماع الكريمة واوفق الى الطباع السليمة *

اذا طرقت مسامعنا ابتهجنا * وفزنا فى سرور وانبساط
وخلنا ان تاليها علينا * ينادينا الى نادى النشاط

فيا لها من مناقب لا يمل سامعها ولا يكل مطالعها ولا بدع فى هذا ولا عجب فقد قال بعض أهل الادب ان أحاديث نجد لا تمل بتكرار فكيف وهى أحاديث مجد ومدائح ناحية القصد ولولا مخافة الاسهاب لما عدلنا عن الاطناب . وهيهات ان يستوفى هذا التقريظ ثناء على ذلك النثر والقريض ولكونها على اختصارها اشتملت على أحوال ذلك الامام سنذكرها ان شاء الله تعالى بالتمام *

* وقد صنف في مناقب شيخ الاسلام تقى الدين أحمد بن تيمية رضى الله عنه * غير من ذكرنا من الافاضل والعلماء الاكابر وذب عنه وأخذ باقواله واختارها فى عصره وبعده وكان

ذلك من علائم بصائرهم وفطنهم فلا تجد في عصر من الاعصار من يذب عنه ويختار قوله ويسلك مسلكه الا وهو الفائق على غيره ذكاء وفطنة وانصافا ولا تجد من يخالفه ويعاديه الا وهو من أهل الغلو والغباوة وحب الدنيا والمخالف للسنة والمعادى للحق وهذه منقبة لم تكن الا لاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لم ينلها أحد من أكابر المجتهدين فمن الذى منهم الف في مناقبه من الكتب ما ألف فيه فسبحان من خص بعض عباده بخصائص لم ينلها غيره بجد ولا اجتهاد قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء . وتنزع الملك ممن تشاء . وتعز من تشاء . وتذل من تشاء . بيدك الخير انك على كل شيء قدير *

(والثناء عليه) في كل عصر من أفاضله ومشاهير علمائه لا يمكننا استقصاؤه ولا الاحاطة به ولا سيما في هذا العصر بعد ان انتشرت كتبه ورسائله وفتاواه . ففي الهند عدد كثير من المحققين كتبوا في مناقبه . وذبوا عنه . وأخذوا باقواله . واختياراته . وفي نجد كذلك فان قوله لديهم متبع ومرجح على أقوال كثير من المجتهدين . وفي مصر جمع غفير على هذا المنوال كتبوا في مناقبه مقالات مطولة ومختصرة واثنوا عليه . وذبوا عنه وخطؤا المنكرين عليه . والمبغضين له حسدا من عند أنفسهم . ومنهم شيخ الاسلام الامام محمد عبده مفتى الديار المصريه وهو الفاضل الذى عقم الزمان ان يأتى بمثله فضلا وانصافا وذكاء وبلاغة ونثرا وشعرا وغيرة على الدين قدس الله روحه . ونور ضريحه *

حلف الزمان ليأتين بمثله * حنثت يمينك يا زمان فكفر

وقد اثنى عليه تقريرا وتحريرا . ومن طالع كتبه عرف ذلك . ومنه ما كتبه في كتابه الاسلام والنصرانية وهكذا أصحابه وتلامذته الافاضل الاعلام بل كل منهم في عصره امام وفي العراق أيضا جماعة من أهل الفضل والانصاف يعترفون بما كان عليه الشيخ من المنزلة القعساء والعلم الذى لا تجد احدا يطاوله به . وأما المبغضون له في العراق فهم المنافقون الدجالون الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم . وكلهم أهل بلادة وغباوة لا يعبأ بهم . ولا يلتفت اليهم . أولئك حزب الشيطان وقوم البهتان . واعداء الرحمن . والسواد الاعظم من سكنة العراق على ما وصفنا ولا بدع فبلاد العراق معدن كل محنة وبلية . ولم يزل أهل الاسلام منها في رزية بعد رزية فاهل حرورا وما جرى منهم على الاسلام لا يخفى . وفتنة الجهمية الذين

أخرجهم كثير من السلف من الاسلام انما خرجت ونبغت بالعراق . والمعتزلة وما قالوه للحسن البصري وتواتر النقل به واشتهر من اصولهم الخمسة التي خالفوا بها أهل السنة ومبتدعة الصوفية الذين يرون الفناء في توحيد الربوبية غاية يسقط بها الامر والنهى انما نبغوا وظهروا بالبصرة . ثم الرافضة والشيعة وما حصل فيهم من الغلو في أهل البيت والقول الشنيع في الامام على وسائر الائمة . ومسبة اكابر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كل هذا معروف مستفيض . والمقصود ان اهل الفضل منهم وقليل ما هم محبون للسنة ناصرون لاهلها معارضون لمن يخاصمهم .

﴿ وفى دمشق وسائر بلاد الشام ﴾ أيضا جماعة من أكابر علماء هذا العصر وفضلائه قد نصروا الشيخ واختاروا أقواله وردوا على المخالفين له من الجهلة والغلاة وأثنوا عليه ووثقوه . ورجحوه على كثير من الائمة فى كثير من الفنون وصبروا على ما رأوه من كيد الخصوم وتحاملهم وتخاصمتهم للباطل . وهم أحق الناس بذلك لان الشيخ قدس الله روحه الزكية منهم وكان جيرانهم ومن بلادهم ظهرت أنوار السنة النبوية . وفى الحديث الصحيح ما يشعر بانهم هم المؤيدون للسنة . وهو قوله صلى الله عليه وسلم لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق وهم فى الغرب قال بعض شراح الحديث المراد بهم أهل الشام . فانهم أكثر الناس اشتغالا بالحديث واعتناهم بحفظ السنة قال العلامة الحافظ ابن كثير فى كتابه البداية والنهاية فى الحديث الصحيح لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتى أمر الله وهم كذلك وفي صحيح البخارى وهم بالشام . وقد قال كثير من علماء السلف انهم علماء الحديث وهذا أيضا من دلائل النبوة فان أهل الحديث بالشام اليوم اكثر من سائر اقاليم الاسلام ولله الحمد ولا سيما بمدينة دمشق حماها الله وصانها كما ورد فى الحديث انها تكون معقل المسلمين عند وقوع الفتن انتهى وابن تيمية وأصحابه من أهل الشام وقيامه بالانتصار للسنة ورد البدع أمر لا ينكر ولا بعد ان يكون الحديث الشريف اشارة اليه والى اضرابه فهو من اعلام النبوة فتأمله فانه دقيق *

﴿ وممن اثنى على الشيخ ابن تيمية ﴾ كثير من أصحاب المجلات العلمية التي تنشر فى مصر وغيرها كالفاضل الكامل صاحب المؤيد الاغر الذى فاق البلغاء الاولين في تحريره وبيانه

ووقوفه ومزيد عرفانه . وهو الذى اذا حرر حبر . واذا تكلم حير . فسح الله تعالى في مدته وهو لم يزل يثنى على الشيخ ويحث على نشر كتبه واقتنائها . ويكبح المنكرين عليه جزاه الله عن المسلمين خيرا . وكثر امثاله فيهم *

﴿ ومنهم صاحب مجلة المنار ﴾ وهو الفاضل الذى ظهر فضله ظهور الشمس فى رابعة النهار ومجلته كأنها روضة نقطها الغمام قطرا . ونسيم اسحارها هبن على قلب متيم قد توقد جمرا . اودع فيها دواء الاسقام الروحانية . ودرياق العلل الجسمانية . قد شيد فيها اركان الاسلام . ورفع فيها قواعد الاحكام . وكم جلا فيها عن وجه الحق ما انسدل عليه من الحجب . واوضح دقائق الحقائق التى أجنتها بطون الكتب واثنى على شيخ الاسلام واشاع فضله بين الانام . نسأله تعالى ان يحفظه من طوارق الايام . ويصونه من كيد الاثام *

﴿ ومنهم الفاضل العلامة ﴾ الذي حلى جيد الفضل بما أملى . حتى غدا بكل منقبة أحرى وأولى بما أولى . الذى اسرج خيول المجد والجم أفواه الحساد . وأقام ما تهدم من أركان الفخر . وأقعد على الاعجاز أرباب العناد . الا وهو رفيق بك العظم نزيل القاهرة حرسه الله تعالى وأيد به المعالي . وحفظه من مزعجات الايام والليالى فانه قال فى كتابه تنبيه الافهام الى مطالب الحياة الاجتماعية والاسلام . من جملة كلام طويل ما نصه لم يقف الجمود بعلماء المتأخرين عند هذا الحد بل تجاوزه الى ما هو أعظم : كالا وأشد فانهم لما استرسلوا بالتقليد وحرموا على أنفسهم العمل بنصوص الكتاب والسنة الا ما جاء منها بالعرض عن طريق الشيوخ واصبحوا حيارى فى مدافعة البدع والاضاليل التى خالطت أوهام المسلمين وأدنتهم من الوثنية بمقدار ما أقصاهم عنها الاسلام الف بعضهم من هذه البدع ما الفته نفوس العامة ونزلته منزلة العقائد الدينية وفيها ما يصادم اصول الدين فجعلوا يبدعون كل منكر لهذه البدع قائل بالرجوع الى سذاجة الدين والعمل بالكتاب والسنة وسيرة السلف الصالحين ويستعملون فى تبديع من هذا شأنه من أساليب التعسف ما يشعر بتناهي ضعف العلم وفساد ملكة الحق عند المتأخرين يدلك على هذا ان أحدهم لما يريد تبديع منكرى هذه البدع أو تكفير مجتهد بمسألة من المسائل مثلا ويرى ان أدلتهم من الكتاب والسنة الثابتة الصحيحة وانه لا سبيل له للاتيان بدليل منهما يضاد أدلتهم لان نص الصحيح لا يضاد نص الصحيح يعمد الى حديث موضوع

أو قول من أقوال الشيوخ فيجعله حجة له على أولئك بازاء حجتهم من الكتاب والسنة الصحيحة أو يجمع نصوصا متفرقة يقصد كل منها بمعناه وجها مخصوصا فيستنتج منه حكما يطابق هواه مخالفا فى هذا طريقة السلف ولم هذا لانه لم يلتمس في مناظرته بيان الحق وتمحيص الحقائق وانما هو يلتمس رضا العامة بمجاراة افكارهم ابتغاء الزلفي عندهم وتعظيمهم له أو هو يحاول التماس المعذرة امام النفس التى يتجلى لها الحق فيصدها عنه مرغما بحكم العادة والتقليد وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا نتبع ما الفينا عليه آباءنا . أو لو كانوا لا يعقلون شيئا ولا يهتدون *

ومن أراد شاهدا على هذا فليراجع كتاب جلاء العينين فى محاكمة الاحمدين ليرى كيف ان بعض العلماء المعاصرين لشيخ الاسلام ابن تيمية كفر تعسفاً وافتراء هذا الشيخ الجليل المعدود من نوابغ علماء الاسلام وأئمة الهدى المصلحين لتفرده فى عصره بالانكار الشديد على أهل البدع التى انتشرت يومئذ بين المسلمين . وبيان ما أصبحت عليه الامة من الزيغ في العقائد عن طريق الصحابة والتابعين حاثا على الرجوع الى سذاجة الدين وتطهير العقيدة من شوائب المبتدعين مستنداً في كل ماقاله واملاه على الكتاب العزيز والسنة الصحيحة *

﴿ فهل بعد ﴾ تكفير من يقول بمثل هذا القول من حجة على فساد ملكات العلماء وانحطاط درجة التعليم بين المسلمين . وهل يعجب من تدنى عامة الامة الى الدرجة التى هم فيها اليوم من فساد العقيدة والاخلاق بعد وصول علمائهم الى هذا الحد من سوء التعلم والتعليم . (انتهى كلام) هذا الفاضل . (فانظر) الى قوة هذا الكلام وانصاف قائله . لاهتك الله له حريما ولا مزق له أديما *

﴿ ومنهم ﴾ العلامة المفضال . المتميز بين اقرانه بالادب والكمال الذى أوقد للمشكلات سراجا من فكره غدت ذباباته لمدارات فراش اذهان الطلاب قطبا . واجري من صخور العويصات سلسبيلا فراتا وماء عذبا . خلف الاوائل . وشرف الاواخر . والاماثل . السيد محمد بدر الدين الحلبي . لا زالت بحار علومه تقذف بالدرر . ولا برحت غرر طروسه مزينة بالطرر . فقد أجرى من ياقوتة فكره السيالة بحاراً . وأعلى للفضل بنير ذهنه مناراً . حيث ألف كتابه الفريد فى بابه وابدع كل الابداع فى فصوله وأبوابه . وأتى فيه بما لم يسبق اليه . ولم يقدم أحد

من السابقين عليه . وهذا الفاضل أيضاً لم يزل يعطر محافل العلماء بنشر مناقب شيخ الاسلام وأصحابه . ويجادل عنه تقريراً وتحريراً انتصاراً للحق وشغفا به وكم القم الخصم الالد حجر السكوت . وتركه من غيظه وخجله يكاد يموت . متع الله تعالى بحياته ارباب الاستفاده . واسبغ نعمه عليه حتى ينال من كل خير مراده *

﴿ ومنهم ﴾ الذكي الذي أذكي بوقاد ذهنه ذبالة نبراس الفضل بعد انطفائها . والالمعي الذي لمعت أشعة فكره على دارس الفواضل فاحياها بعد فنائها . العالم الافضل والكامل الاكمل . أبو الهمم محمد كرد علي صاحب مجلة المقتبس . لا زالت بدور فلك العرفان مقتبسة من أنوار شمس كماله أعظم قبس . فانه حفظه الله تعالي منذ جري جواد قلمه في مضمار ميادين القراطيس . وشرع لسان بيانه يجول في عرصات الدرس والتدريس . لم يزل مشغوفا بذلك الامام ذاكرا لمحامده ومناقبه بين الخاص والعام قد ملأ المجلات المصرية الشهيرة ببيان فضائله ومعارفه وما كان عليه من الدرجة الرفيعة وما بث من الدقائق في صحائفه وكم ترك خصومه ومن ناواه حيارى . وترى الناس سكارى وماهم بسكارى لازال بالخير محفوفا ولا برح حائزاً من الفضائل صنوفا الى غير أولئك من الاكابر ممن لا تستوعبهم الدفاتر ولعل الله تعالى ييسر لنا افراد كتاب نجمعهم فيه ونستوعب من تكلم في مناقب الشيخ من أكابر أفاضل هذا العصر ونذكر مالهم في هذا الباب من النصوص والعبارات ومالهم من النظم والنثر في مديحه ليكون ذلك سفراً من أجل الاسفار والله الموفق *

﴿ فيا أيها النبهاني ﴾ قد سمعت ماسمعت من تقريري وبياني . فهل بقي لك لوم على مصنف جلاء العينين ووالده بسبب ما كان منهما من الانتصار للحق والذب عن السنة وابطال البدع التي هي غذاء روحك الخبيثة وقد سبقهما في ذلك علماء اعلام ومشايخ عظام ومن كان له انصاف من ذوي الفضل الكرام وأظن انه لجهله لم ير في عمره مما ألف في هذا الباب سوى كتاب جلاء العينين ولم يعرف معناه بل لم يحسن ان يقرأ عبارة لفظه ومبناه فلذلك جعله سبابة المتندم وخصه ومؤلفه بشتمه وسبه كما شتم شيخ الاسلام وأكابر أصحابه اقتداء بمشايخه السبكي وولده وابن حجر وقلدهم تقليد أعمي ولم يلتفت الى الدليل وقد كفيناه واعطيناه حقه بل زدناه كما قد قيل *

ان السؤال والجواب مثلما * قدقيل فى التمثيل أنثى وذكر

ونحن قد تطفلنا على هذا المبحث فمن الواجب ان يردعلى ذلك الزائغ بعض ابناء مصنف جلاء العينين فقد بلغنى ان فيهم أفاضل فكان من حقهم ان يذبوا عن والدهم ويلقموا هذا الخصم الذى خطأ خطوات العدوان بحجر سكوت ولكن اعراضهم عن ذلك اما لعدم وصول الكتاب اليهم واما عدم مبالات بما كان من الجاهل النبهانى كما قال القائل *

عذرت البزل ان هى خاطرتنى * فما بالي وبال ابن اللبون

فان نبح الكلاب لايضر السحاب وطنين الذباب لا يخاف منه أولو الالباب وما أحسن ما قال ابن سند أحد سكنة العراق من علماء نجد *

يا معهد الزيغ لاحياك مبتكر * من السحاب ضحوك البرق منهمل
ولا انبنى فيك فسطاط السعود ولا * أقيم فيك لابكار الرضا كلل
ولا عداك البلى فى كل آونة * حتى تزول الجبال الشم والقلل
اذانت دمنة خبث طالما رتعت * فيها من الحمر الاهلية الهمل
من كل من خبثت منه ضمائره * اذا انقضى دخل منها أتى دخل
رأى خيار الورى طرا بجانبهم * كذا يجانب ارباب العلى السفل
وصار يرميهم منه بكل هجا * وما على البدر لو أزدى به طفل
وما على المنبر الفواح من حرج * ان مات من شمه الزبال والجعل
أو هل على الاسد الكرار من ضرر * ان ينهق العير مربوطاً أو البغل
أو هل على أنجم الخضراء منقصة * ان عابها من حصى الغبراء منجدل
فلا وربك لا يزرى بشمس ضحى * أعابها الجدى أم قد عابها الحمل
وقد يعيب الفتى ماليس يدركه * اذ كل ضد بذم الضد مشتغل
كما يعيب فتاة راق منظرها * قبيحة ويعيب الصائب الخطل
والزج يحسد لوما خرص سنهره * كذاك يهجو الشجاع الباسل الفشل
فلا يضر أولى الفضل الألى سبقوا * من صحب خير الورى ان ذمهم سفل
مثل الاسنة والاسياف ما برحت * بطعن اعدائهم والضرب تنصقل

﴿ وقد آن ان نشرع ﴾ بما وعدنا به من نقل كتاب الكواكب الدريه للشيخ مرعى الحنبلي فانها على اختصارها حوت ملخص أحوال الشيخ وما كان عليه . فانه بعد خطبة الكتاب ذكر الكتب التى لخص منها مباحث كتابه . ثم ذكر ترجمة الشيخ ونسبه ثم ذكر ثناء الائمة عليه ثم أفرد فصلا عد فيه بعض مصنفاته وذكر سعة حفظه وقوة ملكته ثم أورد فصلا في ذكر بعض مآثره الحميده وصفاته السديده وفصلا آخر فى تمسكه بالكتاب والسنة وآخر في محنته وتمسكه بالطريقة السلفيه وما كان من الشيخ نصر المنبجي من العداوة ثم أفرد فصلا في سفر الشيخ الى مصر وما صادفه من المحنة ثم ذكر ما وقع له بعد عوده الى دمشق وما كان له من الاختيارات ثم ذكر قصة حبس الشيخ بقلعة دمشق الى وفاته ثم ذكر قوله فى مسألة السفر الى زيارة القبور وصورة السؤال وجواب الشيخ فيها ثم ذكر ما كان من انتصار علماء بغداد له يومئذ وجواب الشيخ جمال الدين الحنبلي رحمه الله وأجوبة أخرى موافقة لقول الشيخ وما كتبه علماء بغداد للملك الناصر من الثناء على الشيخ ثم ذكر وفاته وما كان من الاحتفال بجنازته ثم ذكر الشعر الذي رثوه به ثم ختم الكتاب بالموعظة والتحذير من التعرض للعلماء *

هذا مجمل ما فى الكتاب وهي مطالب عاليه كلها شجى فى أفواه الغلاة وكلها ترد على هذيان النبهاني واضرابه وتبين الحق لطالبه وتوضح الصراط المستقيم صراط الذين أنعم الله عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين وها نحن ننقل ما ذكره من تفصيل ذلك الاجمال ومنه سبحانه الهداية وهو المستعان *

قال رحمه الله بعد البسملة الحمد لله رب العالمين وصلي الله على محمد خاتم النبيين وعلى آله وصحبه أجمعين ورضى الله عن العلماء العاملين والائمة المجتهدين والتابعين لهم باحسان الي يوم الدين وبعد فهذه فوائد لطيفه وفرائد شريفه فى مناقب شيخ الاسلام وبحر العلوم ومفتي الفرق المجتهد أحمد تقي الدين بن تيمية لخصتها (من مناقبه) للشيخ الحافظ الامام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الهادى ابن عبد الحليم بن عبد الهادى بن يوسف بن محمد بن قدامة المقدسى (ومن مناقبه) للشيخ الامام العالم الاوحدى الحافظ سراج الدين أبى حفص عمر بن علي بن موسى البزار (ومن مناقبه) للشيخ الامام العالم أوحد الادباء وشيخ الفضلاء شهاب الدين أحمد ابن القاضي محى الدين يحيي بن العمرى الشافعي *

﴿ فأقول وبالله التوفيق ﴾ ابن تيمية هو الشيخ الامام العالم العامل الربانى امام الائمة وعلامة الامة ومفتى الفرق . وبحر العلوم . وسيد الحفاظ . وفارس المعانى . والالفاظ . فريد العصر ووحيد الدهر . شيخ الاسلام . بركة الانام . علامة الزمان . وترجمان القرآن . عالم الزهاد . وأوحد العباد . قامع المبتدعين . وآخر المجتهدين . تقى الدين . أبو العباس أحمد بن الشيخ الامام العلامة شهاب الدين أبى المحاسن عبد الحليم بن الشيخ الامام العلامة شيخ الاسلام مجد الدين أبى البركات عبد السلام ابن أبى محمد عبد الله ابن أبى القاسم الخضر بن محمد بن الخضر بن على بن عبد الله بن تيمية الحرانى نزيل دمشق وصاحب التصانيف التى لم يسبق الى مثلها كذا ترجمه بهذه الترجمة ابن قدامة المتقدم *

﴿ واختلف ﴾ لم قيل ابن تيمية فقيل ان جده محمد بن الخضر حج على درب تيماء فرأى هناك طفلة . فلما رجع وجد امرأته قد ولدت له بنتا فقال ياتيمية ياتيمية فلقب بذلك وقيل ان جده محمد كانت امه تسمى تيمية وكانت واعظة فنسب اليها وعرف بها *

﴿ ولد رحمه الله تعالى ﴾ بحران يوم الاثنين عاشر وقيل ثاني عشر ربيع الاول سنة احدى وستين وستمائة وبقى بحران الى ان بلغ سبع سنين ثم بعد ذلك هاجر والده به وباخوته الى الشام عند جور التتر فساروا بالليل ومعهم الكتب على عجلة لعدم الدواب فكاد العدو يلحقهم ووقفت العجلة فابتهلوا الى الله سبحانه . واستغاثوا به فنجوا وسلموا وقدموا دمشق فى أثناء سنة سبع وستين . فنشأ بدمشق أتم انشاء وأزكاه وأنبته الله أحسن النبات وأوفاه . وكانت مخائل النجابة عليه فى صغره لائحة ودليل العناية فيه واضحة . فلم يزل منذ إبان صغره مستغرق الاوقات فى الجد والاجتهاد . وختم القرآن صغيرا ثم اشتغل بحفظ الحديث والفقه والعربية حتى برع فى ذلك مع ملازمته مجالس الذكر . وسماع الاحاديث والآثار . ولقد سمع غير كتاب على غير شيخ من ذوى الروايات الصحيحة العالية . أما دواوين الاسلام الكبار كمسند الامام أحمد . وصحيح البخاري ومسلم وجامع الترمذى وسنن أبى داود السجستاني والنسائي وابن ماجه والدارقطنى . فانه سمع كلا منها مرات عديدة . وأول كتاب حفظه فى الحديث الجمع بين الصحيحين للامام الحميدى كذا قال الشيخ الحافظ سراج الدين أبو حفص عمر وسمع من مشايخ كابن عبد الدائم المقدسى وطبقته وطلب بنفسه قراءة وسماعا من خلق

كثير وقرأ الكتب الكبار وكتب الطباق والاثبات ولازم السماع واشتغل بالعلوم . قال ابن عبد الهادي بن قدامة وشيوخه الذين سمع منهم اكثر من مائتي شيخ وسمع مسند الامام أحمد مرات وسمع الكتب الكبار والاجزاء ومن مسموعاته معجم الطبراني الكبير وعنى بالحديث وقرأ ونسخ وانتقى وتعلم الخط والحساب فى الكتاب وحفظ القرآن وأقبل على الفقه وقرأ فى العربية وأخذيتامل كتاب سيبويه حتى فهمه وبرع فى النحو وأقبل على التفسير اقبالا كليا حتى حاز فيه قصب السبق واحكم أصول الفقه وغير ذلك هذا كله وهو بعد ابن بضع عشرة سنة فانبهر الفضلاء من فرط ذكائه وسيلان ذهنه وقوة حافظته وسرعة ادراكه انتهى *

﴿ فصل فى ثناء الائمة على ابن تيمية ﴾ قد اكثر أئمة الاسلام من الثناء على هذا الامام كالحافظ المزى وابن دقيق العيد وأبو حيان النحوى والحافظ ابن سيد الناس والعلامة كمال الدين بن الزملكاني والحافظ الذهبي وغيرهم من أئمة العلماء *

﴿ قال جمال الدين ﴾ أبو الحجاج المزى عن ابن تيمية مارأيت مثله ولا رأى هو مثل نفسه ومارأيت أحدا أعلم بكتاب الله وسنة رسوله ولا اتبع لهما منه *

﴿ وقال القاضى ﴾ أبو الفتح ابن دقيق العيد لما اجتمعت بابن تيمية رأيت رجلا كل العلوم بين عينيه ياخذ مايريد ويدع مايريد وقلت له ما كنت أظن ان الله يبقى يخلف مثلك *

﴿ وقال الشيخ ابراهيم الرقى ﴾ الشيخ تقى الدين يؤخذ عنه ويقلد فى العلوم فان طال عمره ملأ الارض علما وهو على الحق ولابد مايعاديه الناس فانه وارث علم النبوة *

﴿ وقال قاضى القضاة ﴾ أبو عبد الله ابن الحريرى ان لم يكن ابن تيمية شيخ الاسلام فمن هو

﴿ وقال أبو حيان ﴾ شيخ النحاة لما اجتمع بابن تيمية مارأت عيناى مثله ثم مدحه أبو حيان على البديهة في المجلس وقال *

لما أتينا تقى الدين لاح لنا * داع الى الله فردا ماله وزر
على محياه من سيما الالى صحبوا * خير البرية نور دونه القمر
حبر تسربل منه دهر حبرا * بحر تقاذف من أمواجه الدرر
قام ابن تيمية في نصر شرعتنا * مقام سيد تيم اذعصت مضر

وأظهر الحق اذ آثاره درست * وأخمد الشر اذ طارت له شرر

يامن يحدث عن علم الكتاب أضح * هذا الامام الذي قد كان ينتظر (١)

﴿ وقال العلامة ابن الوردي ﴾ ناظم البهجة فى رحلته لما ذكر علماء دمشق وترك التعصب والحمية وخضرت مجالس ابن تيمية . فاذا هو بيت القصيدة . وأول الخريدة . علماء زمانه فلك هو قطبه . وجسم هو قلبه يزيد عليهم زيادة الشمس على البدر . والبحر على القطر . حضرت بين يديه يوما فأصبت المعنى . وكناني وقبل بين عينى اليمنى . وقلت *

ان ابن تيمية فى * كل العلوم أوحد

أحييت دين أحمد * وشرعه يا أحمد

﴿ وقال الحافظ فتح الدين ﴾ ابو الفتح ابن سيد الناس العمرى المصرى بعد ان ذكر ترجمة الحافظ المزى وهو الذى حداني على رؤية الشيخ الامام شيخ الاسلام تقى الدين ابو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية فالفيته ممن أدرك من العلوم حظا وكاد يستوعب السنن والآثار حفظا ان تكلم في التفسير فهو حامل رايته او أفتى فى الفقه فهو مدرك غايته او ذاكر بالحديث فهو صاحب علمه وذو روايته او حاضر بالملل والنحل لم ير اوسع من نحلته في ذلك ولا ارفع من درايته تبرز في كل فن على أبناء جنسه ولم ترعين من رآه مثله ولا رأت عينه مثل نفسه كان يتكلم فى التفسير فيحضر مجلسه الجم الغفير ويردون من بحر علمه العذب النمير ويرتعون من ربيع فضله فى روضة وغدير الى أن دب اليه من أهل بلده داء الحسد والب أهل النظر منهم على ما ينتقد عليه من أمور المعتقد فحفظوا عنه فى ذلك كلاما اوسعوه بسببه ملاما وفوفوا لتبديعه سهاما وزعموا أنه خالف طريقهم وفرق فريقهم يسومونه ريب المنون . وربك يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون . ولم يزل بمجلسه الى حين ذهابه الى رحمة الله والى الله ترجع الامور وهو المطلع على خائنة الاعين وما تخفى الصدور *

(ثم قال) قرأت على الشيخ الامام حامل راية العلوم ومدرك غاية الفهوم تقى الدين أبى العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية رحمه الله بالقاهرة قدم علينا . ثم ذكر حديثا من جزء ابن عرفة *

---

(١) وفى نسخة كنا نحدث عن حبر يجيء فها * أنت الامام الذي قد كان ينتظر

﴿ وقال الشيخ علم الدين البزرانى ﴾ فى معجم شيوخه أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله ابن ابى القاسم بن محمد ابن تيمية الحرانى الشيخ تقى الدين ابو العباس الامام المجمع على فضله ونبله ودينه قرأ القرآن وبرع فيه والعربية والاصول ومهر فى علم التفسير والحديث وكان اماما لا يلحق غباره فى كل شئ وبلغ رتبة الاجتهاد واجتمعت فيه شروط المجتهدين وكان اذا ذكر التفسير بهت الناس من كثرة محفوظه وحسن ايراده واعطائه كل قول ما يستحقه من الترجيح والتضعيف والابطال وخوضه في كل علم كان الحاضرون يقضون منه العجب هذا مع انقطاعه الى الزهد والعبادة والاشتغال بالله تعالى والتجرد من أسباب الدنيا ودعاء الخلق الى الله تعالى وكان يجلس فى صبيحة كل جمعة يفسر القرآن العظيم فانتفع بمجلسه وبركة دعائه وطهارة انفاسه وصدق نيته وصفاء ظاهره وباطنه وموافقة قوله لعمله واناب الى الله تعالى خلق كثير وجرى على طريقة واحدة من اختيار الفقر والتقلل من الدنيا رحمه الله تعالى *

﴿ وقال العلامة الزملكانى ﴾ أحد أئمة الاعلام لقد اعطى ابن تيمية اليد الطولى في حسن التصنيف وجودة العبارة والترتيب والتقسيم والتبيين وقد ألان الله له العلوم كما الان لداود الحديد كان اذا سئل عن فن من العلم ظن الرائى والسامع انه لا يعرف غير ذلك الفن وحكم ان أحدا لا يعرفه مثله وكان الفقهاء من سائر الطوائف اذا جلسوا معه استفادوا فى مذاهبهم منه مالم يكونوا عرفوه قبل ذلك ولا يعرف انه ناظر أحدا فانقطع منه ولا تكلم في علم من العلوم سواء كان من علوم الشرع اوغيرها الافاق فيه أهله والمنسوبين اليه وكانت له اليد الطولى في حسن التصنيف ووقعت مسألة فرعية فى قسمة جرى فيها اختلاف بين المفتين فى العصر فكتب فيها مجلدة كبيرة وكذلك وقعت مسألة في حد من الحدود فكتب فيها مجلدة كبيرة أيضا ولم يخرج فى كل واحدة عن المسألة ولا طول بتخليط الكلام والدخول فى شئ والخروج من شئ واتى فى كل واحدة بما لم يكن يجري في الاوهام والخواطر واجتمعت فيه شروط الاجتهاد على وجهها *

﴿ وقال عن كتاب بيان الدليل . على بطلان التحليل ﴾ من مصنفات سيدنا وشيخنا وقدوتنا الشيخ السيد الامام العالم العلامة الاوحد البارع الحافظ الزاهد الورع القدوة الكامل العارف تقى الدين شيخ الاسلام . مفتى الانام . سيد العلماء . قدوة الفضلاء . ناصر السنة . قامع البدعة

حجة الله على العباد . راد أهل الزيغ والعناد . اوحد العلماء العاملين . آخر الائمة المجتهدين . أبي العباس أحمد ابن تيمية . حفظ الله على المسلمين طول حياته . واعاد عليهم من بركاته . انه على كل شيء قدير *

﴿ وقال عن كتاب رفع الملام عن الائمة الاعلام ﴾ تأليف الشيخ الامام العالم العلامة الاوحد الحافظ المجتهد الزاهد . العابد القدوة . امام الائمة وقدوة الامة . علامة العلماء . وارث الانبياء . آخر المجتهدين . اوحد علماء الدين بركة الاسلام . حجة الاعلام . برهان المتكلمين قامع المبتدعين . محيي السنة ومن عظمت به لله علينا المنة . وقامت به على اعدائه الحجة . واستبانت ببركته . وهديه المحجة . تقي الدين احمد ابن تيمية . اعلى الله مناره . وشيد به من الدين اركانه . ثم قال *

ماذا يقول الواصفون له * وصفاته جلت عن الحصر
هو حجة لله قاهرة * هو بيننا اعجوبة الدهر
هو آية في الخلق ظاهرة * انوارها اربت على الفجر

﴿ وقال الشيخ الامام القدوة ﴾ الزاهد عماد الدين ابو العباس أحمد بن ابراهيم الواسطي شيخنا السيد الامام . علامة الهمام . محيي السنة وقامع البدعة ناصر الحديث مفتي الفرق الفائق عن الحقائق . وموصولها بالاصول الشرعية للطالب . الفائق الجامع بين الظاهر والباطن فهو يقضي بالحق ظاهرا وقلبه في العلى قاطن انموذج الخلفاء الراشدين . والائمة المهديين . الذين غابت عن القلوب سيرهم ونسيت الامة حذوهم وسبيلهم . فكان في دارس نهجهم سالكا . ولاعنة قواعدهم مالكا . الشيخ الامام تقي الدين ابو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية . فوالله ثم والله ثم والله لم ير تحت أديم السماء مثله علما وحالا . وخلقا واتباعا وكرما وحلما في حق نفسه وقياما في حق الله عند انتهاك حرماته . اصدق الناس عقدا . واصحهم علما وعزما . واعلاهم في انتصار الحق وقيامه همة واسخاهم كفا . واكملهم اتباعا لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم واطال في ترجمة الشيخ *

﴿ وقال الحافظ الناقد أبو عبدالله شمس الدين الذهبي ﴾ نشأ يعني الشيخ تقي الدين رحمه الله في تصون تام وعفاف وتأله وتعبد واقتصاد في الملبس والمأكل . وكان يحضر المدارس

والمحافل فى صغره ويناظر ويفحم الكبار ويأتى بما يتحير منه أعيان البلد في العلم فافتى وله تسع عشرة سنة بل أقل وشرع فى الجمع والتأليف من ذلك الوقت وا كب على الاشتغال ومات والده وكان من كبار الحنابلة وأئمتهم فدرس بعده بوظائفه وله احدى وعشرون سنة واشتهر أمره وبعد صيته فى العالم وأخذ فى تفسير الكتاب العزيز أيام الجمع على كرسى من حفظه فكان يورد المجلس ولا يتلعثم وكان يورد الدرس بتوأدة وصوت جهورى فصيح وكان آية من الذكاء وسرعة الادراك رأسا فى معرفة الكتاب والسنة والاختلاف بحرا فى النقليات هو في زمانه فريد عصره علما وزهدا وشجاعة وسخاء وأمرا بالمعروف ونهيا عن المنكر وكثرة تصانيف وقرأ وحصل وبرع في الحديث والفقه وتأهل للتدريس والفتوى وهو ابن سبع عشرة سنة وتقدم فى علم التفسير والاصول . وجميع علوم الاسلام أصولها وفروعها ودقها وجلها فان ذكر التفسير فهو حامل لوائه . وان عد الفقهاء فهو مجتهدهم المطلق وان حضر الحفاظ نطق وخرسوا . وسرد وأبلسوا . واستغنى وأفلسوا . وان سمى المتكلمون فهو فردهم واليه مرجعهم . وان لاح ابن سينا يقدم الفلاسفة فلسهم وتيسهم وهتك استارهم . وكشف عوارهم . وله يد طولى فى معرفة العربية والصرف واللغة . وهو أعظم من ان تصفه كلمى . أو ينبه على شاوه قلمى . فان سيرته وعلومه ومعارفه ومحنه وتنقلاته تحتمل ان توضع فى مجلدين . فالله تعالى يغفر له ويسكنه أعلى جنته . فانه كان ربانى الامة . وفريد الزمان . وحامل لواء الشريعة * وصاحب معضلات المسلمين . رأسا في العلم يبالغ فى اطراء قيامه فى الحق والجهاد والامر بالمعروف والنهى عن المنكر مبالغة مارأيتها ولا شاهدتها من أحد ولا لاحظتها من فقيه . قال وكان له باع طويل فى معرفة مذاهب الصحابة والتابعين وقل ان يتكلم في مسألة الا ويذكر فيها أقوال المذاهب الاربعة . وقد خالف الاربعة فى مسائل معروفة وصنف فيها واحتج لها بالكتاب والسنة *

(ولما كان معتقلا) بالاسكندرية التمس منه صاحب سبتة ان يجيز له مروياته وينص على اسماء جملة منها فكتب في عشر ورقات جملة من ذلك باسانيدها من حفظه بحيث يعجز ان يعمل بعضه أكبر محدث يكون . وله الآن عدة سنين لايفتي بمذهب معين بل بما قام الدليل عليه عنده . ولقد نصر السنة المحضة والطريقة السلفية واحتج لها ببراهين ومقدمات وأمور لم

يسبق اليها. وأطلق عبارات احجم عنها الاولون والآخرون وهابوا وجسر هو عليها حتى قام عليه خلق من علماء مصر والشام قياما لامزيد عليه وبدعوه وناظروه وكابروه. وهو ثابت لايداهن ولا يحابى بل يقول الحق المر الذى أداه اليه اجتهاده وحدة ذهنه وسعة دائرته في السنن والاقوال مع ماشتهر منه من الورع وكمال الفكر وسرعة الادراك والخوف من الله العظيم والتعظيم لحرمات الله فجرى بينه وبينهم حملات حربية. ووقعات شامية ومصرية. وكم من نوبة قد رموه عن قوس واحده فينجيه الله. فانه دائم الابتهال كثير الاستغاثة قوى التوكل ثابت الجأش. له أوراد واذكار يدمنها. وله من الطرف الآخر محبون من العلماء والصلحاء ومن الجند والامراء. ومن التجار والكبراء. وسائر العامة تحبه لانه منتصب لنفعهم *

﴿ وأما شجاعته ﴾ فبها تضرب الامثال وببعضها يتشبه اكابر الابطال *
ولقد أقامه فى نوبة غازان وقام باعباء الامر بنفسه وقام وقعد وطلع وخرج واجتمع بالملك مرتين وبخطلو شاه وببولاى وكان فنجق يتعجب من أقدامه وجرائته على المغول وله حدة قوية تعتريه فى البحث حتى كانه ليث حرب وهو اكبر من ان ينبه مثلى على نعوته فلو حلفت بين الركن والمقام لحلفت انى مارأيت بعينى مثله ولا والله مارأى هو مثل نفسه *

﴿ وقال فى مكان آخر فى ترجمة طويلة ﴾ وله خبرة تامة بالرجال وجرحهم وتعديلهم وطبقاتهم ومعرفة بفنون الحديث وبالعالى والنازل وبالصحيح والسقيم مع حفظ لمتونه الذى انفرد به فلا يبلغ أحد في العصر رتبته ولا يقاربه وهو عجيب فى استحضاره واستخراج الحجج منه واليه المنتهى في عزوه الى الكتب الستة والمسند بحيث يصدق عليه ان يقال كل حديث لايعرفه ابن تيمية فليس بحديث ولكن الاحاطة لله غير انه يغترف فيه من بحر وغيره من الائمة يغترفون من السواقي *

﴿ وأما التفسير ﴾ فمسلم اليه وله فى استحضار الآيات من القرآن وقت اقامة الدليل بها على المسألة قوة عجيبة واذا رآه المقرى تحير فيه ولفرط طول باعه فى التفسير وعظمة اطلاعه يبين خطأ كثير من أقوال المفسرين ويوهى أقوالا عديدة وينصر قولا واحدا موافقا لما دل عليه القرآن والحديث ويكتب فى اليوم والليلة من التفسير أو من الفقه أو من الاصلين أو من الرد على الفلاسفة والاوائل نحوا من أربعة كراريس أو أزيد وما أبعد ان تصانيفه الى الآن

تبلغ خمسمائة مجلد وله في غير مسألة مصنف مفرد في مجلد ثم ذكر بعض تصانيفه رحمه الله

﴿ وكتب الذهبي ﴾ طبقة بخطه يقول فيها سمع جميع هذا الكتاب على مؤلفه شيخنا الامام العالم العلامة الاوحد شيخ الاسلام مفتي الفرق قدوة الامة أعجوبة الزمان بحر العلوم حبر القرآن تقي الدين سيد العباد أبي العباس احمد بن تيمية رضى الله عنه *

﴿ وقال الشيخ علم الدين ﴾ رأيت اجازة بخط الشيخ تقي الدين وقد كتب تحتها الشيخ شمس الدين الذهبي هـذا خط شيخنا الامام شيخ الاسلام فرد الزمان بحر العلوم تقي الدين مولده عاشر ربيع الاول سنة احدى وستين وستمائة وقرأ القرآن والفقه وناظر واستدل وهو دون البلوغ وبرع في العلم والتفسير وأفتى ودرس وله نحو العشرين سنة وصنف التصانيف وصار من كبار العلماء في حياة شيوخه وله المصنفات الكبار التي سارت بها الركبان ولعل تصانيفه في هذا الوقت يكون أربعة آلاف كراس واكثر . وفسر كتاب الله تعالى مدة سنين من صدره أيام الجمع وكان يتوقد ذكاء وسماعاته من الحديث كثيرة وشيوخه أكثر من مائتي شيخ ومعرفته بالتفسير اليها المنتهى وحفظه للحديث ورجاله وصحته وسقمه فما يلحق فيه *

(وأما نقله) للفقه ومذاهب الصحابة والتابعين فضلا عن المذاهب الاربعة فليس له فيه نظير وأما معرفته بالملل والنحل والاصول والكلام فلا أعلم له فيه نظيرا *

وعربيته قوية جدا ومعرفته بالتاريخ والسير فعجب عجيب . واما شجاعته وجهاده واقدامه فامر يتجاوز الوصف ويفوق النعت وهو احد الاجواد الاسخياء الذين يضرب بهم المثل وفيه زهد وقناعة باليسير من المأكل والملبس . انتهى كلام الذهبي ولقد انصف رحمه الله تعالى *

﴿ وقال بعض قدماء أصحاب الشيخ ابن تيمية ﴾ وقد ذكر نبذة من سيرته . اما مبدأ امره ونشأته فانه نشأ من حين نشأ في حجور العلماء . راشفا كؤس الفهوم . راتعا في رياض التفقه ودوحات الكتب . الجامعة لكل فن من الفنون لا يلوى الى غير المطالعة والاشتغال والاخذ بمعالي الامور وخصوصا علم الكتاب العزيز والسنة النبوية ولوازمها ولم يزل على ذلك خلفا صالحا سلفيا متألها عن الدنيا صينا تقيا برا بامه ورعا عفيفا عابدا ناسكا صواما قواما ذاكرا لله تعالى في كل أمر وعلى كل حال راجعا الى الله تعالى في سائر الاحوال والقضايا . وقافا عند حدود الله تعالى واوامره ونواهيه آمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر لا تكاد نفسه تشبع من العلم ولا ترتوي

من المطالعة ولا تمل من الاشتغال ولا تكل من البحث . وقل أن يدخل فى علم من العلوم من باب من ابوابه الا ويفتح له من ذلك الباب ابواب ويستدرك مستدركات فى ذلك العلم على حذاق أهله مقصودة بالكتاب والسنة ولقدسمعته فى مبادى أمره يقول انه ليقف خاطرى فى المسألة او الشىء او الحالة التى تشكل على فاستغفر الله تعالى ألف مرة او اكثر او اقل حتى ينشرح الصدر و ينجلى اشكال ما اشكل . قال واكون اذذاك فى السوق او المسجد اوالدرب أو المدرسة لا يمنعنى ذلك من الذكر والاستغفار الى ان انال مطلوبى قال ولقد كنت في تلك المدة واول النشأة اذا اجتمعت بالشيخ ابن تيمية فى ختمه او مجلس ذكر خاص مع المشائخ وتذاكروا . وتكلم مع حداثة سنه اجد لكلامه صولة على القلوب وتأثيرا في النفوس وهيمنة مقبولة ونفعا يظهر أثره وتنفعل له النفوس التى سمعته اياما كثيرة حتى كان مقاله بلسان حاله وحاله ظاهر فى مقاله *

﴿ وقال الشيخ الامام الحافظ ﴾ شمس الدين محمد بن أحمد بن عبد الهادى بن قدامة المقدسي في كتابه المناقب لم يبرح شيخنا يعنى ابن تيمية فى ازدياد من العلوم . وملازمة للاشتغال وبث العلم ونشره . والاجتهاد في سبيل الخير حتى انتهت اليه الامامة في العلم والعمل والزهد والورع والشجاعة والكرم والتواضع والحلم والانابة والجلالة والمهابة والامر بالمعروف والنهى عن المنكر وسائر أنواع الجهاد مع الصدق والامانة والعفة والصيانة وحسن القصد والاخلاص والابتهال الى الله وكثرة الخوف منه وكثرة المراقبة له وشدة التمسك بالاثر والدعاء الى الله وحسن الاخلاق ونفع الخلق والاحسان اليهم والصبر على من آذاه والصفح عنه والدعاء له . وسائر أنواع الخير *

وكان رحمه الله سيفا مسلولا على المخالفين . وشجى فى حلوق أهل الاهواء والمبتدعين واماما قائما ببيان الحق ونصرة الدين . وكان بحرا لا تكدره الدلاء . وحبرا يقتدى به الاخيار الالباء . طنت بذكره الامصار . وضنت بمثله الاعصار . واشتغل بالعلوم . وكان زكيا كثير المحفوظ اماما في التفسير وما يتعلق به عارفا بالفقه واختلاف العلماء والاصلين والنحو واللغة . وغير ذلك من العلوم النقلية والعقلية . وما تكلم معه فاضل فى فن الاظن ان ذلك الفن فنه ورآه عارفا به متقنا له . واما الحديث فكان حافظا له مميزا بين صحيحه وسقيمه عارفا برجاله

مضطلعا من ذلك . وله تصانيف كثيرة وتعاليق مفيدة فى الاصول والفروع . واثنى عليه وعلى فضائله جماعة من علماء عصره *

﴿ وقال الشيخ الامام الفاضل الاديب ﴾ أحمد شهاب الدين بن فضل الله العمرى الشافعي فى تاريخه المسمى بمسالك الابصار . فى ممالك الامصار . فى ترجمة الشيخ ابن تيمية وهى طويلة تبلغ كراسة فا كثر ﴿ ومنهم أحمد ﴾ بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم الحرانى العلامة الحافظ الحجة المجتهد المفسر شيخ الاسلام نادرة العصر علم الزهاد تقى الدين ابو العباس أحمد بن تيمية رحمه الله تعالى . هو البحر من أى النواحى جئته والبدر من أى الضواحى اتيته . رضع ثدى العلم منذ فطم . وطلع وجه الصباح ليحاكيه فلطم . وقطع الليل والنهار دائبين . واتخذ العلم والعمل صاحبين . الى أن أنسى السلف بهداه . وأنأى الخلف عن بلوغ مداه . على أنه من بيت نشأت منه علماء في سالف الدهور وتسنأت منه عظماء على مشاهير الشهور . فاحيا معالم بيته القديم اذ درس . وجنى من فننه الرطيب ما غرس . واصبح فى فضله آية الا أنه آية الحرس . عرضت له الـكدى فزحزحها . وعارضته البحار فضحضحها . ثم كان أمة وحده . وفردا حتى نزل لحده . جاء فى عصر مهول بالعلماء . مشحون بنجوم السماء . تموج في جانبيه بحور خضارم . وتطير بين خافقيه نسور قشاعم . وتشرق فى أنديته بدور دجنه . وصدور اسنه . الا أن صباحه طمس تلك النجوم . وبحره طم على تلك الغيوم . ففاءت سمرته على تلك التلاع . واطلت قسورته على تلك السباع . ثم عبيت له الـكتائب فحطم صفوفها وخطم أنوفها . وابتلع غديره المطمئن جداولها . واقتلع طوده المرجحن جنادلها . وأخمدت انفاسهم ريحه واكمدت شرارهم مصابيحه *

تقدم راكبا فيهم اماما * ولولاه لما ركبوا وراءه

فجمع أشتات المذاهب وشتات الذاهب ونقل عن أئمة الاجماع فمن سواهم مذاهبهم المختلفة واستحضرها ومثل صورهم الذاهبة وأحضرها فلو شعر أبو حنيفة بزمانه وملك أمره لادنى عصره اليه مقتربا أو مالك لاجرى وراءه أشهبه ولوكبا أو الشافعي لقال ليت هذا كان للام ولدا وليتني كنت له أبا أو الشيبانى ابن حنبل لما لام عذاره اذ غدا منه لفرط العجب أشيبا لابل داود الظاهري وسنان الباطنى لظنا تحقيقه من منتحله وابن حزم والشهرستانى لحشر

كل منهما ذكره فى نحله أو الحاكم النيسابورى والحافظ السلفى أضافه هذا الى مستدركه وهذا الى رحله ترد اليه الفتاوى ولا يردها وتفد عليه فيجب عنها باجوبة كانه كان قاعدا لها يعدها *

أبدا على طرف اللسان جوابه * فكأنما هي دفعة من صيّب

وكان من أذكى الناس كثير الحفظ قليل النسيان قلما حفظ شيئا فنسيه وكان اماما في التفسير وعلوم القرآن عارفا بالفقه واختلاف الفقهاء والاصولين والنحو وما يتعلق به واللغة والمنطق وعلم الهيئة والجبر والمقابلة وعلم الحساب وعلم أهل الكتابين وأهل البدع وغير ذلك من العلوم النقلية والعقلية وما تكلم معه فاضل في فن من الفنون الا ظن ان ذلك الفن فنه وكان حفظه للحديث مميزا بين صحيحه وسقيمه عارفا برجاله متضلعا من ذلك وله تصانيف كثيرة . وتعاليق مفيدة . وفتاوى مشبعة فى الفروع والاصول والحديث ورد البدع بالكتاب والسنة وأطال فى ترجمة الشيخ رحمه الله تعالى فاقتصرنا على ذلك خوف التطويل *

﴿ وقال الشيخ الامام الحافظ ﴾ سراج الدين أبو حفص عمر بن على بن موسى البزار فى كتابه الاعلام العلية فى مناقب ابن تيمية أما غزارة علومه فمعرفته بعلوم القرآن المجيد واستنباطه لدقائقه ونقله لاقوال العلماء فى تفسيره واشتهاره بدلائله وماأودعه الله تعالى فيه من عجائبه وفنون حكمه وغرائب نوادره وباهر فصاحته وظاهر ملاحته فان فيه من الغاية التي ينتهى اليها والنهاية التى يعول عليها ولقد كان اذا قرئ فى مجلسه آيات من القرآن العظيم يشرع فى تفسيرها فينقضى المجلس بجملته والدرس برمته وهو في تفسير بعض آية منها *

وأما معرفته وبصره بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقواله وأفعاله وقضاياه ووقائعه وغزواته وسراياه وبعوثه وماخصه الله تعالى من كراماته ومعجزاته ومعرفته بصحيح المنقول عنه وسقيمه والمنقول عن الصحابة رضى الله عنهم فى أقوالهم وأفعالهم وقضاياهم وفتاويهم وأحوالهم وأحوال مجاهداتهم فى دين الله وماخصوا به من بين الامة فانه كان رضى الله عنه من أضبط الناس لذلك وأعرفهم فيه وأسرعهم استحضارا لما يريده منه فانه قل ان ذكر حديثا فى مصنف أو فتوي أو استشهد به أو استدل به الا وعزاه فى أى دواوين الاسلام هو ومن أى قسم من الصحيح أو الحسن أو غيرهما وذكر اسم راويه من الصحابة وقل ان سئل عن

أثر الاوبين في الحال حاله وحال اكثره وذاكره. ولا والله مارأيت أحدا أشد تعظيما لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أحرص على اتباعه ونصر ماجاء به منه حتى كان اذا أورد شيئا من حديثه فى مسألة ويرى انه لم يبحه غيره من حديثه يعمل ويقضى ويفتى بمقتضاه ولا يلتفت الى قول غيره من المخلوقين كائنا من كان ومنحه الله تعالى بمعرفة اختلاف العلماء ونصوصهم وكثرة أقوالهم واجتهادهم فى المسائل وماروي عن كل منهم من راجح ومرجوح ومقبول ومردود فى كل زمان ومكان ونظره الصحيح الثاقب الصلب للحق مما قالوه ونقلوه وعزوه ذلك الى الاماكن التى بها اودعوه حتى كان اذا اشتغل عن شئ من ذلك كان كأن جميع المنقول فيه عن الرسول واصحابه والعلماء من الاولين والآخرين متصور ومسطور بازائه يقول منه مايشاء ويذر مايشاء وهذا قد اتفق عليه كل من رآه وقل كتاب من فنون العلوم الا وقد وقف عليه فكان الله تعالى قد خصه بسرعة الحفظ وبطء النسيان لم يكن يقف على شئ ويسمع بشئ غالبا الا ويبقى على خاطره اما بلفظه او معناه وكان العلم كانه قد اختلط بلحمه ودمه وسائره فانه لم يكن له مستعارا بل كان له شعارا ودثارا جمع الله له ما خرق له العادة . ووفقه في جميع عمره لاعلام السعادة وجعل مآثره لامامته من اكبر شهادة . حتى اتفق كل ذى عقل سليم انه ممن عنى نبينا صلى الله عليه وسلم بقوله ان الله يبعث على راس كل مائة سنة من يجدد لهذه الامه امر دينها فلقد احيا الله تعالى به ما كان قد درس من شرائع الدين وجعله حجة على اهل عصره اجمعين والحمد لله رب العالمين *

﴿ وبالجملة ﴾ فكلام الائمة بالثناء عليه مما يطول وفيما ذكرناه كفاية تدل على علو رتبته ورفيع شأنه ومرتبته رضي الله تعالى عنه آمين *

﴿ واثنى عليه كثير من الفضلاء بالقصائد فى حال حياته فمن ذلك قصيدة نجم الدين اسحق ابن أبى بكر التركي وهى ﴾

ذرانى من ذكرى سعاد وزينب * ومن ندب اطلال اللوى والمحصب
ومن مدح آرام سنحن برامة * ومن غزل فى وصف سرب وربرب
ولا تنشدانى غير شعر أبي العلى * بظل ارتباط يزدهيني ويطبي
وان أنتما طار ختمانى فليكن * حديثكما فى ذكر مجد ومنصب

بحب المعالى لا بحب ابن جندب * اقضى لبانات الفؤاد المعذب
خلقت أمرأ جلدا على حمل الهوى * فلست ابالى بالقلى والتجنب
سواء أرى بالوصل تقريض جؤذر * أو اعراض ظبي ألعس الثغر اشنب
ولم أصب في عصر الشبيبة والصبا * فهل اصبون كهلا بلمة أشيب
يعنفنى في بغيتى رتب العلى * جهول أراه راكبا غير مركبي
له همة دون الحضيض محلها * ولى همة تسمو على كل كوكب
فلو كان ذا جهل بسيط عذرته * ولكنه يدلى بجهل مركب
يقول علام اخترت مذهب أحمد * فقلت له اذ كان أحمد مذهب
وهل فى ابن شيبان مقال لقائل * وهل فيه من طعن لصاحب مضرب
أليس الذى قد طار فى الارض ذكره * وطبقها ما بين شرق ومغرب

الى ان قال

امام الهدى الداعي الى سنن الهدى * وقد فاضت الاهواء من كل مشعب
وأصحابه أهل الهدى لا يضرهم * على طعنهم طعن أمري، جاهل غبي
هم الظاهرون القائمون بدينهم * الى الحشر لم يغلبهم ذو تغلب
لنا منهم فى كل عصر أئمة * هداة الى العليا مصابيح مرقب
فايدهم رب العلى من عصابة * لاظهار دين الله أهل تعصب
وقد علم الرحمن ان زماننا * تشعب فيه الرأى أي تشعب
فجاء بحبر عالم من سراتهم * لسبع مئين بعد هجرة يثرب
يقيم قناة الدين بعد اعوجاجها * وينقذها من قبضة المتعصب
فذاك فتى تيمية خير سيد * نجيب اتانا من سلالة منجب
عليم بادواء النفوس يسوسها * بحكمته فعل الطبيب المجرب
بعيد عن الفحشاء والبغى والاذى * قريب الى أهل التقى ذو تجنب
يغيب ولكن عن مساء وغيبة * وعن مشهد الاحسان لم يتغيب
حليم كريم مشفق بعداته * اذا لم يطع فى الله لله يغضب

يري نصرة الاسلام اكرم مغنم * واظهار دين الله اربح مكسب
وكم قد غدا بالقول والفعل مبطلا * ضلالة كذاب ورأى مُكَذَب
ولم يلف من عاداه غير منافق * وآخر عن نهج السبيل مُكَذِب
لقد حاولوا منه الذى كان رامه * من المصطفى قدما حي بن اخطب
ولكن رأوا من بأسه مثل مارأي * من المرتضى فى حربه رأس مرحب
تمسك أبا العباس بالدين واعتصم * بحبل الهدى تقهر عداك وتغلب
ولاتخش من كيد الاعادى فما هم * سوى حائر فى أمره ومذبذب
جنودهم من طامع ومضلل * مسيلمة منهم يلوذ باشعب
وجندك من أهل السماء ملائك * يمدك منهم موكب بعد موكب
لئن جحدت علياء فضلك حسد * لعمر أبى قد زاد منهم تعجبى
وهل ممكن فى العقل ان يجحد السنا * ضحى وضياء الشمس لم يتحجب
ايا مطلبا حزناه من غير مهلك * وكم مهلك صد الورى دون مطلب
ربيب المعالى يافع الجود والندى * فتى العلم كهل الحلم شيخ التأدب
بسيط معان في وجيز عبارة * بتهذيبه تعجيز كل مهذب
وليس له فى الزهد والعلم مشبه * سوى الحسن البصرى وابن المسيب
ومن رام حبرا دونه اليوم فى الورى * فذلك الذي قد رام عنقاء مغرب
أليس هو الحبر الذى بانتصاره * حيي الدين حتى بالامانة قد حبي
وجاهد في ذات الاله بنفسه * وبالمال والاهلين والام والاب
وما جئت في مدحى له متطلبا * به عرضا يفنى ولا نيل منصب
ولكننى ابغى رضى الله خالقى * وأرجو بهِ غفران زلة مذنب

(وقال القاسم محمود بن عساكر)

تقى الدين أضحى بحر علم * يجيب السائلين بلا قنوط
أحاط بكل علم فيه نفع * فقل ما شئت فى البحر المحيط

وقصائد مدحه في حياته كثيرة وكذلك بعد وفاته كما سيأتى ان شاء الله تعالى *

﴿ فصل في تصانيف ابن تيمية وسعة حفظه وقوة ملكته رحمة الله تعالى عليه ﴾

قد مرت الاشارة الى ذلك فى كلام الائمة وقول العلامة ابن لزملكانى لقد أعطى ابن تيمية اليد الطولى فى حسن التصنيف وجودة العبارة والترتيب والتقسيم والتبيين وقد ألان الله له العلوم كما الان لداود الحديد . وتقدم قول الحافظ الذهبي وما أبعد ان تصانيفه الآن تبلغ خمسمائة مجلد *

﴿ وقال الشيخ عبد الهادي بن قدامة ﴾ للشيخ رحمه الله تعالى من التصانيف والفتاوى والقواعد والاجوبة والرسائل وغير ذلك من الفوائد مالا ينضبط قال ولا أعلم أحدا من متقدمي الائمة ولا متأخريهم جمع مثل ما جمع ولا صنف نحو ما صنف ولا قريبا من ذلك مع ان اكثر تصانيفه انما أملاها من حفظه وكثيرا منها صنفه في الحبس وليس عنده مايحتاج اليه من الكتب *

فمن ذلك ما جمعه فى التفسير وما جمعه من أقوال مفسرى السلف الذين يذكرون الاسانيد فى كتبهم . وذلك أكثر من ثلاثين مجلدا . وقد بيض أصحابه بعض ذلك وكثير منه لم يكتبوه ولو كتب كله لبلغ خمسين مجلدا . وكان رحمه الله تعالى يقول ربما طالعت على الآية الواحدة نحو مائة تفسير ثم أسأل الله تعالى الفهم وأقول يا معلم ابراهيم علمنى . وكنت أذهب الى المساجد المهجورة ونحوها وأمرغ وجهى فى التراب وأسال الله تعالى وأقول يا معلم ابراهيم فهمني *

﴿ وقال أبو حفص ﴾ عمر البزار فى المناقب وأما مؤلفاته ومصنفاته فانها أكثر من ان أقدر على احصائها بل هذا لا يقدر عليه أحد لانها كثيرة جدا كبارا وصغارا وهي منتشرة فى البلدان . فقل بلد نزلته الا ورأيت من تصانيفه . فمنها ما يبلغ عشرين مجلدا كتخليص التلبيس من تأسيس التقديس . وما يبلغ سبع مجلدات كالجمع بين العقل والنقل . وما يبلغ ست مجلدات ككتاب تلبيس الجهميه . في تأسيس بدعهم الكلاميه . وما يبلغ خمس مجلدات كمنهاج الاستقامة والاعتدال . وما يبلغ أربع مجلدات ككتاب الرد على طوائف الشيعة والقدرية . والرد على ابن المطهر الرافضى . وبين جهل الرافضة وضلالتهم وكذبهم . وما يبلغ ثلاث مجلدات كالرد على النصارى . ومجلدين كنكاح المحلل وابطال الحيل وشرح عقيدة الاصبهانية وما يبلغ مجلدا فكثير جدا . ككتاب تفسير سورة الاخلاص مجلد . وكتاب

الكلام على قوله سبحانه وتعالى (لرحمن على العرش استوى) مجلد نحو خمس وثلاثين كراسة والصارم المسلول على شاتم الرسول مجلد . وكتاب المسائل الاسكندرية . فى الرد على الملاحدة الاتحادية . وتنبيه الرجل العاقل . على تمويه الجدل الباطل مجلد . وله فى الرد على الفلاسفة مجلدات . وقال الفروع أمرها قريب فمن قلد أحدا من الائمة جاز له العمل بقوله ما لم يتيقن خطأه . وأما لاصول فقد رأيت أهل البدع والضلال تجاذبوا فيها وأوقعوا الناس في التشكيك فى أصول دينهم فلذلك اكثرت من التصنيف فى الرد عليهم .

﴿ وبالجملة ﴾ فذكر أسماء كتبه مما يطول وله من الرسائل والقواعد والتعاليق مالا يمكن حصره وقد ذكر كثيراً منها الحافظ ابن عبد الهادى بن قدامة . وقال من الله تعالى على الشيخ بسرعة الكتابة ويكتب من حفظه من غير نقل . قال واخبرنى غير واحد انه كتب مجلدا لطيفا فى يوم وكتب غير مرة أربعين ورقة فى جلسة وأكثر واحصى ما كتبه فى يوم وبيضه فكان ثمانى كراريس فى مسألة من أشكل المسائل وكان يكتب على السؤال الواحد مجلداً واما جواب يكتب فيه خمسين ورقة وستين فكثير جداً واما فتاويه ونصوصه وأجوبته على المسائل فهى أكثر من ان تحصى لكن دون منها بمصر على أبواب الفقه سبعة عشر مجلداً وهذا ظاهر مشهور وقل ان وقعت واقعة وسئل عنها الا وأجاب فيها بديهة بما بهر واشتهر وصار ذلك الجواب كالمصنف الذى يحتاج فيه غيره الى زمن طويل ومطالعة كتب وقد لا يقدر مع ذلك على ايراد مثله *

﴿ وقال الشيخ صالح تاج الدين محمد ﴾ حضرت مجلس الشيخ رضى الله عنه وقد سأله يهودي عن مسألة فى القدر وقد نظمها شعراً فى ثمانية أبيات فلما وقف عليها فكر لحظة يسيرة وانشأ يكتب جوابها وجعل يكتب ونحن نظن انه يكتب نثراً فلما فرغ تأمله من حضر من أصحابه فاذا هو[1] نظم من بحر أبيات السؤال وقافيتها تقرب من مائة وأربعة وثمانين بيتاً وقد أبدى فيها من العلوم مالو شرح لبلغ مجلدين كبيرين وهذا من جملة بواهره وكم له من جواب فتوى لم يسبق الى مثله *

﴿ وأما سعة حفظه وقوة ملكته ﴾ فقد تقدم التنبيه عليه كثيراً فى كلام الائمة وقد أذعن له

(١) قد ذكر في كتابه الفتاوى الحاية واورده ابن السبكى فى طبقاته مع أجوبة أخرى لعلماء ذلك العصر

بذلك المخالف والموافق وقال ابن عبد الهادى بن قدامة بلغنى ان بعض مشايخ حلب قدم الى دمشق وقال سمعت ان فى هذه البلاد صبيا يقال له أحمد بن تيمية سريع الحفظ وقد جئت قاصداً لعلي أراه فقال له خياط هذه طريق كتابه وهو الى الآن ما جاء فاقعد عندنا الساعة يمر ذاهبا الى الكتاب فلما مر قيل ها هو الذى معه اللوح الكبير فناداه الشيخ وأخذ منه اللوح وكتب له من متون الحديث أحد عشر او ثلاثة عشر حديثا وقال له اقرأ هذا فلم يزد على ان نظر فيه مرة بعد كتابته اياه ثم قال اسمعه علىّ فقرأه عليه عرضا كاحسن مايكون ثم كتب عدة أسانيد انتخبها فنظر فيه كما فعل أول مرة فحفظها فقام الشيخ وهو يقول ان عاش هذا الصبي ليكونن له شأن عظيم فان هذا لم ير مثله فكان كما قال *

﴿ وقال الحافظ أبو حفص ﴾ كان ابن تيمية اذا شرع فى الدرس يفتح الله عليه اسرار العلوم وغوامض ولطائف ودقائق وفنون ونقول واستدلالات بآيات وأحاديث وأقوال العلماء ونصر بعضها وتبيين صحتها وتزييف بعضها وايضاح حجته واستشهاد باشعار العرب وهو مع ذلك يجرى كما يجرى التيار ويفيض كما يفيض البحر ويصير منذ يتكلم الى ان يفرغ كالغائب عن الحاضرين مغمضا عينيه ويقع عليه اذ ذاك من المهابة مايرعد القلوب ويحير الابصار والعقول *

﴿ ومن أعجب ﴾ الاشياء فى حقه انه لما سجن صنف كتبا كثيرة وذكر فيها الاحاديث والآثار وأقوال العلماء وأسماء المحدثين والمؤلفين ومؤلفاتهم وعزا كل شيء من ذلك الى ناقليه وقائليه . وذكر أسماء الكتب التي ذكر ذلك فيها وفى أي موضع هو منها كل ذلك بديهة من حفظه لانه لم يكن عنده حينئذ كتاب يطالعه ونقبت واعتبرت فلم يوجد بحمد الله فيها خلل ولا تغيير *

﴿ واما معرفته بصحيح المنقول وسقيمه ﴾ فان فى ذلك من الجبال التى لا ترتقي ذروتها ولا ينال سنامها فقل ان ذكر له قول الا وقد أحاط علمه بمنكره وذاكره وناقله أو راو الا وقد عرف حاله من جرح وتعديل باجمال وتفصيل *

﴿ واما ماوهبه الله تعالى ومنحه به ﴾ من استنباط المعاني من الالفاظ النبوية والاخبار المروية وابراز الدلائل منها على المسائل وتبيين مفهوم اللفظ ومنطوقه وايضاح المخصص للعام والمقيد للمطلق والناسخ للمنسوخ وتبيين ضوابطها ولوازمها وملزوماتها وما يترتب عليها وما يحتاج

فيه اليها فما لا يوصف حتى كان اذا ذكر آية أو حديثا وبين معانيه وما أريد به يعجب العالم الفطن من حسن استنباطه ويدهشه ما سمعه أو وقف عليه منه . ولقد سئل يوما عن حديث لعن الله المحلل والمحلل له فلم يزل يوردفيه وعليه حتى بلغ كلامه فيه مجلداً كبيراً وقل ان يذكر له حديث أوحكم الا وتكلم عليه يومه أجمع أو تقرأبحضرته آية من كتاب الله تعالي ويشرع فى تفسيرها الا وقضي المجلس كله فيه *

﴿ واما ماخصه الله تعالى ﴾ من معارضة أهل البدع في بدعهم وأهل الاهواء فى أهوائهم ومبالغته فى ذلك من دحض أقوالهم . وتزييف أمثالهم واشكالهم . واظهار عوارهم وانتحالهم وتبديد شملهم وقطع أوصالهم . وأجوبته عن شبههم الشيطانية . ومعارضاتهم النفسانية . بما منحه الله تعالى به من البصائر الرحمانية . والدلائل النقلية والتوضيحات العقلية . فمن العجب العجيب . (ذكر هذا كله) الحافظ أبو حفص عمر البزار وقال الحمد لله الذي من علينا برؤيته وصحبته . ولقد جعله الله حجة على أهل عصره (وأنا أقول) الحمد لله الذى من علينا بمحبته واعتقاد انه ممن تمسك بالكتاب والسنة والقيام بنصرهما والذب عنهما . فالله تعالى يرحمه رحمة واسعة وينفعنا به آمين *

﴿ فصل فى بعض مآثره الحميدة على سبيل التلخيص والا فبسطها يستدعى طولا ﴾

﴿ اما تعبده ﴾ فانه رضى الله عنه كما قال الائمة الناقلون عنه قل ان سمع بمثله انه كان قد قطع جل وقته وزمانه فى العبادة حتى انه لم يجعل لنفسه شاغلة تشغله عن الله ومايزاوله . لا من أهل ولا من مال . وكان فى ليله منفرداً عن الناس كلهم خاليا بربه عز وجل ضارعا اليه مواظبا على تلاوة القرآن العظيم مكررا لانواع التعبدات الليلية والنهارية وكان اذا دخل فى الصلاة ترتعد فرائصه واعضاؤه حتى يميل يمنة ويسرة . وكان اذا رأى فى طريقه منكراً ازاله . أو سمع بجنازة سارع للصلاة عليها أو تأسف على فواتها ولا يزال تارة فى افتاء الناس وتارة فى قضاء حوائجهم حتى يصلي الظهر مع الجماعة ثم كذلك بقية يومه . وكان مجلسه عاما للكبير والصغير والجليل والحقير . ويرى كل منهم فى نفسه انه لم يكرم أحداً بقدره . ثم يصلى المغرب ويقرأ عليه الدروس ثم يصلي العشاء ثم يقبل على العلوم الى ان يذهب طويل من الليل . وهو فى خلال ذلك كله الليل والنهار لا يزال يذكر الله تعالى ويوحده ويستغفره *

﴿ واما ورعه ﴾ فكان من الغاية التى ينتهى اليها فى الورع ان الله تعالى اجراه مدة عمره كلها على الورع فانه ما خالط الناس فى بيع ولا شراء ولا معاملة ولا تجارة ولا مشاركة ولا مزارعة ولا عمارة ولا كان ناظراً أو مباشراً لمال وقف ولم يقبل جراية ولا صلة لنفسه من سلطان ولا أمير ولا تاجر ولا كان مدخراً ديناراً ولا درهما ولا متاعا ولا طعاما وانما كانت بضاعته مدة حياته وميراثه بعد وفاته رضى الله تعالى عنه العلم اقتداء بسيد المرسلين فانه قال ان العلماء ورثة الانبياء ان الانبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهما ولكن ورثوا العلم فمن أخذ به فقد أخذ بحظ وافر *

﴿ وأما زهده ﴾ فقد جعله الله شعارا من صغره . ولقد اتفق كل من رآه خصوصا من مال الى ملازمته انه مارأى مثله فى الزهد فى الدنيا واشتهر عنه ذلك حتى لو سئل عامي من أهل بلد بعيد من أزهد أهل هذا العصر واكملهم فى رفض فضول الدنيا وأحرصهم على طلب الآخرة لقال ماسمعت بمثل ابن تيمية وما اشتهر بذلك الا لمبالغة فى الزهد مع تصحيح النية لم يسمع انه رغب في زوجة حسناء . ولا سرية حوراء . ولا حرص على دينار ولادرهم . ولا رغب فى دواب ولا نعم . ولا ثياب فاخرة ولا حشم . ولا زاحم فى طلب الرياسات . ولا رؤى ساعيا فى تحصيل المباحات . مع ان الملوك والامراء والتجار والكبراء كانوا طوع أمره خاضعين لقوله . وادين ان يتقربوا الى قلبه مهما أمكنهم مظهرين لاجلاله . فاين حاله هذا من حال من أغراهم الشيطان بالوقيعة فيه أما نظروا ببصائرهم الى صفاتهم وصفاته . وسماتهم وسماته . وتحاسدهم فى طلب الدنيا وفراغه عنها . ومبالغته فى الهرب منها . وخدمتهم للامراء واختلافهم الى أبوابهم وذل الامراء بين يديه وعدم اكتراثه بهم . وقوة جأشه فى محاوراتهم بلى والله ولكن قتلتهم الحالقة حالقة الدين لاحالق النعم *

﴿ وأما ايثاره مع فقره ﴾ فكان رضى الله عنه مع رفضه للدنيا وتقلله منها مؤثرا بما عساه يجده منها قليلا كان أو كثيرا لايحتقر القليل فيمنعه ذلك عن التصدق به ولا الكثير فيصرفه النظر اليه عن الاسعاف به فقد كان يتصدق حتى اذا لم يجد شيئا نزع بعض ثيابه فيصل به الفقراء . وكان يستفضل من قوته الرغيف والرغيفين فيؤثر بذلك على نفسه *

(وذكر الشيخ صالح) زين الدين الواسطى انه أقام بحضرة الشيخ مدة طويلة قال فكان قوتنا انه يأتيني بكرة النهار ومعه قرص قدره نصف رطل بالعراقي فيكسره بيده لقما ويأكل ثم يرفع

يده قبلى ولا يفرغ باقي القرص من بين يدى حتى أشبع الى الليل وكنت ارى ذلك من بركة الشيخ . ثم بعد عشاء الاخيرة يؤتى بعشائنا فيأكل هو معي لقيمات ثم يؤثرني بالباقى وكنت أسأله ان يزيد على اكله فلا يفعل حتى انى كنت في نفسي اتوجع له من قلة اكله . وكان هذا اكلنا فى غالب مدة اقامتى عنده وما رأيت نفسي اعز منها في تلك المدة ولا رأيتنى اجمع هما مني فيها *

(وحكى غير واحد) ما اشتهر عنه من كثرة الايثار وتفقد المحتاجين والغرباء واجتهاده فى مصالحهم وصلاتهم ومساعدته لهم بل ولكل أحد من العامة والخاصة ممن يمكنه فعل الخير معه واسداء المعروف اليه بقوله أو فعله ووجهه وجاهه *

﴿وأما كرمه﴾ فكان رضى الله تعالى عنه مجبولا على الكرم ولا يتطعه ولا يتصنعه بل هو له سجية وكان لا يرد من يسأل شيئا يقدر عليه من دراهم ودنانير وثياب وكتب *

وقال الحافظ بن فضل الله العمرى كانت تأتيه القناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث فيهب ذلك باجمه ويضعه عند أهل الحاجة فى موضعه . لا يأخذ منه شيئا الا ليهبه . ولا يحفظه الا ليذهبه *

وقال في موضع آخر كان يجيئه من المال فى كل سنة مالا يكاد يحصي فينفقه جميعه آلافا ومئين لا يلتمس منه درهما بيده . ولا ينفقه فى حاجته بل كان اذا لم يقدر يعمد الى شئ من لباسه فيدفعه الى السائل . وذلك مشهور عند الناس من حاله

حكى من يوثق به قال كنت يوما جالسا بحضرة شيخ الاسلام ابن تيمية رضى الله تعالى عنه فجاء انسان فسلم عليه فرآه الشيخ محتاجا الى مايعتم به فنزع الشيخ عمامته من غير ان يسأله الرجل فقطعها نصفين واعتم بنصفها ودفع النصف الآخر لذلك الرجل ولم يحتشم للحاضرين عنده وحدث من يوثق به ان الشيخ رضى الله تعالى عنه كان مارا في بعض الازقة فدعا له بعض الفقراء وعرف الشيخ حاجته ولم يكن مع الشيخ مايعطيه فنزع ثوبا على جلده ودفعه اليه وقال بعه بما تيسر وانفقه واعتذر اليه من كونه لم يحضر عنده شئ من النفقة وسأله انسان كتابا ينتفع به فقال خذ ما تختار . فرأى ذلك الرجل بين كتب الشيخ مصحفا قد اشترى بدراهم كثيرة فاخذه ومضى فلام بعض الجماعة الشيخ فى ذلك فقال أكان يحسن بي ان أمنعه بعد ماسأله

دعه فلينتفع به . وكان رضى الله تعالى عنه ينكر انكارا شديدا على من ينال شيأمن كتب العلم التى يملكها ويمنعها من السائل ويقول ماينبغى ان يمنع العلم ممن يطلبه *

﴿ وأما لباسه ﴾ فكان رضى الله تعالى عنه متوسطا فى لباسه لايلبس فاخر الثياب بحيث يرمق ويمد النظر اليه ولا أطمارا ولا غليظة تشهر لابسها من عالم أو عابد بل كان لباسه وهيئته كغالب الناس ومتوسطيهم . ولم يكن يلبس نوعا واحداً من اللباس بل يلبس ماتفق وحصل ويأكل ماحضر . وكانت بذاذة الايمان عليه ظاهرة لايرى متصنعا فى عمامة ولا لباس ولا مشية ولا قيام . ولا جلوس ولم يسمع انه أمر ان يتخذ له ثوب بعينه بل كان أهله يأتون بلباسه وقت حاجته لبدل ثيابه التى عليه . وربما اتسخت ولا يأمر بغسلها حتي يسأله أهله ذلك* وكذا كان فى المأكل فما سمع انه طلب طعاما قط ولا عشاء ولا غذاء ولو بقى مهما بقى لشدة اشتغاله بما هو فيه من العلم والعمل بل كان ربما يؤتي بالطعام وربما يترك عنده فيبقى زمانا حتى يلتفت اليه . واذا أكل يأكل شيئا يسيرا . وما ذكر من ملاذ الدنيا ونعيمها . ولا كان يخوض فى شىء من حديثها ولا يسأل عن شىء من معيشتها بل جل همه وحديثه فى طلب الآخرة وما يقرب الى الله تعالى *

﴿ وأما تواضعه ﴾ فما سمع باحد من أهل عصره مثله رحمه الله في ذلك فكان يتواضع للكبير والصغير والجليل والحقير والفقير ويدنيه ويكرمه ويباسطه بحديث زيادة عن الغنى حتي انه ربما خدمه بنفسه واعانه بحمل حاجته جبرا لقلبه وكان لايسأم ممن يستفتيه أو يسأله بل يقبل عليه ببشاشة وجه ولين عريكة ويقف معه حتي يكون هو الذي يفارقه ولا يجبهه ولا يتفوه بكلام يوحشه بل يجيبه ويفهمه ويعرفه الخطأ من الصواب بلطف وانبساط وكان يلزم التواضع فى حضوره مع الناس ومغيبه عنهم فى قيامه وقعوده ومشيه ومجلسه ومجلس غيره *

﴿ وأما كرامته وفراسته) فقال الشيخ الحافظ أبو حفص عمر جرى بينى وبين بعض الفضلاء منازعة فى عدة مسائل وطال كلامنا فيها وجعلنا الشيخ المرجع فلما حضر هممنا لسؤاله عنها فسبقنا هو وشرع يذكر لنا مسألة مسألة كما كنا فيه ويذكر أقوال العلماء فيها ثم يرجح منها مارجحه الدايل حتى أتى على آخر ما أردنا فبقينا ومن حضرنا مبهوتين متعجبين . وكنت فى صحبتى له اذا خطر لى بحث يشرع يورده ويذكر الجواب عنه من عدة وجوه *

قال وحدثنى الشيخ الصالح المقرى أحمد قال لما قدمت دمشق لم يكن معى شئ من النفقة البتة وانا لا اعرف أحدا من أهلها فجعلت أمشى في زقاق كالحاير واذا الشيخ أقبل نحوى مسرعا فسلم وهش فى وجهى ووضع فى يدى صرة فيها دراهم وقال انفق هذه الآن واخل خاطرك مما أنت فيه فان الله لا يضيعك ثم انصرف فسألت من هذا فقيل ابن تيمية وله مدة ماجتاز بهذا الدرب وكان جل قصدى من سفرى الى دمشق لقاءه . فتحققت ان الله أظهره علىّ وعلى حالى فما احتجت بعدها الى أحد مدة اقامتى بدمشق بل فتح الله علىّ من حيث لا أحتسب وقال وحدثنى الشيخ العالم المقرى تقى الدين عبد الله قال لما سافرت الى مصر حين كان الشيخ مقيما بها فقدمتها ليلا وانا مريض مثقل فانزلت فى بعض الامكنة فلم البث ان سمعت من ينادينى باسمى وكنيتى فاجبته وأنا ضعيف فدخل الىّ جماعة من أصحاب الشيخ فقلت كيف عرفتم بقدومي هذه الساعة قالوا أخبرنا الشيخ انك قدمت وأنت مريض فأمرنا أن نسرع بنقلك وما رأينا أحدا جاءه ولا اخبره بشئ . قال ومرضت بدمشق فلم اشعر الا والشيخ عند رأسي وانا مثقل بالحمى والمرض فدعا لى وقال جاءت العافية ومشيت من وقتي *

﴿ وقال الشيخ عماد الدين المقرى المطرز ﴾ قدمت على الشيخ ومعى حينئذ نفقة فسلمت عليه فرد علىّ ورحب بى وأدنانى ولم يسألنى هل معك نفقة أم لا . فلما كان بعد أيام وقد نفدت نفقتى أردت أن أخرج من مجلسه بعد أن صليت مع الناس وراءه فمنعني واجلسنى دونهم فلما خلا دفع الىّ جملة دراهم وقال أنت الآن بغير نفقة فعجبت من ذلك *

﴿ ولما نزل المغل ﴾ بالشام لاخذ دمشق رجف أهلها وجاء اليه جماعة منهم وسألوه الدعاء للمسلمين فتوجه الى الله ثم قال أبشروا فان الله يأتيكم بالنصر فى اليوم الفلانى بعد ثالثة ترون الرؤس مغباة بعضها فوق بعض . قال الذي حدث فوالذى نفسى بيده مامضى الا ثلاث منذ قوله حتى رأينا رؤسهم كما قال الشيخ على ظاهر دمشق معبأة بعضها فوق بعض *

﴿ وكان الشيخ ﴾ يعود المريض فمرض شاب بدمشق فكان يعوده فى كل يوم فجاء يوما الشاب فدعا له فشفى سريعا وقال له عاهد الله أن تعجل الرجوع الى بلدك أيجوز ان تترك زوجتك وبناتك ضيعة وتقيم ههنا قال الشاب فقبلت يده وقلت يا سيدى انى تائب الى الله وعجبت مما كاشفنى به وكنت قد تركتهن بلا نفقة ولم يكن عرف بحالى أحد من أهل دمشق *

ومضى بعد الفضلاء متوجها الى مصر ليلى القضاء وعزم على قتل رجل صالح بها اذا وصل فلما بلغ الشيخ ذلك قال ان الله لا يمكنه مما قصد ولا يصل الى مصر حيا فبقى بين القاضي وبين مصر قدر يسير وأدركه الموت *

﴿ وذكر الحافظ ﴾ ابن عبدالهادى بن قدامة ان الشيخ لما افتى بمسألة شد الرحال للقبور واجتمع جماعة معروفون بدمشق وضربوا مشورة فى حق الشيخ فقال أحدهم ينفى فنفى القائل . وقال آخر يقطع لسانه فقطع لسان القائل وقال آخر يعزر فعزر القائل وقال آخر يحبس فحبس القائل . قال وأخبرنى بذلك من حضر هذه المشورة وهو كاره لها ﴿ وبالجملة ﴾ فكرامات الشيخ رحمه الله تعالى كثيرة جدا قالوا ومن أظهر كراماته انه ما سمع باحد عاداه او تنقصه الا وابتلى ببلايا غالبها فى دينه قالوا وهذا ظاهر مشهور لا يحتاج فيه الي شرح صفته قالوا ومن امعن النظر ببصيرته لم ير عالما من أهل أى بلد شاء موافقا له مثنيا عليه الا ورآه من اتبع علماء بلده للكتاب والسنة واشغلهم بطلب الآخرة والرغبة فيها وابلغهم في الاعراض عن الدنيا والاهمال لها . ولا يرى عالما مخالفا له . منحرفا عنه الا وهو من اكبرهم نهمة فى جمع الدنيا واكثرهم رياء وسمعة والله أعلم *

﴿ واما شجاعته وجهاده ﴾ فامر متجاوز للوصف فكان رضى الله تعالى عنه كما قال الحافظ سراج الدين ابو حفص فى مناقبه هو من اشجع الناس واقواهم قلبا ما رأيت أحدا اثبت جاشا منه ولا اعظم فى جهاد العدو منه كان يجاهد فى سبيل الله بقلبه ولسانه ويده . ولا يخاف فى الله لومة لائم . وأخبر غير واحد ان الشيخ كان اذا حضر مع عسكر المسلمين فى جهاد يكون بينهم . ان رأى من بعضهم هلعا اوجبنا شجعه وثبته وبشره ووعده بالنصر والظفر والغنيمة وبين له فضل الجهاد والمجاهدين . وكان اذا ركب الخيل يجول فى العدو كاعظم الشجعان ويقوم كاثبت الفرسان وينكى العدو من كثرة الفتك بهم . ويخوض بهم خوض رجل لا يخاف الموت . وحدثوا انهم رؤا منه فى فتح عكة أمورا من الشجاعة تعجز الواصف عن وصفها قالوا ولقد كان السبب فى تملك المسلمين اياها بفعله ومشورته وحسن نظره *

﴿ ولما ظهر السلطان بن غازان ﴾ على دمشق المحروسة جاءه ملك الكرج وبذل له أموالا كثيرة جزيلة على ان يمكنه من الفتك بالمسلمين من أهل دمشق فوصل الخبر الى الشيخ فقام

من فوره وشجع المسلمين ورغبهم فى الشجاعة ووعدهم على قيامهم بالنصر والظفر والامن . وزوال الخوف .فانتدب منهم رجال من وجوههم وكبرائهم وذوى أحلامهم فخرجوا معه الى حضرة السلطان غازان . فلما رأى الشيخ أوقع الله له في قلبه هيبة عظيمة حتى أدناه منه وأجلسه وأخذ الشيخ فى الكلام معه فى عكس رأيه من تسليط المخذول ملك الكرج على المسلمين وأخبره بحرمة دماء المسلمين وذكره ووعظه فأجابه الى ذلك طائعا وحقنت بسببه دماء المسلمين وحميت ذراريهم وصين حريمهم *

﴿ وقال الشيخ كمال الدين بن الانجا قدس الله روحه ﴾ كنت حاضرا مع الشيخ فجعل يحدث السلطان يقول الله ورسوله فى العدل وغيره ويرفع صوته على السلطان ويقرب منه فى اثناء حديثه حتى لقد قرب ان يلاصق ركبته ركبة السلطان والسلطان مع ذلك مقبل عليه بكليته مصغ لما يقول شاخص اليه لا يعرض عنه وان السلطان من شدة ما أوقع الله له فى قلبه من المحبة والهيبة سأل من هذا الشيخ فانى لم أر مثله ولا أثبت قلبا منه ولا أوقع من حديثه في قلبي ولا رأيتنى أعظم انقيادا لاحد منه فاخبر بحاله وما هو عليه من العلم والعمل فقال الشيخ للترجمان قل للغازان (١) أنت تزعم انك مسلم ومعك قاض وامام وشيخ ومؤذنون على مابلغنا فغزوتنا وأبوك وجدك كانا كافرين وما عملا الذى عملت عاهدا فوفيا وأنت عاهدت فغدرت وقلت فما وفيت وجرت ثم خرج من بين يديه مكرما معززا بحسن نيته الصالحة من بذل نفسه في طلب حقن دماء المسلمين فبلغه الله تعالى ما أراده . وكان أيضا سببا لتخليص غالب اسارى المسلمين من أيديهم وردهم على أهليهم وحفظ حريمهم وهذا من أعظم الشجاعة والثبات وقوة التجاسر . وكان يقول لن يخاف الرجل غير الله الا لمرض فى قلبه فان رجلا شكا الى أحمد ابن حنبل خوفه من بعض الولاة فقال لو صححت لم تخف أحدا أي خوفك من أجل زوال الصحة من قلبك *

﴿ وأخبر قاضي القضاة أبو العباس ﴾ انهم لما حضروا مجلس غازان قدم لهم طعام فاكلوا منه الا ابن تيمية فقيل لم لم تأكل فقال كيف آكل من طعامك وكله مما نهبتم من أغنام الناس طبختموه بما قطعتم من أشجار الناس ثم ان غازان طلب منه الدعاء فقال فى دعائه اللهم ان

(١) قوله قل للغازان وكان الاصل قل للقاآن والصواب هو الاول فان قاآن لقب ملك ملوك المغول الذي كان مقره بالصين وغازان أول من آمن من ملوك المغول فى ايران وبسبب ايمانه آمن جميع عساكر المغول اه مصححه الكردى

كنت تعلم انه انما قاتل لتكون كلمة الله هى العليا وجاهد فى سبيلك فان تؤيده وتنصره وان كان للملك والدنيا والتكاثر فان تفعل به وتصنع فكان يدعو عليه وغازان يؤمن على دعائه ونحن نجمع ثيابنا خوفا ان يقتل فيطرطس بدمه ثم لما خرجنا قلنا له كدت تهلكنا معك ونحن ما نصحبك من هنا فقال وأنا لا اصحبكم فانطلقنا عصبة وتاخر فتسامعت به الخوانين والامراء فاتوه من كل فج عميق وصاروا يتلاحقون به ليتبركوا برؤيته فما وصل الا في نحو ثلاثمائة فارس في ركابه واما نحن فخرج علينا جماعة فشلحونا فانظر كما قال الحافظ ابن فضل الله العمرى الى قيامه فى دفع حجة القتال واقتحامه وسيوفهم تدفق لجة البحار حتى جلس الى السلطان محمود غازان حيث لجم الاسد فى آجامها . وتسقط القلوب فى دواخل أجسامها . خوفا من ذلك السبع المغتال . والنمروذ المختال . والاجل الذى لا يدفع بحيلة محتال . فجلس اليه وأومى بيده الى صدره . وواجهه ودرأ في نحره . وطلب منه الدعاء فرفع يديه ودعا دعاء منصف اكثره عليه . وغازان يؤمن على دعائه وهو مقبل اليه . ثم كان على هذه المواجهة القبيحة . والمشاتمة الصريحة . اعظم فى صدر غازان والمغل من كل من طلع معه من سلف العلماء فى ذلك الصدر. وأهل الاستحقاق لرفعة القدر . هذا مع ماله من جهاد فى الله . لم يفترعه فيه طلل الوشيج . ولم يحرعه فيه ارتفاع النسيج . مواقع حروب باشرها . وطوائف ضروب عاشرها . وبوارق صفاح كاشرها . ومضايق رماح حاشرها . واصناف خصوم لد قطع جدالها قويے لسانه . وجلادها بسنا سنانه . وجرت له مع غازان وقطلوشاه وبولاى أمور ونوب قام فيها كلها لله وقال الحق ولم يخش الا الله *

﴿ ولما قدم بعد ذلك ﴾ عام سبعمائة التتار مع غازان لفتح الشام على الاستيلاء على من بها من المؤمنين ركب الشيخ البريد الى الجيش المصرى فدخل القاهرة في ناس يوم حادي عشر جمادى الاولى فاجتمع باركان الدولة وحثهم على الجهاد وتلا عليهم الآيات والاحاديث واخبرهم بما أعد الله للمجاهدين من الثواب فاستقاموا وقويت هممهم وابدوا له عذر المطر والبرد . ونودى بالغزاة وقوى العزم وعظموه واكرموه وتردد الاعيان الى زيارته . واجتمع به فى هذه السنة ابن دقيق العيد ثم فى اليوم السابع والعشرين من جمادى الاولى المذكور . وصل الشيخ الى دمشق على البريد . وأرسل الله على العدو من الثلج العظيم والبرد الشديد

والريح العاصف والجوع المزعج ما الله به عليم فاصاب غازان وجنوده وأهلكهم وكان سبب رحيلهم وفرق الله بين قلوب العدو المغل والكرج والفرس والمستعربة والتى بينهم تعاديا وتباغضا كما التى عام الاحزاب بين قريش وغطفان وبين اليهود فارسل الشيخ كتابا مطولا لمصر يقول فيه لما ثبت الله قلوب المسلمين صرف العدو جزاء منه لبيان ان النية الخالصة والهمة الصادقة ينصر الله بها وان لم يصنع الفعل وان تباعدت الديار

﴿ وحكى من شجاعة الشيخ ﴾ في مواقف الحروب نوبة شقحب سنة اثنين وسبعمائة ونوبة كسروان مالم يسمع الا عن صناديد الرجال وشجعان الابطال . فكان تارة يباشر القتال وتارة يحرض عليه قائما شاكيا سلاحه ولامة حربه يوصى الناس بالثبات ويعدهم بالنصر ويبشرهم بالغنيمة وركب البريد الى مهنى بن عيسى واستحضره الى الجهاد وركب بعدها الى السلطان واستنفره وواجهه بالكلام الغليظ وواجه أمراءه وعساكره . ولما جاء السلطان الملك الناصر بجيوش الاسلام للقاء القتال جعل الشيخ يسمع السلطان ويثبته فلما رأى السلطان كثرة التتار قال ياخالد ابن الوليد فقال له لا تقل هذا بل قل يا الله واستغث بالله ربك ووحده تنصر وقال يامالك يوم الدين اياك نعبد واياك نستعين ثم صار تارة يقبل على الخليفة وتارة على السلطان ويهديهما ويربط جاشهما حتى جاء نصر الله والفتح . وحكي انه قال للسلطان أثبت فانك منصور فقال له بعض الامراء قل ان شاء الله فقال ان شاء الله تحقيقا لا تعليقا فكان كما قال *

﴿ وحكى بعض الحجاب الامراء ﴾ قال قل لى فى الشيخ يوم اللقاء وقد تراآ الجمعان يافلان أوقفنى موقف الموت قال فسقته الى مقابلة العدو . وهم منحدرون كالبدر تلوح أسلحتهم من تحت الغبار وقلت له هذا موقف الموت فدونك وماتريد قال فرفع طرفه الى السماء وأشخص بصره وحرك شفتيه طويلا ثم انبعث واقدم على القتال وقد قيل انه دعا عليهم وان دعاءه استجيب منه فى تلك الساعة قال ثم حال القتال بيننا والالتحام وما عدت رأيته حتى فتح الله ونصر ودخل جيش الاسلام الى دمشق المحروسة والشيخ في أصحابه شاكا في سلاحه عالية كلمته قائمة حجته ظاهرة ولايته مقبولة شفاعته مجابة دعوته ملتمسة بركته مكرما معظما ذا سلطان وكلمة نافذة وهو مع ذلك يقول للمادحين له أنا رجل ملة لا رجل دولة قال بعض أصحابه وقد ذكر هذه الوقعة وكثرة من حضرها من جيوش المسلمين وقد اتفق كلهم وأجمعوا

على تعظيم الشيخ تقى الدين ومحبته وسماع كلامه ونصيحته واتعظوا بمواعظه ولم يبق من يكون بالشام تركى ولا عربى الا واجتمع بالشيخ فى تلك المدة واعتقد خيره وصلاحه ونصحه لله ولرسوله والمؤمنين *

﴿ ثم لم يزل الشيخ رحمه الله تعالى ﴾ قائما ثم قيام على قتال أهل جبل كسروان وكتب الى أطراف الشام فى الحث على قتالهم وانها غزاة فى سبيل الله ثم توجه هو ومن معه لغزوهم بالجبل صحبة ولي الامر نائب المملكة وما زال مع ولى الامر فى حصارهم حتى فتح الله الجبل وأجلى أهله وكان توجه الشيخ الى الكسروانيين أول ذى الحجة سنة أربع وسبعمائة ورد على شيوخ روافضهم فى دعواهم عصمة علىّ وقال ان عليا وعبد الله بن مسعود اختلفا فى مسائل وقعت وفتاوى افتيا بها وعرض ذلك على النبى صلى الله عليه وسلم فصوب فيها قول ابن مسعود . ثم كتب الشيخ للسلطان يخبره بامر الفتح وعن عقائدهم *

﴿ وهى انهم يعتقدون ﴾ كفر الصحابة وكفر من ترضى عنهم أو حرم المتعة أو مسح على الخفين ولا يقرون بصلاة ولا صيام ولا جنة ولا نار ولا يحرمون الدم والميتة ولحم الخنزير يشتملون على اسماعيلية ونصيرية وحاكمية وباطنية وهم كفار اكفر من اليهود والنصارى *

﴿ ثم قال ﴾ وتمام هذا الفتح أمر السلطان بحرمان أهل الفساد من مشايخ الذين يصلونهم ويتقدم الى قراهم باعمال دمشق وصفد وطرابلس وحمص وحماه وحلب بان تقام فيهم شرائع الاسلام الجمعة والجماعة وقراءة القرآن وتكون لهم خطباء ومؤذنون ويقرأ فيهم الاحاديث النبوية وتكثر فيهم المعالم الاسلامية وأطال الكلام فى كتابه وحث السلطان على ذلك . وقال ان غزوهم اقتداء بسيرة على ابن أبى طالب في قتاله للحرورية المارقين الذين تواتر عن النبى صلى الله عليه وسلم الامر بقتالهم ونعت حالهم وقال صلى الله عليه وسلم فيهم . يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم . وقراءته مع قراءتهم يقرؤن القرآن لايجاوز حناجرهم يمرقون من الاسلام كما يمرق السهم من الرمية لئن أدركتهم لاقتلنهم قتل عاد . لو يعلم الذين يقاتلونهم ماذا لهم على لسان محمد . يقتلون أهل الاسلام ويدعون أهل الاوثان يقرؤن القرآن يحسبون انه لهم وهو عليهم . شر قتلى تحت أديم السماء حتى قتل من قتله *

﴿ وكان رضي الله عنه ﴾ قائما فى نصر الدين واظهار الحق بادلة أقطع من السيوف وأجمع من

السجوف . وأجلى من فلق الصباح . وأجلب من فلق الرماح . اذا وثب فى وجه خطب تمزقت على كتفيه الدرع وانتشر السرد . ولقد نافسنا ملوك جند كشخان عليه ووجهت دسائس رسلها اليه . ولما وشوا به الى السلطان الاعظم الملك الناصر لدين الله وأحضره بين يديه قال من جملة كلامه انى اخبرت انك قد اطاعك الناس وان فى نفسك اخذ الملك فلم يكترث به بل قال له بنفس مطمئنة وقلب ثابت وصوت عال سمعه كثير ممن حضر انا افعل ذلك والله ان ملكك وملك المغل لايساوى عندى فلسا فتبسم السلطان لذلك واجابه فى مقابلته بما اوقع الله له فى قلبه من الهيبة العظيمة . انك والله لصادق . وان الذى وشى بك الي لكاذب واستقر له فى قلبه من المحبة الدينية مالولاه لكان قد فتك به منذ دهر طويل من كثرة مايلقى اليه فى حقه من الاقاويل الزور والبهتان ممن ظاهر حاله العدالة . وباطنه مشحون بالفسق والجهالة *

فصل فى تمسك ابن تيمية بالكتاب والسنة

قال الشيخ الامام العالم العامل الاوحد الفاضل الحافظ سراج الدين أبو حفص عمر بن على بن موسي البزار رحمه الله تعالي . كان الشيخ تقى الدين بن تيمية رضي الله تعالى عنه من أعظم أهل عصره قوة ومقاما وثبوتا على الحق وتقريراً لتحقيق توحيد الحق لايصده عن ذلك لومة لائم ولا قول قائل . ولايرجع عنه بحجة محتج . بل كان اذا وضح له الحق يعض عليه بالنواجذ ولا والله مارأيت أحدا أشد تعظيما لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أحرص على أتباعه ونصر ماجاء به منه . حتى كان اذا أورد شيئاً من حديثه فى مسألة ويري انه لم ينسخه شئ غيره من حديث يعمل ويقضى ويفتى بمقتضاه . ولا يلتفت الى قول غيره من المخلوقين كائنا من كان *

قال واذا نظر المنصف اليه بعين العدل يراه واقفا مع الكتاب والسنة لايميله عنها قول أحد كائنا من كان ولا يراقب فى الاخذ بعلومها أحدا ولا يخاف فى ذلك أميرا ولا سلطانا ولا سوطا ولا سيفا . ولا يرجع عنهما لقول أحد وهو متمسك بالعروة الوثقى واليه الطول وعامل بقوله تعالى . فان تنازعتم فى شئ فردوه الى الله والرسول الآية . وبقوله تعالى . وما اختلفتم فيه من شئ فحكمه الى الله وما سمعنا انه اشتهر عن أحد منذ دهر طويل ما اشتهر عنه من كثرة المتابعة للكتاب والسنة والامعان فى تتبع معانيهما والعمل بمقتضاهما . ولهذا لايرى في

مسألة أقوال العلماء الا وقد أفتى بابلغها موافقة للكتاب والسنة وتحرى الاخذ باقومها من جهة المنقول والمعقول . قال وهذا أمر قد اشتهر وظهر فانه رضي الله عنه ليس له مؤلف مصنف ولا نص فى مسألة ولا افتى الا وقد اختار فيه مارجحه الدليل النقلى والعقلى على غيره وتحرى قول الحق المحض وبرهن عليه بالبراهين القاطعة الواضحة الظاهرة . بحيث اذا سمع ذلك ذو الفطرة السليمة ينساح قلبه عليها ويجزم بانها الحق المبين وتراه في جميع مؤلفاته اذا صح الحديث عنده يأخذ به ويعمل بمقتضاه ويقدمه على قول كل قائل من عالم ومجتهد . وقد سبقه الامام الشافعى رحمه الله الى ذلك حيث قال اذا صح الحديث فهو مذهبي *

(ولما من الله عليه) بذلك جعل حجة في عصره لاهله * حتى ان أهل البلاد البعيدة كانوا يرسلون اليه بالاستفتاء عن وقائعهم ويتلون عليه فى كشف ما التبس عليهم حكمه فيشفي عليلهم باجوبته المسددة ويبرهن على الحق من أقوال العلماء المتعددة حتى اذا وقف عليها كل محق ذى بصيرة أذعن بقبولها . وبان له حق مدلولها *

فصل فى محنة ابن تيمية رحمه الله تعالى وتمسكه بطريق السلف

قل من يسلم من أهل الفضل والدين فى هذه الدنيا بلا محنة وابتلاء وخوض فيه حيث لم يداهن الناس ويصانعهم ولذا قل صديقه على حد قوله . (ماترك الحق من صديق لعمر) . وقال سفيان الثوري رحمه الله اذا رأيت الرجل يثني عليه جيرانه فاعلم انه مداهن وما وقع من المحنة للائمة كابي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد والبخاري مشهور كما بينته في كتابنا تنوير بصائر المقلدين فى مناقب الائمة المجتهدين . وأكثروا من الخوض في أبى حنيفة رحمه الله . حتى انه روى فى المنام فقيل له مافعل الله بك فقال غفر لى بكلام الناس فىّ ماليس في . هذا وشيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله امتحن بمحن وخاض فيه أقوام ونسبوه للبدع والتجسيم وهو من ذلك برىء *

فاول محنة كما نقله الثقاة فى شهر ربيع الاول سنة ثمان وتسعين وستمائة بسبب عقيدته الحموية الكبرى وهى جواب سؤال ورد من حماه فوضعها ما بين الظهر والعصر في ست كراريس بقطع نصف البلدى فجرى له بسبب تأليفها أمور وهو رجح مذهب السلف على مذهب المتكلمين وشنع عليهم *

﴿ فمن بعض قوله فى مقدمتها ﴾ ما قاله الله سبحانه ورسوله صلى الله عليه وسلم والسابقون

الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان وما قاله أئمة الهدى بعد هؤلاء الذين أجمع المسلمون على هدايتهم ودرايتهم هو الواجب على جميع الخلق فى هذا الباب وفى غيره . ومن المحال ان يكون خير أمة وأفضل قرونها قصروا فى هذا الباب زائدين فيه أو ناقصين عنه . ثم من المحال أيضا ان تكون القرون الفاضلة القرن الذى بعث فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم كانوا غير عالمين وغير قائلين فى هذا الباب بالحق المبين . لان ضد ذلك اما عدم العلم والقول . واما اعتقاد نقيض الحق. وقول خلاف الصدق . وكلاهما ممتنع . اما الاول فلان من في قلبه ادنى حيوة وطلب للعلم او نهمة فى العبادة يكون البحث عن هذا الباب والسؤال عنه . ومعرفة الحق فيه أكبر مقاصده . وأعظم مطالبه . وليست النفوس الصحيحة الى شيء اشوق منها الى معرفة هذا الامر . وهذا أمر معلوم بالفطرة . فكيف يتصور مع قيام هذا المقتضى الذى هو من اقوى المقتضيات ان يتخلف عنه مقتضاه فى أولئك السادة فى مجموع عصورهم . هذا لا يكاد يقع فى ابلد الخلق وأشدهم أعراضا عن الله وأعظمهم اكبابا على طلب الدنيا والغفلة عن ذكر الله فكيف يقع فى أولئك . واما كونهم كانوا معتقدين غير الحق أو قائليه فهذا لا يعتقده مسلم ولا عاقل عرف حال القوم .

ثم الكلام فى هذا الباب عنهم اكثر من ان يمكن سطره فى هذه الفتوى أو اضعافها يعرف ذلك من طلبه وتتبعه . ولا يجوز أيضاً ان يكون الخالفون اعلم بالله من السالفين كما قد يقوله بعض الاغبياء ممن لم يقدر قدر السلف بل ولا عرف الله ورسوله والمؤمنين به حقيقة المعرفة المأمور بها من ان طريقة السلف أسلم . وطريقة الخلف اعلم . أو أحكم . فان هذا القول اذا تدبره الانسان وجده فى غاية الجهالة . بل فى غاية الضلالة ظنوا ان طريقة السلف هى مجرد الايمان بالفاظ القرآن والحديث من غير فقه لذلك بمنزلة الاميين وان طريقة الخلف هى استخراج معانى النصوص المصروفة عن حقائقها بانواع المجازات وغرائب اللغات

فهذا الظن الفاسد أوجبه اعتقاد انهم كانوا أميين بمنزلة الصالحين من العامة لم يتبحروا فى حقائق العلم بالله ولم يتفطنوا لدقيق العلم الالهى . وان الخلف الفضلاء حازوا قصب السبق فى هذا كله كيف يكون هؤلاء المتأخرون لا سيما والاشارة بالخلف الى ضرب من المتكلمين

الذين كثر في باب الدين اضطرابهم وغلظ عن معرفة الله حجابهم وأخبر الواقف على نهاية اقدامهم بما انتهى اليه من مرامهم حيث يقول الامام فخر الدين الرازي *

لعمري قد طفت المعاهد كلها * وسيرت طرفي بين تلك المعالم
فلم ار الا واضعاً كف حائر * على ذقن أو قارعا سن نادم

وأقروا على أنفسهم بما قالوه متمثلين به أو منشئين له فيما صنفوه من كتبهم مثل قول بعض رؤسائهم *

نهاية اقدام العقول عقال * وأكثر سعي العالمين ضلال
وارواحنا في وحشة من جسومنا * وحاصل دنيانا أذى ووبال
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا * سوى ان جمعنا فيه قيل وقالوا

﴿ ويقول آخر منهم ﴾ لقد تاملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فما رأيتها تشفي عليلا ولا تروي غليلا ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن اقرأ في الاثبات اليه يصعد الكلم الطيب . الرحمن على العرش استوى . وأقرأ في النفي ليس كمثله شيء . ولا يحيطون به علما . ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي *

﴿ ويقول الآخر منهم ﴾ لقد خضت البحر الخضم وتركت أهل الاسلام وعلومهم وخضت في الذي نهوني عنه . والآن ان لم يتداركني ربي برحمته فالويل لفلان . وها أنا أموت على عقيدة أمي *

﴿ ويقول الآخر منهم ﴾ اكثر الناس شكا عند الموت أصحاب الكلام *

﴿ ثم اذا حقق عليهم الامر ﴾ لم يوجد عندهم من حقيقة العلم بالله وخالص المعرفة به خبر ولا وقعوا من ذلك على عين ولا أثر . كيف يكون هؤلاء المنقوصون المحجوبون المفضولون المسبوقون الحيارى المتهوكون . اعلم بالله وآياته من السابقين الاولين من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان من ورثة الانبياء وخلفاء الرسل واعلام الهدى ومصابيح الدجى الذين بهم قام الكتاب وبه قاموا وبهم نطق الكتاب وبه نطقوا الذين وهبهم الله من العلم والحكمة ما برزوا به على سائر اتباع الانبياء واحاطوا من حقائق المعارف وبواطن الحقائق بما لو جمعت حكمة غيرهم اليها لاستحى من يطلب المقابلة ثم كيف يكون خير قرون الامة انقص

في العلم والحكمة لا سيما العلم بالله وأحكام أسمائه وآياته من هؤلاء الاصاغر بالنسبة اليهم أم كيف يكون فراخ المتفلسفة واتباع الهند واليونان وورثة المجوس والمشركين وضلال اليهود والنصاري والصابئين واشكالهم واشباههم اعلم بالله من ورثة الانبياء وأهل القرآن والايمان

وانما قدمت هذه المقدمة لان من استقرت عنده علم طريق الهدى اين هو فى هذا الباب وغيره واطال رحمه الله الكلام ثم قال

ان كان الحق فيما يقول هؤلاء السالبون النافون للصفات الثابتة بالكتاب والسنة دون ما يفهم من الكتاب والسنة اما نصا واما ظاهراً . فكيف يجوز على الله تعالى ثم على رسوله ثم على خير الامة انهم يتكلمون دائما بما هو نص أو ظاهر فى خلاف الحق ثم الحق الذى يجب اعتقاده لا يبوحون به قط ولا يدلون عليه لا نصا ولا ظاهراً حتى يجئ ابناء الفرس والروم وفروخ الهنود والفلاسفة يبينون للامة العقيدة الصحيحة فان كان ما يقوله هؤلاء المتكلمون المتكلفون هو الاعتقاد الواجب . وهم مع ذلك أحيلوا فى معرفته على مجرد عقولهم . وان يدفعوا بمقتضى قياس عقولهم ما دل عليه الكتاب والسنة ظاهراً لقد كان ترك الناس بلا كتاب ولا سنة . أهدى لهم وأنفع على هذ التقدير بل كان وجود الكتاب والسنة ضررا محضا فى أصل الدين فان حقيقة الامر على ما يقوله هؤلاء انكم يا معشر العباد لا تطلبوا معرفة الله ولا ما يستحقه من الصفات نفيا واثباتا لا من الكتاب ولا من السنة ولا من طريق سلف الامة ولكن انظروا أنتم فما وجدتموه مستحقا له من الصفات فى عقولكم فصفوه به سواء كان موجودا في الكتاب والسنة أولم يكن وما لم تجدوه مستحقا له فى عقولكم فلا تصفوه به وقد صرح طائفة منهم بما مضمونه ان كتاب الله لا يهتدى به فى معرفة الله وان الرسول معزول عن التعليم والاخبار بصفات من أرسله . وأطال الكلام . ثم قال *

يا سبحان الله كيف لم يقل الرسول يوما من الدهر ولا أحد من سلف الامة هذه الآيات والاحاديث لا تعتقدوا ما دلت عليه . ولكن اعتقدوا الذي تقتضيه مقاييسكم ثم الرسول أخبر ان أمته ستفترق ثلاثا وسبعين فرقة فقد علم ما سيكون . ثم قال انى تارك فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا كتاب الله . وقال فى صفة الفرقة الناجية هى من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابى . فهلا قال من تمسك بظاهر القرآن فى باب الاعتقاد فهو ضال . وانما الهدى

رجوعكم الى مقاييس عقولكم وما يحدثه المتكلمون منكم بعد القرون الثلاثة وان كان قد نبغ أصل هذه المقالة فى أواخر عصر التابعين ثم أصل مقالة التعطيل للصفات انما هو مأخوذ عن تلامذة اليهود والنصارى فان أول من قالها في الاسلام الجعد بن درهم وأخذها عنه جهم بن صفوان والجعد أخذ مقالته عن أبان بن سمعان وأبان عن طالوت وطالوت عن خال لبيد بن الاعصم اليهودى الساحر الذى سحر النبي صلى الله عليه وسلم . قال ثم القول الشامل فى جميع هذا الباب ان يوصف الله بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله وبما وصفه به السابقون الاولون لا نتجاوز به القرآن والحديث . ومذهب السلف انهم يصفون الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل . ثم ذكر الشيخ رحمه الله تعالى جملا نافعة وأصولا جامعة في اثبات الصفات والرد على الجهمية وذكر من النقول عن سلف الامة ما يطول ذكره *

﴿ ثم قال فى آخر كلامه ﴾ وجماع الامر ان الاقسام الممكنة فى آيات الصفات وأحاديثها ستة أقسام كل قسم عليه طائفة من أهل القبلة قسمان يقولون تجرى على ظواهرها وقسمان يقولون هى على خلاف ظاهرها . وقسمان يسكتون *

﴿ اما الاولون ﴾ فقسمان (أحدهما) من يجريها على ظاهرها ويجعل ظاهرها من جنس صفات المخلوقين فهؤلاء المشبهة ومذهبهم باطل أنكره السلف واليه توجه الرد بالحق *

﴿ والثانى ﴾ من يجريها على ظاهرها اللائق بجلال الله تعالى كما يجرى اسم العليم والقدير والرب والاله والموجود والذات ونحو ذلك على ظاهرها اللائق بجلال الله فان ظواهر هذه الصفات فى حق المخلوق اما جوهر واما عرض . فالعلم والقدرة والكلام والمشيئة والرحمة والرضى والغضب ونحو ذلك فى حق العبد اعراض والوجه واليد والعين في حقه اجسام *

﴿ فاذا كان الله ﴾ موصوفا عند عامة أهل الاثبات بان له علما وقدرة وكلاما ومشيئة وان لم يكن ذلك عرضا يجوز عليها ما يجوز على صفات المخلوقين. وهذا هو المذهب الذى حكاه الخطابى وغيره عن السلف وعليه يدل كلام جمهورهم وكلام الباقين لا يخالفه وهو أمر واضح فان الصفات كالذات . فكما ان ذات الله ثابتة حقيقة من غير ان تكون من جنس ذوات المخلوقين فكذلك صفاته ثابتة من غير ان تكون من جنس صفات المخلوقين . ومن المعلوم ان صفات كل موصوف

تناسب ذاته وتلائم حقيقته فمن لم يفهم من صفات الرب الذى ليس كمثله شئ الا مايناسب المخلوق فقد ضل فى عقله ودينه . وما أحسن ما قال بعضهم اذا قال لك الجهمي كيف استوى او كيف ينزل الى السماء الدنيا او كيف يداه ونحو ذلك فقل له كيف هو فى نفسه فاذا قال لك لايعلم ما هو الا هو وكنه البارى غير معلوم للبشر . فقل له والعلم بكيفية الصفة يستلزم العلم بكيفية الموصوف فكيف يمكن أن نعلم كيفية صفة لموصوف لم نعلم كيفيته وانما تعلم الذات والصفات من حيث الجملة على الوجه الذى ينبغي لك . بل هذه المخلوقات فى الجنة قد ثبت عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنه قال ليس فى الدنيا مما فى الجنة الا الاسماء . وقد أخبر الله تعالى أنه لا تعلم نفس ما اخفى لهم من قرة أعين . وأخبر النبى صلى الله عليه وسلم ان فى الجنة مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر . فاذا كان نعيم الجنة وهو خلق من خلق الله كذلك فما الظن بالخالق سبحانه . وهذه الروح قد علم العاقل اضطراب الناس فيها وامساك النصوص عن بيان كيفيتها . افلا يعتبر العاقل عن الكلام فى كيفية الله تعالى مع انا نقطع بان الروح فى البدن وانها تخرج منه وتعرج الى السماء وانها تسيل منه وقت النزع كما نطقت بذلك النصوص الصحيحة . لا نغالى فى تجريدها غلو المتفلسفة ومن وافقهم حيث نفوا عنها الصعود والنزول والاتصال بالبدن والانفصال عنه . وتخبطوا فيها حيث رأوها من غير جنس البدن وصفاته . فعدم مماثلتها للبدن لاينفى أن تكون هذه الصفات ثابتة لها بحسبها الا ان يفسروا كلامهم بما يوافق النصوص فيكونون قد أخطؤا فى اللفظ . وانى لهم بذلك

﴿ واما القسمان اللذان ينفيان ظاهرها ﴾ ويقولون هى على خلاف ظاهرها قسم يتأولونها ويعنون المراد مثل قولهم . استوى بمعنى استولى او بمعنى علوا المكانة والقدرة او بمعنى ظهور نوره للعرش او بمعنى انتهاء الخلق اليه الي غير ذلك من معانى المتكلمين ﴿ وقسم يقولون ﴾ الله أعلم ما أراد بها لكنا نعلم انه لم يرد اثبات صفة خارجة عما علمناه *

﴿ واما القسمان الواقفان ﴾ فقسم يقولون يجوز أن يكون المراد بظاهرها اللائق بالله تعالى ويجوز أن يكون صفة لله وهذه طريقة كثير من الفقها وغيرهم *

﴿ وقسم ﴾ يمسكون عن هذا كله ولا يزيدون على تلاوة القرآن وقراءة الحديث معرضين بقلوبهم والسنتهم عن هذه التقريرات *

﴿ فهذه الاقسام ﴾ الستة لا يمكن أن يخرج الرجل عن قسم منها . والصواب في كثير من آيات الصفات وأحاديثها القطع بالطريقة الثانية *

﴿ ثم قال ﴾ فاما المتوسط من المتكلمين فيخاف عليه ما لا يخاف على من لم يدخل فيه وعلى من قد انهاه نهايته فان من لم يدخل فيه هو في عافية . ومن انهاه فقد عرف الغاية فما بقي يخاف من شيء آخر فاذا ظهر له الحق وهو عطشان اليه قبله واما المتوسط فتوهم بما تلقاه من المقالات المأخوذة تقليدا وقد قال الناس اكثر مايفسد الدنيا نصف متكلم ونصف متفقه ونصف متطبب ونصف نحوى هذا يفسد الاديان . وهذا يفسد البلدان . وهذا يفسد الابدان . وهذا يفسد اللسان ومن علم ان المتكلمين من المتفلسفة وغيرهم في الغالب في قول مؤتفك يؤفك عنه من افك . يعلم الذكي منهم العاقل انه ليس هو فيما يقوله على بصيرة وان حجته ليست بينة وانما هي كما قيل فيها *

حجج تهافت كالزجاج تخالها * حقا وكل كاسر مكسور

ويعلم العالم البصير انهم من وجه يستحقون ما قال الشافعي رضى الله عنه حيث قال حكمي في أهل الكلام ان يضربو بالجريد والنعال ويطاف بهم في القبائل والعشائر ويقال هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة واقبل على الكلام . ومن وجه آخر اذا نظرت اليهم بعين القدر والحيرة مستولية عليهم والشيطان مستحوذ عليهم رحمتهم ورقفت عليهم . أوتوا ذكاء . وما اوتوا زكاء واعطوا فهوما . وما اعطوا علوما . واعطوا سمعا وابصارا وافئدة فما اغنى عنهم سمعهم ولا ابصارهم ولا افئدتهم من شيء اذ كانوا يجحدون بآيات الله وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن . ومن كان عليما بهذه الامور تبين له بذلك حذق السلف وعلمهم وخبرتهم حيث حذروا عن الكلام ونهوا عنه وذموا أهله وعابوهم . وعلم ان من ابتغى الهدى في غير الكتاب والسنة لم يزدد الا بعدا . (فنسأل الله) العظيم ان يهدينا صراطه المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين آمين *

﴿ هذا آخر الحموية الكبرى ﴾ الفها الشيخ رحمه الله وعمره دون الاربعين سنة ثم انفتح له بعد ذلك من الرد على الفلاسفة والجهمية وسائر أهل الاهواء والبدع مالا يوصف ولا يعبر عنه . وجرى له من المناظرات العجيبة . والمباحثات الدقيقة مع اقرانه وغيرهم في سائر انواع

العلوم ما تضيق عنه العبارة ولا يعرف أنه ناظر أحدا فانقطع معه *

﴿ قال الحافظ الذهبي في اثناء كلامه ﴾ في ترجمة الشيخ ابن تيمية ولما صنف المسألة الحموية في الصفات سنة ثمان وتسعين وستمائة تحزبوا له وآل بهم الامر الى أن طافو بها على قصبة من جهة القاضي الحنفي ونودى عليه بان لا يستفتى . ثم قام بنصرته طائفة آخرون وسلمه الله تعالى فلما كان سنة خمس وسبعمائة جاء الامر من مصر بان يسأل عن معتقده فجمع له القضاة والعلماء بمجلس نائب دمشق الافرم . ثم وقع الاتفاق على أن هذا معتقد سلفى جيد انتهى *

﴿ وقال الشيخ علم الدين ﴾ وفى شهر ربيع الاول من سنة ثمان وتسعين وستمائة وقع بدمشق محنة للشيخ الامام تقى الدين ابن تيمية وكان الشروع فيها من اول الشهر واستمرت الى آخر الشهر *

﴿ وملخصها ﴾ انه كتب جوابا سئل من (حماه) فى الصفات فذكر فيه مذهب السلف ورجحه على مذهب المتكلمين . وكان قبل ذلك بقليل أنكر أمر المنجمين واجتمع به سيف الدين جاغان فى حال نيابته بدمشق وقيامه . مقام نائب السلطنة وامتثل أمره وقبل قوله . والتمس منه كثرة الاجماع به . فحصل بسبب ذلك ضيق لجماعته مع ما كان عندهم قبل ذلك من كراهية الشيخ وما ألمهم بظهوره وذكره الحسن فانضاف شيء الى أشياء . ولم يجدوا مساغا الى الكلام فيه لزهده . وعدم اقباله على الدنيا . وترك المزاحمة على المناصب وكثرة علمه وجودة أجوبته وفتاويه . وما يظهر فيها من غزارة العلم . وجودة . الفهم . فعمدوا الى الكلام فى العقيدة لكونهم يرجحون مذهب المتكلمين فى الصفات والقرآن على مذهب السلف . ويعتقدونه الصواب . فأخذوا الجواب الذى كتبه . ثم سعوا السعى الشديد الى القضاة والفقهاء واحدا واحدا . وأوغروا خواطرهم وحرفوا الكلام وكذبوا الكذب الفاحش . وجعلوه يقول بالتجسيم وحاشاه من ذلك ووافقهم على ذلك جلال الدين الحنفى قاضى الحنفية يومئذ ومشى معهم الى دار الحديث الاشرفية . وطلب حضوره وأرسل اليه فلم يحضر . وأرسل اليه في الجواب ان العقائد ليس أمرها اليك وان السلطان انما ولاك لتحكم بين الناس . وان انكار المنكرات ليس مما يختص به القاضي . فوصلت اليه هذه الرسالة فأوغروا خاطره . وشوشوا قلبه . وقالوا لم يحضر ورد عليك . فأمر بالنداء على بطلان عقيدته فى البلدة فنودى فى بعض

البلد . ثم بادر سيف الدين جاغان ، وأرسل طائفة فضرب المنادي وجماعة ممن حوله . وأخرق بهم فرجعوا مضروبين في غاية الاهانة . ثم طلب سيف الدين من قام فى ذلك ، وسعى فيه ، فدارت الرسل والاعوان عليهم فى البلد . فاختفوا *

ثم اجتمع الشيخ ابن تيمية بالقاضي امام الدين الشافعي وواعده لقراءة العقيدة الحموية فاجتمعوا يوم السبت رابع عشر الشهر من بكرة النهار الى نحو الثلث من ليلة الاحد ، ميعادا طويلا ، وقرأت فيه جميع العقيدة وبين مراده من مواضع أشكلت ولم يحصل انكار عليه من الحاكم ولا ممن حضر المجلس بحيث انفصلوا والقاضى يقول كل من تكلم فى الشيخ فأنا خصمه *

وقال أخوه جلال الدين بعد هذا الميعاد كل من تكلم فى الشيخ نعزره . وخرج الناس ينتظرون مايسمعون من طيب أخباره فوصل الى داره فى ملأ كثير من الناس وعندهم استبشار وسرور به ، وكان سعيهم في حقه أتم السعي . وتكلموا في حقه بانواع الاذى وبامور يستحي الانسان من الله تعالى ان يحكيها فضلا عن ان يختلقها ويلفقها ، فلاحول ولا قوة الا بالله . ورأي جماعة من الصالحين فى هذه الواقعة وعقيبها مرائى حسنة جليلة لو ضبطت لكانت مجلدا تاما انتهى *

﴿ ثم سكنت هذه الفتنة ﴾ ثم بعد ذلك بمدة طويلة ظهر الشيخ نصر المنبجي بمصر واستولى على أرباب الدولة القاهرة وشاع أمره وانتشر فقيل لابن تيمية انه اتحادى وانه ينصر ابن العربي وابن سبعين فكتب اليه[1] نحو ثلاثمائة سطر ينكر عليه ، فتكلم نصر المنبجى مع قضاة مصر فى أمره . وقال هذا مبتدع وأخاف على الناس من شره . وقام معه في ذلك القاضى ابن مخلوف المالكى واستعانوا بركن الدين الجاشنكير . فحسن القضاة للامراء طلبه الى القاهرة وان يعقد له مجلس بدمشق فلم يرض نصر المنبجي وقال ابن مخلوف قل للامراء ان هذا يخشى على الدولة منه كما جرى لابن تومرت فى بلاد المغرب *

﴿ فورد مكتوب السلطان ﴾ الى دمشق بسؤال الشيخ عن عقيدته فلما كان ثمانى رجب من سنة خمس وسبعمائة طلب القضاة والفقهاء . وطلب الشيخ تقى الدين الى القصر الى مجلس نائب السلطنة الافرم ، فلما اجتمعوا عنده سأل الشيخ تقى الدين وحده عن عقيدته وقال هذا المجلس

(١) هذا المكتوب مذكور فى كتاب جلاء العينين فى صحيفة ٥٤ فليراجع اه منه

عقد لك وقد ورد مرسوم السلطان ان أسألك عن اعتقادك فأحضر الشيخ عقيدته . الواسطية وقال هذه كتبتها من نحو سبع سنين قبل مجيء الفتال[1] الي الشام فقرئت في المجلس وبحث فيها وبقيت مواضع أخرت الى مجلس آخر *

ثم اجتمعوا يوم الجمعة بعد الصلاة ثاني عشر رجب المذكور . وحضر المخالفون ومعهم الشيخ صفى الدين الهندي واتفقوا على ان يتولى المناظرة مع الشيخ تقي الدين فتكلم معه ثم انه رجعوا عنه واتفقوا على الشيخ كمال الدين بن الزملكاني فناظر الشيخ وبحث معه وطال الكلام وخرجوا من هناك والامر قد انفصل وقد أظهر الله من قيام الحجة ما أعز به الشيخ ابن تيمية واختلفت نقول المخالفين للمجلس وحرفوه ووضعوا مقالة الشيخ على غير موضعها وشنع ابن الوكيل وأصحابه بان الشيخ قد رجع عن عقيدته فالله المستعان (ثم بعد ذلك) عزر بعض القضاة بدمشق شخصا يلوذ بالشيخ وطلب جماعة . ثم أطلقوا . ووقع هرج في البلد . وكان الامير نائب السلطنة قد خرج للصيد وغاب نحو جمعة ثم رجع فحضر عنده الشيخ وذكر له ماوقع في غيبته في حق بعض أصحابه من الاذى فرسم بحبس جماعة من أصحاب ابن الوكيل وأمر فنودي في البلد انه من تكلم في العقائد حل ماله ودمه ونهبت داره وحانوته . وقصد بذلك تسكين الفتنة *

وفي يوم الثلاثاء سابع شعبان عقد للشيخ مجلس ثالث بالقصر ورضي الجماعة بالعقيدة . وفي هذا اليوم عزل قاضي القضاة نجم الدين بن صصري نفسه عن الحكم بسبب كلام سمعه من الشيخ كمال الدين بن الزملكاني *

وفي اليوم السادس والعشرين من شعبان ورد كتاب السلطان الى القاضي باعادته الى الحكم وفيه انا كنا سمعنا بعقد مجلس للشيخ تقي الدين وقد بلغنا ما عقد له من المجالس وانه على مذهب السلف وما قصدت بذلك الا براءة ساحته *

﴿ثم ان الشيخ مرعي مؤلف هذا الكتاب﴾ اعني كتاب مناقب الشيخ ابن تيمية ذكر بعض الفاظ ما وقع في المناظرة ناقلا لها عما حكاه الشيخ عن نفسه. وقد اخل بنقله واختصاره . والعبد الفقير مؤلف كتاب الرد على الزائغ النبهاني قد ذكرت سابقا ما كان في المجالس التي انعقدت لمناظرة الشيخ بنص عبارته وعين كلامه فاغنانا ذلك عما ذكره الشيخ مرعي في هذا الباب *

(١) كذا بالاصل

﴿ثم قال الشيخ مرعي فصل فى توجه الشيخ الى مصر ومحنته بها﴾

وسبب محنته وابتلائه قيامه فى الله والرد على أهل البدع والعقائد الفاسدة فقد حث على غزو الكسروانيين الروافض وغيرهم من الدروز والنصيرية وغزاهم بمن معه من المسلمين وفتح بلادهم وكاتب السلطان فيهم بحسم مادة شيوخهم الذين يضلونهم والامر باقامة شعائر الاسلام وقرآة الاحاديث ونشر السنة ببلادهم كما مر ذكره وكان استيصالهم فى المحرم سنة خمس وسبعمائة

ولما كان تاسع جمادي الاولى من سنة خمس بالغ الشيخ في الرد على الفقراء الاحمدية والرفاعية بسبب خروجهم عن الشريعة بعد ان حضروا نائب السلطنة وشكوا من الشيخ وطلبوا أن يسلم لهم حالهم وان لا يعارضهم ولا ينكر عليهم وطلبوا حضور الشيخ فلما حضر وقع بينهم كلام كثير فقال الشيخ فى كلام طويل انهم وان كانوا منتسبين الى الاسلام وطريقة الفقر والسلوك ويوجد فى بعضهم من التعبد والتأله والوجد والمحبة والزهد والفقر والتواضع ولين الجانب والملاطفة فى المخاطبة والمعاشرة فيوجد أيضا فى بعضهم من الشرك وغيره من أنواع الكفر والبدع في الاسلام والاعراض عن كثير مما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم والكذب والتلبيس واظهار المخارق الكاذبة مثل ملابسة النار والحيات واظهار الدم واللاذن والزعفران وماء الورد والعسل وغير ذلك وان عامة ذلك عن حيل معروفة وأسباب مصنوعة كطلي اجسامهم لدخول النار بدهن الضفادع وباطن قشر النارنج وحجر الطلق وغير ذلك من الحيل وقال لهم بحضرة نائب السلطنة ادخل انا وهم النار ومن احترق فعليه لعنة الله ولكن بعد أن نغسل جسومنا بالخل والماء الحار بالحمام . فلما زيفهم الشيخ واظهر تلبيسهم قال حتى لو دخلتم النار وخرجتم منها سالمين وطرتم في الهواء ومشيتم على الماء . لا عبرة بذلك مع مخالفة الشرع . فان الدجال الاكبر يقول للسماء امطرى فتمطر . وللارض انبتى فتنبت . وللخربة اخرجى كنوزك فتخرج . ومع هذا فهو دجال كذاب ملعون . وليس لاحد الخروج عن الشريعة ولا عن كتاب الله وسنة رسوله *

وذكر لهم قول أبي يزيد البسطامي لو رأيتم الرجل يطير فى الهواء فلا تغتروا به واطال الكلام فى ذلك بحيث انفصل الامر من عند نائب السلطنة ان كل من خرج منهم عن الكتاب والسنة ضربت عنقه *

ثم ظهر الشيخ المنبجي بمصر وشاع أمره فقيل للشيخ ابن تيمية انه اتحادي فكتب اليه الشيخ نحو ثلاثمائة سطر بالانكار عليه فاعتز الشيخ نصر قضاة مصر وعلماءها على ابن تيمية وقال انه سيئ العقيدة مبتدع معارض للفقراء وغيرهم وطعنوا فيه عند السلطان فورد مرسوم السلطان لدمشق بسؤال الشيخ عن عقيدته فعقد المجلس للمناظرة ثامن رجب سنة خمس وسبعمائة بحضرة العلماء والقضاة كامر . ولا يبعد أن يكون الروافض وغيرهم قد برطلوا عليه ثم لم يقنع ذلك الشيخ نصر المنبجي بل اجتمع مع طائفة من علماء مصر للجاشنكير الذى تسلطن بمصر فاوهمه الشيخ نصر ان ابن تيمية يخرجهم من الملك ويقيم غيرهم وانه مبتدع فورد مرسوم السلطان الى دمشق باحضار ابن تيمية الى مصر خامس شهر رمضان سنة خمس وسبعمائة .

فلما طلب الى الديار المصرية مانع نائب الشام وقال عقد له مجلسان بحضرتي وحضرة القضاة والفقهاء . وما ظهر عليه سوء . فقال الرسول لنائب دمشق انا ناصح لك . وقد قيل أنه يجمع الناس عليك وعقد لهم بيعة فجزع من ذلك وارسله الى القاهرة على البريد *

﴿ ذكر خروجه لمصر ﴾

قالوا ولما توجه الشيخ من دمشق المحروسة لمصر فى يوم الاثنين ثانى عشر رمضان سنة خمس وسبعمائة وكان يوما مشهودا غريب المثل فى كثرة ازدحام الناس لوداعه ورؤيته حتى انتشروا من باب داره الى قريب الجبوده فيما بين دمشق والكسوة التي هى أول منزل . وهم ما بين باك وحزين ومتعجب ومتنزه ومزاحم متغال فيه ودخل الشيخ مدينة مصر غرة يوم السبت وعمل في جامعها مجلساً عظيما *

وفى يوم الخميس الثانى والعشرين من رمضان وصل الشيخ والقاضى الى القاهرة وفي ثانى يوم بعد صلاة الجمعة جمع القضاة وأكابر الدولة بالقلعة لمحفل الشيخ وأراد الشيخ ان يتكلم فلم يمكن من البحث والكلام على عادته . وانتدب له الشمس بن عدلان خصما احتسابا وادعى عليه عند القاضى بن مخلوف المالكى انه يقول ان الله فوق العرش حقيقة وان الله يتكلم بحرف وصوت زاد الحافظ الذهبي وان الله يشار اليه الاشارة الحسية . وقال اطلب عقوبته على ذلك. فقال القاضى ماتقول يافقيه فاخذ الشيخ فى حمد الله والثناء عليه فقال له القاضى أجب ماجئنا بك لتخطب فقال ومن الحاكم فى قيل له القاضى المالكي قال كيف يحكم فى وهو خصمى وغضب غضبا شديدا

وانزعج فاقيم من ساعته وحبس فى برج اياما ثم نقل منه ليلة عيد الفطر الى الحبس المعروف بالجب هو واخواه شرف الدين عبدالله وزين الدين عبد الرحيم . ثم ان نائب السلطنة سيف الدين سالار بعد اكثر من سنة وذلك ليلة عيد الفطر من سنة ست وسبعمائة أحضر القضاة الثلاثة الشافعى والمالكى والحنفى . ومن الفقهاء الباجى والجزرى والنمراوى وتكلم فى اخراج الشيخ من الحبس فاتفقوا على انه يشترط عليه أمور ويلزم بالرجوع عن بعض العقيدة فارسلوا اليه من يحضره ليتكلموا معه فى ذلك فلم يجب الى الحضور وتكرر الرسول اليه في ذلك ست مرات وصمم على عدم الحضور فطال عليهم المجلس وانصرفوا من غير شئ

وفى شهر ذى الحجة سنة ست وسبعمائة طلب أخوة الشيخ تقي الدين شرف الدين وزين الدين من الحبس الى مجلس نائب السلطنة سلار وحضر القاضى زين الدين ابن مخلوف المالكى وجرى بينهم كلام كثير وأعيدا الى مواضعهما بعد ان بحث الشيخ شرف الدين مع القاضي المالكي وظهر عليه فى النقل وخطأه في مواضع وفى ثاني يوم احضر الشيخ شرف الدين وحده الى مجلس نائب السلطنة وحضر ابن عدلان وتكلم معه الشيخ شرف الدين وناظره وبحث معه وظهر عليه *

وفى صفر سنة سبع وسبعمائة اجتمع القاضى بدر لدين ابن جماعة بالشيخ تقي الدين فى دار الاحدى بالقلعة بكرة الجمعة وتفرقا قبل الصلاة وطال بينهما الكلام . وفي ربيع الاول من سنة سبع دخل الامير حسام الدين مهنى بن عيسى ملك العرب الى مصر وحضر بنفسه الى الجب فاخرج الشيخ تقى الدين يوم الجمعة الى دار نائب السلطنة بالقلعة وحضر بعض الفقهاء وحصل بينهم بحث كثير وفرقت بينهم صلاة الجمعة . ثم اجتمعوا الى المغرب ولم ينفصل الامر . ثم اجتمعوا يوم الاحد بمرسوم السلطان وحضر جماعة من الفقهاء كثيرة كنجم الدين بن الرفعة وعلاء الدين الباجى . وفخر الدين ابن بنت أبي سعد . وعز الدين النمراوى . وشمس الدين بن عدلان ولم يحضر القضاة وطلبوا واعتذر بعضهم بالمرض وبعضهم بغيره وانفصل المجلس على خير وبات الشيخ عند نائب السلطنة وكتب كتابا الى دمشق بكرة الاثنين يتضمن خروجه وانه أقام بدار سفير بالقاهرة وان الامير سيف الدين سلار رسم بتأخيره عن الامير مهنى أياما ليرى الناس فضله ويحصل لهم الاجتماع به وكان مدة مقام الشيخ فى الجب ثمانية عشر شهرا

وفرح خلق كثير بخروجه وسروا سروراً عظيما وحزن آخرون وامتدحه الشيخ الامام نجم الدين سليمان بن عبد القوى بقصيدة منها *

فاصبر ففي الغيب مايغنيك عن حيل * وكل صعب اذا صابرته هانا
ولست تعدم من خطب رميت به * احدى اثنتين فايقن ذاك ايقانا
تمحيص ذنب لتلقى الله خالصة * أو امتحانا به تزداد قربانا
ياسعد انا لترجوا ان تكون لنا * سعدا ومرعاك للزوار سعدانا
وان يضر بك الرحمن طائفة * ولت وينفع من بالود والانا
يا أهل تيمية العالين مرتبة * ومنصبا فرع الافلاك تبيانا
جواهر الكون انتم غير انكم * فى معشر شربوا فى العقل نقصانا
لا يعرفون لكم فضلا ولو عقلوا * لصيروا لكم الاجفان أوطانا
يامن حوى من علوم الخلق بماقصرت * عنه الاوائل مذ كانوا الى الآنا
ان تبتلى بلئام الناس يرفعهم * عليك دهر لاهل الفضل قد خانا
انى لاقسم والاسلام معتقدي * وانى من ذوى الايمان ايمانا
لم الق قبلك انسانا أسر به * فلا برحت لعين المجد انسانا

فى أبيات كثيرة غير هذه يمدح فيها الشيخ ويذم أعدائه

وفى يوم الجمعة صلى الشيخ فى جامع الحاكم . وجلس فاجتمع عليه خلق عظيم فسئل منه الوعظ . فاستعاذ وقرأ الفاتحة وتكلم فى تفسير اياك نعبد واياك نستعين وفى معنى العبادة والاستعانة الى العصر

ثم لم يزل الشيخ رحمه الله بمصر يعلم الناس ويفتيهم ويذكر بالله ويدعو اليه ويتكلم فى الجوامع على المنابر بتفسير القرآن وغيره من بعد صلاة الجمعة الى العصر الى ان ضاق منه خلق كثير . وقال الحافظ الذهبي أقام بمصر يقرى العلم . واجتمع خلق عنده الى ان تكلم . في الاتحادية القائلين بوحدة الوجود وهم ابن سبعين وابن عربي والقونوى واشباههم فتحزب عليه صوفية وفقراء وسعوا فيه . واجتمع خلائق من أهل الخوانق و لربط والزوايا واتفقوا على ان يشكوا الشيخ للسطان فطلع منهم خلق الى القلعة وخلق تحت الملقة وكانت لهم ضجة شديدة حتى

قال السلطان ما لهؤلاء فقيل له جاؤا من أجل الشيخ ابن تيميه يشكون منه ويقولون انه يسب مشائخهم ويضع من قدرهم عند الناس واستغاثوا منه واجلبوا عليه ودخلوا على الامراء في أمره ولم يبقوا ممكنا وأمر ان يعقد له مجلس بدار العدل فعقد له يوم الثلاثا في عشر شوال الاول سنة سبع وسبعمائة وظهر فى ذلك المجلس من علم الشيخ وشجاعته وقوة قلبه وصدق توكله وبيان حجته ما يتجاوز الوصف وكان وقتا مشهودا *

وذكر الشيخ علم الدين البرزالى وغيره انه فى شوال من سنة سبع وسبعمائة شكا شيخ الصوفية بالقاهرة كريم الدين الآملى وابن عطاء وجماعة نحو الخمسمائة من الشيخ تقي الدين وكلامه في ابن عربي وغيره الى الدولة فخيروه بين الاقامة بدمشق أو لاسكندرية بشروط أو الحبس فاختار الحبس فدخل عليه جماعة فى السفر الى دمشق ملتزما ما شرط فاجابهم فاركبوه خيل البريد ليلة ثامن عشر شوال . ثم أرسل خلفه من الغد بريد آخر فركب على مرحلة من مصر ورأوا مصلحتهم في اعتقاله . وحضر عند قاضى القضاة بحضور جماعة من الفقهاء . فقال بعضهم له ما ترضى الدولة الا بالحبس . فقال قاضى القضاة وفيه مصلحة له واستناب شمس الدين التونسى المالكى وأذن له ان يحكم عليه بالحبس ويمتنع . وقال ما ثبت عليه شئ فاذن لنور الدين الزواوى المالكى فتحير . فقال الشيخ أنا أمضى الى الحبس واتبع ما تقتضيه المصلحة . فقال نور الدين فيكون فى موضع يصلح لمثله فقيل له ما ترضى الدولة الا المسمى الحبس فارسل الى حبس القضاة بحارة الديلم وأجلس فى الموضع الذى جلس فيه القاضى تقى الدين ابن بنت الاعز لما حبس وأذن فى ان يكون عنده من يخدمه وكان جميع ذلك باشارة الشيخ نصر المنبجي ووجاهته فى الدولة *

* ولما دخل الحبس * وجد المحابيس مشغولين بانواع من اللعب يلتهون بها عماهم فيه كالشطرنج والنرد مع تضييع الصلوات فأنكر الشيخ ذلك عليهم وأمرهم بملازمة الصلاة والتوجه الى الله تعالي بالاعمال الصالحة والتسبيح والاستغفار والدعاء وعلمهم من السنة ما يحتاجون اليه ورغبهم في أعمال الخير وحضهم على ذلك حتى صار الحبس بالاشتغال بالعلم والدين خيرا من كثير من الزوايا والربط والخوانق والمدارس وصار خلق من المحابيس اذا أطلقوا يختارون الاقامة عنده . وكثر المترددون اليه حتى كان السجن يمتلى منهم . واستمر الشيخ فى الحبس يستفتي ويقصده الناس

ويزورونه وتأتيه الفتاوى المشكلة من الامراء وأعيان الناس . فلما كثر اجتماع الناس به وترددهم اليه ساء ذلك اعداءه وحصرت صدورهم فسألوا نقله الى الاسكندرية فنقل اليها مع أمير مقدم على البريد ولم يمكن أحد من جماعته من السفر معه وحبس ببرج منها وشيع بانه قتل وانه غرق غير مرة ووصل الخبر الى دمشق بعد عشرة أيام فحصل التألم . وضاقت الصدور . وتضاعف الدعاء واستمر الشيخ بثغر الاسكندرية ثمانية أشهر مقيما ببرج مليح مطبق له شبا كان أحدهما الى جهة البحر يدخل اليه من شاء ويتردد الاكابر والاعيان والفقهاء يقرؤن عليه ويبحثون معه ويستفيدون منه وأرسل صاحب سبتة الى الشيخ يطلب منه الاجازة *

فلما دخل السلطان الملك الناصر الى مصر بعد خروجه من الكرك وقدومه الى دمشق وتوجه منها الى مصر سنة تسع وسبعمائة بادر لاحضار الشيخ من الاسكندرية فى اليوم الثامن من شوال فخرج الشيخ منها متوجها الى مصر ومعه خلق من أهلها . يودعونه ويسألون الله ان يرده اليهم . وكان وقتا مشهودا . ووصل الى القاهرة ثامن عشر الشهر . واجتمع بالسلطان فى يوم الجمعة الرابع والعشرين منه وأكرمه وتلقاه فى مجلس حفل حضر فيه قضاة مصر والشام والفقهاء وأصلح بينه وبينهم *

﴿ قال الحافظ ابن عبد الهادي ابن قدامة ﴾ أخبرنى بعض أصحابنا قال أخبرنى القاضى جمال الدين ابن القلانسى قاضى العساكر المنصورة ذات ليلة وقد أشاع الجهلة والمبغضون باخبار مختلفة . فقلت له ان الناس يقولون كيت وكيت وان الشيخ ربما يخرج من القلعة ويدعا عليه ويعزر ويطاف به . فقال الشيخ يافلان هذا لا يقع ولا يسمع السلطان بشئ من ذلك . وهو أعلم بالشيخ وبعلمه ودينه . ثم قال أخبرك بشئ عجيب وقع من السلطان فى حق الشيخ وهو انه حين توجه السلطان الي الديار المصرية ومعه القضاة والاعيان ونائب الشام الافرم . فلما دخل الديار المصرية وعاد الي مملكته وهرب سلار والجاشنكير واستقر أمر السلطان . جلس يوما في دست السلطنة وابهة الملك وأعيان الامراء من الشاميين والمصريين حضور عنده وقضاة مصر عن يمينه وقضاة الشام عن يساره . وذكر لي كيفية جلوسهم منه بحسب منازلهم قال ومن جملة من هناك ابن صصرى عن يسار السلطان . وتحته الصدر على قاضي الحنفية . ثم بعده الخطيب جمال الدين . ثم بعده ابن الزملكانى . قال وأنا الى جانب ابن الزملكان والناس

جلوس خلفه والسلطان على مقعد مرتفع فبينما الناس كذلك جلوس انتهض السلطان قائما. فقام الناس ثم مشى السلطان فنزل عن تلك المقعدة ولا يدرى مابه واذا بالشيخ تقي الدين مقبل من الباب والسلطان قاصد اليه . فنزل السلطان عن الايوان والناس قيام والقضاة والامراء والدولة فتسالم هو والسلطان الى ضفة في ذلك المكان فيها شباك الى بستان فجلسا فيها حينا ثم اقبلا ويد الشيخ في يد السلطان فقام الناس وكان قد جاء في غيبة السلطان الوزير فخر الدين بن الخليلي فجلس عن يسار السلطان فوق ابن صصرى . وقعد السلطان على مقعده متربعا . وشرع يثنى على الشيخ عند الامراء ثناء ما سمعته من غيره قط وقال كلاما كثيرا والناس يقولون معه ومثله الامراء والقضاة. وكان وقتا عجيبا وذلك مما يسوء كثيرا من الحاضرين من ابناء جنسه وقال في الشيخ من الثناء والمبالغة مالا يقدر أحد من أخص أصحابه يقوله . ثم ان الوزير أنهى الى السلطان ان أهل الذمة قد بذلوا للدولة في كل سنة سبعمائة ألف درهم زيادة على الجالية الى ان يعودوا الى لبس العمائم البيض . وان يعفوا من هذه العمائم المصبوغة التي أكرمهم بها ركن الدين الجاشنكير . فقال السلطان للقضاة ومن هناك ما تقولون فسكت الناس فلما رآهم الشيخ تقي الدين سكتوا جثا على ركبتيه وشرع يتكلم مع السلطان في ذلك بكلام غليظ ويرد ما عرضه الوزير ردا عنيفاً . والسلطان يسكته برفق وتوقير . وبالغ الشيخ في الكلام. وقال مالا يستطيع أحد ان يقوم مثله ولا بقريب منه حتى رجع السلطان عن ذلك والزمهم بما هم عليه واستمروا على هذه الصفة . فهذا من حسنات الشيخ تقي الدين ابن تيمية رحمه الله *

* قال * وسمعت الشيخ تقي الدين يذكر ان السلطان لما جلسنا بالشباك أخرج فتاوى لبعض الحاضرين في قتله واستفتاني في قتل بعضهم قال ففهمت مقصوده وان عنده حنقا شديدا عليهم لما خلعوه وبايعوا الملك المظفر ركن الدين بيبرس الجاشنكير فشرعت في مدحهم والثناء عليهم وشكرهم وان هؤلاء لو ذهبوا لم تجد في دولتك مثلهم. وأما أنا فهم في حل من حقي ومن جهتي وسكنت ما عنده عليهم (قال) فكان القاضي زين الدين ابن مخلوف قاضي المالكية يقول بعد ذلك ما رأينا أعفى من ابن تيمية لم نبق ممكنا في السعي فيه . ولما قدر علينا عفا *

* ثم ان الشيخ * بعد اجتماعه بالسلطان نزل الى القاهرة وسكن بالقرب من مشهد الحسين * قال الذهبي ولم يكن الشيخ من رجال الدول ولا يسلك معهم تلك النواميس فلم يعد

السلطان يجتمع به وعاد الى بث العلم ونشره . والخلق يشتغلون عليه ويقرؤن ويستفتونه ويجيبهم بالكلام والكتابة والامراء والاكابر والناس يترددون اليه وفيهم من يعتذر اليه مما وقع . فقال قد جعلت الكل فى حل مما جرى . ولم يزل الشيخ مستمرا على عادته من نفع الناس وموعظتهم والاجتهاد فى سبيل الخير *

﴿ فلما كان ﴾ فى شهر رجب سنة احدى عشرة وسبعمائة اتفق ان جماعة بجامع مصر قد تعصبوا على الشيخ وتفردوا به وضربوه . (قال الشيخ علم الدين) ظفر به بعض المبغضين له فى مكان خال وأساء عليه الادب . وحضر جماعة كثيرة من الجند وغيرهم الي الشيخ بعد ذلك لاجل الانتصار له فلم يجب الى ذلك . قال بعض أصحابنا جئت الى مصر فوجدت خلقا كثيرا من الحسنية وغيرهم رجالا وفرسانا يسألون عن الشيخ فجئت فوجدته بمسجد الفخر كاتب المماليك على البحر . واجتمع عنده جماعة وتتابع الناس وقال له بعضهم ياسيدى قد جاء خلق من الحسنية لو أمرتهم أن يهدموا مصر كلها لفعلوا . فقال لهم الشيخ لاي شئ قالوا لاجلك فقال الشيخ هذا لايجوز (قالوا) فنحن نذهب الى بيوت هؤلاء الذين اذوك فنقتلهم ونخرب دورهم فانهم شوشوا على الخلق وأثاروا هذه الفتنة على الناس (فقال لهم) هذا مايحل قالوا فهذا الذى فعلوه معك يحل هذا شئ لا نصبر عليه ولا بد أن نروح اليهم ونقاتلهم على ما فعلوا والشيخ ينهاهم ويزجرهم . فلما أكثروا فى القول . قال لهم اما ان يكون الحق لى فهم فى حل وان كان لكم فان لم تسمعوا منى فلا تستفتونى وافعلوا ماشئتم . وان كان الحق لله فالله يأخذ حقه كما يشاء ان شاء *

﴿ وأقام الشيخ بعد هذا ﴾ مدة فى الديار المصرية ثم انه توجه الى الشام صحبة الجيش المصرى قاصدا الغزاة . فلما وصل معهم الى عسقلان توجه الى بيت المقدس وتوجه منه الى دمشق وجعل طريقه على عجلون ووصل دمشق أول يوم من ذى القعده سنة اثنتى عشرة وسبعمائة ومعه أخواه وجماعة من أصحابه وخرج خلق كثير لتلقيه وسروا سرورا عظيما بمقدمه وسلامته وكان مجموع غيبته عن دمشق سبع سنين وسبع جمع *

﴿ ذكر ماوقع للشيخ ابن تيمية بعد عوده لدمشق المحروسة ﴾

قال الحافظ ابن عبد الهادى ابن قدامة . ثم ان الشيخ رحمه الله بعد وصوله من مصر الى دمشق واستقراره بها لم يزل ملازما للاشتغال ونشر العلم وتصنيف الكتب وافتاء الناس

بالكلام والكتابة المطولة ونفع الخلق والاحسان اليهم والاجتهاد في الاحكام الشرعية ففى بعض الاحكام يفتي بما أدى اليه اجتهاده من موافقة أئمة المذاهب الاربعة . وفى بعضها قد يفتى بخلافهم أو بخلاف المشهور بما قام الدليل عليه عنده *

﴿ ومن اختياراته ﴾ التى خالفهم فيها أو خالف المشهور من أقوالهم القول بقصر الصلاة فى كل مايسمى سفرا طويلا كان أو قصيرا كما هو مذهب الظاهرية . وقول بعض الصحابة *

﴿ والقول ﴾ بان البكر لا تستبرأ وان كانت كبيرة كما هو قول ابن عمر واختاره البخارى صاحب الصحيح *

﴿ والقول ﴾ بأن سجود التلاوة لايشترط له وضوء كما هو مذهب ابن عمر واختاره البخارى أيضا

﴿ والقول ﴾ بأن من أكل فى شهر رمضان معتقدا الليل فبان نهارا لاقضاء عليه كما هو في الصحيح عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه . واليه ذهب بعض التابعين وبعض الفقهاء بعدهم *

﴿ والقول ﴾ بأن من أفطر فى رمضان عمدا أو ترك الصلاة بلا عذر لاقضاء عليه . وقال به بعض الظاهرية وحكى عن ابن بنت الشافعي . وفي البخارى عن أبى هريرة من أفطر يوما من رمضان من غير عذر ولا مرض لم يقضه صيام الدهر وان صامه . وبه قال ابن مسعود رضى الله تعالى عنه . وقال سعيد بن المسيب والشعبي وابن جبير وابراهيم وقتادة وحماد يقضى يوما مكانه *

﴿ والقول ﴾ بأن المتمتع يكفيه سعى واحد بين الصفا والمروة كما فى حق القارن والمفرد وهو قول ابن عباس رضى الله عنه ورواية عن الامام أحمد بن حنبل رواها عنه ابن عبدالله . وكثير من أصحاب الامام أحمد رضى الله عنه لايعرفونها *

﴿ والقول ﴾ بجواز المسابقة بلا محلل وان احوج المتسابقان *

﴿ والقول ﴾ باستبراء المختلعة بحيضة وكذلك الموطوءة بشبهة والمطلقة آخر ثلاث تطليقات *

﴿ والقول ﴾ باباحة وطء الوثنيات بملك اليمين *

﴿ والقول ﴾ بجواز عقد الرداء فى الاحرام ولا فدية فى ذلك وجواز طواف الحائض ولا شئ عليها اذا لم يمكنها ان تطوف طاهرا *

﴿ والقول ﴾ بجواز بيع الاصل بفرعه كالزيتون بالزيت . والسمسم بالشيرج *

﴿ والقول ﴾ بجواز بيع مايتخذ من الفضة للتحلى وغيره بالفضة متفاضلا وجعل الزائد من الثمن في مقابلة الصنعة *

﴿ والقول ﴾ بأن المائع لاينجس بوقوع النجاسة فيه الا ان يتغير قليلا كان أوكثيرا *

﴿ والقول ﴾ بجواز التيمم في مواضع معروفة والجمع بين الصلاتين فى أماكن مشهورة وغير ذلك من الاحكام المعروفة من أقواله *

﴿ وكان يميل ﴾ آخرا بتوريث المسلم من الكافر الذمى وله فى ذلك مصنف وبحث طويل *

﴿ ومن أقواله ﴾ المشهورة التى جرى بسبب الافتاء بها محن وقلاقة قوله بالتكفير فى الحلف بالطلاق وان الطلاق الثلاث لا يقع وله فى ذلك مصنفات ومؤلفات كثيرة منها قاعدة كبيرة سماها تحقيق الفرقان بين التطليق والايمان . نحو أربعين كراسة وقاعدة سماها الفرق المبين بين الطلاق واليمين . بقدر النصف من ذلك وقاعدة فى أن جميع ذنوب المسلمين مكفرة مجلد لطيف . وقاعدة فى تقرير ان الحلف بالطلاق من الايمان حقيقة وقواعد وأجوبة غير ذلك لاتنضبط ولا تنحصر . وله جواب اعتراض ورد عليه من الديار المصرية وهو جواب طويل فى ثلاثة مجلدات بقطع نصف البلدي *

﴿ ثم اجتمع بالشيخ ﴾ يوم الخميس نصف ربيع الآخر سنة ثمانية عشرة وسبعمائة القاضى شمس الدين بن مسلم الحنبلى وأشار اليه بترك الافتاء بمسألة الحلف بالطلاق فقبل اشارته وعرف نصيحته وأجاب الى ذلك *

﴿ فلما كان ﴾ يوم السبت من جمادى الاولى من هذه السنة ورد البريد الى دمشق ومعه كتاب السلطان بالمنع من الفتوى فى مسألة الحلف بالطلاق التى رآها الشيخ تقى الدين والامر بعقد مجلس فى ذلك فعقد يوم الاثنين ثالث الشهر المذكور بدار السعادة وانفصل الامر على ما أمر به السلطان ونودى بذلك فى البلد بعد الثلاثا رابع الشهر المذكور ثم ان الشيخ عاد الى الافتاء بذلك وقال لايسعني كتمان العلم *

﴿ فلما كان ﴾ يوم الثلاثا تاسع عشرى رمضان من سنة تسع عشرة جمع القضاة والفقهاء عند نائب السلطنة بدار السعادة وقرئ عليهم كتاب السلطان . وفيه فصل يتعلق بالشيخ بسبب الفتوى فى هذه المسألة واحضر وعوتب على فتياه بعد المنع وأكد عليه فى المنع من ذلك *

﴿ فلما كان ﴾ بعد ذلك بمدة ثانى عشر رجب سنة عشرين عقد مجلس بدار السعادة وحضره النائب والقضاة وجماعة من المفتين وحضر الشيخ وعاودوه في الافتاء فى مسألة الطلاق وعاتبوه على ذلك وحبس فى القلعة فبقى فيها خمسة أشهر وثمانية عشر يوما . ثم ورد مرسوم السلطان باخراجه فاخرج يوم الاثنين يوم عاشوراء من سنة احدى وعشرين وتوجه الى داره ثم لم يزل بعد ذلك يعلم الناس ويلقى الدروس فى أنواع العلوم *

﴿ ذكر حبس الشيخ بقلعة دمشق الى ان مات فيها ﴾

قالوا لما كان سنة ست وعشرين وسبعمائة وقع الكلام فى مسألة شد الرحال وأعمال المطى الى قبور الانبياء والصالحين . وكثر القيل والقال بسبب المثور على جواب الشيخ الآتى وعظم التشنيع على الشيخ وحرف عليه ونقل عنه مالم يقله وحصلت فتنة طار شررها فى الافاق واشتد الامر وخيف على الشيخ من كيد القائمين فى هذه القضية . بالديار الشامية والمصرية وضعف من أصحاب الشيخ من كان عنده قوة . وجبن منهم من كانت له همة *

﴿ وأما الشيخ ﴾ رحمه الله فكان ثابت الجأش قوى القلب وظهر صدق توكله واعتماده على ربه . ولقد اجتمع جماعة معروفون بدمشق وضربوا مشورة فى حق الشيخ . فقال أحدهم ينفى فنفى القائل . وقال آخر يقطع لسانه فقطع لسان القائل . وقال آخر يعزر فعزر القائل . وقال آخر يحبس فحبس القائل . أخبر بذلك من حضر هذه المشورة وهو كاره لها *

﴿ واجتمع جماعة آخرون ﴾ بمصر وقاموا فى هذه القضية قياما عظيما . واجتمعوا بالسلطان واجمعوا أمرهم على قتل الشيخ فلم يوافقهم السلطان على ذلك وأرضى خاطرهم بالامر بحبسه *

﴿ فلما كان يوم الاثنين ﴾ سادس شعبان من السنة المذكورة ورد مرسوم السلطان بأن يكون فى القلعة واحضر للشيخ مركوب فاظهر السرور بذلك وقال انى كنت منتظرا ذلك . وهذا فيه خير عظيم فركب الى القلعة وأخليت له قاعة حسنة وأجرى اليها الماء ورسم له بالاقامة فيها وأقام معه أخوه زين الدين يخدمه باذن السلطان ورسم له بما يقوم بكفايته وفى يوم الجمعة عاشر الشهر المذكور قرئ بجامع دمشق الكتاب السلطاني الوارد بذلك وبمنعه من الفتيا *

﴿ وليس بعجب ﴾ فقد وقع لابى حنيفة مثله من المنع والحبس . ووقع للامام أحمد كذلك فانها لاتعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي فى الصدور *

وفي يوم الاربعاء منتصف شعبان أمر القاضي الشافعي بحبس جماعة من أصحاب الشيخ بسجن الحكم واوذى جماعة من أصحابه واختفى آخرون وعزر جماعة ونودي عليهم ثم اطلقوا سوى الامام شمس الدين محمد ابن أبي بكر امام الجوزية فانه حبس بالقلعة وسكنت الفتنة *

﴿ وهذا صورة السؤال وجواب الشيخ عنه ﴾

ماتقول السادة أئمة الدين * نفع الله بهم المسلمين * في رجل نوى زيارة قبور الانبياء والصالحين * مثل نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وغيره فهل يجوز له في سفره ان يقصر الصلاة وهل هذه الزيارة شرعية أم لا وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من حج ولم يزرني فقد جفاني ومن زارني بعد موتي كان كمن زارني في حياتي (وقد) روى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجدى هذا والمسجد الاقصى افتونا مأجورين *

﴿ الجواب ﴾ الحمد لله رب العالمين * أما من سافر لمجرد زيارة قبور الانبياء والصالحين فهل يجوز له قصر الصلاة على قولين معروفين *

﴿ أحدهما ﴾ وهو قول متقدمي العلماء الذين لايجوزون القصر في سفر المعصية كأبي عبد الله ابن بطة وأبي الوفاء ابن عقيل وطوائف كثيرة من العلماء المتقدمين انه لايجوز القصر في مثل هذا السفر * لانه سفر منهى عنه في الشريعة فلا يقصر فيه *

﴿ والقول الثاني ﴾ انه يقصر وهذا يقوله من يجوز القصر في السفر المحرم كابي حنيفة رحمه الله ويقوله بعض المتأخرين من أصحاب الشافعي وأحمد ممن يجوز السفر لزيارة قبور الانبياء والصالحين كابي حامد الغزالي وأبي الحسن بن عبدوس الحراني وأبي محمد بن قدامة المقدسي ﴿ وهؤلاء ﴾ يقولون ان هذا السفر ليس بمحرم لعموم قوله صلى الله عليه وسلم زوروا القبور وقد يحتج بعض من لايعرف الحديث بالاحاديث المروية في زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم (كقوله) من زارني بعد مماتي فكأنما زارني في حياتي رواه الدارقطني *

﴿ وأما ما يذكره ﴾ بعض الناس من قوله من حج ولم يزرني فقد جفاني فهذا لم يروه أحد من العلماء وهو مثل قوله من زارني وزار أبي ابراهيم في عام واحد ضمنت له على الله الجنة فان هذا أيضاً باطل باتفاق العلماء لم يروه أحد ولم يحتج به أحد وانما يحتج بعضهم بحديث

الدارقطني * وقد احتج أبو محمد المقدسي على جواز السفر لزيارة القبور بانه صلى الله عليه وسلم كان يزور مسجد قبا واجاب عن حديث لاتشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجدى هذا والمسجد الاقصى * وهـذا الحديث اتفق الأئمة على صحته والعمل به فلو نذر بشدة الرحال ان يصلي بمسجد أو بمشهد أو يعتكف فيه ويسافر اليه غير هذه الثلاثة لم يجب عليه ذلك باتفاق الائمة * ولو نذر ان يسافر ويأتى المسجد الحرام بحج أو عمرة وجب عليـه ذلك باتفاق العلماء * ولو نذر ان يأتى مسجد النبي صلى الله عليه وسلم أو المسجد الاقصي لصلاة أو اعتكاف وجب عليه الوفاء بهذا النـذر عند مالك والشافعى فى أحد قوليه وأحمد ولم يجب عند أبى حنيفة لانه لايجب عنده بالنذر الا ما كان من جنسه واجبا *

﴿ وأما الجمهور ﴾ فيوجبون الوفاء بكل طاعة كما ثبت فى صحيح البخاري عن عائشة رضى الله عنها ان النبي صلى الله عليـه وسلم قال من نذر ان يطيع الله فليطعه * ومن نذر ان يعصى الله فلا يعصه * والسفر الى المسجدين طاعة فلهذا وجب الوفاء به *

وأما السفر الى بقعة غير المساجد الثلاثة فلم يوجب أحد من العلماء السفر اليـه اذا نذره حتى نص العلماء انه لايسافر الى مسجد قبا لانه ليس من الثلاثة مع ان مسجد قباء يستحب زيارته لمن كان فى المدينة لان ذلك ليس بشد رحل كما فى الحديث الصحيح من تطهر فى بيته ثم أتى الى مسجد قبا لايريد الا الصلاة فيه كان كعمرة *

قالوا ولان السفر الى زيارة قبور الانبياء والصالحين بدعة لم يعلمها أحد من الصحابة ولا التابعين ولا أمر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا استحب ذلك أحد من أئمة المسلمين . فمن اعتقد ذلك عبادة وفعله فهو مخالف للسنة واجماع الامة . وهذا مما ذكره أبو عبدالله بن بطة فى الابانة الصغرى من البـدع المخالفة للسنة والاجماع وبهذا يظهر ضعف حجة أبى محمد ان زيارة النبي صلى الله عليه وسلم لمسجد قباء لم تكن بشد رحل وان السفر اليه لايجب بالنذر وقوله لا تشد الرحال الخ محمول على نفى الاستحباب * وعنه جوابان (أحدهما) ان هذا ان سلم فيه ان هذا السفر ليس بعمل صالح ولا قربة ولا طاعة ولا هو من الحسنات فاذن من اعتقد ان السفر لزيارة قبور الانبياء والصالحين قربة وعبادة وطاعة فقد خالف الاجماع * واذا سافر لاعتقاده انها طاعة كان ذلك محرما باجماع المسلمين * ومعلوم ان أحدا لايسافر اليها الا لذلك وأما اذا

نذر الرجل ان يسافر اليها لغرض مباح فهذا جائز وليس من هذا الباب *

﴿ الوجه الثانى ﴾ ان الحديث يقتضى النهى والنهى يقتضى التحريم وما ذكره من الاحاديث فى زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم فكلها ضعيفة باتفاق أهل العلم بالحديث بل هى موضوعة لم يروها أحد من أهل السنن المعتمدة ولا شيئاً منها بل مالك امام أهل المدينة الذين هم أعلم الناس بحكم هذه المسألة كره ان يقول الرجل زرت قبر النبي صلى الله عليه وسلم ولو كان هذا اللفظ معروفا عندهم أو مشروعا أو مأثورا عن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكرهه عالم أهل المدينة والامام أحمد اعلم الناس فى زمانه بالسنة لما سئل عن ذلك لم يكن عنده مايعتمد عليه فى ذلك من الاحاديث الا حديث أبي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال مامن رجل يسلم عليّ الارد الله عليّ روحى حتى أرد عليه السلام وعلى هذا اعتمد أبوداود فى سننه . وكذلك مالك فى الموطأ . وروى عن عبد الله بن عمر انه كان اذا دخل المسجد قال السلام عليك يارسول الله السلام عليك يا أبا بكر السلام عليك يا أبت . ثم ينصرف . وفى سنن أبى داوود عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لاتتخذوا قبرى عيداً وصلوا أينما كنتم فان صلاتكم تبلغنى حيثما كنتم وفى سنن سعيد بن منصور ان عبد الله بن الحسن بن على ابن أبى طالب رأى رجلا يختلف الى قبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال له ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تتخذوا قبرى عيدا وصلوا على فان صلاتكم تبلغنى حيثما كنتم فما أنت ورجل بالاندلس منه الا سواء وفى الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال في مرض موته لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور انبيائهم مساجد يحذروا ما فعلوا قالت عائشة ولولا ذلك لابرز قبره ولكن كره ان يتخذ مسجدا وهم دفنوه فى حجرة عائشة خلاف ما اعتادوه من الدفن فى الصحراء لئلا يصلى أحد عند قبره ويتخذ مسجدا فيتخذ قبره وثنا . وكان الصحابة والتابعون لما كانت الحجرة النبوية منفصلة عن المسجد الى زمن الوليد بن عبد الملك لايدخل أحد اليه لاللصلوات هناك ولا لمسح بالقبر ولا دعاء هنالك بل هذا جميعه انما كانوا يفعلونه فى المسجد وكان السلف من الصحابة والتابعين اذا سلموا عليه وارادوا الدعاء دعوا مستقبلى القبلة ولم يستقبلوا القبر . وأما الوقوف للسلام عليه فقال أبو حنيفة يستقبل القبلة أيضاً ولا يستقبل القبر وقال أكثر الأئمة بل يستقبل القبر عند السلام خاصة ولم يقل أحد من الأئمة ان يستقبل القبر عند

الدعاء وليس في ذلك الا حكاية مكذوبة تروى عن مالك ومذهبه بخلافه واتفق الائمة على انه لايمس قبر النبي صلى الله عليه وسلم ولايقبل وهذا كله محافظة على لتوحيد فان من أصول الشرك بالله تعالى اتخاذ القبور مساجد كما قال طائفة من السلف في قوله تعالى (وقالوا لاتذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا ولايغوث ويعوق ونسرا) قالوا هؤلاء كانوا قوما صالحين في قوم نوح فلما ماتوا عكفوا على قبورهم ثم صوروا على صورهم تماثيل ثم طال عليهم الامد فعبدوها وقد ذكر هذا المعنى البخاري في صحيحه عن ابن عباس وذكره محمد بن جرير الطبرى في التفسير عن غير واحد من السلف وقد بسطت الكلام على أصول هذه المسائل في غيرهذا الموضع

وأول من وضع هذه الاحاديث في السفر لزيارة المشاهد التي على القبور هم أهل البدع من الرافضة ونحوهم الذين يعطلون المساجد . ويعظمون المشاهد . التي يشرك فيها ويكذب فيها . ويبتدع فيها . دين لم ينزل الله به سلطانا . وأن الكتاب والسنة انما فيه ذكر المساجد دون المشاهد . كما قال تعالى قل أمر ربي بالقسط وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين . وقال تعالى انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر . وقال تعالى وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا . وقال تعالى ومن أظلم ممن منع مساجد الله ان يذكر فيها اسمه . وقد ثبت عنه في الصحيح ان من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد فاني أنهاكم عن ذلك *

* هذا آخر ما أجاب به شيخ الاسلام ابن تيمية والله سبحانه وتعالى اعلم *

وكان للشيخ في هذه المسألة كلام متقدم أقدم من هذا الجواب المذكور وفيه ما هو أبلغ من هذا الجواب كما أشار اليه في الجواب . ولما ظفروا في دمشق بجوابه هذا كتبوه وبعثوا به الى الديار المصرية وكتب عليه قاضي الشافعية قابلت الجواب عن هذا السؤال المكتوب على خط ابن تيمية فصح الى ان قال وانما المخرم جعله زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم وقبور الانبياء صلوات الله عليهم معصية مقطوعا بها هذا كلامه *

فانظر الى هذا التحرف على شيخ الاسلام . والجواب ليس فيه المنع من زيارة قبور الانبياء والصالحين . وانما فيه ذكر قولين في شد الرحل للسفر الى مجرد زيارة القبور وزيارة من غير شد رحل اليها مسألة . وشد الرحل لمجرد الزيارة مسألة أخرى والشيخ لا يمنع الزيارة الخالية عن

شد رحل بل يستحبها ويندب اليها وكتبه ومناسكه تشهد بذلك . ولم يتعرض الشيخ الى هذه الزيارة فى الفتيا لان السائل لم يسأل عنها ولا قال انها معصية ولا حكى الاجماع على المنع منها لان العامة فضلا عن العلماء يعرفون ان زيارة القبور سنة كيف يظن الجهل بذلك ممن سلم له الاجتهاد المطلق والله سبحانه لاتخفى عليه خافية *

﴿ ولما وصل خط ﴾ القاضى المذكور الى الديار المصرية كثر الكلام وعظمت الفتنة وطلب القضاة بها فاجتمعوا وتكلموا . وأشار بعضهم بحبس الشيخ فرسم السلطان به وجرى ماتقدم ذكره . ثم جرى بعد ذلك أمور على القائمين فى هذه القضية لا يمكن ذكرها في هذا الموضع

﴿ ذكر انتصار علماء بغداد للشيخ ﴾

قالوا لما وصل ما أجاب به الشيخ فى هذه المسألة الى علماء بغداد قاموا فى الانتصار له وكتبوا بموافقته قال الحافظ ابن عبد الهادى ابن قدامة ورأيته خطه ظهر بذلك وينبغى ذكر شئ منها هنا *

﴿ هذه صورة جواب الشيخ الامام العلامة جمال الدين يوسف ابن عبد المحمود بن عبد السلام ابن البتى الحنبلى ومن خطه نقل قال ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ بعد حمد الله الذى هو فاتحة كل كلام . والصلاة والسلام على رسوله محمد خير الانام . وعلى آله وأصحابه البررة الكرام . اعلام الهدى ومصابيح الظلام يقول افقر عباد الله . وأحوجهم الى عفوه * ما حكاه الشيخ الامام البارع الهمام . افتخار الانام جمال الاسلام . ركن الشريعة ناصر السنة قامع البدعة . جامع اشتات الفضائل . قدوة العلماء الاماثل . في هذا الجواب من أقوال العلماء والائمة النبلاء بين لا يدفع . ومكشوف لا يتقنع . بل أوضح من النيرين . وأظهر من فرق الصبح لذى عينين . والعمدة في هذه المسألة الحديث المتفق على صحته ومنشأ الخلاف بين العلماء من اجمال صيغته . وذلك ان صيغة قوله صلى الله عليه وسلم لا تشد الرحال ذات وجهين نفى ونهى لاحتمالها لهما فان لحظ معنى النفى فمعناه نفى فضيلة واستحباب شد الرحل وأعمال المطى الى غير المساجد الثلاثة * ويتعين توجه النفى الى فضيلتهما واستحبابهما دون ذاتها . والا لزم تخلف الخبر ولا يلزم من نفي الفضيلة والاستحباب نفى الاباحة فهذا وجه متمسك من قال بإباحة هذا السفر بالنظر الى ان هذه

الصيغة نفي وبنى على ذلك جواز القصر . وان كان النهى ملحوظا . فالمنى حينئذ نهيه عن أعمال المطى وشد الرحال الى غير المساجد الثلاثة اذ المقرر عند عامة الاصوليين ان النهى عن الشئ قاض بتحريمه أو كراهته على حسب الادلة فهذا وجه متمسك من قال بعدم جواز القصر في هذا السفر لكونه منهيا عنه . وممن قال بحرمته الشيخ الامام أبو محمد الجويني من الشافعية والشيخ الامام أبو الوفاء ابن عقيل من الحنابلة وهو الذى أشار القاضى عياض من المالكية الى اختياره . وما جاء من الاحاديث فى استحباب زيارة القبور فمحمولة على مالم يكن فيه شد رحل وأعمال مطى جمعا بينها . ويحتمل ان يقال لا يصلح ان يكون غير حديث شد الرحال معارضا له لعدم مساواته اياه فى الدرجة لكونه من أعلى أقسام الصحيح والله تعالى اعلم *

﴿ وقد بلغ ﴾ انه ذرى وضيق على المجيب . وهذا أمر يحار فيه اللبيب . ويتعجب منه الاريب . ويقع منه فى شك مريب . فان جوابه فى هذه المسألة قاض بذكر خلاف العلماء وليس حاكما بالغض من الصالحين والانبياء فان الاخذ بمقتضى كلامه صلوات الله وسلامه عليه في الحديث المتفق على رفعه اليه هو الغاية القصوى فى تتبع أوامره ونواهيه والعدول عن ذلك محذور . وذلك مما أمر به فيه . واذا كان كذلك فأي حرج على من سئل عن مسألة فذكر فيها خلاف الفقهاء . ومال فيها الى بعض أقوال العلماء . فان الامر لم يرد كذلك على ممر العصور وتعاقب الدهور . وهل ذلك محول من القادح الاعلى امتطاء نضو الهوى . المفضى بصاحبه الى النوى . فان من يقتبس من فوائده ويلتقط من فرائده لحقيق بالتعظيم . وخليق بالتكريم ممن له الفهم السليم والذهن المستقيم . وهل حكم المظاهر عليه فى الظاهر . الا كما قيل فى المثل السائر الشعير يؤكل ويذم . ولولا خشية الملالة لما تيممت من الاطاله .

﴿ وكتب تحته ﴾ الامام صفى الدين ابن عبدالحق الحنبلى . الحمد لله رب العالمين * وصلاته على سيدنا محمد . وعلى آله الطاهرين . ماذكره مولانا الامام العالم العامل . جامع الفضائل . بحر العلم . ومنشأ الفضل . جمال الدين الكاتب خطه امام خطى هذا جمل الله به الاسلام . واسبغ عليه سوابغ الانعام أتى فيه بالحق الجلى الواضح . واعرض فيه عن اغضاء المشايخ . اذ السؤال والجواب اللذان تقدماه لا يخفى على ذى فطنة وعقل انه أتى فى الجواب بالمطابق للسؤال . بحكاية أقوال العلماء . الذين تقدموه ولم يبق عليه فى ذلك الا ان يعترض معترض فى نقله فيبرزه له

من كتب العلماء الذين حكى أقوالهم والمتعرض له بالتشنيع اما جاهل لا يعلم مايقول . أو متجاهل يحمله حسده وحميته الجاهلية على رد ما هو عند العلماء مقبول . اعاذنا الله تعالى من غوائل الحسد . وعصمنا من مخائل النكد . بمحمد وآله الطاهرين *

﴿ جواب آخر لعلماء الشافعية ﴾

قال بعد البسملة والحمدلة . لا ريب ان المملوك أوقف على مأسئل الشيخ الامام العالم العلامة وحيد دهره . وفريد عصره . تقي الدين أبو العباس ابن تيمية وما أجاب به فوجدته خلاصة ما قاله العلماء في هذا الباب حسبما اقتضاه الحال . من نقله الصحيح وما أدى عليه البحث من الالزام والالتزام . لا يداخله تحامل . ولا يعتريه تجاهل . وليس فيه والعياذ بالله ما يقتضى الازراء والتنقيص بمنزلة الرسول صلى الله عليه وسلم وكيف يجوز للعلماء ان تحملهم العصبية ان يتفوهوا بالازراء والتنقيص في حق الرسول صلى الله عليه وسلم وهل يجوز ان يتصور متصور ان زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم تزيد في قدره وهل تركها مما ينقص من تعظيمه . حاش للرسول من ذلك . نعم لو ذكر ذاكر ابتداء وكان هناك قرائن تدل على الازراء والتنقيص أمكن حمله على ذلك مع انه كان يكون كناية لا صريحا فكيف وقد قاله في معرض السؤال وطريق البحث والجدال مع ان المفهوم من كلام العلماء . وانظار العقلاء . ان الزيارة ليست عبادة وطاعة بمجردها حتى انه لو حلف انه يأتي بعبادة أو طاعة لم يبر بها . لكن القاضى ابن كج من متأخري أصحابنا ذكر ان هذه الزيارة عنده قربة تلزم ناذرها . وهو منفرد به لا يساعده في ذلك نقل صريح ولا قياس صحيح . والذى يقتضيه مطلق الخبر النبوى في قوله عليه السلام لاتشد الرحال الخ انه لا يجوز شد الى غير ما ذكر . فمن اعتقد جواز الشد الى غير ما ذكر أو وجوبه أو ندبيته كان مخالفا لصريح النهى ومخالفة النهى معصية *

﴿ حرره ابن الكتبي الشافعى حامداً لله على نعمه ﴾

﴿ جواب آخر لعلماء المالكية ﴾

قال ماأجاب به الشيخ الاوحد الاجل بقية السلف وقدوة الخلف . رئيس المحققين وخلاصة المدققين . تقي الملة والحق والدين . من الخلاف في هذه المسألة صحيح منقول في غير ما كتاب من كتب أهل العلم فلا مجال للاعتراض عليه في ذلك اذ ليس بعيب لرسول الله صلى الله

عليه وسلم ولا غض من قدره . وقد نص الشيخ أبو محمد الجويني في كتبه على تحريم السفر لزيارة القبور وهو اختيار القاضي الامام القاضي عياض من المالكية . وهو أفضل المتأخرين من أصحابنا وفى المدونة عمن قال عليّ المشى الى المدينة أو بيت المقدس فلا يأتيهما أصلا الا ان يريد الصلاة فى مسجديهما فليأتهما فلم يجعل نذر زيارة قبره طاعة يجب الوفاء بها ومن أصلنا ان من نذر طاعة لزمه الوفاء بها أكان من جنسها ما هو واجب بالشرع كما هو مذهب أبي حنيفة أو لم يكن . قال القاضي أبو اسحق اسمعيل بن اسحق عقب هذه المسألة ولولا الصلاة فيهما لما لزمه اتيانهما . ولو كان نذر زيارته طاعة لزمه ذلك . وقد ذكر ذلك القيرواني فى تقريبه والشيخ ابن بشير فى تنبيهه . وفى المبسوط قال مالك ومن نذر المشي الى مسجد من المساجد ليصلي فيه قال فاني أكره ذلك له لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم لا يعمل المطى الا الى ثلاثة مساجد . المسجد الحرام . ومسجد بيت المقدس . ومسجدى هذا وروى محمد بن المواز فى الموازية عنه الا ان يكون قريبا فيلزمه الوفاء لانه ليس بشد رحل وقد قال الشيخ أبو عمر بن عبد البر فى كتاب التمهيد . يحرم على المسلمين ان يتخذوا قبور الانبياء والصالحين مساجد . وحيث تقرر هذا فلا يجوز ان ينسب من أجاب فى هذه المسألة بانه سفر منهي عنه الى الكفر فمن كفره بذلك من غير موجب فان كان مستبيحا ذلك فهو كافر . والا فهو فاسق . قال الامام أبو عبد الله محمد بن على المازرى فى كتاب المعلم من كفر أحدا من أهل القبلة فان كان مستبيحا لذلك فقد كفر والا فهو فاسق يجب على الحاكم اذا رفع أمره اليه أن يؤذيه أو يعزره بما يكون رادعا لامثاله فان ترك ذلك مع القدرة عليه فهو آثم . والله تعالى أعلم *

﴿ كتب ذلك محمد بن عبد الرحمن البغدادى الخادم للطائفة المالكية فى المدرسة الشريفة المستنصرية ﴾

﴿ جواب آخر لبعض علماء الشام المالكية ﴾

قال السفر الى غير المساجد الثلاثة ليس بمشروع . وأما من سافر الى مسجد النبي صلى الله عليه وسلم ليصلي ويسلم على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى صاحبيه رضى الله عنهما فمشروع باتفاق العلماء . وأما لو قصد أعمال المطى لزيارته صلى الله عليه وسلم ولم يقصد الصلاة فهذا السفر اذا ذكر رجل فيه خلافا للعلماء وان منهم من قال انه منهي عنه . ومنهم من قال انه مباح وانه على القولين ليس بطاعة ولا قربة فمن جعله طاعة وقربة على مقتضى هذين القولين كان حراما

بالاجماع . وذكر حجة كل منهما . أو رجح أحد القولين لم يلزمه ما يلزم من تنقص اذ لا تنقص في ذلك ولا ازدراء بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم . وقد قال مالك لسائل سأله اذا نذر ان يأتي قبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم . فقال ان كان أراد مسجد النبي صلى الله عليه وسلم فليأته وليصل فيه . وان كان أراد القبر فلا يفعل للحديث الذي جاء لا تعمل المطي الا الى ثلاثة مساجد والله أعلم * ﴿كتبه أبو عمر وابن أبي الوليد المالكي﴾

﴿وورد مع أجوبة أهل بغداد كتاب وفيه﴾

بسم الله الرحمن الرحيم * الحمد لله ناصر الملة الاسلامية . ومعز الشريعة المحمدية . بدوام أيام الدولة المباركة السلطانية . المليكة المالكية الناصرية . البسها الله تعالى لباس العز المقرون بالدوام وحلاها بحلية النصر المستمر بمرور الليالي والايام . والصلاة والسلام على النبي المبعوث الى جميع الانام . وعلى آله البررة الكرام *

اللهم ان بابك لم يزل مفتوحا للسائلين . ورفدك ما برح مبذولا للوافدين من عودته مسألتك وحدك لم يسأل أحدا سواك . ومن منحته منائح رفدك لم يفد على غيرك ولم يحتم الا بحماك أنت الرب العظيم الكريم الاكرم باب غيرك على عبادك محرم . أنت الذي لا اله غيرك ولا معبود سواك . عز جارك . وجل ثناؤك . وتقدست أسماؤك . لم تزل سنتك في خلقك جارية بامتحان أوليائك وأحبابك . فضلا منك عليهم . واحسانا من لدنك اليهم ليزدادوا لك في جميع الحالات ذكرا . ولأنعمك في جميع التقلبات شكرا . ولكن أكثر الناس لا يعلمون . وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون . اللهم أنت العالم الذي لا يعلم . وأنت الكريم الذي لا يبخل قد علمت ياعالم السر والعلانية ان قلوبنا لم تزل برفع اخلاص الدعاء صادقة . والسنتنا في حالتي السر والعلانية ناطقة ان تمتعنا بامداد هذه الدولة المباركة الميمونية السلطانية الناصرية بمزيد العلى والرفعة والتمكين وان تحقق آمالنا فيها باعلاء الكلمة في ذلك رفع قواعد دعائم الدين . وقمع مكائد الملحدين لانها الدولة التي برئت من غشيان الجنف والحيف وسلمت من طغيان القلم والسيف . والذي عهده المسلمون وتعوده المؤمنون . من المراحم الكريمة والعواطف الرحيمة . أكرام أهل الدين . وأعظام علماء المسلمين . والذي حمل على رفع هذه الادعية الصريحة الى الحضرة الشريفة . وان كانت لم تزل مرفوعة الى الله

سبحانه وتعالى بالسنة صحيحة قوله صلى الله عليه وسلم الدين النصيحة . قيل لمن يارسول الله قال لله ولرسوله ولائمة المسلمين وعامتهم . وقوله صلى الله عليه وسلم الاعمال بالنيات . وهذان الحديثان المشهوران بالصحة مستفاضان فى الامة . ثم ان هذا الشيخ المعظم الجليل . والامام المكرم النبيل أوحد الدهر . وفريد العصر . طراز المملكة المكية وعلم الدولة السلطانية لو أقسم مقتسم بالعظيم القدير ان هذا الامام الكبير ليس له في عصره مماثل ولا نظير . لكانت يمينه برة غنية عن التكفير . وقد خلت من وجود مثله السبع الاقاليم الا هذا الاقليم . يوافق على ذلك كل منصف جبل على الطبع السليم . ولسنا بالثناء عليه نطريه . بل لو أطنب مطنب فى مدحه والثناء عليه لما أتى على بعض الفضائل التى فيه أحمد بن تيمية انه يتيمة يتنافس فيها تشترى ولا تباع ليس فى خزائن الملوك ان عاثلها ويواخيها انقطعت عن وجود الاطماع . لقد أصم الاسماع . وأوهى قوى المتبوعين والاتباع سماع رفع أبى العباس أحمد بن تيمية الى القلاع . وليس يقع من مثله أمر ينقم منه عليه الا ان يكون أمراً تدلس عليه . ونسب الى مالا ينسب مثله اليه والتطويل على الحضرة العالية لا يليق . ان يكن فى الدنيا قطب فهو القطب على التحقيق . وقد نصب الله السلطان أعلى الله شأنه في هذا الزمان منصب يوسف الصديق لما صرف الله وجوه أهل البلاد اليه . حيث أمحلت البلاد واحتاج أهلها الى القوت المدخر لديه . والحاجة بالناس الآن الى قوت الارواح الروحانية . أعظم من حاجتهم فى ذلك الزمان الي طعم الجثث الجسمانية . واقوات الارواح المشار اليها لاحقا انها العلوم الشريفة والمعانى اللطيفة . وقد كانت بلاد المملكة السلطانية حرسها الله تعالى بكمال الثناء جزافا بغير ايمان . منحة عظيمة من الله ذى السلطان . ونعمة جسيمة اذ خص بلاد مملكته وأقليم دولته بما لا يوجد فى غيرها . من الاقاليم والبلدان . وقد كان وفد الوافدين من سائر الامصار فوجدوا صاحب صواع الملك قد رفع الي القلاع . ومثل هذه الميرة لا توجد في غير تلك البلاد لتشترى أو تباع . وصادف ذلك جدب الارض ونواحيها جدبا أعطب أهاليها . حتى صاروا من شدة حاجتهم الى الاقوات كالاموات . والذى عرض للمليك بالتضييق على صاحب صواعه مع شدة الحاجة الى غذاء الارواح . لعله لم يتحقق عنده ان هذا الامام من أكابر الاولياء وأعيان أهل الصلاح . وهذه نزغة من نزغات الشيطان قال الله سبحانه وقل لعبادى يقولوا التى هى

أحسن ان الشيطان ينزغ بينهم ان الشيطان كان للانسان عدوا مبينا . وأما ازدراء بعض العلماء عليه فى فتواه وجوابه عن مسألة شد الرحال الى زيارة القبور . فقد حمل جواب علماء هـذه البلاد الى نظرائهم من العلماء وقرنائهم من الفضلاء . وكلهم أفتى ان الصواب فى الذى به أجاب والظاهر من الامام . ان اكرام هذا الامام . ومعاملته بالتبجيل والاحترام فيه من قوام الملك ونظام الدولة واعزاز الملة واستجلاب الدعاء وكبت الاعداء واذلال أهل البدع والاهواء . وأحياء الامة . وكشف الغمة . ووفور الاجر . وعلو الذكر ودفع الباس . ونفع الناس . ولسان حال المسلمين . الى قول الكبير المتعال . ولما دخلوا عليـه قالوا يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر وجئنا ببضاعة مزجاة فاوف لنا الكيل وتصـدق علينا ان الله يجزى المتصـدقين . والبضاعة المزجاة هى هذه الاوراق المرقومة بالاقلام . والميرة المطلوبة الافراج عن شيخ الاسلام . والذى حمل على هذا الاقدام . قوله عليه السلام الدين النصيحة والسلام *

كتاب آخر لعلماء بغداد

وفيـه بعـد البسملة والحمدلة اللهم فـكما أيدت ملوك الاسلام وولاة الامر بالقوة والقهر وشيدت لهم ذكراً وجعلتهم للمقهور اللائذ بجنابهم ركنا وللمكسور العائذ باكناف بابهم جـبرا فاشدد اللهم منه بحسن معونتك لهم أسراً وأعل لهم مجداً وارفع لهم قدراً وزدهم عزاً وعلى اعدائهم نصراً وأمنحهم توفيقاً مسددا وتمكينا مستمرا (وبعد) فانه لما قرع اسماع أهل البلاد الشرقية والنواحى العراقيـة التضييق على شيخ الاسلام أبى العباس تقى الدين أحمد ابن تيمية سلمه الله تعالى عظم ذلك على المسلمين وشق على ذوى الدين وارتفعت رؤوس الملحدين وطابت نفوس أهل الاهواء والمبتدعين ولما رأى علماء أهل هذه الناحية عظم هـذه النازلة من شماتة أصحاب البدع وأهل الاهواء باكابر الافاضل وأئمة العلماء انهوا حال هذا الامر الفظيع والحال الشنيع الى الحضرة الشريفة السلطانية زادها الله شرفا وكتبوا أجوبتهم فى تصويب ما اجاب به الشيخ سلمه الله تعالى فى فتاواه وذكروا من علمه وفضائله بعض ماهو فيه وحملوا ذلك بين يدى مولانا ملك الامراء أعز الله انصاره وضاعف اقتداره غيرة منه على هذا الدين . ونصيحة للاسلام وأمراء المسلمين . والآراء المولوية العاليـة أولى بالتقديم . لانها ممنوحة بالهداية الى الصراط المستقيم *

﴿ قلت ﴾ والظاهر ان هذه الكتب لم تصل للسلطان الملك الناصر أما لعدم من يوصلها له أو لموت الشيخ قبل وصولها . والا لظهر لها نتيجة ولم أقف على ذلك وهذه الاجوبة والكتب وصلت كلها الى دمشق *

﴿ ثم ان الشيخ رحمه الله ﴾ استمر مقيما بالقلعة سنتين وثلاثة أشهر واياما الى ان توفى ومازال فى تلك المدة معظما مكرما يكرمه نقيب القلعة ونائبها اكراماً كثيراً ويقضيان حوائجه ويبالغان فى قضائها وما برح فى هذه المدة مكبا على العبادة والتلاوة وتصنيف الكتب والرد على المخالفين وكتب على تفسير القرآن جملة كثيرة تشتمل على نفائس جليلة ونكت دقيقة ومعانى لطيفة وبين فى ذلك مواضع كثيرة اشكلت على خلق من علماء أهل التفسير وكتب فى المسألة التى حبس بسببها عدة مجلدات منها كتاب فى الرد على الاخنائى قاضي المالكية . ومنها كتاب كبير حافل فى الرد على بعض قضاة الشافعية . وأشياء كثيرة في هذا المعني . وكان ماصنفه فى هذه المدة قد خرج بعضه من عنده وكتبه بعض أصحابه وظهر واشتهر . فلما كان قبل وفاته بشهر ورد مرسوم باخراج ما عنده كله ولم يبق عنده كتاب ولا ورق ولادواة ولا قلم وكان بعد ذلك اذا كتب ورقة الى بعض أصحابه كتبها بفحم . ولما اخرج ماعنده من الكتب والاوراق حمل الى القاضي علاء الدين القونوى وجعل تحت يده فى المدرسة العادليه *

فصل فى ذكر وفاة الشيخ ابن تيمية رحمه الله تعالى

قال أهل التاريخ كان مولد الشيخ ابن تيمية يوم الاثنين عاشر ربيع الاول بحران سنة احدى وستين وستمائة . وكانت وفاته ليلة الاثنين لعشرين من ذى القعدة . سنة ثمان وعشرين وسبعمائة . ولما أخرجت كتبه من عنده أقبل بعد اخراجها على العبادة والتلاوة والذكر والتهجد حتى أتاه اليقين وكان يختم القرآن فى كل عشرة أيام . وختم القرآن مدة اقامته بالقلعة احدى وثمانين ختمة انتهى في آخر ختمة الى آخر اقتربت ان المتقين فى جنات ونهر فى مقعد صدق عند مليك مقتدر ثم كملت عليه بعد وفاته وهو مسجي . وكانت مدة مرضه بضعة وعشرين يوما . وكان اذ ذاك الملك شمس الدين الوزير بدمشق المحروسة . فلما علم بمرضه استاذن فى الدخول عليه لعيادته فاذن الشيخ له في ذلك . فلما جلس عنده أخذ يعتذر له عن نفسه ويلتمس منه ان يحلله مما عساه ان يكون قد وقع منه في حقه من تقصير أو غيره *

فاجابه الشيخ رضى الله تعالي عنه انى قد احللتك وجميع من عادانى وهو لايعلم انى على الحق وقال مامعناه انى قد أحللت السلطان المعظم الملك الناصر من حبسه اياى لكونه فعل ذلك مقلدا غيره معذورا ولم يفعله لحظ نفسه . بل لما بلغه مما ظنه حقا من مبلغه والله يعلم انه بخلافه . وقد أحللت كل احد مما بيني وبينه الامن كان عدوا لله ورسوله صلى الله عليه وسلم

﴿ وأ كثر الناس ﴾ ما علموا بمرضه فلم يفجأ موته الخلق الا بغتة . قال الشيخ علم الدين وفى ليلة الاثنين لعشرين من ذى القعدة من سنة ثمان وعشرين وسبعمائة توفى الشيخ الامام العلامة الفقيه الحافظ الزاهد القدوة شيخ الاسلام تقى الدين أبو العباس أحمد ابن شيخنا الامام المفتى شهاب الدين أبى المحاسن عبد الحليم ابن الشيخ الامام شيخ الاسلام مجد الدين أبى البركات عبد السلام بن عبد الله بن القاسم بن محمد بن تيمية الحرانى ثم الدمشقى بقلعة دمشق بالقاعة التى كان محبوساً فيها فاشتد التأسف عليه وكثر البكاء والحزن . ودخل عليه أقاربه وأصحابه وازدحم الخلق على باب القلعة والطرقات وامتلأ جامع دمشق . وحضر جمع كثير الى القلعة فأذن لهم فى الدخول وجلس جماعة عنده قبل الغسل وقرؤا القرآن وتبركوا برؤيته وتقبيله ثم انصرفوا . وحضر جماعة من النساء ففعلوا مثل ذلك . ثم انصرفوا واقتصر على من يغسله ويعين في غسله . وشرب جماعة الماء الذى فضل من غسله وازدحم من حضر غسله من الخاصة والعامة على الماء المنفصل من غسله حتى حصل لكل واحد منهم شئ قليل . واقتسم جماعة بقية السدر الذى غسل به . وقيل ان الطاقية التي كانت على رأسه دفع بها خمسمائة درهم والخيط الذى فيه الزئبق وكان فى عنقه بسبب القمل دفع فيه مائة وخمسون درهما . فلما فرغوا من ذلك أخرج وقد اجتمع الناس بالقلعة والطريق الى جامع دمشق وامتلأ الجامع وصحنه والكلاسين وباب البريد وباب الساعات الى اللبادين والفوارة . ولم يبق في دمشق من يستطيع المجئ للصلاة عليه الاحضر لذلك حتى غلقت الاسواق بدمشق وعطلت معائشها حينئذ وحصل للناس بمصابه أمر شغلهم عن غالب أمورهم وأسبابهم وخرج الامراء والرؤساء والعلماء والفقهاء والاتراك والاجناد والرجال والنساء والصبيان من الخواص والعوام قال بعض من حضر ولم يتخلف أحد فيما أعلم الا ثلاثة أنفس كانوا قد اشتهروا بمعاندته فاختفوا من الناس خوفا على أنفسهم بحيث غلب على ظنهم انهم متى خرجوا رجمهم الناس *

﴿ ولما أخرجت جنازته ﴾ فما هي الا ان رآها الناس فاكبوا عليها وحصل البكاء والضجيج والتضرع واشتد الزحام من كل جانب كل منهم يقصد التبرك حتى خشي على النعش ان يحطم قبل وصوله فاحدق الامراء والاجناد واجتمع الاترك فمنعوا الناس من الزحام عليها خشية سقوطها وجعلوا يردونهم عن الجنازة بكل ما يمكنهم وهم لا يزدادون الا زحاما وكثرة حتى دخلت جامع بنى أمية المحروس ظنا منهم انه يسع الناس فبقى كثير من الناس خارج الجامع فصلى عليه رضى الله تعالى عنه بجامع دمشق عقب صلاة الظهر وكان صلى عليه أولا فى القلعة فقدم فى الصلاة عليه الشيخ محمد بن تمام ثم حمل الى باب البريد على ايدى الكبراء والاشراف الى ظاهر دمشق واشتد الزحام والقى الناس على نعشه مناديلهم وعمائمهم للتبرك وخرج الناس من الجامع من أبوابه كلها من شدة الزحام وكل باب أعظم زحمة من الآخر ثم خرج الناس من أبواب البلد جميعها من شدة الزحام لكن المعظم من الابواب الاربعة باب الفرج الذي خرجت منه الجنازة ومن باب الفراديس وباب النصر وباب الجابية فلما خرجوا به لظاهر دمشق وضع بارض فسيحة متسعة الاطراف فصلى عليه الناس أيضا وتقدم فى الصلاة عليه هناك أخوه زين الدين عبد الرحمن قال بعض من حضر من الثقاة كنت ممن صلى عليه فى الجامع وكان لى متشرف على المكان الذى صلى عليه فيه بظاهر دمشق فاحببت ان انظر الي الناس وكثرتهم فاشرفت عليهم حال الصلاة وجعلت انظر يمينا وشمالا ولا أدرى أواخرهم بل رأيت الناس قد طبقوا تلك الارض كلها *

واتفق جماعة ممن حضر وشاهد الناس والمصلين عليه على انهم يزيدون على نحو من خمسمائة ألف وحضرها نساء كثير بحيث حزرن بخمسة عشر ألفا قال أهل التاريخ لم يسمع بجنازة تمثل هذا الجمع الا جنازة الامام أحمد بن حنبل قال الدارقطنى سمعت أبا سهل ابن زياد القطان يقول سمعت عبد الله بن أحمد بن حنبل يقول سمعت أبي يقول قولوا لاهل البدع بيننا وبينكم الجنائز قال أبو عبد الرحمن السلمي انه حزر الحزارون المصلين على جنازة أحمد فبلغ العدد بحزرهم ألف ألف وسبعمائة ألف ألف سوي الذين كانوا في السفن ثم حملت جنازة الشيخ الى قبره في مقبرة الصوفية فوضع وقد جاء الملك شمس الدين الوزير ولم يكن حاضرا قبل ذلك فصلى عليه أيضا ومن معه من الامراء والكبراء ومن شاء الله من الناس ثم دفن وقت العصر

الى جانب أخيه الشيخ الامام العلامة البارع الحافظ الزاهد العابد الورع جمال الاسلام شرف الدين وكان قد توفى سنة سبع وعشرين فى أيام حبس أخيه تقى الدين وصلى عليه فى جامع دمشق ثم حمل الى باب القلعة فصلى عليه مرة أخرى وصلى عليه اخواه تقى الدين وزين الدين وخلق من داخل القلعة وكان الصوت بالتكبير يبلغهم وكثر البكاء فى تلك الساعة وكان وقتا مشهودا ثم صلى عليه مرة ثالثة ورابعة وحضر جنازته جمع كثير وعالم عظيم وكثر الثناء والتأسف عليه واثنى عليه الشيخ كمال الدين بن الزملكانى. فقال شرف الدين بارع فى فنون عديدة من الفقه والنحو والاصول ملازم لانواع الخير وتعليم العلم حسن العبادة قوى فى دينه جيد التفقه مستحضر لمذهبه استحضارا جيدا مليح البحث صحيح الذهن قوى الفهم رحمه الله تعالى ﴿ فلما دفن ﴾ الشيخ تقى الدين الى جانب أخيه جعل الناس يأتون قبره للصلوة عليه من القرى والاطراف والاماكن والبلاد مشاة وركبانا وتردد الناس الى قبره أياما كثيرة ليلا ونهارا ورؤيت له منامات كثيرة صالحة قال الحافظ الشيخ سراج الدين البزار وما وصل خبر موته الى بلد فيما نعلم الا وصلى عليه فى جميع جوامعه ومجامعه خصوصا أرض مصر ودمشق والعراق وتبريز والبصرة وقراها وغيرها وختمت له الختمات الكثيرة فى الليالى والايام في أماكن كثيرة لم يضبط عددها خصوصا بدمشق ومصر والعراق حتى جعل كثير من الناس القراءة له وادار الربعة الشريفة على الناس للقراءة واهدائها له وظيفة معتادة قال ولم ير في جنازة ماروى في جنازته من الوقار والهيبة والعظمة والجلالة وتعظيم الناس لها وتوقيرهم اياها وتفخيمهم أمر صاحبها وثنائهم عليه بما كان عليه من العلم والعمل والزهادة والعبادة والاعراض عن الدنيا والاشتغال بالآخرة والفقر وايثار الكرم والمروة والصبر والثبات والشجاعة والفراسة والاقدام فى الصدع بالحق والاغلاظ على اعداء الله ورسوله والمنحرفين عن دينه والتواضع لاولياء الله والتذلل لهم والاكرام والاعتذار والاحترام لجنابهم وعدم الاكتراث بالدنيا وزخرفها ونعيمها ولذاتها وشدة الرغبة في الآخرة والمواظبة على طلبها حتى سمع ذلك ونحوه من الرجال والنساء والصبيان . وكل منهم يثنى عليه بما يعلمه من ذلك رضى الله عنه وارضاه ونفعنا به في الدنيا والآخرة . آمين *

هذا . (وقد قال الحافظ) ابن عبد الهادي ابن قدامة فى مناقبه بعد ان اطال الكلام عليها .

وللشيخ فضائل كثيرة وأسماء مصنفاته وسيرته وما جرى بينه وبين الفقهاء والدولة والمتصوفة وحبسه مرات وأحواله لايحتمل ذكر جميعها هذا الكتاب انتهى *

﴿ فصل فيما رثى به الشيخ من القصائد بعد موته وذلك كثير لا ينحصر ﴾

ولما مات الشيخ ابن تيمية رحمه الله رثاه كثير من الفضلاء والائمة العلماء بقصائد جمة لايسع هذا المختصر ذكرها . قال الشيخ الامام ابن فضل الله العمرى رثاه جماعات من الناس بالشام ومصر والعراق والحجاز والغرب . نسأل فضل رحمة الله عليه . وها أنا أذكر شيئا من ذلك في هذا المختصر *

﴿ فمنها ﴾ ماقاله الشيخ القاضي الامام العالم شهاب الدين أبو العباس أحمد بن فضل الله العمرى الشافعي نثرا ونظما في حق الشيخ قال في كلام طويل ورفع الى السلطان غير مامرة ورمى بالكبائر . وتربصت به الدوائر . وسعى به ليؤخذ بالجرائر . وحسده من لم ينل سعيه وكثر فارتاب . وما تم وما زاد على انه اغتاب . وازعج من وطنه تارة الى مصر ثم الى الاسكندرية وتارة الى محابس القلعة فى دمشق وفى جميعها يودع أخبية السجون . ويلدغ بزباني المنون . وهو على لينظر صحفه . ويدخر تحفه . حتى تستهدى اطراف البلاد طرفه . وتستطلع بقايا الاقاليم شرفه الى ان خطفه آخر مرة من سجنه عقاب المنايا . وجذبته الى مهواتها قرارة الرذايا وكان قبل موته قد منع الدواة والقلم . وطبع على قلبه منه طابع الالم . فكان مبدأ مرضه ومنشأ برضه . حتى نزل قفار المقابر . وترك فقار المنابر . وحل بساحل ربه وما يحاذر . واختار راحة قلبه من اللائم والعاذر . فمات وما مات لا بل حيّ وعرف قدره لان مثله ماروى . مابرى على المآثر الى ان ضريحه أحله . وأتاه بشير الجنة يستعجله . فانتقل الى الله والظن به انه لايخجله . وكان يوم دفنه يوما مشهودا . ووقتا معدودا . ضاقت به البلد وظواهرها . وتذكرت به أوائل الرذايا وأواخرها . ولم يكن أعظم منها منذ مئين من السنين جنازة رفعت على الرقاب . ووطئت في زحامها الاعقاب . وصار مرفوعا على الرؤس متبوعا بالنفوس . تحدوه العبرات . وتتبعه الزفرات . وتقول له الامم لافقدت من غائب . ولا قلامه النافعة لا بعد كن الله من شجرات . كان أمة وحده وفردا حتى نزل لحده ثم قال

أهكذا بالدياجي يحجب القمر * ويحبس النوء حتى يحبس المطر

أهكذا تمنع الشمس المنيرة عن * منافع الارض أحيانا فتستتر
أهكذا السيف لا تمضي مضاربه * والسيف في الفتك ما في عزمه خور
أهكذا القوس يرمى بالعراء وما * تصمى الرمايا وما في باعها قصر
أهكذا يترك البحر الخضم ولا * يلوى عليه وفي اصدافه الدرر
أهكذا تبقى الدين قد عبثت * أيدى العدا وتعدى نحوه الضرر
الى ابن تيمية ترمي سهام أذى * من الانام ويدمى الناب والظفر
بر السوابق ممتد العبادة لا * يناله ملل فيها ولا ضجر
ولم يكن مثله بعد الصحابة في * علم عظيم وزهد ماله خطر
طريقة كان يمشي قبل مشيته * بها أبو بكر الصديق أو عمر
فرد المذاهب في أقوال أربعة * جاؤا على أثر السباق وابتدروا
لما بنوا قبله عليا مذاهبهم * بنى وعمر منها مثل ما عمروا
مثل الائمة قد أحيا زمانهم * كانه كان فيهم وهو منتظر
ان يرفعوهم جميعا رفع مبتدأ * فحقه الرفع أيضا انه خبر
أمثله بينكم يلقى بمضيعة * حتى يطيح له عمدا دم هدر
يكون وهو أماني لغيركم * تنوبه منكم الاحداث والغير
والله لو انه في غير ارضكم * لكان منكم على أبوابه زمر
مثل ابن تيمية ينسى بمحبسه * حتى يموت ولم يكحل به بصر
مثل ابن تيمية ترضى حواسده * بحبسه ولكم في حبسه غدر
مثل ابن تيمية في السجن معتقل * والسجن كالغمد وهو الصارم الذكر
مثل ابن تيمية يرمى بكل أذى * وليس يجلى قذى منه ولا نظر
مثل ابن تيمية تذوى خمائله * وليس يلقط من أفنانه الزهر
مثل ابن تيمية شمس تغيب سدى * وما ترق بها الاصال والبكر
مثل ابن تيمية يمضي وما عبقت * بمسكه العاطر الاردان والطرر
مثل ابن تيمية يمضي وما نهلت * له سيوف ولا خطية سمر

ولا تجاري له خيل مسومة * وجوه فرسانها الاوضاح والغرر
ولا تحف الابطال دائرة * كأنهم أنجم في وسطها قمر
ولا تعبس حرب في مواقعه * يوما ويضحك في أرجائها الظفر
حتى يقوم هذا الدين من ميل * ويستقيم على منهاجه البر
بل هكذا السلف الابرار ما برحوا * يبلى اصطبارهم جهدا وهم صبر
تأس بالانبياء الطهر كم بلغت * فيهم مضرة أقوام وكم هجروا
في يوسف في دخول السجن منقبة * لمن يكابد ما يلقى ويصطبر
ما أهملوا أبدا بل أمهلوا لمدي * والله يعقب تأييدا وينتصر
أيذهب المنهل الصافي وما نقعت * به الظماء ويبقى الحماة الكدر
مضى حميدا ولم يعلق به وضر * وكلهم وضر في الناس أو ضرر
طود من الحلم لا يرقى له قنن * كأنما الطود من أحجاره حجر
بحر من العلم قد فاضت بقيته * فغاضت الابحر العظمى وما شعروا
ياليت شعرى هل في الحاسدين له * نظيره في جميع القوم ان ذكروا
هل فيهم لحديث المصطفى أحد * يميز النقد أو يروى له خبر
هل فيهم من يضم البحث في نظر * أو مثله من يضم البحث والنظر
هلا جمعتم له من قومكم ملأ * كفعل فرعون مع موسى ليعتذروا
قولوا لهم قال هذا فابحثوا معه * قدامنا وانظروا الحمال ان قدروا
يلقى الاباطيل أسحار الهاد هش * فليلقف الحق ما قالوا وما سحروا
فليتهم مثل ذاك الرهط من ملأ * حتى يكون لكم في شأنهم عبر
وليتهم أذعنوا للحق مثلهم * فآمنوا كلهم من بعد ما كفروا
يا طالما نفروا عنه مجانبة * وليتهم نفعوا في الضيم أو نفروا
هل فيهم صادع للحق مقوله * أو خائض للوغى والحرب تستعر
رمى الى نحو غازان مواجهة * سهامه من دعاء عونه القدر
بتل راهط والاعداء قد غلبوا * على الشام وطال الشر والشرر

وشق فى المرج والاسياف مصلتة * طوائفا كلها أو بعضها نتر
هذا وأعداؤه في الدور أشجعهم * مثل النساء بظل الباب مستتر
وبعدها كسروان والجبال وقد * أقام أطوادها والطود منفطر
واستحصد القوم بالاسياف جهدهم * وطا المابطر واطفوى وما نظروا
قالوا قبرناه قلنا ان ذا عجب * حقا الكوكب الدرى قد قبروا
وليس يذهب معنى منه منتقد * وانما تذهب الاجسام والصور
لم يبكه ندما من لم يصب دما * يجرى به ديما تهمى وتنهمر
لهفى عليك أبي العباس كم كرم * لما قضيت قضى من عمره العمر
سقى ثراك من الوسمى صيبه * وزار مغناك قطر كله قطر
ولا يزال له برق يغازله * حلو المراشف فى أجفانه حور
لفقد مثلك يامن ماله مثل * تأسى المحاريب والآيات والسور
ياوارثا من علوم الانبياء نهى * أورثت قلبي نارا وقدها الفكر
ياواحدا لست أستثني به أحدا * من الانام ولا أبقى ولا أزر
ياعالما بنقول الفقه أجمعها * أعنك تحفظ زلات كما ذكروا
ياقامع البدع اللاتي تجنبها * أهل الزمان وهذا البدو والحضر
ومرشد الفرقة الضلال نهجهم * من الطريق فلا حاروا ولا سهروا
ألم تكن للنصارى واليهود معا * مجادلا اذ هم فى البحث قد حقروا
وكم فتى جاهل غر ابنت له * رشد المقال فزال الجهل والغرر
ما انكروا منك الا انهم جهلوا * عظيم قدرك لكن ساعد القدر
قالوا بانك قد أخطأت مسألة * وقد يكون فهلا منك تغتفر
غلطت فى الدهر أو أخطأت واحدة * أما أجدت اصابات فتعتذر
ومن يكون على التحقيق مجتهدا * له الثواب على الحالين لاورز
ألم تكن باحاديث النبي اذا * سئلت تعرف ما تبقى وما تذر
حاشاك من شبهة فيها ومن شبه * كلاهما منك لا يبقى له أثر

عليك في البحث ان تبدي غوامضه * وما عليك اذا لم تفهم البقر
قدمت لله ماقدمت من عمل * وما عليك بهم ذموك أو شكروا
هل كان مثلك من يخفي عليك هدى * ومن سمائك تبدو الانجم الزهر
وكيف تحذر من شئ تذل به
أنت التقي فماذا الخوف والحذر

﴿ ومنها ﴾ للعلامة أبي حفص عمر بن الوردى الشافعي ناظم البهجة عليه الرحمة *

قلوب الناس قاسية سلاط * وليس لها الى العليا نشاط
اينشد قط بعد وفاة حبر * لنا من نثر جوهره التقاط
تقي الدين ذو ورع وعلم * خروق المعضلات به تخاط
توفى وهو مسجون فريد * وليس له الى الدنيا انبساط
ولو حضروه حين قضى لالفوا * ملائكة النعيم به أحاطوا
قضى نحبا وليس له قرين * ولا لنظيره لف القماط
فتى في علمه أضحى فريدا * وحل المشكلات به نياط
وكان الى التقي يدعو البرايا * وينهى فرقة فسقوا ولاطوا
وكان الجن تفرق من سطاه * بوعظ للقلوب هو السياط
فيا لله ما قد ضم لحد * ويالله ماغطى البلاط
هم حسدوه لما لم ينالوا * مناقبه فقد مكروا وشاطوا
وكانوا عن طريقته كسالى * ولكن في اذاه لهم نشاط
وحبس الدر في الاصداف فخر * وعند الشيخ بالسجن اغتباط
بآل الهاشمي له اقتداء * فقد ذاقوا المنون ولم يواطوا
بنوا تيمية كانوا فبانوا * نجوم العلم أدركها انهباط
ولكن يا ندامة حاسديه * فشك الشرك كان به يماط
ويافرح اليهود بما فعلتم * فان الضد يعجبه الخباط
ألم يك فيكم رجل رشيد * يرى سجن الامام فيستشاط

امام لا ولاية كان يرجوا * ولا وقف عليه ولا رباط
ولا جارا لكم فى كسب مال * ولم يعهد له بكم اختلاط
ففيم سجنتموه وغظتموه * أما لجزا اذيته اشتراط
وسجن الشيخ لا يرضاه مثلى * ففيه لقدر مثلكم انحطاط
أما والله لولا كتم سرى * وخوف الشر لانحل الرباط
وكنت أقول ما عندى ولكن * لاهل العلم ما حسن اشتطاط
فما أحد الى الانصاف يدعو * وكل في هواه له انخراط
سيظهر قصدكم يا حابسيه * ويهنيكم اذا نصب الصراط
فها هو مات عنكم واسترحتم * فعاطوا ما أردتم ان تعاطوا
وحلوا واعقدوا من غير رد * عليكم وانطوى ذاك البساط

﴿ ومما ينسب اليه أيضا ﴾

كان والله فقيها عالما * ذا عفاف وتقي مايتهم
غير لم يدر مداراة الوري * ومداراة الورى أمر مهم

﴿ ومنها ﴾ للشيخ الامام محمد العراقى الجزرى رضى الله تعالى عنه آمين *

عز عندى يوم الرحيل العزاء * لنعيّ فيها الدموع دماء
طرق الخافقين خطب جسيم * أطرقت منه فى الورى العلماء
خفت ان ترهق السماء وكادت * ترجف الارض أوتمور السماء
فقد المسلمون قطب المعالى * فبكته الاغواث والاولياء
كسف النيرين فقدك يا أحمـ * ـد حقا وغابت الجوزاء
أظلمت جلق التى كنت فيها * وأضاءت بغيرك البيداء
يا طليق اللسان فى كل فن * فلقد شرفت بك العلياء
ان تكن مت فالعلوم التى أحيـ * ـت من بعد موتها أحياء
مدحت فهمك الحروف جلالا * وكذاك الافعال والاسماء
يا مزيل الاشكال عن كل فهم * وله عن كل ذلة اغضاء

لا الصباح صباح بعدك عندى * فى ضياء ولا المساء مساء
ما حضرت الجدال بين أناس * يقرؤن الحديث الا وفاءوا
أنت صخر الوجود فى كل أرض * والبرايا جميعها الخنساء
من لعلم التفسير فيما رواه * جابر او مجاهد أو عطاء
عطلت بعدك الدروس فمافيها * لرب الفهم السقيم شفاء
من لعلم الفتيا اذا اشتبه الا * مر وحارت فى ردها الاذكياء
من لعلم الحديث بعدك فيما * قاله الواصفون والاتقياء
طاهر الاصل كم حويت خصالا * قصرت عن فروعها الفصحاء
من تكن هذه السجايا سجاياه * فلا تشتفى به الاعداء
كل ميت يكون مثل تقى الدين * فالموت عنده أحياء
أيها القبر ان فيك لبحرا * جللته مهابة وضياء
وجلال وعفة ووقار * وجمال وبهجة وسناء
تعست ليلة الفراق وغابت * أنجم أشرقت لها لألاء
نعت الناعيات نعيك فى الا * فق وناحت فى دوحها الورقاء
أيها الحبر أوحش الآن ربع * كنت فيه ومنزل وفناء
هان قدر الحمراء عندك من ز * هدك واستحقرت لك البيضاء
ونبذت الدنيا فعشت فقيرا * بصفات تودها الاغنياء
يا ابن تيمية الذي حزن الدهر * عليه وغاضت الانواء
كنت انسان عين دهرك لا تع * رف حقا الا لك الاشياء
خضت بحرا ما فيه الا امام * ذو اجتهاد ولكن عداك العداء
كنت فى ذروة السنام من العلم * وما قلت للانام سواء
ضاق ذرع الزمان منك فناء * ليت شعرى هل ضاق منك الفضاء
واذا حلت المنية يوما * بنفيس فليس يغنى الاساء
نضر الله وجهك يا حسن المن * ظر يا من له السنى والسناء

وسقى الله روضة أنت فيها * ساريات تجري بها النكباء
وعلا قبرك النجار فقيصوم * ورند وفاح منه الكباء
رضى الله عنك حيا وميتا * وسقى ربعك المصون الحياء
قسما بالاله لو انصف الد * هر لاضحى فى كل بيت عزاء

﴿ ومنها للشيخ علاء الدين بن غنام رحمه الله تعالى ﴾

أى حبر مضى وأسيء امام * فجعت فيه ملة الاسلام
ابن تيمية التقى امام الـ * ـعصر من كان شامة فى الشام
بحر علم قد غاض من بعد ما فا * ض نداه وعم بالانعام
زاهد عابد تنزه في دنـ * ـياه عما بها من حطام
كان كنزا لكل طالب علم * ولمن خاف ان يرى فى حرام
ولعاف قد جاء يشكو من الفقر * لديه ينال كل مرام
حاز علما فما له من مساو * فيه من عالم ولا من مسام
لم يكن فى الدنيا له من نظير * فى جميع العلوم والاحكام
كم له فى حنادس الخطب والناس * نيام حتى الضحي من قيام
وجميع الانام من شدة الخوف * نيام من الردى فى منام
وبنو فارس قد افترسوا الناس * افتراس الاسود سرح الحوامي
ودمشق الشام بعد انبساط * من ضواحى رستاقها في انضمام
اذ غزانا على العلوج غزاة * وغزانا من فارس بالطغام
فاعاد العزيز منا ذليلا * ذا صغار ينقاد كالانعام
فنضاه الجبار جل ثناه * فى وجوه العدا كحد الحسام
فحمانا بالله من كل طاغ * لا برمح وصارم وحسام
يا له حين فر كل كمى * من حماة الاسلام عنا يحامى
يا ابن تيمية عليك خصوصا * وعموما تحيتى وسلامى
يا سليل العلى عليك القوافي * قد بكت في الطروس والاقلام

يافقيد المثال علما وحلما * وقريب المرمى بعيد المرام
يابطىء الاحجام ان عز خطب * وكثير القيام جنح الظلام
كف طرفي ان لذ من بعد الا * ترك أجفانه لذيذ المنام
وبودى لفقد شخصك لوحا * م على ايكة حمام حمامي
ولعمرى يامن له في فؤادى * لحد ذكر دوامه في دوامي
ان حللت الثرى فروحك حلت * يا ابن عبد السلام دار السلام
فسقى تربة حواك ثراها * كل مزن بوابل ورهام
واذا سحت السوادى سح * والغوادي جدناك بالدمع دام

ومنها لمحمود بن الاثير الحلبي عليه الرحمة

يادموعي سحي كسح الغمام * هاطلات على الخدود سجام
لفراق الشيخ الامام المفدى * ابن تيمية ونجل الكرام
زاهد عابد تقى نقى * فهمه لايقاس بالافهام
ابن تيمية يتيمة دهر * ماله من مساوم ومسام
جمعت فيه أهل كل البرايا * جمعها للعلوم والاحكام
أوحد في العلوم والفضل والز * هد لايرانى في ملة الاسلام
بحر علم يغوص كل لبيب * في معانيه حار كل الانام
فاق بالعلم والفضائل للخلق * فاضحى امام كل امام
ان يكن غاب شخصه وتوارى * ومضت روحه لدار السلام
فمناقبه والفضائل تبقى * في ممر الدهور والاعوام
سيد قد علا بعلم وحلم * فعداه لديه كالانعام
كم رماه الحساد بالكيد والبغي * وهو لاينثنى عن الاقدام
طالب الحق لايخاف لحنق * وهو يحمى عن ذروة الاسلام
لايخاف الملوك أيضا ولا الخلا * ق ولا لعداة واللوام
صدره للعلوم والقلب للرب * ويداه للبذل والانعام

لاتلمنى على المديح ودعنى * فهو شيخى وبغيتى ومرامي
كل من مات فى هواه بوجد * ما عليه فى حتفه من ملام

ومنها للشيخ الامام زين الدين عمر بن الحسام الشبيلي رحمه الله تعالى

لو كان يقنعنى عليك بكائى * لجرت سوابق عبرتى بدماء
أو كنت فى يوم انتقالك للبلى * صخرا لزدت على بكا الخنساء
لكن أصبر عنك نفسي كاتما * للحزن خوف شماتة الاعداء
أترى علمت وانت أفضل عالم * ما عندنا من لوعة وبلاء
أسفى على تلك الديانة والتقى * والجود اذن شمله بتناء
أسفى عليك وما التأسف نافع * صبا عليك مفلفل الاحشاء
أسفى عليك نفى الكرى عن ناظرى * من فرط احزان وفرط عناء
غاضت بحار العلم بعدك والو * رى فى غفلة ياسيد العلماء
بابي وحيدا مات منفردا عن الـ * أحباب كان بقية الصلحاء
بحر العلوم حوى الفضائل كلها * وسما بسمو كواكب الجوزاء
متفرد في كل علم دونه * لعلو رتبته ذرى العلياء
بالفضل قد شهدت له اعدائه * وبه سما فضلا على النظراء
شيخ العلوم وتابع السلف الالى * تبعوا الرسول بشدة ورخاء
وامام أهل الارض والمبدى لهم * سنن الهدى عن صحة الانباء
ذوالصالحات وذوالشجاعة والتقى * والجود والبركات والآلاء
من كان لايثني لطالب جوده * حتى يبلغه لكل رجاء
يجفوا المضاجع راكعا أوساجدا * أو ذاكرا لله في الظلماء
كالصبر فى حنك العدو مذاقه * والشهد من شهد الى الجلساء
المانح البحر الغمام العالم الـ * حبر الامام وحجة الفقهاء
الواهب المال الجزيل وغامر الـ * ضيف النزيل بوافر النعماء
المحسن الكافي السؤال وحاسم الـ * داء العضال وكاشف الغماء

صدر المدارس والمجالس أحمد الـ * محمود فى عوْد وفى ابداء
واذا المسائل فى الفتاوى أفحمت * أهل العلوم وحجبت بخفاء
وأتت تقي الدين أظهر ما اختفى * منها وابداه لعين الرائي
فيرى سماها في الخفاء بكشفه * كالشمس مشرقة بصحو سماء
ويرى البصير الحق فيما قاله * والحق لايخفى على البصراء
سجنوه خشية ان يرى متبدلا * صونا فنال منازل الشهداء
للمؤمنين له وعند عدوهم * ذل الكثير وعزة الخلفاء
فى المحدثين أتى بفضل باهر * ومناقب اربت على القدماء
أي خاشع أى شاكر أي ذاكر * لله في الاصباح والامساء
أي زاهد أى حامد أي باذل * للمسلمين نصائح النصحاء
خير الصفات صفاته وثناؤه * بالجود بين الناس خير ثناء
ويظل يسأل جوده عن سائل * ذى فاقة ليبره بعطاء
وتراه يشرق وجهه متهللا * للسائلين له شروق ذكاء
بادى التبسم عند بذل نواله * لطفا الى الفقراء والضعفاء
ازري على فضل البرامكة الالى * وطوت مكارمه حديث الطائى
من جاء يسأله يشاهد عنده * بذل الملوك وعيشة الفقراء
يربى على سح السحائب جوده * وكذا تكون مواهب الكرماء
والجود يرفع أهله بين الورى * ابدا ويهوى البخل بالبخلاء
وله اذا صدم القتال شجاعة * قامت بنصر الدين فى الهيجاء
سل عنه غازانا وسل امراءه * لما اتو بطلائع الاسراء
والمغل قد ملكوا البلاد وأهلها * كم قد من عات بغير عناء
وكذا تعجب والتتار قد اقبلوا * بالطم فى اسم بغير مراء
والمسلمون على النزول قد اجمعوا * والمغل عنهم نظرة للرائي
من حرض السلطان والامراء على * ترك النزول سواه عند مساء

قال أثبتوا فلكم دليل النصر قد * وافى فكان النصر عند لقاء
واتى جبال الكسروان فاذنت * بدمارها من بعد طول بغاء
وله بكل مدينة ذكر اتى * كالمسك فهو معطر الارجاء
سير اذا نظمتها سارت بها الـ * ركبان دون قصائد الشعراء
واذا امام المسلمين وشيخهم * ولى وعز على عزاه عزائى
ادعوا اله العرش يجمع بيننا * فى جنة الفردوس فهو رجائى
وعليه من رب السما تحية * تبقى له ابدا بغير فناء

﴿ ومنها للشيخ جمال الدين عبد الصمد بن ابراهيم البغدادى الحنبلى المعروف بابن الحصرى ﴾

عش ما تشا فان آخره الفنا * الموت مالا بد منه ولا غنا
والدهران يوما اعان فطالما * بالسو اعان فعونه عين العنا
لا بد من يوم يسوقك حتفه * حتما تأى الاجل المقدر او دنا
للنفس سهم من سهام نوائب * يرمى فيصمى من هناك ومن هنا
من غره الامد المقدر فانه * عز لان طمامه لن يهتنا
شمس الحيدة بضيفن ومشيبه * ضيف يجر من المنية ضيفنا
من حين اوجدكان نفس وجوده * فى الكون بالعدم المحقق موزنا
يا من يعد الدهر صاحب دهره * ويعد فيه للاقامة موطنا
او ما رأيت الموت كيف سطا بمن * فى الخلق عن محض العلوم تكونا
ندب مباح الصدر حظر بعده * فلم استحال وكان شيئا ممكنا
بذا الانام مع الدان [1] فضله * اذا لم يكن لسوى التقى متزينا
ترك الجميع على الجموع فلم يهب * تلك الجموع ولا استراب ولا ونا
ولكم مقامات له فى الحق لا * بيض الظبا يخشى ولا سمر القنا
بالعرف يأمرنا هيا عن منكر * متقربا وهو البعيد عن الخنا
ما حال عن نهج الصواب ولا اعتدى * وبغير تحصيل الفضائل ما اعتنى
اما تبارزه تجده مبرزا * فى اى علم شئت حبرا متقنا

(١) كذا بالاصل ولعله الدانى

واذا تجاريه فماء السيل ان لما جرى فى بحثه متفننا
متزهدا متعبدا متهجدا متخشعا متورعا متدينا
فى كل عصر سيد هو حجة الـ باري على كل الخلائق فى الدنا
وترى احق من استحق محامدا من للامامة لم يزل متعينا
شيخ الانام وحجة الاسلام من اغناه نشر الذكر عن ذكر الكنى
اعنى ابا العباس احمد بل تقي الدين حقا والعليم الممنا
فى الله ليس يخاف لومة لائم ويرى النوي فيها نهايات المنى
لما تحقق ان كل مخلق يفنى وان كان النفيس المثمنا
لم يدخر قوتا لاجل غد ولا ابقى له ارثا سوى حسن الثنا
صدر حوى فى صدره لكماله من كل علم معنوى معدنا
ظهرت امارات الولاية بعده وانثال ينصح بالحقائق موقنا
واسمع مقالة احمد متوعدا اعداؤه يوم الجنائز بيننا
فاحق ما يبكى عليه فقده ما موت هذا الحبر رُزأً هينا
فيض النفوس يقل فيه تأسفا واعن عيونا فض فيه اعينا
يامن اعاد اولى التشوق علمه خرسا وانطق بالثناء ألسنا
يادوحة الفضل التى فى أصلها طيب وزاكى أصلها حلو الجنا
يا حبر بل يا بحر كم حيرت من حبر فصير ذا الفصاحة الكنا
يا خاتم الفضلاء علمك معجز بهر الورى فصددت عنه مومنا
ان كان ذا حفظ فوقتك اضيق عنه ولو كان الزمان له إنا
لكنه من فضل من هو قاذف بالحق من نور الولاية والسنا
أسست بنيانا على تقوى ورضـ وان فللاسمى قد ارتفع البنا
غبرت يا من لا يشق غباره فى اوجه الفضلاء قدما قبلنا
جاهدت فى ذات المهيمن صابرا عند الاذى فاتت بشارات الهنا
ان الذين يجاهدون عدونا فينا لنهديهم الينا سبلنا

والله قد اثنى على العلماء فى * نص الكتاب وانت اول من عنى
لا غرو ان كنت ابتليت بحاسد * فالحر ممتحن بأولاد الزنا
اشكو اليك وانت أصل شكايتى * من فرط ضر فى افتقارك مستنا
قد عبرت عبراتنا عن حزننا * وبما نجن من الجوى نطق الضنا
سقيا لتلك الروح من سحب الرضا * وتبوات جنات عدن مسكنا
لو كان فيها الموت يقبل فدية * كان الانام فدى واولهم انا

ومنها للشيخ شهاب الدين أبي العباس أحمد بن عبد الكريم بن انو شروان التبريزي الحنفى عليه الرحمة

صبرا جميلا فالمصاب كبير * كادت جبال الارض منه تمور
وجسيم خطب قد علا كل الورى * فقد الضياء واظلم الديجور
وانهد ركن فضائل وفواضل * فعليهما ركن الاسى معمور
وعلى تقى الدين أحزان الورى * لسحائب الدمع الغزير تثيرا
لولا ابتغاء الاجر لم يحمد على * صبر على هذا المصاب صبور
افلت شموس المكرمات واظلم الا * شام المنير وزال عنه النور
نور الفتى التيمى والقطب الذى * فلك العلوم عليه كان يدور
حبر به كان الزمان ومن به * يزهو ويشرق فى الدجى وينير
علم التعبد والتزهد والتقى * فى سائر الدنيا له منشور
ورسوخه فى كل علم نافع * لحديثه بين الورى مشهور
قد كان صدرا فى الصدور فمذ نأى * ضاقت على صدر الصدور صدور
لا غرو ان فاضت عليه مدامع * حرا وان قصمت عليه ظهور
تبكي السماء عليه والارض التي * بصفائها لفراقه تكدير
وبكى مصلاه ومنبره ومو * ضع درسه والجامع المعمور
وبكى الغمام لفقده وتفطرت * عن أعين تجرى عليه صخور
وكذاك ربات الخدور بكينه * وتهتكت منها عليه ستور

نشرت له العذبات بانات اللوى * عوض الشعور وما لهن شعور
وعليه نحن على الاراك حمائم * يندبنه أسفا وهن طيور
فالصب ان صب المدامع بعد من * يهوى ومات فانه معذور
والناس فى حزن عليه وانه * عبد بلقيا ربه مسرور
غار الاله عليه من أغياره * فزواه عنهم والمحب غيور
فخلا به يتلو عليه كلامه * وله الحبيب مؤانس وسمير
حتى اذا اشتد التشوق زفه * زف العروس وذيلها مجرور
وشعار كل مشيع لسريره الـ * تسبيح والتهليل والتكبير
ولقد سرى فوق الرقاب سريره * فعجبت كيف الراسيات تسير
ما كنت أعلم قبل يوم وفاته * ان البحار الزاخرات تغور
ولقد سرت لسريره لماسري * سير لها حتى النشور نشور
تفنى الليالى والزمان وذكره * متجدد بين الورى مذكور
قد كان فى الدنيا هلالا لانحا * كل اليه بالبنان يشير
وكذا جنازته تعالى الله لم * ينظر لها فى العالمين نظير
ومن العجائب انها نطقت على * صمت بما هو كامن مستور
ان المشيع للجنازة لم يعد * الا وسائر ذنبه مغفور
هذا هو الفضل المبين وهذه * نعم عليها ربنا مشكور
لا أوحش الله الوجود من الذي * أنست به في الموحشات قبور
والى جنان الله راحت روحه * يلقاه منها بهجة وسرور
طوبى لميت جاور القبر الذى * فيه فتى تيمية مقبور
بل فاز نزال ثووا بجنابه * ان الكريم نزيله مغفور
فينال حتى الحشر من بركاته * وعليه تنزل رحمة وحبور
يارب فاجمع بيننا فى جنة الـ * مأوى فانت لما تشاء قدير

﴿ وله رحمه الله تعالى ﴾

عم المصاب فلا تبكوا بغير دم * على ابن تيمة ذى العلم والحكم
حبر البرية ولى وهو فى دعة * وكل جفن فلا يبكى عليه عمى
لو ان كل تقي فى الانام فدى * نفس الامام تقى الدين لم يلم
اذا تذكره من كان يألفه * يهزه الشوق من فرق الى قدم
ياثلمة ثلمت فى الدين واتسعت * فلست حتى اللقا والحشر تلتئمى
هيهات هل تسمح الدنيا بمثل فتى * تيمية أو يرى فى عالم الحلم
كانت به تفخر الدنيا وقد بقيت * به تفاخر أجداث وذو رمم
فالعلم والحلم والتقوى بهن غدا * فى الناس أشهر من نار على علم
والزهد فى زخرف الدنيا وزينتها * من وصفه كان مضموما الى الكرم
مولى على حبه الارواح قد جبلت * ولست فى القول والدعوى بمتهم
ماذاك الا لما قد كان خصصه * به الاله من الاخلاق والشيم
من للمسائل قد أعيت فيوضحها * وضوح برق لموع لاح في الظلم
كالبحر يزخران بث العلوم وكالا * سيل الذى مده صوب من الديم
ماان رأى الناس أبهى من جنازته * لما استقلت على الاعناق والقمم
وحوله وهو يجلى كالعروس على * سريره امم ناهيك من امم
أظمى الانام اليه حجبه فبدا * على السرير فرواهم بدممهم
بكى عليه مصلاه ومنبره * وفي الخدور بكته أعين الحرم
والارض تبكى عليه والسماء كذا * قد جاء عن سيد الاعراب والعجم
لانه العالم الحبر الذي أبدا * تتلى مناقبه جهرا بكل فم
هذا هو المجد حق الافتخار به * لا بالتكاثر والاموال والحشم
ياجنة الخلد وافيه مزخرفة * وأنت يانار أشواق الورى اضطرمي
وياشموس العلى غيبي لغيبته * ويا مبانى المعالى بعده انهدمى
فاعظم الله أجر الفاقدين له * الواجدين ذوى الاخلاص كلهم
وأكرم الله مثواه ومضجعه * بوابل من سحاب الجود والكرم

وهى طويلة أربعة وثلاثون بيتا . وله فى الشيخ مراثى أخر . وللفاضل برهان الدين ولد شهاب الدين التبريزى الحنفى المتقدم ذكره عليهما الرحمة *

جودي بانسجام الدمع يامقلة العاني * الى ان تروي الارض من فيض أجفاني
وذق يافؤادى كل يوم وليلة * مرارة اشواق ولوعة أشجاني
الى ان أرى وجه ابن تيمية الذى * به الله من أهل الضلالة نجاني
ومن لى بان ألقاه والموت قد اتى * فغيبه فى الترب عن كل انسان
فيا وحشة الدنيا لانوار وجهه * ويالهف اخوان عليه وجيران
يحق لعين لا ترجي لقاءه * الى الحشر ان ينهل مدمعها القاني
لقد عم أهل الارض رزء مصابه * ولم ينج فيهم منه قاص ولا دان
لقد كان فى الدنيا به ذات بهجة * ونور واشراق وروح وريحان
وما كان الا آية في زمانه * وفى كل فضل حاز ليس له ثان
امام هدى يدعو الى سبل ربه * دعاء نصوح مشفق غير خوان
فمذهبه ما جاء عن خير مرسل * وأصحابه والتابعين باحسان
أتى بعلوم حيرت كل واصف * على انه يهدى بها كل حيران
فكم مبطل وافاه يبغي جدا له * فانصفه في البحث من غير عدوان
ويكشف عنه شبهة بعد شبهة * الى ان يبين الحق أحسن تبيان
فيصبح عن تلك المقالة معرضا * ولو كان من أحبار سوء ورهبان
يغار على الاسلام من كل بدعة * وما زال منهاها دما كل بنيان
وفى الله لم تأخذه لومة لائم * ولم يخش مخلوقا من الانس والجان
ولم ينتقم في الدهر يوما لنفسه * ولكنه يؤذى فيعفو عن الجاني
واما سماح الكف فالبحر دونه * ولم يك في بذل العطاء بمنان
ولو وزنوا أهل الشجاعة كلهم * به رجح الشجعان فى كل ميزان
فمن جاهد الاعداء في الدين مثله * ومن سل سيف العزم في وجه غازان
ومن قال للناس أثبتوا يوم شقحب * فان الاعادى في انهزام وخذلان

فمن خشي الرحمن بالغيب واتقى * اله البرايا خافه كل سلطان
وماضره ان طال فى السجن مكثه * اذا كان فى نسك وطاعة رحمن
منيبا الى مولاه يقطع وقته * بنقل حديث أو بتفسير قرآن
ولم يك مشغوفا بحب رياسة * ولا شد بغلات ولا حسن غلمان
ولا كان مشغولا بجاه ومنصب * ولا رفع بنيان ولا غرس بستان
ولكن بعلم نافع وعبادة * وزهد واخلاص وصبر وايمان
وفى موته قد كان للناس عبرة * لما شاهدوا من غير زور وبهتان
اذا انتشروا مثل الجراد وكادان * تزيغ عقول من رجال ونسوان
وسار على أعناقهم نحو قبره * يجاور مولى ذا امتنان وغفران
الى الذهب الغالى دعاه الهه * وذاك له خير من الخزف الفانى
دعاه الى جنات عدن وطيبها * ومتعته فيها بحور وولدان
فنسأل رب العرش يجمع شملنا * به فى جنان الخلد من قبل حرمان
ويجبرنا بعد انكسار قلوبنا * ويروى برؤيا وجهه كل ظمآن

﴿ ومنها لبعض الفضلاء من جند مصر أرسلها بعد عرضها على الامام أبي حيان النحوى ﴾

خطب دها فبكى له الاسلام * وبكت لعظم بكائه الايام
وبكت لعبرتها السماء فامطرت * فى غير فصل تسمح الاعوام
وبكت له الارض الجليدة بعدما * أضحى عليها وحشة وقتام
وتزلزلت كل القلوب لفقده * وتواترت من بعده الالام
وتفجع الدين القويم لفقده * وبقى غريبا يبتلى ويضام
مذمات ناصره الذي أوصافه * أبدا تكون على سواه حرام
لتقى دين الله وصف باهر * وخصائص خضعت له الافهام
ومواهب من ذى الجلال تمده * ليتم فخر شامخ ومقام
وعزا تقي الدين أحمد ماله * حد فتحمل فقده الاجسام
العالم الحبر الامام ومن غدا * فى راحتيه من العلوم زمام

ذو المنصب الاعلى الذي نصبت له * فى الارض فى اقطارها الاعلام
بحر العلوم وكنز كل فضيلة * فى الدهر فرد في الزمان امام
حبر تخيره الامام لدينه * ختم لاعلام الهدى وختام
فوفي باحكام الكتاب وكم له * فى نص توحيد الاله قيام
والسنة البيضاء أحيا ميتها * فغدا عليها حرمة وذمام
وامات من بدع الضلال عوائدا * لا يستطيع لدفعها الصمصام
أين الفضائل والمعارف والذي * لا تهتدي لفنونه الاوهام
وأناله رب السموات العلى * في العلم سيفاً ما اليه مرام
ونعوته فى العلم قول محمد * صلى عليه الخالق العلام
ان المنزه ربنا سبحانه * يقضى بما تاتى به الاحكام
يبدى لكم فى كل قرن قادم * للدين من يهدى به الاقوام
فلئن تأخر في القرون لثامن * فلقد تقدم فى العلوم امام
فاق القرون سوى الثلاث فانها * خير القرون بربهن تمام
وسوي ابن حنبل انه علم الهدى * حبر امام صابر قوام
لكن أحمد مثل أحمد قد حوى * علما وزهدا فى العلوم لوام
حدث بلا حرج وقل عن زهده * ما شئت لارد ولا آثام
هجر المطاعم والملابس والدنا * ولعزمه فى تركها احزام
ترك المآكل والمنام ولا يرى * لبنى الدنا فى قلبه اعظام
وتراه يصمت لالعي دائما * الا لعلم يقتنى ويرام
واذا تكلم لا يراجع هيبة * وسكينة وكلامه ابرام
ألقى عليه مهابة من ربه * فخطابه الاجلال والاكرام
واذا رأى فترى الرجال ذليلة * فكأنها فى نفسها احلام
بشر يعظم بالقلوب وقدره * أبدا يعظم بعد وهو غلام
منن يخص بها المهيمن من يشا * من خلقه والجاهلون نيام

وجفا العباد لشغله بحبيبه * فوداده للاقربين سلام
وله مقام فى الوصول لربه * ومكانة نطقت بها الاغنام
وله فتوح من غيوب الهه * وتحزن وتمكن وكلام
وتصوف وتعشق وتعفف * وقراءة وعبادة وصيام
وعناية وحماية ووقاية * وصيانة وامانة ومقام
وله كرامات سمت وتعددت * ولها على مر الدهور دوام
من رد من أرض الشام بعزمه * من صد وجه الكفر وهو حسام
من رد غازان الهمام بحسرة * من خلص الاسرى وهم أيتام
من قام بالفتح المبين مؤيدا * في كسروان وهم طغاة عظام
من جد فى بدع الضلالة حربه * فاذا لهم بعد الرضاع فطام
من سار فى سنن الرسول ونصرها * حتى استقر لامرهن نظام
من قام فى خذل الصليب ودينه * لما تداعوا للانام وقاموا
فوهوا وردوا خائبين بذلة * وعليهم فوق الوجوه ظلام
فالامر بالمعروف يفقد بعده * والفاعلون النكر ليس يلاموا
فكان اشراط القيامة قد دنت * وانحل من سرج الزمان حزام
فالعلم فينا ليس يقبض دفعة * كلا ولا يأتى حماه حمام
لكن بقبض الراسخين ذهابه * وزواله وبقي زعاع طغام
لله مالاقى تقى الدين من * محن تتابعه وهن ضخام
ومكاره حفت بكل شديدة * ومواقف زلت بها الاقدام
ومكايد نصبت له وحبائل * قصدا اليه فزادها أقدام
فحكى ابن حنبل فى فنون بلائه * بجنان ثبت ليس فيه مذام
وبسجنه وبحصره ونكاله * حتى رثى العذال واللوام
فاراد رب جل جلاله * للقائه مذ خانه الاعدام
وأتاه آتى الموت يخطب نفسه * فاجابه طوعا له القمقام

فخلت منابره وأوحش ربعه * وتهدمت عند الرحيل خيام
وتفجعت كل القلوب لفقده * وعدا عليها حسرة وسقام
ومضت جنازته الشريفة بعدما * سد المسالك صارخ وزحام
وأتت روايات الشام بجمعها * خبرا صحيحا ليس فيه كلام
ان الالى سهدوا الصلوة وشيعوا * والله لا تحصيهم الاقلام
فعليه أفضل رحمة تهدى له * ومن الاله تحية وسلام
ما دامت الافلاك فى دورانها * أو ناح من فوق الغصون حمام

﴿ ومنها للشيخ تقي الدين محمود بن على الوقوقى البغدادى المحدث ولم ير الشيخ ﴾

مضى عالم الدنيا الذى جل فقده واضرم نار في الجوانح بعده
فدمعى طليق فوق خدى مسلسل أكفكف جنبا وجفنى يرده
ويرجو التلاقى والفراق يصده وماحيلة الراجى اذا خاب قصده
مضى الطاهر الاثواب ذو العلم والحجى ولم يتدنس قط بالاثم برده
مضى الزاهد الندب ابن تيمية الذى أقر له بالعلم والفضل ضده
بكته بلاد الشام طرا وأهلها وجامعها وانماع للحزن صلده
يحن اليه فى النهار صيامه ويشتاقه فى ظلمة الليل ورده
ويبكى له نوع الكلام وجنسه ويندبه فصل الخطاب وحده
حمي نفسه الدنيا وعف تكرما ولما يصعر للدنيات خده
ولم يجتمع زوجان من شهواتها لديه وبين الناس قدصح زهده
ويؤثر عن فقر وفيه قناعة ويعجبه من كل شئ أشده
عليم بمنسوخ الحديث وحكمه وناسخه فخر الزمان ومجده
قؤل فعول طيب الخيم طاهر امام له فى كل حكم أشده
فما قال فى دنياه هجرا ولاهوى ولا زاغ عن حق تبين رشده
علوم كنشر المسك من كل سيرة يسدد دين المصطفى ويجده
فلله ما ضم التراب وما حوى من الفضل فليفخر على الارض لحده

فيانعشه ماذا حملت من امرئ ... جميع الورى فيه وفوقك فرده
وكان لنا بحرا من العلم زاخرا ... فما ناله لم يصف من غاب وزده
ومامات من تبقى التصانيف بعده ... مخلدة والعلم والفضل ولده
وخلف آثار احسانا حميدة ... اذا عددت زادت على ماتعده
ولست مطيقا شرح ذاك مفصلا ... ولكن على الاجمال يعكس طرده
لقد فارق الاصحاب منه مصاحبا ... يراعى وداد الخل ان خان وده
قضى نحبه والله راض بفعله ... ولله فيما قد قضى فيه حمده
يدل تراب القبر من جاء زائرا ... اليه بطيب فيه يعبق نده
ولا تحسبوا مافاح عطر حنوطه ... ولكنه حسن الثناء ومجده
وكان لاهل العلم تاجا مكللا ... يحوطهم من مبطل طيف جمده
وما كان الا التبر عند امتحانه ... يبين لعين الحاذق النقد نقده
وكان يقول الحق والحق حلوه ... مرير لهذا كان يكره رده
وفى الحق لم تأخذه لومة لائم ... ولا خاف من غمر يسدد حرده
وما كان الا السيف عارت يد العلى ... عليه فردته كما غار غمده
ولم تلهه الدنيا وزخرفها الذى ... يروق لمن لم يونس الدهر رشده
لقد فقدت منه المحافل زينها ... ولما يفارق علمه الجم وجده
وخضبت الاقلام بعد مداده ... عليه وماقد فاض فى الطرس مده
فلله ماضم الثرى من محقق ... وياللك من عضب قد رق حده
وكان اماما يستضاء بنوره ... وبحرا من الافضال قد غيض عده
وكنت أرجى ان أراه ونلتقى ... ولكن قضاء الله من ذا يرده
ترى الموت مألوف الطباع وربما ... يعلل بالمألوف من لا يوده
فآه على تفريق شمل مجمع ... وحر فؤاد لا يؤمل برده
الا انها نفس وللنفس حسرة ... وقلب وقد يشجى ويضنيه وجده
ولست بناس عهد خل تغيبت ... محاسنه والخل يحفظ عهده

وما عذر جفن لا يجش بدمعه — غداة نأى عنه الصديق ورفده
يروم الامانى والمنايا تصده — وما حيلة الراجى اذا خاب قصده
عليك أبا العباس فاضت مدامعى — وقلبي ببعدى عنك رجح وقره
على مثلك الآن المراثى مباحة — وان غاض دمعى فالدماء تمده
شددت عرى الاسلام شدة عارف — قوى على الاعداء لم يأل جهده
تركت لهم دنياهم ترك عالم — علا قدره عند الاله ومجده
وكنت لمجموع الطوائف مقتدى — وعقدا لهذا الدين أبرم عقده
وكنت ربيعا للمريد وعصمة — فمذ صرت تحت الارض صوح ورده
جمعت علوم الاولين مع التقى — الى الورع الشافى الذى شاع جهده
وكنت تقى الدين معنى وصورة — وقولا وخير القول عندك جده
رحلت وخلفت القلوب جريحة — تذوب وجيش الصبر قد فل جنده
عليك سلام الله حيا وميتا — مدى مابدى نجم واشرق سعده

﴿ وله أيضا رحمه الله تعالى ﴾

قف بالربوع الهامدات وعدد — واذر الدموع الجامدات وبدد
واحبس مطيك فى المنازل ساعة — واسأل ولا تك فى سؤالك معتدى
واقطع علائقك التي هى فتنة — واتبع سبيل أولى الهداية تهتد
ودّع صباك ودع أباطيل المنى — واهجر دنيات الامور وسدد
واقنع من الدنيا القليل ولازم ا — فعل الجميل وسر مسير مجرد
وتوخ فعل الخير واصحب أهله — متجنبا متنحيا فعل الردى
لا تبقين مفارقا يبكى على — أحبابه وارحمه ان لم تسعد
ودع المروع بالبعاد وعذله — فالعدل أمضى من فعال مهند
ماذا الوقوف عن السرى وصحابنا — ساروا وصاروا بالعراء الفرقد
لا اخضر بعدهم العتيق ولا شدت — ورق الحمام فوق برقة ثهمد
اما أنا فلابكين فان ونى — دمعى سفكت حشاشة القلب الصدى

أين المعين على الخطوب اذا عرت … أين المساعد عند فقد المسعد
ومادرى من كنت تعرف اذ مضى … لسبيله فى ضنك لحد موصد
أين المحامى عن شريعة أحمد … أين المحقق نهج مذهب أحمد
مات الامام العالم الحبر الذى … يهدى علاه كل حبر يهتدي
من لليهود وللنصارى بعده … يرميهم بمقالة المتشدد
سل عنه ديان اليهود اما غدا … متلفعاً بصغاره المتهور
نشأت على فعل التقى أطواره … فمنت له التقوى واعطت عن يد
ورث الزهادة كابرا عن كابر … والعلم ارثا سيدا عن سيد
قف ان مررت بقاسيون على ثرى … فيه ضريح العالم المتفرد
واعجب لقبر ضم قبرا زاخرا … بالفضل يقذف بالعلى والسودد
بشر يشير بالغنى من جاءه … يسر يسير فواد عان مذ هدى
كانت به أرض الشآم امنية … من مبطل متهوك صل ردى
لو تستطيع بنات نعش ان يرى … يوما يسير بنعش ميت ملحد
مات الذى جمع العلوم الى التقى … والفضل والورع الصحيح الجيد
شيخ الانام تقى دين محمد … وجمال مذهب ذى الفضائل أحمد
ودعت قلبي يوم جاء بنعيه … فتقاعدى ياعين بى أو فانجدى
سقت العهاد عراص قبر حله … جسد حوى خلقا وحسن تودد
من مبلغ العزال فرط صبابتى … وتملق يوم النوى وتسهدى
مابعد رزئك في الزمان رزية … تصمى المقاتل بالفراق ولا تدي
بددت شمل الملحدين جميعهم … وجمعت شمل ذوى التقى المتبدد
يامن ترى أقواله مبيضة … فى كل ذي قول ووجه اسود
يا كالئ الاسلام من أعدائه … وسمام كل أخى نفاق ملحد
ياواحد الدنيا ويا فرد الورى … أنت الذى جددت دين محمد

الى ان قال

لله درك من امام كامل ... تقفوا الائمة أثره بل تقتدى
صنفت كتبا قد حوت كل الهدى ... وبهديها قد ضل من لا يهتدى
فيها رددت على الفلاسفة الالى ... زاغوا عن الحق الصريح الايدى
وكذا على أهل الكلام وحزبهم ... من كل مبتدع خوان معتدى
فعليك منى الف الف تحية ... تغشى ضريحك ياقرين الفرقد

﴿ وللحافظ الذهبي رحمه الله يرثى الشيخ ﴾

ياموت خذ من أردت أو فدع ... محوت رسم العلوم والورع
أخذت شيخ الاسلام وانقصمت ... عرى التقي واشتفى أولو البدع
غيبت بحرا مفسرا جبلا ... حبرا تقيا مجانب الشبع
فان يحدث فمسلم ثقة ... وان يناظر فصاحب اللمع
وان يخض نحو سيبويه يفه ... بكل معنى فى الفن مخترع
وصار عالى الاسناد حافظه ... كشعبة أو كسعيد الضبعى
والفقه فيه فكان مجتهدا ... وذا جهاد عار من الجذع
وجوده الحاتمى مشتهر ... وزهده القادري فى الطمع
أسكنه الله فى الجنان ولا ... زال عليا فى أجمل الخلع
مع مالك والامام أحمد والـ ... نعمان والشافعي والنخعى
مضى ابن تيمية وموعده ... مع خصمه يوم نفخة الفزع

﴿ وقال أحد أدباء عصره ﴾

أشكو الى الله الملم الملمات ... وما أقاسيه من حزن ولوعات
خف الخليط ودار القاطنين خلت ... وأقفرت منهم أرضي وساحاتى
وأقبلت يوم جد البين فى حلل ... سود سليمي على تلك الليبلات
ياأيها الصب لا تجزع على وطن ... فان للدهر أطوارا وحالات
وجمل النفس بالصبر الجميل ولا ... تذر الدموع على تلك الاويقات
ما كنت أعلم قربى فى محبتهم ... حتي رمتنى الى الابعاد راياتى

فاندب على مامضى من عيشة وصفا ... وابك على ماجرى ياقلبي العاتي
واذكر مصارع قوم كيف قد شربوا ... بعد الزلال بكاسات المنيات
وأنت من بعدهم تسرى كسيرهم ... أما لدار هوان أو بجنات
أقول ماقاله العبد(١) المنيب وقد ... أودى به السجن فى بر وطاعات
﴿أنا الذليل أنا المسكين ذو شجن ... انا الفقير الى رب السموات﴾
مازال يتبع آثار الرسول على الـ ... ـنهج القويم باعلام الدلالات
يهوى لسنته يعنى بشرعته ... يرعى لحرمته فى كل ساعات
قطب الزمان وتاج الناس كلهم ... روح المعانى حوى كل العبادات
حبر الوجود فريد في معارفه ... أفنى بسيف الهدي أهل الضلالات
حوى من المصطفى علما ومعرفة ... وجاءه منه أمداد النوالات
ماجاءه سائل الا ويمنحه ... اما بجود واما بالمدارات
ماذا أقول وقولى فيه منحصر ... فى وصف أخلاقه كلت عباراتى
فى علمه ما علمنا من يناسبه ... الا أئمتنا أهل العنايات
فى جوده ماوجدنا من يشاكله ... غير البرامك كانوا فى سعادات
فى زهده ماسمعنا من يشاكله ... الا رجال مضوا أهل الكرامات
يجود وهو فقير ان ذا عجب ... هذا الذى ماسمعنا فى الحكايات
تلوح شمس المعالى في شمائله ... وفى صفا وجهه نور الهدايات
بحر المعارف تاهوا فى بدايته ... أهل المعانى وأرباب الهنايات
قطب الحقائق حاروا فى فضائله ... أهل التصوف أصحاب الرياضات
أعجوبة الدهر فرد فى مظاهره ... علامة الوقت فى الماضى وفى الآتى

(١) يشير بذلك الى قصيدة الشيخ التى قالها فى السجن ومطلعها

أنا الفقير الي رب السموات ... أنا المسكين فى مجموع حالاتى
أنا الظلوم لنفسى وهى ظالمتى ... والخير ان جاءنا من عنده يأتي
لا استطيع لنفسى جلب منفعة ... ولا عن النفس فى دفع المضرات
وليس لى دونه مولى يدبرني ... ولا شفيع الى رب السموات
والفقر لى وصف لازم ابدا ... كما الغنى ابدا وصف له ذاتى

يالهف قلبي على من كان مجمعنا ... على فنون المعانى والاشارات
فارقت من كان يرويني برؤيته ... اذا تبدى به اسرز العبارات
يروى الاحاديث عن سكان كاظمة ... فيطرب الكون من طيب الروايات
ويطنب الذكر فى احسان حسنهم ... فيرقص القلب شوقا نحو ساداتي
أفضى الى الله والجنات مسكنه ... عليه من ربه أذكى تحيات
ثم السلام على المختار ماهمت ... سحب الغمام وجادت بالزيادات
والحمد لله حمدا لا انقطاع له ... أرجو به من الهي محو زلاتي

﴿ قال العلامة الشيخ مرعى الحنبلى ﴾ وهذا آخر ما أردنا جمعه من بعض مناقب شيخ الاسلام ابن تيمية وبعض مراثيه على سبيل التلخيص والاختصار رضى الله عنه وارضاه . ونفعنا به واعاد علينا من بركته وبركات علومه آمين . ثم قال *

﴿ خاتمة نصيحة موعظة ﴾

قد علمت أيدك الله مما مر من سيرة الشيخ ومناقبه وغزارة علمه وقوة جهاده واتصافه بكل فعل جميل كشهادة الائمة له وثنائهم عليه نثراً ونظما حيا وميتا وانه من كبار الأئمة المحققين . وعلماء الامة العاملين الراسخين . وا كابر الاولياء العارفين بشهادة الامامين الجليلين ابى حنيفة والشافعي حيث قالا اذا لم تكن العلماء أولياء الله فليس لله ولى . لا سيما وقد شهد له غير واحد من الائمة . مع ما أعطاه الله من العلم والعمل والزهادة والعبادة ووقوفه مع الكتاب والسنة لا يميله عنهما قول أحد كائنا من كان كما مر فى مناقبه . هذا وقد تكلم فيه وبغى عليه من لا يخاف الله واستحل الوقوع فى عرضه ونسبه لقبائح هو منها برئ . وترى كثيرا من الجهلة المتهوكين ينسبونه بغير علم لما لا يحل لهم ان ينسبوا اليه أعظم الجاهلين . فكيف بمن هو من العلماء الراسخين وأئمة الدين والذاب عن شريعة سيد المرسلين . أترى هذا المفتري لم يسمع قول النبي صلى الله عليه وسلم فى خطبة حجة الوداع ان دماءكم وأموالكم واعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا في بلدكم هذا . الا هل بلغت. رواه البخارى والمسلم وروى مسلم أيضا عن ابي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه وماله . او مادرى هذا المتهوك بلسانه قول الحافظ ابن

عساكر لحوم العلماء مسمومة وهتك استار منقصتهم معلومة . وقوله أيضا لحوم العلماء سم من شمها مرض ومن ذاقها مات . او ما بلغ هذا المتجرى أنه قد جاء النهى عن ذكر مساوى الاموات وذكر محاسنهم . فمن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذكروا موتاكم وكفوا عن مساويهم رواه ابو داود والترمذى وابن أبي الدنيا . وعن عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا الاموات فانهم قد افضوا الى ما قدموا رواه الامام أحمد والبخارى والنسائي . وفي رواية أخرى لا تذكروا موتاكم الا بخير ان يكونوا من أهل الجنة تأثموا وان يكونوا من أهل النار فحسبهم ماهم فيه . فلا يجوز لمن يؤمن بالله تعالى واليوم الآخر ان يثلم عرض أحد من المسلمين بما لا يليق فكيف بائمة المسلمين وورثة النبيين . فكيف بالاموات منهم[1] قال الشيخ تاج الدين السبكي ينبغى لك أيها المسترشد ان تسلك سبيل الادب مع جميع الائمة الماضين وان لا تنظر الى كلام الناس فيهم الا ببرهان واضح . ثم ان قدرت على التأويل وتحسين الظن بحسب قدرتك فافعل والا فاضرب صفحا عما جرى بينهم . فانك ياأخى لم تخلق لمثل هذا وانما خلقت للاشتغال بما يعنيك من أمر دينك . قال ولا يزال الطالب نبيلا حتى يخوض فيما جرى بين الامة فتلحقه الكآبة وظلمة الوجه انتهى *

فان طعن على الشيخ ابن تيمية رحمه الله من حيث العقيدة فعقيدته عقيدة السلف كما وقع الاتفاق على ذلك وقت المناظرة فليطعن على السلف من طعن فيه . وان طعن عليه من حيث افتائه بمسألة الطلاق الثلاث في كونه اوقع من ثلاث طلقات مجموعة او متفرقة قبل رجعت طلقة واحدة فهو مجتهد ولا يجوز الطعن على المجتهد فيما ذهب اليه مما قام عليه الدليل عنده بل يجب عليه العمل به على ان مسألة الطلاق قال بها غيره من اكابر الصحابة والتابعين كما هو مروى عن عليّ ابن ابى طالب والزبير بن العوام وعبد الرحمن بن عوف وابن مسعود وابن عباس وقال

---

(١) عجبا للشيخ مرعي كيف يستدل على مطالبه هذا بقول ابن السبكى وهو ووالده واضرابهم سنوا القدح فى شيخ الاسلام وتبعهم ابن حجر المكى ومن سن سنة سيئة فى الاسلام فعليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة ويقال لابن السبكى عامله الله بعدله

يا ايها الرجل المعلم غيره * هلا لنفسك كان ذا التعليم
ابدأ بنفسك فانهها عن غيها * فاذا انتهت عنه فانت حليم

قوله ثلاث لا معنى له لانه لم يطلق ثلاث مرات . وقال به عطاء وطاوس وعمرو بن دينار وسعيد بن جبير وابو الشعثاء ومحمد بن اسحق والحجاج بن ارطاة وقال به . من شيوخ قرطبة جماعة منهم محمد بن عبد الحسين فقيه عصره واصبغ بن الحباب وغيرهم (وان كان الطمن) فيه من حيث تحريمه زيارة قبور الصالحين وغيرهم فهو كذب وافتراء عليه فانه لا يمنع ذلك . وانما حكي قولين فيمن شد الرحال لزيارتها ورجح النهى تبعا لطائفة من الائمة المجتهدين والحجة فى ذلك قوله صلى الله عليه وسلم لا تشد الرحال الا لثلاثة مساجد الحديث . فكيف يسوغ الاعتراض عليه بذلك لا سيما وقد وافقه على ذلك علماء بغداد من رواة المذاهب كلها *

﴿ وقال الشيخ ﴾ الامام الحافظ سراج الدين ابو حفص عمر البزار فى مناقبه ا كثر فى حقه الاقاويل الزور والبهتان . من ظاهر حاله العدالة . وباطنه مشحون بالفسق والجهالة ولم يزل المبتدعون أهل الاهواء . وآكلوا الدنيا بالدين متماضدين متناصرين في عداوته باذلين وسعهم فى السعى بالفتك به . متخرصين عليه الكذب الصريح مختلقين عليه وناسبين اليه مالم يقله . ولم ينقل عنه ولم يوجد بخطه ولا وجد له فى تصنيف ولا فتوي ولا سمع منه فى مجلس . (قال) وسبب عداوتهم له ان مقصودهم الاكبر طلب الجاه والرياسة واقبال الخلق ورأوه قد رقاه الله الي ذروة السنام من ذلك بما اوقع الله له فى قلوب الخاصة والعامة من المواهب التى منحه بها وهم عنها بمعزل فنصبوا انفسهم لعداوته وحسدوه وسعوا به بما سعوا ولم يرقبوا الله واليوم الآخر فكان ما كان (وما ربك بغافل عما يعمل الظالمون) *

﴿ هذا آخر ما وجدناه ﴾ فى كتاب الكواكب الدريه . فى مناقب الامام المجتهد ابن تيميه للعلامة شيخ الفضلاء المتقنين . وعمدة الفقهاء والمحدثين . الشيخ مرعى بن يوسف الكرمى الحنبلي المتوفى سنة ثلاث وثلاثين ومائة . وقال على طرف كتابه مادحا شيخ الاسلام .

امام المعالى والمعاني يعيبه * على فضله من كان في الرتبة الدنيا
ومن ذا يعيب البدر والبحر والهدى * ومن كان فردا بالفضائل في الدنيا
وما ضر نور الشمس ان كان ناظرا * اليه عيون لم تزل دهرها عميا
وهل جاء فى الدنيا كاحمد بعده * وهل حل بدر فى منازله العليا

وبما ذكر في هذه المناقب يتبين أن مصنف جلاء العينين قد سبقه كثير من افاضل العلماء

واساطين الامة فى الذب عن الامام الشيخ تقى الدين ابن تيمية وتخطئة من نسب اليه الابتداع واعترض عليه بما ليس له أصل . ومنه يعلم أيضا ان الزائغ النبهانى قد خاض طينة الخبال فى الاعتراض عليه وعلى من أخذ بيده وذب عنه وفى دعواه أنه على الهدى وان مثل الشيخ تقى الدين ومن كان على منهجه وصراطه المستقيم من أهل البدعة والضلالة . والنبهانى ومن هو على شاكلته من أهل الدنيا مغموررون بالجهل والاعراض عن الآخرة . ومع ذلك تكلموا بما تكلموا . كبرت كلمة تخرج من أفواههم . ومثل هؤلاء ليسوا من فرسان هذا الميدان وكلامهم في هذا الباب فضول من القول لا ينبغي ان يصغى اليه . والله ولى التوفيق . ومنه العصمة من الزلل .

﴿ وربما اعترض معترض ﴾ وعارض الكلام السابق بان الشيخ تقى الدين رضى الله عنه وغيره من الائمة اعترضوا على أقوال غيرهم من الا كابر وضللوا قائليها . وقد حوا فيهم بما هو معلوم لمن طالع كتب الخلاف والجدل . فهلا يقال لهم مثل تلك الموعظة التى ذكرها الشيخ مرعى فى آخر مناقبه والا فما الفرق *

﴿ فالجواب عن هذا الاعتراض ﴾ انما قاله خصماء الشيخ تقي الدين منبعث عن محض هوى لم تقتضه مناظرة ولم يبعث عليه دليل ولا سيما ماذكره السبكي وولده وابن حجر المكى واتباعهم ومقلدوهم . فكل أحد يعلم ان ما نسبوه اليه افتراء وما قدحوه به مجرد شتم للشيخ تقى الدين استوجبه ابطال الشيخ لما تهواه نفوس هؤلاء من البدع والاهواء . والشيخ تقى الدين رضى الله تعالى عنه كان بحثه واعتراضه بما يقتضيه الدليل ومقصوده اظهار الحقائق الدينية لم يكن من مقاصده المكابرة والمجازفة كما هو شأن أئمة أهل العلم الربانيين مثل الائمة الاربعة وأصحابهم وما جرى بينهم من المناظرات والمخالفات *

﴿ وقد رأيت نحو هذا الاعتراض والجواب ﴾ فى كتاب بيان الدليل . على بطلان التحليل من مصنفات الشيخ قدس الله روحه . حيث تكلم على ابطال الحيل بكلام مفصل . ثم ذكر سؤالا وجوابا يتعلق بذلك ونصه *

﴿ فان قيل ﴾ هذه الحيل مما اختلف فيها العلماء فاذا قلد الانسان من يفتى بها فله ذلك والانكار فى مسائل الخلاف غير سائغ لا سيما على من كان متقيدا بمذهب من يرخص فيها أوقد تفقه

فيها ورأى الدليل يقتضى جوازها. وقد شاع العمل بها عن جماعات من الفقهاء والقول بها معزو الى مذهب أبي حنيفة والشافعي وما قاله مثل هؤلاء الائمة لا ينبغي الانكار البليغ فيه لاسيما على من يعتقد ان الائمة المجوزين لها أفضل من غيرهم وقد ترجح عنده متابعة مذهبهم اما على سبيل الالف والاعتياد . أو على طريق النظر والاجتهاد . وهب هذا الاعتقاد باطلا الستم تعرفون فضل هؤلاء الائمة ومكانهم من العلم والفقه والتقوى وكون بعضهم أرجح من غيره أو مساويا له أو قريبا منه . فاذا قلد العامي أو المتفقه واحدا منهم اما على القول بان العامى لا يجب عليه الاجتهاد فى أعيان المفتين أو على القول بوجوبه اذا ترجح عنده ان من يقلده فيها هو الافضل لا سيما ان كان فيها هو المذهب الذى التزمه فلا وجه للانكار عليه الا ان يقال ان المسألة قطعية لا يسوغ فيها الاجتهاد . وهذا ان قيل كان فيه طمن على الائمة بمخالفة القواطع وهذا قدح فى امامتهم . وحاش لله ان يقولوا ما يتضمن مثل هذا . ثم قد يفضى ذلك الى المقابلة بمثله أو بأكثر منه لاسيما ممن يحمله هوى دينه أو دنياه على ما هو أبلغ من ذلك . وفى ذلك خروج عن الاعتصام بحبل الله سبحانه وركوب التفرق المنهى عنه وافساد ذات البين . وحينئذ فتصير مسائل الفقه من باب الاهواء وهذا غير سائغ . وقد علمتم ان السلف كانوا يختلفون في المسائل الفرعية مع بقاء الالفة والعصمة وصلاح ذات البين .

﴿ فأجاب الشيخ رضي الله عنه عن ذلك ﴾ بقوله قلنا نعوذ بالله سبحانه مما يفضي الى الوقيعة فى اعراض الائمة أو انتقاص أحد منهم أو عدم المعرفة بمقاديرهم وفضلهم أو محادتهم وترك محبتهم وموالاتهم . ونرجوا من الله سبحانه ان نكون ممن يحبهم ويواليهم ويعرف من حقوقهم وفضلهم مالا يعرفه أكثر الاتباع وان يكون نصيبنا من ذلك أوفر نصيب واعظم حظ ولا حول ولا قوة الا بالله .

﴿ وقال ﴾ لكن دين الاسلام انما يتم بامرين (أحدهما) معرفة فضل الائمة وحقوقهم ومقاديرهم وترك كل ما يجر الى ثلبهم . (والثانى) النصيحة لله سبحانه ولكتابه ولرسوله ولائمة المسلمين وعامتهم وابانة ما أنزل الله سبحانه من البينات والهدى . ولا منافاة ان الله سبحانه بين القسمين لمن شرح الله صدره وانما يضيق عن ذلك أحد رجلين رجل جاهل بمقاديرهم ومعاذيرهم أو رجل جاهل بالشريعة وأصول الاحكام .

﴿ قال وهذا المقصود يتلخص بوجوه أحدها ﴾ ان الرجل الجليل الذى له فى الاسلام قدم صالح وآثار حسنة وهو من الاسلام وأهله بمكانة علياء قد تكون منه الهفوة والزلة هو فيها معذور بل مأجور لا يجوز ان يتبع فيها مع بقاء مكانته ومنزلته فى قلوب المؤمنين . واعتبر ذلك بمناظرة الامام عبد الله بن المبارك قال كنا فى الكوفة فناظرونى في ذلك يعنى النبيذ المختلف فيه فقلت لهم تعالوا فليحتج المحتج منكم عمن شاء من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم بالرخصة فان لم يبين الرد عليه عن ذلك الرجل بشدة صحت عنه فاحتجوا . فما جاؤا عن أحد برخصة الا جئناهم بشدة فلما لم يبق فى يد أحد منهم الا عبد الله بن مسعود وليس احتجاجهم عنه فى شدة النبيذ بشئ يصح عنه انما يصح عنه انه لم ينبذ له فى الجبر الاخضر .

قال ابن المبارك فقلت للمحتج عنه فى الرخصة يا أحمق عد ان ابن مسعود لو كان ههنا جالسا لقال هولك حلال . وما وصفنا عن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه فى الشدة كان ينبغى لك ان تحذر أو تجبن أو تخشى *

﴿ فقال قائلهم ﴾ يا أبا عبد الرحمن فالنخعى والشعبي وسمى عدة معهما كانوا يشربون الحرام (فقلت لهم) دعوا عند الاحتجاج تسمية الرجال فرب رجل فى الاسلام مناقبه كذا وكذا وعسى ان يكون منه زلة أفلاحد ان يحتج بها . فان ابيتم فما قولكم في عطاء وطاوس وجابر بن زيد وسعيد بن جبير وعكرمة قالوا كانوا خيارا . قلت فما قولكم فى الدرهم بالدرهمين . فقالوا حرام* (فقال) ابن المبارك ان هؤلاء راوه حلالا فماتوا وهم يأكلون الحرام فبهتوا وانقطعت حجتهم . قل ابن المبارك ولقد أخبرني المعيمر بن سليمان قال رآني أبى وأنا أنشد الشعر فقال لى يابنى لا تنشد الشعر فقلت له يا أبه كان الحسن ينشد وكان ابن سيرين ينشد . فقال لى أبى ان أخذت بشر مافى الحسن وبشر مافى ابن سيرين اجتمع فيك الشر كله وهو الذى ذكره ابن المبارك متفق عليه بين العلماء * فانه مامن أحد من أعيان الامة من السابقين الاولين ومن بعدهم الالهم أقوال وأفعال خفى عليهم فيها السنة . وهذا باب واسع لا يحصى مع ان ذلك لا يخض من أقدارهم ولا يسوغ اتباعهم فيها كما قال الله سبحانه فان تنازعتم فى شئ فردوه الى الله والرسول . قال مجاهد والحاكم بن عيينة ومالك وغيرهم ليس أحد من خلق الله الا يؤخذ من قوله ويترك الا النبي صلى الله عليه وسلم . قال سليمان التيمى ان أخذت برخصة كل عالم اجتمع فيك الشر

كله . (قال ابن عبد البر) هذا اجماع لا أعلم فيه خلافا . وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه في هذا المعنى ماينبغي تأمله فروى كثير بن عبد الله بن عمر وعن عوف المزنى عن أبيه عن جده قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انى لاخاف على أمتى من بعدى من أعمال ثلاثة قالوا ماهى يارسول الله قال اخاف عليهم من زلة العالم ومن حكم الجائر ومن هوى متبع . وقال ابن زياد بن جدير قال عمر ثلاث تهدمن الدين زلة عالم وجدال منافق بالقرآن والقرآن حق . وعلى القرآن منار كاعلام الطريق *

وكان معاذ بن جبل يقول فى خطبته كل يوم قلما يخطئه ان يقول ذلك الله حكم قسط هلك المرتابون ان وراءكم فتنا يكثر فيها المال ويفتح فيها القرآن حتى يقرؤه المؤمن والمنافق والمرأة والصبي والاسود والاحمر فيوشك أحدهم ان يقول قد قرأت القرآن فما أظن ان يتبعونى حتى ابتدع لهم غيره فاياكم وما ابتدع فان كل بدعة ضلالة واياكم وزيغة الحكيم فان الشيطان قد يتكلم على الحكيم بكلمة الضلالة وان المنافق قد يقول كلمة الحق فتلقوا الحق عمن جاء به فان على الحق نورا . قالوا كيف زيغة الحكيم قال هى كلمة تروعكم وتنكرونها وتقولون ماهذه فاحذروا زيغته ولا يصدنكم عنه فانه يوشك ان يفئ وان يراجع الحق وان العلم والايمان مكانهما الى يوم القيامة فمن ابتغهما وجدهما . وقال سلمان الفارسى كيف أنتم عند ثلاث . زلة عالم وجدال منافق بالقرآن . ودنيا تقطع أعناقكم . فاما زلة العالم فان اهتدى فلا تقلدوه دينكم تقولون نصنع مثل مايصنع فلان وننتهى عما ينتهى عنه فلان وان اخطأ فلا تقطعوا اياسكم منه فتعينوا عليه الشيطان . وأما مجادلة منافق بالقرآن فان للقرآن منارا كمنار الطريق فما عرفتم منه فخذوا وما لم تعرفوه فكلوه الى الله سبحانه وأما دنيا تقطع أعناقكم فانظروا الى من هو دونكم ولا تنظروا الى من هو فوقكم . وعن ابن عباس قال ويل للاتباع من عثرات العالم . قيل كيف ذاك قال يقول العالم شيئا برأيه ثم يجد من هو أعلم برسول الله منه فيترك قوله ذلك ثم يمضي الاتباع وهذه آثار مشهورة رواها ابن عبد البر وغيره . فاذا كنا قد حذرنا زلة العالم . قيل لنا انها من أخوف ما يخاف علينا وأمرنا مع ذلك ان لانرجع عنه فالواجب على من شرح الله صدره اذا بلغته مقالة ضعيفة عن بعض الائمة ان لايحكيها لمن يتقلدها بل يسكت عن ذكرها ان تيقن صحتها والا توقف فى قبولها فما أكثر مايحكى عن الائمة مالا حقيقة له وكثير من المسائل

يخرجها بعض الاتباع على قاعدة متبوعة مع ان ذلك الامام لو رأى انها تفضي الى ذلك لما التزمها والشاهد يرى مالا يرى الغائب ومن علم فقه الائمة وورعهم علم انهم لو رأوا هذه الحيل وما افضت اليه من التلاعب بالدين لقطع بتحريمها من لم يقطع به أولا انتهى . ثم ذكر رحمه الله تعالى جوابا ثانيا وثالثا ورابعا وخامسا عن ذلك السؤال واطنب في كلامه . والمقصود منه ان يعلم من تكلم الشيخ فيه وكلامه ليس من جنس كلام الغلاة عاملهم الله بعدله فيه . وهم انما تكلموا ذورا وبهتانا واتباعا لهواهم . وشأن اتباع الرسل والعلماء العاملين ان يرضوا لله ويغضبوا لله . وان يتبعوا الكتاب والسنة وان يقبلوا ماوافقهما ويتركوا ما خالفهما . وبذلك تتحقق محبة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم . وبخلاف ماهنالك تكون العداوة »

﴿ وما أحسن ماقال شيخ الاسلام رحمه الله ﴾ في تفسير سورة الكوثر وهو تفسير جليل سورة الكوثر ما أجلها من سورة وأغزر فوائدها على اختصارها . وحقيقة معناها تعلم من آخرها فانه سبحانه يبتر شانئ رسوله من كل خير فيبتر ذكره وأهله وماله فيخسر ذلك في الآخرة ويبتر حياته فلا ينتفع بها ولا يتزود فيها صالحا لمعاده ويبتر قلبه فلا يعي الخير ولا يؤهله لمعرفته ومحبته والايمان برسله . ويبتر أعماله فلا يستعمله في طاعة . ويبتره من الانصار فلا يجد له ناصرا ولا عونا . ويبتره جميع القرب والاعمال الصالحة فلا يذوق لها طعما ولا يجد لها حلاوة . وان باشره بظاهره فقلبه شارد عنها . وهذا جزاء من شنأ بعض ماجاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ورده لاجل هواه أو متبوعه أو شيخه أو أميره أو كبيره كمن شنأ آيات الصفات وأحاديث الصفات وتأولها على غير ما أراد الله ورسوله سفها وظلما على مايوافق مذهبه ومذهب طائفته أو تمنى ان لا تكون آيات الصفات انزلت ولا أحاديث الصفات قالها رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن أقوى علامات شنآنه لها وكراهته لها انه اذا سمعها حين يستدل بها أهل السنة على مادلت عليه من الحق اشمأز من ذلك وحاد عن ذلك . لما في قلبه من البغض لها . فأى شنآن للرسول أعظم من هذا . وكذلك أهل السماع الذين يرقصون على سماع الغناء والقصائد . والدفوف والشبابات . واذا سمعوا القرآن يتلى ويقرأ عليهم في مجالسهم استثقلوا ذلك واستثقلوه . فأى شنآن أعظم من هذا . وقس على هذا سائر الطوائف في هذا الباب . وكذا من آثر كلام الناس وعلومهم على القرآن والسنة فلولا انه شانئ لما جاء به

الرسول مافعل ذلك حتى ان بعضهم لينسى القرآن بعد ان حفظه ، ويشتغل بقول فلان وفلان ولكن من أعظم شنآنه ورده من كفر به وجحده ، وجعله أساطير الاولين وسحر يؤثر ، فهذا أعظم وأطم انبتارا ، وكل من شنأه له نصيب من الانبتار على قدر شنأه له ، فهؤلاء شنؤه وعادوه جازاهم الله بان جعل الخير كله معاديا لهم فبترهم منه ، وخص نبيه صلى الله عليه وسلم بضد ذلك وهو ان أعطاه الكوثر وهو الخير الكثير الذى آتاه الله فى الدنيا والآخرة . فما أعطاه فى الدنيا الهدى والنصر والتأييد . وقرة العين والنفس وانشراح الصدر ، ونعم قلبه بذكره وحبه بحيث لا يشبه نعيمه نعيم فى الدنيا البتة ، وأعطاه في الآخرة الوسيلة والمقام المحمود وجعله أول من يفتح له ولامته باب الجنة ، وأعطاه فى الآخرة لواء الحمد والحوض العظيم فى موقف القيامة الى غير ذلك ، وجعل المؤمنين كلهم أولاده وهو أب لهم ، وهذا ضد حال الابتر الذى يشنأه ويشنأ ماجاء به ، وقوله (ان شانئك) أى مبغضك (هو الابتر) أي المقطوع النسل الذى لا يولد له خير ولا عمل صالح فلا يتولد عنه خير ولا عمل صالح قيل لابى بكر بن عياش ان فى المسجد قوما يجلسون ويجلس اليهم فقال من جلس للناس جلس الناس اليه ولكن أهل السنة يموتون ويحيي ذكرهم ، وأهل البدعة يموتون ويموت ذكرهم لان أهل السنة أحيوا ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأهل البدعه أماتوا ماجاء به الرسول صلى الله عليه وسلم فكان لهم نصيب من قوله ان شانئك هو الابتر ، فالحذر الحذر أيها الرجل من ان تكره شيئا مما جاء به الرسول أو ترده لاجل هواك أو انتصارا لمذهبك أو شيخك أو لاجل اشتغالك بالشهوات أو بالدنيا فان الله لم يوجب على أحد طاعة أحد الا طاعة رسوله صلى الله عليه وسلم والاخذ بما جاء به بحيث لو خالف العبد جميع الخلق واتبع الرسول ما سأله الله تعالى عن مخالفة أحد ، فان كان من اطيع او يطاع انما يطاع تبعا للرسول صلى الله عليه وسلم ولو امر بخلاف ما امر به الرسول ما اطيع ، فاعلم ذلك واسمع واطع واتبع ولا تبتدع تكن ابتر مردودا عملك بل لاخير فى عمل ابتر من الاتباع ولا خير فى عامله انتهى »

فهذه اقوال أهل العلم فيمن انتقص أئمة الهدى وخيار الامة كما فعل النبهاني وابن حجر المكي وسائر الغلاة وقد كشف الله تعالى عن سوآتهم وأراهم سوء منقلبهم هذا بعض مايستحقونه

من عذاب الله وبطشه ولعذاب الآخرة أشد . والنبهانى الغافل ظن ان أهل الحق ليس لهم أعوان ولا انصار سوى مصنف جلاء العينين فأخذ يشنع عليه باقواله الكاسدة وما درى المسكين ان انصار الله لا يحيط بهم نطاق الاحصاء . وما يعلم جنود ربك الا هو نسأله تعالى الهداية الى صراط المستقيم .

﴿ قال النبهانى ﴾ وقد عقد فصلا فى الفرق بين الامامين ابن حجر وابن تيمية . من المعلوم ان كل مذهب من المذاهب الاربعة أهله أعلم وادرى باحوال علماء مذهبهم لكثرة تدقيقهم في أقوالهم وتنقيبهم عن أحوالهم وتتبعهم لمحاسنهم ومساويهم ويروي ذلك خلفهم عن سلفهم ليأخذوا باقوالهم فى المذهب أو يردوها او يعتمدوها او يضعفوها وقد نظرنا الى هذين الامامين ابن حجروابن تيمية فوجدنا ابن حجر اماما فى مذهب الشافعى لا يعاد له فيه أحد من الائمة المتأخرين سوى الشمس الرملى على خلاف بين العلماء فى الترجيح بينهما اما اذا اتفقا على حكم وجب المصير اليه عند كافة علماء مذهب الشافعى على الاطلاق فهذه منزلة ابن حجر فى مذهبه وهى معلومة لا ينكرها أحد ولا يدعى خلافها جاهل فضلا عن عالم ومؤلفاته فى الفقه هى عمدة مذهب الشافعى من عصره الى الآن وكلها محررة مقبولة باجماع أهل مذهبهم وغيرهم وهى كثيرة واكثرها مطولات فى عدة مجلدات منها شرح العباب وتحفة المحتاج شرح المنهاج والامداد . شرح الارشاد ثم اختصره فى مجلدين وسماه فتح الجواد وألف عليه حاشيته والفتاوى الكبرى وشرح الحضرمية وحاشية مناسك النووى ومختصر المناسك المذكورة ومختصر الروض هذا ما استحضرته الآن من كتبه الفقهية . وله مؤلفات كثيرة فى الحديث وغيره وكلها نالت منتهى القبول والناس عليها في غاية الاقبال واكثرها مطولات منها شرح مشكاة المصابيح والزواجر عن اقتراف الكبائر والصواعق المحرقه لاهل الرفض والزندقه وأسنى المطالب فى صلة الاقارب . وشرح الشمائل وشرح الهمزية وشرح الاربعين النووية والاعلام بقواطع الاسلام . وكف الرعاع عن محرمات اللهو والسماع والايضاح والبيان . بما فى ليلة الرغائب والنصف من شعبان وغير ذلك مما لم يحضرنى الآن ذكره . وكلها يتنافس باقتنائها المتنافسون ويعتمد عليها من جميع المذاهب العلماء المحققون . ولا يخلوا منها فى الغالب مكتبة من المكاتب فيالها من مؤلفات جليلة خدم بها الدين ونفع بها المسلمين وانتشرت فى العالمين وتلقاها الناس بالقبول التام فى جميع بلاد الاسلام

للاتفاق على انه أحد الائمة الاعلام الذين لم يطعن فيهم أحد من علماء مذهب الاسلام من عصره الى الآن ولم ينسبه واحد منهم الى بدعة او مخالفة سنة . وقد كان يعتقد فى ساداتنا الصوفية أحسن الاعتقاد ويثنى عليهم أحسن الثناء ويجيب عنهم بأحسن الاجوبة فشملته بركاتهم وعمته نفحاتهم . وبالجملة فقد كان من اكابر أئمة العلماء العاملين الهداة المهديين الذين جددوا وايدوا بعلمهم هذا الدين المبين . وعم نفعهم جميع المسلمين فوقع على قبوله والاقبال على كتبه الاتفاق فى جميع الآفاق *

﴿ قال واما ابن تيمية ﴾ فهو أيضا امام من أئمة الاسلام وقد كان من الممتازين فى عصره في العلم والعمل والتصلب فى الدين بحيث لا تأخذه فى الحق لومة لائم حتى انه جرى عليه بسبب مخالفته لما عليه جمهور الامة من بدعه المعلومة التى شذ بها اهانات كثيرة وحبس بها مرارا الى أن توفى في الحبس ولم يرجع عما ظهر له انه الحق من تلك البدع وكان من اكابر حفاظ الحديث وله فى علوم الدين مؤلفات كثيرة مطولات ومختصرات قل من وفقه الله لمثلها ولكن الله تعالى لم يقدر الانتفاع بعلمه وكتبه كالانتفاع بعلم الامام ابن حجر وكتبه فان كتبه رحمه الله على كثرتها ونفاستها بقيت فى زوايا الاهمال ولم يقبل عليها جمهور العلماء وغيرهم ولا تلقوها بالقبول فذهب اكثرها ضياعا ولا يوجد منها الآن بين الناس الا القليل ومعلوم ان ذلك من الله وحده لا شريك له فهو الذى نشر علم ابن حجر وكتبه فى الامة نشرا تاما بحيث انتفع بها الخاص والعام فى سائر بلاد الاسلام . وهو سبحانه الذى صرف القلوب عن كتب ابن تيمية حتى لم يبق منها الا القليل النادر وقلما يوجد منها شىء فى مكتبة من المكاتب الموقوفة والمملوكة واذا وجد فالغالب ان يكون مخروما وناقصا او اكلته الارضة وبليت اوراقه وصار بحالة لا ينتفع بها مع ان كتبه كلها تدل على انه من اكابر أئمة الاسلام الا انه قلما يخلوا كتاب منها من شذوذ يخالف به مذاهب المسلمين ويشنع على علماء الدين ولاسيما الاولياء العارفين . الى أن قال وأظن بل أتيقن ان السبب الوحيد لعدم انتفاع الناس بكتب ابن تيمية وعلمه مع جلالة قدره شذوذه فى تلك المسائل واعتراضه على هؤلاء الاكابر . وما شبهت كتبه الا بكنوز مملوءة من الجواهر النفيسة ولكنها مرصودة من بدعه ومخالفته للامة بحيات قاتلات فهى تمنع الناس من الاقبال عليها والانتفاع بها . الى آخر ماهذى به *

﴿ هذه جملة من كلام النبهاني ﴾ فيما قاله في المحاكمة بين ابن حجر وابن تيمية وكأنه تعلمها من قوانين الجزاء أو الحقوق فانها بعيدة عن العلم الذي أنزل الله به كتبه وسقت هذا المقدار منه ليعلم أهل العلم المنصفون درجته في الجهل والحسد وقد كتب هذا كله في مقابلة ما ذكره مصنف جلاء العينين من الحق الظاهر وانحياد ابن حجر عنه وتقوّله على علماء الدين وقال هذا الزائغ قبل شروعه في مقالته هذه ما نصه ولما ظهر تحامل مصنف جلاء العينين في كتابه هذا على أهل السنة ومذهبهم ولا سيما الامام السبكي وابنه وابن حجر وبالغ في التعصب بمدح ابن تيمية ومذهبه وكل من كان على شاكلته رأيت ان اذكر هنا الفرق بين ابن تيمية وابن حجر ليظهر لكل أحد انه حكم لابن تيمية على ابن حجر بالباطل فأقول الى آخر مقالته التي نقلناها وكلامه هنا متناقض كما أنه كذلك في كل مقام فتارة يقول عن ابن تيمية أنه امام من أئمة المسلمين . وأخرى يبدعه ويجعله من المبتدعين وهكذا كل كلام يوحيه الشيطان الى أوليائه والنبهاني الزائغ كما لا يخفى على من وقف على جهله وضلاله ليس من أهل الترجيح لاقوال أهل العلم بعضها على بعض بل لا يحسن قراءة عبارتها ولا يصلح أن يكون حكما بين صبيين فضلا عن أن يكون حكما بين العلماء *

ما انت بالحكم الترضى حكومته * ولا الاصيل ولا ذو الرأي والجدل

فان من شرط الحكم ان يكون عالما بالكتاب والسنة وأقوال الصحابة ومذاهب المجتهدين فمن أين لهذا الزائغ من هذه العلوم . قال شيخ الاسلام قدس الله روحه من المعلوم أنا اذا تكلمنا في العلماء والمشائخ المختلفين في العلم والدين وجب ان يكون الكلام بعلم وعدل لا بجهل وظلم فان العدل واجب لكل أحد على كل أحد في كل حال والظلم محرم مطلقا لا يباح قط بحال . قال تعالى ولا يجرمنكم شنآن قوم على ان لا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى وهذه الآية نزلت بسبب بغضهم للكفار وهو بغض مأمور به فاذا كان البغض الذي أمر الله به قد نهى صاحبه ان يظلم من يبغضه فكيف في بغض مسلم بتأويل وشبهة أو بهوى نفس فهو أحق ان لا يظلم بل يعدل عليه وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أحق من عدل عليهم في القول والعمل وهكذا اتباعهم والعدل مما اتفق أهل الارض على مدحه ومحبته والثناء على أهله ومحبتهم * والظلم مما اتفق على ذمه وتقبيحه وذم أهله وبغضهم وليس المقصود الكلام في التحسين

والتقبيح العقلي فقد تكلمنا عليه في غير هذا الموضع في مصنف مفرد ولكن المقصود ان العدل محمود محبوب باتفاق أهل الارض وهو محبوب في النفوس مركوزحبه في القلوب تحبه القلوب وتحمده وهو من المعروف الذى تعرفه القلوب . والظلم من المنكر الذى تنكره القلوب فتبغضه وتذمه والله تعالى أرسل الرسل ليقوم الناس بالقسط قال الله تعالى لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط . وقال تعالى الله الذى أنزل الكتاب بالحق والميزان . وقال تعالى ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى أهلها واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل . وقال فان جاؤك فاحكم بينهم أو اعرض عنهم وان تعرض عنهم فلن يضروك شيئا وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط ان الله يحب المقسطين . وقال فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق . فامره ان يحكم بالقسط وان يحكم بما أنزل الله فدل ذلك على ان القسط هو ما أنزل الله . فما أنزل الله هو القسط والقسط هو ما أنزل الله . ولهذا وجب على كل من حكم بين اثنين ان يحكم بالعدل . لقوله واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل . فليس لحاكم ان يحكم بظلم أبدا . والشرع الذي يجب على حكام المسلمين الحكم به عدل كله ليس في الشرع ظلم أصلا بل حكم الله أحسن الاحكام والشرع هو ما أنزل الله فكل من حكم بما أنزل الله فقد حكم بالعدل . لكن العدل قد يتنوع بتنوع الشرائع والمناهج فيكون العدل في كل شرعة بحسبها . ولهذا قال تعالى وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط ان الله يحب المقسطين . وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله ثم يتولون من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين انا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والاحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء فلا تخشوا الناس واخشوني ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا . ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون الى قوله وليحكم أهل الانجيل بما أنزل الله فيه ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون وأنزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع اهواءهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم فيما آتاكم فاستبقوا الخيرات الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون وان احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع اهواءهم واحذرهم

أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله اليك فان تولوا فاعلم انما يريد الله ان يصيبهم ببعض ذنوبهم وان كثيرا من الناس لفاسقون افحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون * (ذكر سبحانه) حكم التوراة والانجيل. ثم ذكر انه أنزل القرآن وأمر نبيه ان يحكم بينهم بالقرآن ولا يتبع اهواءهم عما جاءه من الكتاب واخبر أنه جعل لكل واحد من الانبياء شرعة ومنهاجا فجعل لموسى وعيسى مافي التوراة والانجيل من الشرعة والمنهاج. وجعل للنبي صلى الله عليه وسلم مافى القرآن من الشرعة والمنهاج وأمره ان يحكم بما أنزل الله وحذره ان يفتنوه عن بعض ما أنزل الله واخبره أن ذلك هو حكم الله ومن ابتغي غيره فقد ابتغى حكم الجاهلية. وقال ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون *

ولا ريب ان من لم يعتقد وجوب الحكم بما أنزل الله على رسوله فهو كافر فمن استحل ان يحكم بين الناس بما يراه هو عدلا من غير اتباع لما أنزل الله فهو كافر فانه مامن أمة الا وهى تأمر بالحكم بالعدل وقد يكون العدل فى دينها ما رآه أكابرهم بل كثير من المنتسبين الى الاسلام يحكمون بعاداتهم التى لم ينزلها الله كسوالف البادية وكاوامر المطاعين فيهم. ويرون ان هذا هو الذى ينبغى الحكم به دون الكتاب والسنة وهذا هو الكفر فان كثيرا من الناس أسلموا ولكن مع هذا لا يحكمون الا بالعادات الجارية لهم التى يأمر بها المطاعون. فهؤلاء اذا عرفوا انه لايجوز الحكم الا بما أنزل الله فلم يلتزموا ذلك بل استحلوا ان يحكموا بخلاف ما أنزل الله فهم كفار والا كانوا جهالا كمن تقدم أمره.

وقد أمر الله المسلمين كلهم اذا تنازعوا فى شيء ان يردوه الى الله والرسول. فقال تعالى ياأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم فان تنازعتم فى شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تاويلا. وقال تعالى فلا وربك لايؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لايجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما فمن لم يلتزم تحكيم الله ورسوله فيما شجر بينهم فقد أقسم الله بنفسه انه لايؤمن. وأما من كان ملتزما لحكم الله ورسوله باطنا وظاهرا لكن عصى واتبع هواه فهذا بمنزلة أمثاله من العصاة. وهذه الآية مما يحتج بها الخوارج على تكفير ولاة الامر الذين لايحكمون بما أنزل الله ثم يزعمون ان اعتقادهم هو حكم الله. وقد تكلم الناس بما يطول ذكره ههنا. وما ذكرته يدل عليه سياق الآية.

والمقصود ان الحكم بالعدل واجب مطلقا فى كل زمان ومكان على كل أحد ولكل أحد والحكم بما أنزل الله على محمد صلى الله عليه وسلم هو عدل خاص وهو اكمل أنواع العدل وأحسنها والحكم به واجب على النبي صلى الله عليه وسلم وكل من اتبعه ومن لم يلتزم حكم الله ورسوله فهو كافر وهذا واجب على الامة فى كل ماتنازعت فيه من الامور الاعتقادية والعملية . قال تعالى كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه الا الذين أوتوه من بعدما جاءتهم البينات . وقال تعالى وما اختلفتم فيه من شئ فحكمه الى الله وقال فان تنازعتم فى شيء فردوه الى الله والرسول فالامور المشتركة بين الامة لايحكم فيها الا الكتاب والسنة ليس لاحد ان يلزم الناس بقول عالم ولا أمير ولا شيخ ولا ملك . ومن اعتقد انه يحكم بين الناس بشئ من ذلك ولا يحكم بينهم بالكتاب والسنة فهو كافر . وحكام المسلمين يحكمون في الامور المعينة لايحكمون فى الامور الكلية . واذا حكموا فى المعينات فعليهم ان يحكموا بما فى كتاب الله فان لم يكن فبما في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فان لم يجدوا اجتهد الحاكم برأيه .

وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم القضاة ثلاثة . قاضيان فى النار وقاض فى الجنة فمن علم . الحق وقضى به فهو فى الجنة ومن علم الحق وقضى بخلافه فهو فى النار . ومن قضى للناس على جهل فهو فى النار . واذا حكم بعلم وعدل فاذا اجتهد فأصاب فله أجران واذا اجتهد فاخطا فله أجر كما ثبت ذلك فى الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم من وجهين . والمقصود هنا انه اذا وجب فيما شجر بين عموم المؤمنين ان لايتكلم الا بعلم وعدل ويرد ذلك الى الله والرسول فذاك فى أمر الصحابة أظهر . فلو طعن طاعن فى بعض ولاة الامور من ملك وحاكم وأمير وشيخ ونحو ذلك وجعله كافرا متعديا على غيره فى ولاية وغيرها . وجعل غيره هو العالم العادل المبرأ من كل خطأ وذنب وجعل كل من أحب الاول وتولاه كافرا أو ظالما مستحقا للسب وأخذ يسبه فانه يجب الكلام في ذلك بعلم وعدل . والرافضة سلكوا فى الصحابة مسلك التفرق فوالوا بعضهم وغلوا فيه وعادوا بعضهم وغلوا فى معاداته . وقد يسلك كثير من الناس مايشبه هذا فى أمرائهم وملوكهم وعلمائهم وشيوخهم فيحصل بينهم رفض فى غير الصحابة تجد أحد الحزبين يتولى فلانا ومحبيه ويبغض فلانا ومحبيه . وقد يسب ذلك بغير حق . وهذا كله من التفرق والتشيع الذى نهى

الله عنه ورسوله فقال تعالى ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم فى شئ • وقال تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وأنتم مسلمون واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا وقال تعالى ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعدما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فاما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد ايمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون • وأما الذين ابيضت وجوههم ففى رحمة الله هم فيها خالدون • قال ابن عباس تبيض وجوه أهل السنة وتسود وجوه أهل البدعة • ولهذا كان أبو امامة الباهلى غيره يتأولها فى الخوارج • فالله تعالى قد أمر المؤمنين كلهم ان يعتصموا بحبله جميعا ولا يتفرقوا • وقد فسر حبله بكتابه وبدينه وبالاسلام وبالاخلاص وبامره وبعهده وبطاعته وبالجماعة وهذه كلها منقولة عن الصحابة والتابعين لهم باحسان وكلها صحيحة فان القرآن يأمر بدين الاسلام وذلك هو عهده وأمره وطاعته والاعتصام به جميعا انما يكون في الجماعة ودين الاسلام حقيقته الاخلاص لله وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله يرضى لكم ثلاثا ان تعبدوه ولا تشركوا به شيئا وان تعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا وان تناصحوا من ولاه أمركم • والله تعالى قد حرم ظلم المسلمين أحيائهم وأمواتهم وحرم دمائهم وأموالهم واعراضهم • وقد ثبت فى الصحيحين عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال فى حجة الوداع • ان دماءكم وأموالكم واعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا • ألا هل بلغت الا ليبلغ الشاهد الغائب فرب مبلغ أوعي من سامع انتهى ما هو المقصود من كلامه رحمه الله • وبه علم ان النبهانى قد حكم بغير ما أنزل الله • فانه لم يستند فى كتابه كله فضلا عن هذا المقام بكتاب ولا بسنة ولا بدع ان يصدر ذلك منه فانه قد تعود الحكم بغير ما أنزل الله كسائر أحكامه في محكمته • فهو فى هذا الحكم وغيره أحد القاضيين • (وأما) مصنف جلاء العينين فانه أسند جميع ماجاء به الى الكتاب والسنة فهو متبع فى أحكامه كلها ما نزل الله • وهذا هو الوجه الاول مما ورد على كلام النبهانى فى هذا المقام •

﴿ والوجه الثانى ﴾ ان التصدي لبيان الفرق بين ابن حجر وكتبه وبين الشيخ تقى الدين بن

تيمية وكتبه كالتصدى لبيان الفرق بين الحصى والدر والخزف والذهب والظل والحرور والماء العذب والمالح . وأين السماء من الارض . وأين السمك من السماك . وأين الليل من النهار وأين السواد من الظلام . وأين الاموات من الاحياء . وأين النائم من اليقظان . واين الفقير من الغنى . واين الجاهل من العالم الي غير ذلك من النسب بين الاضداد . والموازنة بين العاقل والجماد .

عدمتك قد بان التباين فى الورى * وفيما برى البارى فسبحان من برى
ضللت الهدى اذ بالحصى قست جوهرا * عداك الحجي اين الثريا من الثرى
واين حصى الحصباء من درر البحر

فما مادر فيهم سواء وحاتم * ولا كهجان الخيل خيل كرائم
فهل يستوى سيف كهام وصارم * وهل يستوى لادر درك عالم
وفهّ جهول ناقص الدين والحجر

قال تعالى هل يستوي الذين يعلمون والذين لايعلمون فابن حجر بالنسبة الى الشيخ طفل راقد فى مهد طفوليته بل ان من رجح الشيخ على ابن حجر لم ينصف ولم يحكم بالحق

الم تر ان السيف ينقص قدره * اذا قيل ان السيف خير من العصا

ان ابن تيمة قد تسابق مع اكابر المجتهدين على ما سمعت ممن صنف في مناقبه وما كان من ثناء اكابر اهل العلم عليه . فلو ان النبهانى اجرى الموازنة بينه وبين امام ابن حجر الكبير . لكان ذلك ايضا محل اشكال ونظر

ان آثارنا تدل علينا * فانظروا بعدنا الى الآثار

﴿ الوجه الثالث ﴾ ان النبهانى لم يعرف طريق الموازنة ووجهها . وليته طالع كتاب الموازنة بين ابى تمام والبحترى ولو انه طالعه لعرف طريقها . وان كانت تلك فى شعر وما نحن فيه فن آخر فان اصول الموازنة لاتختلف . وحينئذ كان اللازم عليه ان يوازن بين كتاب وكتاب اتفقا في الموضوع كان يوازن بين الصواعق المحرقة لابن حجر وكتاب منهاج السنة للشيخ تقي الدين بن تيمية فان كلا الكتابين فى الرد على الروافض وبعد الموازنة بين هذين الكتابين يظهر للمنصف معنى قول القائل *

وفي الحيوان يشترك اضطرارا * ارسطاليس والكلب العقور

أوان يوازن بين تحفة ابن حجر أو غيره من كتبه الفقهية وبين شرح العمدة فى الفقه لشيخ الاسلام . وهكذا يأتى بكل كتاب وما يناسبه في موضوعه . ويوازن بين ما اشتملا عليه من المسائل والدلائل وسلاسة العبارة ووفائها بالمقصود فحينئذ ينجلى الغبار . ويتميز الليل من النهار ولكن يبقى عليه نحو ثلاثمائة مصنف للشيخ بل أكثر ليس لابن حجره فى مقابلتها شئ بل لم تخطر على بال ابن حجر فماذا يصنع حينئذ وبأى شئ يوازن تلك الكتب . والجهل وعدم الحياء يوقعان من اتصف بهما باعظم من ذلك نسأله تعالى العفو والعافية والمنصف يعلم يقينا ان الموازنة وبيان الفرق بين كتب ابن حجر أو غيره من غلاة الشافعية وبين كتب الشيخ كالموازنة بين قرآن مسيلمة الكذاب وبين كتاب الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . فأين ما قاله ذلك الكذاب من الكتاب الذى انزل بالحكمة وفصل الخطاب . وعندى ان هذا التشبيه حق فان غالب كتب ابن حجر مشحونة بالكذب والافتراء وقول الزور والاراء التى لم تستند الى كتاب ولا سنة صحيحة والدعوة الى غير الله ونحو ذلك من البدع والضلالات. ﴿وكتب الشيخ تقى الدين﴾ تملأ قلوب مطالعيها نورا وايمانا وحكمة ويقينا . وهى كما قال الامام الحافظ الشيخ عبد الله العراقى فى كتابه الذى أرسله الى بعض تلامذة شيخ الاسلام بعد وفاته وقد ذكرناه سابقا . فما أشبه كلام هذا الرجل بالتبر الخالص المصفى . وقد يقع فى كلام غيره من الغش والشبه المدلس بالتبر على مالا يخفى على طالب الحق بحرص وعدم هوى الى آخر ما قال

﴿ الوجه الرابع ﴾ ان كتب ابن حجر كلها منتقدة فى نظر أهل البصائر بان البعض منها منتحل على ما سبق بيانه فان كتاب الزواجر انتحله من كتاب الكبائر لابن القيم أحد تلامذة شيخ الاسلام كما لا يخفى على من طالع الكتابين . ولا يمكن ان يقال ان ذلك من باب توارد الخاطر فان التوافق لم يقع من الاول الى الآخر وابن القيم رحمه الله متقدم عليه بزمن طويل . وكذلك الاعلام . بقواطع الاسلام . انتحله أيضا من كتاب شيخ الاسلام اما بواسطة أو بغير واسطة . ولسان الكتابين يخالف لسان ابن حجر فى كثير من كتبه لاسيما الجوهر المنظم والصواعق ونحوهما من كتبه التى يصون أهل العلم ألسنتهم عن التكلم بمثلها . فقد اشتملت على أحاديث موضوعة مكذوبة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وأقاويل لا يتكلم بها ابن يوم

كما لا يخفى على من وقف على ما صنف من الردود عليها . (واما التحفة) وسائر كتبه الفقهية فهى مما لا يجوز لمسلم ان يطالعها لما اشتملت عليه من الغموض والخفاء والدقة فى التعبير وأهل العلم نهوا عن أقل من ذلك . بل قد صرح بعضهم بمنع المفتين ان يفتوا بكتب ابن حجر لما انهم لا يأمنون من الخطأ لما اشتملت عليه من ضيق العبارة والالغاز والتعقيد . المنافى كل ذلك للافادة والاستفادة . على ان المسلمين فى غنى عنها فان كتب السادة الشافعية وغيرهم قد ملأت العالم وكلها شافية كافية فما الحاجة الى كتب ابن حجر المنتحلة من كتب من سبقه ألا ترى ان الشافعية لما اشتغلوا بها قل العلم والعلماء فيهم بخلافهم لما كانوا يشتغلون بغيرها من الكتب الواضحة المبسوطة . واما كتب شيخ الاسلام فلا يقوم غيرها مقامها من الكتب السابقة واللاحقة على مالا يخفى على المنصف .

﴿ الوجه الخامس ﴾ ان مذهب الشافعى ليس مدار الاحكام . فى كثير من بلاد الاسلام انما مدارها فى مشارق الارض ومغاربها على مذهب الامام أبي حنيفة رضي الله عنه وفقهاء السادة الحنفية قد أغنوا العالم عن مثل ابن حجر . هؤلاء مسلموا البلاد الهندية كلهم حنفيون وهكذا بلاد الصين والاتراك فى أسيا الوسطي — وهكذا بلاد الدولة العثمانية حرسها الله والحنيفيون غالبهم حنفيون — واما مذهب الشافعي فيكاد ينقرض من الارض ويرتفع من الدنيا فلا تكاد ترى حكما يدور على مذهبه . كما انقرض مذهب أهل الظاهر وغيره . نعم للشافعى اليوم مقلدون فى العبادات فقط وغالبهم ممن لا يفرق بين اليمين والشمال هذا حال أصل المذهب فاين بقيت كتب ابن حجر وبطل قول النبهاني وكلها يتنافس باقتنائها المتنافسون ويعتمد عليها من جميع المذاهب المحققون . وليت شعرى من اعتمد عليها من علماء السادة الحنفية واين بقيت كتبهم التي انتشرت فى مشارق الارض ومغاربها والذى أعلمه ان كتب ابن حجر وغيره من غلاة الشافعية لا تساوى عندهم قلامة ظافر — وكذلك السادة المالكية والحنابلة . فقول النبهانى وتلقاها الناس بالقبول التام فى جميع بلاد الاسلام كذب ظاهر وكيف يتلقاها أحد من أهل البصائر بالقبول وهى آراء محضة لم يستند فيها الى كتاب ولا سنة . نعم كان بعض جهلة الشافعية مغترين ببعضها قبل ان تنتشر كتب المتقدمين وتظهر كنوز العلم بواسطة الطبع .

﴿ الوجه السادس ﴾ قوله في بيان سبب انتشار كتبه وتعليله للاتفاق على انه أحد الائمة

الاعلام الذين لم يطعن فيهم أحد من علماء مذاهب الاسلام من عصره الى الآن ولم ينسبه واحد منهم الى بدعة الخ كذب ظاهر بل قد طعنوا به وبكتبه كما مر غير مرة على انه لو سلم ذلك فليس فيه ما يستوجب المدح بل ما يستوجب خلافه قال تعالى ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم والسواد الاعظم لا يرضون عن أحد حتى يوافقهم على أهوائهم وعقائدهم الزائغة أوان أهل العلم لم يعبئوا بمثله ولا التفتوا اليه فان ابن حجر مما لا أهمية به .

ان الرياح اذا اشتدت عواصفها * فليس ترمي سوى العالى من الشجر

ألا ترى انك لا تجد عالما مشهورا . وفاضلا مذكورا . الا ووجه الناس اليه سهام الملام . وعاداه جمع كثير من الانام . وذلك فخر لاهل العلم ودليل على علو شأنهم . قال الامام الرافعي في كتابه أحياء القلوب واعلم ان كثرة الانكار والاعداء مما يثبت لك أسوة بالانبياء عليهم الصلاة والسلام لقوله تعالى . وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين فعلم ان عداوة المؤمنين للعبد من شقاوته لان قلوب المؤمنين لا تمقت الا بحق لانهم لا يجتمعون على ضلالة واعظم نصابهم أربع *

﴿ واعلم ﴾ ان الدنيا ليست موضع ظهور الجزاء للتكليف فكل انسان فيها مشغول بنفسه مطلوب باداء ما كلف به من العمل فمن علم هذا لم يبال كيف أصبح ولا أمسى عند الخلق ولم يلتفت لمدحهم ولا ذمهم لانهم في محل الحجاب . وانظر الى أحواله صلى الله عليه وسلم فى الدنيا لم يظهر لنا منها الا ما أخبرنا الحق تعالى من علو مرتبته ولولا ذلك جهلنا قدره فى الآخرة يظهر مقامه للخاص والعام فلا يظهر كماله الا في الآخرة . وكذلك كمل الرجال لانها دار ظهور النتائج . وأما الدنيا فانما هى دار أعمال . فمن طلب ظهور النتائج فيها فقد قلب الموضوع وباع آخرته بعرض من الدنيا فافهم (قال) . (وقال) أبو الحسن الشاذلى لما علم الله سبحانه وتعالى أنه لا بد ان يتكلم فى أنبيائه وأصفيائه قضى على قوم بالشقاوة فنسبوه الى اتخاذ الصاحبة والولد حتى اذا ضاق الولى ذرعا من كلام قيل فيه نادته هواتف الحق هذا وصفك لولا لطفي بك فافهم وطب نفسا وقر عينا بجميع ما يقال فيك فان جميع المنكرين رحمة من الله عليك . والا لو عكس الامر وجعلك منكرا عليه كالكافر أو العاصى ماذا كنت تفعل فاحمد الله سبحانه وتعالى واسلك سبيل الاصفياء . وكثرة المدح من جميع الخلق لا يغنى عنك من الله شيئا فانت عنده بخلاف

ذلك . وكثرة الذم والاذى من الخلق لا يضرك شيئا وأنت عنده بخلاف ذلك بل جميع المنكرين يفارقونك بالموت فهل ينزلون معك فى القبر فيتعصبون عليك ويتولون سؤالك أو حسابك في الآخرة واحذر حين مدح الخلق لك ان تظهر التواضع فتحقر نفسك لما يعظمونك فان ذلك يزيدك تعظيما عندهم بل أسكت ايهاما لهم بانك تحب المدح بما ليس فيك هذا هو الاصلح لك دائما فافهم. فان قال لك الشيطان هذا مما ينفر القلوب منك وأنت تنفع الناس وتعلمهم الخير وانما يليق هذا الحال بالسواح الذين خربوا حالهم فقل له انما انظر الى المحرك لهم وهو الله تعالى فان أقام فى باطنهم تعظيما لى عظمونى ولا يمكنهم ان يحقرونى واشهد ذلك فضلا منه وان أقام فى باطنهم تحقيرا لى لا يمكنهم التعظيم لى ولو أظهرت لهم كل كرامة فافهم *

وبالجملة فمن كان قصده التعظيم عند الخلق لم يزل في تكدير لانه لابد فى الوجود من منكر عليه وطلبه من جميع الخلق ان يقبلوا عليه بالثناء والحمد والاعتقاد جهل منه فلا بد له من ذام ومادح ولو كان في فضل نحو الصحابة رضى الله عنهم وقد كان شخص يذم الامام على بن أبي طالب رضى الله عنه وينكر عليه فاجتمع به المنكر فاثنى عليه بحضرة الصحابة رضي الله عنهم على خلاف عادته . فقال الامام على رضي الله عنه أنا دون ما تقول وفوق ما فى نفسك فافهم فهمنا الله واياك فان من رضي بعلم الله فيه لا يتغير ولو توجه اليه الثقلان بالذم والتنقيص ولا يغيره علي الله شئ بل شأن العبد الغفلة عما الناس فيه مطلقا شغلا بسيده . وقد رأيت هاتفا يقول على لسان الحق تعالى من شهد الامور كلها منى لم يتغير لوجدان ولا فقد . ومن خرج من حضرتى سلطت عليه أعدائى فلا يلومن الا نفسه والسلام فافهم فهمنا الله واياك انتهى . ثم نقل الامام الرافعي عن ابن عطاء الله الاسكندرى انه قال فى حكمه انما أجرى عليك الاذى على يديهم كيلا تكون ساكنا اليهم اراد ان يزعجك عن كل شئ حتى لا يشغلك عنه شئ . قال شارحها ابن عباد وجود اذية الناس للعبد نعمة عظيمة عليه لاسيما ممن اعتاد منه الملاطفة والاكرام . والمبرة والاحترام . لان ذلك يفيده عدم السكون اليهم وترك الاعتماد عليهم وفقد الانس بهم فيتحقق بذلك عبوديته لديه عز وجل . قال الاستاذ ابو الحسن الشاذلي أذانى انسان مرة فضقت به ذرعا فنمت فرايت قائلا يقول لى من علامة الصديقية كثرة اعدائها ثم لا يبالى بهم وقال بعض العارفين الصحبة مع العدو سوط الله يضرب به القلوب اذا ساكنت غيره لولا

ذلك لرقد القلب في ظل العز والجاه وهو حجاب عن الله عظيم . وقال الاستاذ عبد السلام. استاذ أبي الحسن الشاذلى في دعائه اللهم ان قوما سألوك ان تسخر لهم خلقك فسخرت لهم خلقك فرضوا منك بذلك اللهم وانى اسألك اعوجاج الخلق علىّ حتى لا يكون ملجئى الا اليك .

﴿وقال ابو الحسن الوراق النيسابورى﴾ الانس بالخلق وحشة والطمانينة اليهم حمق والسكون اليهم عجز والاعتماد عليهم وهن والثقة بهم ضياع واذا أراد الله بعبد خيرا جعل انسه به وبذكره وتوكله عليه وصان سره عن النظر اليهم وظاهره عن الاعتماد عليهم وقد كان الزهاد يخرجون المال عن الكيس تقربا الى الله تعالى . وأهل الصفا والوفا يخرجون الخلق . والمعارف من القلب تحققا بالله عز وجل

﴿قال الامام الشعرانى﴾ فى لطائف المنن اعلم ان أولياء الله تعالى حكمهم في بداياتهم ان يسلط عليهم الخلق ليطهروا من البقايا وتتكمل فيهم المزايا وكيلا يساكنوا هذا الخلق باعتماد أو يميلوا اليهم باستناد . ومن آذاك فقد أعتقك من رق احسانه ومن أحسن اليك فقد استرقك بوجود امتنانه . ولذلك قال صلى الله عليه وسلم من أسدى اليكم معروفا فكافئوه فان لم تقدروا فادعوا له كل ذلك ليتخلص القلب من رق احسان الخلق . وليتعلق بالواحد الحق . قال وقال الشيخ أبو الحسن اهرب من خير الناس أكثر ماتهرب من شرهم فان خيرهم يصيبك فى قلبك . وشرهم يصيبك في بدنك الى آخر ماقال *

والحاصل ان تسليط الخلق على أولياء الله تعالى فى مبدأ ظهورهم سنة الله فى أحبابه وأصفيائه وللصوفية من هذا البلاء الحظ الاوفر فان العارف بالله ابن أبي جمرة لما اختصر البخارى وشرحه وعرض فيه بانه يرى المصطفى صلى الله عليه وسلم يقظة قاموا عليه وعقدوا له مجلسا والزم بالجلوس فى بيته فلزمه فلم يخرج الا للجمعة حتي مات ولما ألف الحكيم الترمذى نوادر الاصول وختم الاولياء وعلل الشريعة ثاروا عليه ورموه بالعظائم وبطشوا به فجمع كتبه كلها والقاها فى البحر قيل فاستمرت فيه ثم لفظها على حالها فانتفع الناس بها . وثاروا على البوشنجي ونفوه من بلده فسكن نيسابور الى ان مات . وأفتوا بتكفير أبي الحسن الخراز بمواضع التقطوها من كتبه ونفوه من بلده وشهدوا على الشبلي بالكفر مرارا مع كمال علمه وكثرة مجاهداته وزهده واتباعه للسنة وشهد عليه آخرون بالجنون وأدخل (البيمارستان) ثم نفوه الى ان مات *

وقام أهـل المغرب على الامام أبي بكر النابلسى مع علمه وزهـده وورعـه وتمسكه بالسنة وأمره بالمعروف ونهيه عن المنـكر فاخرجوه من بلاد المغرب بالقيد والزند الى مصر وشهدوا عليه عند السلطان بكلمات من كلمات القوم فاقر بها وأصر عليها فامر بسلخه حيا منكوسا ففعل به ذلك فصار وهو كـذلك يقرأ القرآن وانـكروا على أبى القاسم النصرآباذى مع علمه وصلاحه وزهده واستقامة طريقه *

واتباعه للسنة ونفوه الى مكة فلم يزل فيها حتى مات . وقاموا على أبي عبد الله السجزى صاحب الفوائد الحـديثية واخرجوه ونفوه . وقاموا على ابن سمعون الواعظ وآذوه وضربوه ومنعوه من الجلوس للوعظ فى الجامع فانقطع فى بيته حتى مات فمنعوا النـاس من حضور جنازته مع كماله وجلالته . وطعنوا على أبى القاسم بن جميل ورموه بالعظائم فلم يتزلزل عماهو فيه من الاشتغال بالفقه والحديث وصيام الدهر والتزهد والتعبد حتى مات . وآذوا الامام أبا الحسن الشاذلى واخرجوه من بلاد المغرب باتباعه ثم كاتبوا نائب الاسكندرية بانه زنديق فاحذروا منه على أنفسكم وأهل بلدتكم ووشوا به الى السلطان فحج في جماعته وكان الحج قد انقطع لـكثرة قطاع الطريق فما رأوا الا خيرا فاعتقده الناس وعظموه واجمعوا عليه حينئذ . وقتلوا الحلاج والامام أبا القاسم بن قسى صاحب كتاب خلع النعلين وابن برجان صاحب التفسير المشهور والجرجانى مع كونهم أئمة يقتـدى بهم . ولما قام عليهم الحاسدون عجزوا عن ان يثبتوا عليهم ما يوجب القتل فحملوا عليهم الحيلة * وقالوا للسلطان انه خطب لابن برجان من نحو مائة وثلاثين بلدا فأمر بقتلهم . وقامو على العفيف التلمسانى صاحب التآليف المشهورة وقالوا هو لحم خنزير فى صحن صينى وضربوه ونفوه . وعقدوا للشيخ عز الدين بن عبد السلام عدة مجالس بسبب كلمة قالها في العقائد ولطف الله به وظفره . وغيروا السلطان بيبرس على قاضى القضاة ابن بنت الاعز بعد ما كان بينهما من كمال المودة حتى أمر بشقه ثم أمده بلطفه في حكاية طويلة . وكان الشيخ عمارة اليمنى متضلعا من الفقه والحديث وغيرهما فاغروا به السلطان صلاح الدين وقالوا انه هجاك بقصيدة فلم يتغير السلطان لما كان عليه من مزيد الحلم حتى قالوا انه ينتقص النبي صلى الله عليه وسلم فى شعره ولم يثبت عليه ذلك بل أنـكر ان تلك القصيدة التي ذكر ذلك فيها من نظمه فحسن له القاضى الفاضل قتله فقتله وحسدوا شيخ الاسلام بن أبى شريف وانتهزوا الفرصة

باغراء السلطان عليه حتي تشوش منه بسبب افتائه بعدم جواز قتل امرأة ورجل أجنبيين وجدوا فى خلوة فهم بالبطش به . ثم شنق المرأة والرجل على باب داره وأمره بالخروج من البلد الى بلده بيت المقدس فوافق ذلك قدوم الخبر بان السلطان سليم قدم الى حلب يريد غزوه فاشتغل بنفسه . الى غير ذلك من الوقائع التى لا يمكن حصرها ولا يضيع الله حقا لاحد والله عند قول كل قائل فليتق الله عبد ولينظر ما يقول هذا كله من كتاب أحياء القلوب للرافعى وبه يعلم مافى كلام النبهانى من الخلل حيث جعل سكوت العامة عن ابن حجر دليلا على علو قدره وجلالة شأنه ويفهم منه ان عدم رضائهم دليل الجهل وعدم العدالة . ومقصوده من ذلك كله الحط على ابن تيمية بسبب ما كان من الجهلة فى شأنه ومعاداة الغلاة له يريدون ليطفؤا نور الله بافوائهم ويأبى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون *

﴿ الوجه السابع ﴾ ان قول النبهانى وقد كان رحمه الله مع كونه اماما فقيها يعتقد فى ساداتنا الصوفية أحسن الاعتقاد ويثنى عليهم أحسن الثناء ويجيب عنهم باحسن الاجوبة فشملته بركاتهم وعمته نفحاتهم . لا يستوجب ترجيح صاحبه على مجتهدي الامة وأكابر العلماء . والمسلمون كلهم يعتقدون الخير في الصوفية المتبعين لما جاء الرسول به لا المتبعين لاهوائهم المبتدعين ولا سيما شيخ الاسلام فقد كان رضى الله عنه من أكابر الصوفية والزهاد وقد بين فى كتابه الفرقان بين أولياء الشيطان وأولياء الرحمن . ما ينشرح به صدر كل موحد . وليس كل من ادعى انه صوفي يسلم له الزهد والورع لا سيما صوفية هذا العصر فانهم ذئاب . عليهم من جلود الشياه ثياب كما نسمع عن شيخ مبتدعة الرفاعية فى دار السلطنة فانه قد فاق على ابليس فى مكره وحيله وخبثه وزندقته وكما نسمع عن شيخ القادرية فى بغداد ممن ينتسب الى الكيلانى ويرشدون الناس وعندهم خاتم كبير يختمون به ما يعطونه لمن يسلك عليهم مكتوب فيه لا اله الا الله (عبد القادر شى لله) وقد كفروا بذلك كما ذكره فقهاء السادة الحنفية فى منظومة ابن وهبان *

بدرويش درويشان كفر بعضهم * كذا قول شى لله بعض يكفر

والنقيب واولاده وسائر افراد عائلتهم هم أعظم الناس بلاء على الامة ليست معصية فى الدنيا الا وقد استباحوها وكبيرهم النقيب بل الذيب هو بريد الشر على العراق وهم ارفاض زنادقة يسبون أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم علنا ويشربون الخمور ويتعاطون كل منكر .

وعسى الله يعين عليّ افراد كتاب نبسط فيه أحوال هؤلاء الزنادقة وتحذير المسلمين منهم ٠ هؤلاء شيوخ صوفية عصرنا والامر لله وابن حجر ان عظم أمثال هؤلاء الفجره فهو لا شك من أعداء الله وان أحسن الاعتقاد فيمن تبع منهم الشريعة الغراء فكل المسلمين والعلماء العاملين كذلك فلا مزية له على غيره وقد ذكر فى كتابه التعرف فى الاصلين والتصوف ما يوافق ما ذكرناه حيث قال وطريق أبي القاسم الجنيد سيد الطائفة طريق مقوم لانه خال من البدع دائر على التسليم والتفويض والتبرى من النفس والتوحيد بالحق وما وقع فى كتب جمع من متأخرى الصوفية كابن عربى واتباعه بحق وهم الاقلون يجب تجنب ظواهره الموهمة لما لا يحل اعتقاده بل لما هو كفر فى كثير منها كما وقع ذلك فى فصوص الحكم والفتوحات المكية وغيرهما لكنهم جارون على اصطلاحهم سترا له عن دعاة الباطل والا فهم على الحق المبرأ عن وصمة الحلول والاتحاد وغيرهما من الوصمات التى نسبها اليهم من لم يحط بحقيقة أحوالهم أو التى يعتقدها عن حقيقة طريقهم فنسبها اليهم زعما انه متأس بهم حاشاهم الله من ذلك ٠ ثم قال وما أحسن ما حققه بعض المحققين نصرة للاولين حيث قال ما حاصله مع ما فيه من عبارات غير مراد بها ظاهرها من انتهى في سلوكه الى الله تعالى وفيه استغرق فى بحر التوحيد والعرفان فحينئذ تضمحل ذاته فى ذاته وصفاته في صفاته ويغيب عنه كل ما سواه فلا يرى فى الوجود الا الله تعالى ٠ وهذا هو الذى يسمونه الفناء في التوحيد ٠ واليه يشير الحديث الالهى لا يزال عبدى يتقرب الىّ بالنوافل حتي أحبه فاذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التى يبطش بها ورجله التي يمشى بها فلئن سألنى لاجيبنه ولئن استعاذنى لاعيذنه ٠ وفى الحديث القدسى أيضا عتابا يوم القيامة عتابا لبعضهم مرضت فلم تعدني جعت فلم تطعمنى عطشت فلم تسقنى فيقول كيف ذلك وانت رب العالمين فيقول تعالى مرض عبدى فلان فلم تعده جاع عبدى فلان فلم تطعمه عطش عبدى فلان فلم تسقه الحديث ٠ وحينئذ فربما يصدر عن الولى عبارات تشعر بالحلول والاتحاد لقصور العبارة عن بيان تلك الحال وتعذر الكشف عنها بالمثال ونحن على ساحل التمنى نغترف من بحر التوحيد بقدر الامكان ونعترف بان طريق الفناء فيه العيان دون البرهان انتهى *

فقد صرح ان ما في كتب ابن عربى كفر يجب تجنب ظواهره فالفقيه اذا سمع من أحد كلمة

كفر لا شك فيها يجب عليه الافتاء على مقتضى مايعلمه من الشريعة الغراء وقدأطنب العلامة محمد أمين السويدى رحمه الله الكلام فى شرحه على التعرف الذى سماه قلائد الدرر . فى شرح رسالة ابن حجر وأتى فى هذا المقام بمايشفى السقام وكذا العلامة صاحب التعطف على التعرف فعليك بهما *

﴿ والمقصود ﴾ ان من اتبع الشريعة الغراء ولم يبتدع فى أقواله ولا اعماله يجب على كل مسلم حبه والذب عنه والترحم عليه . ومن خالف الشريعة وتكلم بالكفر المصادم للشريعة والمخالف لنصوصها وبدل وحرف وغير وابتدع وترك ما كلف به كغالب المدعين انهم شيوخ العصر . فهجرهم وتضليلهم وتفسيقهم وتبديعهم واجب على كل مسلم ولا يمدح من يكون ظهيرا لمثل هؤلاء . رب بما أنعمت على فلن أكون ظهيرا للمجرمين .

﴿ الوجه الثامن ﴾ ان النبهانى شدد النكير أيضاً فى هـذا المقام على شيخ الاسلام من غير جرم جناه . سوى أخلاصه فى التوحيد . وذم كتبه وقال انها عديمة البركة . ومن جملة قدحه فيه . انه حبس مرارا الى ان توفى في الحبس ولم يرجع عما ظهر له انه الحق من تلك البدع *

﴿ فنقول ﴾ انا قد تكلمنا على مثل هذا الكلام مرارا وبينا زيغ النبهانى فيه وان هذا رفض منه بسبب غلوه فى محبة أصحابه ومشائخه حتى أصمه عن سماع الحق وأعماه عن رؤية الحق . على مقتضى المثل السائر . حبك الشيء يعمى ويصم . وسبق منا قريبا ما نقلناه عن أحياء القلوب فى بيان ما اصاب الاولياء والاصفياء من أذى الناس وان ذلك كان دليلا على علو شأن من ابتلاه الله بمثل ذلك . وللشيخ تقى الدين ابن تيمية رسالة كتبها وهو فى السجن الى بعض اخوانه لما أرسلوا اليه يشيرون عليه بالرفق مع خصومه ليتخلص من السجن . ولنذكر شيئا منها توضيحا للمقام . فاقول قال رحمه الله بعدالبسملة * الحمد لله نستعينه ونستغفره . ونعوذبالله من شرور أنفسنا وسيآت أعمالنا * من يهده الله فلا مضل له . ومن يضلل فلا هادي له . وأشهد ان لا اله الا الله وحده لاشريك له . وأشهد ان محمدا عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله . وكفى بالله شهيدا . صلى الله عليه وسلم تسليما *

أما بعد فقد وصلت الورقة التى فيها رسالة الشيخين الجليلين العالمين الناسكين . القدوتين أيدهما الله تعالى وسائر الاخوان بروح منه وكتب فى قلوبهم الايمان . وأدخلهم مدخل صدق

وأخرجهم مخرج صدق ، وجعل لهم من لدنه مايتم به السلطان . سلطان العلم والحجة بالبيان والبرهان ، وسلطان القدرة والنصرة بالسنان والاعوان . وجعلهم من أوليائه المتقين . وحزبه الغالبين لمن ناواهم من الاقران ، ومن الائمة المتقين الذين جمعوا بين الصبر والايقان . والله محقق ذلك ومنجز وعده في السر والاعلان . ومنتقم من حزب الشيطان . لعباد الرحمن . لكن اقتضت حكمته . ومضت به سنته من الابتلاء والامتحان الذى يميز الله به بين أهل الصدق والايمان . من أهل النفاق والبهتان . اذ قد دل كتابه على ان لابد من الفتنة لكل من أدعى الايمان . والعقوبة لذوى السيئات والطغيان * فقال تعالى الم أحسب الناس ان يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لايفتنون . ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين ، أم حسب الذين يعملون السيئات ان يسبقونا ساء مايحكمون . فانكر سبحانه على من يظن ان أهل السيئات يفوتون الطالب الغالب وان مدعى الايمان يترك بلا فتنة تميز بين الصادق والكاذب . وأخبر فى كتابه ان الصدق بالايمان لايكون الا بالجهاد فى سبيله . فقال تعالى قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ، وقوله انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا باموالهم وأنفسهم فى سبيل الله أولئك هم الصادقون ، وأخبر سبحانه بخسران المنقلب على وجهه عند الفتنة الذى يعبد الله فيها على حرف وهو الجانب والطرف الذى لايستقر ماهو عليه بل لايثبت على الايمان الا عند وجود مايهواه من خير الدنيا فقال تعالى ومن الناس من يعبد الله على حرف فان اصابه خير اطمأن به وان اصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة وقال تعالى أم حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين ونبلو أخباركم . وأخبر سبحانه عند وجود المرتدين فلا بد من وجود المحبين المحبوبين المجاهدين . فقال تعالى يا أيها الذين آمنوا مَن يرتد منكم عن دينه فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه . (وهؤلاء) الشاكرون لنعمة الايمان الصابرون على الامتحان . كما قال تعالى وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم فاذا أنعم الله على انسان بالصبر والشكر كان جميع مايقضى الله له من القضاء خيرا له كما قال النبى صلى الله عليه وسلم لايقضي الله للمؤمن قضاء الا كان خيرا له ان اصابته سراء فشكر كان خيرا له وان اصابته ضراء فصبر كان خيرا له . والصابر الشكور هو المؤمن الذى ذكره الله فى غير

موضع من كتابه . ومن لم ينعم الله عليه بالصبر والشكر فهو بشر حال . وكل واحد من السراء والضراء في حقه تفضي به الى قبح المآل *

فكيف اذا كان ذلك في الامور العظيمة التى هى من محن الانبياء والصديقين وفيها تثبيت أصول الدين . وحفظه الايمان والقرآن . من كيد أهل النفاق والالحاد والبهتان . فالحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما يحب ربنا ويرضى وكما ينبغي لكرم وجهه وعز سلطانه وجلاله . والله المسؤل ان يثبتكم وسائر المؤمنين فى الحياة الدنيا وفي الآخرة ويتم نعمته عليكم الباطنة والظاهرة . وينصر دينه وكتابه ورسوله وعباده المؤمنين على الكافرين والمنافقين الذين أمرنا بجهادهم والاغلاظ عليهم فى كتابه المبين . انتهى كلامه . وبه يعلم ان ماصادفه الشيخ من الاذى والمصائب فى ذات الله مما يستوجب رفعة شأنه لا القدح فيه كما زعمه الزائغ *

﴿ الوجه الثامن ﴾ مما يرد على ماقاله النبهانى فى هذا المقام ان قوله ان الله لم يقدر الانتفاع بعلم ابن تيمية وكتبه كالانتفاع بعلم ابن حجر وكتبه . وان كتب ابن تيمية بقيت فى زوايا الاهمال الخ ممنوع بل هو يشبه كلام الصبيان والاطفال . وقد تكرر منه مثل هذا الكلام مراراً وأجبنا عنه بما يشفى صدور المؤمنين ونقول هنا ايضا بلي ان الله تعالى قدر وله الحمد الانتفاع بعلمه وبكتبه فى كل عصر وأودع فيها البركة حيث انها تشرح صدور مطالعيها وتنور قلوبهم بسبب ما اشتملت عليه من العلوم النبوية والوحي المنزل وهى شفاء لصدور المؤمنين وهى لاعين المبتدعين عمى ولا زال أهل مذهبه يستفيدون منها . وكذلك المنصفون من سائر المذاهب والشيخ قدس الله روحه لم يضمن فى مصنفاته ان يفقه كلامه ميت القلب جامد الذهن فاسد القريحة ولسان حاله يقول

علىَّ نحت القوافي من معادنها * وما علىَّ اذا لم تفهم البقر

بل ولا ضمن الله تعالى لهذا النوع ان يفقهوا عنه وعن رسله ماجاؤا به من الهدى وينتفعوا بما جاؤا به من البينات ودين الحق والحجة والشفاء قال تعالى وجعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفى آذانهم وقرا وقال تعالى انا جعلنا فى أعناقهم أغلالا فهى الى الاذقان فهم مقمحون وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فاغشيناهم فهم لا يبصرون . وما أحسن ماقيل

فيالك من آيات حق لواهتدى * بهن مريد الحق كن هواديا

ولـكن على تلك القلوب اكنة * فليست وان أصغت تجيب المناديا

وقال تعالى لو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم ولو اسمعهم لتولوا وهم معرضون وأما كتب ابن حجر التى فرح بها هـذا الزائغ فانها لا تصلح عن من له بصيرة ونظر لغير العطار والاسكاف فهى أما مذاود للعقاقير واما بطائن للخفاف حيث انها قشور لالب فيها وهكذا كتب السبكى وابنه . وفي المثل رمتنى بدائها وانسلت *

ونقول ثانيا انا لو سلمنا مازعمـه الزائغ انها بقيت فى زوايا الاهمال الى آخر ماقال فاى ضرر وعيب يلحقها ولا يخل مثل ذلك بشأنها

ليسَ الخمول بعار * على امرىء ذى كمال

فليـلة القـدر تخفى * وتلك خير الليالى

وفضل العلم اشهر من ان ينبه عليه . واظهر من ان يشار اليه . ولا ينقص من امره . فقدان العارفين بقدره . فلا يثلب الدرة النفيسة ثوب النفاسة . جهل الفحام بها والقاؤها اياها على الـكناسة . وقد كان الله تعالى وهو القديم جل علاه كنزا مخفيا اي لاعارف به سواه . فهل نقص ذلك من جلاله شيئا لا والله . فالله قبل العالم والعالم وبعدهما لم يتفاوت جلاله وعلاه . وهذا محمل ماقال بعض ذوى العرفان . وهو سبحانه الآن على ماعليه كان *

ثم ان هذا الزائغ لو سئل عن كتب امامه أين بقيت فماذا يجيب وهو يعلم علما يقينيا ان كتاب هز القحوف شرح قصيدة ابي شادوف قد انتشرت نسخه فى البلاد والاقطار انتشارا لم يتفق مثله لـكتب امامه ولو استقريت خزائن الـكتب ماوجـدت من كتاب الامام الا نسختين او ثلاث نسخ ربما لم تكن سالمة من الخروم وا كل الارضة ولو لم تسمح المطابع المصرية بطبعها لم يرها هذا الزائغ حتى يلج الجمل فى سم الخياط افيقال ان الله لم يقدر الانتفاع بها وقدر الانتفاع بكتاب هز القحوف ونحوه *

ونسأله اين بقيت كتب الشافعى واصحابه المتقدمين . واين كتب المجتهدين كالمذاهب الاربعة وغيرهم وكتب اصحابهم . واين كتب الاندلسيين وقد كان منها فى خزانة كتب الناصر لدين الله مابلغ اسماؤها اربعين مجلدا وأين الـكتب التى كانت فى خزائن العباسيين وخزائن مدارس بغداد وأين كتب المدرسة النظامية وأين كتب المدرسة المستنصرية واين الـكتب المذكورة

فى تراجم مصنفيها مما لا يستوعبها البيان ولا يستقصيها اللسان *
أفيقال ان مصنفى هذه الكتب كانو أهل بدعة فلم يقدر الله الانتفاع بها بل بقيت في زوايا الاهمال او انها تلفت وان كتب ابن حجر هي كنوز السعادة فلذلك ترى الناس يتداولونها . لا ارى من يقول بذلك الا من أصيب بعقله وتاه فى بيداء جهله بل لا ارى حرمان المسلمين من كتب المتقدمين الا من جملة مصائبهم ونوائبهم . ولذلك كثر الجهل فى بلاد المسلمين لسوء عملهم ونقصان تربيتهم وتعلمهم وقصور كتبهم المتداولة وان غالبها كتب الاعاجم (ونقول ثالثا) ان كتب الشيخ بحمد الله محفوظة عند أهلها من أهل الحديث وناصرى السنة واتباع الامام أحمد نضر الله وجهه في الهند وبلاد نجد ومصر والشام والعراق وهذه هى الكتب التى لا نظير لها وانها مما يتنافس بها المتنافسون فليت شعرى اى كتاب فقد منها ولم يوجد منه نسخ كثيرة وليت هذا الزائغ راجع دفاتر خزائن دار السلطنة المحروسة ودفاتر خزائن كتب مصر الخديوية وغيرها وخزائن كتب الشام والعراق والهند وغير ذلك حتى لا يهذي ذلك الهذيان واظنه رأى بياضا فى مواضع من كتاب المنهاج وكتاب العقل والنقل فقال ماقال مع ان عددا كثيرا من كتاب المنهاج فى خزائن كتب دار السعادة وكلها باحسن خط واتقن ضبط وفى الهند ونجد مثل ذلك وكتاب العقل والنقل أيضا كذلك وفى خزانة راغب باشا فى قسطنطينية المحروسة نسخة منه يظن انها بخط مؤلفها وهى نسخة تامة كاملة لا نقص فيها . والذى طبع كتاب المنهاج وما في الحاشية لم يتيسر له سوى ما طبع عليها . واني أبشر جناب الشيخ النبهانى ان كتب الشيخ تقى الدين وأصحابه ستستوعبها المطابع المصريه والهنديه ولا يبقي منها شئ في زوايا الاهمال كما زعم . وحينئذ يرغم أنفه *

﴿ ونقول رابعا ﴾ ان انتشار الكتب وتداولها بين الايدى لا تعلق له ببدعة ولا سنة فكم قد رأينا كتابا مشحونا بالبدع ومصنفه من شيوخ المبتدعة ومع ذلك قد انتشر أكثر من انتشار كثير من كتب السنة هذ الكشاف الذى صنفه الزمخشرى وحاله معلوم فى الاعتزال وتفسيره مشحون ببدع المعتزلة وآرائهم ومع ذلك قد انتشر انتشارا لم يعهد مثله لتفسير آخر والناس يستفيدون منه وينقلون عنه من عصر مصنفه الى يومنا هذا والمفسرون الذين بعده كلهم عيال عليه فأى تأثير للبدعة فى انتشار الكتب وعدم انتشارها وهذا كتاب المفتاح للسكاكى

المعتزلي لم يزل أهل العلم يستفيدون من فوائده ويقرؤنه من عصر مصنفه الى الان وقد عمت بركته القاصي والدان وفيه من نزغات المعتزلة وبدعهم ما فيه ولم يصادم ذلك انتشاره وهذه كتب الماوردى وهو امام من أئمة الشافعية وكان على طريقة أهل الاعتزال وكتبه عم النفع بها وكثرت بركتها. فهلا اقتضت بدعة مصنفها بقاءها في زوايا الخمول وهكذا كتب الروافض والزيدية والقدريه والظاهريه وكتب الجاحظ المعتزلى الشهير وغيرها مما ليس هذا المقام مقام استقصائه *

﴿ والمقصود ﴾ ان كلام النبهانى فى حق كتب الشيخ تقى الدين لا وجه له بل هو دليل على جهله وتعصبه للباطل واتباعه لهواه وان قوله هذا لا يصدر عن طفل مبتدى فى العلم ولكن الله تعالى سبحانه فضحه بسبب تطاوله على خير عالم فى الزمان الاخير ولم يلتفت الى ما هو فيه من المسلك والحال الذى ينبغى ان يرثى له من يشفق عليه وباقى كلامه من هذا القبيل فلا نتعب البنان بالتطويل . واعقب كلامه هذا بكلام ذكر فيه التحذير من موافقة ابن تيمية ثم اعقبه بكلام ذكر فيه انه ينبغى حمل أقوال هؤلاء من الجانبين على حسن النية وبقى يخبط خبط عشواء فهو كالتي نقضت غزلها من بعد وكل ذلك باد عواره لاقل من له بصيرة ونظر على انه قد تكرر منا ابطاله والله ولى الهداية والتوفيق *

﴿ قال النبهانى عامله الله بعدله ﴾ الباب السادس فى نقل حكايات وآثار وردت عن العلماء والصالحين في الفوائد التى حصلت لهم من الاستغاثة بسيد المرسلين صلى الله عليه وسلم قال أخذت ذلك مما نقله الثقات وذكره الأئمة الثلاثة الاثبات ابو عبد الله ابن النعمان الفاسى فى كتابه مصباح الظلام والقسطلاني فى كتابه المواهب اللدنية ونور الدين الحلبي فى كتابه بغية الاحلام وغيرهم وذكر فى الفصل الاول من هذا الباب من استغاث به صلى الله عليه وسلم للمغفرة وغيرها وذكر فيه قصة الاعرابي الذي قال *

يا خير من دفنت في القاع أعظمه * فطاب من طيبهن القاع والاكم
نفسى الفداء لقبر أنت ساكنه * فيه العفاف وفيه الجود والكرم

وذكر قصصا أخرى من هذا القبيل وذكر فى الفصل الثانى من استغاث به صلى الله عليه وسلم من الاسرى ونحوهم ممن انقطع فى البرارى والبحار او وقع في غير ذلك من الشدائد

والاسقام واما اشبه ذلك من خوارق عاداته بعد وفاته صلى الله عليه وسلم وذكر فى هذا الفصل حكايات كثيرة عن اناس استغاثوا بالنبي صلى الله عليه وسلم فى حاجات كثيرة فقضيت لهم وكذلك استغاثوا ببعض الصالحين فحصل مقصودهم ونقل عن الشيخ أحمد الرفاعي انه قال من كان له حاجة فليستقبل عبادان نحو قبرى ويمشى سبع خطوات ويستغيث بى فان حاجته تقضى الى غير ذلك من الخرافات التى يستقل لديها ما كان المشركون يفعلونه مع أصنامهم *

﴿ والجواب عن ذلك كله ﴾ ما ذكره شيخ الاسلام تقي لدين قدس الله روحه فى كتابه اقتضاء الصراط المستقيم في مخالفة أهل الجحيم . بعد أن ذكر نحو تلك الشبه والحكايات عمن استدل بها من الغلاة قال رحمه الله انما يضع مثل هذه الحكايات من يقل علمه ودينه . واما ان يكون المنقول من هذه الحكايات عن مجهول لا يعرف ونحن لو روى لنا مثل هذه الحكايات المثبتة أحاديث عمن لا ينطق عن الهوى لما جاز التمسك بها حتى تثبت فكيف بالمنقول عن غيره ومنها ما قد يكون صاحبه قاله او فعله باجتهاد يخطيء او يصيب او قاله بقيود وشروط كثيرة على وجه لا محذور فيه فحرف النقل عنه كما ان النبي صلى الله عليه وسلم لما أذن فى زيارة القبور بعد النهى فهم المبطلون ان ذلك هو الزيارة التى يفعلونها من حجها للصلاة عندها والاستغاثة بها ثم سائر هذه الحجج دائرة بين نقل لا يجوز اثبات الشرع به او قياس لا يجوز استحباب العبادات بمثله مع العلم بان الرسول صلى الله عليه وسلم لم يشرعها وتركه مع قيام المقتضي للفعل بمنزلة فعله وانما يثبت العبادات بمثل هذه الحكايات والمقاييس من غير نقل عن الانبياء النصارى وامثالهم وانما المتبع في اثبات احكام الله عز وجل كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وسبيل السابقين الاولين لا يجوز اثبات حكم شرعى بدون هذه الاصول الثلاثة نصا واستنباطا بحال *

﴿ قال والجواب ﴾ عنها من وجهين مجمل ومفصل (اما المجمل) فالنقض فان اليهود والنصارى عندهم من الحكايات والقياسات من هذا النمط كثير بل المشركون الذين بعث اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يدعون عند اوثانهم فيستجاب لهم احيانا كما يستجاب لهؤلاء احيانا وفى وقتنا هذا عند النصارى من هذا طائفة فان كان هذا وحده دليلا على ان الله تعالى يرضى ذلك ويحبه فليطرد الدليل وذلك كفر متناقض ثم انك تجد كثيرا من هؤلاء الذين يستغيثون

عند قبر أو غيره كل منهم قد اتخذ وثنا أحسن به الظن واساء الظن بآخر وكل منهم يزعم ان وثنه يستجاب عنده ولا يستجاب عند غيره فمن المحال اصابتهم جميعا وموافقة بعضهم دون بعض تحكم وترجيح بلا مرجح والتدين بدينهم جميعا جمع بين الاضداد فان اكثر هؤلاء انما يكون تأثرهم فيما يزعمون بقدر اقبالهم على وثنهم وانصرافهم عن غيره وموافقتهم جميعا فيما يثبتونه دون ماينفونه يضعف التأثير على زعمهم فان الواحد اذا أحسن الظن بالاجابة عند هذا وهذا لم يكن تأثير مثل تأثير الحسن الظن بواحد دون آخر وهذه كلها من خصائص الاوثان *

﴿ثم ذكر رحمه الله الجواب المفصل﴾ وأطنب فيه كما هى عادته ومما قال فيه وأما التحريم من جهة الطلب فيكون تارة لانه دعاء لغير الله مثل مايفعله السحرة فى مخاطبة الكواكب وعبادتها ونحو ذلك فانه قد يقضى عقب ذلك أنواع من القضاء اذا لم يعارضه معارض من دعاء أهل الايمان وعبادتهم أو غير ذلك . ولهذا تنفذ هذه الامور فى زمان فترة الرسل فى بلاد الكفر مالا ينفذ فى دار الايمان وزمانه . ومن هذا انى أعرف رجالا يستغيثون ببعض الاحياء في شدائد تنزل بهم فتفرج عنهم وربما يعاينون أمورا وذلك المستغاث به لم يشعر بذلك ولا علم به البتة . وفيهم من يدعو على اقوام ويتوجه فى ابدانهم فيرى بعض الاحياء أو بعض الاموات يحول بينه وبين ايذاء أولئك وربما رآه ضاربا له بالسيف وان كان الحائل لاشعور له بذلك وانما ذلك من فعل الله بسبب يكون بين المقصود وبين الرجل الدافع من اتباع له وطاعة فيما يأمره من طاعة الله ونحو ذلك . فهذا قريب . وقد يجرى بعباد الاصنام أحيانا من جنس المحرم محنة من الله بما تفعله الشياطين لاعوانهم . فاذا كان الاثر قد يحصل عقب دعاء من قد تيقنا انه لم يسمع الدعاء فكيف يتوهم انه هو الذى تسبب فى ذلك أو ان له فيه فعلا واذا قيل ان الله يفعله بذلك السبب فاذا كان السبب محرما لم يجز كالامراض التى يحدثها الله عقب اكل السموم . وقد يكون الدعاء المحرم فى نفسه دعاء لغير الله ان يدعوا لله كما قال النصاري ياوالدة الاله اشفعى لنا الى الاله . وقد يكون دعاء الله لكنه توسل اليه بما لا يحب ان يتوسل به كالمشركين الذين يتوسلون الى الله باوثانهم وقد يكون دعاء الله بكلمات لا يصلح ان يناجى بها الله ويدعى بها لما فى ذلك من الاعتداء فهذه الادعية ونحوها وان كان قد يحصل لصاحبها أحيانا غرضه ولكنها محرمة لما فيها من الفساد الذى يربي على منفعتها . ولهذا كانت هذه

فتنة فى حق من لم يهده الله وينور قلبه . ويفرق بين أمر التكوين فى أمر التشريع ويفرق بين القدر والشرع ويعلم ان الاقسام ثلاثة . أمور قدرها الله وهو لا يحبها ويرضاها فان الاسباب المحصلة لهذه تكون محرمة موجبة لعقابه . وأمور شرعها فهو يحبها من العبد ويرضاها لكن لم يمنه على حصولها . فهذه محمودة عنده مرضية وان لم توجد . والقسم الثالث ان يعين الله العبد على مايحبه منه . فالاول اعانة الله . والثانى عبادة الله . والثالث جمع له بين العبادة والاعانة كما قال اياك نعبد واياك نستعين . فما كان من الدعاء عين المباح اذا أثر فهو من باب الاعانة لا العبادة كسائر الكفار والمنافقين والفساق . ولهذا قال تعالى في مريم . وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكان النبي صلى الله عليه وسلم يستعيذ بكلمات الله التامات التى لا يجاوزهن بر ولا فاجر . ومن رحمة الله تعالى ان الدعاء المتضمن شركا كدعاء غيره ان يفعل وذعائه ان يدعو أو نحو ذلك لا يحصل غرض صاحبه ولا يورث حصول الغرض من شبهة إلا فى الامور الحقيرة . فاما الامور العظيمة كانزال الغيث عند القحوط . أو كشف العذاب النازل فلا ينفع فيه هذا الشرك كما قال تعالى قل أرأيتكم ان أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة اغير الله تدعون ان كنتم صادقين بل أياه تدعون فيكشف ماتدعون اليه ان شاء وتنسون ماتشركون . وقال تعالى واذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون الا اياه فلما نجاكم الى البر أعرضتم وكان الانسان كفورا وقال تعالى أمن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الارض وقال تعالى قل أدعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم اقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه ان عذاب ربك كان محذورا . وقال تعالى أم اتخذوا من دون الله شفعاء قل أولو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون قل لله الشفاعة جميعا *

فكون هذه المطالب العظيمة لا يستجيب فيها الا الله سبحانه دل على توحيده وقطع شبهة من أشرك به . وعلم بذلك ان مادون هذا من الاجابات أيضا انما فعله هو وحده لا شريك له وان كانت تجرى باسباب محرمة أو مباحة . كما ان خلقه السموات والارض والرياح والسحاب وغير ذلك من الاجسام العظيمة دل على وحدانيته وانه خالق لكل شىء وان مادون هذا بان يكون خالقا له أولى اذ هو منفعل عن مخلوقاته العظيمة فخالق السبب التام خالق للسبب لا محالة .

وجماع الامر ان الشرك نوعان شرك في ربوبيته بان يجعل معه لغيره تدبير ما كما قال تعالى قل أدعوا الذين زعمتم من دون الله لايملكون مثقال ذرة فى السموات ولافى الارض ومالهم فيهما من شرك وماله منهم من ظهير فبين انهم لايملكون مثقال ذرة استقلالا ولا يشركونه في شيء من ذلك ولا يعينونه على ملكه. ومن لم يكن مالكا ولا شريكا ولا عونا فقد انقطعت علاقته وشرك فى الالوهية بان يدعي غيره دعاء عبادة أو دعاء مسألة كما قال تعالى اياك نعبد واياك نستعين فكما ان اثبات المخلوقات أسبابا لاتقدح في توحيد الربوبية ولا يمنع ان الله خالق كل شيء ولا يوجب ان يدعى المخلوق دعاء عبادة أو دعاء استعانة كذلك اثبات بعض الافعال المحرمة من شرك أو غيره أسبابا لايقدح في توحيد الالهية ولا يمنع ان يكون الله هو الذى يستحق الدين الخالص وهو يوجب ان تستعمل الكلمات والافعال التى فيها شرك اذا كان الله يسخط من ذلك ويعاقب العبد عليه . وتكون مضرة ذلك على العبد أكثر من منفعته اذ قد جعل الخير كله فى انا لانعبد الا اياه ولا نستعين الا اياه . وعامة آيات القرآن لتثبيت هذا الاصل حتى انه تعالى قطع أثر الشفاعة بدون اذنه كقوله تعالى من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه وكقوله وانذر الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم ليس لهم من دونه ولى ولا شفيع . وقوله وذكر به ان تبسل نفس بما كسبت ليس لها من دون الله ولى ولا شفيع وقوله قل اندعو من دون الله مالا ينفعنا ولا يضرنا الآية . وقوله ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ماخولناكم وراء ظهوركم وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم انهم فيكم شركاء لقد تقطع بينكم وضل عنكم ما كنتم تزعمون . وسورة الانعام سورة عظيمة مشتملة على اصول الايمان وكذلك قوله ثم استوى على العرش مالكم من دونه من ولى ولا شفيع وقوله تعالى والذين اتخذوا من دونه أولياء مانعبدهم الا ليقربون الى الله زلفى وقوله أم اتخذوا من دون الله شفعاء قل اولو كانوا لايملكون شيئا ولا يعقلون قل لله الشفاعة جميعا . وسورة الزمر أصل عظيم فى هذا . ومن هذا قوله تعالى ومن الناس من يعبد الله على حرف فان أصابه خير اطمأن به وان أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والاخرة ذلك هو الخسران المبين . يدعو من دون الله مالا يضره ولا ينفعه ذلك هو الضلال البعيد يدعو لمن ضره أقرب من نفعه لبئس المولى ولبئس العشير وكذلك قوله مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت

بيتا وان أوهن البيوت لبيت العنكبوت . والقرآن عامته انما هو فى تقرير هـذا الاصل العظيم الذي هو أصل الاصول انتهى ماهو المقصود *

وقال ايضا فى اثناء جوابه المفصل بعـد ان تكلم بكلام يتعلق بحكم الدعاء عند القبر مانصه ولم يذكر أحـد من الائمة انه استحب ان يسأل النبى صلى الله عليه وسلم بعد الموت لا استغفارا ولا غيره وكلامه المنصوص عنه اى الامام مالك وعن غيره ينافى هذا . وانما يعرف مثل هذا فى حكاية ذكرها طائفة من متأخرى الفقهاء عن اعرابى انه أتى قبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وتلا هذه الآية . وهى قوله تعالى ولو انهم اذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما . وأنشد بيتين *

ياخير من دفنت فى القاع أعظمه * فطاب من طيبهن القاع والاكم

نفسى الفداء لقبر أنت ساكنه * فيه العفاف وفيه الجود والكرم

ولهذا استحب طائفة من متأخرى الفقهاء من أصحاب الشافعي وأحمد مثل ذلك واحتجوا بهذه الحكاية التى لايثبت بها حكم شرعي لاسيما فى مثل هذا الامر الذى لو كان مشروعا مندوبا لكان الصحابة والتابعون اعلم به واعمل به من غيرهم بل قضاء الله حاجة مثل هذا الاعرابي وأمثاله لها أسباب قد بسطت فى غير هذا الموضع وليس كل من قضيت حاجته بسبب يقتضي ان يكون السبب مشروعا مأمورا به . فقد كان صلى الله عليه وسلم يسأل فى حياته المسألة فيعطيها لايرد سائلا وتكون المسألة محرمة فى حق السائل حتى قال انى لأعطى أحدهم العطية فيخرج بها يتأبطها نارا قالوا يارسول الله فلم تعطهم قال يأبون الا ان يسألونى ويأبي الله لى البخل . وقد يفعل الرجل العمل الذي يعتقده صالحا ولا يكون عالما انه منهي عنه فيثاب على قصده ويعفى عنه لعدم علمه وهذا باب واسع وعامة العبادات المبتدعة المنهى عنها قد يفعلها بعض الناس ويحصل له بها نوع من الفائدة وذلك لايدل على انها مشروعة بل لو لم يكن مفسدتها أغلب من مصلحتها لما نهى عنها . انتهى ماقصدنا نقله *

﴿ والحاصل ﴾ ان ماذكره النبهانى فى هذا الباب من استغاثة بعض الناس بالموتى وان مقاصد المستغيثين حصلت وأورد حكايات كثيرة شاهدة له بذلك كلام ساقط فان تلك الحكايات لو سلمت من الكذب والافتراء فلا تدل على المقصود من جواز الاستغاثة والاستعانة بغير الله

تعالى فان الاستغاثة كما ذكرنا سابقا دعاء والدعاء مخ العبادة وهى لا تصلح الا لله . ومن عبد غيره فقد أشرك ثم ان أصحاب تلك الحكايات ليسوا ممن يحتج بقولهم فهم ليسوا بانبياء ولا صحابة ولا فيم من الائمة المجتهدين المشهورين والدين لا يثبت بفعل أمثال من ذكرهم من العوام والجهلة وبعض المتصوفة الغلاة . وقد ذكرنا سابقا ان الدليل ينبغى ان يكون من الكتاب والسنة واجماع المجتهدين والفقهاء *

واما ان المستغيثين قد نالوا مقصدهم ممن استغاثوا به من الاموات كالانبياء والاصفياء والاولياء فمثل ذلك لا يدل أيضا على مشروعية الاستغاثة كما ذكره الشيخ فان الاسباب التى يخلق بها الله بها الحوادث فى الارض والسماء لا يحصيها على الحقيقة الا هو اما أعيانها فبلا ريب وكذلك أنواعها أيضا لا يضبطها المخلوق بسعة ملكوت الله سبحانه وتعالى . ولهذا كانت طريقة الانبياء عليهم السلام انهم يأمرون الخلق بما فيه صلاحهم وينهون عما فيه فسادهم ولا يشغلونهم فى الكلام باسباب الكائنات كما يفعل المتفلسفة فان ذلك كثير التعب قليل الفائدة أو موجب للضرر . ومثال النبي مثال الطبيب دخل على مريض فرأى مرضه فعلمه . فقال له اشرب كذا واجتنب كذا ففعل ذلك فحصل غرضه من الشفاء . والمتفلسف قد يطول معه الكلام في سبب ذلك المرض وصفته وذمه وذم ما أوجبه ولو قال له المريض فما الذى يشفينى منه لم يكن له بذلك علم تام والكلام فى بيان تأثير بعض هذه الاسباب قد يكون فيه فتنة لمن ضعف عقله ودينه بحيث يختطف عقله فيتالهه اذا لم يرزق من العلم والايمان ما يوجب له الهدى واليقين ويكفى العاقل ان يعلم ان ما سوى المشروع لا يؤثر بحال فلا منفعة فيه أوانه وان أثر فضرره أكثر من نفعه *

ثم سبب قضاء حاجة بعض هؤلاء الداعين الادعية المحرمة ان الرجل منهم قد يكون مضطرا ضرورة لو دعا الله بها مشرك عند وثن لاستجيب لصدق توجهه الى الله تعالى وان كان تحرى الدعاء عند الوثن شركا ولو كان قد استجيب له على يد المتوسل به صاحب القبر أو غيره لاستغاثته فانه يعاقب على ذلك ويهوى به فى النار اذا لم يعف الله عنه كما لو طلب من الله عز وجل ما يكون فتنة له كما ان ثعلبة لما سأل النبي صلى الله عليه وسلم ان يدعو له بكثرة المال ونهاه النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك مرة بعد مرة فلم ينته حتى دعا له وكان ذلك سبب شقائه فى الدنيا

والآخرة فكم من عبد دعا دعاء غير مباح فقضيت حاجته فى ذلك الدعاء وكان سبب هلاكه فى الدنيا والآخرة تارة بان يسأله مالا يصلح له مسألته كما فعل بلعام بن باعورا أو ثعلبة وخلق كثير دعوا باشياء فحصلت لهم وكان فيها هلاكهم . وتارة بان يسأل على الوجه الذى لا يحبه الله كما قال سبحانه وتعالى ادعو ربكم تضرعا وخيفة انه لا يحب المعتدين فهو سبحانه وتعالى لا يحب المعتدين فى صفة الدعاء ولا فى السؤال . ولكن حاجتهم قد تقضى كاقوام ناجوا الله تعالى فى دعواتهم بمناجاة بها جراءة على الله واعتداء لحدوده واعطوا طلبتهم فتنة ولما يشاء الله سبحانه وتعالى بل أشد من ذلك . ألست ترى السحر والطلسمات والعين وغير ذلك من المؤثرات فى العالم باذن الله قد يقضي بها كثير من اغراض النفوس ومع هذا فقد قال سبحانه وتعالى ولقد علموا لمن اشتراه ماله فى الآخرة من خلاق ولبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون ولو انهم آمنوا واتقوا المثوبة من عند الله خير لو كانوا يعلمون . فانهم معترفون بانه لا ينفع فى الآخرة وان صاحبه خاسر فى الآخرة وانما يتشبثون بمنفعته فى الدنيا لا غير وقد قال تبارك وتعالى ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم . وكذلك أنواع من الداعين السائلين قد يدعون دعاء محرما يحصل معه ذلك الغرض ويورثهم ضررا أعظم منه وقد يكون الدعاء مكروها ويستجاب له أيضا . ثم هذا التحريم والكراهة قد يعلمه الداعى وقد لا يعلمه على وجه يعذر فيه بان يكون فيه مجتهدا أو مقلدا كالمجتهد والمقلد اللذين يعذران فى سائر الاعمال المعذور فيها وغيره قد يتجاوز عنه فى ذلك الدعاء لكثرة حسناته وصدق قصده أو لمحض رحمة الله عز وجل به أو نحو ذلك من الاسباب لكن الذى يستغيث بغير الله تعالى ويدعوه فهو شرك وان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وان كان جاهلا بهذا الحكم يرجى له من الله العفو *

﴿ وما نقله النبهانى عن شيخه الرفاعى ﴾ فان صح نقله . وان أحمد الرفاعى قال من كانت له حاجة فليستقبل عبادان نحو قبرى ويمشى سبع خطوات ويستغيث بى فان حاجته تقضى فليس فيه دليل لان الرفاعى لم يكن نبيا ولا رسولا يوحى اليه بل كان فردا من افراد الامة وواحدا منهم وكان من ضعفاء المقلدين للامام الشافعي رحمه الله ولو قال صاحب مذهبه قولا ليس عليه دليل يرد عليه فكيف بهذا المسكين . وكل أحد يؤخذ منه ويرد عليه الا رسول الله صلى الله عليه وسلم

وهذا الكلام الذى أسنده النبهانى لاحمد الرفاعى ، ان كان قاله جهلا فالمرجو من الله ان يغفر له خطيئته ويعفو عن زلاله ، وان كان قاله بعد قيام الحجة عليه وظهور البرهان على فساده وبطلانه فقد ذكرنا حكمه فيما سبق ، وحسن الظن باحمد الرفاعى ان ينزه عن قول الهذيان ، ومثل هذا البهتان ، كيف يدعى الربوبية وقد كان رضى الله عنه أعور العين وكل أحد يعلم ان الله ليس باعور ، وكل هذه الدعاوى الباطلة من النبهاني الشيطانى تقربا الى شيخه دجال العصر فانه أحد مردته ، على انه ان صح نسبة كتاب البرهان المؤيد للرفاعى فهو يبطل ما نسبه اليه النبهانى فان فيه ما هو خلاف هذا وهو حصر أنواع العبادة كلها بالله ، ولكن الذى نسب هذا الكتاب اليه دجال العصر شيخ الضلال منبع الكذب والافتراء ، وكم له من مثل هذه المكايد والدسائس ، وما أحسن ماقال الموصلي فى مثله *

وفظ غليظ القلب أيقنت انه * على النفس ما شئ أشد من الفض
تعرفنى فى حاله الناس كلها * واني لادرى الناس فى لؤمه المحض
وقالوا لقددس الخبيث بلفظه * غداة عرضت الشعر من عرض العرض
دسائس لاتدرى اليهود بعشرها * دعته طباع السوء للنهش والعض
يهون لدغ العقربان بلدغه * ولا شك بعض الشر أهون من بعض
اذا مارأته العين أيقنت انه * تخلق من حقد وصور من بغض

وكم قد انتحل له كتابا وافترى له دعاوى باطلة وتسمية ذلك بالبرهان المؤيد لصاحب مداليد أوضح دليل على الانتحال فان أحمد الرفاعى لم يدع مداليد تلك الدعوى الكاذبة حتى يجعلها جزأ من علم كتابه ، ودجال العصر نسب اليه والى أصحابه كثيرا من الكتب المشحونة بالكذب وقول الزور ، ولم نر أحدا ممن ترجمه ذكر ان له كتابا سماه البرهان المؤيد لصاحب مداليد ولا ذكروا له غيره من الكتب التى انتحلها له ذلك الزائغ وما أحسن ما قال القائل *

* لى حيلة فيمن ينم * وليس فى الكذاب حيله
من كان يخلق ما يقول * فحيلتى فيه قليله

وهذا الخبيث له من المكائد والحيل مايعجز الشيطان عن مثلها كما فصل بعض ذلك فى كتاب المسامير الذى ألف فى بيان فضائحه ومساويه وخبائثه وقدسرى شره الى جميع مردته والمنتسبين

اليه ومنهم النبهانى الزائغ *

لقد جربتهم فرأيت منهم * خبائث بالمهيمن نستجير

وهذا اللعين يدعى النسبة لابن الصياد ولعله اليهودى الشهير وأفعاله تصدقه فى ذلك *

ان فاتكم أصل امرئ ففعاله * تنبيكم عن أصله المتناهى

وهو اليوم أعظم بلاء على المسلمين قد أضر الدولة والملة وبواسطته توسد الامور غير أهلها واضر بيت مال المسلمين *

ولو كان هذا موضع القول لاشتفى * به القلب لكن للمقال مواضع

ادعى الشرف وهو ليس بشريف وادعى انه شيخ الطريقة وذكره تصفيق ورقص وضرب دف واباحة المحرمات والمنكرات وما أحسن مايقول الموصلى *

الا بلغ جناب الشيخ عنى * رسالة متقن بالامر خبرا
وسل منه غداة يهز رأسا * بحلقة ذكره ويديو ذبرا
أقال الله صفق لي وغن * وقل كفرا وسم الكفر ذكرا
وأى ولاية حصلت بجهل * ومن ذا نال بالكفران أجرا
فان قلت اجتهدت بكل علم * فاعرب لى اذا لاقيت عمرا
ومايكفيك هذا الفعل حتى * كذبت على النبي وجئت نكرا
متى كانت هيازع من قريش * فعددها لنا بطنا وظهرا
فان تكن السيادة باخضرار * لكان السلق أشرف منك قدرا
وانت شققت للبارى شريكا * فيملك دونه نفعا وضرا
فويلك قد كفرت ولست تدرى * ولم تبرح على هذا مصرا
وويحك ما العبادة ضرب دف * ولا فى طول هذا الذقن فخرا
برؤيتك الانام تظن خيرا * ولو عقلت لظنت فيك شرا

﴿ والمقصود ﴾ ان ما ذكره النبهانى الشيخ الشيطانى مما يتعلق بباب الاستغاثة كله لا دليل له فيه بل الدليل قام على خلاف قوله وان اقوال الرفاعى وأمثاله لا تصلح للاستدلال فان هؤلاء ليسوا مما يقتدى باقوالهم وأفعالهم وان اتباعهم كذبوا لهم وعليهم كذبا كثيرا لم يبق معه الوثوق

بما ينقل عنهم فضلا عن ان يجعل برهانا لمثل هذه المطالب العالية *

وخير أمور الدين ما كان سنة * وشر الامور المحدثات البدائع

﴿ قال النبهاني ﴾ الباب السابع فى جملة من الادعية الواردة عن بعض أكابر الاولياء فى احزابهم وكتبهم قد استغاثوا فيها بالنبي صلى الله عليه وسلم الى الله تعالى لقضاء حاجاتهم ومنها ما هو مأثور عن النبي صلى الله عليه وسلم وهذا الباب هو حزب عظيم وذكر كلاما طويلا وأقوالا كثيرة منها صلوات على النبي صلى الله عليه وسلم ولا كلام لنا فيها وليست من محال النزاع ومنها توسل بالنبي صلى الله عليه وسلم وطلب من الله والكلام ليس فيه أيضا . ومنها ما هو استغاثة بمخلوق وطلب منه ودعاء من غير الله وهو المقصود بالبحث نقله عن مثل الشيخ ناصر الدين بن سويدان وأبى الحسن البكرى . والشعراني واضرابهم ممن لا يحتج بمثله *

﴿ فالجواب عن ذلك كله ﴾ انا لم ندع ان جميع العالم موحدون وهيهات ذلك قال تعالى وان تطع أكثر أهل الارض يضلوك عن سبيله وقال وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون وما ذكره النبهانى انما يصلح فى الرد على من يدعى ان الناس كلهم موحدون وليس فيهم من يلتجى الى غير الله أو يستغيث بمن سواه . وحينئذ فكلامه الذى أورده يصلح جوابا عن تلك الدعوى ثم ان المانعين من الاستغاثة بغير الله ونحوها لهم تفصيل يجب معرفته والوقوف عليه ليكون على بصيرة من أمره حتى لا يخبط فى كلامه خبط عشواء كما خبط النبهانى وقد ورد لشيخ الاسلام تقى الدين سؤال في هذا الباب . فأجاب بأحسن جواب . وهذا نص السؤال وجوابه *

سئل شيخ الاسلام تقى الدين ابن تيمية رضى الله عنه . ما تقول السادة العلماء أئمة الدين وفقهم الله لطاعته فيمن يقول لا يستغاث برسول الله صلى الله عليه وسلم هل يحرم عليه هذا القول وهل هو كفر أم لا وان استدل بآيات من كتاب الله وأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم هل ينفعه دليله أم لا . واذا قام الدليل من الكتاب والسنة فما يجب على من يخالف ذلك افتونا مأجورين . الجواب الحمد لله * قد ثبت بالسنة المستفيضة بل المتواترة واتفاق الامة ان نبينا صلى الله عليه وسلم الشافع المشفع وانه يشفع فى الخلائق يوم القيامة وان الناس يستشفعون به يطلبون منه ان يشفع لهم الى ربهم وانه يشفع لهم *

ثم اتفق أهل السنة والجماعة انه يشفع في أهل الكبائر وانه لا يخلد في النار من أهل التوحيد أحد
﴿ وأما الخوارج ﴾ والمعتزلة فانكروا شفاعته لاهل الكبائر . ولم ينكروا شفاعته للمؤمنين
وهؤلاء مبتدعة ضلال وفى تكفير هم نزاع وتفصيل . وأما من أنكر ما ثبت بالتواتر والاجماع
فهو كافر بعد قيام الحجة . وسواء سمى هذا المعنى استغاثة أولم . يسمه وأما من أقر بشفاعته
وأنكر ما كان الصحابة يفعلونه من التوسل به والاستشفاع به كما رواه البخاري في صحيحه عن
انس ان عمر بن الخطاب كان اذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب . وقال اللهم انا كنا
نتوسل اليك بنبينا فتسقينا وأنا نتوسل اليك بعم نبينا فاسقنا فيسقون . وفى سنن ابي داود
وغيره ان اعرابيا قال للنبي صلى الله عليه وسلم جهدت الانفس وجاع العيال وهلك المال فادع
الله لنا فانا نستشفع بك على الله ونستشفع بالله عليك . فسبح رسول الله صلى الله عليه وسلم
حتى عرف ذلك فى وجوه أصحابه . وقال ويحك ان الله لا يستشفع به على أحد من خلقه شأن
الله أعظم من ذلك وذكر تمام الحديث فانكر قوله نستشفع بالله عليك ولم ينكر قوله نستشفع
بك على الله بل اقره عليه . فعلم جوازه . فمن أنكر هذا فهو ضال مخطىء مبتدع وفى تكفيره
نزاع وتفصيل وأما من أقر بما ثبت بالكتاب والسنة والاجماع من شفاعته والتوسل به ونحو
ذلك ولكن قال لا يدعى الا الله وان الامور التى لا يقدر عليها الا الله فلا تطلب الا منه مثل
غفران الذنوب وهداية القلوب وانزال المطر وانبات النبات ونحو ذلك فهذا مصيب فى ذلك
بل هذا مما لا نزاع فيه بين المسلمين أيضاً كما قال تعالى ومن يغفر الذنوب الا الله . وقال انك
لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء . وكما قال تعالى يا أيها الناس اذكروا نعمة الله
عليكم هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والارض . وكما قال تعالى وما جعله الله الا
بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر الا من عند الله . وقال الا تنصروه فقد نصره الله
اذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين اذ هما فى الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا *
فالمعانى الثابتة بالكتاب والسنة يجب اثباتها والمعاني المنفية بالكتاب والسنة يجب نفيها والعبارة
الدالة على المعانى نفيا واثباتا ان وجدت فى كلام الله ورسوله وجب اقرارها . وان وجدت فى
كلام أحد وظهر مراده من ذلك رتب عليه حكمه والا رجع فيه اليه . وقد يكون في كلام
الله ورسوله عبارة لها معنى صحيح لكن بعض الناس يفهم من تلك غير مراد الله ورسوله

فهذا يرد عليه فهمه . كما روى الطبراني في معجمه الكبير انه كان فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم منافق يؤذى المؤمنين فقال أبو بكر الصديق قوموا بنا لنستغيث برسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا المنافق . فقال النبي صلى الله عليه وسلم انه لايستغاث بي وانما يستغاث بالله فهذا انما اراد به النبي صلى الله عليه وسلم المعنى الثانى وهو ان يطلب منه مالا يقدر عليه الا الله فالصحابة كانوا يطلبون منه الدعاء ويسمون ويستسقون به كما فى صحيح البخارى عن ابن عمر. قال ربما ذكرت قول الشاعر وأنا أنظر الى وجه النبي صلى الله عليه وسلم يستسقى فما ينزل حتى يجيش له ميزاب *

وأبيض يستسقي الغمام بوجهه * ثمال اليتامى عصمة للارامل

وهو قول أبى طالب . ولهذا قال العلماء المصنفون فى أسماء الله تعالى يجب على كل مكلف ان يعلم ان لاغياث ولا مغيث على الاطلاق الا الله وان كل غوث فمن عنده. وان كان جعل ذلك على يدى غيره فالحقيقة له سبحانه وتعالى ولغيره مجاز قالوا من أسمائه تعالى المغيث والغياث وجاء ذكر المغيث في حديث أبي هريرة قالوا واجتمعت الامة على ذلك *

وقال أبو عبد الله الحليمي الغياث هو المغيث واكثر مايقال غياث المستغيثين ومعناه المدرك عباده في الشدائد اذا دعوه ومجيبهم ومخلصهم *

وفى خبر الاستسقاء فى الصحيحين ألهم اغثنا أللهم أغثنا . يقال اغاثه اغاثة وغياثا وغوثا. وهذا الاسم فى معنى المجيب والمستجيب . قال تعالى اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم . الا ان الاغاثة أحق بالافعال . والاستجابة أحق بالاقوال وقد يقع كل منهما موقع الآخر *

قالوا الفرق بين المستغيث والداعي ان المستغيث ينادي بالغوث والداعى ينادى بالمدعو والمغيث وهذا فيه نظر فان من صيغة الاستغاثة بالله للمسلمين وقد روى عن معروف الكرخى انه كان يكثر ان يقول واغوثا . ويقول انى سمعت الله يقول اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم . وفى الدعاء المأثور ياحي ياقيوم لااله الا أنت برحمتك استغيث أصلح لي شأنى كله ولا تكلنى الى نفسى طرفة عين ولا الى أحد من خلقك . والاستغاثة برحمته استغاثة به فى الحقيقة كما ان الاستعاذة بصفاته استعاذة به في الحقيقة . وكما ان القسم بصفاته قسم به فى الحقيقة ففي الحديث أعوذ بكلمات الله التامات من شر ماخلق وفيه أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك

وبك منك لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك ولهذا استدل الائمة فيما استدلوا على ان كلام الله غير مخلوق بقوله أعوذ بكلمات الله التامات قالوا والاستعاذة لاتصلح بالمخلوق . وكذلك القسم قد ثبت فى الصحيحين ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت وفى لفظ من حلف بغير الله فقد أشرك رواه الترمذى وصححه ثم قد ثبت فى الصحيح الحلف بعزة الله ولعمر الله ونحو ذلك مما اتفق المسلمون على انه ليس من الحلف بغير الله الذى نهى عنه . والاستغاثة بمعنى ان يطلب من الرسول ماهو الالائق بمنصبه لاينازع فيها مسلم . ومن نازع فى هذا المعنى فهو اما كافر ان أنكر مايكفر به واما مخطىء ضال واما بالمعنى الذى نفاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو أيضاً مما يجب نفيها ومن أثبت لغير الله مالا يكون الا لله فهو أيضا كافر اذا قامت عليه الحجة التى يكفر تاركها ومن هذا الباب قول أبى يزيد البسطامى استغاثة المخلوق بالمخلوق كاستغاثة الغريق بالغريق . وقول الشيخ أبى عبد الله القرشى المشهور بالديار المصرية استغاثة المخلوق بالمخلوق كاستغاثة المسجون بالمسجون *

وفى دعاء موسى عليه السلام ألهم لك الحمد واليك المشتكى وأنت المستعان وبك المستغاث وعليك التكلان ولا حول ولا قوة الا بك . ولما كان هذا المعنى هو المفهوم منها عند الاطلاق وكان مختصا بالله صح اطلاق نفيه عما سواه ولهذا لايعرف عن أحد من أئمة المسلمين انه جوز مطلق الاستغاثة بغير الله ولا أنكر على من نفى مطلق الاستغاثة عن غير الله *

وكذلك الاستغاثة أيضا فيها مالا يصلح الا لله وهى المشار اليها بقوله اياك نعبد واياك نستعين فانه لايعين على العبادة الاعانة المطلقة الا الله . وقد يستعان بالمخلوق فيما يقدر عليه . وكذلك الاستنصار قال الله تعالى وان استنصروكم فى الدين فعليكم النصر والنصر المطلق هو خلق مابه يغلب العدو . ولا يقدر عليه الا الله ومن خالف ماثبت بالكتاب والسنة فانه يكون إما كافرا وإما فاسقا وإما عاصيا الا ان يكون مؤمنا مجتهدا مخطئا فيثاب على اجتهاده ويغفر له خطؤه . وكذلك ان كان لم يبلغه العلم الذى تقوم عليه به الحجة فان الله تعالى يقول وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا . وأما اذا قامت عليه الحجة الثابتة بالكتاب والسنة فخالفها فانه يعاقب بحسب ذلك إما بالقتل وإما بدونه والله أعلم *

﴿سؤال آخر وجواب الشيخ أيضا عنه متعلق بهذا الباب﴾

سئل شيخ الاسلام تقي الدين أبي العباس احمد بن تيمية رضى الله عنه عمن قال يجوز الاستغاثة بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم فى كل مايستغاث الله فيه على معنى انه وسيلة من وسائل الله في طلب الغوث . وكذلك يستغاث بسائر الانبياء والصالحين فى كل مايستغاث الله فيه وان من نفى الاستغاثة بالنبى صلى الله عليه وسلم يكفر لانه نقص من قدره ومايستحقه الى آخر ماقال *

﴿ فاجاب الشيخ الاسلام * رحمه الله بقوله ﴾ الحمد لله رب العالمين لم يقل أحد من المسلمين انه يستغاث بشئ من المخلوقات فى كل مايستغاث فيه بالله تعالى لا بنبي ولا بملك ولا صالح ولا غير ذلك بل هذا مما يعلم بالاضطرار من دين الاسلام انه لايجوز اطلاقه ولم يقل أحد ان التوسل بشئ هو الاستغاثة به بل العامة الذين يتوسلون فى أدعيتهم بامور كقول أحدهم نتوسل اليك بحق الشيخ فلان أو بحرمته أو نتوسل اليك باللوح والقلم أو بالكعبة أو غير ذلك مما يقولونه في أدعيتهم يعلمون انهم لايستغيثون بهذه الامور وان المستغيث بالشئ طالب منه سائل له والمتوسل به لايدعي ولا يطلب منه ولا يسائل وانما يطلب به وكل أحد يفرق بين المدعو به والمدعو . والاستغاثة طلب الغوث وهو ازالة الشدة . والاستنصار طلب النصرة . والاستعانة طلب العون والمخلوق يطلب منه من هذه الامور مايقدر عليه كما قال تعالى وان استنصروكم فى الدين فعليكم النصر . وقال فاستغاثه الذى من شيعته على الذى من عدوه وكما قال تعالى وتعاونوا على البر والتقوى . وأما مالا يقدر عليه الا الله فلا يطلب الا من الله . ولهذا كان المسلمون يستشفعون بالنبي صلى الله عليه وسلم ويستسقون به ويتوسلون به كما فى صحيح البخارى ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه استسقى بالعباس وقال اللهم انا كنا اذا أجدبنا نتوسل اليك بنبينا فتسقينا وانا نتوسل اليك بعم نبينا فاسقنا فيسقون . وفى سنن أبي داود ان رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم قال انا نستشفع بالله عليك ونستشفع بك على الله فقال شأن الله أعظم من ذلك انه لايستشفع به على أحد من خلقه . فاقره على قوله ونستشفع بك على الله وانكر عليه قوله نستشفع بالله عليك . وقد اتفق المسلمون على ان نبينا صلى الله عليه وسلم شفيع يوم القيامة وان الخلق يطلبون منه الشفاعة لكن عند أهل السنة انه يشفع فى أهل الكبائر . وعند الوعيدية انما يشفع فى زيادة الثواب *

وقول القائل ان من توسل اليك برسولك فقد استغاث برسوله حقيقة في لغة العرب . ومن

نسبه الى أحد من الامم فقد كذب عليهم . وما يعرف هذا فى لغة أحد من بنى آدم بل الجميع يعلمون ان المستغاث به مسؤل مدعو ويفرقون بين المسؤل والمسؤل به سواء استغيث بالخالق أو بالمخلوق فانه يجوز ان يستغاث بالمخلوق فيما يقدر على التصرف به والنبي صلى الله عليه وسلم أفضل مخلوق يستغاث به فى مثل ذلك . ولو قال قائل لمن يستغيث به أسألك بفلان أو بحق فلان لم يقل أحد انه استغاث بمن توسل به بل انما استغاث بمن دعاه وسأله *

ولهذا قال المصنفون في شرح اسماء الله الحسنى ان المغيث بمعنى المجيب لكن الاغاثة أخص بالافعال . والاجابة أخص بالاقوال . والتوسل الى الله بغير نبينا صلى الله عليه وسلم سواء سمي استغاثة أولم يسم لايعلم أحد من السلف فعله ولا يروى فيه أثر ولايعلم فيه الامافتى به الشيخ عز الدين من المنع *

وأما التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم ففيه حديث فى السنن من رواية النسائى والترمذى وغيرهما ان اعرابيا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله انى أصبت فى بصرى فادع الله لي قال له النبي صلى الله عليه وسلم توضأ وصل ركعتين وقل اللهم انى أسألك وأتوجه اليك بنبيك محمد صلى الله عليه وسلم . وفى لفظ أتوسل اليك بنبيك *

يامحمد اني اتشفع اليك فى رد بصرى اللهم شفعه فىّ * فعلم ان النبي صلى الله عليه وسلم شفع له فسأل الله ان يشفعه فيه . وقال له النبي صلى الله عليه وسلم ان كان لك حاجة فمثل ذلك . فرد الله بصره . فلاجل هذا الحديث استثنى الشيخ عز الدين بن عبدالسلام التوسل به . وللناس فى معنى ذلك قولان أحدهما ان هذا التوسل هو الذي ذكره عمر بن الخطاب رضى الله عنه لما قال كنا نتوسل اليك بنبيك فتسقينا وانا نتوسل اليك بعم نبيك فاسقنا فيسقون . فقد ذكر انهم كانوا يتوسلون به فى حياته في الاستسقاء ثم توسلوا بعمه العباس بعد موته وتوسلهم به هو استسقاؤهم به بحيث يدعو ويدعون معه ويكون وسيلتهم الى الله وهذا لم يفعله الصحابة بعد موته ولافى مغيبه . والنبي كان في مثل ذلك شافعاداعيا *

القول الثانى ان التوسل به يكون فى حياته وبعد موته ومغيبه وحضرته ولم يقل أحد ان من قال بالقول الاول فقد كفر . ولا وجه لتكفيره فان هذه مسألة خفية وليست ادلتها جلية والكفر انما يكون بانكار ماعلم من الدين بالضرورة او بانكار الاحكام المجمع عليها . واختلاف

الناس فيما يشرع من الدعاء، ومالا يشرع كاختلافهم هل تشرع الصلاة عليه عند الذبح . وليس ذلك من مسائل السبب *

وأما من قال ان من نفى التوسل الذى سماه استغاثة بغيره كفر . وتكفير من قال بقول الشيخ عز الدين وأمثاله فاظهر من ان يحتاج الى جواب بل المكفر بمثل هذه الامور يستحق من غليظ العقوبة والتعزير ما يستحقه أمثاله من المفترين على الدين *

لاسيما مع قول النبي صلى الله عليه وسلم من قال لاخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما وأما من قال مالا يقدر عليه الا الله فلا يستغاث فيه الا به فقد قال الحق *

بل لو قال كما قال أبو يزيد استغاثة المخلوق بالمخلوق كاستغاثة الغريق بالغريق وكما قال الشيخ ابو عبد الله القرشى استغاثة المخلوق بالمخلوق كاستغاثة المسجون بالمسجون لكان قد أحسن فان مطلق هذا الكلام يفهم الاستغاثة المطلقة كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس اذا سألت فاسأل الله واذا استعنت فاستعن بالله . واذا نفى الرسول صلى الله عليه وسلم عن نفسه أمرا كان هو الصادق المصدوق فى ذلك كما هو الصادق المصدوق فى كل ما يخبر به من نفى واثبات ومن رد خبره تعظيما له اشبه النصارى الذين كذبوا المسيح باخباره عن نفسه بالعبودية تعظيما له ويجوز لنا أن ننفى ما نفاه . وليس لاحد ان يقابل نفيه بنقيض ذلك البتة والله أعلم*

﴿ فى كلام الشيخ ما يرد على النبهانى ﴾ من وجوه كثيرة فان النبهانى لم يفرق في شبهه التى اوردها بين التوسل والاستغاثة والصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم حيث جعلا كلا من التوسل والصلاة التى ذكرها العلماء فى أحزابهم استغاثة وقال ان العلماء استغاثوا برسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يفرق أيضا بين قسمى الاستغاثة اللذين ذكرهما الشيخ . والحاصل ان فى كلام الشيخ ما يرد على القبوريين من وجوه*

﴿ الوجه الاول ﴾ ان قول الشيخ واما التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم ففيه حديث فى السنن يريد بالتوسل ما ذكره هو فى كلامه لا يريد التوسل فى عرف النبهانى وعباد القبور وهو دعاء المخلوق والاستغاثة به وانما يريد به سؤال الله تعالى ان يشفع عبده فيه باجابة دعائه لهذا السائل وارشده فى هذا الى التوسل الى الله بالصلاة التى هى أفضل العبادات البدنية وان يوحده بالدعاء والمسألة فى ان يقبل شفاعة نبيه أى دعائه له وهذا ليس الكلام فيه وليس من توسل

عباد القبور وتقدم قول الشيخ ان هذا لا يسمى استغاثة وفرق بين التوسل والاستغاثة *

﴿ الوجه الثانى ﴾ ان الذى رجح الشيخ ومن وافقه من المحققين ان هذا خاص فى حياته لان المقصود به شفاعته بالدعاء كما كان يستغفر لاصحابه ويدعو لهم وهذا هو الذى فهمه الفاروق وناهيك به فانه قال كنا نتوسل اليك بنبيك فتسقينا وهو صلى الله عليه وسلم كان يدعوا لهم فتجاب دعوته وبعد موته لا يشرع طلب الدعاء منه لان عمر عدل الى العباس ولم ينكره منكر ولم يذهب الى القبر الشريف أحد من افاضل الامة واكابرها مع ان قبره صلى الله عليه وسلم بين ظهرانيهم . وهذ اتفاق على تصويب عمر ومتابعته وهذا من باب التنزل والافعدم مشروعية هذا فى سائر الكتب السماوية معلومة من الدين بالضرورة *

﴿ الوجه الثالث ﴾ ان الحديث ان صح فهو مخصوص بالنبي صلى الله عليه وسلم عند من قال بالجواز كابن عبد السلام فسؤال الله بغيره لم يقل به أحد ممن حكي الشيخ قولهم بالجواز قال الشيخ ولا يعلم أحد من السلف فعله ولا روى فيه أثر ولا يعلم فيه الا ما افتى به الشيخ عز الدين من المنع وعباد القبور يسألون الله بجاه من اعتقدوا فيه بل آل الامر الى أن يسأل الله تعالى بجاه كل من رفع قبره وجعلت عليه قبة بل وبالبله والمجانين الذين يعتقدهم عباد القبور *

﴿ مايعارض به ما اورده النبهانى مما فيه استغاثة والتجاء بغير الله تعالى ﴾

﴿ اعلم ﴾ ان ما ذكره النبهانى من الاحزاب في جميعها ما يدل على ما زعمه فقد ذكرنا ان بعضها مشتمل على توسل والتوسل غير الاستغاثة على ما حققه الشيخ ومنها مافيه صلوات وهى أيضا من هذا القبيل والصلاة عليه صلى الله عليه وسلم لها فوائد عظيمة ذكرها الحافظ ابن القيم في كتابه جلاء الافهام . فى الصلاة على خير الانام . ومنها ما فيه مقصده ولكن لا يحتج بقول أصحابها وكل أحد يؤخذ منه ويرد عليه الا المعصوم وقد فصلنا الكلام فى ذلك بعض التفصيل بحمد الله . ونحن نورد فى هذا المقام ما نعارض به كلام هؤلاء الذى اورده النبهانى . بكلام الله تعالى وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم وكلام المتبعين له .

﴿ اما القرآن الكريم ﴾ وهو الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فاعظم مقاصده افراد الاله سبحانه وتوحيده بخصاصه فلا تجد سورة من السور الا وهى منادية على وجوب توحيده وافراده بالعبادة . وترى الادعية والاذكار التى اشتمل عليها القرآن كلها

خالصة لله كقوله (ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا . ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين) وكقوله (ربنا اننا سمعنا مناديا ينادى للايمان أن آمنوا بربكم فآمنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سياتنا وتوفنا مع الابرار . ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة انك لا تخلف الميعاد) .

وهكذا ادعية نوح وابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وموسى وعيسى وغيرهم من الانبياء والرسل كلهم . وقد ذكرها الله تعالى فى كتابه الكريم وليس فيها التجاء الي غيره لا ملك مقرب ولا نبي مرسل بل كلهم اخلصوا الدعاء له وخصوه بالالتجاه والاستغاثة والاستعانة دون من سواه فلو استوعبنا ذكر ذلك كله طال الكلام وضاق عنه المقام .

ونحن نذكر بعض السور والآيات الناطقة بوجوب الالتجاء الى الله وعدم الميل الى ماسواه مع بيان ما قاله المفسرون وأهل العلم فى تفاسيرهم . والقرآن كله يدل على وجوب عبادة الله والبراءة من عبادة ما سواه واسلام الوجوه له على اختلاف أنواع الدلالات مطابقة وتضمنا والتزاما وقياسا صحيحا ومن أمثلة ذلك ما قاله أهل العلم في معنى البسملة وتفسيرها . قالوا فى الباء من بسم الله ان معناها الاستعانة ورجحوا هذا القول لوجوه مقررة فى محلها . وقالوا قد جاءت السنة بأن كل أمر ذى بال لا يبدأ فيه . ببسم الله الرحمن الرحيم فهو ابتر او اجذم او اقطع وذكر فيه روايات والمعنى انه لا يكمل أمر ولا يحصل تمامه الا بذكر الله ولا يكون أصله ولا يوجد منه شيء الا بمعونته قالوا وقد قالت طائفة من أهل العلم ان البسملة من الفاتحة وقالت طائفة أخري هى آية من القرآن فاصلة بين السور . وعلى القول الاول فالاتيان بها من العبادات الواجبة والاستعانة هي مضمونها فتكون واجبة به تعالى . وعلى القول الآخر يكون الاتيان بها مستحبا والاستعانة بالله واجبة لا بخصوص هذا اللفظ . ثم قالوا ان المتعلق يتعين ان يقدر مؤخرا لافادة الحصر والاختصاص . وهذا يدل على القول بوجوب الاستعانة لان ما اختص به تعالى واستحقه دون ماسواه لا يصرف لغيره والقاعدة العربية تفيد ان تقديم المتأخر وتأخير المتقدم يقتضي الحصر . فهذان موضعان يدلان على وجوب الاستعانة به وحده فى اول حرف من كتاب الله مع متعلقه *

﴿ الموضع الثالث ﴾ من الابحاث في الباء وتأخير متعلقها قولهم ان الحصر هنا حصر افراد وقصره لا قصر قلب ورجحه اساطينهم بان المشركين انما اعتقدوا الشركة لآلهتهم لا الاستقلال فالحصر باعتبار معتقدهم حصر افراد . قالوا واكثر الكفار اعتقدوا الشركة لآلهتهم لا الاستقلال فمعنى التسمية عند الموحد افراده بالاستعانة عما عبد معه من الآلهة وعلى القول بان الاختصاص والحصر للقلب انما يتجه باعتبار معتقد من يدعي الاستقلال لمعبوده كمعطلة الصانع .

﴿ البحث الرابع ﴾ في اسم الله قولهم انه من اله الهة والوهية فهو اله فعال بمعنى مفعول بمعنى عبد يعبد عبادة . والمستعين بغير الله متأله عابد لا سيما فيما لا يقدر عليه الا الله . واذا ثبت ان الاستعانة تأله وان التأله عبادة فالبرهان قائم على ان العبادة لا يستحقها غير الله تعالى .

﴿ الخامس ﴾ قول ابن عباس وتفسيره للاسم الشريف الاقدس بانه ذوا لالوهية والعبودية على خلقه اجمين وقد أخذه المفسرون وقرروه واستحسنوه فاذا كان تعالى هو صاحب ذلك ومستحقه فصرفه الى غيره شرك وصرف للحق في غير موضعه . وهذا يدخل فيه جميع العبادات التي يصدق عليها التأله والألوهية والعبادة والعبودية لا سيما الدعاء فانه من أجل أنواعه (قال الامام) البخاري في كتاب الايمان من صحيحه باب دعاؤكم ايمانكم وساق حديث ابن عمر . وكثيرا ما يترجم بما صح عنده ولم يكن على شرطه .

﴿ السادس ﴾ قولهم في اسمه الرحمن انه الموصوف بغاية الرحمة ومنتهاها وانه وصف ذات لا ينفك عنه كسائر أوصافه المقدسة الذاتية ودعاء غير الموصوف بهذا الوصف وقصده من دونه والتعرض للوسائط والشفعاء سوء ظن بصفات كماله ونعوت جلاله وانما دعا الى عبادته ودعائه والاستعانة به بما اتصف به من الصفات المقدسة والنعوت الكاملة الجميلة . واستدلوا على ذلك بقول الخليل عليه السلام لقومه فما ظنكم برب العالمين قالوا أي فما ظنكم به أي يجازيكم وقد عبدتم معه غيره وما الذي ظننتم به حتى جعلتم له شركاء أظننتم انه محتاج الى الشركاء والاعوان أم ظننتم انه يخفى عليه أحوال عباده حتى يحتاج الى شركاء يعرفونه بها كالملوك أم لا يقدر وحده على الاستقلال بتدبيرهم وقضاء حوائجهم أم هو قاس فيحتاج الى شفعاء يستعطفونه على عباده ام دليل فيحتاج الى ولي يتكثر به من القلة ويتعزز به من الذلة . ام محتاج الى ولد فيتخذ صاحبة يكون الولد منه ومنها . تعالى الله عن ذلك كله علوا كبيرا ولو قدره

المشركون حق قدره لما اشركوا به *

وكذلك اسمه تعالى الرحيم فانه يدل على انه بالغ فى الرحمة غايتها وان رحمته عمت عباده ووسعت خلقه فما بهم من النعم والاحسان والعطايا الباطنة والظاهرة فآثار رأفته ورحمته . ومن هذا فمله وهذا وصفه كيف يعدل المضطر الى غيره في ضروراته وحاجاته وملماته . وفى الحديث القدسى كلكم ضال الا من هديته فاستهدونى أهدكم ياعبادى كلكم جائع الا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم يا عبادى كلكم عار الا من كسوته فاستكسوني أكسكم الحديث بطوله *

ومن رحمته وتودده الى عباده انه ينزل كل ليلة الى سماء الدنيا فينادى هل من سائل فاعطيه هل من داع فاستجيب له . هل من تائب فاتوب عليه . هل من مستغفر فاغفر له الحديث معروف مشهور . وفي بعض الاسرائيليات ان الله تعالى يقول ابن آدم اطلبنى تجدنى فان وجدتني وجدت كل شيء وان فتك فاتك كل شيء . وهذا قرروه بهذا المعنى فى التفسير وفى الكلام على شرح الاسماء الحسنى وفى الكلام على أحوال القلوب وسيرها وتوجهاتها الى الملك العلى الاعلى *

وعبارة البيضاوى فى الكلام على أول فاتحة الكتاب وانما خص التسمية بهذه الاسماء ليعلم العارف ان المستحق لان يستعان فى مجامع الامور هو المعبود الحقيق الذى هو مولى النعم كلها عاجلها وآجلها جليلها وحقيرها فيتوجه بشراشره الى جناب القدس . ويتمسك بحبل التوفيق ويشغل سره بذكره والاستمداد به عن غيره *

قال البيضاوى واجراء هذه الاوصاف على الله تعالى من كونه موجدا للعالمين ربالهم منعما عليهم بالنعم كلها باطنها وظاهرها . عاجلها وآجلها مالكا لامور هم يوم الثواب والعقاب . للدلالة على انه الحقيق بالحمد لا أحد أحق به منه بل لا يستحقه على الحقيقة سواه. فان ترتب الحكم على الوصف يشعر بعليته له . وللاشعار من طريق المفهوم على ان من لم يتصف بتلك الصفات لا يتأهل لان يحمد . فضلا عن ان يعبد ليكون دليلا على ما بعده . فالوصف الاول لبيان ماهو الموجب للحمد وهو الايجاد والتربية . والثاني والثالث للدلالة على انه متفضل بذلك مختار فيه ليس يصدر منه الايجاب بالذات أو وجوب عليه قضيت لسوابق الاعمال حتى يستحق به الحمد . والرابع لتحقيق الاختصاص فانه لايقبل الشركة فيه . وتضمين

الوعد للحامدين والوعيد للمعرضين انتهى *
﴿ وان شئت المزيد على هذا ﴾ ولم تكتف بما ذكرناه من التمثيل بالبسملة ومافيهامن الابحاث فتكلم على فاتحة الكتاب بما قاله أهل العلم والتأويل لينتفع بذلك من وقف على كتابنا هذا *
﴿ فأعلم ان الحمد ﴾ على ما افاده بعض المحققين ذكر محاسن المحمود على وجه الثناء عليه بها مع محبته والرضا عنه والخضوع له فلا يحمده من أعرض عن محبته والخضوع له أو جعل له شريكا في ذلك ولا يرضى عنه من أعد غيره لحاجته وفاقته . واستغاث به في شدته وضرورته . وهذا الحد أتم وأكمل من تعريف بعضهم له بانه اصطلاحا فعل ينبئ عن تعظيم المنعم لوجوه لاتخفى على الذكي . فلا نطيل بذكرها . واذا كانت ال فيه للاستغراق وعموم الافراد كما هو الراجح فجميع أوصاف الكمال . ونعوت الجلال والجمال التي يحمد من قامت به ثابتة لله ا كلها الكمال صفاته وكثرتها . ولهذا لايحصى أحد من خلقه ثناء عليه . وبها يستدل على الهيته . وانه الاله الحق ولذلك يستدل تعالى على بطلان الهية ماسواه بفقد صفات الكمال التي يستحق بها ان يعبد ويعظم ويقصد كما قال عن خليله في مخاطبته لابيه ياأبت لم تعبد مالا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا . وقال في عباد العجل ألم يروا انه لايكلمهم ولا يهديهم سبيلا . فجعل نفي صفات الكمال موجبا لبطلان الهيته وعبادته وهذا يعرف بالفطر والعقول . فهذه ثلاثة مواضع في أول كلمة من كتاب الله دلت على بطلان دعاء غيره وعبادته والاستعانة بسواه . والعبد وان علت درجته وارتفعت رتبته . فهو فقير الى بأريه وفاطره لانسبة لقدرته وعلمه وحكمته وفضله وكرمه وحياته الى ما اتصف به خالقه . وآلهه الحق من صفات الكمال . ونعوت الجلال . قال شيخ الاسلام *

والفقر لي وصف ذات لازم أبدا * كما الغني أبدا وصف له ذاتي

﴿ وأما اسمه الله ﴾ فهو دال على الالهية المتضمنة لسائر صفات الالهية والكمال مستلزم لجميع معاني الاسماء الحسنى . دال بالوضع والمطابقة . على كونه مالوها معبودا . تألهه الخلائق محبة وتعظيما وخضوعا ومفزعا اليه في الحوائج والنوائب . بخلاف من أله سواه ممن لايستحق الالهية ولم يخرج عن رتبة العبودية . وصار مفزعه في الحوائج والنوائب اليه . واعتماده في المهمات والملمات عليه . (فمن) كان هكذا كعباد الملائكة . والانبياء والصالحين فلم يعط هذا

الاسم الشريف حقه من العبودية وافراد الله بالالهية *

﴿ وأما الرب ﴾ فهو دال على ربوبيته لجميع مخلوقاته . وكمال الربوبية هو بما اتصف به من صفات كمال كقدرته وعلمه ورحمته وقيوميته . وهو يرب عباده . بالخلق والتدبير والملك وهو من اكبر الادلة . وأوضحها واجلاها . على وجوب عبادته تعالى . وان الهية ماسواه وعبادة غيره من أبطل الباطل وأضل الضلال . ولهذا يستدل على الهيته تعالى ووجوب توحيده بافعاله . الصادرة عن ربوبيته كخلقه وقيوميته . قال تعالى . أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون وقال تعالى أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت وقال قل أرأيتم ماتدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الارض . وهذا كثير في القرآن ولكن يحول بين عباد القبور والصالحين وفهمه ما على قلوبهم من رين الشرك وطابعه *

﴿ وأما اسمه الرحمن ﴾ فهو كما تقدم دال على ان الرحمة وصفه وصف ذات لا ينفك عنه ولهذا لا يطلق على غيره *

﴿ والرحيم ﴾ هو الراحم لعباده البالغ في ايصال الرحمة لان فعيل من صيغ المبالغة لكن فعلان أبلغ فسعة الرحمة وكثرتها واحاطتها من أدلة عظمة الموصوف وكمال صفاته ووجوب عبادته والهيته وانابة القلوب اليه . فالمستغيث بغيره الراغب الى سواه فيما لا يقدر عليه غيره من الامور المهمة العظام وما ليس من جنس الاسباب العادية كمن يستغيث بالانبياء والصالحين والملائكة ويرجع اليهم في حاجاته وملماته ما اعطى هذا الاسم حقه ولا آمن به حق الايمان الواجب ولو استشعر شيئا من كمال مدلوله وسعته واحاطته لما عدل بربه سواه ولا التفت الى غير رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما . ومشهد الاسماء الحسنى . والصفات العليا . مشهد عظيم لا يعرفه ولا يسير به الا الصديقون العارفون بالله وما يجب له وما يستحيل عليه . واما من تعلق على غيره والتفت الى سواه وصار مبلغ علمه وغاية حذقه وفهمه تعلقه على الاولياء والصالحين . ورجاء رحمتهم واحسانهم وعطفهم فهو محجوب عن هذا غير عارف بربه جاهل بصفات كماله ونعوت جلاله . قال تعالى قل أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون . فسجل على من أمر بدعاء الصالحين والاستغاثة بهم بالجهالة سواء سمى ذلك توسلا وتشفعا واستنصارا وكرامة أولم يسمه

﴿ واما مالك يوم الدين ﴾ فهو وصف كمال ومجد يقتضي وجوب معاملته وحده لا شريك له

واسلام الوجه له لان الاختصاص والانفراد بالملك يوجب خوفه ورجاءه وطاعته والتعلق على المملوك المقهور الذى لا شركة له ولا ملك بوجه من الوجوه وقصده فى طلب الاعطاء والمنع . والخفض والرفع . والنجاة من النار . والفوز بدار الابرار . سفه وضلال مبين . قال تعالى ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه وقد تمدح سبحانه باختصاصه بملك هذا اليوم فى مواضع من كتابه مع انه الملك المالك فى الدنيا والآخرة لسر اقتضى ذلك وحكمة أوجبته وهى انقطاع العلق والاسباب والمواخاة والوصل التى يتعامل بها أهل الدنيا في دنياهم قال تعالى واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون . فاعرف ما في هذا الخطاب من العموم وما دل عليه التنكير من الشمول المتناول لكل معبود مع الله ولو نبيا أو ملكا . وما يجرى على يد الشفعاء ذلك اليوم لا يرد على الآية ولا ينفى العموم لانه لا يقع الا باذنه فيمن يرضى قوله وعمله فعاد الامر له جل ذكره بدأ وعودا أولا وآخرا *

* والدين * هو الجزاء والمكافاة على الاعمال حسنها وقبيحها وما لم ينزل به سلطان ولم ترد به حجة من الاعمال والديانات يجازى فاعله ويعاقب ان لم يمنع مانع كتوحيد الله والايمان به وبرسله . وأى توحيد يبقى وينفع مع عبادة الاولياء والصالحين . والاستغاثة بهم وصرف الوجوه اليهم . قال تعالى فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون *

* قال جمع * عن شهادة أن لا اله الا الله *

* وأما قوله * اياك نعبد واياك نستعين * ففيها اختصاصه وانفراده بالعبادة والاستعانة وان ذلك حق له لا يشركه فيه نبى مرسل ولا ملك مقرب والعبادة هى الغاية المقصودة من العباد المكلفين والمؤمنون بالرسل اخلصوا له العبادة وافردوه بالاستعانة فهو معبودهم ومستعانهم وجميع الاعمال داخلة في هاتين الكلمتين الشريفتين وقد دلت صيغة الحصر والاختصاص فيهما على التوحيد والعبد همام حارث لا بد له من ذلك وهمه وحرثه غاية ووسيلة فيجب ان يكون غاية قصده ومراده وجه الله والتماس طاعته ومرضاته ويجب ان تكون الوسيلة الى ذلك استعانة الله وحده والاستغاثة به وهذا حال أهل الكمال جمعوا بين عبادة الله واستعانته . بخلاف من عبد غيره واستعان بسواه . أو من عبده لكن قصر وأضاع ما يحصل به مقصوده

من الاستعانة أو من استعان به ولكن على مالا يحبه وما لم يشرعه من الاعمال الصالحة أو وسائلها ويدخل فى النوع الثانى من تعلق على الانبياء والصالحين عبادة واستغاثة واستعانة كعباد القبور فانهم لم يعرفوا ما دلت عليه هاتان الكلمتان من وجوب العبادة والاستعانة *

﴿ وفى حديث ﴾ ابن عباس الا أعلمك كلمات ينفعك الله بهن اذا سألت فاسأل الله واذا استعنت فاستعن بالله الحديث . وكتب الحسن الى عمر بن عبد العزيز اياك ان تستعين بغير الله فيكلك الله اليه . وقال أبو عبد الله القرشى استغاثة المخلوق بالمخلوق كاستغاثة المسجون بالمسجون *

﴿ والكلام هنا يطول ﴾ وغرضنا التنبيه على ان القرآن كله دال على التوحيد آمر به يشير اليه مستلزم له مقرر لوصف أهله وما لهم من الكرامة في المعاد . ومبين لاحوال من تركه ولم يرفع به رأسا واشرك فى عبادته وما لهذا الصنف من الجزاء والعقاب والاهانة فى الدار الآخرة

﴿ واما قوله اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم ﴾ فهذا فيه توحيد الطريق وان من سلك سواه وأراد الوصول من غيره فالسبل والطرق عليه مسدودة قاطعة غير موصلة وفي حديث ابن مسعود خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا ثم قال هذا سبيل الله ثم خط خطوطا عن يمينه وعن شماله وقال هذه سبل . على كل سبيل منها شيطان يدعو اليه ثم قرأ قوله تعالى وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون *

اذا عرف هذا فالصراط المستقيم ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه والتابعون لهم باحسان من أئمة الهدى . ودعاء الانبياء والصالحين والاستغاثة بهم والتوجه اليهم كل هذا ليس مما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه والتابعون لهم باحسان . بل وليس عليه أحد من رسل الله وأوليائه وقد توافرت النصوص وتظاهرت على المنع منه وقد مر منه جملة صالحة . فاذا كان خارجا عن الصراط المستقيم ناهيا عنه سالكيه ومؤتميه فهو سبيل يفضى بسالكه الى النيران والدخول فى طاعة الشيطان . وأهل هذا الصراط المستقيم دأبهم وشأنهم افراد الله بالعبادة والاستعانة والاستغاثة والانابة والخوف والرجاء والتوكل والاعتماد ومباينتهم فى الاوصاف خروج عن صراطهم وطريقهم . قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى فى كافيته الشافية

فلو احد كن واحدا فى واحد * أعنى سبيل الحق والايمان

فسبيل الله واحد لا متعدد . ولا يمكن ان يأتى أحد بحجة ولا سلطان على ان دعاء الاولياء والصالحين من أهل القبور أو غيرهم مشروع مسنون أو مباح . ولا يمكن ان تأتى شريعة بهذا وما يقوله الجاهلون من الشبه الواهية لا يعتد به ولا يلتفت اليه بل هى قاطمة في الطريق حائلة بين أربابها وبين الصراط المستقيم وما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وما جاء به من عند الله وان زعموا انها أدلة وبينات . فهى جهالات وخيالات وضلالات كما تقدم الكلام على ما أورده النبهانى الزائغ منها ناقلا لها عن أشياخه وأئمته الغلاة *

﴿ وقوله تعالى غير المغضوب عليهم ولا الضالين ﴾ فغير صفة ونعت لما قبلها من الاسم الموصول على ما وجهه بعض المفسرين والمعنى ان الذين أنعم الله عليهم خالفوا وباينوا المغضوب عليهم والضالين فى صفاتهم الشنيعة وأفعالهم القبيحة فالاولون عرفوا الحق ولم يتبعوه ولم يريدوه بل آثروا اغراضهم الفاسده . وشهواتهم القاطعة واستمتعوا بخلاقهم ولم يعبؤا بما عداه مما فيه صلاح العبد وهداه . والآخرون غلبت عليهم الشبهات وتاهوا فى أودية الجهالات والضلالات . ولم يهتدوا الى ما نصبه تعالى من الآيات الواضحات . والادلة الظاهرات على وجوب توحيده والهيته وصمديته وتنزهه عن الصاحبة والولد . واحق الناس بالوصف الاول اليهود وبالوصف الثانى النصارى . لغلبة الوصف الاول على اليهود . وغلبة الثانى على النصارى ولذلك جاء فى حديث عدى بن حاتم اليهود مغضوب عليهم والنصارى ضالون لكن هذا الوصف لا يختص بهم بل كل منحرف عن الصراط المستقيم ايثارا لهواه ورأيه فله نصيب من الوصف الاول . ومن انحرف لجهله وعدم فقهه فله نصيب من الوصف الثانى . وهذا لانحراف ان بقى معه أصل الدين الذى لا يقوم الايمان والتوحيد الا به فهو من أهل الذنوب من المسلمين وأمره الى الله وان كان الانحراف يخل باصل الدين والايمان ويمنع التوحيد كحال من يدعوا الملائكة والانبياء والصالحين مع الله فى مهماته وملماته ويعتمد عليهم ويستغيث بهم في شدائده فهذا له حظ وافر ونصيب كامل من الضلال . قال تعالى ام من يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الارض أاله مع الله . (انظر هذا الاستفهام) وحسن موقعه بعدما تقدم من الاستفهامات التى هي حجج وآيات على ما بعدها تعرف به فحش ما جاء به عباد القبور من دعاء آلهتهم والاستغاثة بهم فى الملمات . والشدائد المذهلات وان الجاهلية كانوا يخلصون فى

الشدائد ويعترفون بانه المختص باجابة المضطر وكشف السوء وهؤلاء يشتد شركهم عند الضر ونزول الشدائد .

﴿ثم من المعلوم﴾ ان أخص أوصاف النصارى الضالين عبادة الانبياء والصالحين وجعلهم شركاء لله فيما يختص به ويستحقه وطاعة علمائهم وأحبارهم في التحليل والتحريم المخالف لما عهد اليهم في الكتب السماوية على السنة أنبيائهم وعباد القبور ضربوا في هذا بسهم وافر وحصلوا على نصيب من عبادة الانبياء والصالحين ودعائهم مع الله استحقوا به اطلاق وصف الضلال عليهم . فما اتوا به وابتدعوه من طاعة الدعاة الى عبادة القبور من المنتسبين الى العبادة أو العلم . قال صاحب منهاج التأسيس عليه الرحمة بعد أن ساق ما ذكرناه وهذه اشارة تطلعك على ماوراءها . وفي فاتحة الكتاب والسبع المثاني من العلوم والتوحيد والرد على أصناف الضالين وشيع المبطلين مالا يمكن حصره واستقصاؤه انتهى (قلت) من أراد الوقوف على تفاصيل ما اشتملت عليه هذه السورة الكريمة فعليه بكتاب منازل السائرين للشيخ الحافظ ابن القيم ففيه من اظهار كنوز اسرارها ما ينشرح به الخاطر *

﴿ذكر بعض آيات تدل على المقصود وما فسرت به﴾

قد ذكرنا سابقا ان القرآن الكريم من أوله الى آخره ينادى باخلاص التوحيد لله تعالى وافراده سبحانه بخصائصه وقد ذكرنا مثالا لذلك وشاهدا عليه وحبا لزيادة الايضاح نذكر ما هو اصرح دلالة على مقصودنا من آيات الكتاب الكريم فلعل النبهاني واضرابه من عبدة القبور يهتدى ببعضها ويكشف عن قلبه حجاب الضلال *

﴿من ذلك قوله تعالى﴾ (قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد) وهذه السورة العظيمة قد اشتملت على كنوز العلم وهي تعدل ثلث القرآن وقد بسط الكلام عليها الامام تقي الدين ابن تيمية وافرد لتفسيرها سفرا كبيرا وهو بحمد الله متداول ومما قال الصمد فيه للسلف أقوال متعددة قد يظن انها مختلفة وليست كذلك بل كلها صواب والمشهور منها قولان أحدهما ان الصمد هو الذى لا جوف له والثانى انه السيد الذى يصمد اليه في الحوائج والاول هو قول اكثر السلف من الصحابة والتابعين وطائفة من أهل اللغة . والثانى قول طائفة من السلف والخلف وجمهور اللغويين والآثار المنقولة عن السلف باسانيدها فى كتب

التفسير المسندة وفى كتب السنة وغير ذلك قال وقد كتبنا عن الآثار في ذلك شيئا كثيرا باسناده فيما تقدم ثم سرد أقوالا كثيرة فى معنى الصمد الى أن ذكر فصلا فى سبب تنكير أحد وتعريف الصمد فى السورة وحاصله ان لفظ أحد لم يوصف به شئ من الاعيان الا الله وحده وانما يستعمل فى غير الله فى النفى قال أهل اللغة يقول لا أحد فى الدار ولا تقل فيها أحد . ولهذا لم يجئ فى القرآن الا في غير الموجب كقوله تعالى (فما منكم من أحد عنه حاجزين) وكقوله لستن كاحد من النساء . وقوله (وان أحد من المشركين استجارك فأجره) وفى الاضافة كقوله (فابعثوا أحدكم بورقكم) (وجعلنا لاحدهما جنتين) واما اسم الصمد فقد استعمله أهل اللغة فى حق المخلوقين كما تقدم فلم يقل الله صمد بل قال الله الصمد . فبين أنه المستحق لان يكون هو الصمد دون ما سواه فانه المستوجب لغايته على الكمال . والمخلوق وان كان صمدا من بعض الوجوه فان حقيقة الصمدية منتفية عنه فانه يقبل التفرق والتجزية وهو أيضا محتاج الى غيره فان كل ما سوى الله محتاج اليه من كل وجه فليس أحد يصمد اليه كل شئ ولا يصمد هو الى شئ الا الله . وليس فى المخلوقات الا ما يقبل ان يتجزا ويتفرق وينقسم وينفصل بعضه من بعض والله سبحانه هو الصمد الذي لا يجوز عليه شئ من ذلك بل حقيقة الصمدية وكمالها له وحده واجبة لازمة لا يمكن عدم صمديته بوجه من الوجوه كما لا يمكن تثنية أحديته بوجه من الوجوه فهو أحد لا يماثله شئ من الاشياء كما قال في آخر السورة (ولم يكن له كفوا أحد) استعملها هنا فى النفى أى ليس شئ من الاشياء كفوا له فى شئ من الاشياء لانه أحد وقال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم أنت سيدنا فقال السيد الله ودل قوله الاحد الصمد على أنه لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد فان الصمد هو الذى لا جوف له ولا أحشاء فلا يدخل فيه شئ فلا يأكل ولا يشرب سبحانه وتعالى كما قال (افغير الله اتخذ وليا فاطر السموات والارض وهو يطعم ولا يطعم وقال تعالي (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون) ما أريد منهم من رزق وما أريد ان يطعمون ان الله هو الرزاق ذوا القوة المتين ثم تكلم فى مسائل مختلفة انتقل من بعضها الى بعض واتى بما يبهر العقول *

﴿ والحاصل ﴾ ان كل كلمة من كلمات هذه السورة تقتضى ان يعبد الله وحده وان لا يشرك به أحد ولا يلتجأ الى ما سواه فاذا كان معني أحد انه ليس كمثله شئ فينبغى ان يستغاث به

وحده لانه الكامل في صفات الكمال والمنزه عن صفات النقص وغيره ليس كذلك فكيف يسوغ الالتجاء الى الناقص والاعراض عن الكامل واذا كان الله أحد كان هو الصمد بای معنى فسر فالاحدية دليل على الصمدية فهو الملجأ لا غير والصمدية تستلزم اتصاف الله تعالى بانه لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد وكل جملة فهى دليل لما بعدها فمن يلد ليس باحد ولا صمد فلا يلجأ اليه ولا يطلب منه ما يطلب من الله الاحد الصمد الذى لم يلد . ومن يولد كذلك ومن كان له كفوا ونظير فى ذاته وصفاته فهو لا يصلح ان يسند اليه خصائص الالهية فهذه السورة على اختصارها جمعت من دلائل الوحدانية ما لم تشتمل سورة أخرى عليه ولذلك كانت تعدل ثلث القرآن ومن أراد تفصيل ما تضمنته من العلوم فعليه بتفسيرها لشيخ الاسلام

﴿ ومن ذلك قوله تعالى قل أعوذ برب الفلق الى آخر السورة ﴾ تكلم أيضا على هذه السورة شيخ الاسلام وتلميذه أحسن كلام . قال ابن القيم فى كتابه بدائع الفوائد المقصود الكلام على هاتين السورتين يعنى المعوذتين وبيان عظم منفعتهما وشدة الحاجة بل الضرورة اليهما وانه لا يستغنى عنهما أحد قط وان لهما تأثير خاصا فى رفع السحر والعين وسائر الشرور وان حاجة العبد الى الاستعاذة بهاتين السورتين أعظم من حاجته الى التنفس والطعام والشراب واللباس . فنقول والله المستعان قد اشتملت السورتان على ثلاثة أصول وهى اصول الاستعاذة أحدها نفس الاستعاذة والثانى المستعاذ به والثالث المستعاذ منه فبمعرفة ذلك يعرف شدة الحاجة والضرورة الى هاتين السورتين . وقد عقد لكل اصل من هذه الاصول الثلاثة فصلا واطنب الكلام فيه فما قال فى الفصل الاول اعلم ان لفظ عاذ وما تصرف منه يدل على التحرز والتحصين والالتجاء حقيقة معنى هذه الكلمة الهروب من شيء يخافه الى من يعصمك منه * ولهذا يسمى المستعاذ به معاذا كما يسمى ملجأ ووزرا . وفى الحديث ان ابنة الجون لما ادخلت على النبي صلى الله عليه وسلم فوضع يده عليها قالت اعوذ بالله منك *

قال لقد عذت بمعاذ الحق بأهلك . فمعنى اعوذ التجي واعتصم واتحرز ثم ذكر فى اصله قولين وقال بعد ان ذكرهما والقولان حق والاستعاذة منتظمهما معا فان المستعيذ مستتر بمعاذ مستمسك به معتصم به قد استمسك قلبه به ولزمه كما يلزم الولد أباه اذا شهر عدوه سيفا وقصده به فهرب منه فعرض له أبوه فى طريق هربه فانه يلقى نفسه عليه ويستمسك به أعظم

استمساك فكذلك العائذ قد هرب من عدوه الذى يبغى هلاكه الى ربه ومالكه وفر اليه والقى نفسه بين يديه واعتصم به واستجار به والتجى اليه . وبعد فمعنى الاستعاذة القائم بقلبه وراء هذه العبارات وانما هى تمثيل واشارة وتفهيم والا فما يقوم بالقلب حينئذ من اللجاء والاعتصام والانطراح بين يدى الرب والافتقار اليه والتذلل بين يديه أمر لاتحيط به العبادة

ونظير هذا التعبير عن محبته وخشيته واجلاله ومهابته فان العبارة تقصر عن وصف ذلك فلا يدرك الا بالاتصاف بذلك لا بمجرد الصفة والخبر كما انك اذا وصفت لذة الوقاع لعنين لم تخلق له شهوته أصلا فلو قرنتها وشبهتها بما عساك ان تشبهها به لم تحصل حقيقة معرفتها فى قلبه فاذا وصفها لمن خلقت فيه وركبت فيه عرفها بالوجود والذوق ثم ذكر كلاما طويلا فى الفرق بين الاعاذة والاستعاذة فى غاية الدقة واللطف وذكر سبب الاتيان بقل فى السورتين وهو من أبدع الوجوه . ولا غرض لنا يتعلق به فان أردته فارجع اليه *

﴿ثم قال فى الفصل الثانى﴾ والمستعاذ به الله وحده رب الفلق ورب الناس ملك الناس إله الناس الذى لا ينبغى الاستعاذة الا به ولا يستعاذ باحد من خلقه بل هو الذى يعيذ المستعيذين ويعصمهم ويمنعهم من شر ما استعاذوا من شره وقد أخبر تعالى فى كتابه عمن استعاذ بخلقه ان استعاذته زادته طغيانا ورهقا فقال حكاية عن مؤمنى الجن وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا . جاء فى التفسير انه كان الرجال من العرب فى الجاهلية اذا سافر فامسى فى أرض قال أعوذ بسيد هذا الوادى من شر سفهاء قومه فيبيت فى أمن وجوار منهم حتى يصبح أى فزاد الانس باستعاذتهم بسادتهم رهقا أى طغيانا وغيا واثما وشرا يقولون سدنا الانس والجن والرهق فى كلام العرب الاثم . وغشيان المحارم فزادوهم بهذه الاستعاذة غشيانا لما كان محظورا من الكبر والتعاظم وظنوا انهم سادوا الانس والجن . واحتج أهل السنة على المعتزلة في ان كلمات الله غير مخلوقة بان النبي صلى الله عليه وسلم استعاذ بها بقوله أعوذ بكلمات الله التامات وهو صلى الله عليه وسلم لا يستعيذ بمخلوق ونظير ذلك قوله أعوذ برضاك من سخطك وبعفوك من عقوبتك فدل على ان رضاه وعفوه من صفاته وانه غير مخلوق . فكذلك قوله أعوذ بعزة الله وقدرته وقوله أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات وما استعاذ به النبي صلى الله عليه وسلم فانه غير مخلوق لا يستعيذ الا بالله أو بصفة من صفاته *

وجاءت الاستعاذة فى هاتين السورتين باسم الرب والملك والاله وجاءت الربوبية فيهما مضافة الى الفلق والى الناس ولا بدمن ان يكون بين ما وصف به نفسه فى هاتين السورتين مناسبة وقد قررنا فى مواضع متعددة ان الله سبحانه يدعى باسمائه الحسنى فنسأل لكل مطلوب باسم يناسبه ويقتضيه وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم فى هاتين السورتين انه ما تعوذ المتعوذون بمثلهما ولا بد ان يكون الاسم المستعاذ به مقتضيا للمطلوب وهو دفع الشر المستعاذ منه أو رفعه وانما يتقرر هذا بالكلام فى الفصل الثالث وهو الشر المستعاذ منه فبه تتبين المناسبة المذكورة وذكر فى الفصل الثالث أنواع الشرور المستعاذ منها فى هاتين السورتين واطنب فى بيان ذلك وأتى بالعجب العجاب. (والمقصود) ان كلتا السورتين تدلان على ان الملجأ والمعاذ هو الله تعالى فمن استغاث بمخلوق ملكا كان أو نبيا أو وليا فقد التجأ اليه ومن التجأ اليه فى طلب مالا يقدر عليه أحد الا الله فقد عبده لان الدعاء مخ العبادة ومن عبد غير الله فقد أشرك والآيات القرآنية فى هذا الباب كثيرة وقد ذكرنا فيما سبق بعضا منها . ومن قرأ القرآن وتدبر معناه تحقق ذلك

﴿ وأما ما ورد من السنة النبوية فهو البحر الذى لا ساحل له ﴾ فقد كان صلى الله عليه وسلم خصما للمشركين . وعدوا للكافرين . وقد بعثه الله تعالى لمحق ما كان عليه أهل الجاهلية وابطال ضلالاتهم الشركية . وقد كان خلقه القرآن . وما أنزله الله عليه من البيان . وقد نظرنا الى الكتب المؤلفة فى اذكاره وأدعيته فلم نر فيها . دعاء التجا فيه الى غير الله هذا كتاب الاذكار للنووى فيه من الادعية السنية ما هو معلوم الصحة . وهذا كتاب نزل الابرار . فى الادعية والاذكار . وهذا كتاب الكلم الطيب والعمل الصالح لشيخ الاسلام . وهذا كتاب الحصن الحصين للشيخ على القارى جميع ما فى هذه الكتب من الادعية كلها من الله تعالى ليس فيها كلمة دالة على الطلب من غيره تعالى والله تعالى يقول ولكم فى رسول الله اسوة حسنة. فينبغى ان يتأسى كل مسلم برسول الله صلى الله عليه وسلم ويقتدى به فى أقواله وأفعاله . ويسلك فى ذلك مسلك الصحابة والتابعين لهم باحسان من الائمة والمجتهدين . رضوان الله عليهم أجمعين *

﴿ ما كان يقوله صلى الله عليه وسلم فى طلب النصر ﴾ أللهم منزل الكتاب ومجرى السحاب وهازم الاحزاب اهزمهم وانصرنا عليهم . وكان اذا غزا قال أللهم أنت عضدي ونصيرى

بك أحول وبك أصول وبك أقاتل . وعن انس قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم فى غزوة فلقى العدو . فسمعته يقول يامالك يوم الدين . اياك نعبد واياك نستعين . فلقد رأيت الرجال بمصرعها . تضربها الملائكة من بين أيديها ومن خلفها . وكان يقول حسبنا الله ونعم الوكيل . ولا حول ولا قوة الا بالله العزيز الحكيم ماشاء الله لاقوة الا بالله . اعتصمنا بالله . استعنا بالله . توكلنا على الله *

﴿ ويقول ﴾ حصنتنا كلنا أجمعين . بالحي القيوم الذي لايموت أبدا ودفعت عنا السوء بلا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم . ويقول ياقديم الاحسان . يامن احسانه فوق كل احسان يامالك الدنيا والآخرة . ياحى ياقيوم . ياذا الجلال والا كرام يامن لايعجزه شيء ولا يتعاظمه انصرنا على أعدائنا هؤلاء وغيرهم . واظهرنا عليهم فى عافية وسلامة عامة عاجلا *

وفي كتاب الحصن الحصين من ذلك شيء كثير . وهو للامام الكبير محمد الجزري رحمه الله تعالى وقد قال في خطبة الكتاب المذكور . هذا الحصن الحصين . من كلام سيد المرسلين وسلاح المؤمنين . من خزانة النبي الامين . والهيكل العظيم . من قول الرسول الكريم . والحرز المكنون . من لفظ المعصوم المأمون . بذلت فيه النصيحة . وأخرجته من الاحاديث الصحيحة . أبرزته عدة . عند كل شدة . وجردته جنة تقي من شر الناس والجنة . تحصنت به فيما دهم من المصيبة . واعتصمت من كل ظالم بما حوى من السهام المصيبة . وقلت *

ألا قولوا لشخص قد تقوى * على ضعفي ولا يخشى رقيبه
خبأت له سهاما فى الليالي * وأرجو ان تكون لها مصيبه

قال ولما اكملت ترتيبه وتهذيبه طلبني عدو لا يمكن ان يدفعه الا الله تعالى فهربت منه مختفيا وتحصنت بهذا الحصن فرأيت سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم وأنا جالس على يساره وكانه يقول ما تريد فقلت يارسول الله ادع الله لى وللمسلمين فرفع يديه الكريمتين وأنا انظر اليهما فدعا ثم مسح بهما وجهه الكريم وكان ذلك ليلة الخميس فهرب العدو ليلة الاحد وفرج الله عنى وعن المسلمين ببركة هذا الكتاب عنه صلى الله عليه وسلم انتهى *

وما كان يقوله فى دعاء الوتر وهو اللهم انا نستعينك ونستغفرك ونستهديك ونؤمن بك ونتوكل عليك الى آخره . وفى رواية اللهم اهدنى فيمن هديت وعافنى فيمن عافيت وتولنى فيمن توليت

وبارك فيما أعطيت وقني شر ما قضيت الى آخره . وما كان يقوله اذا اتى فراشه وما يقوله اذا استيقظ من منامه ومايقوله في الليل وما يقوله حال خروجه من بيته واذا دخله وما كان يقوله فى غير ذلك من الاحوال كالاستسقاء ونحوه مما هو خارج الصلاة او داخلها فشىء لا يسعه هذا المقام (والمقصود) ان جميع أدعيته ليس فيها استغاثة بمخلوق ولا اقسام به ولا توسط أحد ولا توسل به . ومن شرط كل مؤمن الاقتداء به صلى الله عليه وسلم قال تعالى (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعون يحببكم الله) *

وفى الاحاديث الصحيحة التى رواها الامام البخارى والامام مسلم وغيرهما ممن جمع الصحيح شىء كثير مما يتعلق بهذا الباب كحديث ابن عباس وفيه اذا استعنت فاستعن بالله وقد سبق ذكره . والرسول صلى الله عليه وسلم ابطل دين المشركين ومداره على الاستغاثة والالتجاء الى غيره . وهى كانت عبادة الوثنيين وكالذبح والنذر غيرانهم كانوا عند النوائب يستغيثون بالله سبحانه بخلاف عباد القبور فى عصرنا *

* واما ما ورد عن عباد الله الصالحين * مما اخلصوا فيه الدعاء الى الله والتجؤا اليه سبحانه ولم يستعينوا فيه الى مخلوق فهو كثير . وقد صنف الامام ابو القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال المتوفى سنة ثمان وسبعين وخمسمائة كتابه الذى سماه المستغيثين بالله عند الحاجات والمهمات . والمتضرعين الى الله سبحانه وتعالى بالرغبات . وهو كتاب جليل يسوء النبهانى اذا رآه . ومنه يعلم ان الصالحين والاولياء الكاملين كلهم كانوا فى جميع حالاتهم مقتدين برسول الله صلى الله عليه وسلم روى ابن بشكوال فى كتابه هذا عن عبد الله بن المبارك انه قال كنت فى غزوة فوقع فرسى ميتا فرأيت رجلا حسن الوجه طيب الرائحة قال اتحب ان تركب فرسك قلت نعم فوضع يده على جبهة الفرس حتى انتهى الى مؤخره وقال أقسمت عليك أيتها العلة بعزة عزة الله وبعظمة عظمة الله . وبجلال جلال الله . وبقدرة قدرة الله . وبسلطان سلطان الله وبلا اله الا الله وبما جرى به القلم من عند الله . وبلا حول ولا قوة الا بالله الا انصرفت فوثب الفرس قائما باذن الله تعالى . وأخذ الرجل بركابى وقال اركب فركبت ولحقت باصحابى الى آخر القصة

* ومن أدعية الامام زين العابدين السجاد رضي الله تعالى عنه * اللهم ان تشأ تعف عنا فبفضلك وان تشأ تعذبنا فبعدلك فسهل لنا عفوك بمنك وأجرنا من عذابك بتجاوزك فانه

لاطاقة لنا بعدلك ولا نجاة لاحد منا دون عفوك ياغنى الاغنياء ها نحن عبادك بين يديك وأنا أفقر الفقراء بين يديك فاجبر فاقتنا بوسعك ولا تقطع رجاءنا بمنعك فتكون قد اشقيت من استسعد بك وحرمت من استرفد فضلك فالى من حينئذ منقلبنا عنك والى أين مذهبنا عن بابك سبحانك نحن المضطرون الذين أوجبت اجابتهم وأهل السوء الذين وعدت الكشف عنهم . وأشبه الاشياء بمشيئتك . وأولى الامور فى عظمتك . رحمة من استرحمك وغوث من استغاث بك . فارحم تضرعنا اليك . وأغثنا اذا طرحنا أنفسنا بين يديك . اللهم ان الشيطان قد شمت بنا اذ شايعناه على معصيتك فصل على محمد وآله ولا تشمته بنا بعد تركنا اياه لك ورغبتنا عنه اليك *

وكم له من مثل هذا الدعاء والالتجاء ماتنير منه أنوار التوحيد وتشرق منه شموس الايمان والتجريد وأين هو من أدعية غلاة القبوريين . طهر الله تعالى الارض منهم أجمعين *

﴿ ومن وصايا الشيخ عبد القادر الكيلانى رضى الله عنه ﴾ ماقال لولده حين استوصاه وهو فى مرض الموت عليك بتقوى الله وطاعته ولا تخف أحدا ولا ترجه وكل الحوائج كلها الى الله عز وجل واطلبها منه ولا تثق باحد سوي الله عز وجل ولا تعتمد الا عليه سبحانه (التوحيد التوحيد التوحيد) وجماع الكل التوحيد *

﴿ وقال في مرض موته ﴾ اذا صح القول مع الله عز وجل لايخلو منه شيء ولا يخرج منه شيء ثم قال وقال لاولاده ابعدوا من حولى فانا معكم بالظاهر ومع غيركم بالباطن *

﴿ ثم قال ﴾ قد حضر عندى غيركم فوسعوا لهم وتأدبوا معهم ههنا زحمة عظيمة ولا تضيقوا عليهم المكان . وأخبر بعض ولده انه كان يقول وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته غفر الله لى ولكم وتاب الله على وعليكم باسم الله غير مودوعين *

وله أحزاب كثيرة ووصايا كلها على ما كان يدعو به رسول الله صلى الله عليه وسلم ووصاياه على التوحيد وافراد الله تعالى بخصائصه كل ذلك مشهور متداول بين الناس وأحزابه الذى يقرأ كل حزب منها في يوم من أيام الاسبوع يقرأها الناس ويعرفها ومقامه فى باب التوحيد واتباع السنن ليس يخفى على أحد ولكنه خلف من بعده خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات وسوف يلقون غيا *

﴿ وقال رضى الله عنه ﴾ فى كتابه فتوح الغيب والغنية ينبغى لكل مسلم موحد ان لايتكل الا على الله ولا يستغيث الا بالله ولا يعتقد التصرف الا لله وان يجعل مرآة عمله حديث ابن عباس قال كنت راكبا خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ياغلام احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك اذا سألت فاسأل الله واذا استعنت فاستعن بالله واعلم ان الامة لو اجتمعت على ان ينفعوك بشئ لم ينفعوك الا بشيء قد كتبه الله عليك ولو اجتمعت على ان يضروك بشيء لم يضروك الا بشئ قد كتبه الله عليك رفعت الاقلام وجفت الصحف . ويكفيك أيها المسترشد قوله تعالى في الفاتحة التى تقرأها فى صلاتك اياك نعبد واياك نستعين فلا تعبد غيره ولا تستعن الا به ولا تطلب الا منه فهذا هو التوحيد اه *

﴿ ومن كلام الشيخ محى الدين ابن العربي شيخ الصوفية ﴾ عند الكلام على قوله تعالى الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق قال ومن أعظم المواثيق ان لايسأل العبد سوى مولاه جل شأنه وفى قصة أبى حمزة الخراسانى مايشهد بعظم شانه فقد عاهد ربه ان لايسأل أحدا سواه فاتفق ان وقع في بئر فلم يسأل احدا من الناس المارين عليه اخراجه منها حتي جاء من اخرجه بغير سؤال ولم ير من اخرجه فهتف به هاتف كيف رأيت ثمرة التوكل . فينبغى الاقتداء به فى الوفاء بالعهد على ماقال أيضا . وقد انكر ابن الجوزى فعل هذا الرجل وبين خطأه وان التوكل لاينافي الاستغاثة فى تلك الحال . وذكر ان سفيان الثورى وغيره قالوا لو ان انسانا جاع فلم يسأل حتى مات دخل النار . ولا ينكر ان يكون الله تعالى قد لطف بابى حمزة الجاهل نعم لاينبغي الاستغاثة بغير الله تعالى على النحو الذى يفعله الناس اليوم مع أهل القبور الذين يتخيلون فيهم مايتخيلون . فآه ثم آه مما يفعلون *

﴿ وقال الشيخ محي الدين أيضا ﴾ فى الفتوحات المكية أوحي الله تعالى الى موسى عليه السلام ياموسى لا تجعل غيرى موضع حاجتك وسلنى حتى الملح تلقيه فى عجينتك هذا تعليم من الله تعالى لنبيه عليه السلام وقد رأيته سبحانه فى النوم فقال وكلنى فى أمورك فوكلته فما رأيت الا عصمة محضة . ولله الحمد على ذلك ويكفى فى التعليم قوله سبحانه اياك نعبد واياك نستعين أى لا نعبد سواك ولا نستعين بمخلوق وحديث ابن عباس واذا استعنت فاستعن بالله . وقوله تعالى واذ كر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لايؤمنون . وقوله تعالى قل ادعوا الله أو ادعوا

الرحمن اياما تدعو فله الاسماء الحسنى اه *
وقال الامام زين العابدين السجاد كيف يسأل محتاج محتاجا . وقال الامام الغزالى المؤمن لا يجعل بينه وبين الله تعالى وسائط فى الطلب قال تعالى، ونحن أقرب اليه من حبل الوريد *
﴿ وفى تفسير روح المعانى ﴾ هذا الكلام على قوله تعالى . والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئا وهم يخلقون . أموات غير أحياء وما يشعرون ايان يبعثون مانصه ما أعظمها آية فى النعى على من يستغيث بغير الله تعالى من الجمادات والاموات ويطلب منه مالا يستطيع خلقه لنفسه أو دفعه عنها . وقال بعض أكابر السادة الصوفية ان الاستغاثة بالاولياء محظورة الامن عارف يميز بين الحدوث والقدم يستغيث بالولى لامن حيث نفسه بل من حيث ظهور الحق فيه فان ذلك غير محظور لانه استغاثة بالحق حينئذ * ﴿ وأنا أقول ﴾ اذا كان الامر كذلك فما الداعى للعدول عن الاستغاثة بالحق من أول الامر . وأيضا اذا ساغت الاستغاثة بالولى من هذه الحيثية فلتسغ الصلوة والصوم وسائر أنواع العبادة له من تلك الحيثية أيضا . ولعل القائل بذلك قائل بهذا بل قد رأيت لبعضهم مايكون هذا القول بالنسبة اليه تسبيح . ولا يكاد يجرى قلمى أو يفتح فمى بذكره . فالطريق المأمون عند كل رشيد . قصر الاستغاثة والاستعانة على الله عزوجل فهو سبحانه الحى القادر العالم بمصالح عباده فاياك والانتظام في سلك الذين يرجون النفع من غيره تعالى *
﴿ وفى هذا التفسير أيضا ﴾ (ان الذين يدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا) اشارة الى ذم الغالين فى أولياء الله تعالى حيث يستغيثون بهم فى الشدة غافلين عن الله تعالى وينذرون لهم النذور . والعقلاء منهم يقولون انهم وسائلنا الى الله تعالى . وانما ينذر له عزوجل . ويجعل ثوابه للولي . ولا يخفى انهم فى دعواهم الاولى أشبه الناس بعبدة الاصنام . القائلين انما نعبدهم ليقربونا الى الله زلفى . ودعواهم الثانية لا بأس بها لولم يطلبوا منهم بذلك شفاء مريضهم أو رغائبهم أو نحو ذلك والظاهر من حالهم الطلب ويرشد الى ذلك انه لو قيل انذروا لله تعالى واجعلوا ثوابه لوالديكم فانهم أحوج من أولئك الاولياء لم يفعلوا ورأيت كثيرا . منهم يسجد على أعتاب حجر القبور للاولياء . ومنهم من يثبت التصرف لهم جميعا فى قبورهم لكنهم متفاوتون فيه حسب تفاوت مراتبهم . والعلماء منهم يحصرون التصرف فى القبور فى أربعة .

أو خمسة . واذا طولبوا بالدليل قالوا ثبت ذلك بالكشف . قاتلهم الله تعالى ما أجهلهم وأكثر افترائهم . ومنهم من يزعم انهم يخرجون من القبور . ويتشكلون باشكال مختلفة . وعلماؤهم يقولون انما تظهر أرواحهم متشكلة . وتطوف حيث شاءت وربما تشكلت بصورة أسد أو غزال أو نحوه . وكل ذلك باطل لا أصل له فى الكتاب والسنة . وكلام سلف الامة . وقد أفسد هؤلاء على الناس دينهم . وصاروا ضحكة لاهل الاديان المنسوخة من اليهود والنصارى وكذا لاهل النحل والدهرية . فنسأل الله تعالى العفو والعافية *

* وفيه أيضا * (عند الكلام على قوله تعالى . واذا تتلى عليهم آياتنا بينات تعرف فى وجوه الذين كفروا المنكر الآية * فيه اشارة الى ذم المتصوفة . الذين اذا سمعوا الآيات الرادة عليهم ظهر عليهم التجهم والبسور وهم فى زماننا كثيرون . فانا لله وأنا اليه راجعون . وقال لما تكلم على قوله تعالى (فالمدبرات أمرا من) سورة والنازعات . انه أقسام من الله تعالى بطوائف من ملائكة الموت وقيل غير ذلك . الى ان قال وفى حمل المدبرات على النجوم ايهام صحة ما يزعمه أهل الاحكام وجهلة المنجمين وهو باطل عقلا ونقلا . كما أوضحنا ذلك فيما تقدم . وكذا فى حملها على النفوس الفاضلة المفارقة ايهام صحة مايزعمه كثير من سخفة العقول من ان الاولياء يتصرفون بعد وفاتهم بنحو شفاء المريض وانقاذ الغريق والنصر على الاعداء . وغير ذلك مما يكون فى عالم الكون والفساد . على معني ان الله تعالى فوض اليهم ذلك . ومنهم من خص ذلك بخمسة من الاولياء . والكل جهل وان كان الثانى أشد جهلا . الى اخر ماقال *

* وفيه أيضا * قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لاتدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها . ذكر بعض الغلاة انه اشارة الى انه لاينبغى لمن يريد الدخول على الاولياء ان يدخل حتى يجد روح القبول والاذن بافاضة المدد الروحاني على قلبه المشار اليه بالاستئناس فانه قد يكون للولى حال لا يليق للداخل ان يحضره فيه وربما يضره ذلك . واطرد بعض الصوفية ذلك فيمن يريد الدخول لزيارة قبور الاولياء . فقال ينبغى لمن اراد ذلك ان يقف بالباب على أكمل مايكون من الادب ويجمع حواسه ويعتمد بقلبه طالبا الاذن . ويجعل شيخه واسطة بينه وبين الولى المزور فى ذلك فان حصل له انشراح صدر ومدد روحاني وفيض باطنى فليدخل والا فليرجع . وهذا هو المعنى بادب الزيارة عندهم *

﴿ قال المفسر ﴾ رحمه الله فى رده ولم نجد ذلك عن أحد من السلف الصالح والشيعة عند الزيارة للائمة ينادى أحدهم أأدخل يا أمير المؤمنين . أو يا ابن بنت رسول الله أو نحو ذلك . ويزعمون ان علامة الاذن حصول رقة القلب ودمع العين *

وهو أيضا مما لم نعرفه عن أحد من السلف ولا ذكره فقهاؤنا . وما هو الا بدعة ولا يعد فاعلها الا ضحكة للعقلاء . وكون المزور حيا في قبره لايستدعى الاستئذان في الدخول لزيارته. وكذا ماذكره بعض الفقهاء من انه ينبغى للزائر التأدب مع المزور كما يتأدب معه حيا كما لا يخفى *

﴿ قل وقد ﴾ رأيت بعد كتابتى هذا فى الجوهر المنظم . فى زيارة القبر المعظم . صلى الله تعالى على صاحبه وسلم لابن حجر المكى مانصه . قال بعضهم وينبغى ان يقف يعنى الزائر بالباب وقفة لطيفة كالمستأذن فى الدخول على العظماء انتهى *

﴿ وفيه انه ﴾ لا أصل لذلك ولا حال ولا أدب يقتضيه انتهى . ومنه يعلم انه اذا لم يشرع ذلك في زيارة قبره عليه الصلاة والسلام فعدم شروعيته فى زيارة غيره من باب أولى . فاحفظ ذاك . والله تعالى يعصمنا من البدع واياك *

﴿ وفيه أيضا ﴾ (قوله تعالى واذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لايؤمنون)بالآخرة وقد رأينا كثيرا من الناس على نحو هذه الصفة التى وصف الله تعالى بها المشركين يهشون لذكر أموات يستغيثون بهم . ويطلبون منهم . ويطربون من سماع حكايات كاذبة عنهم توافق هواهم . واعتقادهم فيه ويعظمون من يحكى لهم ذلك وينقبضون من ذكر الله تعالى وحده ونسبة الاستقلال بالتصرف اليه عز وجل وسرد مايدل على مزيد عظمته وجلاله وينفرون ممن يفعل ذلك كل النفرة وينسبونه الى مايكره . (وقلت) يوما لرجل يستغيث فى شدة ببعض الاموات وينادى يا فلان أغثنى . فقلت له قل يا ألله فقد قال سبحانه واذا سألك عبادي عنى فانى قريب أجيب دعوة الداعى اذا دعان فغضب (وبلغنى) انه قال ان فلانا منكر على الاولياء . وسمعت عن بعضهم انه قال الولى أسرع اجابة من الله عز وجل . وهذا من الكفر بمكان . نسأل الله تعالى ان يعصمنا من الزيغ والطغيان *

﴿ وفيه أيضا ﴾ عند الكلام على قوله تعالى حتى اذا كنتم فى الفلك وجرين بهم ريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا انهم أحيط بهم دعوا الله

مخلصين له الدين لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين فلما نجاهم اذا هم يبغون فى الارض بغير الحق *

لما كان يوم الفتح فرّ عكرمة ابن أبي جهل فركب البحر فاصابتهم عاصف . فقال أصحاب السفينة لاهل السفينة اخلصوا فان آلهتكم لا تغنى عنكم شيئا . فقال عكرمة لئن لم ينجنى في البحر الا الاخلاص ما ينجينى في البر غيره أللهم ان لك عهدا ان أنت عافيتنى مما أنا فيه ان آتى محمدا حتى اضع يدى فى يده فلأجدنه عفوا كريما قال فجاء فاسلم . وظاهر الآية انه ليس المراد تخصيص الدعاء فقط به سبحانه بل تخصيص العبادة به تعالى أيضا لانهم بمجرد ذلك لا يكونون مخلصين له الدين . وأيا ما كان فالآية دالة على ان المشركين لا يدعون غيره تعالى فى تلك الحال . (وأنت) خبير . بان الناس اليوم اذا اعتراهم أمر خطير وخطب جسيم فى بر او بحر . دعوا من لا يضر ولا ينفع . ولا يرى ولا يسمع . فمنهم من يدعو الخضر والياس . ومنهم من ينادي أبا الخميس والعباس . ومنهم من يستغيث باحد الائمة . ومنهم من يضرع الى شيخ من مشائخ الامة . ولا ترى فيهم أحدا يخص مولاه . بتضرعه ودعاه . ولا يكاد يمر له ببال . انه لو دعا الله تعالى وحده ينجو من هاتيك الاهوال . فبالله تعالى عليك قل لى أى الفريقين من هذه الحيثية اهدى سبيلا . واىّ الداعيين أقوم قيلا . والى الله تعالى المشتكي من زمان عصفت فيه ريح الجهالة وتلاطمت أمواج الضلالة . وخرقت سفينة الشريعة . واتخذت الاستغاثة بغير الله تعالى للنجاة ذريعة . وتعذر على العارفين الامر بالمعروف . ومالت دون النهى عن المنكر صنوف الحتوف *

﴿ وفيه أيضا ﴾ فى تفسير قوله تعالى والذين عملوا السيئات ثم تابوا من بعدها ان ربك من بعدها لغفور رحيم . وقد أورد كلاما حاصله ان يلتجئ الانسان فى المهمات اليه تعالى. ثم قال وفى الآية اعلام بان الذنوب وان جلت وعظمت فان عفو الله تعالى وكرمه أعظم وأجل . وما الطف قول أبي نواس غفر الله تعالى له *

يارب ان عظمت ذنوبي كثرة * فلقد علمت بان عفوك أعظم
ان كان لا يرجوك الا محسن * فيمن يلوذ ويستجير المجرم

ومما ينسب للامام الشافعى رضى الله تعالى عنه

ولما قسا قلبي وضاقت مذاهبي * جعلت الرجا ربي لعفوك سلما
تعاظمني ذنبي فلما قرنته * بعفوك ربي كان عفوك أعظما

وكم في هذا التفسير الجليل الشان . من مسائل تتعلق بوجوب تحقيق توحيد الملك الديان . وافراده سبحانه بان يستغاث ويستعان *

﴿ وفي كتاب ابن أبي الدنيا ﴾ الذي ألفه في كلام المستحضرين شئ كثير من كلام الصالحين والاولياء والعارفين الذي تكلموا في آخر عمرهم . وقد حصروا الاستعانة والالتجاء به تعالى وانه لاينبغي ان يستغاث بغيره نظما ونثرا . وقد أفرد له الغزالي بابا في الاحياء . وأتى الزبيدي في شرحه بملخص كتاب المستحضرين لابن أبي الدنيا تركنا ذكره لطوله ولكونه متداولا هذا الكتاب بين الناس *

﴿ ومن المنظوم في هذا الباب ﴾ ما قاله الشاعر الشهير الشيخ صالح تجاوز الله عنه *

ياسائلا غير اله السما * بشراك بالخيبة والرد
ان الذي سواك من نطفة * يغنيك عن مسألة العبد

ولآخر

لاتسألن من ابن آدم حاجة * وسل الذي ابوابه لاتحجب
الله يغضب ان تركت سؤاله * وبُنيَّ آدم حين يسأل يغضب

وللعلامة الجليل * والفاضل النبيل * محدث عصره * وحافظ مصره * الشيخ علي السويدي صاحب كتاب العقد الثمين . عليه الرحمه *

يانفس كم لا تعبئين بحالى * هل اتعظت بفرقة الامثال
ذهب الزمان باهله وتخلفت * اخلاف سوء عادموا افضال
بئس الخلائق هم ولا ذكرى لهم * اشباح اهواء ومحض خيال
اخلاقهم نقض العهود ودأبهم * خلف الوعود وزخرف الاقوال
لا يعرفون وداد من صافاهم * ويرون ذلك شعبة لضلال
لا يسألون عن الصديق كانهم * جلوا عن الاشباه والامثال
الفوا الجفاء فمن اتى منهم بما * فيه الوفاء فقد اتى بمحال

اديانهم دنيا بدت تبدى لنا * ما فيهم من أسوء الافعال
يتفاخرون بجمع أموال غدت * نسبا شريفا وابتهاج جمال
افلا يرون بنى اليهود وعابدى ال * أنداد اجمع منهم للمال
اني بلوتهم فلم ارفيهم * الا البلاء وأعظم البلبال
لا خير فيهم غيران وفاقهم * نكد وهم مؤذن بوبال
يا نفس عدى عنهم وتصبرى * فهم الغثاء ودمنة الاطلال
وتخيلى لمثالهم من طينة * غبراء وانظر مقتضى التمثال
وثقى بمن خلق السموات العلى * الواحد المتكبر المتعالى
والله ما أسفى غد الاعلى * ما ضاع منى سابق الاحوال
مع انني من فضل ربي ليس لى * طمع بجاه عندهم وبمال
يا صاحب النفس اللوامة انني * انهاك دهشتها بيوم كلال
صاح استمع نصحا اتاك مفصلا * كتفصل العقيان فوق لئال
بادر بقايا عمرك الفانى فلا * تصرفه الا فى الرضى المتوالى
واشغل فؤادك دائبا متفكرا * فيما يليق بمنصب الاجلال
واخلص عبادتك التى باشرتها * فى القول والاحوال والافعال
واشغل بذكر الله قلبك لاهجا * بصفاته العليا بلا املال
واجعل مماتك نصب عينك انه * اولى الامور وانصح الاحوال
واعلم بأنك بعد ذاك محاسب * فاضبطه لا تك فيه ذا اهمال
واعلم بانك بعد ذلك صائر * اما الى بؤس او الافضال
وأدب على حفظ الشريعة سالكا * سبل الهدى لا قاليا اوغالى
وابدأ بحفظ القلب عن شبهاته * واعرف مساويها على الاجمال
وكذاك فاحفظه عن الشهوات اذ * بالحفظ من هذين كل كمال
ثم اسقه ماء الحيوة بواعظ * من محكم التنزيل فى اجلال
واحرس فراغك بالتذكر انه * عمر اذا ما ضاع منك لغال

واحفظ جوارحك التى أوتيتها * عن كل ما يقضى بكل نكال
واعلم بانك ما خلقت سبهللا * فاعبد اله العرش بالاقبال
واجعل سلاحك دعوة بانابة * والجأ الى مولاك غير مبال
واسأله لا تسأم فانك عبده * فهو الكريم ورب كل نوال
يا رب فاقطع عن فؤادى كل ما * أرجوه الا منك من آمال
واغسله من درن الظنون فانه * مرض القلوب وموجب الاعلال
وارحه من نظر العباد فانه * أصل الفساد وافسد الاشغال
وارزقه خشيتك التى تستوجب الـ * حسنى لدى المقبول من اعمال
يا رب وفقني لما فيه الرضى * فلقد دعوت اجابت التسآل
واختم لنا بالخير عاجله الذى * تبدوا حلاوة ذوقه بمآل
يا رب انى عبدك الجانى على * نفسي تجاوز عنى قبيح فعالى
واجعل صلاتك دائما تترى على * كنز المعالي السيد المفضال
وكذا على آل له وصحابة * أهل العلى والعز والاجلال

فانظر الى قوله واسأله لا تسأم الخ وفى نسخة

واسأله لا تسأل سواه فانه الـ * ولى الكريم ورب كل نوال

وقوله يا رب فاقطع الخ والى قوله وارحه من نظر العباد الخ والى سائر أقواله تجد انوار التوحيد تشرق منها وهكذا المؤمن المتبع لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم لا يستمد ولا يستغيث ولا يلتجئ ولا يستعين الا بالله ومن كان على قلبه حجاب الغفلة وصدأ الضلال وداء الزيغ اعرض عن الله ونادى غيره واقبل على ما سواه وشرع يتشبث بالشبهات الواهية . والدلائل الفاسدة . والحكايات الكاذبة . ولم يلتفت الى نصوص الشريعة الغراء — وما ورد من الاحاديث الصحيحة الصريحة وعليك بما ألفه هذا الناظم الفاضل فى العقائد السلفية وهو كتاب العقد الثمين وقد بلغنى ان بعض افاضل الحنفية كتب في وصيته لبنيه ان يقرؤا هذا الكتاب ويعقدوا خناصر قلوبهم على حفظه فان النجاة فيه وفي امثاله من كتب حفاظ الحديث وعلماء السنة النبوية وهذا الكتاب جمع جميع ما يجب على المكلف معرفته ولذلك قال فيه العالم العلامة الشيخ

محمد خليل الدمشقي الشهير بابن الخشة مقرظا ومادحا لهذا الكتاب وذا كرا فيه بدع الغلاة وهو قوله *

لله در امام ساد كلّ على * فحق بالحق ان يدعى بـلا على
اهدى الينا كتابا من براعتـه * هو الشفاء لمرضى الغي والخطل
ابدى به من رقيق الفكر فانفجرت * منه عيون الهدى احلى من العسل
لا غرو فهو امام العصر جهبـذه * بل قد غلا وعلا فيه على الأول
لا ضير ان أشرقت فينا طوالعـه * فالشمس راد الضحى كالشمس فى الطفل
عقائد هي عـين الحق هادية * الى صراط سوى جل عن دغل
من سنة المصطفى والآى قد نسجت * تلك البرود فـكانت اشرف الحلل
وطرزت بدرارى العقل ساطعة * منها البراهين تمحو غيهب الزلل
قد اظهرت بدعا صارت ترى سننا * لدى الالى سكروا عن شرعة الرسل
قوم هم نهجوا سبل الغواية اذ * زاغوا فعندهم ابليس خير ولى
والقطب والغوث والابدال من تركوا * شرائع الدين او سـبوه بالجمل
قلنا لهم لم يصلوا قيل عنـدكم * وبعضهم قال هم عنها الفى شغل
جهال قلنا فقالوا اللب عندهم * والقشر عنـدكم للرد والجدل
فساق قلنا فقالوا يسترون على * أحوالهم كى تظنوهم من السفل
قلنا زناة فقالوا ذاك عن حكم * اقلها سد ثقب الفلك عن خلل
قلنا لهم يأكلون السحت قيل هم * بحر ولا تقذر الامواج بالبصل
برهانهم من حكايات مزخرفة * هى الغرور من الشيطان للختل
عمى عن الحق صم حيث عالمهم * لا يدرك الفرق بين الجذب والخبل
تبا وتبا لسياراتهـم فلقـد * غشت على عين شرع الله بالقذل
تكونت من منا كير منغصـة * ومن جنون ومن حمق ومن ثمل
ولو ترى لرأيت النكر غشولهم * وثور اعلامهم من اسمج الحيـل
وطالما مر للدين منتسب * بخشوشع ضارع يبكى بكا العيل

وهزهم للتوابيت التى ارتفعت * ونكس أرؤسهم باللثم والقبل
وقولهم يا بنى يحيي عليك به * تخذه واقتله وانصرنى على عجل
وغائبي يوم تأتيني به عجلا * نذري اليك كذا يأتى بلا مهل
كم غصة قتلت كم رجفة قصمت * ظهر الاريب وكم نبل من الاسل
حتى أقامت به الاعداء حجتهم * من كل منتقص للدين أولولى
واضيعة الدين اذ أهل الكتاب غدت * تظن ذا دين خير الرسل واخجلي
ويا خسارتهم يا قبح ما فعلوا * كانهم لم يميزوا الرب من هبل
ويا شقاوة قوم بين أظهرهم * لو نافقوا وتلوا متنا من الجبل
ادواء لا يرتجي برء لعلتها * الا بشرب حبوب الموت بالعلل
ألم يرو نقم الله التى اشتعلت * ترمى جمالات صفر من لظى الجلل
سكرى ثملت بدن من معتقة * ماشيب فيها سوى الدردى بالاصل
ماست رويدا وكان النشر يقعدها * حتى ارتوت بغبوق النهل والعلل
واستحكم السكر منها فانثنت طربا * تهتز فى خبب رقصا وفى رمل
هاجت بها ريح نجد بالصبا سحرا * وناح صدح رخيم الناى بالزجل
غنت عراقا وغنت بالحجاز على * برج النوى بافانين من الغزل
وقودها الناس بل من غيضها شهقت * بالطفل والحمل والانعام للنزل
فتكا وذبحا وبقرا للبطون على * عقر البهائم بعد القطع للسبل
ولات حين مناص حيث داهية * دهماء قد سطرت في سابق الازل
كانما صيحة الله التى عقلت * أودت بعقل أولى الالباب ذى الدول
وهكذا صنع الله متى انتهكت * شرائع الدين صونا منه عن بدل
هلا رجعنا لمحو الذنب حين ربا * مستمطرين الدما من صيب المقل
متمسكين بمروى دين أحمدنا * مستوثقين بمولى خير متكل
تذب عن بيضة الاسلام من كثب * بصارم الشرع نرجو منة النقل
ياسيد الدهر ما هذا الانين على * آثار سعدي وسعد الدين فى زحل

ويا بديع المعانى راح يلمزها * قوما غدوا يعدلون الذر بالجمل
ناديت صما ولكن لا حياة لهم * هيهات هيهات عن ذا الكل في شغل
رشيت نبلا ولكن لا حراك لها * هل يخرق السهم صم الصخر والجبل
وهل منار السهى واذى الحضيض علا * وهل يطابق معوج بمعتدل
حركت منى هوى قد لج فى كبدى * نضيحة خلط الاخلاط بالعضل
وانت كشاف غم المضلات اذا * غبطا يقولون جار الله معتزلى
خفرت ذمة أهل الله فأتمنوا * وجزت فيهم صراط الناسك النكل
شكرا لسعيك قد وفيت عهدك لا * تخشى السوى حبذا من عالم بطل
قفوت آثار آل كلهم منن * على البرية اذ جلوا عن المثل
غر فضائلهم عزفوا ضلهم * نور شمائلهم بالعلم والعمل
أدنى الخطا لمعالى نيل سوددهم * لو رامها البدر فى عامين لم يصل
لولم يكونوا أسودا ماجرى مثلا * ما فى السويدا رجال يوم مرتحل
باتوا فكانت سويدا القلب مسكنهم * على الحقيقة خوفا من عتا المقل
كفى كفى الناس عزا منكم وبكم * كما كفى الشعر عزا انه يعلى

وكان هذا الفاضل رحمه الله تعالى من أعيان علماء دمشق الشام وكان سلفي العقيدة وكم له من قصائد غراء منع فيها الاستغاثة والالتجاء بغير الله تعالى وكان سيفا في أعناق الغلاة المبتدعة عبدة القبور ولا بدع فنى دمشق أنصار الدين وأئمة الحديث . وحفظة السنة لا هتك الله حريما ولا مزق لهم أديما . ولا أخلى الله تعالى الزمان من مثلهم *

﴿ ومن ذلك الابيات المشهورة ﴾ وقد قالوا انها استغاثة مباركة مادعابها أحد فى حاجة الا قضيت ولا توسل بها مريض الا شفى باذن الله تعالى وهى *

يامن يرى مافى الضمير ويسمع * أنت المعد لكل مايتوقع
يامن يرجى للشدائد كلها * يامن اليه المشتكى والمفزع
يامن خزائن ملكه فى قول كن * أمنن فان الخير عندك أجمع
مالي سوى فقرى اليك وسيلة * فبالافتقار اليك فقرى أدفع

مالى سوى قرعى لبابك حيلة * ولئن طردت فأى باب أقرع
ومن الذى أدعو وأهتف باسمه * ان كان فضلك عن فقيرك يمنع
حاشا لجودك ان تقنط عاصيا * الفضل أجزل والمواهب أوسع
بالذل قد وافيت بابك عالما * ان التذلل عند بابك ينفع
وجعلت معتمدى عليك توكلا * وبسطت كفى سائلا أتضرع
فاجعل لنا من كل ضيق مخرجا * والطف بنا يامن اليه المرجع
ثم الصلاة على النبى وآله * خير الخلائق شافع ومشفع

﴿ومن ذلك قول بعض العارفين﴾ وهى استغاثة مباركة أيضا لم يزل الصالحون يناجون مولاهم بها ويستمطرون سحائب لطفه تعالى *

لبست ثوب الرجا والناس قد رقدوا * وبت أشكو الى مولاى ما أجد
وقلت يا أملى فى كل نائبة * ومن عليه لكشف الضر اعتمد
أشكو اليك أمورا أنت تعلمها * مالى على حملها صبر ولا جلد
وقد مددت يدى بالذل مبتهلا * اليك ياخير من مدت اليه يد
فلا تردنها يارب خائبة * فبحر جودك يروى كل من يرد

﴿ومن ذلك﴾ ما قاله البستى فى قصيدته الشهيرة *

ياخادم الجسم كم تسعى لخدمته * أتطلب الربح مما فيه خسران
من يتق الله يحمد فى عواقبه * ويكفه شر من عزوا ومن هانوا
من استعان بغير الله فى طلب * فان ناصره عجز وخذلان

﴿ولبعض الصالحين﴾ وهى قصيدة مشهورة وقد خمسها بعض أهل الزهد وهذا الاصل والتخميس .

رفعت مقامى منة وتفضلا * وكلتنى بالعلم والحلم والولا
ومنك ملأت الكف لى لامن الملا * لك الحمد ياذا الجود والمجد والعلا
تباركت تعطى من تشاء وتمنع
عروس التجلى فى فؤادى تنجلى * وان وعائى بالمعارف ممتلى

وأرجوك يامولاى ياذا التفضل * الهى وخلاقى وسؤلى وموئلى
اليك لدي الاعسار واليسر أفزع
اذا كنت لى فى جملة الامر معتنى * وقد نلت هذا الحظ من فضلك السنى
فلست أبالى مع عيوبى * الهى لقد خيبتنى وطردتنى
فمن ذا الذى أرجو ومن ذا أشفع
أنا العبد عبد الرق فى كل حالة * ولست بعبد فى الرخا أو بشدة
لك الامر فى الحرمان أو فى العطية * الهى لئن جلت وجمت خطيئتى
فعفوك عن ذنبي أجل وأوسع
اذا سلكت دنياى بالحال سبلها * وأظهرت الايام فى العبد جهلها
فلست يؤسا بل أقول لعلها * الهى لئن أعطيت نفسى سؤلها
فها أنا في روض الندامة أرتع
اليك رجائى ينتمى وأضافتى * ومنك أرى سكرى بدا وافاقتى
وهب اننى أخرت عن سير ناقتى * الهى ترى حالى وفقرى وفاقتى
وأنت مناجاة الخفية تسمع
بحبك ثوبي فى البرية من صبغ * ولا زال بالاشواق جلدى يندبغ
وقلبي على الحالين من أمره لدغ * الهى فلا تقطع رجائى ولا تزغ
فؤادى فلى فى سيب جودك مطمع
جدارى على تأسيس جدواك قد بنى * ولا زال قلبي بالتذكر يعتنى
واني أنادى كلما الوجد حثني * الهى أجرنى من عذابك اننى
أسير ذليل خائف لك أخضع
رفعت الى علياء جاهك قصتى * عسى تكشف الآن بالقرب غصتى
اذا أنت بالتوحيد طبق محجتى * الهي فانسنى بتلقين حجتى
اذا كان لى فى القبر مثوى ومضجع
أنا العبد ملقي بالرجا وسط لجة * ورجت غراما أرض نفسي برجة

ولست أرى عذرا ولا بعض حجة * الهى لئن عذبتنى الف حجة
فحبل رجائى منك لا يتقطع
سألتك تعفو عن ذنوبى تفضلا * فانى لقد أكثرت فيك التوكلا
باسمائك الحسنى دعوت توسلا * الهى أذقنى طعم عفوك يوم لا
بنون ولا مال هنالك ينفع
حديث غرامى فيك لا زال شايعا * وأنت اشتريت النفس مذ كنت بايعا
فجدلى بامن منك لاك رايعا * الهى لئن لم ترعنى كنت ضايعا
وان كنت ترعانى فلست اضيع
عليك ثنائي من جميعي بالسن * على كل فعل من فعالك بى مسن[1]
اتيت بذنب لى عن الغير مرسن * الهى اذا لم تعف عن غير محسن
فمن لمسيء بالهوى يتمتع
هو العبد من مولاه بالمنة ارتقى * غداة له كأس المحبة قد سقى
عليك اتكالى قد عدمت لك البقا * الهى لئن قصرت فى طلب التقى
فلست سوى ابواب فضلك اقرع
دفعت عذول الحب عني بالتى * وفيك فتى أصبحت نحوك ما فتى
فان عثرت رجلى وجلت خطيئتى * الهى أقلنى عثرتى وامح زلتى
فاني مقر خائف متضرع
محبك لما انت وجدت له فتى * فهيهات ان تلقاه بالخير معتنى
وها انا راجي الفضل ماعنك انثنى * الهى لئن خيبتنى وطردتنى
فما حيلتى يارب ام كيف اصنع
جمالك باه فى الملاحة باهر * ومنك يواقيت بدت وجواهر
أأبقى ومنه قد تجلت مظاهر * الهى حليف الحب بالليل ساهر
يناجي ويبكى والغفول يهجع
مقامك اضحى بانتسابى عاليا * فاخرجت من أصداف علمي لئاليا

(١) كذا بالاصل

وحزني اولو التحقيق راموا امراميا * وكلهم يرجو نوالك راجيا
والا فبالذنب المدمر اصرع

لوجهك قوم اولعوا بجماله * وكل تفاني طامعا بوصاله
فبدل لنا نقص الهوى بكماله * الهي بعلم الهاشمي وآله
وتوحيد ابرارهم لك اخشع

ظهورك بي عندى اراه علامة * على انك المسدى الى كرامة
وان رامت الاغيار مني انتقامة * الهى أنلني من رجائي سلامة
وقبح خطيئاتى على يشنع

مقام الترجي للنوال هو الذى * أقام فؤادى بالتردد يغتذى
وان لساني فى ثنا مدحه بذى * الهى ائن تعفو فعفوك منقذى
وانى يارب الورى لك اخضع

امام الهدى اني وراءك مقتدى * ولى فيك قلب من تشوقه صدى
وقد بت استجدى باحشاء مكمد * الهي فانشرنى على دين أحمد
منيبا تقيا قانتا لك اضرع

سماء العطايا قد رفعت لها يدى * وأصبحت ارجو زهر روضتها الندى
واشهدت هذا الباب فى كل مشهد * فلا تحرمنى ياالهى وسيدى
شفاعته الكبرى فذاك المشفع

هو المصطفى المختار طه محمد * نبي الهدى رؤياه للعين اثمد
سلامك من عبد الغني له يد * وصل عليه مادعاك موحد
وناجاك احياء ببابك سجد

وللزمخشرى المفسر الشهير مع انه كان يرمي بالاعتذال مناجيا مولاه ومستغيثا بالله وهكذا فليكن من يدعى التوحيد . ويعتقد انه على الرأى السديد

يامن يرى مد البعوض جناحها * في ظلمة الليل البهيم الاليل
ويرى مناط عروقها فى نحرها * والمخ فى تلك العظام النحل

ويرى مكان المشى من أقدامها * وخطيطها في مشيها المستعجل
ويري مكان الدم من أعضائها * متنقلا من مفصل فى مفصل
ويرى ويسمع حس ماهو صوتها * فى قعر بحر غامض متجدول
اصواتها مرفوعة عند الندا * ارزاقها مقسومة للسؤل
اغفر لعبد تاب عن فرطاته * مافات منه فى الزمان الاول

وقد استشهد ببعض هذه الابيات فى تفسير سورة البقرة من الكشاف . وهذه الابيات تشرق بانوار التوحيد *

﴿ وكان الشيخ شهاب لدين السهروردي ﴾ يواظب على قراءة هذه الاستغاثة وذكروا لها خواص كثيرة وفوائد عظيمة لمن يداوم على قرائتها وهى *

سبحانك لا اله الا انت يارب كل شئ ووارثه ياإله الالهة الرفيع جلاله . ياالله المحمود في كل حال فعاله . كل يوم هو فى شأن . ياحي حين لاحي فى ديمومية ملكه وبقائه ياقيوم فلايفوت شئ من علمه ولا يؤده ياواحد الباقى اول كل شئ وآخره ياصمد من غير شبهة ولا شئ كمثله يابادئ النفوس فلا شئ كفؤه يدانيه ولا امكان لوصفه يا كبير انت الذي لاتهتدى العقول لوصف عظمته ياباري، النفوس بلا مثال خلا من غيره يازاكى الطاهر من كل آفة بقدس جلاله . يا كافى الموسع لما خلق من عطايا فضله يانقيا من كل جور لم يرضه ولم يخالطه فعاله . ياحنان انت الذى وسعت كل شيء رحمة وعلما يامنان ذو الاحسان قد عم كل الخلائق منه ياديان للعباد كل يقوم خاضعا لرهبته ورغبته ياخالق من فى السموات والارض كل اليه معاده ياتام فلا تصف الالسن كنه جلاله ملكه وعزه يارحيم كل صريخ ومكروب وعياذه وغياثه وملاذه يامبدع البدائع لم يبغ فى انشائها عونا ياعلام الغيوب فلا يؤده شئ من حفظه ياحليم ذا الانابة فلا يعادله شئ من خلقه . يامعيد لما أفناه اذا برز الخلائق لدعوته ياحميد الفعال ذا المن على جميع خلقه بلطفه ياعزيز المنع الغالب على أمره فلا يعادله ياقاهر ذا البطش الشديد أنت الذى لايطاق انتقامه . ياقريب يامتعالى فوق كل شيء علو ارتفاعه يامذل كل جبار بقهر عزيز سلطانه . يانور كل شئ وهداه أنت الذى فاق الظلمات بنوره . ياعلى الشامخ فوق كل شيء علو ارتفاعه ياقدوس الطاهر من كل سوء فلا شئ يعادله يامبدئ البرايا ومعيدها بعد فناء

خلقه . ياجليل المتكبر عن كل شيء فالعدل أمره والصدق وعده . يامحمود فلا تبلغ الاوهام كل كنه ثنائه وعزه ومجده . يا كريم ذو العفو والعدل أنت الذى ملا كل شيء عدله ياعظيم ذو الثناء الفاخر والعز والمجد والكبريا. فلا يذل عزه . يامجيب ياعزيز فلا تنطق الالسن بكل آلائه وثنائه ومجده وعزه . ياغياثي عند كل كربة . ومجبي عند كل شدة اسألك أمانا من عقوبات الدين والدنيا والآخرة وان تصرف عنى كل سوء ومحذور برحمتك ياارحم الراحمين اه *

وله حزب مشهور وهو استغاثة والتجاء بالله سبحانه أوله الهي واله جميع الموجودات فيه من المناجاة والتضرع الى الله وطلب الغوث منه والاستعانة به ما يليق بحال العارفين والصفوة والمتبعين .

وللشيخ الدمياطى قصيدة طويلة دعا لله تعالى باسمائه الحسنى فيها واستغاثه بها * ومنها قوله في آخرها *

باسمائك الحسنى دعوتك سيدى * وجئت بها ياخالقي متوسلا
ومبتهلا ربى اليك بفضلها * وأرجو بها كل الامور مسهلا
فقابل الهى بالرضا منك واكفنى * صروف زماني مكثرا ومقللا
وجد واعف وارحم واكف وانصر على العدى * وتب واهد واصلح كل حال تخللا

﴿ وفى كتاب شفاء العليل ﴾ كما ان من صفات الكمال وأفعال الحمد والثناء انه يجود ويعطى ويمنح فمنها ان يعيذ وينصر ويغيث فكما يحب ان يلوذ به اللائذون يحب ان يعوذ به العائذون وكمال الملوك ان يلوذ بهم أولياؤهم ويعوذوا بهم كما قال احمد بن حسين الكندى فى ممدوحه .

يامن ألوذ به فيما أؤمله * ومن أعوذ به مما أحاذره
لا يجبر الناس عظما أنت كاسره * ولا يهيضون عظما أنت جابره

ولو قال ذلك في ربه وفاطره لكان أسعد به من مخلوق مثله . والمقصود ان ملك الملوك يحب ان يلوذ به مماليكه وان يعوذوا به كما أمر رسوله ان يستعيذ به من الشيطان الرجيم فى غير موضع من كتابه اه .

وقد رأيت أحزابا كثيرة لجماعة من الصالحين وليس فيها طلب شيء من مخلوق بل كلها مناجاة

لله واستغاثة به سبحانه ثم رأيت فى بعضها توسلا بالنبي صلى الله عليه وسلم نحو قول قائلهم اسألك الهى بجاه المصطفى صلى الله عليه وسلم اوحقه اونحو ذلك وهذا ليس استغاثة به فان السؤال من الله تعالى ومسألة التوسل مسألة أخرى وليس كلامنا فيها . والنبهانى لجهله لم يفرق بين المسألتين حتى جعل التوسل استغاثة بل الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم استغاثة فاستشهد بكل كلام راى فيه توسلا وصلاة ونحو ذلك استغاثة وذلك من الجهل بمكان *

وقد ابطلنا بحمد الله كلامه واظهرنا من جهله ما اصبح به بين الانام مثلة وفضيحة

فقل للعيون الرمد للشمس أعين * سواك تراها فى مغيب ومطلع

وقد اورد ابو القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال فى كتاب المستغيثين بالله عند الحاجات والمهمات والمتضرعين الى الله سبحانه وتعالى بالرغبات . ما يضيق هذا المقام عن ذكره فعلى طالب الحق ان يراجعه ويجعله مرآة عمله وبه يعلم ان النبهانى كذب على عباد الله الصالحين .

﴿ قال النبهانى ﴾ الباب الثامن فيما ورد من النظم فى استغاثة العلماء والفضلاء به صلى الله عليه وسلم ومن قرأها او بعضها بنية قضاء حاجاته يرجى له حصول المقصود ببركة الاستغاثة به صلى الله عليه وسلم قال ومعظم هذه الاستغاثات أخذتها من بعض قصائد المجموعة النبهانية وما لم يكن منها نبهت عليه ثم اورد الشعر مرتبا على حروف الهجاء واورد فى كل حرف كثيرا من الابيات لشعراء متفرقين . ولا حاجة بنا الى نقله فى هذا المقام لكون كتابه منتشرا .

﴿ والجواب عن جميع ما اورده في هذا الباب ﴾ من وجوه كثيرة يستوجب ذكرها طولا بل نقتصر على بعضها طلبا للاختصار على انه قد سبق غير مرة ما يعلم منه الجواب أيضا فنقول

﴿ الوجه الاول ﴾ ان ما يستدل به على مثل هذه المطالب انما هو الكتاب والسنة واجماع الامة وقد سبق ان كل ذلك يدل دلالة صريحة ان ما لا يقدر عليه الا الله تعالى لا يطلب من سواه سبحانه بل ان من طلب ذلك من غيره فقد ابتغى غير سبيل المؤمنين وذكرنا حكم من كان كذلك وان كل احد ما سوى الرسول يؤخذ منه ما يوافق الكتاب والسنة وغير الموافق ينبذ به بوجه قائله كائنا من كان خصوصا اذا كان جاهلا ككثير ممن اورد شعره النبهانى فانهم لا يعدون من العير ولا من النفير ومنهم هو فان النبهانى اورد فى كثير من الاحرف ابياتا من شعره الركيك وجعله حجة على أهل الحق ودليلا على مقصده وهكذا اورد

كثيرا من شعر أمثاله من الجهلة الغلاة فذلك بحمد الله لا يدفع الحق ولا يعارضه .

﴿ الوجه الثاني ﴾ انه قد ذكرنا سابقا كثيرا من كلام العارفين من النظم والنثر ما يقتضي ان يوحد الله بالسؤال وان يفرد سبحانه بالاستعانة والالتجاء اليه وهو الموافق لما ورد من ذلك في الكتاب والسنة وما كان عليه الصحابة والأئمة الهداة وذكرنا ان في كتاب المستغيثين بالله عند الملمات والمهمات البحر الذي ليس له ساحل فمن يلتفت بعد هذا لمثل ما ذكره هذا الزائغ وان جندنا لهم الغالبون والحق يعلو على الباطل وليس بعد الحق الا الضلال البعيد *

﴿ الوجه الثالث ﴾ ان قول النبهاني في شأن ما استشهد به من الشعر والابيات من قرأها أو بعضها بنية قضاء حاجاته يرجي له حصول المقصود ببركة الاستغاثة الخ دعوى كاذبة ليس عليها دليل سوي حكايات يرويها الغلاة وهم بيت الكذب وان سلم صحتها فليس فيها دليل على ما ادعاه النبهاني فان اجابة الدعاء عند القبور للسائلين لا دليل فيه على انه دين الله وانه يحبه ويرضاه وأكثر ما يدعو هؤلاء الغلاة الى دعاء القبور والصالحين ما يحكونه من ان فلانا دعا فاستجيب له واستغاث فاغيث وفلان رد عليه بصره وعند السدنة وعباد القبور من هذا شئ كثير قد أورد منه النبهاني شيئا كثيرا جعله من قواعد مذهبه وأدلة شركه وقد ذكرنا سابقا ان أسباب المقاصد قد تكون محرمة كالسحر ونحوه وانما يثبت استحباب الافعال واتخاذها دينا بكتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وما كان عليه السابقون الاولون وماسوى هذه من الامور المحدثة فلا يستحب وان اشتملت أحيانا على فوائد لانا نعلم ان مفاسدها راجحة على فوائدها *

﴿ الوجه الرابع ﴾ ان الشرك وقع كثيرا من دعاء غير الله كالشرك باهل القبور من دعائهم والتضرع اليهم والرغبة اليهم ونحو ذلك فاذا كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم نهى عن الصلاة التي تتضمن الدعاء لله وحده خالصا عند القبور لئلا يفضى ذلك الي نوع من الشرك بربهم فكيف اذا وجد ماهو نوع الشرك من الرغبة اليهم سواء طلب منهم قضاء الحاجات وتفريج الكربات أو طلب منهم ان يطلبوا ذلك من الله بل لو أقسم على الله ببعض خلقه من الانبياء والملائكة وغيرهم لنهى عن ذلك وان لم يكن عند القبر كما لا يقسم بمخلوق مطلقا وهذا القسم منهى عنه غير منعقد باتفاق الائمة وهل هو نهى تحريم أو تنزيه على قولين أصحهما

انه نهى تحريم ولم يتنازع العلماء الا فى الحلف بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم خاصة فان فيه قولين فى مذهب الامام احمد وبعض أصحابه كابن عقيل وطرد الخلاف فى الحلف بسائر الانبياء لكن القول الذي عليه جمهور الائمة كمالك والشافعى وأبى حنيفة وغيرهم انه لاتنعقد اليمين بمخلوق البتة ولا يقسم بمخلوق البتة وهذا هو الصواب والاقسام على الله بنبيه محمد صلى الله عليه وسلم الذى اشتمل عليه كثير من الشعر الذي أورده النبهانى في هذا الباب ينبنى على هذا الاصل ففيه هذا النزاع . وقد نقل عن أحمد في التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم فى منسك المروزي مايناسب قوله بانعقاد اليمين به لكن الصحيح انه لاتنعقد اليمين به فكذلك هذا . وأما غيره فما علمت بين الامة نزاعا بل قد صرح العلماء بالنهى عن ذلك واتفقوا على ان الله يسأل ويقسم عليه باسمائه وصفاته كما يقسم على غيره بذلك كالادعية المعروفة فى السنن اللهم اني أسألك بان لك الحمد أنت الله المنان بديع السموات والارض ياذا الجلال والاكرام . وفى الحديث الآخر اللهم انى أسألك بكل اسم هولك سميت به نفسك أو أنزلته فى كتابك أو علمته أحدا من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك . فهذه الادعية ونحوها مشروعة باتفاق العلماء واما اذا قال أسألك بمعاقد العز من عرشك فهذا فيه نزاع رخص فيه غير واحد لمجئ الاثر به ونقل عن أبى حنيفة كراهته . قال أبو الحسين القدورى فى شرح الكرخى قال بشر بن الوليد سمعت أبا يوسف قال قال أبو حنيفة لا ينبغى لاحد ان يدعو الله الا به وأكره ان يقول بمعاقد العز من عرشك أو بحق خلقك وهو قول لابى يوسف . قال أبو يوسف بمعقد العز من عرشه هو الله فلا أكره هذا وأكره بحق فلان . وبحق انبيائك ورسلك . وبحق البيت والمشعر الحرام . بهذا الحق يكره قالوا جميعا فالمسألة بخلقه لاتجوز لانه لاحق للخلق على الخالق فلا يجوز ان يسأل بما ليس مستحقا ولكن معقد العز من عرشك هل هو سؤال بمخلوق أو بالخالق . فيه نزاع بينهم فلذلك تنازعوا فيه . وأبو يوسف بلغه الاثر فيه . أسألك بمعاقد العز من عرشك ومنتهى الرحمة من كتابك . وباسمك الاعظم . وجدك الاعلى . وكلماتك التامة فجوزه لذلك . وقد نازع فى هذا بعض الناس . وقالوا فى حديث أبى سعيد الذى رواه ابن ماجه عن النبى صلى الله عليه وسلم في الدعاء الذي يقوله الخارج الى الصلوة . اللهم انى أسألك بحق السائلين وبحق ممشاى هذا فانى لم أخرج أشرا ولا بطرا ولا رياء ولا سمعة . خرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك

اسألك ان تنقذني من النادر وان تغفرلي . وقد قال الله تعالى . واتقوا الله الذى تساءلون به والارحام كما يقال سألتك بالله وبالرحم . ومن زعم من النحاة انه لايجوز العطف على الضمير المجرور الا باعادة الجار فانما قاله لما رأى غالب الكلام باعادة الجار والا فقدسمع من الكلام العربى نثره ونظمه العطف بدون ذلك كما حكي سيبويه . ما فيها غيره وفرسه ولا ضرورة هنا كما يدعي مثل ذلك فى الشعر . ولانه قد ثبت في الصحيح ان عمر رضى الله عنه قال اللهم انا كنا اذا أجدبنا نتوسل اليك بنبينا فتسقينا . وانا نتوسل اليك بعم نبينا فاسقنافيسقون وفي النسائى والترمذى وغيرهما حديث الاعمى الذى صححه الترمذى انه جاء الي النبي صلى الله عليه وسلم فسأله ان يدعو الله ان يرد بصره عليه فامره ان يتوضا فيصلى ركعتين ويقول اللهم انى أسألك واتوجه اليك بنبيك محمد صلى الله عليه وسلم نبي الرحمة يامحمد يانبى الله انى أتوجه بك الى ربى فى حاجتى ليقضيها اللهم فشفعه فيّ ودعا الله فرد الله تعالى عليه بصره*

﴿ والجواب عن هذا ان يقال أولا ﴾ لاريب ان الله جعل على نفسه حقا لعباده المؤمنين كما قال تعالى وكان حقا علينا نصر المؤمنين . وكما قال تعالى كتب ربكم على نفسه الرحمة انه من عمل منكم سوأ بجهالة ثم تاب الآية . وفى الصحيحين انه صلى الله عليه وسلم قال لمعاذ بن جبل وهو رديفه يامعاذ أتدرى ماحق الله على عباده . قلت الله ورسوله أعلم قال حقه عليهم ان يعبدوه ولا يشركوا به شيأ . أتدرى ماحق العباد على الله اذا فعلوا ذلك قلت الله ورسوله أعلم . قال حقهم عليه ان لا يعذبهم . فهذا حق وجب بكلماته التامة ووعده الصادق . وقد اتفق العلماء على وجوب ما يجب بوعده الصادق وتنازعوا هل يوجب بنفسه على نفسه على قولين . ومن جوز ذلك احتج بقوله سبحانه كتب ربكم على نفسه الرحمة وبقوله فى الحديث الصحيح انى حرمت الظلم على نفسى الخ . والكلام على هذا مبسوط فى موضع آخر وأما الايجاب عليه تعالى . والتحريم بالقياس على خلقه . فهذا قول مبتدع مخالف لصحيح المنقول. وصريح المعقول . وأهل السنة متفقون على انه سبحانه وتعالى خالق كل شيء وربه ومليكه . وانه ماشاء كان وما لم يشأ لم يكن وان العباد لا يوجبون عليه شيئا ولهذا كان من قال من أهل السنة بالوجوب قال انه كتب على نفسه الرحمة وحرم الظلم على نفسه لا ان العبد نفسه مستحق على الله شيئا . كما يكون للمخلوق على المخلوق فان الله هو المنعم على العباد بكل خيرفهو الخالق

لهم وهو المرسل اليهم الرسل . وهو الميسر لهم لايمان والعمل الصالح . ومن توهم من القدرية والمعتزلة ونحوهم انهم يستحقون عليه من جنس مايستحق الاجير على المستأجر . فهو جاهل في ذلك . واذا كان كذلك لم تكن الوسيلة اليه الا بما من به من فضله واحسانه والحق الذي لعباده هو من فضله واحسانه ليس من باب المعاوضة ولا من باب ما أوجبه غيره عليه فانه سبحانه يتعالى عن ذلك . واذا سئل بما جعله هو سببا للمطلوب من الاعمال الصالحة التي وعد أصحابها بكرامته وانه يجعل لهم مخرجا ويرزقهم من حيث لا يحتسبون فيستحب دعاؤهم ومن أدعية عباده الصالحين وشفاعة ذوي الوجاهة عنده . فهذا سؤال وتسبب بما جعله هو سببا . واما اذا سئل بشيء ليس هو سببا للمطلوب فاما ان يكون اقساما عليه به فلا يقسم على الله بمخلوق واما ان يكون سؤالا بما لا يقتضي المطلوب فيكون عديم الفائدة *

فالانبياء والمؤمنون لهم حق على الله بوعده الصادق لهم وكلماته التامة ورحمته لهم ان ينعمهم ولا يعذبهم وهم وجهاء عنده يقبل من شفاعتهم ودعائهم مالا يقبله من دعاء غيرهم . فاذا قال الداعي أسألك بحق فلان وفلان لم يدع له وهو لم يسأله باتباعه لذلك الشخص ومحبته وطاعته بل بنفس ذاته وما جعله له ربه من الكرامة لم يكن قد سأله لسبب يوجب المطلوب . وحينئذ فيقال اما التوسل والتوجه الى الله وسؤاله بالاعمال الصالحة التى أمر بها كدعاء الثلاثة الذين آووا الى الغار باعمالهم الصالحة وبدعاء الانبياء والصالحين وشفاعتهم فهذا مما لا نزاع فيه بل هو من الوسيلة التى أمر الله بها في قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقو الله وابتغوا اليه الوسيلة . وقوله سبحانه أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه ان عذاب ربك كان محذورا فان ابتغاء الوسيله اليه هو طلب ما يتوسل أي يتوصل ويتقرب به اليه سبحانه وتعالى سواء كان على وجه العبادة والطاعة وامتثال الامر أو كان على وجه السؤال له والاستعاذة به رغبة اليه في جلب المنافع ودفع المضار ولفظ الدعاء في القرآن يتناول هذا . وهذا الدعاء بمعنى العبادة ولدعاء بمعنى المسألة وان كان كل منهما يستلزم الآخر لكن العبد قد تنزل به النازلة فيكون مقصوده طلب حاجاته وتفريج كرباته فيسعى في ذلك بالسؤال والتضرع وان كان ذلك من العبادة والطاعة . ثم يكون من أول الامر قصده حصول ذلك المطلوب . من الرزق والنصر والعافية مطلقا . ثم الدعاء والتضرع يفتح له من أبواب

الايمان بالله عز وجل ومعرفته ومحبته والتنعم بذكره ودعائه ما يكون هو أحب اليه وأعظم قدرا عنده من تلك الحاجة التى أهمته وهذا من رحمة الله بعباده يسوقهم بالحاجات الدنيوية الى المقاصد العلية الدينية . وقد يفعل العبد ابتداء ما أمر به لاجل العبادة لله والطاعة له ولما عنده من محبته والانابة اليه وخشيته وامتثال أمره . وان كان ذلك يتضمن حصول الرزق والنصر والعافية وقد قال تعالى وقال ربكم ادعونى أستجب لكم وقال النبى صلى الله عليه وسلم فى الحديث الذي رواه أهل السنن أبو داود وغيره الدعاء هو العبادة ثم قرأ قوله تعالى وقال ربكم ادعونى أستجب لكم وقد فسر هذا الحديث مع القرآن بكلا النوعين قيل ادعوني أي اعبدونى وأطيعوا أمرى أستجب دعاءكم وقيل سلونى أعطكم وكلا النوعين حق وفي الصحيحين فى قول النبي صلى الله عليه وسلم في حديث النزول ينزل ربنا الى السماء الدنيا كل ليلة حين يبقى ثلث الليل الاخير فيقول من يدعونى فاستجيب له من يسألني فاعطيه من يستغفرنى فاغفر له حتى يطلع الفجر فذكر أولا اجابة الدعاء ثم ذكر اعطاء السائل ثم ذكر اعطاء المغفرة للمستغفر فهذا جلب المنفعة وهذا دفع المضرة وكلاهما مقصود الداعى المجاب . وقال تعالى واذا سألك عبادي عنى فانى قريب أجيب دعوة الداعى اذا دعانى فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون . وقد روى ان بعض الصحابة قال يا رسول الله ربنا قريب فنناجيه أم بعيد فنناديه . فانزل الله تعالى هذه الآية فاخبر سبحانه وتعالى انه قريب يجيب دعوة الداعى اذا دعاه . ثم أمرهم بالاستجابة له والايمان به كما قال بعضهم فليستجيبوا لى اذا دعوتهم وليؤمنوا بى انى أجيب دعوتهم . قالوا وبهذين الشيئين تحصل اجابة الدعوة بكمال الطاعة لالوهيته وبصحة الايمان بربوبيته . فمن استجاب لربه بامتثال أمره ونهيه حصل مقصوده من الدعاء وأجيب دعاؤه كما قال تعالى ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله . أى يستجيب لهم يقال استجابه واستجاب له فمن دعاه موقنا انه يجيب دعوة الداعي اذا دعاه اجابه وقد يكون مشركا وفاسقا فانه سبحانه هو القائل واذا مس الانسان ضر دعانا لجنبه أو قاعدا أو قائما فلما كشفنا عنه ضره مر كان لم يدعنا الي ضر مسه . وهو سبحانه القائل واذا مسكم الضر فى البحر الى قوله وكان الانسان كفورا . وهو سبحانه القائل قل أرأيتكم ان أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة أغير الله تدعون ان كنتم صادقين بل اياه تدعون فيكشف ما تدعون اليه ان شاء وتنسون ما تشركون

لكن هؤلاء الذين يستجاب لهم لاقرارهم بربوبيته وانه يجيب دعاء المضطر اذا لم يكونوا مخلصين له الدين فى عبادته ولا مطيعين له ولرسله كان ما يعطيهم بدعائهم متاعا في الحياة الدنيا وما لهم فى الآخرة من خلاق قال تعالى من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها مانشاء لمن نريد الى قوله وما كان عطاء ربك محظورا . وقد دعا الخليل عليه الصلاة والسلام بالرزق لاهل الايمان فقال وارزق أهله من الثمرات من آمن بالله واليوم الآخر قال تعالى ومن كفر فامتعه قليلا ثم اضطره الى عذاب النار وبئس المصير فليس كل من متعه الله برزق ونصر اما اجابة لدعائه واما بدون ذلك يكون ممن يحبه الله ويواليه بل هو سبحانه يرزق المؤمن والكافر والبر والفاجر وقد يجيب دعاءهم . ويعطيهم سؤالهم فى الدنيا وما لهم فى الآخرة من خلاق وقد ذكر ان بعض الكفار من النصارى حاصروا مدينة للمسلمين فنفد ماؤهم العذب فطلبوا من المسلمين ان يزودوهم بماء عذب ليرجعوا عنهم فاشتور ولاة أمر المسلمين وقالوا بل ندعهم حتى يضعفهم العطش فنأخذهم فقام أولئك فاستسقوا ودعوا الله فسقاهم فاضطرب بعض العامة . فقال الملك لبعض العارفين أدرك الناس فامر بنصب منبر له وقال اللهم انا نعلم ان هؤلاء من الذين تكفلت بارزاقهم كما قلت فى كتابك وما من دابة في الارض الا على الله رزقها وقد دعوك مضطرين وأنت تجيب المضطر اذا دعاك فاسقيتهم لما تكفلت به من رزقهم ولما دعوك مضطرين لالانك تحبهم ولا تحب دينهم والآن فنريد ان ترينا فيهم آية تثبت بها الايمان فى قلوب عبادك المؤمنين فارسل الله عليهم ريحا أهلكتهم أو نحو هذا . ومن هذا الباب من قد يدعو دعاء اعتدى فيه اما بطلب مالا يصلح أو بالدعاء الذي فيه معصية لله بشرك أو غيره فاذا حصل بعض غرضه ظن ان ذلك دليل على ان عمله صالح بمنزلة من أملى له وامد بالمال والبنين يظن ان ذلك مسارعة له فى الخيرات قال تعالى أيحسبون ان ما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لايشعرون وقال تعالى فلما أنسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شئ حتى اذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون — وقال تعالى ولا يحسبن الذين كفروا انما نملى لهم خير لانفسهم انما نملى لهم ليزدادوا اثما ولهم عذاب مهين — والاملاء اطالة العمر وما فى ضمنه من رزق ونصر . وقال تعالى فذرنى ومن يكذب بهذا الحديث الى قوله ان كيدى متين . وهذا باب واسع مبسوط فى غير هذا الموضع قال تعالى ادعوا ربكم تضرعا وخفية انه لا يحب المعتدين .

والمقصود هنا ان دعاء الله قد يكون دعاء عبادة لله يثاب العبد عليه فى الآخرة مع مايحصل له في الدنيا وقد يكون دعاء مسألة تقضى به حاجته ثم قد يثاب عليه اذا كان مما يحبه الله وقد لا يحصل له الا تلك الحاجة وقد يكون سببا لضرر دينه فيعاقب على ما ضيعه من حقوق الله تعالى وتعداه من حدوده فالوسيلة التي أمر الله بابتغائها نعم الوسيلة في عبادته وفي مسألته فالتوسل اليه بالاعمال الصالحة التى أمر بها وبدعاء الانبياء والصالحين وشفاعتهم ليس هو من باب الاقسام عليه بمخلوقاته *

﴿ ومن هذا الباب ﴾ استشفاع الناس بالنبى صلى الله عليه وسلم يوم القيامة فانهم يطلبون منه ان يشفع لهم الى الله كما كانوا فى الدنيا يطلبون منه ان يدعو لهم فى الاستسقاء وغيره . وقول عمر رضى الله عنه انا كنا اذا أجد بنا توسلنا اليك بنبينا فتسقينا وانا نتوسل اليك بعم نبينا معناه نتوسل بدعائه وشفاعته وسؤاله . ونحن نتوسل اليك بدعاء عمه وسؤاله وشفاعته ليس المراد به انا نقسم عليك به أو مايجري هذا المجرى مما يفعل بعدموته وفى مغيبه كما يقوله بعض الناس أسألك بجاه فلان عندك . ويقولون نتوسل الى الله بانبيائه وأوليائه ويروون حديثا موضوعا اذا سألتم الله فاسألوه بجاهي فان جاهى عند الله عريض . فانه لو كان هذا هو التوسل الذي كان الصحابة يفعلونه كما ذكر عمر رضي الله عنه لفعلوا ذلك بعد موته ولم يعدلوا عنه الى العباس ، مع علمهم بان السؤل به والاقسام به أعظم من العباس فعلم ان ذلك التوسل الذى ذكروه هو مما يفعل بالاحياء دون الاموات وهو التوسل بدعائهم وشفاعتهم فان الحى يطلب منه ذلك والميت لا يطلب منه شيء لادعاء ولا غيره *

﴿ وكذلك حديث الاعمى ﴾ فانه طلب من النبي صلى الله عليه وسلم ان يدعو له ليرد الله عليه بصره فعلمه النبي صلى الله عليه وسلم دعاء أمره فيه ان يسال الله قبول شفاعة نبيه فيه فهذا يدل على ان النبي صلى الله عليه وسلم شفع فيه وأمره ان يسأل الله قبول شفاعته وان قوله اسألك وأتوجه اليك بنبيك محمد نبى الرحمة أى بدعائه وشفاعته كما قال عمر كنا نتوسل اليك بنبينا فلفظ التوسل والتوجه فى الحديثين بمعنى واحد . ثم قال يا محمد يارسول الله اني أتوجه بك الى ربى فى حاجتى ليقضيها اللهم فشفعه فىّ فطلب من الله ان يشفع فيه نبيه . وقوله يا محمد يا نبي الله هذا وأمثاله نداء يطلب به استحضار المنادى فى القلب فيخاطب المشهود بالقلب كما

يقول المصلي السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته والانسان يفعل مثل هذا كثيرا يخاطب من يتصوره في نفسه وان لم يكن في الخارج من يسمع الخطاب فلفظ التوسل بالشخص والتوجه به والسؤال به فيه اجمال واشتراك غلط بسببه من لم يفهم مقصود الصحابة يراد به التسبب به لكونه داعيا وشافعا مثلا أو لكون الداعي محبا له مطيعا لامره مقتديا به فيكون التسبب اما بمحبة السائل له واتباعه له واما بدعاء الوسيلة وشفاعته ويراد به الاقسام به والتوسل بذاته فلا يكون التوسل لا بشيء منه ولا شيء من السائل بل بذاته أو بمجرد الاقسام به على الله . فهذا الثاني هو الذي كرهوه ونهوا عنه . وكذلك لفظ السؤل بشيء قد يراد به المعنى الاول وهو التسبب به لكونه سببا في حصول المطلوب وقد يراد به الاقسام . ومن الاول حديث الثلاثة الذين آووا الى الغار وهو حديث مشهور في الصحيحين وغيرهما فان الصخرة انطبقت عليهم فقالوا ليدع كل رجل منكم بافضل عمله . فقال أحدهم ألهم انه كانت لي بنت عم فاحببتها كاشد مايحب الرجال النساء وانها طلبت مني مائة دينار . فلما أتيتها بها قالت ياعبد الله اتق الله ولا تفض الخاتم الا بحقه فتركت الذهب وانصرفت فان كنت انما فعلت ذلك . ابتغاء وجهك فافرج عنا فانفرجت لهم فرجة رأوا منها السماء . وقال الآخر . ألهم كان لي أبوان شيخان كبيران وكنت لا أغبق قبلهما أهلا ولا مالا فناء بي طلب الشجر يوما فلم ارح عليهما حتى ناما فحلبت لهما غبوقا فوجدتهما نائمين . فكرهت ان أغبق قبلهما أهلا أو مالا فلبثت والقدح على يدي انتظر استيقاظهما حتى برق الفجر فاستيقظا فشربا غبوقهما . ألهم ان كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا مانحن فيه من هذه الصخرة فانفجرت الصخرة غير انهم لا يستطيعون الخروج منها . (وقال) الثالث ألهم اني استأجرت اجراء فاعطيتهم أجورهم غير رجل واحد ترك الذي له وذهب فثمرت أجرته حتى كثرت منه الاموال فجائني بعد حين فقال ياعبد الله ادالي أجري . فقلت له كل ماترى من أجرك من الابل والبقر والغنم . والرقيق . فقال ياعبد الله لاتستهزئ بي . فقلت اني لا أستهزئ بك فاخذه كله فاستاقه فلم يترك منه شيئا . ألهم فان كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا مانحن فيه فانفرجت الصخرة فخرجوا يمشون . (فهؤلاء) دعوا الله سبحانه بصالح الاعمال لان الاعمال الصالحة هي أعظم مايتوسل به العبد الى الله تعالى ويتوجه به اليه ويسأله به لانه وعد ان يستجيب للذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله . وقال

ربكم ادعونى استجب لكم . وهؤلاء دعوه بعبادته وفعل ما أمر به من العمل الصالح وسؤاله والتضرع اليه . ومن هذا مايذكر عن الفضيل بن عياض انه اصابه عسر البول فقال بحبي اياك الا فرجت عنى ففرج عنه *

﴿ وكذلك دعاء المرأة المهاجرة ﴾ التى أحيا الله ولدها . لما قالت اللهم انى أمنت بك وبرسولك وهاجرت فى سبيلك وسألت الله ان يحيي ولدها . وأمثال ذلك وهذا كما قال المؤمنون ربنا اننا سمعنا مناديا ينادى للايمان ان آمنوا بربكم فآمنا . الى قوله انك لاتخلف الميعاد فسؤال الله والتوسل اليه بامتثال أمره واجتناب نهيه . وفعل مايحبه من العبودية والطاعة هو من جنس فعل ذلك رجاء لرحمة الله وخوفا من عذابه وسؤال الله باسمائه وصفاته كقوله أسألك يامالك الحمد انت الله المنان بديع السموات والارض . وبانك أنت الله الاحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد . ونحو ذلك يكون من باب التسبب فان كونه المحمود المنان يقتضي منه على عباده واحسانه الذي يحمد عليه . وكونه الاحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد يقتضى توحده فى صمديته . فيكون هو السيد المقصود الذي يصمد الناس اليه فى حوائجهم المستغنى عما سواه . وكل ماسواه مفتقرون اليه لاغني بهم عنه . وهذا سبب لقضاء الحاجات والمطلوبات . وقد يتضمن معنى ذلك الاقسام عليه باسمائه وصفاته *

﴿ وأما قوله ﴾ فى حديث أبي سعيد اسألك بحق السائلين عليك وبحق ممشاي هذا فهذا الحديث رواه عطية العوفي وفيه ضعف لكن بتقدير ثبوته هو من هذا الباب فان حق السائلين عليه سبحانه ان يجيبهم . وحق المطيعين له ان يثيبهم فالسؤال له والطاعة سبب لحصول اجابته واثابته فهو من التوسل به والتوجه به والتسبب به . ولو قدر انه قسم لكان قسما بما هو من صفاته فان اجابته واثابته من أفعاله وأقواله . فصار هذا كقوله صلى الله عليه وسلم فى الحديث الصحيح أعوذ برضاك من سخطك . وبمعافاتك من عقوبتك . وأعوذ بك منك لا أحصى ثناء عليك أنت كما اثنيت على نفسك — والاستعاذة لاتصح بمخلوق كما نص عليه الامام أحمد وغيره من الائمة وذلك مما استدلوا به على ان كلام الله غير مخلوق . ولانه قد ثبت فى الصحيح وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يقول أعوذ بكلمات الله التامات من شر ماخلق . قالوا والاستعاذة لاتكون بمخلوق فاورد بعض الناس لفظ المعافاة — فقال جمهور أهل السنة

المعافاة من الافعال *

(وجمهور المسلمين) من أهل السنة وغيرهم يقولون ان أفعال الله قائمة به . وان الخلق ليس هو المخلوق وهذا قول جمهور أصحاب الشافعى وأحمد ومالك وهو قول أصحاب أبى حنيفة . وقول عامة أهل الحديث والصوفية وطوائف من اهل الكلام والفلسفة . وبهذا يحصل الجواب عما أوردته المعتزلة ونحوهم من الجهمية نقضا . فان أهل الاثبات من اهل الحديث وعامة المتكلمة الصفاتية من الكلابية والاشعرية والكرامية وغيرهم استدلوا على ان كلام الله غير مخلوق فان الصفة اذا قامت بمحل عاد حكمها على ذلك المحل لا على غيره واتصف به ذلك المحل لاغيره فاذا خلق الله لمحل علما او قدرة أو حركة أو نحو ذلك كان هو العالم به القادر به المتحرك به ولم يجز ان يقال ان الرب المتحرك بتلك الحركة . ولا هو العالم القادر بالعلم والقدرة المخلوقين بل بما قام به من العلم والقدرة . قالوا فلو كان قد خلق كلاما فى غيره كالشجرة التى نادى منها موسى لكانت الشجرة هى المتصفة بذلك الكلام . فتكون الشجرة هى القائلة لموسى انني أنا الله . ولكان ما يخلقه الله من انطاق الجلود والايدي . وتسبيح الحصى وتأويب الجبال وغير ذلك كلاما له كالقرآن والتوراة والانجيل . بل كان كل كلام فى الوجود كلامه لانه خالق كل شئ وهذا قد التزمه مثل صاحب الفصوص وأمثاله من هؤلاء الجهمية الحلولية والاتحادية . فاوردت المعتزلة صفات الافعال كالعدل والاحسان كأنه يقال انه عادل محسن بعدل خلقه في غيره واحسان خلقه فى غيره . فاشكل ذلك على من يقول ليس لله فعل قائم به بل فعله هو المفعول المنفصل عنه . وليس خلقه الا مخلوقه *

وأما من طرد القاعدة وقال أيضا ان الافعال قائمة به ولكن المفعولات المخلوقة هي المنفصلة عنه وفرق بين الخلق والمخلوق فاطرد دليله واستقام . والمقصود هنا ان استعاذة النبي صلى الله عليه وسلم بعفوه ومعافاته من عقوبته مع انه لايستعاذ بمخلوق كسؤال الله باجابته واثابته وان كان لايسأل بمخلوق . ومن قال من العلماء لا يسأل الا به لاينافى السؤال بصفاته كما ان الحلف لايشرع الا به . كما ثبت فى الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت . وفى لفظ للترمذى من حلف بغير الله فقد أشرك قال الترمذى حديث حسن ومع هذا فالحلف بعزة الله . ولعمر الله ونحو ذلك مما ثبت عن النبي صلى الله

عليه وسلم الحلف به لم يدخل فى الحلف بغير الله لان لفظ الغير قد يراد به المباين المنفصل .
ولهذا لم يطلق السلف وسائر الائمة على القرآن وسائر صفات الله انها ليست غيره لان لفظ
الغير فيه أجمال قد يراد به المباين المنفصل فلا يكون صفة الموصوف او بعضه داخلا فى لفظ
الغير . وقد يراد به مايمكن تصوره دون تصور ماهو غير له فيكون غيرا بهذا الاصطلاح .
ولهذا تنازع أهل النظر فى مسمى الغير . والنزاع فى ذلك لفظى . ولكن بسبب ذلك حصلت
فى مسائل الصفات من الشبهات مالا ينجلي الا بمعرفة ماوقع فى الالفاظ من الاشتراك .
والابهامات كما قد بسط فى غير هذا الموضع . ولهذا يفرق بين قول القائل الصفات غير الذات
وبين قوله صفات الله غير الله . فان الثاني باطل لان مسمى اسم الله يدخل فيه صفاته بخلاف
مسمى الذات فانه لا يدخل فيه الصفات ولهذا لا يقال صفات الله زائدة عليه وان قيل الصفات
زائدة على الذات لان المراد هى زائدة على ما أثبته المثبتون من الذات . والله تعالى هو الذات
الموصوفة . بصفاته اللازمة فليس اسم الله متناولا لذات مجردة عن الصفات . أصلا ولا يمكن
وجود ذلك ولهذا قال أحمد فى مناظرته للجهمية لا نقول الله وعلمه . والله وقدرته . والله ونوره
ولكن نقول الله بعلمه وقدرته ونوره هو اله واحد . وقد بسط هذا فى غير هذا الموضع *

﴿ وأما قول الناس ﴾ أسألك بالله وبالرحم وقراءة من قرأ تساءلون به والارحام فهو من باب
التسبب بها فان الرحم توجب الصلة ويقتضى ان يصل الانسان قرابته فسؤال السائل بالرحم
لغيره توسل اليه بما يوجب صلته من القرابة التى بينهما ليس هو من باب الاقسام ولا من باب
التوسل بما لا يقتضى المطلوب بل هو توسل بما يقتضى المطلوب كالتوسل بدعاء الانبياء وبطاعتهم
والصلوة عليهم . ومن هذا الباب ما يروى عن عبد الله بن جعفر انه قال كنت اذا سألت عليا
شيئا فلم يعطنيه قلت له بحق جعفر الا ما أعطيتنيه فيعطنيه أو كما قال . فان بعض الناس ظن
ان هذا من باب الاقسام عليه بجعفر . أو من قولهم أسألك بحق انبيائك ونحو ذلك . وليس
كذلك بل جعفر هو أخو علي وعبد الله هو ابنه وله عليه حق الصلة . فصلة عبد الله صلة لابيه
جعفر كما في الحديث ان من ابر البر ان يصل الرجل أهل ود أبيه بعد ان يولى . وقوله ان من
برهما بعد موتهما الدعاء لهما والاستغفار لهما وانفاذ عهدهما من بعدهما . وصلة رحمك التى لا رحم
لك الا من قبلهما *

ولو كان هذا من الباب الذي ظنوه لكان سؤاله لعلي بحق النبي وابراهيم الخليل ونحوهما أولى من سؤاله بحق جعفر ولكان علي الى تعظيم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ومحبته واجابة السائل به أسرع منه الى اجابة السائل بغيره لكن بين المعينين فرق فان السائل بالنبي طالب به متسبب به فان لم يكن في ذلك السبب مايقتضى حصول مطلوبه ولا كان مما يقسم به لكان باطلا . وأقسام الانسان على غيره بشيء يكون من باب تعظيم القسم بالمقسم به وهذا هو الذى جاء به الحديث من الامر بابرار المقسم وفى مثل هذا قيل ان من عباد الله من لو اقسم على الله لابره . وقد يكون من باب تعظيم المسؤل به . فالاول يشبه ماذكره الفقهاء فى الحلف الذى يقصد به الحظر والمنع . والثانى سؤال للمسؤل بما عنده من محبة المسؤل به وتعظيمه ودعائه حقه فان كان ذلك مما يقتضى حصول مقصود السائل حسن السؤال كسؤال الانسان بالرحم ومن هذا سؤال الله بالاعمال الصالحة وبدعاء أنبيائه وشفاعتهم . وأما مجرد الانبياء والصالحين ومحبة الله لهم وتعظيمه لهم ورعايته لحقوقهم التى أنعم بها عليهم فليس فيها مايوجب حصول مقصود السائل الا بسبب بين السائل وبينهم . أما محبتهم وطاعتهم فيثاب على ذلك وأما دعاؤهم له فيستجيب الله شفاعتهم فيه والتوسل بالانبياء والصالحين يكون لأمرين إما طاعتهم واتباعهم . وإما دعاؤهم وشفاعتهم فمجرد دعائه بهم من غير طاعة منه لهم ولا شفاعة منهم له فلا ينفعه وان عظم جاه أحدهم عند الله تعالى وقد بسطت هذه المسائل فى غير هذا الموضع * (والمقصود هنا) اذا كان السلف والائمة قالوا فى سؤاله بالمخلوق ماذكر فكيف بسؤال المخلوق الميت سواء سئل ان يسأل الله أو سأل قضاء الحاجة ونحو ذلك مما يفعله بعض الناس اما عند قبر الميت واما مع غيبته . وصاحب الشريعة صلى الله عليه وسلم حسم المادة . وسد الذريعة . بلعنه من يتخذ قبور الانبياء والصالحين مساجد وان لايصلى عندها لله ولا يسال الا الله وحذر أمته ذلك . فكيف اذا وقع نفس المحذور من الشرك وأسباب الشرك *

كل هذا نقلناه من كتاب اقتضاء الصراط المستقيم . ومنه علم ما اشتمل عليه الشعر الذى أورده النبهانى . فان جميعه قد اشتمل على القسم الذى فيه محذور بل بما فيه شرك ظاهر . كقول عبد الرحيم البرعى مخاطبا للرسول صلى الله عليه وسلم *

مولاى مولاى فرج كل معضلة * عنى فقد أثقلت ظهرى الخطيئات

وعد عليّ بما عودتني كرما * فكم جرت لى بخير منك عادات
وامنع حماى وهب لي منك تكرمة * يامن مواهبه خلد وخيرات
واعطف عليّ وخذ ياسيدى بيدى * اذا دهتنى الملمات المهمات

وكقول الشاب الظريف

فياخاتم الرسل الكرام ومن به * لنا من مهولات الذنوب تخلص
اغثنا اجرنا من ذنوب تعاظمت * فانت شفيع للورى ومخلص

وقول القلقشندي

انت الذى لم يخف فى الناس قاصده * وليس عندك تسويف وتسويل
قصدت جاهك لا أرجو سواك ولى * فى باب عزك ترديد وتطفيل

وقال محمد البكرى الكبير من أبيات

ياأكرم الخلق على ربه * وخير من فيهم به يسأل
قد مسنى الكرب وكم مرة * فرجت كربا بعضه يذهل

وقال الشيخ عبد الرحمن الدمشقى من أبيات

اقلنى مما فيه امسيت واهنا * ونفسي بقيد الكرب أمست مكبد
وعجل بكشف الضر عمن لك التجى * لان الضنا قد هاض ظهرى واثقله

أنظر الى قوله . وعجل بكشف الضر الخ . والله سبحانه وتعالى يقول . وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو . وهكذا كثير من الابيات التى أوردها النبهانى كما لا يخفى على من راجع كتابه . ولا بدع فهو المبتدع الذى ختم الله على قلبه *

﴿ الوجه الخامس ﴾ ان أجل من تمسك بشعره النبهانى الصرصرى والبوصيرى وأما غيرهما كالبرعى والوترى والشهاب وأمثالهم فليسوا من المعروفين بعلم ولا دين ولا زهد ولا فضيلة ولا شىء يذكر . والصرصرى والبوصيرى اعترض أهل العلم ومن له بصيرة فى الدين على ما كان فى شعرهما من الغلو . الذى نهى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم كقول الصرصرى فى قصيدته اللامية التي استشهد بابيات منها النبهانى *

يا رسول الله يامن مدحه * فى القوافى أقوم الالفاظ قيلا

مسني ضر عناه ثابت * من ذنوب غادرت قلبي كليلا
أنا منها تائب مستغفر * فاسأل الرحمن لي صبرا جميلا

وقوله

لانت الى الرحمن أقوى وسيلة * اليه بها فى الحادثات تتصل

وقوله

وتسأل رب العالمين بمِيتة * على السنة البيضاء غير مبدل

الى غير ذلك مما قاله فى قصائده المشهورة . وأنت على كل الحوادث لى ولى ، وقوله على تربها خديك عفر . وقد استشهد بكثير من شعره النبهانى فى كتابه . وكذلك البوصيري حيث يقول فى همزيته *

يا أبا القاسم الذى ضمن أقسا * مي عليه مدح له وثناء
الامان الامان ان فؤادى * من ذنوب أتيتهن هواء

الى آخر ما أورده النبهانى منها وقال أيضا

يا أكرم الخلق مالى من الوذبه * سواك عند حلول الحادث العمم

وقد ذكر الشيخ تقي الدين ان شعر يحيي الصرصرى وقع فيه من الغلو والاطراء مالا ينبغى ان يصدر مثله في حق مخلوق وأنكر على من استغاث بغير الله أو دعاه*

قال رحمه الله فى رده على ابن البكرى فى مسألة الاستغاثة وانه حرف الكلم عن مواضعه وتمسك بمتشابهه وترك المحكم كما يفعله النصارى وكما فعل هـذا الضال يعنى ابن البكرى أخذ لفظ الاستغاثة . وهى تنقسم الى الاستغاثة بالحى . والميت والاستغاثة بالحى تكون فيما يقدر عليه . فجعل حكم ذلك كله واحدا . ولم يكفه حتى جعل السؤال بالشخص من مسمى الاستغاثة . ولم يكفه ذلك حتى جعل الطالب منه انما طلب من الله لامنه فالمستغيث به مستغيث بالله . ثم جعل الاستغاثة بكل ميت من نبي وصالح جائزة فدخل عليه الخطأ من وجوه منها انه جعل المتوسل به بعد موته في دعاء الله مستغاثا به . وهذا لايعرف في لغة أحد من الامم لاحقيقة ولا مجازا مع دعواه الاجماع على ذلك فان المستغاث هو المسؤل المطلوب منه لا المسؤل به *

﴿ الثانى ظنه ﴾ ان توسل الصحابة فى حياته كان توسلا بذاته صلى الله عليه وسلم لا بدعائه

وشفاعته فيكون التوسل به بعد موته كذلك وهذا غلط *

﴿ الثالث ﴾ انه أدرج السؤال أيضا فى الاستغاثة به وهذا صحيح جائز فى حياته . وهو قد سوى فى ذلك بين محياه ومماته . وهذا أصاب في لفظ الاستغاثة لكن اخطأ فى التسوية بين المحيا والممات . وهذا ما علمته ينقل عن أحد من العلماء لكنه موجود فى كلام بعض الناس مثل الشيخ يحيي الصرصرى ففى شعره قطعة منه . والشيخ محمد بن النعمان له كتاب المستغيث بالنبى صلى الله عليه وسلم فى اليقظة والمنام . وهؤلاء ليسوا من العلماء العالمين بمدارك الاحكام الذين يؤخذ بقولهم في شرائع الاسلام . ومعرفة الحلال والحرام . وليس لهم دليل شرعى . ولا نقل عن عالم مرضيّ . بل عادة جروا عليها *

﴿ وكان بعض الشيوخ ﴾ الذين أعرفهم . ولهم فضل وعلم وزهد اذا نزل به أمر خطا الى الشيخ عبد القادر خطوات معدودة واستغاث به . وهذا يفعله كثير من الناس ولهذا لما نبه من نبه من فضلائهم تنبهوا . وعلموا ان ما كانوا عليه ليس من دين الاسلام بل مشابهة لعباد الاصنام . انتهى *

﴿ وقال رحمه الله ﴾ فى أثناء كلام له . ونحن نعلم بالضرورة ان الرسول صلى الله عليه وسلم لم يشرع لامته ان يدعوا أحدا من الاموات . لا الانبياء ولا الصالحين . ولا غيرهم لا بلفظ الاستغاثة ولا بغيرها . كما انه لم يشرع لامته السجود لميت ولا الى ميت ونحو ذلك بل نعلم انه نهى عن كل هذه الامور . وان ذلك من الشرك الذى حرمه الله ورسوله ولكن لغلبة الجهل وقلة العلم بآثار الرسالة . فى كثير من المتأخرين لم يمكن تكفيرهم بذلك حتى يبين لهم ماجاء به الرسول . ولهذا مابينت هذه المسألة قط لمن يعرف أصل الاسلام الا تفطن بها . وقال هذا أصل دين الاسلام . وان بعض أكابر الشيوخ من أصحابنا يقول هذا أعظم مابينت لنا لعلمه ان هذا أصل دين الاسلام . وكان هذا وأمثاله فى ناحية أخرى . يدعون الاموات ويسألونهم ويستجيرون بهم ويتضرعون اليهم . وربما كان مايفعلونه أعظم لانهم انما يقصدون الميت فى ضرورة نزلت بهم فيدعون دعاء المضطر . راجين قضاء حاجاتهم بدعائه أوالدعاء به او الدعاء عند قبره بخلاف عباداتهم لله فانهم يفعلونها في كثير من الاوقات على وجه العادة والتكلف حتى ان العدو الخارج عن شريعة الاسلام لما قدم دمشق خرجوا يستغيثون

بالموتى عند القبور التى يرجون عندها كشف الضر . وقال بعض الشعراء *

ياخائفين من التتر * لوذوا بقبر أبي عمر

﴿ أو قال ﴾ عوذوا بقبر أبي عمر * ينجيكم من الضرر

فقلت لهم ان هؤلاء الذين تستغيثون بهم لو كانوا معكم فى القتال لانهزموا كما انهزم من انهزم من المسلمين يوم أحد . ولهذا كان أهل المعرفة بالدين والمكاشفة لم يقاتلوا فى تلك المرة لعدم القتال الشرعى الذى أمر الله به ورسوله *

﴿ فلما كان ﴾ بعد ذلك جعلنا نأمر الناس باخلاص الدين والاستغاثة بالله وانهم لا يستغيثون الا اياه لا يستغيثون بملك مقرب ولا نبي مرسل فلما أصلح الناس أمورهم وصدقوا في الاستغاثة بربهم نصرهم على عدوهم نصرا عزيزا لم يتقدم نظيره ولم تهزم التتار مثل هذه الهزيمة قبل ذلك لما صح من تحقيق التوحيد لله وطاعة رسوله مالم يكن قبل ذلك فان الله ينصر رسله والذين آمنوا فى الحيوة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد * انتهى ما هو المقصود من كلامه رحمه الله ولم يقتصر فيه على مجرد الانكار بل جعله شركا وكفرا بعد قيام الحجة والعلم بكفر فاعله وجعله من ضرورات الدين بل جعله أصل الدين وجعل وجود هذا الشرك مانعا من القتال الشرعي وسببا للهزيمة وعدم النصر فأى انكار أبلغ من هذا *

﴿ وقد أنكر الشيخ ﴾ شعر الصرصرى ونص على انه يقع منه مالا يسوغ ولا يجوز على ان بعضهم أول بعض اقواله فقال لانت الى الرحمن أقوى وسيلة ليس فيه استغاثة كما زعم من استشهد به على ذلك بل المقصود انه صلى الله عليه وسلم هو الواسطة بين العباد وبين الله تعالى في ابلاغ شرعه ودينه وبيان ما يحب ويرضى وما يكرهه وعنه ينهى . فهو وسيلة لمن سار على سبيله وتمسك بهديه وقبله *

سل الله رب العالمين يميتنى * على السنة البيضاء غير مبدل

ليس صريحا فى ان السائل لله هو النبي صلى الله عليه وسلم اذ يحتمل انه أراد سل أيها المذنب وأيها العبد ولكنه التفت عن التكلم الى الخطاب واحسان الظن بمثله أولى — واما قوله وأنت على كل الحوادث لى ولى فالمراد انه يوالى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويتولاه على كل الحوادث فى اليسر والعسر والرخاء والشدة والضيق والسعة لا يوالى غير أولياء الله . قال تعالى

انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ومن يتولى الله ورسوله والذين آمنوا فان حزب الله هم الغالبون فليس المراد بالولى المستغاث المعبود فان هذا فهم جاهلي شركي وأهل الاسلام يفهمون من موالاة رسول الله صلى الله عليه وسلم محبته وتعزيره وتوقيره وطاعته والتسليم لامره والوقوف عند نهيه وتقديم قوله على قول كل أحد هذه موالاة أهل الاسلام لكن يبقى باقى الابيات التى استشهد بها النبهانى من شعر الصرصرى فان تأويلها مشكل *

وصنف الشيخ رحمه الله أيضا مجلدا فى حكم الاستغاثة بالنبي صلى الله عليه وسلم وغيره من الانبياء والصالحين وقرر أدلة المنع من الكتاب والسنة والاجماع والاعتبار وأكثر الكلام فى المنع من هذا قال رحمه الله تعالى ومما يبين حكمة الشريعة وانها كسفينة نوح ان الذين خرجوا عن المشروع خرجوا الى الشرك وطائفة منهم يصلون ويدعو أحدهم الميت فيقول اغفر لى وارحمنى ومنهم من يستقبل القبر ويصلى اليه مستدبر الكعبة ويقول القبر قبلة الخاصة. والقبلة قبلة العامة وهذا يقوله من هو أكثر الناس عبادة وزهدا وهو شيخ متبوع فلعله أمثل أصحاب شيخه يقوله عن شيخه. وأخرج من أعيان الشيوخ المتبوعين أصحاب الصدق والاجتهاد فى العبادة والزهد وأمر المريد أول ما يتوب ان يذهب الي قبر الشيخ فيعكف عليه عكوف أهل التماثيل عليها وجمهور هؤلاء المشركين بالقبور يجدون عند عبادة القبور من الرقة والخشوع وحضور القلب مالا يجدونه فى المساجد وآخرون يحجون الي القبور وطائفة صنفوا كتبا وسموها مناسك حج المشاهد. وآخرون يسافرون الى قبور المشايخ وان لم يسموها منسكا وحجا فالمعنى واحد وبعض الشيوخ المشهورين بالزهد والصلاح صنف كتاب الاستغاثة بالنبى صلى الله عليه وسلم فى اليقظة والمنام . وذكر في مناقب هذا الشيخ انه حج مرة وكان قبر النبي صلى الله عليه وسلم منتهى قصده ثم رجع ولم يذهب الى الكعبة وجعل هذا من مناقبه *

وبسبب الخروج عن الشريعة صار بعض الشيوخ ممن يقصده بعض العلماء والقضاة قيل عنه انه كان يقول البيوت المحجوجة ثلاثة مكة وبيت المقدس والبد الذى بالهند الذى للمشركين لانه يعتقدان دين اليهود والنصارى حق *

قال وجاء بعض اخواننا العارفين قبل ان يعرف حقيقته فقال أريد ان أسلك على يديك فقال

له على دين اليهود أو النصارى أو المسلمين فقال له واليهود والنصاري ليسوا كفارا. قال لا تشدد عليهم ولكن الاسلام أفضل *

ومن الناس من يجعل مقبرة الشيخ كعرفات يسافرون اليها وقت الموسم فيعرفون بها كما يفعل بالمغرب والمشرق *

وهؤلاء وأمثالهم صلاتهم ونسكهم لغير الله فليسوا على ملة ابراهيم . والاستغاثة بالنبي صلى الله عليه وسلم بعد موته موجودة فى كلام بعض الناس مثل يحيي الصرصرى ومحمد بن النعمان وهؤلاء لهم صلاح ولكن ليسوا من أهل العلم بل جروا على عادة كعادة من يستغيث بشيخه في الشدائد ويدعوه . وكان بعض الشيوخ الذين أعرفهم وله فضل وعلم وزهد اذا نزل به أمر خطا الى جهة الشيخ عبد القادر خطوات واستغاث به وهذا يفعله كثير من الناس . وهؤلاء مستندهم مع العادة قول طائفة قبر معروف أو غيره ترياق مجرب ومعهم ان طائفة استغاثوا بحي أو ميت فرأوه قد أتى في الهواء وقضى بعض الحوائج . وهذا كثير واقع فى المشركين الذين يدعون الملائكة والانبياء أو الكواكب أو الاوثان فان الشياطين تتمثل لهم ولو ذكرت ما أعلم من الوقائع الموجودة فى زماننا من هذا لطال المقام *

ثم قال حاكيا عن البكرى الذى صنف في جواز الاستغاثة بالنبي صلى الله عليه وسلم وقد طاف هذا بجوابه على علماء مصر ليوافقه واحد منهم فما وافقوه . وطلب منهم ان يخالفوا الجواب الذى كتبه فما خالفوه مع ان قوما كان لهم غرض وفيهم جهل بالشرع قاموا فى ذلك قياما عظيما واستعانوا بمن له غرض من ذوى السلطان مع فرط عصبيتهم وكثرة جمعهم وقوة سلطانهم ومكايدة شيطانهم انتهى *

فتأمل هذا الكلام فانه يستبين منه ضلال النبهانى واضرابه من الغلاة وقد صرح شيخ الاسلام ان السنة كسفينة نوح. ومعلوم ان دعاء الانبياء ليس من السنة بل هو من البدع الشركية. ومنها ان بعضهم أفضى به ذلك الى ان يصلي للميت ويقول اغفرلى وارحمنى وهذا جائز عند النبهاني واخوانه من عباد القبور سائغ لا ينكر . ومنها ان بعض المستغيثين يعكف على القبر عكوف أهل التماثيل وهذا واقع منهم أيضا وهذا من لوازم قولهم بجواز الاستغاثه . ومنها ان جمهور هؤلاء المشركين بالقبور يجدون عند عبادتها من الرقة والخشوع وحضور القلب مالا يجدونه

في المساجد . ومنها ان بعضهم يحج الى القبور . وهذا عند النبهاني ومن على شاكلته من الفضائل التى لا تنكر . ومنها انكار الشيخ على من صنف كتاب الاستغاثة بالنبي صلى الله عليه وسلم فى اليقظة والمنام وان هذا المصنف حج مرة وكان قبر النبي صلى الله عليه وسلم منتهى قصده ثم رجع ولم يذهب الى الكعبة وفاعل ذلك عند الغلاة أفضل من الحاج . (ومنها) ان ذلك أفضى ببعضهم الى ان قال البيوت المحجوجة ثلاثة مكة وبيت المقدس والصنم الذى فى الهند . وبعضهم لا يرى ذلك للصنم الذى فى الهند ويراه لمن يعتقده ومايتأله به من المشايخ (ومنها) ان بعضهم يعرف عند مقابر الشيوخ كما يفعل بعرفة وان هذا وقع فى المغرب والمشرق (ومنها) ان الشيخ نفى العلم عمن يستغيث بالنبي صلى الله عليه وسلم كالصرصرى وابن النعمان وانهم جروا على عادة العامة الذين يستغيثون بالمشايخ فى الشدائد ويدعونهم . (ومنها) ان من له فضل وعلم وزهد قد يقع منه الشرك والاستغاثة بغير الله وان مستندهم مع العادة قول طائفة قبر معروف أو غيره ترياق مجرب . (ومن المعلوم) ان هذا القول صدر عن غير معصوم وجمهور أهل العلم والايمان قد ردوه وانكروا على فاعله وقد مضى فيما مر من عبارات شيخ الاسلام ان هذا لا يعرف فى عهد القرون المفضلة وكفى بهذا ذما (ومنها) قوله ان طائفة استغاثوا بحى أو ميت فراوه قد أتى فى الهواء وقضى بعض الحوائج وهذا كثير واقع في المشركين الذين يدعون الملائكة أو الانبياء أو الكواكب أو الاوثان فجزم بان قضاء الحوائج قد يحصل لعباد الملائكة أو الانبياء أو الكواكب أو الاوثان لو حكى الوقائع الموجودة في زمانه لطال المقام . (ومنها) قول الشيخ وهو ثقة فيما يحكيه بالاجماع ان علماء مصر لم يوافقوا من صنف في جواز الاستغاثة بالنبي صلى الله عليه وسلم فيما لا يقدر عليه الا الله وأبوا ان يخالفوا ما كتبه شيخ الاسلام من المنع فالحمد لله لا نحصي ثناء عليه بل هو كما أثنى على نفسه وفوق ما يثنى عليه عباده الصالحون *

﴿ وأما ما انتقده ﴾ أهل العلم والدين على كلام البوصيرى فكثير جدا من ذلك قوله *

يا أكرم الخلق مالى من ألوذ به * سواك عند حلول الحادث العمم

﴿ قال العلامة ﴾ الشيخ عبد اللطيف في كتابه منهاج التأسيس ان قول البوصيرى هذا أشنع وأبشع من قول الصرصرى لما تضمنه من الحصر ولما فيه من اللياذ بغير الله في الخطب الجليل

والحادث العمم وهو قيام الساعة . وقد قال تعالى قل أرأيتكم ان أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة أغير الله تدعون ان كنتم صادقين . فدعاء غير الله فى الامور العامة الكلية أبشع من دعاء غيره فى الامور الجزئية . ولذلك أخبر ان عباد الاصنام لا يدعون غيره عند اتيان العذاب أو اتيان الساعة التى هى الحادث العمم . واما من قال من الغلاة فى الاعتذار عنه ان مقصوده الشفاعة والجاه فهذا لا يفيده شيئا لان عامة المشركين انما يقصدون هذا ولم يقصدوا الاستقلال الا معطلة الصانع وعامة المشركين انما قصدوا الجاه والشفاعة كما حكاه القرآن فى غير موضع واما قول الغلاة وتلبيسهم بانه صلى الله عليه وسلم أعطى الشفاعة يوم القيامة وأنزل عليه (عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا) فهذا تلبيس منهم وتشبيه على من لا يدرى الحقائق ولم يتفطن لمسألة النزاع فان الخصومة والنزاع فى طلب الشفاعة أو غيرها من الشفعاء فى حال مماتهم وقصدهم لذلك ونحوه من المطالب المهمة . (واما) حصول الشفاعة وسؤاله صلى الله عليه وسلم يوم القيامة فهذا لا ينكر وهو من جنس ما كان يطلب منه في حياته صلى الله عليه وسلم . واما بعد موته فلم يعرف عن أحد من أصحابه ولا عن أئمة الاسلام بعدهم انه دعاه وطلب منه شفاعة أو غيرها . وانما فعله بعض الخلوف الذين لا يرجع اليهم فى مسائل الاحكام والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم *

﴿ومن ذلك﴾ قول البوصيرى أيضا في قصيدته البردة فى شأن معجزات النبي صلى الله عليه وسلم

لو ناسبت قدره آياته عظما * أحيا اسمه حين يدعي دارس الرمم

يقول لو ناسبت آياته ومعجزاته عظم قدره عند الله تعالى وكمال قربه وزلفاه عنده لكان من جملة تلك الآيات ان يحيي الله العظام الرفات ببركة اسمه وحرمة ذكره حيث يتيمن به فى الدعوات ويتوصل به فى المهات وذلك لان الملوك المجازية اذا توسل عندهم باسم من له قرب ومكانة لديهم وتوصل بذكره لقضاء المآرب وانهاء المطالب يقضون الاوطار الرفيعة تنويها بذكره وتنبيها على قدره فمالك الملوك وان كان أحق بذلك وأولى لكن حكمته ما اقتضته صونا للضعفة عن المداحض وعونا على العوام فى مزالق الاقدام وخص أحياء الموتى لكونه أرفع المطالب وانفعها ولانه كما أحيي ببركة المسمى موتى القلوب والارواح . فالمناسب ان يحيي ببركة الاسم تلك العظام والاشباح (انتهى ما قاله بعض شراح هذه القصيدة) . ولا يخفى ما فى هذا

الـكلام من الغلو فان من جملة آياته صلى الله عليه وسلم القرآن العظيم الشان . وهو الـكتاب الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد . وهو الـكتاب الذي أنزله نورا وجعله مهيمنا على كل كتاب . وهو الـكتاب الذى أنزله وفضله على كل حديث قصه وجعله فرقانا فرق به بين الحلال والحرام . وقرآنا أعرب به عن شرائع الاحكام . وكتابا فصله لعباده تفصيلا . ووحيا أنزله على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم تنزيلا . وجعله نورا يهتدي به من ظلم الضلالة والجهالة باتباعه . وشفاء لمن أنصت بفهم التصديق الى استماعه . وميزان قسط لا يحيف عن الحق لسانه . ونورهدى لا يطفأ عن الشاهدين برهانه . وعلم نجاة لا يضل من أم قصد سنته . ولا تنال أيدى الهلكات من تعلق بعروة عصمته . وكيف يحل لمسلم ان يقول ان القرآن لا يناسب قدر النبي صلى الله عليه وسلم بل هو منحط عن قدره وهو كلام الله وكلام الله غير مخلوق منه بدا واليه يعود . ثم ان اسم الله الاعظم وسائر أسمائه الحسنى اذا ذكرها الذاكر لم تحي دارس الرمم . فههنا أمران عظيمان انحطاط قدر القرآن الذى هو صفة من صفات الله عن قدر النبي صلى الله عليه وسلم وان المناسب لقدره ان يحيي اسمه حين يدعي دارس الرمم . وليس هذا بجائز عند أحد من فرق المسلمين فضلا عن أهل السنة فانه ليس وراء هذا الغلو غلو أعظم منه — ولهذا ذهب المتعصبون للناظم فى كل واد من أودية التأويل *

* في كتاب غرائب الاغتراب * ان مما جرى البحث عنه بيت البوصيرى هذا وهو مشكل وأمر معضل فان مقتضى لو وكون القرآن داخلا فى آياته صلى الله عليه وسلم ان لا يكون القرآن العظيم مناسبا قدره عليه أفضل الصلاة وأكمل التسليم . وذلك مما لا يكاد يقال لما ان القرآن كلام الملك المتعال . ثم أجاب باجوبة غير مرضية الى ان قال الجواب يتوقف على تحقيق المراد بالقرآن الذى لا يسوغ ان يفضل عليه النبي انسان أهو الـكلام النفسى الذى هو من صفاته تعالى الذاتية . أم الـكلام اللفظى الذى ذهب الى انه مخلوق كالمعتزلة معظم الاشاعرة والماتريدية فان كان الاول فالقول به غير مناسب قطعا بل هو باطل بلا شبهة عقلا وسمعا . وان كان الثانى فالقول بعدم مناسبة عدم المناسبة مما تتردفيه الاذهان . لقول معظم أهل السنة انه عليه الصلاة والسلام أفضل المخلوقات ما يكون أو كان . وحيث ان البوصيري عبر بالآيات أى المعجزات أراد بالقرآن المعنى الثانى من المعنيين اذ الـكلام النفسى ليس بمعجزة ولم يتحد

به سيد الكونين . والظاهر انه أشعري يقول ان الكلام اللفظي مخلوق ضرورة اشتماله على بداية ونهاية وسابق ومسبوق . وانه ممن يفضل النبي عليه الصلاة والسلام على جميع المخلوقات ممن مضى منهم ومن هوآت . فقد قال وأحسن فى المقال *

فمبلغ العلم فيه انه بشر * وانه خير خلق الله كلهم

الى ان قال وانا أقول الآن مستعينا بالملك المنان . قد ظفرت بنحو ما ذكرته فى مختصر شرح المرزوقى للقصيدة ونصه بعد كلام فى هذا البيت . قال الشارح لم يزل الناس يعترضون هذ البيت لاقتضائه ان ليس فيما أعطيه صلى الله عليه وسلم من الآيات ما يناسب قدره لان لو حرف امتناع لامتناع أى امتنعت الخاصة المذكورة لامتناع ان يناسب قدره العظيم شئ من آياته صلى الله عليه وسلم وهذا باطل فان من آياته القرآن العظيم وهو كلام الله تعالى والكلام صفة وشرف الصفة بشرف الموصوف . ثم قال وعنه أجوبة وأقول السؤال مغالطة فان القرآن يراد به كلام الله الذى هو صفة الذات وهو المعنى القائم به وهذا لم يعطه صلى الله عليه وسلم لان الذى أعطيه معجزة والمعجزة فعل الله تعالى خارق للعادة وهو غير صفة الذات ويراد به أيضا الحروف الملفوظة والاصوات المسموعة . وهذا هو الذى أعطيه صلى الله عليه وسلم وهو المعجزة واطلاق القرآن عليه بمعنى القراءة ومدلولها المعنى القائم بالذات واطلاق القرآن على الحروف والاصوات شائع وحينئذ لا نسلم ان تكون الحروف والاصوات مناسبة لقدره عليه الصلاة والسلام انتهى *

فانظر الى هذا الجواب الركيك والقول بالكلام النفسي قد بين بطلانه فى غير هذا الموضع *

﴿ والمقصود ﴾ ان من أشهر من استشهد النبهانى الزائغ بشعره الصرصرى والبوصيرى وقد سمعت ما قال أهل العلم فيهما فالباقون على هذا القياس فلا حاجة الى ان نتعب القلم *

واحسن مافي خالد وجهه * ووجهه الغاية في القبح

﴿ الوجه السادس ﴾ ان من الغلاة من اعتذر عن هؤلاء الشعراء وغيرهم ممن دعا غير الله وطلب منه حوائجه ومقاصده . قال ان أهل السنة من الاشاعرة والماتريدية لا يقولون بتأثير الاسباب ولا بالتعليل فلا مؤثر فى الوجود الا الله والتأثير انما هو عند الاسباب لا بها فاذا طلب أحدهم شيئا من نبي أو ولى فالله هو المعطى لمن سأل عند الطلب ومن أسند التأثير لغير الله

فقد أشرك فمن استغاث بالنبي صلى الله عليه وسلم كالبوصيرى والصرصرى وسائر من استشهد بشعره النبهانى لا لوم عليهم فان ما ذكر مقصودهم . وسمعت من بعض اغبياء الغلاة وجهلتهم من اهل الثياب المعلمة والاقفاء المورمة والالقاب المفخمة قال مررت اثناء سفرى الى الحجاز على جبل حائل واهله من عرب نجد على مذهب الامام احمد بن حنبل واميرهم يومئذ محمد آل رشيد قال فاجتمعت باميرهم وجرى فى البين كلام طويل ومنه ما يتعلق بدعاء غير الله . فقال الامير ان اهل بلادكم يغالون فى الصالحين بما لا يرضى الله به ويبنون على قبورهم المساجد والمشاهد ويوقدون السرج الى غير ذلك من البدع ثم انهم يندبونهم في المهمات ويستغيثون بهم عند طلب الحاجات وكل ذلك وأمثاله مما لا يرضي به الله ولا رسوله ولا أهل العلم والدين فانه من أفعال مشركى العرب فى الجاهلية بل هو أدهى وأمر قال فقلت للامير والله يعلم انه من الكاذبين . ان أهل بلادنا يقولون عنكم وعمن يسلك مسلككم من عرب نجد وغيرهم انكم مشركون . قال فبهت الامير من هذا الكلام واستعظمه ثم قال ولم يقولون عنا انا مشركون ونحن من أخلص الناس توحيداً له سبحانه . قال فقلت له ان أهل بلادنا لا يثبتون للاسباب تأثيراً . وأنتم تثبتون التأثير والعلل والحكم والمصالح . فاذا كان الامر كذلك فقد أشركتم مع الله مؤثراً في الوجود . وهذا هو الشرك الاكبر . قال وأما أصحابنا فعندهم ان السكين عند امرارها على شيء لا تقطع بل يخلق الله القطع عند ذلك وليس فى الماء قوة الرى مودعة فيه بل الرى يخلق عند شربه لا به والنار ليست بمحرقة بل الاحراق عندها لا بها والعين ليست بمبصرة والاذن ليست بسامعة بل الابصار والسماع عندهما لا بهما . وهكذا فى جميع ما يعتقد انه سبب فى الظاهر . فاذا قال القائل مستغيثا بأحد من الاموات يا فلان افعل كذا وكذا فالمقصود الطلب من الله أن يقضى حاجته وبعد ان فرغ من هذا الهذيان وسكت . قلت له فما أجابك الامير . قال لم يجبنى بشيء . فقلت كان ينبغي أن يجيبك ويسألك من قال هذا الكلام الذى ذكرته وعمن نقلته وأى دليل لك عليه من الكتاب والسنة وسلف الامة . وينبغى على قولك هذا ان يطلب من المخلوق كل شيء يطلب من الخالق وينبغى ان لا يعترض على عبدة الاصنام وطلبهم من أصنامهم ما يطلب من الله فانهم أيضا كانوا يعتقدون ان أصنامهم وسائط ووسائل وشفعاء وكانوا يقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله . ويقولون انما نعبدهم ليقربونا الى الله زلفى ونحو ذلك من الكلام واذا

سألوا منهم من يرزقكم ومن خلق السموات والارض ليقولن الله *

وقد سبق في هذا الكتاب فى عدة مواضع بيان ذلك . وان كلام الغلاة هذا وكلام عبدة الاصنام من واد واحد . وقد تشابهت قلوبهم . وأوردت له عدة آيات ونصوص فى اثبات الحكمة والتعليل وان الله هو خالق السبب والمسبب وان هذا هو ما اقتضاه الكتاب والسنة وكلام السلف فلم يزده ذلك الا نفورا واستكبارا عن قبول الحق فانه كان من قوم ظروفهم من الظرف خالية . وغرفهم من العقل خاوية وصحنهم من العلوم بيضاء صافيه . وجيفهم فوق الماء طافيه . فى الانعام . لا فى الانام . ومثله بلاء على الاسلام *

﴿ وقد بسط الكلام ﴾ على مسألة الاسباب العلامة الحافظ الشيخ شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الشهير بابن قيم الجوزية في كتابه شفاء العليل في القضاء والقدر والحكمة والتعليل قال فى اثناء كلامه انه سبحانه ربط الاسباب بمسبباتها شرعا وقدرا وجعل الاسباب محل حكمته فى أمره الدينى والشرعى وأمره الكونى القدرى ومحل ملكه وتصرفه فانكار الاسباب والقوى والطبائع جحد للضروريات وقدح فى العقول والفطر ومكابرة للحس وجحد للشرع والجزاء فقدجعل سبحانه مصالح العباد في معاشهم ومعادهم والثواب والعقاب والحدود والكفارات والاوامر والنواهى والحل والحرمة كل ذلك مرتبطا بالاسباب قائما بها بل العبد نفسه وصفاته وافعاله سبب لما يصدر عنه بل الموجودات كلها أسباب ومسببات والشرع كله اسباب ومسببات والمقادير اسباب ومسببات والقدر جار عليها متصرف فيها فالاسباب محل الشرع والقدر والقرآن مملوء من اثبات الاسباب كقوله بما كنتم تعملون بما كنتم تكسبون . ذلك بما قدمت يداك بما كسبت ايديكم وسرد آيات كثيرة الى ان قال وهذا اكثر من ان يستوعب . وكل موضع تضمن الشرط والجزاء افاد سببية الشرط والجزاء وهو اكثر من ان يستوعب كقوله يا ايها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا وقوله لئن شكرتم لازيدنكم ولئن كفرتم ان عذابى لشديد وكل موضع رتب فيه الحكم على ماقبله بحرف افاد التسبب وقد تقدم . وكل موضع ذكرت فيه الباء تعليلا لما قبلها بما بعدها افاد التسبب وكل موضع صرح فيه بان كذا جزاء لكذا افاد التسبب فان العلة الغائية علة للعلة الفاعلية . ولو تتبعنا مايفيد اثبات الاسباب من القرآن والسنة لزاد على عشرة آلاف موضع . ولم نقل ذلك مبالغة بل حقيقة ويكفى شهادة الحس والعقل

والفطر . ولهذا قال من قال من اهل العلم تكلم قوم فى انكار الاسباب فاضحكوا ذوى العقول على عقولهم وظنوا انهم بذلك ينصرون التوحيد فشابهوا المعطلة الذين انكروا صفات الرب ونعوت كماله وعلوه على خلقه واستواءه على عرشه وتكلمه بكتبه وتكليمه لملائكته وعباده وظنوا انهم بذلك ينصرون التوحيد فما افادهم الا تكذيب الله ورسله وتنزيهه عن كل كمال ووصفه بصفات المعدوم والمستحيل ونظير من نزه الله فى افعاله وان يقوم به فعل البتة وظن انه ينصر بذلك حدوث العالم وكونه مخلوقا بعد ان لم يكن . وقد انكر اصل الفعل والخلق جملة ثم من أعظم الجناية على الشرائع والنبوات والتوحيد ايهام الناس ان التوحيد لايتم الا بانكار الاسباب فاذا رأى العقلاء انه لايمكن اثبات توحيد الرب سبحانه الا بابطال الاسباب ساءت ظنونهم بالتوحيد وبمن جاء به . وأنت لاتجد كتابا من الكتب أعظم اثباتا للاسباب من القرآن *

ويالله العجب اذا كان الله خالق السبب والمسبب وهو الذى جعل هذا سببا لهذا والاسباب والمسببات طوع مشيئته وقدرته منقادة لحكمه ان شاء ان يبطل سببية الشئ أبطلها كما أبطل احراق النار على خليله ابرهيم واغراق الماء على كليمه وقومه وان شاء أقام لتلك الاسباب موانع تمنع تأثيرها مع بقاء قواها . وان شاء خلى بينها وبين اقتضائه لآثارها فهو سبحانه يفعل هذا وهذا وهذا . فاى قدح يوجب ذلك فى التوحيد وأى شرك يترتب على ذلك بوجه من الوجوه . ولكن ضعفاء العقول اذا سمعوا ان النار لاتحرق والماء لايغرق والخبز لايشبع والسيف لايقطع ولا تأثير لشئ من ذلك البتة ولاهو سبب لهذا الاثر وليس فيه قوة . وانما الخالق المختار يشاء حصول كل أثر من هذه الآثار عند ملاقاة كذا لكذا . قالت هذا هو التوحيد وافراد الرب بالخلق والتأثير ولم يدر هذا القائل ان هذا اساءة ظن بالتوحيد وتسليط لاعداء الرسل على ماجاؤا به كما تراه عيانا فى كتبهم ينفرون به الناس عن الايمان ولا ريب ان الصديق الجاهل قد يضر مالا يضره العدو العاقل . قال تعالى عن ذى القرنين وأتيناه من كل شئ سببا . ثم ذكر تفسير الآية وذكر آيات أخر وشفى بذلك صدور المؤمنين . ومن أراد الوقوف على تفصيل ذلك فليراجع هذا الكتاب *

والمقصود ان قول ذلك الزائغ الذى أجراه مع أمير الجبل هو كذب لا أصل له واني أعلم

انه من أكذب الناس وأكثرهم رياء وانه لو كان صادقا فيما نقله فالكلام مع العوام لايترتب عليه شيء وان مسألة الاسباب سواء قلنا فيها بقول السلف أم لا لاتعلق لها مع الدعاء والعبادة . فان ذلك من خصائص الله تعالى باتفاق العقلاء وأهل المعرفة وان الاشاعرة القائلين بعدم تأثير الاسباب لايقولون بجواز عبادة غير الله فلا يسجد لغير الله ولا يذبح لغير الله ولا ينذر لغير الله ولا يحلف بغير الله ولا يستغاث ولا يستعان بغير الله *

وكل هذا يفعله قوم ذلك الزائغ فما حجتهم في هذا العمل الباطل فليجب عن هذا ثم ليفتخر بما كان منه مع أمير حائل العامي وانه يتبجح بالزامه وافحامه . الا لعنة الله على الكاذبين *

﴿ الوجه السابع ﴾ ان الشعراء الذين أورد النبهاني من شعرهم في الاستدلال علي جواز الاستغاثة بغير الله والاحتجاج على مشروعية دعاء سواه سبحانه بل كل من كان على هذا المنهج من الغلاة فهو اما من القائلين بالحلول والاتحاد وهو الذي سوغ له ذلك الدعاء والالتجاء اذ الكل واحد * وعلى ذلك قول قائلهم *

وتلتذ ان مرت على جسدي يدي * لاني في التحقيق لست سواه

وقال آخر

الرب عبد والعبد رب * ليت شعري من المكلف

وعندهم الوجود واحد ولذلك قال من قال سبحان من أظهر الاشياء وهو عينها . فاذا كان الله عين كل شيء فله ان يعبد كل شيء اذ هي عين الحق . وفي كتاب فصوص الحكم مايقشعر منه جلود المؤمنين . قال شرف الدين اسمعيل المعروف بابن المقرى من قصيدة *

فقال بان الرب والعبد واحد * فربي مربوب بغير تغاير
وانكر تكليفا اذ العبد عنده * اله وعبد فهو انكار حاير
وخطأ الامن يرى الخلق صورة * وهوية لله عند التناظر
وقال يحل الحق في كل صورة * تجلى عليها وهو احدي المظاهر
وأنكر ان الله يغني عن الورى * ويغنون عنه لاستواء المقادر

الى آخر ما قال والقصيدة طويلة في ديوانه وهو الذى قال ماقال الشيخ محيي الدين الذى يقول

وكل كلام في الوجود كلامه * سواء علينا نثره ونظامه

(والمقصود) ان من يذهب مذهب الغلاة في أهل القبور فريقان (الفريق الاول) من يقول بالاتحاد والحلول اذ لافرق حينئذ بين الخالق والمخلوق . ولا بين التراب ورب الارباب — ومنهم النبهانى الزائغ على ماأشعر كلامه واعتقاده فى النبي صلى الله عليه وسلم مع ماهو عليه من المسلك وقد ذكرنا ذلك أول الكتاب . ومثله كثير من أورد شعره *

(الفريق الثانى) الجهال بحقائق الدين ودقائقه وهم أكثر من نقل النبهانى شعره فهم لايعلمون مافي كلامهم من المحاذير ولو نبهوا عليها لاتنبهوا . وهم فى شعرهم وما قالوه فى النبي صلى الله عليه وسلم من الغلو يحسبون انهم يحسنون صنعا . وقد رأينا من يعمل فى قبور الاصفياء مايعمل من المنكرات والاعمال التى لم تشرع كلهم من العوام وان كان فى زى العلماء الاعلام فبطل جميع ماأستشهد به من الشعر والحمد لله *

﴿ قال النبهانى ﴾ ان الشيخ محمد الامير الكبير صاحب الثبت المشهور قد أجازني بثبته وما اشتمل عليه من علوم الشريعة والطريقة ومن كل معقول ومنقول شيخى الامام العلامه الشيخ ابراهيم السقا المصرى عن الشيخ محمد الامير الصغير عن والده الامير الكبير المذكور . ثم ذكر سنده بالطريقة الشاذلية الى ان أوصلها الى جبريل عن اسرافيل عن عزرائيل عن اللوح عن القلم عن الجليل جل جلاله . ثم ذكر له اجازة اخرى من هذا القبيل *

ثم أردفها بتنبيه نزه فيه شيخه عما قيل فيه ثم ذكر سنده فى الطريقة البكرية الخلوتية وأعقبها بهذيان وترهات تود الاذن المحمدية لو كانت عنها صماء *

﴿ الجواب عن جميع ماهذى به فى هذا المقام ﴾ ان يقال ان ماعليه النبهانى من الجهل والضلال يكذب جميع ماادعاه أين علمه بالمعقول والمنقول الذى أجازه به شيوخه بل أين آثار علم من العلوم فضلا عن جميعها من العلوم العقلية والنقلية *

ودعوة المرء تطفى نور بهجته * هذا بحق فكيف المدعي زللا

ثم أين زهده وورعه وتقواه وقد صرف عمره فى الاحكام القانونية فى المحاكم الجزائية والبداية والحكم بغير ماأنزل الله اما يستحيي من هذا حاله ان يدخل نفسه فى عداد المسلمين فضلا عن عباد الله الصالحين والعلماء العاملين وهو صفر اليدين من كل فضيلة عار عن أودية المناقب الجميلة ولكن شأن من لم يستح من الله ومن عباده ان يصنع ما يشاء وليته ذكر أيضا سنده

بالطريقة الرفاعية التي تلقاها عن شيخه وشيطانه شيخ السوء ومقتدى لدجالين خبيث النفس والافعال أبي البدع وعنوان الضلال وهكذا غالب متصوفة زماننا فمن باب الاشارة فى تفسير قوله تعالى (وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الادنى) وهى الشهوات الدنية واللذات الفانية ويجعلون ما ورثوه ذريعة الى أخذ ذلك (ويقولون سيغفر لنا ولابد) لانا واصلون كاملون — وهذا حال كثير من متصوفة زماننا . فانهم يتهافتون على الشهوات تهافت الفراش على النار ويقولون ان ذلك لا يضرنا لانا واصلون . وحكي عن بعضهم انه يأكل الحرام الصرف ويقول ان النفى والاثبات يدفع ضرره وهو خطأ فاحش وضلال بين اعاذنا الله تعالى واياكم من ذلك . وأعظم منه اعتقاد حل أكل مثل الميتة من غير عذر شرعى لاحدهم ويقول كل منا بحر والبحر لا ينجس ولا يدرى هذا الضال ان من يعتقد ذلك أنجس من الكلب والخنزير — ومنهم من يحكي عن بعض الكاملين المكملين من أهل الله تعالى ما يؤيد به دعواه وهو كذب لا أصل له وحاشا ذلك الكامل مما نسب اليه انتهى *

وقال الزمخشرى عند (الكلام على قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف (يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه) ما نصه محبة العباد لربهم طاعته وابتغاء مرضاته وان لا يفعلوا ما يوجب سخطه وعقابه ومحبة الله تعالى لعباده ان يثيبهم أحسن الثواب على طاعتهم ويعظمهم ويثنى عليهم ويرضى عنهم . واما ما يعتقده أجهل الناس واعداهم للعلم وأهله وأمقتهم للشرع واسوؤهم طريقة وان كانت طريقتهم عند أمثالهم من الجهلة والسفهاء شيئا وهم الفرقة المفتعلة المنفعلة من الصوف وما يدينون به من المحبة والعشق والتغنى على كراسيهم خربها الله تعالى وفى مراقصهم عطلها الله تعالى بأبيات الغزال المقولة فى المردان الذين يسمونهم شهداء وصعقاتهم التى أين منها صعقة موسى عليه السلام * ثم دك الطور فتعالى الله عنه علوا كبيرا ومن كلماتهم كما انه بذاته يحبهم كذلك يحبون ذاته فان الهاء راجعة الى الذات . دون النعوت والصفات ومنها الحب شرطه ان تلحقه سكرات المحبة ولو لم يكن ذلك لم تكن فيه حقيقة انتهى كلامه وهؤلاء الطائفة الذين تسموا بالصوفية غاصبين له عن أهله قد ارتكبوا ما نقل الامام عنهم بل وزيادة اضعاف اضعافه مما نعلمه من هذه الطائفة فى زماننا . وذلك لا ينافى حال المتسمين

به حقيقة ولا يؤاخذ الصالح بالطالح ولا يضرب رأس البعض بالبعض ولا تزر وازرة وزر أخرى

﴿ثم انه من المعلوم﴾ ان ما يقرأه الناس اليوم من العلوم العقلية أخذت من كتب اليونان بعد ان ترجمت بامر المأمون الخليفة العباسي فمن اين ساغ لمن أسندها فى الاجازات الكاذبة الى النبي صلى الله عليه وسلم عن جبريل عن ميكائيل عن اسرافيل عن عزرائيل عن اللوح عن القلم كما ذكره النبهانى الكاذب فى اسناده وعلوم اليونان كلها خطأ وضلال وبهتان كما ظهر ذلك للعيان عند من مارس فنون الفلاسفة المتاخرين فكيف تسند الى من لا ينطق عن الهوى — وهكذا حكم الطرائق المبتدعة فهى من وسوسة الشيطان لا من وحي الرحمن *

﴿واما علم الكلام﴾ الذى هو من جملة علم المعقول المختلط مع المنقول ان كان المراد به المخالف للكتاب والسنة فهو باطل * وقد نزه الله تعالى عنه من ذكره النبهانى فى سند اجازته التى أجازه فيها شيوخه بالعلوم والطريقة ولم يكن في الصحابة والتابعين أحد يستدل على حدوث العالم بحدوث الاجسام ويثبت حدوث الاجسام بدليل الاعراض والحركة والسكون والاجسام مستلزمة لذلك لا تنفك عنه ومالا يسبق الحوادث فهو حادث ويبنى ذلك على حوادث لا اول لها بل اول ما ظهر هذا الكلام في الاسلام بعد المائة الاولى من جهة الجعد بن درهم والجهم بن صفوان — ثم صار الى اصحاب عمرو بن عبيد كابي الهذيل العلاف وامثاله وعمر بن عبيد وواصل بن عطاء انما كانا يظهران الكلام فى انفاذ الوعيد وان النار لا يخرج منها من دخلها وفى التكذيب بالقدر ، وهذا كله مما نزه الله عنه نبيه صلى الله عليه وسلم واصحابه والتابعين لهم باحسان ، وتمام الكلام في كتاب المنهاج لشيخ الاسلام رحمه الله فان فيه ما يشفى صدور المؤمنين *

﴿ثم ان ما ذكره النبهانى﴾ من ان سند الطرايق المبتدعة يتصل بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم عن جبريل عن ميكائيل عن اسرافيل عن عزرائيل الى آخر ما ذكره فهو كذب لا اصل له وتحقيق ذلك ان اهل المعرفة وحقائق الايمان المشهورين فى الامة بلسان الصدق انما وصلوا الى ما وصلوا اليه بالعمل بما فى الكتاب والسنة لا بلباس الخرقة — وفى الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله لا ينظر الى صوركم وأموالكم وانما ينظر الى قلوبكم وأعمالكم فاين حقائق القلوب من لباس الابدان *

﴿ ويقال ثانيا ﴾ الخرق متعددة أشهرها خرقتان خرقة الى عمر وخرقة الى علي كما حققه شيخ الاسلام فخرقة عمر لها اسنادان اسناد الى اويس القرني واسناد الى أبي مسلم الخولاني واما الخرقة المنسوبة الى علي فاسنادها الى الحسن البصري والمتأخرون يصلونها بمعروف الكرخي فان الجنيد صحب السري والسري صحب معروفا الكرخي بلا ريب * واما الاسناد من جهة معروف فينقطع فتارة يقولون ان معروفا صحب عليا وهو ابن موسى الرضا وهذا باطل قطعا لم يذكره المصنفون لاخبار معروف بالاسناد الثابت المتصل كأبي نعيم وأبي الفرج ابن الجوزي في كتابه الذي صنفه في فضائل معروف ومعروف كان منقطعا في الكرخ وعلي بن موسى كان المأمون قد جعله ولي العهد بعده وجعل شعاره لباس الخضرة ثم رجع عن ذلك وأعاد شعار السواد . ومعروف لم يكن ممن يجتمع بعلي بن موسي ولا نقل عنه ثقة انه اجتمع به أو أخذ عنه شيئا بل ولا يعرف انه رآه ولا كان معروف بوابه ولا أسلم على يديه وهذا كله كذب واما الاسناد الآخر فيقولون ان معروفا صحب داود الطائي وهذا أيضا لا أصل له . وليس في أخباره المعلومة ما يذكر فيها . وفي اسناد الخرقة أيضا ان داود الطائي صحب حبيبا العجمي وهذا أيضا لم يعرف له حقيقة وفيها ان حبيبا العجمي صحب الحسن البصري وهذا صحيح فان الحسن كان له أصحاب كثيرون مثل أيوب السختياني ويونس بن عبيد وعبد الله بن عوف . ومثل محمد بن واسع ومالك بن دينار وحبيب العجمي وفرقد السنجي وغيرهم من عباد البصرة . وفيها ان الحسن صحب عليا وهذا باطل باتفاق أهل المعرفة فانهم متفقون على ان الحسن لم يجتمع بعلي وانما أخذ عن أصحاب علي . أخذ عن الاحنف بن قيس وقيس بن عباد وغيرهما عن علي وهكذا رواه أهل الصحيح . والحسن ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر وقتل عثمان وهو بالمدينة كانت أمه أمة لام سلمة فلما قتل عثمان حمل الى البصرة وكان علي بالكوفة والحسن في وقته صبي من الصبيان لا يعرف ولا له ذكر . والاثر الذي يروى عن علي انه دخل الى جامع البصرة واخرج القصاص الا الحسن كذب باتفاق أهل المعرفة ولكن المعروف ان عليا دخل المسجد فوجد قاصا يقص فقال ما اسمك قال أبو يحيي قال تعرف الناسخ من المنسوخ قال لا قال هلكت وأهلكت انما أنت أبو أعرفوني ثم أخذ باذنه فأخذه من المسجد فروى أبو حاتم في كتاب الناسخ والمنسوخ حدثنا الفضل ابن دكين حدثنا سفيان عن

أبي حصين عن أبي عبدالرحمن السلمى قال انتهى على الى قاص وهو يقص . فقال أعلمت الناسخ والمنسوخ قال لا قال هلكت وأهلكت . قال وحدثنا زهير بن عباد الرواسى حدثنا أسد بن حمران عن جويبر عن الضحاك ان على بن أبي طالب دخل مسجد الكوفة فاذا قاص يقص فقام على رأسه فقال يا هذا تعرف الناسخ من المنسوخ قال لا قال أفتعرف مدني القرآن من مكيه قال لا قال هلكت واهلكت قال أتدرون من هذا — هذا يقول اعرفونى اعرفونى . وقد صنف ابن الجوزي مجلدا فى مناقب الحسن البصرى وصنف ابو عبد الله محمد بن عبد الواحد المقدسى جزأ فيمن لقيه من اصحابه واخبار الحسن مشهورة فى مثل تاريخ البخارى . قال شيخ الاسلام وقد كتبت اسانيد الخرقة لانه كان فيها اسانيد فبينتها ليعرف الحق من الباطل . ولهم اسانيد أخر بالخرقة المنسوبة الى جابر وهو منقطع جدا وقد عقل بالنقل المتواتر ان الصحابة لم يكونوا يلبسون مريديهم خرقة ولا يقصون شعورهم ولا التابعون ولكن هذا فعله بعض مشايخ المشرق من المتأخرين واخبار الحسن مذكورة بالاسانيد الثابتة من كتب كثيرة يعلم منها ما ذكرنا — وقد افرد ابوالفرج ابن الجوزى له كتابا فى مناقبه واخباره . واضعف من هذا نسبة الفتوة الى على وفى اسنادها من الرجال المجهولين الذين لا يعرف لهم ذكر ما يبين كذبها وقد علم كل من له علم باحوال الصحابة والتابعين انه لم يكن فيهم أحد يلبس سراويل ولا يسقى ملحا ولا يختص أحد بطريقة تسمى الفتوة . لكن كانوا قد اجتمع بهم التابعون وتعلموا منهم وتأدبوا بهم واستفادوا منهم وتخرجوا على أيديهم . وصحبوا من صحبوه منهم وكانوا يستفيدون من جميع الصحابة وأصحاب ابن مسعود كانوا يأخذون عن عمر وعلى وأبى الدرداء وغيرهم وكذلك أصحاب معاذ بن جبل رضى الله عنه كانوا يأخذون عن ابن مسعود وغيره . وكذلك أصحاب ابن عباس يأخذون عن ابن عمر وأبي هريرة وغيرهما . وكذلك أصحاب زيد بن ثابت يأخذون عن أبي هريرة وغيره . وقد انتفع بكل منهم من نفعه الله . وكل منهم متفقون على دين واحد وطريق واحدة وسبيل واحدة يعبدون الله تعالى ويطيعون الله ورسوله صلى الله عليه وسلم . ومن بلغهم من الصادقين عن النبي صلى الله عليه وسلم شيئا قبلوه . ومن فهم من السنة والقرآن ما دل عليه القرآن والسنة استفادوه . ومن دعاهم الى الخير الذى يحبه الله ورسوله اجابوه . ولم يكن أحد منهم يجعل شيخه ربا يستغيث به كالاله الذى يسأله ويرغب اليه . ويعبده

ويتوكل عليه . ويستغيث به حيا وميتا ولا كالنبي الذى تجب طاعته فى كل ما أمر . فالحلال ماحلله والحرام ماحرمه . فان هذا ونحوه دين النصارى الذين قال الله فيهم اتخذوا احبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله . والمسيح ابن مريم وما أمروا الا ليعبدوا الها واحدا لا اله الا هو سبحانه عما يشركون .

وكانوا متعاونين على البر والتقوى على الاثم والعدوان . متواصين بالحق متواصين بالصبر والامام والشيخ ونحوهما عندهم بمنزلة الامام فى الصلوة وبمنزلة دليل الحاج فالامام يقتدى به المأمومون فيصلون بصلاته لا يصلى عنهم . وهو يصلى بهم الصلوة التى أمر الله ورسوله بها فان عدل عن ذلك سهوا أو عمدا لم يتبعوه . ودليل الحاج يدل الوفد على طريق البيت ليسلكوه ويحجوه بانفسهم . فالدليل لا يحج عنهم وان أخطأ الدلالة لم يتبعوه . واذا اختلف دليلان وإمامان نظر ايهما كان الحق معه أتبع . فالفاصل بينهم الكتاب والسنة . قال تعالى يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم فان تنازعتم في شئ فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر . ذلك خير وأحسن تأويلا *

وكل من الصحابة الذين سكنوا الامصار أخذ عنه الناس الايمان والدين وأكثر المسلمين بالمشرق والمغرب لم يأخذوا عن على شيئا فانه رضى الله عنه كان ساكنا بالمدينة وأهل المدينة لم يكونوا يحتاجون اليه الا كما يحتاجون الى نظرائه كعثمان فى مثل قضية يشاورهم فيها عمر ونحو ذلك . ولما ذهب الى الكوفة كان أهل الكوفة قبل ان يأتيهم قد أخذوا الدين عن سعد ابن أبي وقاص وابن مسعود وحذيفه وعمار . وأبى موسى وغيرهم ممن أرسله عمر الى الكوفة وأهل البصرة أخذوا الدين عن عمران بن حصين وأبى بكرة . وعبد الرحمن بن سمرة وأنس وغيرهم من الصحابة . وأهل الشام اخذوا الدين عن معاذ بن جبل وعبادة بن الصامت وابى الدرداء وبلال وغيرهم من الصحابة . والعباد والزهاد من اهل هذه البلاد اخذوا الدين عمن شاهدوه من الصحابة . فكيف يجوز ان يقال ان طريق اهل الزهد والتصوف متصل به دون غيره . وهذه كتب الزهد مثل الزهد للامام احمد . والزهد لابن المبارك ولوكيع ابن الجراح . ولهناد بن السرى . ومثل كتب اخبار الزهاد كحلية الاولياء . وصفوة الصفوة وغير ذلك فيها من اخبار الصحابة والتابعين امور كثيرة . وليس الذى فيها لعلي اكثر مما فيها

لابى بكر وعمر . ومعاذ وابن مسعود وابى بن كعب وابي زر وابى الدرداء وابى امامة وامثالهم من الصحابة رضي الله عنهم اجمعين . انتهى كلامه *

﴿ والمقصود من نقله ﴾ ان يعلم ان ماذكره النبهانى من الثبت باطل من وجوه (اما اولا) فلان ما يعرفه من العلم الشيطانى ليس مأخوذا بالسند عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فان العلم الذى جاء به الرسول لايعرفه ولا يوفق له . فانه نور ونور الله لايوفق له العصاة الطغاة . (وأما ثانيا) فلان الطرايق التى انتحلها لا أصل لها . وكلها بدع وضلالات ولذلك لم تؤثر فى قلبه شيئا ان صدق انه سلكها بل هو من أضل الناس وأجهل الناس (وأما ثالثا) فلان سنده مختل باطل كما يعلمه من يطبقه على ماسبق من كلام شيخ الاسلام *

﴿ وبالجملة ﴾ فكلامه فى كتابه هذا من أوله الى آخره ظلمات بعضها فوق بعض فسبحان من طبع على قلبه وعلى سمعه وبصره . ومع ما هو عليه من الحال الذى ينبغى ان يرثي له بسببه يتطاول على علماء المسلمين الربانيين ويفحش القول فيهم . قبحه الله تعالى ولعنه كما لعن أصحاب السبت . وما أحقه بقول أبي العلاء المعرى *

اذا وصف الطائى بالبخل مادر * وعير قسا بالفهاهة باقل
وقال السهى للشمس أنت خفية * وقال الدجي للصبح لونك حائل
وطاولت الارض السماء سفاهة * وفاخرت الشهب الحصى والجنادل
فياموت زران الحيوة ذميمة * ويانفس جدى ان دهرك هازل

والكلام على بدع الطرائق وأهلها مفصل فى غير هذا الموضع وفي كتاب كشف أحوال المشايخ الاحمدية . وبيان أحوالهم الشيطانية . ما يشفي صدور المؤمنين . وتقربه عين الموحدين والنبهانى لم يزل يكرر قوله فى التبجح والافتخار بالاجازات الكاذبة التى لا أصل لها ويقول وعندي بحمد الله اجازات بكثير من الطرق العلية غير الخلوتية والشاذلية . كالقادرية والرفاعية والنقشبندية ولكن كل ذلك لاجل البركة . باتصال سندى بالنبي صلى الله عليه وسلم كما اتصل من طرق الفقهاء والمحدثين وسائر علماء الدين الى آخر هذيانه . ولا بدع اذا ما كان مجمع البدع والضلالات . وليت شعرى ماذا نفعته تلك الاجازات . وأى بركة حصلت له من هاتيك الخزعبلات . وهل هى الا ان قضى شطرا من عمره في محاكم القوانين والنظامات. وصرف

ايامه بالجهالات والضلالات . وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون . قل هل أنبئكم بالاخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم فى الحياة لدنيا . وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا *

﴿ الكلام على سوء خاتمته ﴾

﴿ قال النبهاني ﴾ الخاتمة فى الجواب عما اعترض به ابن تيمية . وأمثاله على بعض أولياء الله تعالى من الالفاظ الموهمة . ونقل عن كتاب البحر المورود للامام الشعرانى انه قال أخذ علينا العهود ان نجيب عن أئمة الاسلام . من العلماء والصوفية جهدنا ولا نصغى قط لقول من طعن فيهم لعلمنا انه ما طعن فيهم . الا وهو قاصر عن معرفة مداركهم . ونقل كلامه فى تبرئة الجنيد والغزالى . والشيخ محى الدين ابن العربى . ونقل أيضا كلامه على ما اعترض عليه من كلمات القوم . كقول الشيخ أبى يزيد طاعتك لى يارب . أعظم من طاعتى لك وقول الجنيد العارفون لايموتون . وانما ينقلون من دار الى دار . وقول الشبلى ان ذلي عطل ذل اليهود . وقول الغزالى ليس فى الامكان أبدع مما كان . وقول الشيخ محي الدين بن العربى حدثنى قلبي عن ربى . أو حدثنى ربى عن قلبي . أو حدثنى ربى عن نفسه . ثم ان الشعراني وجه هذه الاقوال بتوجيهات رآها . ثم نقل عن القوم أقوالا ثبتت عنهم . ولم يعين قائلا كقولهم اللوح المحفوظ هو قلب العارف . وقولهم دخلنا حضرة الله . وخرجنا من حضرة الله وأبدى لمثل هذه الاقوال معاني صحيحة . ثم ان بعض أقوال نسبت الى بعض أولئك القوم قال لم تصح نسبتها اليهم وكذبها . ونقل النبهانى أيضا عن الفتاوى الحديثية بعض المسائل المتعلقة بمثل تلك الاقوال سئل عنها فاجاب بما اجاب وختم به كتابه *

﴿ والجواب عن ذلك كله ان يقال ﴾ انه لم يسلم احد من الاعتراض عليه . والقاء التهمة بين يديه . وكل احد يؤخذ منه ويرد عليه الا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهؤلاء الذين ذكر من اقوالهم ما ذكر ان لم يكن لها وجه . فهى لاتزرى بعلو شأنهم . ومزيد عرفانهم فهم لم يكونوا معصومين . ولا انبياء ولا مرسلين . وقد قيل ان الصارم قد ينبو . والجواد قد يكبو . والسعيد من عدت سقطاته . وقلت غلطاته . (وما) احسن ماقيل *

ومن ذا الذى ترضى سجاياه كلها * كفى المرء نبلا ان تعد معائبه

﴿ هذا ﴾ اذا لم يكن لما قالوه وجيها . فكيف وغالب اقوالهم قد صححها وجها بعض اهل العلم

والنبهاني قد افترى على شيخ الاسلام تقي الدين احمد ابن تيمية فى قوله ان ابن تيمية اعترض على تلك الاقوال التى ذكرها (فعلى) اى قول منها اعترض. وفى اي كتاب ذكر ذلك والبهتان قد صار ديدنا ودينا للنبهانى كما قد قررنا ذلك مرارا . وابن تيمية لم يزل يذب عن العلماء الربانيين . والعلماء العاملين . والف كتابا سماه رفع الملام . عن الائمة الاعلام. وآخر فى الذب عن الائمة الاربعة . وآخر فى الانتصار للامام احمد وآخر وآخر . مما سبق بيانه. وقد كان رحمه الله على جانب من الانصاف عظيم . يعرف قدر اهل العلم . ويعطى كل ذى حق حقه . نعم اعترض على بعض مسائل لابى حامد مخالفة للكتاب والسنة ذكرها في الاحياء وغيره من كتبه . كما هو شأن أئمة الامة المحمدية فانهم كما وصفهم نبيهم لايجتمعون على ضلالة . وقال فيه انه مات والبخارى على صدره نعم انه تكلم في الشيخ محي الدين واضرابه ممن قال بوحدة الوجود . والحلول والاتحاد *

كما سبق بيانه وله فيهم رد كبير . وذكر منه فى كتابه الفرقان بين أولياء الشيطان وأولياء الرحمن مانقلنا بعضه فيما سبق . وهو ليس أول من قرع هذا الباب من أولى الالباب فكم وكم له من سلف . وذلك من الواجب على مثله ان يقوم على ساق المناضلة والذب عن الشريعة الغراء ومن أعطاه الله علما فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار *

قال تعالى (واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه) والشيخ محي الدين قد الف فيه كتبا كثيرة وردوا على أقواله التى في الفصوص والفتوحات وغيرهما *

وممن الف فى الرد عليه العلامة الثانى سعد الدين التفتازانى والحافظ العسقلاني والشيخ أبو عبد الله البخارى والملا على القارى والعلامة العضد وغيرهم مما لايحصون كثرة * وانهم أصابوا فى الرد عليه ولولا ان يطول الكلام لذكرنا كلامهم فيه ولعلنا ان شاء الله نفرد له كتابا يكون قسيما لهذا الكتاب ثم ان مانقله النبهانى عن الشعرانى في توجيه قول الشيخ محي الدين فهو غير مقبول لانه لايدل اللفظ عليه لاحقيقة ولا مجازا ولقد تجرأ على القول به بعض من لا خلاق له ممن تنسب الى العلم والصلاح من الغلاة فحصل منه من المفاسد ماحصل . قال العلامة الشيخ عبد اللطيف في كتابه منهاج التأسيس فى الرد على ابن جرجيس . عند الكلام على بدع القبوريين مانصه ومن المحن ان مشايخ المذاهب الاربعة وفقهائهم جزموا بوجوب هدم القباب ونهوا عن الطواف

بالقبور ودعاء اربابها بل ودعاء الله عنـدها ومنعوا من الذبح لها والغلو فيها . بل وعن عبادة الله بالصـلاة عندها . فاذا عمل بمقتضى اقوالهم عامل والزم بهاالناس نسبه هؤلاء الجهال الى الاستخفاف بالانبياء والصالحين والى مخالفة العلماء لان العلم فى عرفهم ماهم عليه من أقوال اسلافهم ومشايخهم من المتأخرين . قال وقـد حدثنى من يقبـل حديثه انه سمع هـذا العراقى بالمدينـة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام يوم قدوم الحاج يقول في مجمع من الناس انما الرجل من يقول حدثنى سرى عن ربي لا من يقول حدثنا فلان وفلان *

فانظر هذا الاستخفاف العظيم برسل الله . ومن المعلوم من الدين بالضرورة ان من يأخذ عن الانبياء المعصومين وعن رسل الله المبلغين أفضل وأ كمل ممن ياخذ عن سره ووارده بل هذه الواردات كلها موقوفة ومردودة الا بشاهد عدل من رسول الله صلى الله عليه وسلم يشهد لها بالصحة وانها حق يؤخذ به . وقد قال شيخ الطريق الجنيد بن محمد رحمه الله انه لتقع فى قلبى النكتة من نكت القوم فلا أقبلها الا بشاهدى عدل من الـكتاب والسنة وغالب هذه الواردات التى تخالف الشرعيات ويشير اليها أهل التصوف والتعبدات . انما هى من وحي الشيطان لا عن الله رب العالمين . وبهذا تعلم ان هذا العراقي وأمثاله هم أهل التنقص للرسل التاركون لما جاؤا به . وحاصل امرهم عزل الـكتاب والسنة في باب الاعتقادات والعمليات واتباع ماتهوى الانفس من الغلو والاطراء والجهل والضلالات وهذا الاعتراض محشو من ذلك لا تـكاد تمد فيه كلمة واحدة سيقت على القانون الشرعي والمنهاج المرضى . وما احسن ماقال شيخ الاسلام فيما كتب على المحصل للرازى *

محصل فى اصول الدين حاصـله * من بعد تحصيله جهل بلا دين
بحر الضلالات والافك المبين وما * فيـه فأ كثره وحي الشياطين

انتهى كلام صاحب المنهاج . ومنـه يعلم ان قول محى الدين ان صح عنه فهو قول باطل لا يفيد فيه ماذكره الشعرانى من التأويل العليل *

﴿ والامام أبو حامد الغزالى ﴾ اعترض على كتبه كثير من العلماء الربانيين . (منهم الامام) أبو عبـد الله المأزرى . قال تاج الدين ابن السبكي فى طبقاته عند ذكره كلام الطاعنين على هذا الامام ورده (قال الامام) أبو عبد الله المأزرى المالـكى مجيبا لمن سأله عن حال كتاب

أحياء العلوم ومصنفه هذا الرجل يعنى الغزالى . وانلم أ كن قرأت كتابه فقد رأيت تلامذته وأصحابه فكل منهم يحكى لى نوعا من حاله وطريقته فاتلوح بها من مـذهبه وسيرته ما قام لى مقام العيان فانا اقتصر على ذ كر حال الرجل وحال كتابه وذ كر جمل من مذاهب الموحدين والفلاسفة والمتصوفة وأصحاب الاشارات فان كتابه متردد بين هذه الطرائق لا يعدوها ثم اتبع ذلك بذ كر حبل أهل مذهب على أهل مذهب آخر . ثم أبين عن طرق الغرور وا كشف عما دفن من حبال الباطل ليحـذر من الوقوع فى حبالة صائده . ثم انه اثنى على الغزالى فى الـكشف وقال هو أعرف بالفقه منه باصوله . واما عـلم الـكلام الذى هو أصول الدين فانه صنف فيه أيضا وليس بالمستبحر فيها ولقد فطنت لسبب عدم استبحاره وذلك انه قرأ عـلم الفلسفة قبل استبحاره في فن أصول الدين فا كسبته قراءة الفلسفة جراءة على المعانى وتسهيلا للهجوم على الحقائق لان الفلاسـفة تمر مع خواطرها وليس لها حكم شرعى ترعاه ولا تخاف من مخالفة أئمة تتبعها . وعرفنى بعض أصحابه انه كان له عكوف على رسائل اخوان الصفا وهى احدى وخمسون رسالة ومصنفها فيلسوف قد خاض فى علم الشرع والعقل فمزج ما بين العلمين وذ كر الفلسفة وحسنها فى قلوب أهل الشرع بابيات يتلوها عندها وأحاديث يذ كرها . ثم كان فى هذا الزمان المتأخر رجل من الفلاسفة يعرف بابن سينا ملأ الدنيا تآليف في علم الفلسفة وهو فيها امام كبير وقد أدته قوته فى الفلسفة الى ان حاول رد أصول العقائد الى علم الفلسفة وتلطف جهده حتى تم له مالم يتم لغيره . وقد رأيت جملا من دواوينه ورأيت هذا الغزالي يعول عليه فى أ كثر ما يشير اليه من الفلسفة *

ثم قال واما مذاهب الصوفية فلست أدرى على من عول فيها . ثم أشار الى انه عول على أبى حيان التوحيدى . ثم ذ كر توهية أ كثر مافي الاحياء من الاحاديث . وقال عادة المتورعين ان لا يقولوا قال مالك قال الشافعى فيما لم يثبت عندهم ثم أشار الى انه يستحسن أشياء مبناها على مالا حقيقة له مثل قوله فى قص الاظفار ان تبدأ بالسبابة لان لها الفضل على بقية الاصابع لـكونها المسبحة الى آخر ماذ كر من الـكيفية وذ كر فيه اثرا . وقال من مات بعد بلوغه ولم يعلم ان البارى قديم مات مسلما اجماعا قال ومن تساهل في حكاية هذا الاجماع الذى الاقرب ان يكون فيه الاجماع بعكس ما قال فحقيق ان لا يوثق بما نقل *

وقد رأيت له انه ذكران فى علومه هذه مالا يسوغ ان يودع في كتاب فليت شعري أحق هو أو باطل فان كان باطلا فصدق وان كان حقا وهو مراده بلا شك فلم لا يودع فى الكتب الغموضه ودقته قال فان كان هو فما المانع (هذا ملخص كلام المأزري على ما قاله ابن السبكى)

﴿ ومنهم أبو الوليد الطرطوشى ﴾ قال تاج الدين وسبق المأزرى الى قريب منه من المالكية أبو الوليد الطرطوشى فذكر فى رسالته الى ابن مظفر فاما ماذكرت من أمر الغزالي فرأيت الرجل وكلمته فرأيته رجلا من أهل العلم قد نهضت به فضائله واجتمع فيه العقل والفهم وممارسة العلوم طول زمانه ثم بداله الانصراف عن طريق العلماء ودخل فى غمار العمال ثم تصوف فهجر العلوم وأهلها ودخل فى علوم الخواطر وارباب القلوب ووساوس الشيطان ثم شابها بآراء الفلاسفة ورموز الحلاج وجعل يطعن على الفقهاء والمتكلمين ولقد كاد ينسلخ من الدين فلما عمل الاحياء عمد يتكلم فى علوم الاحوال ومرامز الصوفية وكان غير أنيس بها ولا خبير بمعرفتها فسقط على أم رأسه وشحن كتابه بالموضوعات *

﴿ ومنهم الشيخ تقى الدين ابن الصلاح ﴾ فقد تكلم أيضا فى الغزالى بكلام قادح فيه وطعن على كتبه بانها مشتملة على خرافات واكاذيب وموضوعات قال ابن السبكى وللشيخ تقى الدين فى حق الغزالى كلام لا نرتضيه . ذكره علماء المنطق تكلمنا عليه فى اوائل شرحنا للمختصر لابن الحاجب ونقل عن عفيف الدين ما كتبه اليه من جملة رسالة — واما ما ذكره الشيخ تقى الدين ابن الصلاح من عندنفسه ومن كلام يوسف الدمشقي والمأذرى فما اشبه هؤلاء الجماعة رحمهم الله تعالى الا بقوم متعبدين سليمة قلوبهم قد ركنوا الى الهوينا فرأوا فارسا عظيما من المسلمين قد رأى عددا عظيما لاهل الاسلام فحمل عليهم وانغمس في صفوفهم وما زال فى غمرتهم حتى فل شوكتهم وكسرهم وفرق جموعهم شذر مذر وفلق هام كثير منهم فأصابه يسير من دمائهم وعاد سالما فرأوه وهو يغسل الدم عنه ثم دخل معهم فى صلاتهم وعبادتهم فتوهموا أيضا أثر الدم عليه فانكروا عليه هذا حال الغزالى وحالهم انتهى ما هو المقصود *

ثم ان ابن السبكى أجاب عن بعض ما اعترض به المازرى والطرطوشى باجوبة ارتكب التعسف فيها كما هى عادته من التعصب لاهل مذهبه ومع ذلك لم يمكنه انكار جهل الغزالى بالحديث فإنه قل واما ماعاب به الاحياء من توهية بعض الاحاديث فالغزالى معروف بانه لم تكن له

في الحديث يد باسطة وعامة مافى الاحياء من الاخبار والآثار مبدد فى كتب من سبقه من الصوفية والفقهاء ولم يسند الرجل لحديث واحد . وقد اعتنى بتخريج أحاديث الاحياء بعض أصحابنا فلم يشذ عنه الا اليسير قال وساذكر جملة من أحاديثه الشاذة استفادة . ثم انه بعد كلام استشهد بقوله *

لا يعرف الشوق الا من يكابده * ولا الصبابة الا من يعانيها

ثم قال بعد كلام طويل ولقد وقعت في بلاد المغرب بسبب الاحياء فتن كثيرة وتعصب أدى الى انهم كادوا يحرقونه وربما وقع احراق يسير قال والشيخ أبو الحسن لما وقف على الاحياء وتأمله قال هذا بدعة مخالفة للسنة وكان شيخا مطاعا فى بلاد المغرب فأمر باحضار كل مافيها من نسخ الاحياء وطلب من السلطان ان يلزم الناس بذلك فكتب الى النواحى وشدد في ذلك وتوعد من أخفى شيأ منه فاحضر الناس ما عندهم واجتمع الفقهاء ونظروا فيه ثم أجمعوا على احراقه يوم الجمعة وكان ذلك يوم الخميس ثم ذكر ابن السبكي قصة رؤيا أبى الحسن المكذوبة وزعم انه ترك احراقه لتلك الرؤيا وانه بعد ذلك رغب فيه . انتهى كلامه ملخصا *

﴿ومنهم العلامة الشيخ عبد اللطيف الحنبلى﴾ قال رحمه الله تعالى فى رسالة له كتبها لبعض أصحابه يحذره عن كتب أبي حامد الغزالي ويذكر له انها مخالفة للكتاب والسنة وأقوال سلف الامة وهى هذه بنص عبارته ولفظه *

بسم الله الرحمن الرحيم من عبد اللطيف بن عبد الرحمن . الى الاخ فى الله عبد الله بن معيذر سلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وبعد فقد بلغنى عنك مايشغل كل من له حمية اسلامية وغيرة دينية على الملة الحنيفية . وذلك انك اشتغلت بالقراءة فى كتاب الاحياء للغزالى وجمعت عليه من لديك من الضعفاء والعامة الذين لا تمييز لهم بين مسائل الهداية والسعادة ووسائل الكفر والشقاوة واسمعتهم مافى الاحياء من التحريفات الجائرة والتأويلات الضالة الخاسرة والشقاشق التى اشتملت على الداء الدفين والفلسفة فى أصل الدين . وقد أمر الله تعالى وأوجب على عباده ان يتبعوا رسله وان يلتزموا سبيل المؤمنين . هذا الاصل المحكم لا قوام للاسلام الا به . وقد سلك فى الاحياء طريق الفلاسفة والمتكلمين فى كثير من مباحث الالهيات وأصول الدين وكسا الفلسفة لحاء الشريعة حتى ظنها الاغمار والجهال بالحقائق من دين الله الذي جاءت به

الرسل ونزلت به الكتب ودخل به الناس فى الاسلام وهى فى الحقيقة محض فلسفة منتنه يعرفها أولوا الابصار . ويعجبها من سلك سبيل أهل العلم كافة فى القرى والامصار قد حذر أهل العلم والبصيرة عن النظر فيها . ومطالعة خافيها وباديها بل أفتى بتحريقها علماء المغرب ممن عرف بالسنة وسماها كثير منهم اماتة علوم الدين وقام ابن عقيل أعظم قيام فى الذم والتشنيع وزيف مافيه من التمويه والترقيع وجزم بان كثيرا من مباحثه زندقة خالصة لا يقبل لصاحبها صرف ولا عدل *

قال شيخ الاسلام ولكن أبو حامد دخل فى أشياء من الفلسفة . وهى عند ابن عقيل زندقة وقد رد عليه بعض ما دخل فيه من تأويلات الفلاسفة . ورد عليه شيخ الاسلام فى السبعينية وذكر قوله فى العقول والنفوس وانه مذهب الفلاسفة فافاد واجاد . ورد عليه غيره من علماء الدين . وقال فيه تلميذه ابن العربى المالكى : شيخنا أبو حامد دخل فى جوف الفلسفة ثم اراد الخروج فلم يحسن . وكلام أهل العلم معروف في هذا لا يشكل الا على من هو مزجى البضاعة أجنبي عن تلك الصناعة . الى ان قال اذا سمعت بعض عباراته المزخرفة قلت كيف ينهانا عن هذا فلان . أو يأمر بالاعراض عن هذا الشان . كأنك سقطت على الدرة المفقودة . والضالة المنشودة . وقد يكون ما أطربك وهز اعطافك وحركاتك . فلسفة منتنة . وزندقة مبهمة . أخرجت فى قالب الاحاديث النبوية . والعبارات السلفية . (الى ان قال) ثم جمعت بعض أقوال أهل العلم . وما افتوا به فى هذا الكتاب . وتحذيرهم للطالب والمسترشد (ثم ذكر كلاما طويلا للذهبي في ترجمته للغزالى . قال ومن معجم أبى على الصدفى . تأليف القاضي عياض له . قال ان الشيخ أبو حامد ذو الانباء الشنيعة . والتصانيف الفظيعة غلا فى طريقة التصوف وتجرد لنصر مذهبهم وصار داعية فى ذلك . وألف فيه تأليفه المشهورة أخذ عليه فيها مواضع وساءت به ظنون الامة . والله أعلم بسره ونفذ أمر السلطان عندنا بالمغرب . وفتوى الفقهاء باحراقها والبعد عنها فامتثل ذلك . (وقال الذهبي) أيضاً قد ألف الرجل فى ذم الفلاسفة كتاب التهافت وكشف عوارهم . ووافقهم فى مواضع ظنا منه ان ذلك حق . أو موافق للملة . ولم يكن له علم بالآثار . ولا خبرة بالسنن النبوية القاضية على العقل . وحبب اليه ادمان النظر فى كتاب رسائل اخوان الصفا . وهو داء عضال وجرب مُرْدٍ . وسم قاتل . ولولا ان أبا حامد

من الاذكياء وخيار المخلصين لتلف *

فالحذر الحذر من هذه الكتب . وأهربوا بدينكم من شبه الاوائل والا وقعتم فى الحيرة فمن رام النجاة والفوز . فليلزم العبودية . وليكثر الاستغاثة بالله . وليبتهل الى مولاه فى الثبات على الاسلام . وان يتوفى على ايمان الصحابة وسادات التابعين والله الموفق . فبحسن قصد العالم يغفر له . وينجو ان شاء الله انتهى *

والكلام على أبى حامد وبيان ما اعترض به عليه لايسع المقام تفصيله وما ذكرناه كاف فى المقصود . ومن العجب ان بعض الجهلة ممن يدعى العلم والصلاح وهو عار عنهما وقد تزيا بزى أهلهما . وقد كور عمامته . وسرح لحيته *

يحسبه الجاهل مالم يعلما * شيخا على كرسيه معمما

قد راج سوقه على العوام . بما يقصه عليهم فى الوعظ من الاكاذيب والاوهام . ورأى انه لامعارض له من أولئك الانعام كما يتكلم المتكلم بين المقابر بما شاء من الكلام حتى تخيل لذلك انه من العلماء الاعلام وما درى انه أجهل من ابن ثلاثة أيام قد ذكر أحياء العلوم وشرعه يمدحه باعظم المدائح ويقرظه بكل ما خطر له من الثناء فقلت له انه اشتمل على أحاديث موضوعة ومسائل فلسفية خارجة عن الشريعة واراء محضة مخالفة للسنة النبوية وبناء على ذلك ان أهل العلماء الموثوق بعلمهم لايقيمون لهذا الكتاب وزنا حتى ان بعضهم ألف كتابا فى بيان حال مافيه من الاحاديث فنظر الىّ شزرا وكادت تزهق روحه الخبيثة فقال كيف تقول هذا الكلام وقد شرحه العلامة الزبيدى . وخرج أحاديثه وبين أسراره فقلت له ان الزبيدى ليس من أهل هذا الفن ولا هو من رجال هذا الميدان انما هو رجل له بعض الاطلاع على اللغة وبعض العلوم العربية وكلام مثله فى باب الجرح والتعديل غير ملتفت اليه وكان من غلاة القبوريين والدعاة لمبتدعاتهم فلما سمع ما سمع أعرض ونأى بجانبه ولم يلتفت الى ما قلته ولا أصغى الى ماذكرته فقلت *

علىّ نحت القوافى من معادنها * وما علىّ اذا لم تفهم البقر

والكلام الحق اليوم ثقيل على الاسماع لاسيما على أهل الزيغ والابتداع وعلى المنصف موافقة الحق والاتباع * والمقصود * من هذا الكلام كله ان الشيخ تقى الدين قدس الله روحه لم

يتكلم في شأن أبي حامد كما تكلم غيره فيه والنبهاني افتري عليه وكذب بل انه شهد له بحسن العاقبة والخاتمة وقال في غير موضع من كتبه انه في آخر عمره استقر أمره على الحيرة والوقوف بعد ان نظر فيما كان عنده من طرق النظار أهل الكلام والفلاسفة وسلك ما تبين له من طرق العبادة والرياضة والزهادة وفي آخر عمره اشتغل بالحديث كصحيحي البخاري ومسلم انتهى * فانظر الى هذه التزكية الحسنة فان الاعمال بخواتيمها ولم يتكلم بمثل هذا الكلام في شأنه حتى من ينتصر له كتاج الدين واضرابه وقد سلكوا كل مسلك في تعديله والحث على كتبه وارتكبوا التعسفات في تأويل ما زل به قلمه ٠

﴿ واما قاضي الجماعه ﴾ ابو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي فقد قال ان بعض من يعظ ممن كان ينتحل رسم الفقه ثم تبرأ منه شغفا بالشرعة الغزالية والنحلة الصوفية قد أنشأ كراسة تشتمل على معنى التعصب لكتاب أبي حامد امام بدعتهم فاين هو من تشنيع مناكيره وتضليل اساطيره المباينة للدين وشريعة سيد المرسلين وزعم ان هذا من علم المعاملة المفضي الى علم المكاشفة الواقع بهم على سر الربوبية الذى لا يسفر عن قناعه ولا يفوز باطلاعه الا من تمطى الى شيخ ضلالته الذى رفع لهم أعلامها وشرع احكامها ٠ قال ابو حامد وادنى من هذا العلم التصديق به واقل عقوبته أن لا يرزق المنكر فيه شيئا فاعرض من قوله على قوله ولا تشتغل بقراءة قرآن ولا بكتب حديث فان ذلك يقطعه عن الوصول الى ادخال رأسه في كم جيبه والتدثر بكسائه فيسمع نداء الحق فهو يقول ذروا ما كان السلف عليه وبادروا ما أمرتكم به ٠ قال القاضي وقال ابو حامد وصدور الاحرار قبور الاسرار ومن افشى سر الربوبية كفر ورأى مثل قتل الحلاج خيرا من أحياء عشرة لاطلاقه الفاظا ونقل عن بعضهم أنه قال للربوبية سر لو ظهر لبطلت النبوة وللنبوة سر لو كشف لبطل العلم وللعلم سر لو كشف لبطلت الاحكام ٠ ثم قال الغزالى ان لم يرد ابطال النبوة بهذا في حق الضعفاء فما قال ليس بحق فان الصحيح لا يتناقض وان الكامل لا يطفى نور معرفته نور ورعه ٠ وقال أيضا العارف يتجلى له انوار الحق وتنكشف له العلوم المرموزة المحجوبة عن الخلق فيعرف معنى النبوة وجميع ما وردت به الفاظ الشريعة التي نحوه منها على ظاهرها قال عن بعضهم اذا رأيته في البداية قلت صديقا فاذا رأيته في النهاية قلت زنديقا ثم فسره الغزالى فقال ان اسم الزنديق لا يلصق الا بمعطل الفرائض لا بمعطل النوافل وقال ذهبت

الصوفية الى العلوم الالهامية دون التعليمية فيجلس فارغ القلب مجموع الهم يقول الله الله على الدوام فيفرغ قلبه ولا يشتغل بتلاوة ولا كتب حديث فاذا بلغ هذا الحد التزم الخلوة ببيت مظلم ويدثر بكسائه فحينئذ يسمع نداء الحق (ياأيها المزمل) وقال ابو بكر الطرطوشي شحن ابو حامد كتاب الاحياء بالكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وما على بسيط الارض اكذب منه شبكه بمذاهب الفلاسفة ومعاني رسائل اخوان الصفا وهم قوم يرون النبوة مكتسبة وزعموا ان المعجزات حيل ومخاريق انتهى . هذا ما اورده صاحب كتاب البيان والله المستعان وقد رأيت ما اشتمل عليه هذا الكلام من الهذيان ونسأله تعالى أن يغفر له ويرحمه بسبب ما فاز به من حسن الخاتمة واشتغاله آخر عمره بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان مسكي الختام وقد ذكر العلامة السيد صفى الدين فى كتابه القول الجلى فى الجواب عمن قال ان ابن تيمية تكلم في الاولياء كالغزالى وابن العربى وعمر بن الفارض واضرابهم اما سبب تكلمه في حجة الاسلام الغزالى فالله أعلم أنه ذكر فى كتابه المصون اشياء توافق عقايد الفلاسفة وتخالف الشرع حتى ان بعض العلماء انكر نسبة ذلك اليه كذا ذكر بعضهم وقد تكلم فيه القاضى عياض وابن الجوزى وغيرهما فله أسوة بهم وان كنا لا نسمع فى الغزالى كلاما بعد كيف وهو حجة الاسلام وملك العلماء الاعلام .

واما سبب تكلمه في ابن العربي فانه ذكر اشياء فى فصوصه وفتوحاته تقتضي الكفر وقد كفره بذلك جماعة من العلماء منهم الحافظ ابن حجر وقد صنف بعض العلماء جزأ حافلا وجمع فيه كلام من ذم الشيخ ابن العربى فما قال فى الجزء المذكور وذكره الذهبي فى العبر وقال فى ترجمة صاحب التصانيف وقدوة القائلين بوحدة الوجود ثم قال الذهبي وقد اتهم بامر عظيم وقال فى تاريخ الاسلام هذا الرجل قد تصوف وانعزل وجاع وسهر وفتح عليه باشياء امتزجت بعالم الخيال والفكرة واستحكم ذلك حتى شاهد بقوة الخيال اشياء ظنها موجودة فى الخارج وسمع من طيش دماغه خطابا واعتقده من الله تعالى ولا وجود له فى الخارج الى آخر ما قال قال في الجزء المذكور وذكره الذهبي فى الميزان فقال تصوف تصوف الفلاسفة واحل الوحده وقال اشياء منكرة عدها طائفة من العلماء مروقا وزندقة الى آخر كلامه .

ومما قال فى الجزء المذكور انبأني الحافظ زين الدين ابو الفضل العراقى ونور الدين على ابن ابى

بكر الهيتمى الشافعيان اذنا مشافهة عن شيخ الاسلام تقي الدين على بن عبد الكافى السبكى اجازة ان لم يكن سماعا قال فى كتابه شرح منهاج النووى فى باب الوصية بعد ذكره حكم المتكلمين وهكذا الصوفية منقسمون كانقسام المتكلمين فانهما من واد واحد فمن كان مقصوده معرفة الرب سبحانه وتعالى والتخلق بما يجوز التخلق به هنا والتحلي باحوالها واشراق المعارف الالهية والاحوال السنية -- فذلك من اعلم العلماء ويصرف اليه من الوصية للعلماء والوقف عليهم ومن كان من هؤلاء الصوفية المتأخرين كابن عربى واتباعه فهم ضلال جهال خارجون عن طريقة الاسلام فضلا عن العلماء * ثم قال وجاء فى وسط الامة قوم تكلموا كالحرث المحاسبي ونظرائه كلاما حسنا وهو مقصودنا بالتصوف * ثم انتهى بالآخرة الى قوم فيهم بقايا ان شاء الله تعالى وآخرين تسموا باسم الصوفية استمروا من البدع المضلة والعقائد الفاسدة فيهم هم باسم الزندقة احق منهم باسم الصوفية نحن براء الى الله تعالى منهم انتهى قال صاحب الجزء والظاهر انه اشار بقوله وآخرين تسموا الى آخره الى ابن عربى واتباعه قال وقد سمعت صاحبنا الحافظ الحجة القاضى شهاب الدين ابا الفضل أحمد بن على بن حجر الشافعى يقول انه ذكر لمولانا شيخ الاسلام سراج الدين البلقيني اشياء من كلام ابن عربى المشكل وسأله عن ابن عربى فقال له شيخنا البلقيني هو كافر . قال وسمعت الحافظ شهاب الدين بن حجر يقول جرى بيني وبين بعض المحبين لابن عربى منازعة كثيرة في أمر ابن عربي حتي تبرأت من ابن عربى بسوء مقالته فلم يسهل ذلك بالرجل المنازع لى في أمره وهددنى بالشكوى الى السلطان بمصر بامر غير الذى تنازعنا فيه يتعب خاطرى فقلت له ما للسلطان فى هذا مدخل الا تعال نتباهل وقلت ما تباهل اثنان فكان أحدهما كاذبا الا وأصيب فقال لى باسم الله قال فقلت له قل اللهم ان كان ابن عربي على ضلال فالعنى بلعنتك . فقال ذلك فقلت انا * اللهم ان كان ابن عربى على هدى فالعني بلعنتك . وافترقنا قال وكان سكن الروضة فاستضافه شخص من ابناء الهند جميل الصورة * ثم بدا له ان يتركهم وخرج فى اول الليل مصمما على عدم المبيت فخرجوا يشيعونه الى الشختور فلما رجع أحس بشئ مر على رجله فقال لاصحابه مر على رجلى شئ ناعم فانظروه فنظروا فلم يروا شيأ وما رجع الى منزله الا وقد عمى وما اصبح الا ميتا وكان ذلك فى ذى القعدة سنة سبع وسبعين وكانت هذه المباهلة فى رمضان منها . وعند وقوع المباهلة عرفت ان السنة ما تمضى عليه وكانت

بمحضر من جماعته انتهى . فاذا عرفت ذلك كله علمت ان الشيخ تقي الدين بن تيمية لم ينفرد بذم ابن عربي . انتهى كلام السيد صفى الدين رحمه الله تعالى .

والنبهانى عامله الله بعدله يتتبع من الكلام ما كان موافقا لهواه ولهذا لم يلتفت فى هذا المقام الى كلام امامه السبكى ولا لكلام الحافظ شهاب الدين ابن حجر العسقلانى المحدث الشهير بل أخذ بكلام ابن حجر المكى لموافقته اياه في الغلو والميل الى البدع فلذلك تراه يترنم باقواله ويكرره مرة بعد أخرى والكل من الشافعية *

وبعد ختم النبهانى كتابه بخاتمة السوء ذكر رسالة مختصرة للبكرى فى الرد على من منع الزيارة وعبارة من كلام الشيخ زروق تعرض فيها لشيخ الاسلام وكلاما للنابلسى مختصرا مما يتعلق بالزيارة ولما كان ذلك كله خارجا عن كتابه وان ما ذكرناه من الكلام على الزيارة يرد كل باطل يخالفه أعرضنا عن المناقشة فيها ومن وقف على ما فيها من الجهل والضلال تحقق ان موحدى العرب فى الجاهلية كزيد وقس بن ساعده وأمية أسعد من هؤلاء حالا كما يدلك على ذلك شعرهم المذكور في كتب السير والتاريخ *

﴿ فعليك أيها الاخ المسترشد ﴾ باتباع الكتاب والسنة فانهما الامامان اللذان أمرنا بالاقتداء بهما والداعيان الى سبيل الله فاشدد يديك عليهما ولا تنظر الى ما ابتدعه أهل الاهواء فانه من أضر الادواء وقد سبق تفاصيل البدع بانواعها وما ورد من النهى عنها فمن تأملها وأمعن نظره فيما شرعه الله تعالى لنا مما تضمنه الكتاب وبينته السنة علم ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم تركنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يحيد عنها الا من مرض قلبه وطاش فى مهاوى الضلال لبه واصل الاتباع المخرج عن الابتداع يحصل بمتابعة العبادات ولا يحصل كمال الاتباع الا فى الاقتداء به في جميع حالاته سكونه وحركاته عباداته وعاداته وللسلف الصالح من هذا الكمال المشرب الاصفى والحظ الوافر الاوفى * روى أبو داود والترمذى وابن ماجه وابن حبان في صحيحه عن العرباض بن سارية * قال وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم موعظة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون فقلنا يارسول الله كانها موعظة مودع فاوصنا قال أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وان تأمر عليكم عبد وانه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين عضوا عليها بالنواجذ واياكم ومحدثات الامور فان كل بدعة ضلالة

فقد أوصانا صلى الله عليه وسلم بلزوم سنته وسنة خلفائه الراشدين الذين هم على طريقته وحرض على ذلك بقوله عضوا عليها بالنواجذ المراد به المسك بجميع الفم اشارة الى غاية التمسك فكانه قال صلى الله عليه وسلم اجتهدوا على السنة والزموها واحرصوا عليها كما يلزم العاض على الشئ بنواجذه خوفا من ذهابه وتفلته اذاقنا الله حلاوة الاتباع ووقانا بفضله شر الفضول والابتداع وما أحسن ما قال بعض الادباء الافاضل وقد أخلص النصح فيما هو قائل *

يا باغى الاحسان يطلب ربه * ليفوز منه بغاية الآمال
انظر الى هدى الصحابة والذي * كانوا عليه في الزمان الخالى
واسلك طريق القوم أين تيمموا * خذ يمنة ما الدرب ذات شمال
تالله ما اختاروا لانفسهم سوى * سبل الهدى في القول والافعال
درجوا على نهج الرسول وهديه * وبه اقتدوا فى سائر الاحوال
نعم الرفيق لطالب يبغى الهدى * ممن له في الحشر خير مآل
القانتين المخبتين لربهم * الناطقين باصدق الاقوال
التاركين لكل فعل سيئ * والعاملين باحسن الاعمال
أهواؤهم تبع لدين نبيهم * وسواهم بالضد فى ذى الحال
ما شابهم فى دينهم نقص ولا * فى قولهم شطح الجهول الغالى
عملوا بما علموا ولم يتكلفوا * فلذاك ما شابوا الهدى بضلال
وسواهم بالضد في أحواله * تركوا الهدى ودعوا الى الاضلال
فهم الادلة للحيارى من يسر * بهداهم لم يخش من اضلال
وهم النجوم هداية واضاءة * وعلو منزلة وبعد منال
يمشون بين الناس هونا نطقهم * بالحق لا بجهالة الجهال
حلما وعلما مع تقى وتواضع * ونصيحة مع رتبة الافضال
يحيون ليلهم بطاعة ربهم * بتلاوة وتضرع وسؤال
وعيونهم تجرى بفيض دموعهم * مثل انهمال الوابل الهطال
فى الليل رهبان وعند جهادهم * أسد وهم من أشجع الابطال

واذا بدا علم الرهان رأيتهم * يتسابقون بصالح الاعمال
بوجوههم أثر السجود لربهم * وبها أشعة نوره المتلالى
ولقد أبان لك الكتاب صفاتهم * فى سورة الفتح المبين العالى
وبرابع السبع الطوال صفاتهم * قوم يحبهم ذوو اذلال
وبراءة والحشر فيها وصفهم * وبهل أتى وبسورة الانفال

هذا آخر ما أردنا تحريره من الرد على كتاب النبهانى المشتمل على ما يخالف الكتاب والسنة من الهذيان والوحي الشيطانى وقد عرفناه يومه من أمسه *

وكلت للخل كما كال لى * على وفاء الكيل أو بخسه

وكانى به اذا وقف على كتابى هذا ضاق صدره وازداد همه وكدره وعض بنان النادم الحصر حيث لا ينفعه ندمه . وهو الذى نكأ الجرح فكيف يتأوه ويتألم ويتظلم من مؤلم الجواب والبادى أظلم . ومن آثر ان يكون مقدما معظما وجب ان يكون مهذبا مقوما . ومن أحب ان يكون مبجلا مصدرا لزم ان يكون من الافعال الدنية مطهرا ومن رشح نفسه للامور الجليلة صبر على الاعباء الثقيلة . ومن طمع فى الاسباب العظيمة طالب نفسه باستعمال الاخلاق الكريمة ودون المكارم مكاره لا يتلقاها الا العود البازل وقبل المعالى عوال لا يغشاها الا البطل الباسل . ومع المغانم مغارم لا يتحملها الا الاكارم الافاضل . وامام العز الشامخ مذاهب لا تسلك الا على جسر من التعب ممدود وقدام الشرف الباذخ مراتب لا تنال الا بمساورة أساود وأسود وبانى المجد يهون عليه ان يتجرع كؤس الردى علا ونهلا . وجانى الشهد لا يبالى بان يلقى دون اشتياره نحلا . فاما الذى يشتهى الرياسة وهو خال من ابرادها ويتمنى الجلالة وهو سكيت فى مضمارها ويحب السيادة وهو عار عن استارها فبعيد عليه طريق منالها ومستصعب له جد الارتقاء فى ذرى جبالها . وقد كان ابتدائى به أول يوم من شهر رمضان من شهور سنة خمس وعشرين وثلاثمائة من هجرة سيد ولد عدنان وختمته بحمد الله تعالى ليلة السبت نصف الليل لاربع وعشرين ليلة خلت من شوال تلك السنة المباركة أواخر فصل الخريف . وقد كل منى البصر ، ووهن العظم طلبا لمرضاة الله تعالى وصيانة لشرعه الشريف ممن تصدى له خذله الله بالتبديل والتحريف فاسألك اللهم ان تختم بعفوك أجلى وان تحقق فى رجاء رحمتك أملى وان تسهل الى بلوغ رضاك

سبلى وان تحسن فى جميع احوالى عملي * اللهم ونبهني لذكرك فى اوقات الغفلة واستعملني لطاعتك في ايام المهملة . وانهج بى الى محبتك سبيلا سهلة . واجمع لى بها خير الدنيا والآخرة *

اللهم لا تكلني الى خلقك بل تفرد بحاجتي وتول كفايتي وانظر الى فى جميع اموري فانك ان وكلتني الى نفسي عجزت عنها ولم اقم ما فيه مصلحتها وان وكلتني الى خلقك تجهموني وان الجأتني الى قرابتي حرموني . فبفضلك اللهم فاغثني وبعظمتك فانعشني وبسعتك فابسط يدى وبما عندك فاكفني *

اللهم لا تجعل لغيرك على منة . ولا له عندى يدا ولا لى اليهم حاجة . بل اجعل سكون قلبي وأنس نفسي واستغنائي وكفايتي بك . اللهم انطقنى بالهدى والهمني التقوى ووفقني للتي هى ازكى واستعملني بما هو أرضى . اللهم اسلك بي الطريقة المثلى . واجعلني على ملتك أموت وأحيي . اللهم ومتعني بالاقتصاد . واجعلني من أهل السداد . ومن أدلة الرشاد ومن صالح العباد وارزقني فوز المعاد . وسلامة المرصاد اللهم أنت عدتي ان حزنت . وأنت منتجعى ان حرمت . وبك استغاثتي ان كربت . وعندك مما فات خلف وللمافسد صلاح . ومما انكرت تغيير . وا كفني مؤنة معرة العباد . وهب لى امن يوم المعاد . وامنحني حسن الارشاد . اللهم اظلني فى ذراك وجللني رضاك ووفقني اذا أشكلت على الامور لاهداها . واذا تشابهت الاعمال لازكاها . واذا تناقضت الملل لارضاها . اللهم توجنى بالكفاية . وسمنى حسن الولاية . وهب لى صدق الهداية . ولا تجعل عيشى كدا . ولا ترد دعائي ردا . فاني لا اجعل لك ضدا . ولا ادعو معك ندا والحمد لله رب العالمين . ولا عدوان الا على الظالمين . والحمد له سبحانه كما يليق بجنابه وكما حمد نفسه فى كتابه . حمدا يكون وصلة الى طاعته وعفوه وسببا الى رضوانه وذريعة الى مغفرته وطريقا الي جنته وخفيرا من نقمته وامنا من غضبه . وظهيرا على طاعته وحاجزا عن معصيته وعونا على تأدية حقه ووظائفه وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد الذى نشر رايات الوحدانية وبشر من أذعن للاحكام القرآنية وعلى آله وأصحابه وأتباعه واحزابه الذين اقاموا على الخصوم دلائلهم البرهانية صلاة وسلاما نسعد بهما في السعداء من اوليائه ونصير بهما فى نظم الشهداء بسيوف اعدائه انه ولى حميد . في ٢٤ شوال سنة ١٣٢٥

﴿ تقاريظ بليغة لافاضل العصر على كتاب غاية الامانى فى الرد على النبهانى ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الواحد الاحد الفرد الصمد. ضل من استمان بغيره واستنجد. والصلاة والسلام على من بزغ به بدر التوحيد وتوقد. وعلى آله وأصحابه الذين جاهدوا من أشرك بالله وعاند. اما بعد فقد وقفت على هذا الكتاب بل فصل الخطاب الا وهو غاية الامانى فى الرد على النبهانى حيث تجاوز الحد وسلك مسلكا لم يسلكه من الموحدين أحد. وتكلم بما وسوس اليه شيطانه واقتضاه ضلاله وبهتانه. ظنا منه انه نقض من الاسلام بنيانه. وهد جوانبه واركانه. وانه قد خلت الساحه. واقفرت المساحه. وما علم هذا الجاهل المسكين. العدو للدين. ان للايمان حماة. وللاسلام فرسانا ورماة. يذبون عنه تحريف الغالين. وتزوير المبطلين. ألم يقرع باب سمعه قول الصادق المصدوق من غير شك ولا اشتباه لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق حتي يأتي أمر الله. الاوان من هاتيك الطائفة المنصوره والفئة التى لم تزل مساعيها مشكوره. صاحب هذا الرد الفائق والتصنيف الرائق علم الفضل الشامخ وركن العلم الراسخ فريد الزمان. ووحيد الاقران. أبو المعالى جمال الدين الشافعي. فسح الله فى مدته. ووفقه لما فيه رضاه وخالص طاعته فانه قد ألزم ذلك الخصم الالد وجلب عليه الويل والنكد. وجعل أباطيله هباء منثورا. وتركه مما جنت يداه فزعا مثبورا. والجمه بلجام الافحام وقاده الى مقام الخيبة والالزام (قاله الفقير خادم السنة أبو العباس البنجابى)

﴿ تقريظ آخر ﴾

ان هذا الكتاب. مهذب الفصول والابواب. واضح المسالك والمنهاج. لم ينسج على منواله ناسج. جرى أن يتلقاه بالقبول. أئمة المعقول والمنقول. فان مسائله مبينة أتم بيان. ومطالبه مبرهنة باجلى برهان. ومباحثه متقنة أى اتقان. كيف لا وناظم فرائده. وجامع عقود فوائده. كاشف ظلمات المشكلات بأنوار بدر تقريره. وموضح دقائق الاشارات بمصباح منير تحريره. عدة الطالبين وعمدة المدرسين. اليف بحر الفضل الزاخر. وشقيق المآثر والمفاخر. ابو المعالى. وحسنة الايام والليالى. حيث رد بكتابه هذا على النبهاني. وما أتى به من الكيد الشيطانى. ومزق أديم ضلاله بالسيف الربانى. الفه انتصارا للدين وغيره على

الشرع المحمدى المبين . حيث ان النبهانى عامله الله تعالى بعدله قد أتى بكل نكير وارتكب من الباطل والبهتان ما لا يسعه التحرير . فشكرا لهذا السيد السند . والعالم الاوحد . فقد قام له على قدم فى المهات راسخ . وقاومه بعزم تندك دونه الشوامخ . وألقمه الحجر . وترك أقواله شذر مذر . لا زال سعيه مشكوراً وعمله في الدارين مبرورا

(قاله بفمه ورقمه بقلمه عبد الودود بن محسن)

﴿ تقريظ آخر ﴾

لله درك يا أبا المعالى . فقد جمعت فى كتابك عقود اللئالى . فهو لا شك كاسمه غاية الاماني . بل الفيض الربانى . فالحمد لله الذى قيض في كل عصر من يحامى عن الدين القويم ويذب عن الصراط المستقيم . ولما تصفحت الكتاب . وجدت ما اشتمل عليه فصل الخطاب بيد ان الامر كما قيل . وهو من أحسن الاقاويل

واذا اضطررت الى الجواب فلا تجب * الا حكيما فى الرجال مساميا
او كلما عوت الكلاب أجبتها * تالله لاصبحت كلبا عاويا
اربا لنفسك أن تفوه بمنطق * يزرى بقائله ويخزى الراويا

(الفقير اليه تعالى خادم الحديث النبوى عبد الله السلامي)

﴿ تقريظ آخر ﴾

يا للعجب العجاب . مالهذا الكتاب . فهو كنز العلوم . وبحر المنطوق والمفهوم . قد شهد لمؤلفه بطول الباع . وغزارة الاتساع والاطلاع . وجودة القريحة الوقاده . وزكاء الطبيعة الكريمة النقاده . فمن أراد النجاة يوم الحساب . فعليه بالاعتقاد والعمل بما حواه هذا الكتاب فهو لعمرى فصل الخطاب . والحق المبرهن بنصوص الصواب . قد بان به زيغ النبهاني الكذاب أخزاه الله ومن كان على شاكلته بأليم العذاب . فانه لا يدعى غير الله عز وجل . ومن استعان بغيره سبحانه ذل وضل . وهو الملجأ والملاذ . والمرجع والمعاذ . وما قاله ذلك الزائغ محض هذيان . وضرب من وسواس الشيطان . فلا ينبغى ان يلتفت اليه . ولا يعول فى شئ عليه

(كتبه الفقير ابو الخير محمد الحجازى)

﴿ تقريظ آخر ﴾

اللهم أنت المستعان . وعليك الاعتماد والتكلان . لا خير الا خيرك . ولا رب يلتجأ اليه غيرك . بذكرك تطمئن القلوب . ومن سواك ياسيدي علام الغيوب . وبعد فقد أتاح لى القدر . ولاح للبصر . كتاب موسوم بغاية الامانى فى الرد على النبهانى . حيث ألف كتابا دعا فيه الى عبادة غير الله . وحشاه من الكذب والبهتان وفتح بكل منكر فاه . ولم يرقب وقوفه بين يدى مولاه .

وليس ببدع فى الامور تغيرت * وكل نظام فى الزمان تبدلا
واصبح هام المكرمات منكسا * وأخمص ارباب الخبائث قد علا

فلما وقف على هذا الكتاب . المنحرف عن جادة الصواب . مفخر هذا الزمان . وذخر ذوى الفضل والعرفان . حسنة الايام والليالي . أخو الكمال وابو المعالي وفى له الكيل صاعا بصاع . وألقمه حجر السكوت بما ثبت في الكتاب والسنة وقام عليه الاجماع . فاين الحق من الباطل . والجيد المحلى من العاطل .

ولا شك ان التبر ينقص قدره * بقطر اذا ما الصفر فى سوقه غلا
وليس سواء ذو علوم وجاهل * تأمل فبعض القول تلقاه مجملا
ولا كل ذى ناب من الوحش ضيغم * ولا كل ذي ريش من الطير أجدلا

اللهم يا محول الاحوال . حول حالنا الى أحسن حال . وانصر اعوان الحق على اختلاف صنوفه . فقد اصبح اليوم كثير من الناس أعداء له ولا يرى سوى عوائده ومألوفه . قد قفى عليه أهل العمائم . ممن يدعى الزهد والمعرفة وهو عن كل فضيلة نائم . والامر لله ولا مرجو سواه (الفقير اليه تعالى احمد الفرجى المدرس في دار الهدى)

﴿ تقريظ آخر ﴾

أيا فكرتي قد نلت مرماك فابشرى * ولا تذكرى فى المدح زيدا ولا عمرا
ويا نفس هذا غاية القصد والمنى * فالق عصا التسيار لا تقصدى سيرا

هذا الكتاب الذى ينطق بالحق . ويذعن له من انصف من الخلق . وينقاد لما حواه من المسائل كل من دقق وحقق . هذا الكتاب الذى لايغادر صغيرة ولا كبيرة من مبتدعات

الزائفين . الا وقد مزق اديمها وكشف عوارها للناظرين . وعاد منه النبهانى واضرابه من الغلاة وعبدة القبور فى خفى حنين وخفى أنين . فالحمد لله الذى خذل أعداء الحق . وفرق منهم الجموع ومزق . (ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون)

(كتبه عدو المبتدعة وأهل الضلالات . معين الدين بن بركات)

﴿ تقريظ آخر ﴾

قد وقفت على هذا الكتاب . وفهمت ما اودع فيه من اسرار فصل الخطاب فتذكرت ما جرى بين فرعون وموسى . لما قال خصوم الحق (فاجمعوا كيدكم ثم اتوا صفا وقد افلح اليوم من استعلى قالوا يا موسى اما أن تلق واما أن نكون أول من القى قال بل ألقوا فاذا حبالهم وعصيهم يخيل اليه من سحرهم أنها تسعى فاوجس فى نفسه خيفة موسى قلنا لا تخف إنك أنت الاعلى والق مافى يمينك تلقف ما صنعوا إنما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى) وكذلك ما ذكره النبهانى واضرابه من أهل الزيغ والبهتان . يخيل للناظر أنها حقيقة من الحقائق وهى من وساوس الشيطان . فانها افك وزور وضرب من الهذيان . فلما تصدى لردها ابو المعالى وأخو الفضائل لقف ثعبان قلمه ما صنعوا من الكيد والباطل . فالحمد لله الذى لم يزل مؤيدا من انتصر لدينه . مظهرا من استند الى نصوص كتابه الكريم وسنة رسوله فى ايمانه ويقينه

(كتبه الفقير الى عفو مولاه عبد الحق الادريسي عفى عنه فى اولاه وأخراه)

﴿ تقريظ آخر ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

نحمد الله تعالى ونشكره . ونستعين به ونستظهره . ونصلى على صفوة انبيائه وعلى سائر اصفيائه وعلى من تبعهم باحسان الى يوم لقائه . اما بعد فانالا نزال فى هذا العصر السعيد . والقرن الحميد نرى رجال الفضل يظهرون العجائب . ويبرزون من دقائق افكارهم خبايا المواهب . حتى بلغوا من مقعد صدق العرفان أرفع المراتب . وهذا من اوضح الدليل واجلى البرهان . على حقية حقيقة الدين المبين . وشرائع أحكامه الغر الحسان . أيد الله تعالى أنصاره الى آخر الزمان فان الله سبحانه أحسن امتاع العلم وشيد أهله . ولا زال حافظا لهم وله . ان أظلم شق منه كان

لهم فيه سراجاً . او طمس منار له وجد اليه منهاجا . او قعد عنه عالم قام آخر باعبائه . مراميا عن حوزته من امامه وورائه . حتى اصبح ولله الحمد فرسان الفضل يتسابقون فى ميادين حلبة المفاخر . ويتفاخرون فى سوق عكاظ الكمالات والمآثر . ولكن الامر كما قيل .

وما كل مخضوب البنان بثينة * ولا كل مصقول الحديد يماني

فان تفاوت الرجال . ليس لانكاره مجال . ولا للسان فيه مقال

ولم أر امثال الرجال تفاوتا * لدى المجد حتى عد ألف بواحد

ألا وان من أجلهم قدرا . وأحسنهم ذكرا . البليغ الذى أخجل ببديع انشائه إبن العميد وفاق بسديد آرائه الصاحب وعبد الحميد . عديم النظير فيما انطوت عليه ذاته من الفضائل والكمالات . ونادر المثيل فيما حازه من جلائل الصفات . الفرد الذى لا يقاس به سواه علما وعملا . والاوحد الذى لا يوجد له في اخلاقه مثلا . فرع الشجرة الهاشمية . ونور الدوحة العلويه أعنى به الشيخ ابا المعالى . لا زال محمودا بما يليق به من الثناء على مدي الايام والليالي فانه اعلى الله تعالى شأنه . ووالى جل شأنه عليه احسانه . دأبه الانتصار للدين . والذب عن سنة سيد المرسلين . ومخاصمة المبتدعين . ومناظرة الزائغين . فهو الحرى بقول القائل . لما اتصف به من محاسن الشمائل :

تقرط آذان الرجال بحكمة * حكتها اللئالى رونقا او تقارب
متى افرغت فى قالب الفكر زينت * وزانت من الالباب تلك القوالب
بهن غذاء للعقول وشرعة * تسوغ وتصفوا عندهن المشارب
تصرفت في حلو الكلام ومره * فأنت مجد كيف شئت ولاعب
ذهبت بكل منهما كل مذهب * ذهابا وماضاقت عليك المذاهب
فمن ذكر وجد يسلب المرء لبه * على مثله دمع المتيم دائب
ومن غزل عذب كان بيوته * مسارح أرام النقا وملاعب

لم يزل يقدم موائد فوائده لابناء جنسه . ويزين صدور الدهور بفرائد عوائده ونفائسه ويقتطف ثمار فضائله من حدائق صائب حدسه . وقد جادت قريحته المستجاده . وفطنته الوقاده بتأليف كتاب . حرى ان يكتب بالتبر المذاب . وهو الموسوم بغاية الاماني . في الرد على النبهاني

وما هو الا بحر عباب . قد حوى من المسائل لب اللباب . وقد ألفه على ما اشتمل عليه من التفصيل . في أيام معدودات تكاد تعد من المستحيل . وقد سقى منه خصوم المبتدعة سم الحتوف . ورمى شياطين الانس بشهب براهينه الثاقبة حتى أرغم منهم الانوف . ترتعد منه فرائص ابن دحلان . ويصفر منه وجه طاغية بنى نبهان . ويعوى منه عقور المنصورة وهو ثالثهم حليف البهتان . وتذين به مكائد حزب الشيطان وتقر به عيون عباد الرحمن .

(اللهم اجز عنا) مؤلف هذا الكتاب بما يتمناه . وأطل في افياء السلامة بقاه . واحجب من غير نوائب الدهر نعماه . واجعله لمستوفي سبوغ النعم معقلا . ولآمال مؤمل الافضال موئلا ومتعه بوفاء عهود اودائه . وبلغه الغاية من تأميل ذوى المودة من اوليائه .

(كتبه خادم السنه محمد الحجازى)

﴿ تقريظ آخر ﴾

ان كتاب غاية الاماني . في الرد على النبهاني . من مصنفات ابى المعالى . ذى المجد الشامخ والحسب العالى كتاب اشتمل على أجلى براهين التوحيد . واعلى دلائل اخلاص العبودية لله العلى المجيد ولا يخفى على ذوي العرفان . ما لموضوع هذا الكتاب من الاهمية ورفعة الشان . ومن وقف عليه علم مقاصد الشريعة المحمدية . وانها الغاية القصوى لدى ارباب البصيرة والروية . وتبين له مغزى الدين المبين . وسر دعوة رب العالمين . وعرف ان ملاك النجاة هو التوحيد . وان من اخل به فهو الشقى . ومن حافظ عليه فهو السعيد . فانه الذى يمنع الاقدام ان تزل . والاحلام ان تضل . والقلوب ان تمرض . والشكوك ان تعترض . وقد تبين الرشد من الغي فمن استمسك بالعروة الوثقى فقد أمن العثار . وربح اليسار . ومن سلك مسلك النبهاني . واضرابه من الحزب الشيطانى . فقد أساء الاختيار . وركب الخسار . وارتدف الادبار . ويومئذ يعض الظالم على يديه . ويندم حيث لا ينفع الندم مما حل لديه وجر عليه ورأي ما رأى من الويل بعينيه . فليتذكر من يتذكر . وليتبصر من يتبصر . فليس الحق كالباطل . ولا الجيد الحالي كالعاطل وهيهات هيهات . أين الحضيض من اوج السموات . فلله در مؤلف هذا الكتاب . فقد ترك الخصم لا ينطق ببنت شفة في الجواب . وما أحسن ما قال بعض ذوى الاداب .

قل للذى يبغي وصول كماله ❋ هيهات انك لست من يصل السماء

الله أودع في سريرة ذاته * من قبل هـذا جوهرا لن يقسما
أحلى من العسل الجنى شمائلا * وتراه يوم الجـد مرا علقما
مثل الاسود الضاريات اذا سطا * والمرسـلات الذاريات اذا هما
كم راح زنديق يريد نزاله * فرأى سيوف الحق عنه فاحجما
واتى عليه بكل برهان بدا * لو كان فى جنح الدجى ما اظلما
فهو الذى نهدي به فى ديننا * ونرى طريق الرشد فيه من العمى

(قاله بفمه ورقمه بقلمه عبد الاعلى الحسينى عفا الله عنه وعن اسلافه)

﴿ تقريظ آخر ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم . رب بما أنعمت عليّ فلن اكون ظهيرا للمجرمين . ولا ناصراً لاعداء دينك من المنحرفين والمبتدعين . بل انصر من نصرك بالذب عن حمى شريعتك الغراء ومحجتك الواضحة البيضاء . ولا يخفى على من كان له نصيب من المعرفة ان كل من تصدى اليوم لتأليف كتاب ينبغى له ان لايخرج غن الصدد ولا يزيغ عن جادة الصواب . بل يجعل كلامه دائرا على ما يرضي الخالق . مشتملا على غاية تستوجب سعادة الخلائق . فمن صرف نظره عن ذلك . وسلك غير هذا المسلك من المسالك وتعرض لما لا يعنيه . ولا له منـه شأن يغنيه . فقد ركب متن عمياء . وخبط خبط عشواء . واستهدف سهام الملام . ونصب نفسـه غرضا لرشق نبال ألسنة الانام . والنبهانى أحد أهل المناصب فى بيروت . لم يراع تلك الشروط فقد ألف كتابا ملأه من الحـكايات الموضوعة . والاكاذيب المصنوعة . والمباحث التى تمجها الاسماع وتنفر عنها الطباع . وتوغر الصدور . وتوقد نيران الشرور . وتصدي مرايا القلوب وتجلب لمن سلك مناهجها فى الدارين الـكروب . ولا يقف منها القارى على طائل . ولا يجد فيها سوى العاطل . ولا يصدر عنها الوارد . الا بلهف زائد . ولهب فى القلب ليس بخامـد ألضلال يلوح من فحواها . والبدع تدور على لفظها ومعناها . اذ حاصلها الدعوة الى غـير الله ومآلها الحث الى الالتجاء الى ما سواه . والحض على ملازمة القبور . والعكوف على كل مشهد مشهور . والعالم الاسلامي اليوم دون غيره قد اصبح لذلك في ادبار ودثور . ومع ذلك فقـد تعرض لاخيار الامة . ممن لم يوافقه على هذا الضلال وتلك الظلمة . فسلقهم بالسنـة حداد

وقذفهم بماهم بريؤن منه مما يريع السمع والفؤاد . ولم يمتثل . ما قاله بعض الاماثل .

اذا شئت يوما ان تسود عشيرة * فبالحلم سد لا بالتسرع والشتم
وللحلم خير فاعلمن مغبة * من الجهل الا ان تشمس من ظلم

ولما جرت عادة الله تعالى ان يجعل فى كل زمان فترة من الرسل بقايا من أهل العلم يدعون من ضل الى الهدى . و يصبرون منهم على الاذى . ولا يخلي عصراً ممن يختار لدينه القويم . ويذب عن صراطه المستقيم . وينفي عن كتاب الله تحريف الغالين وانتحال المبطلين . وتأويل الجاهلين قام اليه رب الادب والكمال . ومنتهى الفضل والافضال . ذوا النثر الذى طار باجنحة الفصاحة الى فلك الاعجاز . واقعد من طاوله فى كل فضيلة على الاعجاز . بدر فلك العرفان العالى ودر تاج الفخر الغالى . أستاذنا الشيخ ابو المعالى ووثب اليه وثبة الاسد . وحمل عليه حملة الفارس على من عصى وتمرد . انتقاما لله ممن يجحد توحيده . ويضع لعبادة الانداد من دونه تعالي خده ووريده . فابطل جميع ما اشتمل عليه كتاب الزائغ من وساوس الافكار . وشبهات الانظار . والاقوال الترهات والسفسطة والمغالطات . واظهر جهله للانام . وعواره للخاص والعام . وابان ان الخصم لم يميز بين القشر واللباب . ولم يفرق بين الصفر والتبر المذاب . فلله دره من عالم لا تاخذه فى الله لومة لائم . ولهذا لم يلتفت الى ما عليه أهل الزمان . ولا الى ما قاله بعض ذوي العرفان

وللدهر اثواب فكن فى ثيابه * كلبسته يوما أجد واخلقا
فكن اكيس الكيسى اذا كنت فيهم * وان كنت فى الحمقى فكن أنت أحمقا

نسال الله تعالى أن يجزيه خير الجزاء . وأن يجعله فى زمرة الاصفياء . وأن يحرسه من كيد الكائدين . وشر الحاسدين . وصلى الله تعالى وسلم على سيد الاولين والآخرين . (وانا الفقير الى الطاف مولاه عبد الله بن عبد الحميد الحنبلى كفاه الله فى اولاه وأخراه)

﴿ خاتمة الطبع ﴾ (يقول مصححه أقل تلاميذ المؤلف) (ف ٠ ج ز)

بحمد الله تعالى قد تم طبع كتاب (غاية الامانى في الرد على النبهانى) ذلك الكتاب الذي اسفر عن وجه الصواب فى فهم أسرار الكتاب — وأبان عن العقيدة الصريحة التى من تمسك بها نجا . ومن حاد عنها ضل وغوى . فلله در مؤلفه استاذنا المفضال فخر العراق ٠على الاطلاق ٠مولانا (ابو المعالى) ذي القدر العالى قد أرسله الله فى هذا الزمان الذى كثرت فيه البدع والخرافات وقيضه لقمع ذوى الجهالة . وردع اولى الضلالة . فكان هذا الامام مصداق مايروى فى الاخبار الصادقة ان الله يرسل على رأس كل مائة سنة من يقيم أمر دينه وكان هو صاحب هذا العصر المجيد . ومصباح الهدى للطالب المستفيد . نهج به منهج الحق والصواب وازال الشبه عن كثير من المسائل السائدة بين العامة المتداولة بينهم بالوراثة العمياء ولا يفقهون لها معني . ولا يفهمون لها مبنى . وان فى وجود هذا الكتاب فى هذا الزمان الذى كثرت فيه عقائد أهل الزيغ وطمت وعمت فيه البدع . لحكمة بالغة يريد الله بها اخماد انفس ذوى العقائد الملفقة فى حين انتشارها . واشتعال نار اضرارها . وماجرته على دين الاسلام من المضار وما فتحته عليه من ابواب الردود والانتقادات ممن لا يعرفون الاسلام الا من اعمال هؤلاء السفلة الذين قد التصقوا به التصاق الداء من السليم فشوهه وأذهب رونقه ومحاسن وصفه ولكن ابى الله الا ان يتم نوره ويقيم اعلام دينه باهل معرفته . ورجال شريعته . الذين يظهرهم فى وقت احتياج العالم لامثالهم . وشدة الحاجة لبروز أنوار معارفهم . فلا غرو اذا كان هذا الكتاب آية الصواب بين الطلاب اذ أدلته وبراهينه مأخوذة من نص الكتاب الذى أودع فيه كل شئ وفصلت فيه حقائق الكائنات ولمثل هؤلاء القائمين الفخر لتشييد دعائمه وتثبيت قوائمه التى تكاد تنهدم بمعاول هؤلاء المتشدقين بأباطيلهم . المرجفين بزخارفهم واضاليلهم . فان الدين لم يقم الا بسيف الحق والبرهان لا بسيف الطعن والسنان فهو هدية للاسلام عموما وللعلماء الاحرار خصوصا حيث لم يكن دليله الا الكتاب والسنة الصحيحة والعقل السليم والذوق المستقيم * وهو مادعى حضرة العالم الفاضل . والسلفى الكامل . مولانا الشيخ عبد القادر التلمسانى وفقه الله لنشر أمثاله الى التزام طبعه لعموم نفعه ونشر فوائده بين ذوى الافكار الرائقه . والعقول الراجحة . فجاء بهجة لقلوب العارفين وقرة لعيون الناظرين

فهرست الجزء الثانى من كتاب غاية الامانى

﴿ بيان صواب الخطا الواقع فى الجزء الاول من غاية الامانى ﴾

صحيفه	سطر	خطأ	صواب	صحيفه	سطر	خطأ	صواب
٢	٢	الاكاد	الالحاد	٢٤	٢٤	وحدثهم	وحدسهم
٤	٧	حر الحلاقم	حز الحلاقم	٢٥	١٩	واغاضة	واغاظة
٦	١٩	له اسباب	اسبابا	٢٦	٢	الاذى	الا زى
٧	١٥	الاولتين	الاوليين	٣٠	٧	خزنتك	خرتنك
٩	١٥	آباءنا قال أولو	آباءنا أولو	٣١	١٥	فغاضت	ففاضت
١٠	٢	الجاهليين	الجاهليون	٣٢	١٦	خلق كثير	خلقا كثيرا
١٢	٢	ورهبانهم من	ورهبانهم اربابامن	٣٣	١٩	لا أستطيع	لا أسطيع
١٢	١٣	ظهورهم واتبعوا	ظهورهم كانهم لايعلمون واتبعوا	٣٤	١	مرة أخرى	مرة بعد أخرى
				٣٦	٢	وتطاول	وتطاولى
١٣	٢	من عند الله فويل	من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل	٣٦	١٥	وهى	وهو
				٣٦	١٥	الحلول	الحمل
١٤	٤	ويستبدلونها	ويستبدلوها	٣٨	١٣	قضى عليها ويرسل	قضي عليها الموت ويرسل
١٦	٦	وليكن	ولتكن				
١٨	٣	فاسحنونى	اسحقونى	٤٥	١٤	هذا	هذي
١٨	٣	لان	لئن	٤٦	١٤	أيامه	أمامه
١٩	٦	المرادتية	المردانية	٤٦	٢٢	(واذاتنازعتم	(فان تنازعتم
٢٠	١٧	قولان	قولين	٤٨	١٤	ورقة	ودقة
٢١	١	بلغه ولم يثبت	بلغته ولم تثبت	٤٨	٢٠	لم يأنفوا	لم تأنفوا
٢٢	١	روايتان	روايتين	٤٩	١١	وزق	وذاق
٢٢	٢١	كل أمر	كل من أمر	٤٩	٢١	كما	لما
٢٣	١	من ينبهم	ينبهم	٥٠	٢٢	فى أحبائه	في أحنائه
٢٢	١٢	ان الى	الى ان	٥٤	١	زموا	ذموا

صحيفه	سطر	خطأ	صواب
٥٤	٦	ثم التابعين	ثم التابعى
٥٤	١٣	العرمانى	الفريابى
٥٦	١٠	نستطيعه	تستطيعه
٥٦	١٢	المجتهد	حكم المجتهد
٥٦	٢٠	الانصار	الامصار
٥٧	٤	قد خالف	وقد خالفه
٥٧	٦	فى مواد	في موارد
٥٧	١٧	من اتباعه	في اتباعه
٥٧	١٩	(سبحانه وتعالى عما	(سبحانه عما
٥٨	١١	من يتأهل	من لم يتأهل
٥٨	١٨	وهم من أعلى	وهم أعلى
٥٩	١١	اذا وفقت	اذا وافقت
٦٠	٦	لموضع	لموضوع
٦١	١٠	ضررهما	ضررهم
٦١	٢٠	يغال	ويغالى
٦٢	٢٤	الخاذن	الخازن
٦٤	١٩	الى التفسير	الا التفسير
٦٧	١٧	والالتماس	والتماس
٦٨	٨	رقيقا	دقيقا
٦٩	٢	هذه الصورة من أحب الصور	هذه السورة من أحب السور
٧٠	١٢	تفسيرا	تفسير
٧٠	١٩	نجس	بخس

صحيفه	سطر	خطأ	صواب
٧٠	٢٠	ملحلد	ملحد
٧١	١	ذكاء	زكاء
٧١	٩	(وتنسون أنفسكم أفلا تعقلون)	(وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون)
٧١	٢٠	يقرؤن	يقرؤنا
٧٢	٣	قليل	قليلا
٧٢	١٥	مثال	مثاله
٧٢	٢١	مع الذكاة	مع الزكاة
٧٣	٧	لمخصصه	لتخصصه
٧٣	٩	تبسل	تبتل
٧٤	٤	والعريانى	والفريابى
٧٥	١٦	والطالب له ان يكون ملحدا	والطالب له ملحدا
٧٥	٢٢	فى أخس	فى أخص
٧٦	٥	عقائدهم	وعقائدهم
٧٦	٧	عن سيرة	من سيرة
٧٦	٢٠	وأبي ذئب	وابن أبي ذئب
٧٦	٢١	الماجوشنى	الماجشون
٧٧	٢٢	ورسله	ورسوله
٧٩	١٨	والله يشهد انك	والله يعلم انك
٧٩	٢٠	الفضيع	الفظيع
٧٩	٢٢	وذكى	وزكى

صحيفه	سطر	خطأ	صواب
٨١	٢٠	من الفريدة	الفريدة
٨٢	٣	والغناء	والغنى
٨٣	٢	وغيبه	وغيبته
٨٤	٢١	دبهم	دينهم
٨٤	٢٣	ويعرف	ويعرفون
٨٥	٦	ورسوله	والرسول
٨٥	٨	كما تعالى	كما قال تعالى
٨٥	١١	تقابل	تقاتل
٨٦	٤	الزلال	الزلالا
٨٩	١١	فما	مما
٨٩	٢	والمهامة	والمهامه
٩٠	٠٦	ومشابهته	ومشابهة
٩٠	٠٨	أو استيفائه	واستيفائه
٩٠	١٦	ويذبوا	ويذبون
٩٠	١٦	ويحكموا	ويحكمون
٩٠	١٧	ويقدموا	ويقدمون
٩٠	٢٣	من نبات	من بنات
٩١	٢٤	تجلى	تحلى
٩٢	٢٣	نبا	بنا
٩٣	٠٧	جديد	جدير
٩٣	١٠	ومن بعدماسوى	ومن بعدماثوى
٩٤	٠٧	كالمرآة	كالمرأة
٩٤	١٠	فى درى الجو	في ذرى الجو

صحيفه	سطر	خطأ	صواب
٩٦	٢٠	تقبل زيلا	تقبل ذيلا
٩٧	٠٧	والور	والدر
٩٧	١٩	منها	مهما
٩٧	٢٠	مهما	هما
٩٨	٠١	صاغة الله	صاغه الله
٩٨	٠٥	فله من فضله	نلت من فضله
٩٨	٠٨	من نوالي	من نواله
٩٨	٢٣	حضرت	حضرة
٩٩	٠٦	قد اطلت	قد اظلت
١٠٠	٢١	اجب	أحبب
١٠٠	٢١	النجدين	النهدين
١٠٠	٢٢	طل	طلا
١٠١	٠٥	دست	رست
١٠١	٠٦	رهبت	زهت
١٠١	٠٦	مشكاته له فيه	مشكاته فيه
١٠١	٠٨	من الزرات	من الذرات
١٠١	١٧	زخرى	ذخرى
١٠١	٢٠	بغنائي	بفنائي
١٠١	٢٠	مشغول	مشغولى
١٠١	٢٤	الغراء	الغرا
١٠٢	١٨	نقيب	النقيب
١٠٤	١١	تمية	تيمية
١٠٤	١٤	قد نفعوا	وقد نفعوا

صحيفه	سطر	خطأ	صواب
١٠٤	١٨	عن أقول	عن أقوال
١٠٤	١٩	التنبية	التنبيه
١٠٥	١٣	بهذين	بهاتين
١٠٥	١٥	هذا	هذى
١٠٧	٠٣	وهذا علاثم	وهذا من علاثم
١٠٧	٠٥	يستحقه	يستحق
١٠٧	١٤	لابن الحسن	لابي الحسن
١٠٨	٠٥	محتح	محتج
١٠٩	٢٤	يرووا	يروا
١١٠	١٥	لبشر	لبشرين
١١١	١٢	وضلوا	وضللوا
١١١	١٤	بتعظيم	بتعظيمه
١١٢	١٢	اضعاف	اضعف
١١٢	١٤	ولا يحسن	ولا يحسّ
١١٢	١٨	من زوال	من زاول
١١٣	٠٦	أبي	أبو
١١٣	١٥	تصتقصى	تستقصى
١١٤	٩	بذلك	لذلك
١١٦	٧	نبذره	بنذره
١١٦	١٨	فلايعصيه	فلا يعصه
١١٨	٠٦	خارجها	خارجا
١١٩	١٢	علهيا	عليها
١١٩	٢٠	من دون الله لا	من دونه فلا
١١٩	٢١	اقرب ويخافون	اقرب ويرجون رحمته ويخافون
١١٩	٢٤	مثلا	مثل
١٢٠	٥	ويوم القامة	ويوم القيامة
١٢٠	١٩	والمسجد	اوالمسجد
١٢١	٢٤	عليهما	عليها
١٢٢	١٧	ولم يكون	ولم يكونوا
١٢٤	١	من يعتمد	من يتعمد
١٢٤	٢	لو لم يكن	ولم يكن
١٢٤	٦	ان هو المسيح	انا هو المسيح
١٢٥	١٦	هو وان ظن	وهو وان ظن
١٢٦	٣	كما يقطع	كما يقع
١٢٦	١٠	ولكن الشياطين تخيل اليه	(ولكن الشيطان يخيل اليه
١٢٦	١٤	هذا موضع	هذا له موضع
١٢٦	١٥	ممن يظن	مما يظن
١٢٧	٣	كما يسلمون	كما كانوا يسلمون
١٢٨	١٢	ذلك فان	ذلك سائغ فان
١٢٨	١٦	عند فاطمة	عن فاطمة
١٢٨	٢١	ذ كروه العلماء	ذ كره العلماء
١٢٩	١٦	ثم ولم	ثم ولم يكن
١٣٠	١٣	ذريعة امته قد الشرك	(ذريعة الشرك

صحيفه	سطر	خطأ	صواب
١٣٠	١٤	نبياعن بلغ	نبيا عن امته قد بلغ
١٣٢	١٨	لاالفين	لاالفين
١٣٢	١٨	له رعاء	له رغاء
١٣٣	٦	ومن بطمع	ومن بطع
١٣٣	٦	ورسوله	والرسول
١٣٣	١٦	سيآتهم	سيآتهم
١٣٣	١٧	وانماالثوب	وانما الثواب
١٣٣	١٨	بدشق	بدمشق
١٣٤	١٠	بشفاعتى	بشفاعته
١٣٤	١٩	فانهم يضرهم	فانه يضرهم
١٣٤	٢٠	وانلكل	ان لكل
١٣٤	٢٤	بقولى الله	بتولى الله
١٣٥	٢	فاليه تجازون	فاليه تجأرون
١٣٥	٧	والختم	والختم
١٣٥	١١	فى الادعية	في الاوعية
١٣٨	١	اولوندبه	ولوندبه
١٣٩	٢٠	اذا لم يكن	اذ لم يكن
١٤١	١٠	وتبين	وبين
١٤٣	٢	ان الله جعل	ان الله يصلى
١٤٣	٢٤	الذين	اللذين
١٤٤	٢٤	قباء قبور	قباء وقبور
١٤٦	١٢	هذه الزيارة	هذه الزيادة
١٤٦	١٢	وهذا ابن الحسن	وهذا ابن الحسين
١٥٠	٤	المزكي	المذكي
١٥٠	٢٢	رضوا بما اتاهم الله	رضوا ما آتاهم الله
١٥١	٩	ولا يكترون	ولا يكتوون
١٥٣	١٣	فاستحبوا ما كانوا	فاستحبوا ما كان
١٥٤	١٤	فى المكان	فى مكان
١٥٤	١٥	واستحباب	واستجاب
١٥٤	٢٣	فلا يفعل	كما يفعل
١٥٥	١	بذلك	وذلك
١٥٥	٧	فيما نفسك	مافي نفسك
١٥٥	١٥	عن عبدهم	من عيدهم
١٥٨	٧	مامن من رجل	مامن رجل
١٥٩	٢٢	ولا يمكن احد	ولا يمكن أحدا
١٦٠	١٤	ومن يعرض	ومن لم تعرض
١٦٠	١٤	ومما اتفق	وما اتفق
١٦٠	٢٤	ان لم يجد	انلم يحد
١٦١	١٩	لا اختص	لا اختصاص
١٦٣	١٦	ونظير هذا	ونظائر هذا
١٦٥	٧	الشمس وهاجا	الشمس سراجا وهاجا

صحيفه	سطر	خطأ	صواب
١٦٥	٢٠	وتعزيزه	وتعزيره
١٦٦	٢٣	عن المدول	على المدول
١٦٨	٧	كان فى دارهم	كانت فى دارهم
١٧٣	٤	فصدق	يصدق
١٧٣	٧	الذى مالمر الله به .	الذى امر الله به
١٧٣	٢٢	غيره محفوظ	غير محفوظ
١٧٤	٥	وصول وصوت	وصول صوت
١٧٤	٧	انا نسمع	انا لانسمع
١٧٤	٩	الاوهو	الا هو
١٧٤	١٥	ويستغفرون	ويستغفرونه
١٧٥	١٠	نسك الحج	منسك الحج
١٧٦	٧	لما دخلت	لما أدخلت
١٧٦	١٦	ولم يكرهه	ولم يكره
١٧٦	٢١	ان يسمعوا	ان يسموا
١٧٧	٧	على اطلاق قبره	على اطلاق زيارة قبره
١٨٨	٥	نها	نهى
١٨٠	١٢	على مدرحبة	على مدرجته
١٨٨	٧	المطي القبور	المطى الى القبور
١٨٨	٢٤	هذا	هذى .
١٨٩	١١	فهو شعبة	فهى شعبة
١٩٠	٢٢	ولا رسوله الله	ولا رسوله
١٩١	٢٢	ولا تستهوينكم	ولا يستهوينكم
١٩٢	٣	ولا فرق بينها	ولا فرق بينهما
١٩٢	٢٠	اولى ان يكون	اولى ان لا يكون
١٩٤	١٢	ومن جميع	ومن جمع
١٩٥	١٥	لديذكرا	لديه ذكرا
١٩٦	٢	اواعراض عنه	او اعرض عنه
١٩٦	٨	(لرسوله الله صلى الله)	(لرسوله صلى الله)
١٩٦	١٠	فسير الله	فسيرى الله
١٩٨	٢٠	فلم يقصد	فلم يذكر
١٩٨	٨	من العرب	من الغرب
١٩٩	٤	ان الدجالون	ان الدجالين
١٩٩	١٣	السهرورى	السهروردى
٢٠١	٢	والسلام ظهر	والسلام انه ظهر
٢٠١	١٤	افشاء	افشائه
٢٠٢	٢١	ابن اشرث	ابن اشرس
٢٠٣	٩	الاصفحك	الي صفحك
٢٠٣	١٥	بالاخاز	بالاخاذ
٢٠٨	٨	الفالية	الغالية
٢١١	١	رطالكم	برطالكم
٢١١	٣	اغنى	اعنى
٢١١	٢٠	خلفاء	الخلفاء

صحيفه	سطر	خطأ	صواب
٢١٢	٦	(يرجح اهل المدينة)	(يرجح بعمل اهل المدينة)
٢١٢	١٠	على اهل	على مذهب اهل
٢١٤	٢٣	واما الكوفية	وأما الكوفيون
٢١٦	٥	ابن عيينة	ابن عتيبة
٢١٦	١٩	بعقارينها	بعقارنيها
٢١٧	١٤	اليهم خبرهم	اليه خبرهم
٢١٨	١٥	وأمثاله هؤلاء	وأمثال هؤلاء
٢١٩	٣	مر مقرر	أمر مقرر
٢٢٠	١٦	أو أربع	أو ربع
٢٢٠	٢٠	ابن حويز منداد	ابن خويز منداد
٢٢٣	١٣	قول أصحاب	قول أصحابه
٢٢٣	١٨	وبين ان يقول	وبين ان تقول
٢٢٣	٢٠	ابن أبي داود	ابن ابي دؤاد
٢٢٤	٢٣	السراج	السرج
٢٢٦	٢٢	بخطر	بحظر
٢٢٦	٢٤	المقدرة	المقدورة
٢٢٧	٥	ويغفر	ويستغفر
٢٢٨	٢٣	اسخطة	لسخطه
٢٢٩	١٢	والتفضل	والتفضيل
٢٢٩	٢١	وأطمتك	فأطمتك
٢٣١	٨	احدهما	احداها
٢٣١	١٧	وعقبته	وعقبه

صحيفه	سطر	خطأ	صواب
٢٣٤	١٩	والامانة	والانابة
٢٣٤	٢	غرت	غيرت
٢٣٤	١١	تعبدون	يعبدون
٢٣٨	٢٢	الا ان يكون	الى ان يكون
٢٣٩	٤	لا ينفعك	لا ينفك
٢٣٩	٨	وفي حديث	وفي الحديث
٢٣٩	١٧	مما جاء هذا	مما جاء به هذا
٢٣٩	٢١	وغيره	وغيرهم
٢٤١	١٦	الرحيم	رحيم
٢٤١	١٩	فقدساء	فقد أساء
٢٤٣	١٩	منقولات	مفعولات
٢٤٤	١٠	تقاسي	تقاسما
٢٤٤	١١	لا يتفرق	لا نتفرق
٢٤٤	١٤	تجوز	يجوز
٢٤٤	١٧	تجازى	يجازى
٢٤٥	٦	وشريكا	وتشريكا
٢٤٧	٢١	لايكفر	يكفر
٢٤٨	٤	نويته	نفيته
٢٤٨	١١	مصارمون	مصادمون
٢٤٨	٢٣	انه قصدوا	انهم قصدوا
٢٤٩	٥	من افضع	من افظع
٢٤٩	١٤	وما دعوى	وأما دعوى
٢٤٩	١٥	وتبطل	تبطل

صحيفه	سطر	خطأ	صواب
٢٥١	١٢	ويدعى	ويدعو
٢٥٥	١٧	القرضي	القرظى
٢٥٥	١٨	شيئا	شيء
٢٥٧	٧	لاتنسانا	لاتنسنا
٢٥٧	١٨	يتمارض	يمارض
٢٥٨	١٠	وهو عنده	وهم عنده
٢٥٨	٢١	اوكذب رأوا	أوكذب راو
٢٦٠	٢	وما يتذكر	وما يذكر
٢٦٧	٦	فاما أحاديث	فاماحديث
٢٦٧	٢٠	الذكاة	الزكاة
٢٦٩	٣	جم	حجم
٢٦٩	١٦	ويسمع مريده في صوته	ويسمع مريده صوته
٢٦٩	٢٢	تعلقا	تعلق
٢٧٠	١٦	وهذا	وهذى
٢٧٠	٢٢	دليلا	دليل
٢٧١	١٥	الآية	الآيات
٢٧٤	٢١	وانلميدركني	وان يدركني
٢٧٤	٠٢	ولو أخذنا ماجرى	ولوأخذنا نذكر ماجرى
٢٧٧	٢٠	رسول الله	لرسول الله
٢٧٧	٢١	صائبي	صابئي
٢٧٨	١٣	الغريزة	الغزيرة
٢٧٩	١٣	رسول	رسوله
٢٧٩	١٩	على على	عليا على
٢٨٠	٠٨	ان يكتب ذلك	بان يكتب ذلك
٢٨٠	٣	يقال رضى الدين	يقال له رضي الدين
٢٨٧	١٩	على الظنون	عن الظنون
٢٨٧	٢٠	الاوعاك	الاوعال
٢٨٨	٢٣	وازعم	وارغم
٢٩٤	١٢	الاوعاك	الاوعال
٢٩٥	١٧	زاما	ذاما
٢٩٥	٢١	ابن حيان	أبي حيان
٢٩٦	٧	سنة سبعة	سنة سبع
٢٩٦	٢١	وصار	وصار به
٢٩٧	١	ونفذت	ونفدت
٢٩٧	١	هذا	هذى
٢٩٧	١٩	من يجرد	من لم يجرد
٢٩٨	١٠	أقف	اقفو
٢٩٩	١	ان استطعت	ان اسطعت
٣٠٢	٣	وأعمال المعطى	واعمال المطي
٣٠٢	٢٣	خبره	خبرها
٣٠٦	٦	على السنة	للسنة
٣٠٦	١١	حتى أفضحه	حتى فضحه

صحيفه	سطر	خطأ	صواب
٣٠٧	١٣	الفضيعة	الفظيعة
٣٠٧	٢٣	واكملت عليكم	واتممت عليكم
٣٠٨	٢٢	غضبا	غضبي
٣٠٩	٢	بالقلم	به القلم
٣٠٩	١٨	ان الامر	ان هذا الامر
٣١٠	١٧	يقوم	يقول
٣١٠	٢٣	فاقضها	فاقض
٣١٣	٣	زكريا المحراب)	زكريا) الآية الآية
٣١٣	١٦	يتقرب اليه	يتقرب الى
٣٢٢	١٥	لم يسمع من بما	لم يسمع بما
٣٢٢	١٦	وحي منزل	وحيا منزلا
٣٢٢	١٧	قلوبهم	قلوبكم
٣٢٢	١٨	وان منها لما يهبط	وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط
٣٢٣	١٧	ومن يكون	ومن تكون
٣٢٣	٢٠	الذين كذبوا	الذين كفروا
٣٢٤	٢١	وزموا	وذموا
٣٢٤	٢٤	لحقيقته	لحقيته
٣٢٥	٠٨	أو يحاجوكم	أو يحاجوكم عند به عند
٣٢٦	٠٩	المصطفى	المصفى

صحيفه	سطر	خطأ	صواب
٣٢٨	٠٢	ظهيرا	ظهير
٣٢٨	٠٧	عدوا له	عدو له
٣٢٩	٠٣	لدى العنقاء	لدى العقلاء
٣٢٩	١٠	هى عن	هي من
٣٣٠	٠٣	وسلم يرضى	وسلم ان الله يرضى
٣٣١	٢٢	ان يرجع	انه يرجع
٣٣٥	١٠	والرذية	والرزية
٣٣٥	١٥	وقد رأت	وقد رأيت
٣٣٦	١٠	تسمينه	يسمينه
٣٣٧	٤	أهؤلاء	هؤلاء
٣٣٨	١٦	ودين القديم	وديننا القديم
٣٤٠	٧	عند رسوله	عند رسول الله
٣٤٠	٧	لت الاحبار	فقالت الاحبار
٣٤٢	٠٤	أكل	على أكل
٣٤٤	١٠	مثبوتة	مبثوثة
٣٤٥	١١	فى دره	في رده
٣٤٥	٢١	كتبت بعض المجلات	وكتبت في شأنه بعض المجلات
٣٤٧	٠٩	من افود	من أفيد
٣٤٨	٠٤	صورة الاخلاص	سورة الاخلاص
٣٥١	٠٣	المعزبين	المعزمين
٣٥١	١٢	لا استوجب	لاستوجب

صحيفه	سطر	خطأ	صواب
٣٥٤	١٣	يتباينون	يباينون
٣٥٤	١٧	شرابالاسرابا	سرابالاشرابا
٣٥٥	٢٠	فى لغوا	فخالفوا
٣٥٦	٠٢	فيقول محمد	فاقول محمد
٣٥٦	٠٣	دوجته	درجته
٣٥٦	٠٤	لقوله	بقوله
٣٥٦	٠٧	والشريعةالتوراة	وشريعةالتوراة
٣٥٨	١١	ابتوها عند	اثبتوهاترجع عند
٣٥٨	١٤	ان يثبت	ان يثبتوا
٣٥٩	٤	من دون الرب	من دين الرسل
٣٥٩	٢٣	والمكوت	والملكوت
٣٦٠	٠٣	ناظرتم	لكن ناظرهم
٣٦٠	٢٣	من دونه	من دون الله
٣٦٠	٢٤	وما لهم من ظهير	وما له منهم من ظهير
٣٦٢	٠١	على غيرالحق	عين الحق
٣٦٣	١٠	من الحلوات	من الخلوات
		الطعام معنى وحال معنى وهذه مماتنتج سحابها الافضال	بطعام معين وحال معين وهذه مما تفتح لصاحبها الاتصال
٣٦٣	١٣	يحون بجعل له	بجعل يجعل له
٣٦٣	١٤	أو تعطيهم له	أو يعطيتهم له

صحيفه	سطر	خطأ	صواب
٣٦٣	١٩	كماذكرته	كماذكره
٣٦٣	٢١	في مخاطبة	في مخاطبته
٣٦٣	٢٢	لهجنيد	له ياجنيد
٣٦٤	٠١	عن من	على من
٣٦٤	١٠	قرأ	قرئ
٣٦٤	٢٣	الخارج وأعدم	الخالق وعدمه
٣٦٥	٤	يقرون	يفرّون
٣٦٥	١٤	مثبت عندنا	انه ثبت عندنا
٣٦٦	٢٣	غاية الحاد	غاية الاحاد
٣٦٦	٢٤	ومن يتوله	ومن يتولهم
٣٦٧	٧	لها صلاتي	لها صلواتى
٣٦٧	٩	أصل	صلى
٣٦٧	٩	في كل	فى أدا كل
٣٦٧	١١	اياى ولم تزل	اياها واياى لم تزل
٣٦٧	١٣	ولمأ كن مناداجبنا	وان أكن منادى أجابت
٣٦٧	٢٢	خالق	فالق
٣٦٨	١٦	(هو الذى	(وهو الذى
٣٧٠	٢	أمر الله ان يوصل	أمر الله به ان يوصل
٣٧٠	٣	هم الفاسقون	هم الخاسرون
٣٧٢	٤	أتيتم	أثبتم
٣٧٢	١١	ماان للسرداب	ماآن للسرداب

صحيفه	سطر	خطأ	صواب
٣٧٣	١١	زرة	ذرة
٣٧٣	١٢	من زرات	من ذرات
٣٧٣	١٣	ذلك ومما	ذلك مما
٣٧٤	٢٣	المسائل	السائل
٣٧٥	٥	وما يقول	ومايقوله
٣٧٥	٥	كفر صريح	كفراً صريحا
٣٧٥	٧	فيبقى	فينتقي
٣٧٥	٩	والبضع	والبضعة
٣٧٥	١٢	مصره	خضره
٣٧٥	١٤	ولا قال	ولا قاله
٣٧٥	٢٣	هو	وهو
٣٧٥	٢٤	الرغبة	في الرغبة
٣٧٦	١	والاعتداء	والاعتداد
٣٧٦	٧	وصلاتهم	وصلى بهم
٣٧٦	٨	صلاةالكسوف	وصلاةالكسوف
٣٧٦	٩	ولهذا ثلاثة	ولهذا يقال ثلاثة
٣٧٦	١٠و١١	النصارى	النصيرية
٣٧٦	١٣	من القطب	من ان القطب
٣٧٦	١٥	هؤلاء	بهؤلاء
٣٧٦	١٧	الذين امامهم	الذين هوامامهم
٣٧٨	٣	وهذا لاعلى	وهذالا يصح على
٣٧٨	٤	الانصار	والانصار
٣٧٨	٨	فيتسالى سل	فتسلسل الى
٣٧٨	١٥	وقد قال	فقد قال
٣٧٨	٢١	فقال ياعمر	فقال لا ياعمر
٣٧٩	٤	فالتقوى	والتقوى
٣٧٩	٥	حسبنا	حسبنا الله
٣٧٩	٦	الا ان	لان
٣٧٩	٢٢	لم ينتصف منه	لم ينصف
٣٨١	٢٤	بنى معمر	نبي معمر
٣٨٢	٠٢	ونشئ	ونسئ
٣٨٢	١٦	وتلك	ويلك
٣٨٢	١٨	مغسلولا	مغسولا
٣٨٤	٠٤	قال الله	فالى الله
٣٨٣	٢١	الانصاري قال	الانصارى وان ابا يحيي قال
٣٨٥	٠٣	وانمروا	وأتمروا
٣٨٥	٠٦	الى حضائر	الى حظائر
٣٨٥	١٦	أو رافض	أو رافضى
٣٨٥	١٧	انتهت روح	انتهت عبارة روح
٣٨٦	٠١	الاكابر	الا أكابر
٣٨٧	١١	وقد زكر	وقد كرر
٣٨٧	١٩	على وجلك	على جهلك
٣٨٨	٢و٣	برواية أبي زرعة ان الذين كفروا الآية	ان الذين كفروا الآية برواية أبي أبي زرعة

صحيفه	سطر	خطأ	صواب
٣٨٨	٠٧	بما جعلناه	بماجعلناه
٣٨٨	١٠	الحبارى	الحيارى
٣٨٨	١٧	في أعلم الحق	في أعلم الخلق
٣٨٩	١٠	تقليد	تقليدا
٣٩٠	٠٣	حكم	حكما
٣٩٠	٢٢	وأمره النبي	وأمر النبي
٣٩١	١٩	يحتجبون	يحتجون
٣٩٢	٠٨	يجملون	يجملونه
٣٩٢	١٠	وسبعين	والسبعين
٣٩٢	١٤	لا يتشابه	لا تشابه
٣٩٦	٢٠	ومداد	ومدار
٣٩٧	١١	ويسارعون في الخيرات	واولئك هم المفلحون
٣٩٨	٢٣	فالحمنى	فالخمنى
٣٩٩	١١	بل رئينا	بل كم رأينا
٣٩٩	٢١	عالما أو مجتهدا	عالمامجتهدا
٤٠١	٣	الديه	لديه
٤٠١	١٢	هلال قال لا الشافعي	كذاك قال الشافعي
٤٠١	١٥	بالثلاث	بالثلاثة
٤٠١	٢٠	تمة	تمه
٤٠٢	٩	ولا ذو	ولا ذي
٤٠٣	١٩	المؤلفين	المؤولين

صحيفه	سطر	خطأ	صواب
٤٠٤	١	جبير مطعم	جبير بن مطعم
٤٠٤	٥	فيه	فيهم
٤٠٤	٥	فى نعمهم	فى نعيمهم
٤٠٤	٩	راحة	رواحة
٤٠٤	٩	عن القرء	عن القراء
٤٠٤	١٦	وانا	وان
٤٠٤	١٧	عاد	عادى
٤٠٤	٢٠	وممن خلفهم	ومن خلفهم
٤٠٦	٢	فلان السماء	فلان كون السماء
٤٠٦	١٥	قول	قوله
٤٠٨	٥	يحى بن علي	يحيي بن يعلى
٤٠٨	٦	يعلى سمعت	سمعت
٤٠٨	٧	رجل	رجلا
٤٠٨	٩	ثم سكت عنها ثم مكث	
٤٠٨	١٤	الفقه المشهور	الفقه الاكبر المشهور
٤٠٨	١٥	لا تكفر	قال لا تكفر
٤١٠	١	قال امام	قول امام
٤١٠	١	أبو عمرو	أبو عمر
٤١١	٨	اليه هو	اليه والعروج هو
٤١١	١٩	فى قول	فى قوله
٤١١	٢٢	فلم يكن مزيد	فلم يكن فى شبابه مزيد
٤١٢	٨	عبد الله	عبد الوهاب

صحيفه	سطر	خطأ	صواب
٤١٢	١٤	أو انصفوا	وانصفوا
٤١٢	١٨	ابن الصلت	ابن أبي الصلت
٤١٣	٨	لم يوافقهم	لم يوقفهم
٤١٣	٢٤	ما تنطق	باب ما تنطق
٤١٤	١٤	فى قوله	وفى قوله
٤١٤	١٧	بغضبه	لغضبه
٤١٥	١٧	ثم نفخ	ثم ينفخ
٤١٦	٤	ماصحت	على ماصحت
٤١٦	١٥	ومن	من
٤١٦	٢٤	ونصل	ونصلى
٤١٧	٢	والنصوص	واللصوص
٤١٧	٨	ولاة	وولاة
٤١٧	١٢	رضى الله عنه	رضى الله عنه ماأصلبه فى السنة وأقومه بها
٤١٨	٩	لا ابتغوا	لا بتغوا
٤١٨	١٣	وعلى السماء	على السماء
٤١٨	١٤	من علا	من على
٤١٨	١٨	وكلما	وكل ما
٤١٨	١٩	المبالغة	المغالبة
٤١٨	١٩	لا يبالغه	لا يغالبه
٤١٨	٢٢	يمتنع	يمنع
٤١٩	٢٠	اذا زالت	اذا زال
٤١٩	٢٤	الامكان	الاما كن

صحيفه	سطر	خطأ	صواب
٤٢٠	٠٤	نقلته توجب	نقلته لا توجب
٤٢٠	١٩	عن أبي زيد	عن أبي رزين
٤٢١	٢٤	ويقدس	وتقدس
٤٢١	٢٤	في غير	وفي غير
٤٢٢	٠٦	ادريس	ادريس الشافعى
٤٢٢	٠٩	الذى	الذين
٤٢٢	١٧	وتثبت	ونثبت
٤٢٢	١٧	وتنفى	وننفى
٤٢٣	٢١	شارع	شارح
٤٢٤	٢٣	السنجرى	السجزي
٤٢٥	١٠	الفوقية	والفوقية
٤٢٥	٢٠	الخالية	الخيالية
٤٢٦	٠٨	والاراضين	والارضين
٤٢٦	١٤	المختان	المختار
٤٢٧	٠١	السجور	السجود
٤٢٧	٠٤	من لم يقلع	من يقلع
٤٢٧	١٠	يقول	يقوم
٤٢٧	١٥	أعز	اغر
٤٢٧	٢١	لا يؤذن	لا يأذن
٤٢٨	١٢	بالبنا	بالبناء
٤٢٨	١٥	جد	جدا
٤٢٨	٢٢	هذه القصة	هذه القصيدة
٤٢٨	٢٢	خلان	فلان الترمذى

صحيفه	سطر	خطأ	صواب
٤٢٩	٢١	النبات	بالنبات
٤٣١	١٥	معناه بعلم	في مغناه بالعلم
٤٣٢	٠٣	المكتوب	المكتون
٤٣٢	٠٥	السلفلى	السفلى
٤٣٣	٠٢	وأفسد	وأفسدوا
٤٣٣	٠٩	لصحبته	بصحبته
٤٣٤	٠٢	مطلبهم عليه	مطلبه عليه
٤٣٤	٠٦	يغيض	يغيظ
٤٣٤	١١	ماسعت	لاسعت
٤٣٤	١١	يكفهم	بكفهم
٤٣٤	١٨	لحظة	لخطة
٤٣٥	٠٧	تنزيهم	تنزيهه
٤٣٥	٠٩	سوء	سرا
٤٣٥	٢٠	لاخى التقى من يصمد	لاخى ارتقاء مصعد
٤٣٧	٠٧	أحدها	أحدهما
٤٣٧	١١	المذاهب	المذهب
٤٣٨	١٥	وعن طائة	وعن طائفة
٤٣٩	١٠	الملقلية	المقلية
٤٤٠	١٤	فيها	فيه
٤٤٠	٢٣	الجميع	الجمع
٤٤١	٢١	المفيد	المقيد
٤٤٤	٥	القاء	إلفا
٤٤٤	٠٦	من أمثال	من مثل
٤٤٤	٢٠	سامر	سامري
٤٤٤	٢١	والزكا	والذكا
٤٤٥	١٠	قدس الله	قدس الرحمن
٤٤٥	٢٤	محسنى ظناً	محسني ظن
٤٤٦	١٥	الزواجر	الزواهر
٤٤٨	٧	فاذاها	فاذاما
٤٤٨	٢٠	النائغه	النابغة
٤٤٨	٢١	الخطيئة	الحطيئة
٤٥٠	١٠	المداسة	المدارسة
٤٥١	٧	انه ضالع	انه ظالع
٤٥٢	١٩	وفي	فى
٤٥٤	١	والتدمرية وغير	والتدمرية وكتاب شرح حديث النزول وغير
٤٥٤	٧	الذين	اللذين
٤٥٥	٤	هو	هى
٤٥٥	٩	وعمائة	وعماية
٤٥٥	٢٢	ونصف	وصف
٤٥٥	٢٤	لا يتغير	لا تتغير
٤٥٦	٧	ثلاثون	ثلاثين
٤٥٦	٢٠	العلو	العلوي

﴿ بيان الخطأ الواقع فى الجزء الثانى من غاية الامانى ﴾

صحيفه	سطر	خطأ	صواب
٣	٢٢	ملتهم ولئن	ملتهم قل ان هدى الله هو الهدى ولئن
٥	١	الى أوليائهم	الى أوليائهم ليجادلوكم
		زخرف القول	وجب
		غرورا وجب	
٦	١٧	تذكير	تذكر
٨	٢٤	ردوه	رد
٩	٢٢	الى ظهرانيهم	الى ظهرانيهم وهم فى
		وهم في الحقيقة	الحقيقة شركاؤهم
		الى ظهرانيهم وهم	
		فى الحقيقة	
		شركاؤهم	
١٠	١٠	ليجزم	ليعزم
١١	٩	تسع	تسعا
١١	١٣	واشارة	واشادة
١١	٢٠	سؤلا ورغبة	سؤالا ورغبة
١٤	٣	ووزوائهم	ووزرائهم
١٤	١٣	اليم	عظيم
١٤	٢٤	عليه الحجة	عليهم الحجة
		قال	قالوا
١٨	١٢	والذين	والنبيين
١٩	١	ومن يتبع	من يتبع

صحيفه	سطر	خطأ	صواب
٢١	١٣	لم يكرههه	لم يكرهه
٢١	١٥	ولم يكرهه	ولم يكره
٢١	١٥	الاخيار	الاخبار
٢٢	٤	وقلت	وكنت
٢٢	٢٢	وعى	وعني
٢٤	١	بالهدى	بالهوى
٢٤	٥	أرأتك يوما	(المعروف فيه أبدت اليك)
٢٥	١٨	عباته	عبادته
٢٧	٨	به النبي	عليه النبي
٢٧	١٣	واستلامه	واستلامها
٢٨	٣	واستمعوا	واستمتعوا
٢٨	١٧	أفضع	أفظع
٣٠	٤	عن النقص	على النقص
٣٣	١	ماتخفون	ماتخفون وما تعلنون
٣٦	١	هو الميم	هو بالميم
٣٦	١٧	لموضع	لموضوع
٣٧	٨	والحادث	والحارث
٣٧	١٤	المقولة	المنقولة
٣٨	١١	فليقتصر	فليقتصد
٤٠	٤	لم يقدروا	ولم يقدروا

صحيفة	سطر	خطأ	صواب
٤٠	١٤	منه ذلك	من ذلك
٤٣	٦	حشى	حشا
٤٤	٩	وهدفا	وهدف
٤٤	٩	ومحلا	ومحل
٤٤	٩	وموقعا	وموقع
٤٦	٢	وعناء	وعناد
٤٨	١٣	الى عمر	عمر
٥٠	٥	حضيرته	حظيرته
٥٠	٧	السنة بعد الثلاثة	سنة بعد الثلاثمائة
٥١	٣	وان قال قول	وان قال قولا
٥٢	٤	يالله	ياله
٥٣	١٨	الادنون	الادنين
٥٤	٨	عشر	عشرة
٥٦	٦	أنجد	أنجدوا
٥٧	٧	اذ	اذا
٥٩	١٤	لم لم تتحير	لم تتحير
٥٩	١٦	بما شرعه	عما شرعه
٥٩	١٧	في زمان	في كل زمان
٦٠	٢٤	ولم نعهد	ولم نعهده
٦٤	٦	خطر	خطير
٦٥	٢	ما عليه	عليه
٦٥	٣	يسمونه	يسمونهم
٦٥	١٥	لا له الا الله	لا اله الا الله
٦٥	١٦	واستغفرى	واستغفر
٦٦	٣	انفراد	افراد
٦٧	١٧	تعالى والذين	تعالى محمد رسول الله والذين
٦٩	٧	فيها وكان	فيها الى وكان
٦٩	١٠	الشرائع	شرائع
٦٩	٢٤	منذرين	ومنذرين
٧٠	١٢	وزروة	وذروة
٧٢	٤	تاقى	توقي
٧٤	٤	احرص	حرص
٧٤	١٤	وهامجرا	وهلم جرا
٧٤	١٧	الغلاة	الفلاة
٧٥	٢٠	أبو العلى	أبو العلا
٧٦	١٦	فغير	فغبر
٧٦	١٨	اذا أفرط	اذا فرط
٧٩	٨	وان نتوالى	وان توالى
٧٩	١٥	القصيدة	العقيدة
٨١	١٠	وتشرأب	وتشرئب
٨٥	١٦	ابن عمر	ابن عمرو
٨٦	١	رسوماتها	دسوماتها
٨٦	٨	للفلس	للغلس
٨٦	١٨	معروفون	معروفين

صحيفه	سطر	خطأ	صواب
٨٧	٢	ولاتنفع	ولا ينفع الاصل الانساب
٨٧	٥	وما طالع	ومن طالع
٨٨	٧	غيضا	غيظا
٨٩	٢٠	ذكرتهم	ذكرتم
٩٢	٥	وبما كانوا	وبما كان
٩٣	٢٠	فماهيته	فماهية
٩٣	٢١	بان استقراه	بأن استقراره
٩٤	١٧	مما ينبذ	مما ينبز (اى يلقب)
٩٥	٢	شرزمة	شرذمة
٩٧	١٩	الصليب	الصلب
٩٨	٨	من مشريكى	من مشركى
٩٨	١٠	ولم يكن	ولم تكن
٩٨	١٤	لايسبقونة	لايسبقونه
٩٨	١٩	فأصفا كم	أفاصفا كم
٩٩	١	عباد الله منهم المخلصين	عباد الله المخلصين
٩٩	٧	وجعلوا لله	وجعلوا له
١٠٠	١٠	عن حكمها	عن حكمها
١٠٠	١٩	راود	داود
١٠١	٤	لخضر	لخضرنى
١٠١	١٤	صارت	حارت
١٠١	٢٠	حين اليه	حن اليه
١٠١	٢٠	حوار	جؤار
١٠١	٢٣	ذاجاه	اذجاءه
١٠١	٢٣	فى شعل	فى شغل
١٠٣	١٣	أسلم لله	أسلم وجهه لله
١٠٤	١٨	مولاتهم	موالاتهم
١٠٨	٧	وما كان	ومن كان
١٠٨	١٥	هذا	هذى
١٠٨	٢١	أضحت	أصخت
١٠٨	٢٤	مزاميز	مزامير
١١٠	١٢	واثبات	واثباتا
١١٠	٢١	والمسلم جعله	والمسلم من جهته
١١١	٣	للمولاة	للموالاة
١١٦	٥	الى العالم	الى العلم
١١٨	٣	موضع لاشتنى	موضع القول لاشتنى
١١٨	٨	اناس	اناسا
١١٩	١٠	ولم تستر	ولم تستتر
١٢٠	١٤	يتسم	ينتسم
١٢٢	٩	صاحبها	صياحبها
١٢٢	٢٢	يؤيد	يؤبد
١٢٣	٢٢	محمد بن أحمد	محمود بن أحمد
١٢٥	٢٣	كل	كلا

صحيفه	سطر	خطأ	صواب
١٢٦	١٠	قدصح	فقد صح
١٢٧	٤	من مناقب	من مناقبه
١٢٧	٢٣	تلميذة	تلميذه
١٢٧	٢٣	القيم الجوزيه	قيم الجوزية
١٢٨	١	بكلماته	بكلمات
١٣٠	١٠	لبنى	بنى
١٣٠	١٥	أبي حفص	أبو حفص
١٣٠	١٦	تبوأ	تبوؤا
١٣٢	٩	مقتف	مقتفيا
١٣٢	٩	وآخذ	وآخذاً
١٣٢	١٨	ارسالها	ارسلها
١٣٣	١٤	عارف	عارفا
١٣٤	٢	بزعم	برغم
١٣٤	١٧	ازعن	أذعن
١٣٥	١٧	يفعلون	يعملون
١٣٥	٢٤	رجال	دجال
١٣٥	٢٤	وفقه	وثقه
١٣٦	١٩	حاضوا	حاصوا
		كحيض	كحيص
١٣٧	١١	يتدوالها	يتداولها
١٣٧	١٩	بوعده	موعده
١٣٩	١٣	عبد	عبده
١٤٤	١٥	ازدي	ازري

صحيفه	سطر	خطأ	صواب
١٤٤	١٨	العبراء	الغبراء
١٤٤	٢٠	ما ليس	من ليس
١٤٧	١٥	يفي بخالف	بقي يخالق
١٤٧	٢٣	دهر	دهرنا
١٤٨	٢	أضخ	أصيخ
١٤٨	١٠	العمرى	اليعمرى
١٤٨	١٨	وفوفوا	وفوقوا
١٤٩	١	البزداني	البرزالى
١٥٩	١٤	علامة	العلامة
١٥٠	١٥	وموصولها	وموصلها
١٥١	٥	بتوئدة	بتؤدة
١٥٣	١٠	يكون	تكون
١٥٤	١	من البحث	عن البحث
١٥٤	٢١	زكيا	ذكيا
١٦٤	١٠	الا لمبالغة	الا لمبالغته
١٦٤	١٨	أحالق النعم	حالقة النعم
١٦٤	٢٣	زين الدين	زين الدين
		الواسطى	على الواسطى
١٦٧	١٩	مغياة	معبأة
١٦٨	١	بعد الفضلاء	بعض الفضلاء
١٦٩	٨	يقول	بقول
١٧١	١٢	وقال	وقل
١٧١	١٦	قال قل لى	قال قال

صحيفه	سطر	خطأ	صواب
		فى الشيخ	لى الشيخ
١٧١	٢١	شا كا	شا كيا
١٧٣	١٩	عنها	عنهما
١٧٣	٢٠	بمعلومها	بمعلومهما
١٧٤	٥	ينسلج	ينثلج
١٧٩	١٨	ويعنون المراد	ويعينون المراد
١٧٩	٢٢	ان يكون	ان لا يكون
١٨٠	١٥	مستحوز	مستحوذ
١٨٠	٢٠	أنعمت	أنعم
١٨١	١٣	كثرة الاجماع	كثرة الاجتماع
١٨٢	٦	وقرأت	وقرأ
١٨٢	١٢	مرانى	مرائى
١٨٢	١٦	العربى	عربى
١٨٣	٢	الفتال	التتار
١٨٧	١١	بما قصرت	ماقصرت
١٨٨	١٣	ويمتنع	فامتنع
١٨٨	٢١	وعليهم	وعلمهم
١٨٩	١٦	ويدعا	ويدعى
١٩٠	١٥	ان يقوم	ان يقول
١٩٢	١٧	ابن عبد الله	ابنه عبد الله
١٩٣	١٤	ثمانية	ثمانى
١٩٦	٤	بشدة	بشده
١٩٦	٨	واجبا	واجب

صحيفه	سطر	خطأ	صواب
١٩٦	١٦	لم يعلمها	لم يعملها
١٩٧	١٧	يحذروا	يحذر
١٩٧	٢١	لالمسح	لالتمسح
١٩٧	٢٤	ان يستقبل	انه يستقبل
١٩٩	١٠	ورأيه خطه	ورأيت خطه
٢٠٠	٩	ذري	زري
٢٠٠	١٨	لماتيممت	لماسئمت
٢٠١	٥	سئل	سئله
٢٠٣	٢	ولا اذراء	ولا ازرآء
٢٠٣	١٢	ولم يختم	ولم يخيم
٢٠٤	٥	مقتسم	مقسم
٢٠٤	١	اذرآء	ازراء
٢٠٥	٥	واغرار	واعزاز
٢٠٦	٢٣	لمبادته	لميادته
٢١٠	١٤	الرذايا	الرزايا
٢١٠	٢٠	الرذايا	الرزايا
٢١١	١	فتستر	فتستتر
٢١١	٥	تبقى	بتقى
٢١١	١٨	غدر	غدروا
٢١٢	٢	ولا تخف	ولا تخف به
		الابطال	الابطال
٢١٢	٤	البر	البشر
٢١٢	٧	يكايد	يكابد

صحيفه	سطر	خطأ	صواب
٢١٣	٨	أبي	أبا
٢١٣	١٣	ولاأزر	ولا أذر
٢١٣	١٧	حقروا	حضروا
١١٣	١٨	وكمفتى	وكم فتى
٢١٣	٢٢	لاورز	لاوزر
٢١٤	٣	عليك	عليه
٢١٤	٤	تذل	تزل
٢١٤	٨	اينشد	أينشط
٢١٥	٢٤	ذلة	زلة
٢١٦	١	صباح	الصباح
٢١٦	٢٠	ولـكن	لـكن
٢١٨	٨	السوادى لسح	السوارى بسح
٢١٨	٢٣	واللوام	ولا اللوام
٢٢١	١٤	الحيدة	الحياة
٢٢١	١٥	موزنا	موذنا
٢٢١	١٩	اذالم يكن	اذ لم يكن
		لسوى	بسوى
٢٢٢	١٥	التشوق	التشدق
٢٢٢	١٩	حفظ فوقتك	حفظا فوقتك
		أضيف	ضيق
٢٢٣	١	وأنت أول	وأنت أولى
٢٢٣	١٢	تثيرا	تثير
٢٢٤	٢	نحن	حن

صحيفه	سطر	خطا	صواب
٢٢٤	٧	وزيلها	وذيلها
٢٢٦	٣	جودى بانسجام	وجودى بسجم
٢٢٧	١١	ومتمته	ومتمه
٢٢٨	٤	فى نص	في نصر
٢٢٩	٢٣	رب جل	رب العرش جل
٢٣٠	١٠	اكفكف	اكفكفه
٢٣١	١٤	عارت	غارت
٢٣١	١٨	قد رق	تدقق
٢٣٢	٣	وقره	وقده
٢٣٢	٢٣	العتيق	العقيق
٢٣٢	٢٣	فوق	فويق
٢٣٣	٢	ومادرى	أومادرى
٢٣٣	٦	المتهور	المتهود
٢٣٣	١٢	أمنية	أمينة
٢٣٣	١٨	العزال	المذال
٢٣٤	٤	خوان	خؤن
٢٣٤	١٣	من الجذع	من الجزع
٢٣٥	١٨	الهنايات	النهايات
٢٣٥	٢٢	أناالمسكين	اناالمسيكين
٢٣٥	٢٦	وصف لازم	وصف ذات لازم
٢٣٦	٥	أذكى	أزكى
٢٣٦	٢٢	والمسلم	ومسلم
٢٣٧	١	منقصهم	منتقصهم

صحيفه	سطر	خطأ	صواب
٢٣٧	٤	اذكروا موتاكم	اذكروا محاسن موتاكم
٢٣٩	١٣	انما	ان ما
٢٤١	٨	في الحبر	في الجر
٢٤١	١٧	المعيمر	المعتمر
٢٤١	١٩	وهو	وهذا
٢٤١	٢١	لايخض	لايغض
٢٤١	٢٣	والحاكم بن عيينة	والحكم بن عتيبة
٢٤٢	١١	على الحكيم	على لسان الحكيم
٢٤٣	١	متبوعة	متبوعه
٢٤٣	٦	ذورا	زوراً
٢٤٣	١٣	في طاعة	في طاعته
٢٤٣	١٤	جميع	من جميع
٢٤٣	٢٣	استقالوا	استطالوا
٢٤٤	١٠	شانك)	شانئك)
٢٤٤	١٤	احيوا ماجاء	احيوا بعض ماجاء
٢٤٥	٤	الى صراط	الى صراطه
٢٤٦	١٤	الا القيل	الا القليل
٢٤٧	١٤	ولاذى الرأى	ولاذو الرأي
٢٤٨	٢٤	فينبؤكم	فينبئكم
٢٥١	٨	غيره	وغيره
٢٥٢	٩	ولها	ولا
٢٥٧	١٤	ماتهرب	مما تهرب
٢٥٩	٩	بافوأهم	بافواههم
٢٦٠	١	علىّ	على
٢٦٢	١٨	الصابرين ونبلوا اخباركم	الصابرين) وقال تعالى (ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو اخباركم
٢٦٢	٢٢	خير	خيراً
٢٦٣	٨	والالفاظ	والاغلاظ
٢٦٤	٣	عن من	عند من
٢٦٤	٤	مذاود	مزاود
٢٦٤	١١	فلا يثاب	فلا يسلب
٢٦٤	١٧	من كتاب الامام	من كتاب الام
٢٦٧	١	واماشبه	وما اشبه
٢٦٨	٦	تأثير مثل	تأثيره مثل
٢٧٠	٩	ان تستعمل	ان لاتستعمل
٢٧٠	١٩	الاليقربونا	الا ليقربونا
٢٧٠	٢٣	ولاينفعه	وما لاينفعه
٢٧٠	٢٤	اتتخذت	اتخذت
٢٧١	١٧	فلم تعطهم	فلم تعطيهم
٢٧٢	١٢	الطبيب	طبيب.

صحيفه	سطر	خطأ	صواب
٢٧٣	١٠	واتقواالمثوبة	واتقوا المثوبة
٢٧٥	٢٤	مما يقتدى	ممن يقتدى
٢٧٦	١١	ا كثراهل الارض يضلوك عن سبيله	ا كثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله
٢٧٧	٨	جمدت	جهدت
٢٧٧	١٩	لاتنصروه فقد نصر الله	الاتنصروه فقد نصره الله
٢٧٨	٥	الدعاءويسعون ويستسقون	الدعاءويستسقون
٢٧٨	١٩	بالله	يالله
٢٧٨	٢٣	انتعاذة به	استعاذة به
٢٧٩	١٦	الا الله	الا لله
٢٨٠	١	ابى العباس	ابو العباس
٢٨٠	٥	الشيخ الاسلام	شيخ الاسلام
٢٨٣	٢٣	بخصاصه	بخصائصه
٢٨٤	١٦	وذكر فيه	وذكروافيه
٢٨٥	١٧	والشنعاء	والشفعاء
٢٩١	١١	فى اروية	في اودية
٢٩٢	١١	بكتاب	بكتاب شرح
٢٩٤	٢٢	منتظمهما	تنتظمهما
٢٩٥	٤	العبادة	العبارة
٢٩٥	٨	فاذا وصفها	فاذا وصفتها

صحيفه	سطر	خطأ	صواب
٢٩٥	١٥	الرجال	الرجل
٢٩٦	١٨	على القارى	محمد الجزرى
٢٩٦	١٩	ولكم	لقد كان لكم
٢٩٧	٣	يصرعها	تصرعها
٢٩٧	١٧	ان تكون لها	ان تكون له
٢٩٨	١	وبارك	وبارك لى
٢٩٨	٤	ولا توسط	ولا توسيط
٢٩٨	٢٣	تعف	تعفو
٢٩٩	٢١	واحزابه الذى	واحزابه التى
٣٠٠	٩	ابن العربى	ابن عربى
٣٠٠	٢٤	واذكرالله	واذا ذكر الله
٣٠١	٤	هذاالكلام	عندالكلام
٣٠١	١٢	تسبيح	تسبيحا
٣٠١	٢٢	أثوابه	ثوابه
٣٠٣	١١	شروعيته	مشروعيته
٣٠٤	٢٣	فيمن يلوز	فبمن يلوذ
٣٠٦	٩	غد	غدا
٣٠٦	٢٠	وأدب	وادأب
٣٠٧	١١	عنى قبيح	عن قبيح
٣٠٨	٢٤	مرللدين	مرمن للدين
٣٠٩	٢٢	متمسكين	مستمسكين
٣١٠	٤	واذى	وازى
		الخصيص	الحضيض

صحيفه	سطر	خطأ	صواب
٣١٢	٤	لقد	لئن
٣١٢	١٤	مناجاة	مناجاتى
٣١٢	١٥	من صبغ	منصبغ
٣١٢	٢١	بالقرب	بقربك
٣١٣	٩	بى مسن	بى سنى
٣١٣	١٨	وجدت له فتى	جدت له فتى
٣١٤	٢١	بالاعتذال	بالاعتزال
٣١٥	١٨	جلاله	جلالة
٣١٧	٥	ذلك	ذلك بظن
		استغاثة	انه استغاثة
٣٢٠	١	من النادر	من النار
٣٢٣	٢٠	فلما أنسوا	فلما انسوا
٣٢٤	١٤	لعفلوا	لفعلوا
٣٢٩	٨	الخطر	الحظر
٣٢٩	١٤	وإمادعاؤهم	وإمادعائهم
٣٣٠	١٤	مكبد	مكبله
٣٣٣	١٩	وقبله*	وقبله * وقوله
٣٣٩	٢٠	وأحسن	أحسن
٣٤١	٨	أبى عبدالله	أبو عبد الله
٣٤٣	١٤	ليت	ياليت
٣٤٤	٤	من أورد	ممن أورد
٣٤٤	٦	من المحازير	من المحاذير

صحيفه	سطر	خطأ	صواب
٣٤٥	١٩	الغزال	الغزل
٣٤٦	١٤	وعمرىن عبيد	وعمرو بن عبيد
٣٤٧	٨	ولى المهدة	ولى العهد
٣٤٩	٥	والتقوى على الاثم	والتقوى لاعلى الاثم
٣٥٠	١	وأبى زر	وأبى ذر
٣٥١	١	أي منقلت	أي منقلب
٣٥١	١	أنبثكم	ننبئكم
٣٥١	٧	لعلنا	لعلمنا
٣٥١	٨	العربي	عربى
٣٥١	٢٤	وجيها	وجه وجيه
٣٥١	٢٤	صححاوجها	صححا بعض بعض
٣٥٢	١٦	كتبا	كتب
٣٥٢	١٨	ممالا	ممن لا
٣٥٢	٢١	تنسب	ينتسب
٣٥٨	١٢	وشرعه	وشرع
٣٥٨	١٥	أهل العلماء	أهل العلم
٣٦٠	١١	المصون	المضنون
٣٦٠	١٨	فى ترجمة	فى ترجمته
٣٦٥	٢	المهملة	المهلة
٣٦٥	=	فاغشنى	فأغشنى

﴿تم الخطأ والصواب من الجزء الاول والثانى من غاية الامانى﴾

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله وآله والمهتدين بهداه يقول
مستخرج صواب هذه الخطايا التى احتوى عليها جزآ كتاب غاية الامانى
يجب على كل من يقتنى هذا الكتاب أن لا يطالع فيه الا بعد تصحيح
النسخة على هذه التصويبات فكم فيه من آيات محرفة عن وجهها
إما بزيادة أو نقصان أو ابدال كلمة بأخرى فمن لا يتقن
حفظ القرآن لا يسوغ له المطالعة فيه لعدم أمنه
من الغلط فى الآيات القرآنية هذا
ما لزمنى التنبيه عليه فليتنبه لذلك

كتبه الفقير الى لطف ربه واعانته اسمعيل الخطيب الحسنى الإسعِردي الازهرى
السلفى عفى عنه فى ٦ ربيع الآخر سنة ١٣٢٧
١٩٠٩






COLUMBIA LIBRARIES OFFSITE
CU07815468